(فهرسة الجزء الاول من شرح العلامة خليل بن ايبك الصفدي على لامية العجم)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

ه

صحيفة

صحيفة

(تمت فهرست الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله الكلام على قول المصنف)

﴿فهرست الجزء الاول تأليف سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون وهذا الشرح المذكور قد وضع هامشا على شرح لامية العجم﴾

صحيفه

صحيفة

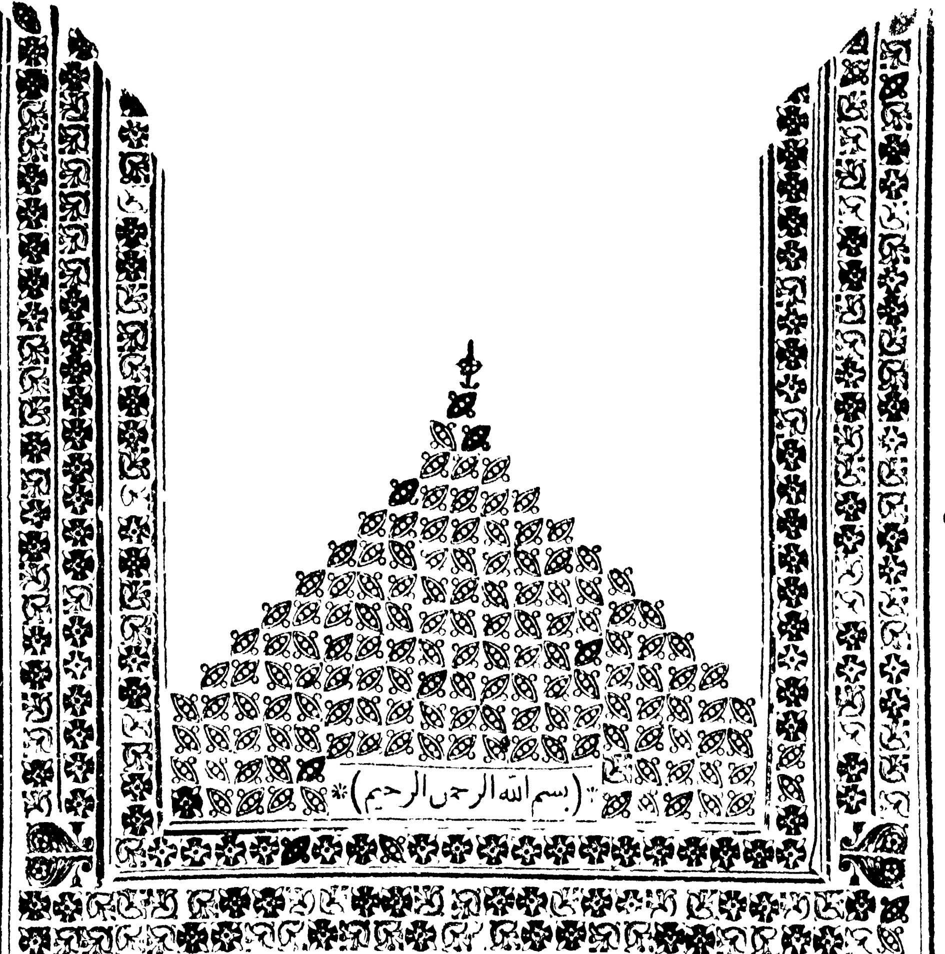
﴿تمت فهرست الجزء الاول ويليه الجزء الثاني واوله ترجمة الامام مالك﴾

الجزء الاول من كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدي الاديب الشاعر المنشي
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال في كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن علي فخر الكتاب العميد الطغرائي المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٥ في وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم في شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن الجاميع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ ذكر فيه ان الصفدي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبي بكر بن عمر المالكي الدماميني المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوي وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلي بن قاسم) الطبري وسماه حل المبهم والمعجم في شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي وسماه نشر العلم في شرح لامية العجم (وحسين الكفوي) جمعه من الشروح كشرح الصفدي (والقاضي) جلال الدين المدني (وجلال الدين) خضر الحنفي الذي ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخمسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن علي الريحي البغدادي (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسي وأجاد انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) للعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصري جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجري)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجرية)



الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب ورفع قدر من تأهل للعلم وتأهب وجمل من تدرع لباس الفضل وتدرب وكمل من ترقى الى غاية ما ترقب (أحمده) على نعمه التي جعلت العلوم بالادب روضا مثمرا وأعلت همة من برى له قلما قد اتخذ الانامل منبرا وأغلت قيمة جواهره فكانت ثمنا تباع به القلوب وتشترى وأوجدت من كرام أهله من بحر البدر النضار لمن قرى (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تسجع بها حمائم الخطباء على غصون المنابر وتجري الذين نصبوا لها جسور الاقلام على معابر المحابر وتضمد لها على رءوس السطور في منصات الدفاتر وتنبه بايقاظ نسيمها مقل الزهر الفواتر (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفصح ناطق صرف عنان لفظه وأبلغ صادق أرهف سنان وعظه وأشرف زاهد ثنى عن زهرة الدنيا عند الحياة سوام لحظه وأعرف ناقد بنى في حضرة العلياء بعد الممات مقام حظه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بآدابه وسبقوا الى مدى لم يطمع أحد من بعدهم في عادية سكابه ونصروا أقواله ولسان السيف لم يتلمظ في فم قرابه وهزموا احزاب الكفر بنصل كنانته ونص كتابه صلاة تطول لهم بها القصور وتحيط بهم بركاتها احاطة الهالات بالبدور ما خفقت أقلام الطروس على مواكب السطور وأودعت نفائس الكلام في خزائن الصدور وسلم ومجد وكرم (وبعد) فان القصيدة الموسومة بلامية العجم رحم الله ناظم عقدها وراقم بردها مما تعاطى الناس مدام أكوابه

وتجاذبوا

الحمد لله الذي لا يجب الحمد الا له وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف رسالة وعلى آله وصحبه ما أفضل وأكرم صحبه وآله وأدام الله أيام مولانا السلطان المؤيد الملك الكامل العالم العادل عماد الدنيا والدين ادامة متصلة الجلالة مقبلة الاقبالة ما جنت يد النصر الشهي رياحه العدالة وأثمرت غصون أقلامه المعمة من ديم أياماه المطالة من ورض نعمه على وفروض منه لدي أن أدعو لايامه المنزمة كما صليت على نبي المرحمة وأذكر من أصلح لنا أمور الدنيا القائمة كما ذكرت من أصلح لنا أمور الدين القيمة طلبا لاجابة الدعاء واثابة الرجاء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأمتعنا ببقاء من سبقت مواهبه الغيث فضلى وأعجزته فسلم

وتجاذبوا هداب أهدابه وتداولوا ضرب مثله الذي علا عن أضرابه واقتطفوا ثمر معانيه متشابهاوغير متشابه

اهانت الدر حتى ماله ثمن * وأرخصت قيمة الامثال والخطبا

أما فصاحة لفظها فيسبق السمع الى حفظها وأما انسجامها فيطوف منه بخمر الانس جامها وأما معانيها فنزهة معانيها وأما قوافيها فتذهب القوى فيها وأما شكواها فتمرض الاكباد فى الاجسام وأما اغراؤها فيوجب الوثوب على الآساد فى الآجام وأما غزلها فالتذ كرمعه نغمات الأوتار وأما أمثالها فهى الا كالمصابيح فى المساجد ذات الانوار كأن ناظمها غاص فى البحر فأتى بالدرر منضودة أوارتقى الى السماء فجاء بالدرارى من الافق مصفودة

فمالها فى الورى مثل يناظرها * وكم لها سار بين الناس من مثل

أقمارها فى تمام النظم قد طلعت * تسير فى أوج معناها ولم تفل

وزهرها لم تزل تندى غضارته * لان منبته فى روضها الخضل

يرتاح سامعها حتى يهزلها * من التعجب عطف الشارب الثمل

فلا تعرغيرها سمعا ولا بصرا * فى طالعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقد أحببت ان أضع عليها شرحا يزيدها فرائدا وقصيدتها فوائدا مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت ولا أغادر فيها لغة ولا اعرابا ولا ايضاح معنى ولا اغرابا ولا ما يضمه اليها سلك أويدخل معها جرابا الانبهت عليه وأشرت بحسب الامكان اليه هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة وتعترض جملة ذكره بغتة ويمد به الضمير على لسان القلم وكم للسان فلتة ويشبه التعمد اذا علمت أن لجيد الاطلاع اليه لفتة ليكون هذا الشرح أنموذج الادب وعنوانا يدل على الفضيلة التى امتاز بها لسان العرب فقد أودعت فيه فوائد جمة وقواعد مهمة وشواهد هى لجامحات المعانى أزمة ودلائل تبرهن كل علم فلا يكن أمر كم عليكم غمة فما شامت عيونه برق علم الا انتجعت قطره الصيب وصبرت على ثمره الردى حتى رأيت الطيب ولا تطلعت أعناقه الى مرعى بحث الا أسمته سعدانه وأنقلت بالفوائد اذا انصرف من مأدبته أردانه ولا قرمت شهواته الى نكت بديع الا أزلته عن بعده العطاو بنعه العطب وتتبعت لقراه ذوائب النيران التى وقودها المندل الرطب لا الحطب فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم (وقال) عبد الله بن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم فلهذا الاتجدنى فى هذا الشرح واقفا مع ضيق المقام ولا فارا من مشق القواضب ولا رشق السهام بل أشرف على كل مكان فأسقط وأتوخى الحب من الدرر الكبار فألقط فمهما استطرد الكلام اليه وفيته حقه ومهما تعلق به ملكته رقه من غور الى نجد ومن ربوة الى وهد ومن ظهر أرض الى بطن مهد ومن اقتناص بصقر الى اصطياد بفهد ومن سنام واخذة شملال الى صهوة كميت نهد

طورا يمان اذا لاقيت ذايمن * وان لقيت معديا فعدنانى

فقد يتسلسل الاستطرا دوالقلم معه ويتشعب الكلام فلا أدعه يجد دعة فاترك كثيرا مما

(وبعد) فانى أمرت بشرح رسالة الوزير أبى الوليد بن زيدون الآتى ذكرها وايضاح براهينها الغامض على كثير من سراة الأدب سرها فقلت ما أنا وصعود هذا الصرح وولوج هذا السرح ومعارضة ذلك البزواست من ذلك الطرح وهل أنا الا اصاحب أبيات تقيم جدرها القريحة المطبوعة وكلمات تأتى على العفو فقرها المسجوعة فتى أخرجت عن ظل أبياتى ظلمت ومتى أبعدت عن رياض سجعى ألمت هذا مع تشعب فنون هذه الرسالة واحجام الفضلاء عن الخوض فى غدرها السيالة فقيل لى انا نقتصر من شرحك على الاختصار ونهب تقصيرك لما قدمت بين يدى نجواك من الاعتذار ونرضى من بنانك بأدنى الحصص ومن قسمة الايضاح ببعض الحصص ونقنع من التاريخ الغاص ببعض الفرص واذا كنت من الشعراء فما أنت ببعيد من القصص فقابلت بالطاعة أمراقد وجب وقلت ان فاتنى سلوك الآداب المنظومة فان الامتثال خير من سلوك الادب وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق

طلب وأتطلب ما يحق له الفرار والهرب وأتذكر بالضد غيره عند الرجوع والمنقلب وأعطف على نظائره فأفوز بالغلب فكنت كما قيل

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

ولا أقول

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيري وعلق أخرى ذلك الرجل

بل أقول

أحب الذي هام الحبيب بحبه * ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

ولا بدع فالمعاني بعضها ببعض مشتبك والمباحث لا يزال نافرها في شرك الذهن يرتبك وما أليق هذا المقام بقول ابن عميرة لما جعل البرق سميره

تعرض مجتازا وكان مذكرا * بعهد اللوى والشيء بالشيء يذكر

ومن وقف على كتاب الحيوان للجاحظ وغالب تصانيفه ورأى تلك الاستطرادات التي يستطردها والانتقالات التي ينتقل اليها والجمل التي يعترض بها في غضون كلامه ويدرجها في أثناء عباراته بأدنى ملابسة وأيسر مشابهة علم ما يلزم الاديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف

هكذا هكذا والا فلا لا * طرق الجد غير طرق المزاح

ولم أقصد بما أوردته غير صلة العائد من الفائدة وبعث النفوس التي هي في قبور الفتور هامدة سامدة فان المطالعة تستروح اليها النفوس وتجد في مراجعتها ما تجده في معاطاة الكؤس فالكتاب خير جليس ونعم أنيس لا يمل من محادثته الانيس واسمح كريم لا يبخل الا على الغبي بما عنده من الدر النفيس

لم يبق شيء من الدنيا يسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

(قال) شيخ قرأت عليه ما ترغطفان من كتاب ذهبت المكارم الا من الكتب والخروج من فن الى فن أقدر على البحث وأسلط والانتقال من نوع الى نوع أنشط للمطالعة وأبسط والمشاركة أقوى على الظفر بالصواب وأقوم وأقسط

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

ولان فيما أوردته ما يتسلط به الواقف على الانتقاء والانتقاد ويتوصل به الى حسن الارتياء والارتياد (قال) الجاحظ طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يعرف الا غريبه فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل الا فيما اتصل بالاخبار وتعلق بالانساب والايام فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن ابن وهب ومحمد بن عبد الملك (وقال) محمد بن يوسف الحمادي حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف في كل فن ويتنوع في كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل ومسلم يلزم طريقا واحدا لا يتعداه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه فقال له عبيد الله ان أحمد بن يحيى المعروف بثعلب لا يوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله وانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه فقال وريت بك زنادي يا أبا عبادة وان حكمك في

الوقفية أسفارا فيها للطالب مقنع وللافهام النائية ذكرى تنفع فلم يتهيأ أن أعارضها كتابا ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابا فقلت هذا عذر آخر لم يكن في الحساب وهذا قصد تغلقت دونه الكتب فانها ذات أبواب وما بقي الا الرجوع الى صبابة الحاصل التي أبقتها نوب الدهر واستنباط الثمد اذا عجز ورود البحر ثم أمليت شرح هذه الرسالة عن فكر خامل مسه القرح وشرحت الا أنني مقتصر وما أطيل الشرح بيد أني لم أعتمد الا على نقل خبر صحيح ونسب على قول صريح ولم أخل ترجمة كل مذكور من فائدة سارة ونادرة دارة وأقوال سديدة وأبيات مشيدة وفقر ما أخفاها فطنة سعيدة ولم آل في اختيارها جهدا ولا ازددت مع صروف الزمان الا نقدا هذا مع تجنب الاكثار وترك الاجتلاب بنظائر الاشعار والتخفيف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار والله تعالى الموفق لصواب الارادة ومعين الخدم على القيام بطاعة السادة وجابر وهنهم بما يتلقونه من امتثال أوامرهم السادة بمنه وكرمه

في عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما فقال فضل
جرير فقيل له ان أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة وانما يعرفه
من دفع الى مضايق الشعر على انني لم أدع الجفلى الى هذه المأدبة ولا رضيت طفيلي الكلام
أن يتصدر في هذه المرتبة فكم توقف القلم في الاذن على ما حصل فيه ادنى لبس وكم ضاق
بواحد من غسان ولم يسع جميع بني عبس وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن واعرض
عن منهل كان ماؤه العذب غير آسن

وهل يباعد عذب الماء ذو غصص * أو ينثني عن لذيذ الزاد منهوم

(نعم) خشيت الاطالة واجتنبت العثرة خوفا من عدم الاقالة وفررت من الزيادة حتى
لا يكون ضغثا على ابالة وقلت مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذبالة ومع الظفر بالصيد
لا فكرة في الحبالة ومع الحصول على متاع البيت لا يلتفت الى الزبالة فاضربت عن التجمل
بالاثيل الاثير وعلمت أن من الناس من يقرأ النافع ولا يقرأ الا ابن كثير فاقتصرت على الزبد
واختصرت وملت في المباحث الى قول المتأخرين وانتصرت (اللهم) الا فيما ندر وخان
هذا الشرط وغدر (قال) بعضهم الاديب من يكتب احسن ما يسمع ويحفظ أحسن
ما يكتب ويورد أحسن ما يحفظ (ومثل) هذا قول عبد الرحمن بن مهدى اذا لقي الرجل
الرجل فوقه في العلم كان يوم غنيمته واذا لقي من هو مثله كان يوم دراسته واذا لقي من هو
دونه تواضع له وعلمه ولا يكون اماما في العلم من حدث بكل ما سمع ولا يكون اماما من حدث
عن كل أحد ولا يكون اماما من حدث بالشاذ فلهذا عرضت نخب فكري وانتقيت وعلوت
عن التعرض للرذل وارتقيت ولم انتق له الا ما كان أدبه غضا ولم اخبر منه الا ما كان نفعه
نضا مما راق جنى ولاق سنا ووجد المعنى فيه بريئا من العنا وجنته من الاوراق بيض
الظبا ومن الاقلام سمر القنا لئلا يكون هذا القول الشارح محمود المقدم مذموم التالي وحتى
لا ينظر السائل حسنه بعين السالي فتصبح أساليه بعد القائل عند القالي وقد علقت هذا
الشرح وأنا في همـوم قد علم الله ترادف بعوثها وانسكاب غمائم غمومها وغيوثها وافتراس
فوارسها واذاني الجناس عن ذكر ليوثها قد لهجت في نهج الكنايه بكميت أو التصغير
بالثريا عن الكميت وامتنعت الراحة مني امتناع الفاء من الدخول على خبر لعل وليت

والا فابالي ولم أشهد الوغى * أبيت كأني مثخن بجراح

أتجرع كؤوسا علقت بها العلاقم واساور على الارق منها ما هو انفث سما من الارقم وألتقي
بصدري كل صدع قد يئس من الجبر والتزم بحملها التزام واصل بن عطاء بالقدر أو جهم بن
صفوان بالجبر وأعالج منها كل جراحة بعد غورها عن السبر واتطلب رضا الايام وهي على
أشد حقدا من سلامة بنت سعد على عاصم حمي الدبر والتي جيوش الخطوب وانا غار نعم ذكرت
بالسجع أن لي درعا من الصبر وأعد في الاحياء وأنا من الاموات ولكن ما ضمتني جوانح القبر

فالارض تعلم انني متصرف * من فوقها وكأنني من تحتها

فكيف يتأتى مع هذا الحال برق فكر وكيف يترقرق ودق ذكر وكيف تعلق يد الذهن
بذيل مسئلة وكيف يتعقل بحثا وقد عمه غمه وله وكيف يعرف الكلمة الاولى من
الثانية ولا أقول الاولة وكيف وكيف وكيف وأنى لمن يتردد بين جناس الحتف والخيف

(ذكر منشئ هذه الرسالة)

هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي الاندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان من أبناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه الى أن برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ الطائل وانقطع الى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالاندلس فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أن ابن جهور نقم عليه أمرا فحبسه واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بديعة فلم تجع فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته وفوض اليه أمر مملكته وكان حسن التدبير تام الفضل محببا الى الناس فصيح المنطق جدا (حكى) ابن بسام في كتاب الذخيرة

والحيف

ومامثل هذا الامر تحمل مضغة * ولكن قلبي في الردى مقلوب

ولكن قد يلفت الحظ الأعنة ويثور كمين اللطف الخفي لهذا الخمول وتشرع الأسنة وتضع الايام حملها فان الآمال في بطونها أجنة وليس الاحسن الظن بالله فانه ثمن الجنة

ان ختم الله بغفرانه * فكل مالاقيته سهل

اعترضت بهذا الفصل وقطعت به لذة ذلك الوصل ليعذر الواقف على الخطا ويتحقق السبب في عدم نوم القطا لان هذه الاوراق مافيها غير هذه القصيدة ثمر ولو عاين الطغرائي رحمه الله هذا الشرح لقال أرانى السهالما أريته القمر وما أولاني بقول العماد الكاتب

هى كتبي فليس تصلح من بعدى لغير العطار والاسكاف

هى اما مزاود للعقاقير واما بطائن للخفاف

(وقول) مجير الدين محمد بن تميم الاسعردى

عرضت كتابي كي يباع بدرهم * على مشتر عند الوفاء شحيح

رأى خطه ذا علة فاعاده * ومن يشترى ذا علة بصحيح

ومن هنا أشرع في ذكر الطغرائي رحمه الله وتاريخ ولده ووفاته وسبب قتله وما اتفق له في ذلك ثم اتلوه بشئ من شعره المقاطيع التي له ثم أتكلم فيما بعد على عروض القصيدة وقافيتها وما يتعلق بذلك واذا انتهى الامر الى ذلك أجمع سردت القصيدة بيتا فبيتا ولا أذكر الثاني حتى أفرغ من الاول وأسوق فيه ماله به علاقة لا يستغني الاديب عنها ومن الله أستمد الاعانة على الابانة وأسأله التوفيق الى التحقيق لاهدى الابنوره ولا بيان لمتكلم ان لم يوره عليه توكلت واليه أنيب (ذكر مولد الطغرائي ووفاته رحمه الله) هو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الاصبهاني المنشي المعروف بالطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وهذه نسبة الى من يكتب الطغرا وهى الطرة التى تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن نعوت الملك وألقابه وهى لفظة أعجمية * قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وذكره السمعاني في كتاب الانساب واثنى عليه وأورد له قطعة من شعره في وصف الشمعة وذكر انه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة وللطغرائي المذكور ديوان شعر جيد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمائة يصف فيها حاله ويشكو زمانه ولم يذكر القصيدة مستوفاة وأتبعها بمقاطيع من شعره ثم قال وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع وذكره أبو البركات في المستوفى تاريخ اربل وقال انه ولي الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب في كتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية أن الطغرائي كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل وأنه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همدان والري وكانت النصرة لمحمود فأول من أخذ الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميري وقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا في ذلك

عن بعض وزراء اشبيلية قال عهدى بابي الوليد بن زيدون قائما على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمعته يجيب أحدا بما أجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه ولم يزل عند المعتضد عباد وعند ابنه المعتمد على الله قائم الجاه وافر الحرمة الى أن توفي باشبيلية سنة ثلاث وستين وأربعمائة تغمده الله برحمته وقد ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين وأجروا نبذا كثيرة من أخباره وفضائله ووقفت على ديوان شعر له وكثير من ترسله ونظمه أمكن عند النقاد وأجود من نثره وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه فأما نثره فانه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وحل أشعار المتقدمين والمتأخرين الى أن قيل ان رسائله أشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار معجز وقد اكتفيت منها بهذه الرسالة المشروحة فمن شعره ماقاله من قصيدة يخاطب بها ابن جهور أيام محنته

ماجال بعدك لحظي في سنى القمر الاذكرتك ذكر العين بالاثر

الوقت نيابة عن النصر الكاتب هذا الرجل ملحد يعني الاستاذ فقال الوزير محمود من يكن ملحدا يقتل فقتل ظلما وقد كانوا خافوا منه لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وكانت الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل سنة أربع عشرة وقيل ثماني عشرة وقد جاوز ستين سنة وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لانه قال وقد جاءه ولد

هذا الصغير الذي وافى على كبر * أقر عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها في ذلك الحجر

والله أعلم بما عاش بعد ذلك وقتل السميرمي المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية قيل قتله عبد أسود كان للطغرائي لانه قتل استاذه انتهى (وقال) عز الدين بن الاثير في الكامل في ترجمة سنة أربع عشرة وخمسمائة واتصل الاستاذ أبو اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود وكان ولده أبو المؤيد محمد بن أبي اسماعيل يكتب للطغراء مع الملك مسعود فلما وصل والده استوزره الملك مسعود بعد أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بباب خوما فحسن ما كان دبيس يكاتبه به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهور ما هم عليه فبلغ السلطان محمودا الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا اليه وأظهروا ما كانوا عليه ثم قال ابن الاثير بعد أسطر قلائل فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم وأسر الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده وكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صناعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لا تحصى انتهى (وذكره) العماد الكاتب في الخريدة فقال الطغرائي خدم السلطان العادل ملك شاه ابن ألب أرسلان وكان منشي السلطان محمد مدة مملكته متولي ديوان الطغراء والملك فلم الانشاء تشرفت به الدولة السلجوقية وتشوقت اليه المملكة الايوبية وتنقل في مراقي المناصب وتوقل في مراقب المراتب وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة واستبد بالحكم وتوشح بالكفاية ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء سوى امين الملك بن أبي نصر حفص من أهل أصبهان المنشي في عهد نظام الملك والفضل له لتقدمه ولكن برزهذا في فنون العلم وحسن الاستعارة في النثر والنظم وراض في العلوم العربية المصعب فاصحب وسلك المذهب المذهب وأبدع المعنى المهذب وله معجز البلاغة المعجب وصاحب البيان المغرب فأما شعره فعبر الشعرى العبور علو عبارة وسمو استعارة وسموق راية وشروق آية وتناسق مقصد وغاية وتناسب بداية ونهاية وأما نثره فنثر الدراري والدرر ومنثور الزهر وأماخلائقه فمطورة على الكرم موقورة بحسن الشيم متأرجة بعرف العرف متموجة بماء اللطف متبلجة بنور الظرف متوهجة بنار الحسن مبتهجة بنور اليمن حدثني الامام محمد بن الهيثم باصفهان عنه وهو الذي سمعت شعره منه وانه كشف بذكائه سر الكيمياء المرموز واستخرج من معماه المكنوز لم يزل في مدة حياته مصدرا في الدسوت موقرا بالنعوت حليفا بل جليسا أنيسا للسلاطين

ولا استطالت زمام الليل من أسف
الا على ليلة مرت مع القمر
ياليت ذاك السواد الجون متصل
قد استعار سواد القلب والبصر
جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي
ان الحوار لمفهوم من الحور
لا يهنأ الشامت المرتاح ناظره
أني معنى الاماني ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة
أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب
قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر
عن كشف ضري فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة
ولم أبت من تجنيه على حذر

(وقال من أبيات في بني جهور)

بني جهور أحرقتم بجفائكم
جناني فما بال المدائح تعبق
تعدونني كالعنبر الورد انما
تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

(وقال فيهم أيضا من أبيات)

ان الجهاورة الملوك تبوؤا
شرفا جرى معه السماك جنيبا
فاذا دعوت وليدهم لعظيمة
لباك رقراق السماح أريبا
همم تعاقبها النجوم وقد تلا
في سودد منها العقيب عقيبا
ومحاسن تندى دقائق ذكرها

والملوك محبرا بنظمه ونثره الموشى المحبوك فلما انتهت الايام الغياثية المحمدية واستوفت مدتها استأنفت الدولة المغيثية المحمودية جدتها واستقر الشهاب أسعد في مكانه وانتصب في منصب ديوانه وكان السلطان مسعود بن محمد حينئذ ملكا صغيرا فاستوزر أبا اسماعيل وروض به روض ملكه المحيل وأصبح بالمؤيد مؤيدا وبسداده مسددا حتى اتفقت بينه وبين أخيه السلطان محمود الحرب التي أودعت أهل الفضل الحرب وقلت العلم والادب ولما مس عود مسعود العجم انكسر وأحجم مقدم جيوشه جوشك وألقى قناع الهزيمة فانحسر وأدرك الاستاذ رحمه الله فأسر وطغى رأى الطغرائي في حقه فسعى في حتفه خوفا على منصبه فأجال في نصبه وأعطى الرضا بغضبه وفتك به وقت أسره بل قدم سرا وقتل صبرا قبل ان ينبه بأمره وينوه بقدره وأزر الطغرائي الوزير وعانده التقدير ففاز بالشهادة وختم له بالسعادة وذلك في سنة خمس عشرة وخمسمائة (فهذا) من جملة من قتله فضله ورماه بنبل الدهر نبله وألحفه رداء الردى علمه وسامه الادب فهام به في حيرة التيه فهمه وحسده الدهر فاغتاله وقاص بعد السبوغ ظلاله بل غار الزمان على مثله من بين الجهال فاسترده وأخلق من الابتهاج بفضله ما استجده انتهى اقتصرت هنا على ماذكره العماد الكاتب (قلت) وعلى ماذكره ابن خلكان عن مستوفي أربل وابن الاثير أيضا يكون مولد الطغرائي في عشر الستين بعد الاربعمائة تقريبا والخلاف في وفاته مبني على الخلاف في الواقعة التي كانت بين الملك مسعود وأخيه السلطان محمود كما مر في كلام مستوفي أربل وأخبرني العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري بالقاهرة المحروسة ان الطغرائي لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ترموه بالسهام ففعل به ذلك وأوقف انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائي وأمره ان يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لا ترموه الا اذا أشرت اليكم فوقفوا والسهام في أيديهم مفوقة لرميه فانشد الطغرائي في تلك الحالة

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل يرى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر باطلاقه في ذلك الوقت ثم ان الوزير عمل على قتله فيما بعد وقتل (قلت) ما هذا الاثبات جنان بل ثبوت جنون لقد أرى هذا في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحبوبه في السراء والضراء على عنترة العبسي وغيره ممن تبعه من الشعراء في قوله ولقد ذكرتك والابيات في هذا المعنى مشهورة ولولا خوف الاطالة ههنا لذكرتها ولعلها ترد فيما بعد في اثناء هذه الاوراق (وأما حله رموز الكيميا) فان له فيها تصانيف وهي معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة ومنها جامع الاسرار وكتاب تراكيب الانوار ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة الكيميا والرد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء وله مقاطيع شعر في الصنعة وله ديوان شعر على عادة الشعراء ومن شعره

فتكاد توهمك المديح نسيبا

(وقال من قصيدة يمدح بها المعتضد بن عباد)

أما في نسيم الريح عرف يعرف
لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
وليلة وافينا الكثيب لموعد
سرى الاين لم يعلم بسراه مرجف
تهادى أباة الخطو مرتاعة الحشا
كما ريع يعفور الفلا المتشوف
فدلتك أني زرت نورك واضح
وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الليل واشيك هاجع
وفرعك غربيب وليلك أغدف
فكيف أطقت المشي خصرك مدمج
وردفك رجراج وقدك أهيف
فما قبل من أهوى حوى البدر هودج
ولا ضم ريم القصر خدر مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس
ولا حمل الطود المعظم رفرف
رويته في الحادث الاد لحظة
وتوقيعه الجالي دجى الخطب أحرف
على السيف من تلك الصرامة ميسم
وفي الروض من تلك الطلاقة زخرف
أظن الاعادي أن حربك نائم
لقد تعد النفس الظنون فتخلف

قوله

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي * منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها * علماً أنار لي البهيم المظلما
وورثت هرمس سر حكمته الذي * ما زال ظنا في الغيوب مرجما
وملكت مفتاح الكنوز بفطنة * كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزا * من حكمتي يشفي القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذي * علمته والعقل ينهى عنهما
وأريد لا ألقى غبيا موسرا * في العالمين ولا لبيبا معدما
والناس اما ظالم أو جاهل * فمتى أطيق تكرما وتكلما

(قلت) يقال ان طلب الكيميا أول ما ظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني وأصله من كيم يه معناه انه من الله والاشبه انها فارسية فعنى كي ميا متى تجيء على الاستبعاد وكان الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية ينكر ثبوتها وصنف رسالة في انكارها ورد عليه فيها نجم الدين بن أبي الدر البغدادي وزيف ما قاله وأما الامام فخر الدين الرازي فانه في المباحث المشرقية عقد فصلا في بيان امكانها فقال سلم امكان صبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص فأما أن يكون الفصل المنوع يسلب أو يكتسى قال فلم يظهر لي امكانه بعد اذ هذه الامور المحسوسة يشبه أن لا تكون هي الفصول التي تصير بها هذه الاجساد أنواعا بل هي اعراض ولوازم فصولها مجهولة واذا كان الشيء مجهولا كيف يمكن أن يقصد قصد ايجاده أو افنائه ثم ان الامام ذكر حججا أخر للفلاسفة على امتناعها وأبطل بعد ذلك ما قاله الشيخ وغيره وقرر امكانها واستدل الامام أيضا في الملخص على امكانها فقال الامكان العقلي ثابت لان الاجسام مشتركة في الجسمية فوجب أن يصح على كل واحد منها ما يصح على الكل على ما ثبت وأما الوقوع فلان انفصال الذهب عن غيره باللون والرزانة وكل واحد منهما يمكن اكتسابه ولا منافاة بينهما نعم الطريق اليه عسر (وحكى) ابو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة الاندلسي في بعض تعاليقه عن الشيخ أبي نصر الفارابي انه قال قد بين ارسطوطاليس في كتبه في المعادن أن صناعة الكيميا داخلة تحت الامكان الا انها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل اللهم الا أن تتفق قرائن يسهل بها الوجود وذلك انه فحص عنها أولا على طريق الجدل فأثبتها بقياس وأبطلها بقياس على عادته فيما يكثر عناده من الاوضاع ثم أثبتها آخرا بقياس ألفه من مقدمتين بينهما في أول الكتاب وهما أن الفلزات واحدة بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ماهياتها وانما هو في أعراضها فبعضه في أعراضها الذاتية وبعضه في أعراضها العرضية والثانية ان كل شيئين تحت نوع واحد اختلفا بعرض فانه يمكن انتقال كل واحد منهما الى الآخر فان كان العرض ذاتيا عسر الانتقال وان كان مفارقا سهل الانتقال والعسر في هذه الصناعة انما هو لاختلاف أكثر هذه الجواهر في أعراضها الذاتية ويشبه أن يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسيرا جدا انتهى كلامه والمراد بالفلزات الجواهر التي لا تحرقها النار عند الملاقاة بل تذيبها فاذا فارقتها النار

ولما قضينا ما دعانا أداؤه
وكل بما يرضيك داع فملحف
رأيناك في أعلى المصلى كأنما
تطلع من محراب داود يوسف

(وقال أيضا في مرثية له)

يا من ثنا الامثال فيه مهذب
ضربت له في السودد الامثال
نقصت حياتك حيث فضلك كامل
هلا استضاف الى الكمال كمال
حيا الحيا مثواك وامتدت على
ضاحي ثراك من النعيم ظلال
فلئن أذالك بعد طول صيانة
قدر فكل مصونة ستذال

(وقال في الغزل وهو من المجيدين فيه)

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه مني ولو بذلت
لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبي ما
لا يستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن
وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

(وقال أيضا)

أمار جا قلبي فأنت جميعه
بالبتي أصبحت بعض رجاكا
يدنو بوصلك حين شط مزاره
وهم أكاد به أقبل فاكا

(وقال من أخرى)

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والافق طلق وماء الروض قد راقا

عادت الى حالتها الاولى وهى هذه المتطرقات السبع الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصيني وهو المعروف فى زماننا بالحديد الصيني الذى تأتى منه القدور من بلاد الصين وتكسر ويعمل فى أكاريخ البارود * قال الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى أما ان أراد المدبر أن يصنع ذهبا نظير ما صنعته الطبيعة من الزئبق والكبريت الطائرين فيحتاج الى معرفة أربعة أشياء كمية كل واحد من ذينك الجزأين وكيفيته ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ وزمانه وكل واحد منها عسر التحصيل وأما ان أراد ذلك بأن يدبر دواء وهو المعبر عنه بالاكسير مثلا ويلقيه على الفضة ليمتزج بها ويستقر خالدا فيها ويكسبها لون الذهب ورزانته فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج الى استقراء حال جميع المعدنيات وخواصها وان استخرجه بالقياس فمقدماته مجهولة ولا خفاء فى عسر ذلك ومشقته انتهى كلامه (قلت) زعم الطبيعيون فى علة كون الذهب فى المعدن ان الزئبق لما كمل نضجه جذبه اليه كبريت المعدن فأجنه فى جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فلما اختلطا واتحدا وذابت الحرارة فى طبخهما ونضجهما انعقد عند ذلك منهما ضروب المعادن فان كان الزئبق صافيا والكبريت نقيا واختلط أجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرارات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا المعدن لا يتكون الا فى البرارى الرملة والاحجار الرخوة فتبارك الله الفعال لما يريد ومراعاة الانسان النارفى عمل الذهب بعده على مثل هذا النظام مما يشق معرفة الطريق اليه والوصول الى غايته وعمل الزجاج ومعامل الفراريج بالديار المصرية مما يطمع العقول فى عمل الذهب

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

وليعقوب الكندى رسالة فى ابطال دعوى الذين يدعون صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ورد عليه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ردا غير طائل (قلت) قال المنكرون لذلك لو كان الذهب الصناعى مثلا للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة ولو جاز ذلك لجاز أن يكون ما بالطبيعة مثلا لما بالصناعة فكنا نجد سيفا أو سريرا أو خاتما بالطبيعة وذلك باطل * وقالوا أيضا الجواهر الصابغة اما ان تكون أصبر على النار من المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو يتساويان فان كان الصابغ أصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ أصبر وجب ان يفنى الصابغ ويبقى المصبوغ على الحالة الاولى عريا عن الصبغ وان تساويا فى الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما فى المصابرة على النار فلا يكون أحدهما صابغا ولا مصبوغا وهذه الحجة الثانية من أقوى حجج المنكرين * والجواب من المثبتين عن الاولى انا نجد النار تحصل بالقدح واصطكاك الاجرام والريح يحصل بالمراوح وأكواز الفقاع والنوشادر قد يتخذ من الشعير وكذلك كثير من المزاجات ثم بتقدير أن لا يوجد بالطبيعة ما وجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفى ذلك ولا يلزمنا من امكان حصول الامر الطبيعى بالصناعة امكان العكس بل الامر موقوف على الدليل * وعن الثانية انه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ فى الصبر على النار استواؤهما

وللنسيم اعتلال فى أصائله
كأنه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم
كما حللت عن اللبات أطواقا
لا أسكن الله قلبا عن تذكركم
فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى
وافاكم بفتى أضناه مالاقى
الآن أحمد ما كنا لعهدكم
سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة النونية التى أولها بنتم وبنا وهى أشهر من أن تذكر وقد تداولتها الالسن وزيدتها ما كانت غنية عنه * وفضائل الرجل متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها

(ذكر سبب انشاء هذه الرسالة)

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب الامويين المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل من بنى عبد الملك ابن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله وتغلب ملوك الطوائف فى خبر طويل ثم صارت تجالس الشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ويتعشقها

في الماهية لما عرفت ان المختلفين قد يشتركان في بعض الصفات وفي هذا الجواب نظر (وحكى) لي بعض من أنفق عمره في الطلب ان الطغرائي ألقى المثقال من الاكسير أولا على ستين ألفا ذهبا ثم انه ألقى آخرا المثقال على ثلثمائة ألف (وحكى) لي أيضا ان مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد ألقى المثقال على ألف ألف ومائتي ألف مثقال وقال لي أيضا قالت مارية القبطية والله لولا الله لقلت ان المثقال يملأ ما بين الخافقين فما كان له عندي جواب الا أن انشدته قول أبي اسحق ابراهيم الغزي

كجوهر الكيمياء ليس يرى * من ناله والانام في طلبه

والذي ظهر لي من حال الطغرائي انه لم يدبر شيأ البتة لانه قال

ولولا ولاة الجور أصبحت والحصى * بكفي أنى شئت درّ وياقوت

وسيأتي تمام هذا الشعر في موضعه عند قوله أريد بسطة كف البيت وصاحب الشذور من جلة أئمة هذا الفن صرح بان نهاية الصبغ القاء الواحد على الالف في قوله في القصيدة الفائية

فعاد بلطف الحل والعقد جوهرا * يطاوع في النيران واحده الالف

وفي قوله في القصيدة القافية

فذان هما البدران فاغن بعلمنا * تنل بهما ما يصبغ الالف دائقه

وأنشدت بعض المولعين بها قول القائل

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب * ان يصنعوا ذهبا الا من الذهب

أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة * الا من الفضة المعروفة النسب

فقل لطالبها من غير معدنها * أضعت نفسك بالتنكيد والتعب

فقال لي صدق لو لم يكن الذي يدبره الصانع في أصله ذهبا بالقوة لما صار ذهبا بالفعل فقلت له هذا من باب التأويل واخراج اللفظ الظاهر عن الصريح الى ما لا يفهم منه الا بالاحتمال والصريح لا يعارض بالمؤول ولو أراد الانسان ان يجعل معلقة امرئ القيس مرثية في قط أو غزلا في فيل لما أعجزه ذلك (حكى) لي بعض الفضلاء ان الشيخ تقي الدين بن تيمية كان كثير الحط على الشيخ محيي الدين بن عربي فقيل له يوما ان هنا انسانا يخرج جميع ما تنكره عليه ويرده بالتأويل الى ما يوافق ظاهر الشريعة فطلبه فلم يحضر اليه فلما كان بعد مدة اتفق اجتماعهما في مكان واحد فقيل له هذا الذي وصفناه لك فقال له ما الذي تفهم من قول محيي الدين بن عربي دخلت لجة بحر الانبياء ووقوف بساحله فقال له صدق لان الانبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق فقال هذا بعيد في الاحتمال فقال أليس انه يحتمل ما قلته قال لغرضك وحظ نفسك فلم يجبه وكان شمس الدين محمد شيخ الربوة المعروف بابن أبي طالب يقول زعم بعضهم ان المقامات وكليله ودمنه رموز في الكيميا سمعته يقول ذلك غير مرة ويزعمون أيضا ان الصناعة مرموزة في صورة البرابي وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها نسأل الله السلامة ووجدت بعض من جرب وتعب فاقلقه الوجد وظن ان جدها لعب قد كتب على بعض مصنفات جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق

هذا الذي بمقاله * غر الاوائل والاواخر

ما أنت الا كاسر * كذب الذي سماك جابر

الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وأدب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول

ترقب اذا جن الظلام زيارتي * فاني رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهي عليه غضبى ان ابن زيدون على فضله

يلهج بي شتما ولا ذنب لي * يلحظني شزرا اذا جئته

كأنما جئت لأخصي علي

تعني غلاما له يسمى عليا وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير أبي عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار فقال فيه وفيها

عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا * فيمن نحب وما في ذاك من عار

أكل شهي أصبنا من أطايبه * بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

ومن شعرها ما كتبت به على كمها وقيل تاجها

أنا والله أصلح للمعالي * وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وأمكن عاشقي من لثم ثغري * وأعطي قبلتي من يشتهيها

(ومما ينسب اليها وهو عندي كثير على شعر امرأة)

لحاظكم تجرحنا في الحشى * ولحظنا يجرحكم في الخدود

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا وهو محال لأن له تصانيف كثيرة وهى مشهورة بين القوم *وقال صاحب الأغانى فى ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية وكان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فافنى بذلك عمره وأسقط نفسه وحدثنى من أثق به ممن كان يطلع على أحوال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد انه كان بها مغرى وأنفق فيها مالا وعمرا وقيل ان امام الحرمين مات وهو يفك وصلا من أوصالها خرج اليه منه لسان نار فقتله وقد صحت كيمياء العشق مع كمال الدين على بن النبيه حيث يقول

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمى ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسى وقطرت أدمعى * فصح من التدبير تصغيره جسمى

(وقال أيضا)

صنعة الكيمياء صحت لعينى * حين يزداد ذيرانى احمرارا
فاذا ما ألقيت اكسير لحظى * فى لجين الخدود عاد نضارا

وقال ابن حمديس الصقلى

ومغرب طعنته غير نائية * أسنته ان حققتها شهب
ومشرق كيمياء الشمس فى يده * ففضة الماء من القائها ذهب

وما أحلى قول عبد الملك التميمى المعروف بالدركار المغربى

قم الى كيمياء شرب كرام * لا ترى فيهم نديما خسيسا
خذ بدور الكؤوس التى عليها * من أكاسيرها تعدها شموسا

ما أحسن هذا وأوقعه فى النفس لان أرباب الكيمياء يرمزون الفضة بالقمر والذهب بالشمس وقد أقام الخمر مقام الاكسير الذى يصبغ الجسم وقد حام الشيخ صدر الدين بن الوكيل فى قصيدته على هذا المعنى فقال

وليست الكيميا فى غيرها وجدت * وكل ما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا وينقلب

ولكنه لم يكن على تراكيب كلامه تلك الخفة ولا ذلك الانسجام وأما قول بكر بن النطاح فى أبى دلف

يا طالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن فى الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

فليس هذا من صناعة الكيميا فى شئ بل هذا من باب الرقى والعزائم وكذا قول ابن قلاقس الاسكندرى

ما صح علم الكيمياء لغير مداح الامام الأريحى الحافظ
يعطيهم الاموال اذ يعطونه * لفظا وما مقدار لفظ اللافظ

وكذا قول القائل فى حق الشعراء يخاطب ممدوحه

ما صح علم الكيمياء لغيرهم * فيما رأينا من جميع الناس
تعطيهم البدر النضار اذاهم * رفعوا اليك الشعر فى قرطاس

وهذا كله من فساد التخيل أو من الجهل بماهية الكيميا وقد ظرف شيطان العراق فى

جرح بجرح فاجعلوا اذ بدا فالذى أوجب جرح الصدود وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها وأكثر غزل شعره فيها وفى اسمها ثم ان الوزير أبا عامر بن عبدوس أيضا هام بها وكلف بعشرتها وكان قصدهم الظرف والادب وكانت ولادة كثيرة العبث به ولها معه نوادر ظريفة *ومن نوادرها الظريفة أنها مرت يوما بدار ابن عبدوس وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه وأمامه بركة تتولد من مراحيض وأقذار فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلا كما بحر

فلم يحر جوابا فمضت وحفظت هذه النادرة واشتغل بها الناس وهذا البيت لابى نواس تمثلت به ونقلته هذا النقل الحسن من المدح الى الهجاء وكان كثيرا ما يخدعها و يبغى التفرد بها وفى ذلك يقول ابن زيدون (شعرا)

وغرك من عهد ولادة
سراب تراءى وبرق ومض
هى الماء يأبى على قابض
ويمنع زبدته من مخض

وكان أول أمرها معه والباعث لابن زيدون على انشاء هذه الرسالة أن ابن عبدوس لما سمع بها أرسل

قصيدته التائية حيث قال

وما صنعة جابر * من الصنعة جربت
فكم للطين حلت * وللآمال وصلت
وفوق الشب والكبريت للزرنيخ صعدت
وكم ركبت انبيقا * على النار وقطرت
وللاجساد لينت * وللارواح لطفت
وللزهرة نقيت * وكم للشمس كلست
وكم في بوط بربوط * من الراسخت نزلت
وبالماشك كم كويت في كفي وحرقت
وما صح لي التدبير لكني أدبرت

وملح البوصيري حيث قال يهجو جماعة

اكسير نحس كل مفرده * مركب من مصدر فاسد
ان شئت أن تجعل الورى سفلا * ألق على الالف منهم واحد

وكتب الظهير البارزي الى من رزق توأمين ذكرا وأنثى من جارية سوداء أبياتا من جملتها

وخصك رب العرش منها بتوأم * ومن ظلمات البحر تستخرج الدرر
وابرك أضحى وارثا لجابر * فاعطاك من القائه الشمس والقمر

(وأما هذه القصيدة اللامية) فانما سميت لامية العجم تشبيها لها بلامية العرب لانها تضاهيها في حكمها وأمثالها ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى وأولها

أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فاني الى قوم سواكم لأميل

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال علموا أولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق * ورأيت لها شرحا حسنا تام المقاصد كثير الفوائد وهو مجلد جيد وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك يعني ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها واضافة الشئ الى شئ مشهور أو عظيم تدل على شرف المضاف الا ترى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته أشرف لهم من قوله والملائكة لاضافتهم اليه * وزعم بعضهم ان بعض الشعراء غيروا في هذه القصيدة من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لان ألفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة ومعانيها بليغة غير ركيكة وقوافيها في غاية التمكن فهي كما قال ابن عنين

معنى بديع وألفاظ منقحة * غريبة وقواف كلها نخب

والقافية المتمكنة هي التي يبنى البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت بها نزلت في مكانها ثابتة فيه متمكنة في محلها قد رسخت في قرارها ودفعت الى مركزها فهي لا تتزحزح ولا تتغير منه بخلاف القافية القلقة التي اجتلبت وجيء بها لتمام الوزن وهي أجنبية منه غريبة من تركيبه عارية من الائتلاف به والالتحاق بحسبه ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع في غاية الركة وليت شعري بماذا يغير قوله

اليها امرأة من جهته تستميلها اليه وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته فبلغ ابن زيدون ذلك فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبي عامر والتهكم به والهجاء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة وأرسلها اليه عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة الى أن انتقل ابن زيدون الى اشبيلية وتوفي بها تغمده الله برحمته وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه هذا معنى ماذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين

(ذكر الرسالة وشرحها)

(أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله)

(أما) حرف يقتضي مضي أحد الشيئين ويبتدأ به الكلام و(بعد) ههنا تستعمل في الترتيب الصناعي وتقدير أما بعدهما لكن بعد وهي كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم في خطبهم المحبرة ورسائلهم المحررة كانهم يستدعون بها الاصغاء لما يقولون ولذلك فخر بها سحبان فقال

لوأن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(وقوله أيضا)

وان علاني من دوني فلا عجب * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

الى غير ذلك من بقية القوافي المتمكنة التي هي في البيت بمثابة القاعدة التي اذا زحزحت أونقلت تهدم البيت وخرب وذهب حسنه وزال رونق تركيبه واذا غير مثل هاتين القافيتين فقد زال طرازها وذهب شمسها وقمرها ومحيت آية حسنها نعم قد يتفق للشاعر نفسه اذا أراد بناء قصيدته على قافيتين أو أكثر لانه مراعي ذلك في أصل التركيب ويوفق بين ذلك من أول العمل كما فعل سيف الدين بن المشد في قصيدته التي مدح بها السلطان نجم الدين أيوب وهي مشهورة أولها

اسقني الراح قد تجلى النهار الظلام وتغنى على الأراك الهزار الحمام

وبدا الروض في ثياب من الزهر سداها بنفسج وعرار وثمام

فاسقنيها مثل الخدود احمرارا * وكثغر الحبيب فيه افترار ابتسام

قهوة مرة رحيق شمول * قرقف لذة سلاف عقار مدام

من يدي أوطف الجفون غرير * زانه الخصر والحلى والعذار والقوام

بدر تم يلوح في زي ظبي * قصرت عن صفاته الافكار الاوهام

ثم انه سار على هذا الانموذج الى تمام أحد وعشرين بيتا ولا يخفى ما في هذه الابيات من الانحلال والانحطاط وما فيهما من الايراد لمن يروم النقد عليه وكما فعل الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ في ثلاثة أبيات أنشأها وهي

كتمت بثي غيران لم أطق *
كتمان فيض المدمع الهامل * السافح الساكب الماطر
وليس يدري لقذى جائل *
في العين فاضت أم هوى داخل * فاضح غالب قاهر
كالورق لا يدري على هالك *
ناحت أم ارتاحت الى راحل * نازح غائب هاجر

وقال ابن الزروي والذي حام على نظم ذات القوافي على بن الرومي اذ قال في كلمة له

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

والافما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقال في كلمة أخرى نظير هذه الابيات الا أنه أبدل في البيت الاول يولد بقوله يوضع وأبدل أرغد بقوله أوسع وأبدل يهدد بقوله يقرع ونظم ابن الزروي قصيدته التي أولها

نوى أطلعت منها القفار السابس * بخيل مطي طلعهن أوانس

وهي تزيد على العشرين بيتا جعل لكل بيت أربعا وعشرين قافية وهذه القصيدة تنشد أربعا وعشرين قصيدة وهذا في غاية القدرة وانما سهل هذا معه وانقاد له ما أراد لانه هو الذي بنى كل بيت في الاصل على ما يريد ختمه به من القوافي المتعددة ولو أخذ قصيدة لغيره وأراد تغيير

وقد علمت قيس بن عيلان انني
اذا قلت أما بعد أني خطيبها
وكثيرا ما تأتي عقيب قول الحمد لله وتسمى هذا لك فصل الخطاب لانها فصلت بين الكلام الاول والتالي وتأتي عقيب البسملة وتأتي ابتداء كانها عقيب الفكر والروية وأول من قالها داود عليه السلام وقيل انها فصل الخطاب المذكور في الكتاب العزيز وقيل أول من قالها قس بن ساعدة والاول أصح وانما قس أول من خطب بها في العرب وكتبها أول الكتب على ما ذكر (أيها المصاب) اسم لمن نزلت به نائبة مصيبة وأصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب فالمصيبة أصلها في الرمية ثم اختص بالنائبة (بعقله) العقل المعروفة المستعملة في تحري النفع وتجنب الضرر ولاهل اللغة والمتكلمين في اشتقاقه ومعناه أقوال كثيرة قيل اشتق من عقل الناقة اذا شد وظيفها مع ذراعها بحبل يمنعها من الشراد فكأنه يمنع الانسان مما يميل اليه من الهوى ومن عقل الناقة سميت الدية عقلا لانها تعقل بفناء المقتول أو لانها تحبس الدم وقيل اشتق من العقل وهو الملجأ يقال

قوافيها لتقاعس المعنى عليه ولم ينقد له وأنت ترى قافية ابن الرومى الدالية كيف لفظة أرغد فيها قلق يسير وكيف أوسع أحسن منها وكيف لفظة يهتد أبق من يقرع هذا أمر يشهد به الذوق وصنع أبو القاسم على بن منجب المعروف بابن الصير فى بيتين وهما

لما غدوت مليك الارض أفضل من * جلت مفاخره عن كل اطراء

تغايرت أدوات النطق فيك على * ما يصنع الناس من نظم وانشاء

ثم انه غير روى البيتين على جميع حروف المعجم ومن وقف على كلام أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران فى ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب وهما

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن

لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

وكيف غير القوافى منها ونزلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء علم تمكن أبى العلاء من الادب واطلاعه على اللغة وحكايته خلف الاحمر مع أصحابه ومعناها انه لو قال أم حفص ماذا كان يقول فى تمام البيت الثانى فسكتوا فقال بامص وأما اتفاق الشاعرين فى الابيات وتخالفهما فى القافية فكثير فمنه قول النابغة

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد

لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

وقول ربيعة بن مقدوم الضبى

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل

لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولهم من ناموره يتنزل

وقول الافشين العجلى

جريت مع الصبا طلق العنيق * وهان على مأثور الفسوق

وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الخفوق

ومسمعة متى ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق

تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الصبوح عرى الغبوق

وقول أبى نواس

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان على مأثور القبيح

وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الفصيح

ومسمعة متى ماشئت غنت * متى كان الخيام بذى طلوح

تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح

وهذا من أبى نواس فى غاية الحسن لمن تأمله وقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

وقول طرفة بن العبد بعده

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

وقول امرئ القيس أيضا

الا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

عقل الوعل اذا التجأ الى الجبل الذى يمنعه فكأن الانسان يلتجئ اليه فى أحواله وقيل غير ذلك وأكثر المعانى مشتركة فى الاشتقاق وقال الجاحظ العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطا والاشارة اذا اقترنا فى زمان وكان العلم علة للعمل وقيدا له فاذا دعا الرجل علمه بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل بها صار قيدا لعمله وكان كالعقال لما استحسنه فاذا عقله عليه وحبسه كما يحبس الجمل قالوا هذا عاقل * وقال الراغب العقل يقال للقوى المتهيئة للعلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوى عقل ولهذا قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع والى الاول أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والى الثانى أشار بقوله ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع فيه التكليف

وقول الطرماح بعده

الا أيها الليل الطويل الاصبح * بيوم وما الاصباح منك باروح

وقول علي بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تزول

ليلي كما شاءت قصير اذا * جادت وان ضنت فليلي طويل

وقول ابن بسام بعده

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تغور

ليلي كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلي قصير

وقول الامير أبي الفضل الميكالي

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الكمي

ملكت الحسن أجمع في نصاب * فأد زكاة منظرك البهي

وذلك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي

فقال أبو حنيفة لي امام * يرى ان لا زكاة على الصبي

وقد رواها بعضهم على غير هذه القافية فأنشدها

أقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجلد

ملكت الحسن أجمع في قوام * فلا تمنع وجوبا عن وجود

وذلك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك البرود

فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الوليد

وقول سليمان بن دباكل الخزاعي

بانت خنساء التي أتجنب * ذهب الزمان وحبها لا يذهب

اني لأمنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لأحبب

وقول الاحوص

بانت عاتكة التي أتعزل * حذر العدا وبها الفؤاد موكل

اني لأمنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لأميل

وقد اشتهر قول الاحوص وشاع وذاع وملأ الافواه والاسماع واستشهد الناس به قديما وحديثا في حكايات مشهورة عند أرباب الادب * وعن محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر ابن الخطاب جالسا ومعه أصحابه اذ مر به رجل فسلم عليه فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم قال لا قال هو سواد بن قارب الذي أتاه رئيه من الجن بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه عمر فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب الرجل غضبا شديدا وقال ما استقبلني أحد منذ أسلمت بهذا فقال عمر ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك فاخبرني بالذي أنبأك به رئيك من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بينما أنا بين نائم ويقظان اذ أتاني رئيي وضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب وافهم واعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى ثم أنشأ الجني يقول بحيث أسمع

عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول (وقال) بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم شفاف ومحله الدماغ وبعض العلماء يقول محله القلب ويستدل بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى لمن كان له قلب أي عقل وقال الجاحظ هو مادة تتولد من الاغذية المقوية للعصب فلذلك كان البلادر جيدا له والبصل مضرا له ولذلك يقال يفسد الباذنجان في شهر ما يصلح البلادر في عام ويزعم قوم أنه هيئة تحصل بالدربة ولذلك فسدت أذهان المعلمين لمخالطتهم الصبيان (المورط) الورطة الهلاك قال رؤبة

فأصبحوا في ورطة الاوراط

وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها وربما هلك الواقع فيها ومنه الوراط الخديعة وفي الحديث لا خلاط ولا وراط (بجهله) الجهل ضد العلم ومنه سميت المفازة مجهلة كأنه جهل كيف الطريق فيها وقال الراغب الجهل على ثلاثة أضرب الاول خلو النفس من العلم هذا هو الاصل وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضيا للافعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا

عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجني يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * فما قداما ها كاذنابها

فقلت دعني أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجني يقول

عجبت للجن وتجساسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

فلما أصبحت شددت على ناقتي رحلها وسرت الى مكة فقيل لي قد سار الى المدينة فأتيت المدينة فسرت الى المسجد فعقلت ناقتي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه فلما نظر الي قال هات يا سواد بن قارب فقلت

أتاني رئيي بعد هدء ورقدة * ولم أك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيلي الازار ووسطت * بي الدعلب الوجناء بين السباسب
وأشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرحا شديدا فقام اليه عمر فالتزمه وقبله بين عينيه وقال لقد كنت أحب ان أسمع هذا الخبر منك فاخبرني هل يأتيك رئيك اليوم قال اما منذ قرأت كتاب الله فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن (وحكى) صاحب الجليس والانيس قال كان الاصمعي يعادي عباس بن الاحنف فقال يوما وهو بين يدي الرشيد والاصمعي حاضر

اذا أحببت أن تعمل شيأ يعجب الناسا
فصور ههنا فوزا * وصور ثم عباسا
ودع بينهما شبرا * فان زدت فلا باسا
فان لم يدنوا حتى * ترى رأسيهما راسا

للافعال الجارية على النظام والثاني اعتقاد الشئ على خلاف ما هو عليه والثالث فعل الشئ بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا (البين سقطه الفاحش غلطه) (السقط) ما لا رضى ومنه سقط المتاع رديئه وسقط القول خطؤه وسقط الرجل في يده اذا فعل ما يندم عليه وقال الاخفش أسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط وهو طرح الشئ من العالي الى المنخفض و(الفاحش) ما عظم قبحه من الاقوال والافعال ومنه الفاحشة الفعلة القبيحة سميت فاحشة وصار علما عليها والغلط الخروج عن الصواب نطقا أو فعلا تقول العرب غلط وغلت بالتاء زعم قوم أنهما لغتان وزعم قوم أن غلط انما يقال في المنطق وغلت انما يقال في الحساب (العاثر في ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره) (العثار) السقوط وما قاربه و(الاغترار) الغفلة واستعارة الذيل والعثار للغافل حسنة والفقرة مناسبة لما قبلها وما بعدها و(العمى) يقال في افتقاد البصر ويقال فيه أعمى وعم وعمى البصيرة أشد ولذلك لم يعد الله تعالى افتقاد

فكذبها عما قاست * وكذبه عما قاسا

فقال الرشيد ما سمعت معنى أحسن من هذا فقال الاصمعي قد سبقه الى هذا المعنى رجل من العرب ورجل من النبط فقال ماقال العربي قال كان رجل يقال له عمر يحب جارية يقال لها قمر فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب البشرا

فصور ههنا قمرا * وصور ههنا عمرا

فان لم يدنوا حتى * ترى بشريهما بشرا

فكذبها عما ذكرت * وكذبه عما ذكرا

قال الرشيد فما قال النبطي قال كان رجل يقال له روز يحب جارية يقال لها فاق فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب الخلقا

وتسمع صوت معشوقين لاقى في الهوى رتقا

فصورههنا روزا * وصورههنا فاقا

فان لم يدنوا حتى * ترى خلقيهما خلقا

فكذبها عما لاقت * وكذبه عما يلقى انتهى

وتغيير قوافي هذه اللامية أراه متعذرا الا أن يتهدم جانب جيد من كل بيت ومع ذلك فلا يكون لغير قوافيها ديباجة استأثر بها الطغرائي * وأنشدني لنفسه من لفظه المولى نور الدين على بن محمد بن فرحون المالكي اليعمري المدني بدمشق المحروسة في سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها وهذا قصد ظريف ومما أنشدني قوله

اصالة الرأي صانتني عن الخطل * وسرعة الحزم ذادتني عن المذل

وحلة العلم أغنتني ملابسها * وحلية الفضل زانتني لدى العطل

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع * وسؤددي ذاع في حل ومرتحل

وهمتي في الغنى والفقر واحدة * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

فيم الاقامة بالزوراء لا سكني * دان ولا أنا في عيش بها خضل

وليس لي أرب فيها ولا خول * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وتغيير القوافي في البيت والبيتين أمر يهون كما أنشد بعضهم البيتين المشهورين في الشيب وهما

وخود دعتني الى وصلها * وعصر الشبيبة مني ذهب

فقلت مشيبي ماينطلي * فقالت بلى ينطلي بالذهب

وكان في المجلس بعض ظرفاء الادباء حاضرا فقال ما أعرف القافية في هذين البيتين الاحرف الراء فقال له المنشد كيف قال فقال * وعصر الشبيبة مني سرى * فقال فكيف تصنع بالثاني بعد قوله مشيبي ماينطلي فقال * فقالت بلى ينطلي بالخرا * فأطرق المنشد خجلا وأما أنا فاتفق لي يوما مثل هذه الواقعة في بعض مجالس المذاكرة في محفل فيه رؤساء وأكابر من الكتاب وفيهم من يتعاطى الادب وهو شاب فيه مغمز ومطمع فأنشد قول ابن العفيف التلمساني

ولقد عتبت عليه وهو معدد * والاير في أحشائه مدسوس

البصر عمي في جنب افتقاد البصيرة حيث قال تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور و(شمس النهار) ههنا كناية عن الصواب الواضح الذي تركه هذا المكتوب اليه وعمي عنه حتى تعرض للذم أو كناية عن مقدار هذه المرأة التي هي كالشمس حتى طلب منها مالا يصل اليه

(الساقط سقوط الذباب على الشراب)

الذباب في اللغة يقع على هذا المعروف من الحشرات وعلى النحل والزنابير ونحوهما قال الجاحظ ومن الدليل على ان أجناس النحل والزنابير وما أشبهها كلها ذباب ماجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل ذباب في النار الا النحلة وقال الشاعر

فهذا أوان العرض حي ذبابه زنابيره والازرق المتلمس

والذباب ههنا هو المعروف وسمي ذباب العين ذبابا لشبهه به أو لتطاير شعاعه طيران الذباب وبه يضرب المثل في الوقوع على الشراب فيقال أوقع من ذباب على شراب و(الشراب) كل مائع متناول للشرب وغرض الذباب ما حلا ولشره هو عليه يقع على كل مائع سواء كان حلوا أو غيره * وفي كتاب كليلة

أوما بعده وقال بنفرة * من ههنا يتعوج القفوس

فقلت وقد أشار بيده عند نصف البيت الثانى مثل مولانا بغير القافية إنما هو من ههنا يتعوج اليقطين فاستحى فقال بعض الحاضرين كيف تعمل فى القافية الاولى فقلت بسرعة عوض مدسوس مدفون والتذنيب يغتفر فيه ويسامح بالايسامح فى غيره اسرعة الجواب الاترى ما أحلى جواب بعض الوعاظ وهو على المنبر لما سئل عن أشياء ما الاصل فيها فقال اذا كان الله عز وجل قال يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء فكيف تسألون أنتم عنها فاستحسن هذا الجواب منه لسرعته وان كان قد مغالط ولكن لما عجز عن الجواب مال الى هذا الجواب الاقناعى لان أرباب التصريف لهم فيها كلام طويل منهم من يقول أصل أشياء فعلاء ومنهم من يقول فعلاء والكلام فى ذلك يطول ويقال ان أبا الحسين بن السماك كان يتكلم على رؤس الناس بجامع المدينة وكان لا يحسن شيأ من العلوم الا ماشاء الله وكان مطبوعا بالتكلم على مذاهب الصوفية فرفعت اليه رقعة فيها ما تقول السادة الفقهاء فى رجل مات وخلف كذا وكذا فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال أنا أتكلم على مذاهب أقوام اذا ماتوا لم يخلفوا شيأ فعجب الحاضرون من سرعة جوابه * وكذا التذنيب فى البيتين الاولين الاصل فيهما أكمل لان الطلاء دائما بالذهب مع ما فى القافيتين من الجناس التام وكذا قولى اليقطين فان فيه تغيير المثل المتداول بين الناس وهو * من ههنا يتعوج القفوس ولكن لما كانت تلك الحالة لائقة باليقطين عند اشارته بيده حسن ذلك وخف على السمع وراج على القلب * وأنشدت يوما بعض الافاضل قول البحترى من قصيدته المشهورة

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

فقال بدل ينسكب ينهمر فقلت كيف تصنع فى الاول وهو قوله

هذى مخايل برق خلفه مطر * جود وورى زناد خلفه لهب

فقال بدل لهب شرر فقلت هذه القصيدة بائية أولها

نحن الفداء فيا جود ومرتقب * ينوب عنك اذا همت بك النوب

فلم يحر جوابا لكننى اعترفت له بالاحسان لسرعة الجواب فى الثانى (ايراد شئ من نظم الطغرائى) قال قصيدة خائية عارض بها محمد بن هانئ المغربى فى قصيدته التى أولها

سرى وجناح الليل أقتم أفتخ * مهاد ضجيع بالعبير مضمخ

ومدح الطغرائى بها السلطان محمود بن محمد أيام سلطنة أبيه سنة أربع وخمسمائة وهى

هى العيس قودا فى الازمة تنفخ * تطى لها من عجمة الليل برزخ

ومنها

ويا نار قلبى ما لجمرك كلما * نفحت عليه الماء لا يتبوخ

ويا صادحات الورق فى الايك أقصرى * فالى اذن أشكو ولالك مصرخ

ويا جيرة شطت بهم غربة النوى * ولا عهدهم ينسى ولا الود يفسخ

لكم فى جنوب الارض مسرى ومسرح * وللحب فى جنبى مرسى ومرسخ

ومنها

وحظى من الايام ملك بعزه * تقام مواقيت العلا وتؤرخ

يتوق اليه الملك وهو له اب * ويصبو اليه التاج وهو له أخ

يربى العدا أبناءهم لحسامه * وللصقر ما أضحى البغاث يفرخ

ودمنه من لم يرض بما يكفيه كان كالذباب الذى لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فتقتله

(المتهافت تهافت الفراش فى الشهاب)

(التهافت) الترامى مع خفة وما بران يقال منه هفت وتهافت ومنه قولهم وردت هفية من الناس للذين أقحمتهم السنة و(الفراش) نوع من الذباب رقيق الجلد ومنه قيل لكل عظم رقيق فراشة وقيل فراشة القفل لرقتها أولشبهها بالفراش الطائر وأما قول ذى الرمة

فأيقن أن النقع صارت نطافه فراشا وأن البقل ذاو ويابس

فقد قيل ان النقع وهو الموضع الذى يجتمع فيه نقر الماء صار فراشا أى ماء رقيقا وقيل المراد أن نطف الماء صارت فراشا طائرا فربما تولد الفراش من الماء (والشهاب) الشعلة من النار ومن ذلك قيل للسواد المختلط بالبياض شهبة تشبيها بالسواد المختلط بالدخان والفراش معروف بالقاء نفسه فى النار ولذلك قيل فى المثل ماهم الا فراش طمع والفلاسفة تزعم أن الحيوان تجذبه النورية كالفراش الطائر بالليل وما لطف جسمه يطرح نفسه فى

ومنها خدمتكم والعمر غصن جميمه * ندوأها ضيب الشبيبة تنفخ

ومنها أسير في أيامكم من شواردي * غلالة فخر حين تمد سربخ

وأجمل من أسراركم كل ناهض * يضيق به صدر الكتوم فينفح

وأنشر في الشورى صحائف طيها * نوافث سحر للعزائم تنسخ

وأنصحكم في حل كل مترجم * به يضبط الامر الشعاع فيرسخ

أحين أني أن أجتني ثمر الرضا * أرد الى نزر من العيش يرضخ

أعوذ بكم من كبوة الجد دانها * دهتني ولاذنب به أتلطخ

قلت كان الطغرائي يتمنى ملوشانه ويؤمل اقبال زمانه في أيام هذا الممدوح اذا آل أمر السلطنة اليه فكان فيها حتفه * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تتمنوا الدول فتحرموها وما أحسن قول القائل

سألت الله أن تعلو محلا * كعرض الارض في طول السماء

فلما ان علوت علوت عني * فكان اذن على نفسي دعائي

وقال ابن دريد

اذا رأيت امرأ في حال عسرته * مصافيا لك ما في وده دخل

فلا ترج له أن يستفيد غنى * فانه بانتقال الحال ينتقل

وقال محمد بن سبط التعاويذي

أأحرم دولتكم بعدما * ركبت الاماني وأنضيتها

ومالي ذنب سوى أنني * رجوتكم وتمنيتها

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ * نصيب ولا حظ تمنى زوالها

وماذاك عن بغض لها غير أنه * يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

وقال جريج المقل

رب ما ترجو الفتى نفعه فتى * خوفه أولى به من أمله

رب من ترجوبه دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبله

وقال ابن عنين في ابن المجاور

سواء علينا نلت ما نلت من علا * اذا لم تنل أو كنت ما كنت من قبل

وما نافعي أن يبلغ العرش صاحبي * وبخط قدري عنده عند ما يعلو

أنشد الزكي عبد الرحمن القوصي الملك المظفر قبل أن يملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغمهم روحين في بدن

هناك أنشد والآمال حاضرة * هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده اذا ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاي هذا الملك قدنلته * برغم مخلوق من الخالق

والدهر منقاد لما شئته * وذا أوان الموعد الصادق

فدفع اليه الالف وأقام معه ولزمه في اسفار أنفق فيها المال الذي أعطاه ولم يحصل بيده زيادة

النار فيحترق وغير ذلك مما يصادف في الليل بالشهاب من الغزلان والوحش والطير والسمك اذا قرب منها السراج في الزوارق ويزعمون ان النور صلاح هذا العالم ومعنى هذا التعجب أن المكتوب اليه من جهله وتعرضه لما يؤذيه بمنزلة الفراش والذباب الواقع فيما يهلكه من غير اشعار أنه هالك

(فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب) (قوله فان) صلة لقوله أما بعد ولا بد من اقتضائها الفاء لرد الكلام بعضه على بعض و(العجب) ما يعجب الانسان من نفسه أي يستحسنه والاصل العجب كانه يعجب من حسن ما يجد و(الكذب) ضد الصدق يقال في المقال والفعال وينسب أيضا الى نفس القول والفعل فيقال فعلة صادقة وفعلة كاذبة ومعنى المثل أن المعجب من نفسه بحاله يظن أنه قد بلغ بها الغاية وامتاز بالفضل وليس الامر كذلك فكان عجبه بنفسه خيل له ما لا صحة فيه فهو كذبه و(المعرفة) ادراك الشيء بتدبر لاثره وهو أخص من العلم فيقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعديا الى مفعول واحد لما

عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبى الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فأخرجه من دار كان أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى * وأنت ستدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك فقال وحسبى الله ونعم الوكيل ثم أمر بخنقه فلما أحس بالهلاك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم أعطيتنى ديتى

قلت لو كنت حاضر الزكى عبد الرحمن لانشدته قول القائل

وكنت كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

وما أحسن قول أبى الطيب وهو مما رواه تاج الدين الكندى عنه ولم يكن فى ديوانه

أبعين مفتقر اليك نظرتنى * وأهنتنى وقذفتنى من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانى * أنزلت آمالى بغير الخالق

ومما ينخرط فى هذا السلك قول القائل

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقالت هذا عارض ممطر * فجاءنى منه العذاب الاليم

وقال الطغرائى يصف خيلا

سبقت حوافرها النواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وسفون
لولا ترامى الغايتين لاقسم الرائون انحراكها تسكين
وتكاد تشبهها البروق لانها * لم تعتقلها أعين وظنون

هذه مبالغة فى السرعة والاول مأخوذ من قول أبى الطيب

تقبلهم وجه كل سابحة * اربعها قبل طرفها تصل

قيل ان أبا الحر الثعلبى قال عندما سمع هذا البيت هذه كانت عينها فى استها وذكرت بهذه واقعة اتفقت لبعض أكابر اهل العصر وهو انه كان له غلام حسن الوجه فحضر يوما عنده بعض أصحابه وأخذ يصف ذلك الغلام ويلاحظه فى دخوله وخروجه لا يفتر عن ذلك فقال له مالك قد أطلت النظر الى هذا الغلام فقال أعجبنى حسنه فقال عينك فى استك فقال لا والله بل عينى فى استه وقد فسر بعض المتعصبين على أبى الطيب قوله

تبل خدى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

فقال كانت تبصق فى وجهه وكذلك قوله

كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

فقال هو اذن ضرطة يسمع ولا يرى وبالغ ابن حجاج فى مرثية فرس له فقال

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ماهما
أأنت تجرى معنا قال لا * ان شئت أضحكتكما منكما

كان معرفة البشر لله تعالى هى بتدبر آثاره دون ادراك ذاته ويقال الله يعلم كذا ولا يقال الله يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل فى العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وأصله من عرفت كذا أى أصبت عرفه أى رائحته والمعنى أن معرفة الانسان مقداره حتى لا يتعدى أطواره أصوب وهو مما يؤيد قوله العجب أكذب وهذان مثلان جيدان الاول ينسب الى أكثم بن صيفى والثانى مأخوذ من قوله ان يهلك امرؤ عرف قدر نفسه وهو أكثم بن صيفى بن رياح التميمى أشهر حكام العرب فى الجاهلية وحكائهم وخطبائهم ادرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وراسله واختلف فى اسلامه والاكثر على صحته حكى الهيثمى ان أكثم بن صيفى لما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قال لقومه احملونى اليه فقالوا لا والله وانت سن من أسنان العرب قال فليأته احدكم فليسأله عن ربه وعما امره به فأتى حبيش بن أكثم فقال يا محمد بم بعثك ربك قال بعثنى بأن اكسر الاوثان قال بم امرك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان

هذا ارتداد الطرف قد فته * الى المدى سبقا فمن أنتما

وقال أبو العلاء المعرى

ولما لم يسابقهن شئ * من الحيوان سابقن الظلالا

وقال ابن خفاجة الاندلسى

وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والساق أقود أتلعا
جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فابطأ عنه البرق عجزا وأسرعا
وحسب الاعادى منه ان يزجرونه * مغيرا غرارا صبح الحى أبقعا

هذا المعنى فى غاية الحسن ومن هنا اختلس هذا المعنى النفيس أحمد بن عبد العزيز المالكى حيث قال

هذا الليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فخر
بشرت بالنهار وهى غراب * ونعى الفجر حسنها وهو قرى

وقرأت على الشيخ الامام القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود الكاتب كتابا انشأه فى وصف الخيل جاء منه لا يستتر داحس فى مضماره ولا تطمع الغبراء فى شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه مرامى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا من عطفه وقد اشتهر هذا المعنى فى سبق الحافر الناظر قال بعضهم

كم سابح أعددته فوجدته * عند الكريهة وهو نسر طائر
لم يرم قط بطرفه فى غاية * الا وسابقه اليها الحافر

وما أحسن ما أنشدنى لنفسه من لفظه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى بالباب وبزاعة من بلاد حلب سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأغر تبرى الاهاب مورد * سبط الاديم محجل ببياض
أخشى عليه ان يصاب باسهمى * مما يسابقها الى الاغراض

وأنشدنى لنفسه أيضا

وأدهم يقق التحجيل ذى مرح * يميس من عجبه كالشارب الثمل
مضمر مشرف الاذنين تحسبه * موكلا باستراق السمع عن زحل
ركبت منه مطاليل تسيره * كوا كب الحق الجون بالحمل
اذا رميت سهامى فوق صهوته * مرت بهاديه وانحطت عن الكفل

قلت الثانى من الاول والرابع من الثانى فى غاية الحسن وهما من المبالغات المليحة وما احسن ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وردمع العرب منسوب فلا قطعت * أيدى الحوادث من انسابه شجره
اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره
عجبت حين يسمى سابحا وله * وثب لو البحر ارسى دونه طفره
فتهاء فى هضبات الحزن صاعدة * أولا فصاعقة فى السهل منحدره
لما ترفع عن ند يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

الى آخر الآية فانصرف حبيش الى أبيه فاخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليه الآية الشريفة فجعل يردد ها ويقول ان هذا الرب كريم يأمر بمحاسن الاخلاق وينهى عن مساويها ثم جمع اليه بنى تميم وقام فيهم خطيبا وعمره اذ ذاك مائة وتسعون سنة وفى ذلك يقول

وان امرأ قد عاش تسعين حجة الى مائة لم يسأم العيش جاهل

وروى خمس فلم يسأم على ان عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب ثم قال يا بنى تميم لا تحضروا الى سفيها فان السفيه يرهن من فوقه ويتبب من دونه اى يهلكه ولا خير فيمن لا عقل له ان ابنى قد شاهد هذا الرجل الذى ظهر بمكة وشافهه وهو يأمر بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله عز وجل وخلع الاوثان وقد عرف ذوو الرأى منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان احق الناس بمعاونته لانتم فان كان الذى يدعو اليه حقا فهو لكم وان كان باطلا كنتم احق من كتم وستر وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى أن يكون له فسمى ابنه محمدا فكونوا فى أمره أولا ولا تكونوا آخرا واتتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين والله

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن الصوفي بدمشق في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فغادرت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
شهم تراه يحاكي السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
ويعقر الوحش في البيداء فارسه * وينثني وادعا لم يلتحف غبره

ومما اتفق لي نظمه في فرس أشقر

يا حسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو في الركض
لا تستطيع الشمس من جريه * ترسم ظلا على الارض

وقال الطغرائي يصف الصبح

وردنا سحيرا بين يوم وليلة * وقد علقت بالغرب أيدي الركائب
على حين عرى منكب الشرق جذبه * من الصبح واسترخى عنان الغياهب

ما أحسن هذه الاستعارة في عرى منكب الشرق وفي استرخاء عنان الليل يعني ان الصبح ظهر وانكشف والليل أسرع ذاهبا والاستعارة الاولى من قول ذي الرمة

وقد لاح للسارى الذي كمل السرى * على أخريات الليل فتق مشهر
كمثل الحصان الانبط البطن قائما * تمايل عنه الجل واللون أشقر

فأخذه ابن المعتز فقال

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أشقر ملقى الجلال

ونقله ابن المعتز الى النار فقال

مشهرة لا يحجب البخل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرج أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

والاستعارة الثانية تشبه قول ابن عمار الاندلسي

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والليل قد صرف العنان عن السرى

لكن ابن عمار كنى عن ذهاب الليل بصرف العنان والطغرائي كنى عن ذهابه بارخاء العنان كانه أسرع وولى هاربا واستعمله ابن قلاقس في البرق فقال

نعم هو البرق على الأنعم * فاشق به ان شئت أو فانعم
لاح بأعلى هضبه خافقا * خفق لواء البطل المعلم
وزال عن صهوة طرف الدجا * سقطة جل الفرس الادهم

وقال الطغرائي من أبيات

ونفس باعقاب الامور بصيرة * لها من طلاع الغيب حاد وقائد
وتأنف ان يشفي الزلال غليلها * اذا هي لم تشتق اليها الموارد

يشير الى قول أبي العلاء المعري مع انه هدم القافية

اذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت * عن الماء فاشتاقت اليها المناهل

ان هذا الذي يدعو اليه لو لم يكن دينا لكان في أخلاق العرب حسنا فأطيعوا أمري فمن سبق فاز ومن تأخر ندم فقام مالك بن نويرة وقال لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء فقال أكثم ويل للشجي من الخلي لهفي على أمر لم أدركه ولم يسبقني ثم رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق وبعث باسلامه مع من أسلم ممن كان معه وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية وهي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله نزلت في أكثم ومن تبعه من أصحابه وقال قوم آخرون خرج مهاجرا ولم يسلم وكان من أفصح خطباء العرب وجمع من كلامه شئ كثير ومما صح من أمثاله على ما رواه ابن دريد عن أبي حاتم قوله يا بني تميم لا يفوتكم وعظي ان فاتكم الدهر بي يا بني تميم ان مصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجدد أمن من العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب فكره ولا يجاوز ضره نفسه والسكوت عن الاحمق جوابه * ومن أمثاله أشبع جارك وأجع فارك يعني لا تدخر شيأ يأكله الفار أو يعني بالفار الفضل في الجسد أي

وهو مأخوذ من قول البحتري

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هذا المعنى أخذ المتنبي قوله

لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدت محيية اليك الاغصنا

ولكن ديباجة البحتري أحسن وأمكن وأمتن قال ميمون بن هارون رأيت أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلادري المؤرخ يقول كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من قال مثل قول البحتري في المتوكل لو أن مشتاقا البيت فرجعت الى داري وصنعت بيتين وأتيته فقلت قلت فيك أحسن مما قال البحتري فقال هاته فأنشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث لي بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث بعدي ولك علي الجراية والكفاية مادمت حيا وقال الطغرائي

اني لأذكركم وقد بلغ الظما * مني فأشرق بالزلال البارد

وأقول ليت أحبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

وقال أيضا

مرض النسيم وصح والداء الذي * أشكوه لا يرجى له افراق

وهدا خفوق البرق والقلب الذي * ضمت عليه جوانحي خفاق

وما أحسن قول ابن التعاويذي وأرقه

ارحم ضنى جسد أودى السقام به * أتلفته فيك وانظر في تلافيه

واسأل خيالك عن هم أكابده * ليلي الطويل وعن وجد أعانيه

تصرمت فيك أيامي وقصر عذالي * وقلبي المعنى في تماديه

وقال الطغرائي

تالله ما استحسنت من بعد فرقتكم * عيني سواكم ولا استمتعت بالنظر

ان كان في الارض شئ غيركم حسنا * فان حبكم غطى على بصري

وقول أبي الطيب

يقضي على المرء في أيام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

هذا من قول عباس بن الاحنف فيما أظن

قالت وابثثتها سري فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

وما أحسن ما ضمنه مجير الدين محمد بن تميم وسيأتي

لما رحلتم بقلبي في حمولكم * فظلت حيران بين الهم والفكر

سلطت دمعي على عيني وقبلكم * قد كنت أشفق من دمعي على بصري

وقال الطغرائي

خبروها أني مرضت فقالت * أضنى طارفا شكى أم تليدا

وأشاروا

لا تسمن وجارك جائع * ومن أمثاله أيضا لا تهرف بما لا تعرف * وسئل ما الحزم فقال سوء الظن بالناس وأقواله كثيرة وقلما عرف له نظم

(وانك راسلتني مستهديا من صلاتي ما صفرت منه أيدي أمثالك)

(الصلة) قرب الشئ وبلوغه ويستعمل في الأعيان والمعاني ومنه سميت العطية صلة وقيل فلان متصل بفلان اذا كانت بينهما مناسبة أو مصاهرة والصلة ههنا تحتمل الوجهين اما المودة وتقوم مقام العطاء أو القرب ويقوم مقام الاتصال (وصفر) الاناء اذا خلا حتى يسمع له صفير لخلوه ثم صار متعارفا في كل خال من الآنية وغيرها ويقال صفرت اليد اذا خلت وسمي خلو العروق من الغذاء صفرا وكانت العرب تزعم أن ذلك حية في البطن تسمى الصفر حتى جاء في الحديث لا صفر والمعنى انك تتعرض من صلاتي لما تخلو منه يد مرادك (متصديا من خلتي لما قرعت دونه أنوف أشكالك)

(التصدي) المقابلة مأخوذ من مقابلة الصدى أي الصوت الراجع من الجبل (والخلة) المودة اما لانها تتخلل النفس أي تتوسطها

وأشاروا بان تعود وسادي * فابت وهي تشتهي ان تعودا
وأتتني في خيفة وهي تشكو * ألم الوجد والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(قلت) هذه الابيات يرشفها السمع مداما ويفضلها السامع على العقود نظاما ويظن الناظر الفاتها غصونا والهمزات عليها حماما وما أحسن قول الاستاذ شمس الدين بن العفيف في الزيارة

ومليح كالبدر زار بليل * فلاحسنه الدجا اذ تجلى
مادرى منزلي ولكن قلبي * بلهيب الجوى هداه وولى
وعجيب منه نقيه ذكي * جعل النزاع كيف استدلا

وفي قوله جعل النزاع مسامحة يسيرة تغتفر لما فيها من التوريه وأما العيادة فيعجبني فيها قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

مرضت لله قوم * مافيهم من جفاني
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعاني

وقد أنشدتها جماعة من العصريين فلم يفسروا كيفية اختلاف المعاني في عادوا بل الفاضل منهم يقول الاول من العيادة والثاني من العود قلت والثالث من قولهم اللهم عد علينا بفضلك ونقلت من خط السراج الوراق له أيضا

قال صديقي ولم يعدني * وعارض السقم في أثر
لقد تغيرت ياصديقي * ويعلم الله من تغير

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

وملولة في الحب لما ان رأت * أثر السقام بعظمي المهتاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

والثاني بديع وفي الاول نظر من وجهين (وقال) ناصر الدين بن النقيب المقدسي رحمه الله تعالى

سمعت بما تشكو وما أنت واجد * فظلت دموع العين في الخد تسفح
وارسلت خطي في العيادة نائبا * وماكل خط للزيارة يصلح

وقال الطغرائي في البان

غصون الخلاف اكتست فانبرت * لها الطير دراسة شجوها
مقدمة لورود الربيـــع تشخص أبصارنا نحوها
أحست برحلة فصل الشتا * فجاءت وقد قلبت فروها

(قلت) لابد من المسامحة في هذا الثالث وقد قلده الآخر فقال

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل نشتكي الحرا
اماترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وأسلم منهما قول القائل

أوما ترى البان الذي يزهو على * كل الغصون بقده المياس

فان الخلال الفرجة بين الشيئين واما الفرط الحاجة اليها ويقال خاللته مخالة فهو خليل وسمى الله تعالى نبيه ابراهيم خليلا لافتقاره الى ربه تعالى (والقرع) صوت ضرب شئ على شئ والمعنى انك تخطب من مودتي مالا يصلح له أمثالك واشكالك فدفعوا عنه وضربت أنوفهم دونه اما حقيقة أو مجاز الكون أنهم ردوا الخصل لهم من الهوان ما يحصل لمن يضرب أنفه وخص الانف بالضرب لانه محل الشمم والكبر مع ان المثل للعرب يخاطب به الخاطب الكفؤ فيقول هو الفحل لا يقرع أنفه والاصل فحل الابل اذا ضرب وجهه عن الناقة التي لا يريدون نتاجها منه وتمثل به أبو سفيان ابن حرب حين بلغه زواج النبي صلى الله عليه وسلم بابنته أم حبيبة فقال ذلك الفحل لا يقرع أنفه

(مرسلا خليلتك مرتاده مستعملا عشيقتك قواده)

(خليلتك) صاحبة مودتك أو حليلتك زوجتك وفي كلا المعنيين ذم للمرسل لان الخليلة أو الحليلة التي هي محل الغيرة على الرجل لا تغار على مثله حتى تمشي بينه وبين النساء (والمرتاد) طالب الكلا وسمى به الطالب مطلقا

وافى بشير ابالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وما أحلى قول محيى الدين بن قرناص

والبان مذ ولى الشتا * أقبل فى زى عجب

يخلع سنجابا من السفر ويبدو فى غبب

قلت تشبيه البان بالسنجاب والبرطاس واقع فى موضعه (حكى) أن شهاب الدين أبا جلنك كتب ورقة الى بعض الحكام يسأله فيها شيئا فوقع له برطلين من خبز فتوجه الى بستان للعا كم وكتب على حائطه رحمه الله تعالى

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها

والبان تحسبه سنانير ارأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

قيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع ولم ارها وقال الطغرائى فى الشمعة من ابيات

يحيى بما يفنى به من جسمه * فحياته مرهونة بفنائه

ساويته فى لونه ونحوله * وفضلته فى بؤسه وشقائه

هب انه مثلى بحرقة قلبه * وسهاده طول الدجا وبكائه

أفوادع طول النهار مرفه * كمعذب بصباحه ومسائه

ومابركت قصيدة الارجانى الهائية التى له فى الشمعة وأسار فعه شاعر ولا بيتا فى غيرها بعد من البديع النادر بل أخذت بمجامع الحسن وفاقت على المتداول الالسن ولشهرتها لم أثبتها هنا وقال الطغرائى فيها أيضا من أبيات

اعدى اليه لظى فؤادى فالتقى * نارا تحدث عن لظى برحائه

أمعذب والنار فى عذباته * كمعذب والنار فى احشائه

وما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم وقد اجتاز ليلة بدار صاحب له ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره ومن خطه نقلت

لما أزرتك شمعتى لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب

وافته حاسرة فقبل رأسها * وأعادها تحوى بتاج من ذهب

وله فى مليح فى يده شمعة

عجبا له أنى يزور بشمعة * وضياؤه يثنى الظلام نهارا

واظنها لما تلهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا

وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

وما احسن قول القائل

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها احشاؤها حين تنهمل

دموع اذا اردت اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره رد فى المقل

وقول الآخر

اذا مرضت طال منها اللسان * ومد المداوى اليها يدا

ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهليلجا اسودا

وقال

واصل الرود التردد فى طلب الشئ برفق وباعتبار الرفق قيل رادت المرأة فى مشيتها فهى رود (وقاد) الشئ فانقاد له أى خضع وقوّد شدد للكثرة واستعمل فيمن يجمع بين الشخصين حراما لانه أصعب للانقياد وكانت القوادة فى العرب تكنى أم حكيم ولما قال ابن أبى ربيعة فى وصف القوادة

فأتتها طبة عارفة
تخلط الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها
وتراخى عند ثوران الغضب

قال له ابن أبى عتيق يا ابن أخى ان الناس لتحتاجون الى خليفة مثل قوادتك لتسوسهم ومنه كان يقال فى المثل أقود من ظلمة قيل انها امرأة كانت تقول اذا مت فأحرقونى وتربوا برمادى الكتب المرسلة بين المتعاشقين فانهم يجتمعون وقيل انها الظلمة من الليل فانها تستر وتعين على الاجتماع وأنشد بعضهم

فالشمس نمامة والليل قواد

(كاذبا نفسك انك ستنزل عنها الى وتخلف بعدها على) يعنى انك وعدت نفسك أن تترك الاتصال بهذه المرأة التى هى خليلتك وتتعوض عنها بحصولى وهذا أمر لا يقع فأنت كاذب نفسك فى الوعد أو وعدت هذه المرأة التى

وقال الطغرائي من ابيات في الروض والنهر

يشققها في وسطها جدول * مياهه العذبة مثلوجه

له سواق طمحت والتوت * تلوي الحيات منعوجه

فهي رماح أشرعت نحوها * تطعنها سلكي ومخلوجه

(قلت) عجز البيت الثالث صدر بيت امرئ القيس وهو

نطعنهم سلكي ومخلوجة * كرك لامين على نابل

السلكى الطعنة المستقيمة التي تكون حيال الوجه والمخلوجة التي تأتي عن اليمين وعن الشمال

وقال ابن حمديس الصقلي وأحسن

ومطرد الاجزاء تصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما في ضميره

جريح بأطراف الحصا كلما جرى * عليه شكى أوجاعه بخريره

كأن حبابا ريع تحت حبابه * فاقبل يلقي نفسه في غديره

وقال الطغرائي يصف كوكب الرجم

وليل ترى الشهب منقضة * بها نحو مسترق سمعه

كمد من ذهب مدة * على لازوردية الرقعه

وما أحسن قول بعضهم فيه

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكي اثره لهبه

كفارس حل من تيه عمامته * وجرها كلها من خلفه عذبه

وقال الطغرائي يصف الهلال والثريا

وترى الثريا والهلال مظاهرا * لمعتبر من حليه ومجعد

كالحب فضل في وشاح خريدة * حسناء تطلع في امام أسود

فكأنه وكأنها في جنبه * عنقودة في زورق من عسجد

(قلت) وقول ابن طباطبا العلوي أحسن ما قيل في هذا الباب

أما والثريا والهلال جلتهما * لي الشمس اذ ودعت كرها نهارها

كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لدينا قرطها وسوارها

وتشبيه ابن المعتز أكمل من ثالث الطغرائي حيث قال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقال ابن المعتز أيضا

زارني والدجا أحم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود

وهلال السماء طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود

وشبههما ابن قلاقس تشبيها حسنا فقال

يارب ليل أشتهي لباسه * قد عطر الوصل لنا أنفاسه

دع امرأ القيس ودع أمراسه * فترى الهلال سرعة قد قاسه

منكسا نحو الثريا راسه * هل تعرف العرجون والكباسه

هي عندك بمنزلة نفسك في الوعد انك اذا ظفرت بي تركتها وأطلقت سراحها لرغبتها في البعد عنك فهي تسعى في هذا الامر سعي المجتهد وهذا أمر لا يتم فقد كذبتها فيما وعدت (والخالف) ما جاء بعد الشيء ومنه سمي الخليفة ويقال بالتحريك للمدح مثل خلف صالح وبالسكون للذم كجلد الاجرب

(ولست بأول ذي همة دعته لما ليس بالنائل)

هذا البيت للمتنبي وحسن التمثيل به ههنا المطابقة المعنى في طلب ما لا يوجد لا سيما ان كان التصحيف أريد بلام النائل فان ذلك في هذا الموضع يكون عجبا وكثيرا ما يعتمد أهل الظرف شبيه ذلك في مكاتباتهم * وحيث أفضى القول الى ذكر المتنبي فلا بأس بذكر نبذة من أخباره فاما أشعاره فقد ملأت الاقطار لكني أقتصر منها على ذكر القصيدة التي منها هذا البيت وكذلك أعتمد في كل ما يمر من شعره في هذه الرسالة وهو أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي ويكنى أبا الطيب ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل ان أباه كان يسمى عبدان وهو رجل يسقي الماء على جمل له بالكوفة ونشأ أبو الطيب

ولمحمد بن الخياط الدمشقي في تشبيه الهلال قريبا من كوكبين

لاح الهلال كأنه عوج مرهفا * والكوكبان فأعجبا بل أطرفا
متتابعين تتابع الكعبين في * رمح أقيم الصدر منه وثقفا
فكأنه وقد استقاما فوقه * كف ثنى الف أكرتين تلقفا

ولآخر في تشبيهه مع الزهرة

أما رأيت الافق لما غدا * هلاله ملتقم الزهره
كعاشق قبل معشوقة * فالتقمت من فمه دره

ولآخر في تشبيهه مع انقضاض النجوم

كأنما الليل والهلال وقد * وافت نجوم السماء منقضه
رام من الزنج قوسه ذهب * تندر منه بنادق الفضه

(أنشدني) من لفظه لنفسه الشهاب أبو الثناء محمود بدمشق سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في تشبيه الثريا والهلال والدارة

كأن الثريا والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التئامها
حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

وقال الطغرائي في تقابل الشمس والقمر

وكأنما الشمس المنيرة اذ بدت * والبدر يجنح للغروب وما غرب
متحاربان لذا مجن صاغه * من فضة ولذا مجن من ذهب

(قلت) وقال الشريف دفترخوان

تأمل اذا ما قابل البدر شمسه * صباحا وكل يملأ الافق أنوارا
كأن الذي ألقى الى الغرب درهما * لحاجته ألقى الى الشرق دينارا

وقال الطغرائي في الهلال

قوموا الى لذاتكم يا نيام * ونبهوا العود وصفوا المدام
هذا هلال الفطر قد جاءنا * بمنجل يحصد شهر الصيام

(قلت) وأحسن منه قول ابن المعتز

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجا نرجسا

ومن أحسن ما قيل في وصف الهلال قول علاء الدين النابلسي

هلال شوال مازالت مطالعه * يرنو اليها الورى من شدة الفرح
كاصبعي كف ندمان أشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح

وقول أبي الحسين الجزار

ان هلال الفطر لما بدا * مستحسنا في أعين الناس
وددت ان ألثمه عندما * راح يحاكي شفة الكاس

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

أعملت فكري في السماء وقد بدا * فيها هلال جسمه منهوك

فكأنما

مشتغلا بالادب راغبا فيه مع فقره واحتياجه وكان من أذكى الناس وأسرعهم حفظا (حكي) انه جلس يوما بالوراقين في أيام صباه فاستعرض من أحد الدلالين دفترا فيه أكثر من عشرين ورقة فأطال تأمله الى أن قال له الدلال ان كنت تريد شراءه فعجل الثمن وان كنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر فقال ان كنت حفظته آخذه بغير ثمن قال نعم فشرع يسرده عليه حفظا الى أن اتمه ووضعه في كمه وانصرف ثم نظم الشعر واسترزق به وطاف البلاد وكان يقنع من الجائزة باليسير ثم نزل باللاذقية على معاذ بن اسمعيل فاكرمه وأحسن اليه وأقام عنده مدة ثم خرج الى بادية السماوة فنزل بقوم من بني عبس فتنبأ وعمل أسجاعا كثيرة وتبعه قوم منهم وكان سبب ذلك وقائع نادرة منها أن قوما قالوا له ان ههنا ناقة صعبة فان ركبتها علمنا انك مرسل فتحيل يوما الى أن ركبها فنفرت ساعة ثم سكنت وورد الحي وهو راكبها ومنها انه كان مستخفيا فراح ليلة هو ورجل فنبح عليهما كلب فلما ذهبا قال للرجل انك ستجد الكلب ميتا اذا رجعت فوجده كذلك وقيل كان يعرف نوعا من

فكأنما هي شقة ممدودة * وكأنه من فوقها مكوك

وقلت أنا وفيه تشبيهان باستعارتين

حكى هلال الافق لما مضت * له ثلاث واعتلى واستنار

مرآة خد بعضها ظاهر * والبعض منها في غلاف العذار

وقد جمع بعض الافاضل في وصف الهلال ما يقارب السبعين وأنا أذكر الآن هنا ما يمكن من تشبيهه ولم أذكر الشاهد عليه خوفا من الاطالة فأقول المقدم على ذلك كله تشبيه القرآن العظيم بالعرجون وشبه بحاجب النوبي الشائب وبقلامة الظفر وبضلع ملقاة في فلاة وبالصدع في الزجاج وبالزورق وبحرف النون وبشفرة السكين وبالنؤى وبالسرج وبمخلب الطائر وبناب الفيل وبالخلخال وبالسوار وبالدملج وبطوق عروس وبوقف من عاج وبالقوس وبلحية انتقبت وبأثر الظفر في تفاحة وبزباني عقرب من فضة وبقبضى سرطان من ذهب وبراكع منحن وبخشكنانة وبعين المليحة وبقراضة دينار وبالفخ وبالمنجل وبطرف الصدغ وبالمكوك وبشفة الكاس وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف وباكليل ملك وبأثر الحافر وبنعل الحافر وبالعذار الشائب وبالسنان المنعطف وبعطفة اللام وبصولجان وبطيلسان مقور وبنصف زردة وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات في مقتضب لي مسمى بالتنبيه على التشبيه. وقال الطغرائي رحمه الله

سأحجب عني أسرتي عند عسرتي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء

ولي أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياء

(قلت) أخذه من قول أبي بكر الخوارزمي

رأيتك ان أيسرت خيمت عندنا * لزاما وان أعسرت زرت لماما

فما أنت الا البدر ان قل نوره * أغب وان زاد الضياء أقاما

والاصل في هذا المعنى قول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب حيث قال

اذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها * عليها فلم يظهر لها أبدا فقري

وان ألتق في الدهر مندوحة الغنى * يكن لأخلائي التوسع في العسر

فلا العسر يزري بي اذا هو نالني * ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخري

على ان الخوارزمي أخذ المعنى من قول ابراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات

أسد ضار اذا مانعته * وأب بر اذا ما قدرا

يعرف الأبعد ان أثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

ولكن الخوارزمي أراد ان يضرب لهذه الحالة مثالا في الخارج فلم يجده الا في القمر فزاد ذلك حسنا وعكس الوراق الحظيري هذا المعنى أعني قول الطغرائي فقال

قد كان يجمع صحبه في فقره * فتفرقوا عنه اطول ثرائه

مثل الهلال ترى الكواكب حوله * فاذا استتم تغيبوا لضيائه

(الكلام فيما يتعلق بالقصيدة من العروض والقافية) العروض مؤنثة لأنها مشتقة امامن الناحية والمراد بذلك الناحية التي قصدتها العرب قال الاخنس بن شهاب

البحر يسمى صدحة المطر وذلك ان الشخص يدير حوله بعصا ويذكر كلاما فيصرف عن موضعه المطر وذكر أن كثيرا من العرب باليمن من أهل حضرموت والسكون يعرفون هذه الصدحة حتى ان أحدهم يصدح عن ابله وبقره وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ومما يدل على ان المتنبي كان من السكون قوله

أمنسي السكون وحضرموتا * ووالدتي وكندة والسبيعا

مع انه كان يخفي نسبه فاذا سئل عنه قال أنا رجل أخبط القبائل ولا آمن أن يكون لاحد ثأر في قبيلتي فيقتلني ثم ان بعض الولاة ظفر بالمتنبي وحبسه فتاب ورجع عما ادعاه من النبوة وقيل له يوما على من تنبأت قال على السفلة قيل ان لكل نبي معجزة فما معجزتك قال قولي

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

ثم تقلبت به الاحوال ووصل الى سيف الدولة علي بن حمدان بحلب فأقبل عليه وحظته السعادة واشتهر ذكره في الآفاق ورزق من الحظ والنعمة والسعة ما لا مزيد عليه ثم اتفق بينه وبين ابن خالويه كلام بحضرة سيف

الدولة فضربه ابن خالويه بمفتاح فخرج غضبان ورحل الى مصر فاتصل بمتوليها كافور الاخشيدي وطمع منه بالولايات فلم يتهيأ له ذلك ورحل في البرية الى العراق فاقام بها أياما وسئل عن ذلك فقال ان بني حمدان كدروا خاطري بحيث أزعجوني وقال ان هذا من الكلام الموجه في مدح الجهتين وذمهما ثم رحل الى العجم ومدح عضد الدولة وابن العميد وكسب أموالا جزيلة ورجع فقتل في الطريق سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان رحمه الله قد انفرد بخصال منها الكبر الزائد كما ذكره الحاتمي وغيره وكما احوجه الى فراق سيف الدولة * ومنها البخل حتى حكي انه أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم فوزنها ووضعها في كيس وختمه ورفعه الى صندوق في خزانته ثم رجع الى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فما لجها بأظافيره وهو ينشد قول ابن الحطيم تبدت لنا كالشمس تحت غمامة

بدا حاجب منها وضنت بحاجب الى أن أخذها فاعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف أنهم يذمونه بذلك * ومنها اقبال الناس على

لكل اناس من معد عمارة * عروض اليها يلجؤن وجانب

واما من قولهم ناقة عروض أي صعبة والمراد بذلك انها براض بها الصعب حتى يدخل الوزن وهذا أحسن من قول من قال مأخوذ من العرض لان الشعر يعرض على هذه الاوزان فما وافق كان صحيحا وما خالف كان سقيما اذ الصحيح انه معروض عليه اللهم الا أن يقال مفعول بمعنى فعول وليس بشيء وعلى هذا تكون العروض مذكرة واما من العروض أي الطريق التي في الجبل والمراد الطريقة المسلوكة التي تسلكها العرب وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت من الشعر شبهوا العروض التي تقيم وزنه بالعروض وهي الخشبة المعترضة في سقف البيت كما شبهوا الاسباب بالاسباب والاوتاد بالاوتاد والفواصل بالفواصل والعروض اسم لآخر الجزء الذي هو نصف البيت الاول وانما سمي عروضا لكثرة دوره كما سمي علم المواريث فرائض لكثرة قولهم فرض الزوج كذا فرض الام كذا وأما حد علم العروض اصطلاحا فانه علم بمعرفة أوزان شعر العرب وقال الجاحظ العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم وعليه مدار القريض من الشعر وبه يسلم من الاود والكسر (قلت) هذا أليق بالوصف من الحد وقال الجوهري العروض ميزان الشعر وهي ترجمة عن ذوق الطباع السليمة وقال علي بن عبد الرحمن علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعرا وأقول انا العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الانسان عن ان يضل في وزن شعر العرب وهذا الاحتراز الاخير أتيت به لان اللغة اليونانية فيها شعر ولهذا سمعهم يقولون سولون الشاعر وقال أرسطو حكيم اليونان وخطيبهم وشاعرهم وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزن وقافية ولا ذلك ركن فيه بل الركن في ذلك ايراد المقدمات المخيلة فحسب فان كانت المقدمة التي ترد في القياس الشعري مخيلة فقط عد ذلك القياس شعريا وان انضم الى المقدمة قول اقناعي تركبت المقدمة من معنيين شعري واقناعي قال أرباب المنطق القياس الشعري قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا من قبض أو بسط كقول القائل مع البيضة عذرة والخمر ياقوت سيال فالاول يؤثر في النفس انقباضا والثاني انبساطا (وذكر) لي العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري ان الشعر اليوناني له وزن مخصوص ولليونان عروض لبحور الشعر والتفاعيل عندهم تسمى الايدي والارجل قال ولا يبعد أن يكون وصل الى الخليل بن أحمد شيء من ذلك فأعانه على ابراز العروض الى الوجود انتهى والحاجة ماسة وداعية الى معرفة الوزن وما يجوز من الزحاف في كل بحر وما لا يجوز فقد وقع في ذلك جماعة من كبار العرب كالمرقش ومهلهل وعلقمة بن عبدة وعبيد بن الابرص وغيرهم وجماعة من كبار المحدثين كابي العتاهية والبحتري وأبي الطيب وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول في الخروج عن الوزن واذا اتفق مثل هذا لمثل هؤلاء فما الظن بغيرهم وقال قوم لا حاجة الى العروض لان كل من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفا ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة يدخلها الوزن وينظر في حركاتها وسكناتها وهل هي من سببين وفاصلة صغرى أولا الى غير ذلك من التفصيل الا بعد مكابدة مشقة عظيمة والى أن ينظم الناظم بالعروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة وما أحسن قول أبي فراس ابن حمدان

تناهض

تناهض الناس للمعالى * لما رأوا نحوها نهوضى
تكلفوا المكرمات كدا * تكلف النظم بالعروض

وقول ابن حجاج

مستفعلن فاعلن فعول * مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا * من قبل أن يخلق الخليل

(قلت) هذا الوزن يعرف بمخلع البسيط ولابد للباغى من مصرع فان ابن الحجاج بغى على الخليل فاورده بغيه مصرعا فظيعا وأوقعه الله فى زحاف هذا الوزن بعينه لانه قال أول قصيدته البائية

النيل عندى أحلى وأطيب * من عنب أصفر مزبب

فان وزنه مستفعلن فاعلن فعولن فهو كما ترى غير فاعلن بفعولن فزاد سببا خفيفا فى قوله عندى أحلى وقال ابن نقادة يهجو

أعيد من سماك انسا كاذب * ما للوحاشة عن خلالك معدل
وأقت ميزان العروض وقد غدا * تقطيع كاملها بوصفك يكمل
مستصفع مستقود مستجهل * مستحمق مستبرد مستثقل
مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعل

ولقائل ان يورد على العروض ما أورد على المنطق وعلم المعانى فيقول ان كان هذا العلم من النظريات فليستغن عن تعلمه والافتقر الجاعل آخر ودار أو تسلسل ولان اصابة الانسان فى الاتيان بما ينظمه من بحور الشعر على اختلاف أوزانها من غير مراعاة هذا العلم تنفى الحاجة اليه وقال الجاحظ العروض علم مستبرد ومذهب مرفوض وكلام مجهول يستكد العقول بمستفعلن ومفعول من غير فائدة ولا محصول (يحكى) ان أبا جعفر أحمد بن النحاس المصرى النحوى كان جالسا على درج المقياس فى سنة لم يزد فيها النيل والناس من أمره فى شدة وهو اذ ذاك يقطع فى بيت شعر فمر به اثنان فسمعاه يتكلم بكلام غير معقول المعنى فتوهما فيه انه سحر النيل فدفعاه الى البحر فغرق (ويحكى) ان بعض الاكابر مر بامرأة من بعض احياء العرب فقال لها ممن المرأة قالت من بنى فلان فأراد العبث بها فقال لها أتكتنون فقالت نعم نكتنى فقال لها معاذ الله ولو فعلتم لاغتسلت فاجابته على الفور وقالت له دعذا أتعرف العروض قال نعم قالت قطع لى قول الشاعر

حولوا عنا كنيستكم * يا بنى حمالة الحطب

فلما اخذ يقطعه وقال حولوا عن نا كنى فقالت من هو فتعجب وقال الله أكبر ان للباغى مصرعا وقد روى صاحب العقد وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوها بيتا آخر والذى اعتقده انها موضوعة وعلى الجملة فلا باس بمعرفة ما أمكن من العروض وأحسن ما فيه معرفة فك الدوائر وبمعرفة ذلك يعرف قدر واضعه الذى استنبطه فانه كان ذا ذهن متوقد وعقل صحيح وفطرة سليمة قيل انه قال أريد ان أضع قاعدة فى الحساب اذا توجهت الجارية بها الى البقال ومعها درهم لا يكاد يظلمها فى فلس واحد ثم أخذ يفكر فيها وهو فى المسجد ذاهبا وراجعا فبيناهو مشغول عن نفسه لاطمته السارية فمات منها (ومن فوائد) علم العروض فصل

شعره واشتغالهم به حتى ترك شعر غيره ووضع لشعره أكثر من أربعين تصنيفا وكان اذا سئل عن معنى من قوله قال اذهبوا الى ابن جنى فانه يقول لكم ما أردته وما لا أردته

* ومنها معرفته بلغة العرب وحوشيها حتى حكى أن أبا على الفارسى الدارينى قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال حجلى وظربى قال أبو على فطالعت الكتب ثلاث ليال على انى أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجده وكان يرمى بفساد عقيدته استخرج ذلك من شعره مثل قوله على مذهب السوفسطائية

هون على بصر ما شق منظره
فانما يقظات العين كالحلم

وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
الا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تسلم نفس المرء باقية
وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

وقوله على مذهب الهوائية وأصحاب القضاء

تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمان هن من كسبه
وهذه الارواح من جوه
وهذه الاجسام من تربه

وغير ذلك من المكفرات

القضية فيما يتنازع فيه هل هو شعر عربي أم لا وقد رأيت للشيخ جمال الدين بن واصل كلاما على قول البهاز هير

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

الابيات فقال فيها انها غير داخلة في أبحر العروض وتابعه جماعة والصحيح أنها من بحر الوافر الا أنه دخل فيه العقص وهو اجتماع الخرم بالراء والعصب فيخلفه مفعول بتحريك اللام وشاهده

لولا ملك رؤف رحيم * تداركني برحمته هلكت

تقطيع بيت البهاز هير وتفعيله

يامن لـ عبت به شـمول * ما ألطاف هـذه الشمائـل

مفـعول مفاعلن فعـولن * مفـعول مفاعلن فعولن

ورأيت قصيدة أظنها لابي الحسين الجزار مطلعها

يا عاذلي هجر المحبوب أو وصلا * أنا الذي لا أرى في حبه بدلا

هذا البيت من البسيط ويخرج منه وزن آخر من المديد وهو

هجر المحبوب أو وصلا * لا أرى في حبه بدلا

وأما عروض قصيدة الطغرائي هذه فانها من الضرب الاول من البسيط والبسيط نفسه مركب من مستفعلن فاعلن أربع مرات وعروضه الاولى مخبونة والضرب مثلها ولم يأت عن العرب سالما لا العروض ولا الضرب ولا يحسن ذوقهما في السمع الا مزاحفين وهو أمر غير معقول المعنى والخبن هو حذف الثاني الساكن فيرجع مستفعلن الى مفاعلن وفاعلن الى فعلن وانما سمي البسيط بسيطا لانبساط السببين على الوتد في أول جزء وهو مستفعلن لانها مركبة من سببين خفيفين ووتد مجموع وقيل لانه بسطت أسبابه من أسباب الطويل لانه فك منه فان عيلن مفاه ومستفعلن وقيل لانه كانت عروضه فاعلن وضربه كذلك فصارا فعلن فانبسطت الحركات في قاعدتيه لان الالف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الاولى الى الثانية فهو فعيل بمعنى مفعول وهذا أحسن ما علل به والبيت مقفى لانه في العروض بحرف الروي وهو اللام استعجالا لبيان القافية للسامع ثم في التقفية لم يلتزم ذلك وليس بمصرع لان من شرط التصريع تغيير العروض عن زنتها الى زنة الضرب وههنا لم يتغير للعروض وزن والتصريع أخص من التقفية لان كل مصرع مقفى من غير عكس (ذكرت) هذا لغزا أنشدنيه بعض الاصحاب لشمس الدين بن الصائغ الحنفي

يا عروضيا له فطن * بحرها بالفكر يضطرب

اي ما اسم وضعه وتد * وهو ان صحفته سبب

ويرى في الوزن فاصلة * ساكن تحريكه عجب

وهذا اللغز ظاهره مشكل اذ الوتد غير السبب والسبب غير الفاصلة عند العروضي واللغز هو في جبل وأراد بالوتد قوله تعالى والجبال أوتادا وهو في تصحيفه حبل وهو السبب لغة ووزنه فاصلة صغرى لان جبلا ثلاثة أحرف متحركة بعدها ساكن وقد جمع مثال السببين والوتدين والفاصلتين في قول القائل لم أر على ظهر جبل سمكة ونقلت من خط السراج الوراق له

ظاهر المحتج فيها باطنا وعلى الجملة فكان كثير المحاسن والحساد وله أشعار لم تدخل في ديوانه مثل قوله

وتركت مدحي للوصي تعمدا
اذ كان نورا مستطيلا شاملا
واذا استطال الشئ قام بنفسه
وصفات نور الشمس تذهب بالطلا

وهو شبيه بنفسه ويروى له أيضا نثر لطيف مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده بعض أصحابه مرارا ثم انقطع عنه بعد ما شفي وصلني وصلك الله معتلا وهجرتني بليلا فان رأيت أن لا تحبب العلة الي ولا تكدر الصحة علي فعلت ان شاء الله * فأما القصيدة التي منها البيت المذكور بسببه فانه يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويذكر فيها خلاص بعض أقاربه من الاسر وهزيمة بعض الخوارج عليه أولها

الام طماعية العاذل
ولا رأي في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم
وتأبى الطباع على الناقل
واني لاعشق من عشقكم
نحولي وكل امرئ ناحل
ولو زلتم ثم لم أبككم
بكيت على حبي الزائل

يعني اني أحب الحب لاجلكم أو اني ألفته لطول صحبته فلو زال بكيته

أنا الذي مرضت شهرا كاملا * فما رأيت عائدا ولا صله
لولا الوزير الصاحب البدر الذي * نعماه لي مع الزمان واصله
شارف قلعا وتدي وخاف قطعه عاسبي فقلت هذي الفاصله

ومن شعره أيضا

قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم واداب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لي سببا * قالت ولا وتداوهذي الفاصله

ونقلت من خطه أيضا له

مالي ونظم الشعر بانت صبوتي * والناس قد رغبوا عن الآداب
أأقوله عبثا بلا سبب له * والشعر مبني على الأسباب

أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

من منصفي من أناس * فيهم تحير ذهني
لادرهم وزنوه * وحاولوا الشعر مني
وهل سمعتم بشعر * يأتي على غير وزن

وما أحسن قول الغزي

قالوا هجرت الشعر قلت لهم نعم * باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

والبسيط من الدائرة الاولى وهي دائرة المختلف واعا سميت بذلك لاختلاف أجزائها وهذه الدائرة تجمع ثلاثة أبحر وهي الطويل والمديد والبسيط أنشدني بعض الاصحاب لغزا حسنا وهو

يا أيها الحبر الذي * علم العروض به امتزج
أين لما دائرة * فيها بسيط وهزج

ثم قال ان العالم العلامة نجم الدين أبا الحسين علي بن داود القحفزي أنشده لبعض الطلبة في حلقته ففكر ساعة طويلة ثم قال هذا في الساقية فقال له الشيخ أصبت الا انك درت فيها زمانا طويلا حتى وقفت على المقصود (قلت) وهذا من الشيخ أحسن من فك اللغز فانه ظرف في التندير واللغز ظاهره مشكل لانه لبس في دوائر العروض ما يجمع البسيط والهزج لان البسيط من دائرة المختلف والهزج من المجتلب وأوهم بالبسيط وهو يريد الماء لانه أحد البسائط وأوهم بالهزج وهو يريد الصوت اللذيذ المسموع من الساقية حال الدوران ومن أبيات المعاياة في العروض قول الشاعر

يا أيها القوم برتي الخطوب * وخيال اذا رجعت يوما يؤوب

فانه يخرج من ثلاثة أبحر الاول من الضرب الثالث من الطويل الا ان أول النصف الاول مخروم بالراء المهملة أي ناقص حرفا وأول النصف الثاني مخزوم بالزاي المعجمة أي زائد حرفا والثاني من الضرب الاول من المديد الا انه مخزوم الاول بالزاي أي زائد حرفين ومخزوم أول النصف الثاني بزيادة أربعة أحرف والثالث من الضرب الاول من السريع وذلك اذا سكنت الباء وجعلت القافية مردوفة نكن في أول النصف الثاني خزم بزيادة حرفين ويكن عليه

كأن الجفون على مقلتي
ثياب شققن على ثاكل
ولو كنت في أسر غير الهوى
ضمنت ضمان أبي وائل

يعني لو أسرني غير الهوى لخلصت منه كما خلص أبو وائل وهو قريب سيف الدولة وكان مأسورا في بني كلب عند الخارجي الذي خرج بهم على سيف الدولة وكان أبو وائل قد ضمن له فداء نفسه بذهب وخيل واستدعى سيف الدولة سر الخرج ومر بهم واستنقذه بغير فداء فذكر أبو الطيب صورة الحال

فدى نفسه بضمان النضار
وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة
فجئن بكل فتى باسل
فكان خلاص أبي وائل
معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت
على البعد عندك كالقائل

(ومنها)

وجيش امام على ناقة
صحيح الامامة في الباطل
فأقبلن ينحزن قدامه
نوافر كالنحل والعاسل
فلما بدون لأصحابه
رأت أسدها أكلة الآكل
بضرب يعمهم جائر
له فيهم قسمة العادل

يعني بالجور افراطه في قتلهم وبالعدل ثلاثة أوجه أحدها أنهم مستحقون لذلك لخروجهم

أن يخرج أيضا من الضرب الثانى من المديد وتقطيع البيت

أصالة الـ رأى صا نتنى عن الـ خطل * وحلية الـ فضل زا نتنى لدى الـ عطل
مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن * متفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وأما القافية فانها من المتراكب وأقول القافية لغة تطلق على القصيدة قالت الخنساء

وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويذهب من قالها

واشتقاقها من قفوت أثره اذا تتبعته كأن الشاعر يتتبع الكلام التى تناسب ما بنى قصيدته عليه فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة أى مقفوة كقوله تعالى عيشة راضية أى مرضية وقوله من ماء دافق أى مدفوق أو كأن كل قافية تقفو صدر البيت الاول وما أحسن قول أبى تمام الطائى

وتقفو لى الجدوى بجدوى وانما * يروقك بيت الشعر حين يصرع

والقافية اصطلاحا اختلفوا فيها اختلافا كثيرا وأصح الاقوال ما ذهب اليه الخليل بن أحمد من انها من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذى قبله لانك ترى هذا القول منتظما لجميع العوارض فى القافية من حروف وحركات تراعى أحكامها ومتى اختل شئ مما شرطه فسدت القافية وانما أنثوا القافية مع كون الحرف أو الروى مذكرا لان حروف المعجم كلها مؤنثة تقول هذه ألف مستقيمة وجيم حسنة والمتراكب من القوافى ما كان فى آخر البيت فاصلة صغرى وهى ثلاث حركات بعدها ساكن وكذلك الخطل الخاء والطاء واللام متحركات والياء ساكنة وسمى هذا النوع متراكبا لتراكب حركاته وهو دون المتكاوس لان التكاوس هو الاضطراب والمتكاوس أربع متحركات والاضطراب أشد من التراكب فالروى فى هذه القصيدة هو اللام لانها الحرف الذى بنيت القصيدة عليه والروى فى اللغة هو الجمع والاتصال والضم ومن ذلك الرواء وهو الحبل الذى يشد به المتاع والاحمال قال الراجز

انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * واضطرب القوم اضطراب الارشيه
وشد فوق بعضهم بالارويه * هناك توصينى ولا توصى بيه

وقيل للماء الكثير روى لاجتماع الناس اليه فكأن هذا الحرف يربط القصيدة ويجمعها والياء التى بعد اللام فى القصيدة هى الوصل وسمى الوصل بذلك لانه وصل حركة المجرى وهى حركة الروى قلت قول الشاعر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع فى قافية وذلك لانه اجتمع فيها خمسة أحرف وهى التأسيس والدخيل والروى والصلة والخروج وكل واحد من هذه يلزم تكراره الا الدخيل واجتمع فيه أربع حركات وهى الرس والاشباع والاطلاق والنفاد فهذه تسعة أشياء اجتمعت فى قافية واحدة كما ترى فالالف فى الكلمة تأسيس وحركة الواو والتى قبلها رس والفاء دخيل وحركتها اشباع والقاف روى وحركتها اطلاق ومجرى ان شئت والهاء صلة وحركتها نفاد والالف خروج (ذكرت هنا) ما كتب به بعض أدباء الاندلس الى الفقيه أبى عبد الله المازرى بالمهدية وهو

ربما عالج القوافى رجال * تلتوى تارة لهم وتلين

طاوعتهم

والثانى انه وقع ذلك ان بالغ منهم فى القتال والثالث أن الضربة كانت تقسم الفارس نصفين

ينصل بخضب منها اللحى
فتى لا يعيد على الناصل

قال ابن وكيع يعنى أن كل خضاب ينصل الا خضاب هذه القتلى الذى هو الدم فانه لا ينصل فيعيده لانهم فارقوا الحياة وما ينصل غير خضاب اللحى وقال بعضهم وهو وجه بعيد الناصل المضروب بالنصل وهو فاعل بمعنى مفعول كقولك ناقة ضارب وعيشة راضية يريد أنه اذا ضرب انسانا بالنصل لم يبق فيه ما يحتاج الى اعادة ضربه

خذوا ما أتاكم به واعذروا
فان الغنيمة فى العاجل

يعنى أن هذا بذل الفداء يتهكم بهم

وان كان أعجبكم عامكم
فعودوا الى حمص فى قابل
فان الحسام الخضيب الذى
قتلتم به فى يد القاتل

(ومنها)

تركت جماجمهم فى النقا
وما يتحصلن للناخل

(ومنها)

وعدت الى حلب ظافرا
كعود الحلى الى العاطل

(ومنها)

وكم لك من خبر شائع
له شبه الابلق الجائل

طاوعتهم عين وعين وعين * وعصتهم نون ونون ونون

فأبن لى ما طاوعهم وما عصاهم فأجاب طاوعهم العجمة والعى والعجز وعصاهم اللسان والجنان والبيان قلت ما أجاب بشئ ومال عن الجد الى الهزل وما ناسب بين الاول والثانى وكان ينبغى أن يقول عوض الثلاثة الاخيرة التى ذكرها النحو والنقل والنظم أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطبع وعصاهم اللسان والجنان والبيان لتكون أوائل الكلمات من القسمين متناسبة وكذلك الاواخر منهما ومثل هذا الجواب ما حكاه ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر بعد ما ساق لغزا فى الخلخال وهو

ومضروب بلا جرم * مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على * مليح القد ممشوق
وأكثر ما يرى أبدا * على الامشاط فى السوق

قال وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيأ انتهى قلت ولو قال دخلت فلم أر على الامشاط فى السوق غير الكتان لكان أغرب وقد أوهم بالامشاط التى يرجل بها الشعر وهو يريد أمشاط الاقدام والسوق جمع ساق ومما اتفق لى نظمه فى الخلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

واتفق لى فيه أيضا

ما أصفر دار على أبيض * لان ولكن قلبه قاسى
ورب ساق غصن منه وما * أحسن هذا الوصف فى الناس

(وأما الجواب) عن البيتين المتقدمين فى ذكر القوافى فهو ما وقفت عليه بالقاهرة المعزية بخط الفقيه كمال الدين أبى العباس أحمد بن سليمان بن ابراهيم الطوخى الشافعى صهر الشيخ جمال الدين أبى عمرو بن الحاجب وصورته أنشدنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب ما ذكره بعض أصحاب التاريخ فى المعميات وذكر البيتين ثم قال كتب هذان البيتان الى حاذق باخراج المعميات فأقام ستة أشهر ينظر فيهما الى أن كشفهما ثم حلف بأيمان مغلظة انه لا ينظر فى معمى أبدا ولم يذكر تفسيرهما أصلا قال الشيخ جمال الدين فاضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية ثم بعد أربعين سنة خطر الى بالليل ففكرت فيهما فظهر لى أمرهما وانه انما أراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين يعنى نحو يدوغدود لانها عينات مطاوعة فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة وكل واحد منها آخره عين الكلمة لان وزن غدفع ووزن يدفع ووزن ددفع وأراد بقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت لانه يسمى نونا والدواة لانها تسمى نونا والنون أحد حروف الهجاء وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى اذ لا يلتئم كل واحد منها مع الآخر ثم انه نظم فى ذلك بيتين وسبك الجواب فيهما على الوزن والقافية فقال

وغد ويد ودد هى حروف * طاوعت فى الروى وهى عيون
ودواة والحوت والنون نونا * ت عصتهم وأمرها مستبين

(ومنها)
فهناك النصر معطيكه
وارضاه سعيك فى الآجل
فذى الدار أخون من مومس
وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها
ولا يحصلون على طائل

(ولاشك أنها قلتك اذلم تضن بك وملتك اذ لم تعز عليك) يعنى أبغضتك لانها لم تبخل بك على من تحبه دونها (والقلى) شدة البغض يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوى فهو من القلو أى الرمى يقال قلت الناقة براكبها تقلوا وقلوت بالقلم فكأن المقلو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله ومن جعله من اليائى فمن قليت السويق وغيره على المقلاة وفى الحديث اخبر تقله والهاء للسكت (والضن) البخل بالشئ النفيس ولهذا قيل علق مضنة ومنه قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين أى ببخيل على ما يوحى اليه وقرئ بظنين أى متهم والامر كذلك على كل من المعنيين (فانها أعذرت فى السفارة لك وما قصرت فى النيابة عنك) يعنى بلغت عذر الاجتهاد لك فى الصلة بينى وبينك يقال اعذر الانسان اذا أتى ما صار

ثم قال ولا يشك عارف بالمعميات انه لم يرد سوى ذلك انتهى وعلى ذكر القافية فقلت من خط السراج الوراق له

قالت صلني فقد تقيدت في الحب بأسر والأسر في الحب ذل
قال يا من يجيد علم القوافي * لا تغالط فالمقيد وصل

وقال الاسعد بن مماتي يصف قصيدة مقيدة

تبكي قوافي الشعر لامية * بيضتها جهلا فسودتها
لما علا وسواس ألفاظها * ظننتها جنت فقيدتها

(وقلت) أخاطب أمرد يسرق نظمي

ان كان لابد لمولاي أن * يأخذ شعري جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

(وهذا أول القصيدة قال الطغرائي)

(أصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى العطل)

اللغة (أصالة) مصدر أصل الشيء أصالة مثل ضخم ضخامة ومجد أصيل ذو أصالة ورجل أصيل الرأي محكمه قال ابن الانباري الاصيل القوي الذي له أصل (الرأي) مصدر رأى رأيا فهو مهموز ويجمع على آراء وأرآء أيضا مقلوب منه والرأي هو التفكر في مبادي الامور ونظر عواقبها وعلم ما تؤول اليه من الخطأ والصواب وأصحاب الرأي عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتاويل كأصحاب أبي حنيفة وأصحاب أبي الحسن الاشعري وروى نوح الجامع انه سمع أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال وقال يحيي القطان لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا أكثر أقواله وقال أبو يوسف قال أبو حنيفة علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه وقال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي قلت وقول أبي حنيفة يشبه قول الخليل بن أحمد حيث قال مثلي في النحو كمثل رجل دخل دارا قد صح عنده حكمة بانيها فقال انما كان الايوان هنا كذا والصفة هنا كذا فان وافق نية الباني والا فقد أتى بما يقبله العقل والشافعي احتاط لمذهبه فقال اذا صح الحديث فهو مذهبي أو فاضربوا بمذهبي عرض الحائط وبهذا احتج الشيخ محيي الدين النووي وصحح امتداد وقت المغرب الى غيبوبة الشفق قال أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي

عذيري من قوم يقولون كلما * طلبت دليلا هكذا قال مالك
وقد قاله ابن القاسم الثقة الذي * على قصده منهاج الهدى هو سالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشهب * وقد كان لا تخفى عليه المسالك

(قال) الشافعي ما رأيت كأهل مصر اتخذوا الجهل علما لانهم سألوا مالكا عن مسائل فقال لهم لا أعلمها فهم لا يتعلمونها ممن يعلمها الا ان مالكا قال لا أعلمها وأصحاب الرأي والتاويل ضد أصحاب الظاهر كالحنابلة واتباع داود وابن حزم الظاهريين (أنشدني) الحافظ المحدث الاديب فتح الدين محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمري بالقاهرة

به معذورا وأعذر من أنذر (والسفارة) المشي في الصلح وكانها كشفت ما غم من الحال بين المتباينين أي سفرت ومنه قيل السفر لانه يكشف الاخلاق والاصل من سفر الصبح اذا اضاء (زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه) (المروءة) كمال المرء كما أن الرجولية كمال الرجل والانسانية تمام الانسان و (اللفظ) مستعار من لفظ الشيء من الفم اذا طرحه ولفظت الرحا الدقيق (والمعنى) نفس الكلام وسره وكانه ماخوذ من معاناة المرء اطلاعه على فحوى الكلام ولاهل البيان والمتكلمين في تمثيل الالفاظ والمعاني فصول مستحسنة قال القوشي الفيلسوف الالفاظ من أمة الحس والمعاني من أمة العقل والحس تابع للعقل والطبيعة وقال آخر ما حكاه ابن رشيق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته وقال آخر اللفظ جسم والمعنى روح وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصا في الكلام كما يعرض لبعض الاجسام من العور والعرج وما أشبه ذلك من

المحروسة قال أنشدني والدي قال أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي قال أنشدني أبو الوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد ابن عبد الملك قال أنشدنا أبو أسامة يعقوب قال أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد ابن حزم لنفسه

من عذيري من أناس جهلوا * ثم ظنوا انهم أهل النظر
ركبوا الرأي عنادا فسروا * في ظلام تاه فيه من عبر
وطريق الرشد نهج مهيع * مثل ما أبصرت في الافق القمر
وهو الاجماع والنص الذي * ليس الا في كتاب أو أثر

ولابن حزم أيضا أبيات عينية في هذه المادة أضربت عن اثباتها لطولها الا أنه ختمها بقوله

فخير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وقد بالغ في الشناع حيث قال

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فعليك اثم أبي حنيفة أو زفر
الواثبين على القياس تمردا * والراغبين عن التمسك بالاثر

واستطرد استطرادا قبيحا (وحاش لله) ليس أبو حنيفة وزفر ممن يقال في حقهما مثل هذا وبين الظاهرية وأصحاب الرأي والتأويل خلاف شديد في الوقف في قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فأصحاب التأويل قالوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم بناء على أن الواو عاطفة والظاهرية يقولون الوقف على الا الله والواو استئنافية وعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله (قال الامام فخر الدين) وعلى هذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائي وهو المختار عندنا والاول مروي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد استدل الامام في مفاتيح الغيب على ان الوقف الصحيح على قوله الا الله بستة أوجه ملخص الثاني منها ان الآية دلت على أن طلب التاويل مذموم لقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى آخره ولو كان التاويل جائزا لما ذمه الله والرابع منها ملخصه لو كانت الواو في والراسخون عاطفة لصار قوله يقولون آمنا به ابتداء وهو بعيد عند ذوي الفصاحة بل كان الاولى أن يقول وهم يقولون آمنا به أو يقال ويقولون آمنا به (قلت) مذهب أبي الحسن الاشعري اما أن يرد ظاهر القرآن بالتاويل الى ما يطابق العقل واما أن يمره على ظاهره ويسند العلم فيه الى الله من غير ان يحكم فيه بشئ ولا يعتقد فيه ما يقوله الحشوية فقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم فقال علمه وهذا اشارة الى ان ذلك القول الاول مروي عن ابن عباس (صائني) تقول صنت الشئ صونا وصيانة وصيانا فهو مصون ولا يقال مصان وثوب مصون على النقص ومصوون على التمام قال الجوهري ليس يأتي ثلاثي من بنات الواو بالتمام الاحرفان مسك مدووف وثوب مصوون فان هذين جاآ نادرين والكلام مدوف ومصون لثقل الضمة على الواو والياء اقوى على احتمالها منه فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط (الخطل) المنطق الفاسد المضطرب وقد خطل في كلامه بالكسر خطلا أي أخش وأذن خطلاء اذا كانت

غير أن تذهب الروح وكذلك ان ضعف المعنى وأجيد لفظه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع كما ان الميت لا ينقص من شخصه شئ في رأي العين الا انه ميت لا ينتفع به وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصلح له معنى لانا لم نجد روحا في غير جسم البتة (والانسانية اسم أنت جسمه وهيولاه)

(الانسانية) عالم الانسان كما تقدم ومما عبر به أبو زرعة البغدادي من كلام ارسطاطاليس قوله الانسانية أفق والانسان متحرك الى أفقه بالطبع دائر على مركزه الا أن يكون مخلوطا بأخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه وسيب هواه في مرعاه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة فقد خرج من أفقه وصار أذل من البهيمة لسوء ايثاره (والاسم) ما عرف به

مسترخية كالكلاب والغنم ورمح خطل أي مضطرب ومنه سمي الاخطل لخطل كان في أذنيه
(وحلية) الحلية للسيف وغيره جمعها حلى مثل كلية وكلى وحلية الرجل صفته وليست هي
مرادة هنا وانما المراد بها هنا الزينة التي يتحلى بها الانسان من الفضائل (الفضل خلاف
النقص لغة والمراد به هنا ما ينطوي عليه الانسان من العلم والادب والتجارب والممارسة
للامور والاشياء التي يفضل بها الانسان غيره والفاضل بخلاف الناقص كانه في انسانيته
زائد على الجاهل (زانتني) الزينة ما يتزين به والزين ضد الشين (لدى) بمعنى عند (العطل)
مصدر عطلت المرأة اذا خلا جيدها من القلائد فهي عطل (الاعراب) اصالة مبتدأ مضاف
الى ما بعده والمبتدأ قال الشيخ بدر الدين بن مالك هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية غير
الزائدة مخبرا عنه أو وصفا رافعا لمكتفى به وقد اختلف في رافعه فقيل الابتداء وهو جعلك
الاسم أول الكلام وهذا أمر معنوي والعامل المعنوي لم يأت عن النحاة الا في موضعين هذا
والثاني وقوع الفعل المضارع موقع الاسم حتى أعرب وهذا قول سيبويه وأكثر البصريين
وأضاف الاخفش اليهما موضعا ثالثا وهو عامل الصفة فذهب الى أن الاسم يرتفع لكونه
صفة لمرفوع وينتصب لكونه صفة لمنصوب وينجر لكونه صفة لمجرور وكونه صفة في هذه
الاماكن معنى يعرف بالقلب وليس للفظ فيه حظ وما أحسن قول القائل

قالوا أحب حبيبا ما تأمله * فكيف حل به للسقم تأثير
فقلت قد يعمل المعنى لقوته * في ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

(ملحة) اذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم في المسئلة قال هذا تعبد كما يعلل المالكي غسل الاناء
سبعا من ولوغ الكلب لانه قائل بطهارته فاذا أورد عليه الحديث وهو طهور اناء أحدكم اذا
ولغ فيه الكلب أن يغسله سبعا قال هذا شئ تعبدنا الله به والحديث رواه مالك في الموطا عن
أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب
في اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وفي حديث مسلم طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب
أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب وفي حديث آخر وعفروه الثامنة بالتراب وقال ابن
حزم وروى ابن القاسم عن مالك أنه ان كان في الاناء ماء أريق وغسل سبع مرات وان كان فيه
لبن أو زيت أكل ذلك ثم لا يغسل الاناء سبعا ولا أقل ولا أكثر وروى ابن وهب عن مالك
أنه قال يشرب الماء ويؤكل اللبن والزيت ثم يغسل الاناء سبع مرات قال وكلتا هاتين الروايتين
مخالفة لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب اثارة العزم في الرد على ابن حزم
ان ابن حزم وأهل الظاهر في معزل عن فقه هذه المسئلة وشبهها ولا شك أن هذه الاحاديث
جاءت هكذا وقال الله تعالى في الكلاب فكلوا مما أمسكن عليكم فهذه الاحاديث معارضة
لعموم القرآن وعموم القرآن مقدم عند كثير من العلماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم اذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك قلت وان
قتلن قال وان قتلن ولم يأمره بغسل الصيد ولو كان ريق الكلاب نجسا لامره بغسله ولم يؤخر
البيان عن وقت الحاجة واذا عجز النحوي عن تعليل الحكم أيضا قال العامل هنا معنوي كما
تقدم واذا عجز الحكيم عن التعليل في شئ قال هذا بالخاصية كما اذا طلب منه علة جذب
المغناطيس الحديد (رجع) وقيل رافع المبتدأ التجرد عن العوامل وليس بشئ اذ العدم

الشئ وأصله من السمو وبه
رفع ذكر المسمى فعرف
وسيأتي ذكره عند الفصل
بين الاسم والمسمى و(الجسم)
يقال لكل ذي طول وعرض
وعمق ولما لا يثبت له لون
كالماء والهواء ولا تخرج
أجزاء الجسم عن كونها
أجزاء وان قطع وجزئ وهو
أعم من الجسد لان الجسد
لا يقال الا لما له لون (والهيولى)
المادة المدبرة للصورة وهي
أصل الشئ كالفضة في
الدرهم وكان ارسطاطاليس
يسمى صاحب الهيولى وذلك
أن مذهبه في الدهر أن
أصل العالم قديم غير انه لم
يكن من طينة ولا كان شئ
مما نسميه العرض وللحكماء
في تحقيقها كلام طويل
لا يسع هذا المحل ذكره
(قاطعة انك انفردت بالجمال
واستأثرت بالكمال
واستعليت في مراتب الجلال
واستوليت على محاسن الخلال)
(قطعت) الامر اذا فصلته
عن الشك ومنه الدليل
القطعي والقطع الفصل فيما
يدرك بالابصار كالاجسام
وفيما يدرك بالبصيرة
كالامور العقلية (والكمال)
حصول غايات الغرض في
الشئ محسوسا أو معقولا
وقوله تعالى ثلاثة أيام في
الحج وسبعة اذا رجعتم تلك

لايكون علة للوجود وفيه نظر وقيل رافعه الخبر وهو باطل لان الخبر متأخر عنه وضعا وقيل بل هما مترافعان وقيل الابتداء رافعهما وهو ضعيف لان المعنى ماله هذه القوة وقيل الابتداء رفع المبتدا والمبتدا رفع الخبر وهو أقرب الاقوال وقد استوفيت هذه المسئلة فى تعليق لى على الحاجبية (الرأى) مجرور بالمضاف لابالاضافة الى المبتدا (صانتنى) صان فعل ماض والتاء ضمير برجع الى أصالة وهو فى موضع رفع لانه فاعل صان والنون الثانية نون الوقاية وهذه النون هى التى تقى الفعل من الكسر وما أحلى قول الامير أمين الدين أبى الحسن على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا معنى الى ليل شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع نصب على أنها مفعول صان وهذه الجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع رفع على أنها خبر المبتدا وهو أصالة والاصل فى الخبر ان يكون مفردا وقد يكون جملة اسمية مثل زيد ابوه كريم وفعلية كما فى البيت (عن) حرف جر وتجىء للمجاوزة كما هنا اى تجاوزت بى عن الخطل وتجىء بمعنى بعد كقوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق وتجىء بمعنى على كقول الشاعر

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(الخطل) مجرور بعن وسيأتى الكلام على الالف واللام فى قوله و يحرون كرام الخيل والابل *(وحلية) الواو تكون تارة للعطف كهذه وهى للتشريك فى الحكم بلا ترتيب فان الواو فى قوله تعالى واسجدى واركعى ما أفادت الترتيب وقيل لعل السجود كان قبل الركوع فى ذلك الزمان ثم نسخ وكذا قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والصحيح ان المسيح عليه السلام ما توفى بل رفعه الله اليه لان الخبر ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سينزل ويقتل الدجال وعلى هذا لا ترتيب فى الواو ولكن قال ابن عباس ومحمد بن اسحاق متوفيك أى مميتك والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم أكرمه الله تعالى بعد ذلك برفعه الى السماء واختلف فى مدة الوفاة فقال ابن وهب توفى ثلاث ساعات ثم رفع وأحيى وقال محمد بن اسحاق سبع ساعات ثم رفع وقال الربيع بن أنس نومه حال مارفعه واستشهد بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وقال أبو بكر الواسطى المراد انى متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك ومنهم من قال التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله انما هو روحه ذكر ذلك ليدل على ان الله رفعه بجسده اليه ومنهم من قال كل من رفع وانقطع خبره واثره عن الارض كان كالمتوفى ومنهم من قال فى الكلام حذف مضاف تقديره متوفى عملك وهو جائز (رجع) وتارة تكون بمعنى رب وتارة للقسم وتارة تكون واو مع وتارة تكون واو الحال وتارة تكون ضمير الفاعلين فى مثل يقومون أو علامة الرفع فى مثل الزيدون وتارة تزاد فى مرسوم الخط فى مثل عمرو فرقا بينه وبين عمر فاذا دخل تنوين النصب عمرا فلا دخول لها لان الفرق حاصل لكون عمر غير منصرف (حكى) أن بعضهم كان يكتب كتابا والى جانبه آخر فكتب عمرا بغير واو فقال له يا مولانا زدها واوا للفرق فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة واو ويعنى انه تفوضل وبعضهم

عشرة كاملة ليس للاعلام بأن الثلاثة والسبعة عشرة وانما ليبين أن بحصول صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهدى (والخلال) جمع خلة وهى الطريقة الحسنة مأخوذ من الخلة وهى الطريق فى الرمل وفى قوله استعليت واستوليت والجلال والخلال أنواع من الصناعات اللفظية من ترصيع وتجنيس ليس الغرض ذكرها

(حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه)

يعنى بارك فى الحسن فأخجلته وأصل الغض النقصان فى الطرف ويستعار لما سواه وبدأ بذكر الحسن فيما سرده من توارخ ذوى الاوصاف الشريفة لانه أول مايعجب المرأة من الرجل ثم ذكر المال والهمم والعلوم ونحو ذلك *والمراد ههنا يوسف عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وبه ضرب المثل فى الحسن ويستدل على حسنه بكتاب الله تعالى والحديث والآثار فن الكتاب قوله عز وجل فى ذكر امرأة العزيز والنسوة اللاتى لمنها على حبه

يرى أن تزاد بعد لا النافية في الجواب اذا قيل هل فعلت كذا فتقول لا وعافاك الله (يحكى) عن الصاحب بن عباد انه قال هذه الواو ههنا أحسن من واوات الاصداغ في خدود الملاح قال ابن الجوزى جمال الدين أبو الفرج رحمه الله روينا عن عمر رضى الله عنه انه قال لرجل عرّس هل كان كذا فقال لا أطال الله بقاءك فقال عمر رضى الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت وأطال الله بقاءك وتارة تكون الواو واو الثمانية في مثل قوله تعالى ثيبات وأبكارا وفي قوله تعالى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفي قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها أتى بالواو وهنا ولم يأت بها في ذكر جهنم لان للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية وسنأتي أسماء الجنة والنار فيما بعد ان شاء الله تعالى (وحكى) لي بعض الافاضل عن بعض الحكام في المدن الكبار انه ألقى درسا في هذه الآية الكريمة وقد قال في حق أصحاب جهنم انهم لما جاؤها فتحت لهم أبوابها على التعقيب لأن الفاء للتعقيب فلم يمهلوا للدخول بل أدخلوا على الفور وأما أهل الجنة فانهم لم يضطروا الى الدخول بل أمهلوا لانه قال وفتحت أبوابها (قلت) انظر الى هذه الغفلة في الاولى والثانية كونه ظنها اولا خارجة عن الكلمة ولم تكن من اصلها ووجدها ثابتة في الثانية فلم ينكرها ونقول هذه هي تلك الحمد لله واهب العقل اه وفي قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ولعمرى ان هذا استقراء حسن وبعض المحققين منع هذا وقال انما تقع بين المتضادين لان الثيبات غير الابكار والآمرين ضد الناهين وقال في قصة أهل الكهف انه أتى بالواو ومعا الثمانية لان القول الثالث أقرب الى الحق أو هو الحق لانه قال في القولين الاولين رجما بالغيب وفي الثالث قال تعالى قل ربى أعلم بعدتهم وقال في قصة أهل الجنة وأتت الواو لان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها زيادة في الضيق على من بها وأما أبواب الجنة فانها تفتح لاهلها قبل دخولهم اليها اكراما لهم لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب ورد هذا القول بأن الواو دخلت مع تعدد الصفات في قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب ولم تدخل في قوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الآية ولا تضاد بين الغفران وقبول التوبة (قلت) لو سقطت الواو من أبكار لاختل المعنى لانهن لا يكن ثيبات أبكارا معا فاضطر الى الواو لتدل على المغايرة قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله ان القاضى الفاضل رحمه الله كان يعتقد زيادة الواو في هذه الآية ويقول هي واو الثمانية الى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبي الجود المقرى فبين له انه وهم وان الضرورة تدعو الى دخولها ههنا والا فسد المعنى بخلاف واو الثمانية فانه يؤتى بها لا لحاجة فقال ارشدتنا يا أبا الجود اه والامام فخر الدين اعترف بأن الواو في قوله تعالى وثامنهم كلبهم واو الثمانية وعلى الجملة ففي هذه الواو مباحث جليلة جمعتها في كراسة أضربت عن اثباتها ههنا خوفا من الاطالة والواو التي في سبحانك اللهم وبحمدك قال أبو اسحاق الزجاج سألت أبا العباس المبرد عن العلة في ظهور الواو ههنا فقال لقد سألت أبا عثمان المازنى عما سألت عنه فقال المعنى سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك (قلت) وأما واو عمرو فقد نظم الشعراء فيها كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو اشجع السلمى

قل لمن يدعى سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما انت من سليمى كواو * ألصقت في الهجاء ظلما بعمرو

(وأعتدت لهن متكأ) الى آخر الآية قال المفسرون المتكأ النمرق الذي يتكأ عليه وقيل المتكأ هو الطعام والاصل فيه ان من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة فسمى الطعام متكأ على الاستعارة وقيل متكأ طعاما يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان الطعام اذا كان كذلك احتاج الانسان الى أن يتكئ عند القطع وقيل المتكأ الاترج وهو شاذ أنكره أبو عبيدة (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) قيل عظمنه ورأينه كبيرا عما في أنفسهن وقيل لحضن والهاء للسكت مثل انه بمعنى ان وهو قول شاذ ولا يعرف في اللغة الاكبار بمعنى الحيض الا ان تكون الصغيرة بالحيض تدخل في معنى الكبيرة ولا في الطب أن المرأة تحيض اذا رأت ما يروعها الا أن تكون حاملا فيحصل لها اسقاط فتحيض والقول الاول من أن معنى الاكبار التعظيم أصح وأحسن (وقطعن أيديهن) كناية عن الدهش والحيرة اما أنها دهشت وكانت تقطع في يديها وهي تظن أنها تقطع في الفاكهة أو الطعام واما أنها تناولت السكين من موضع النصل وهي تظن أنه من

(حكي) ان بعض الناس رأى في منامه انه قد كتب على ظفره واوا فجاء الى المعبر وقص الرؤيا عليه فقال له أنت دعى في نسبك واستشهد بالبيتين وقال آخر يهجو

غير المقول عيوبه كالواو من * عمرو يرى واللفظ عنه قصير
كالنون من زيد يقال مديحه * باللفظ لكن لا يراه بصير

(وقال التهامي)

لغو كحرف زيد لامعنى له * اوواو عمرو فقدها كوجودها

(وكان) الجاحظ يزعم ان عمرا أرشق الاسماء وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجا وكان يسميه الاسم المظلوم ومعنى ذلك الزاقهم به الواو التى ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا اشارة اليها ويزعم ان هذا الاسم لم يقع في الجاهلية الا على فارس مذكور او ملك مشهور اوسيد مطاع اورئيس متبوع ثم انه يقول بعد ذلك عمرو بن هاشم وعمرو بن سعيد الاكبر وعمرو الاشدق وعمرو بن العاص وعمرو بن جمة وعمرو بن يحيى بن قمعة وعمرو بن معد يكرب وعمرو بن عبد ود وعمرو بن الشريد وعمرو بن الحمق الى ان يذكر عمرو بن عبيد وعمرو بن قائد وغيرهم ثم يحتج بقول ابى نواس

فقلت له ما الاسم قال شمردل * على انني أكنى بعمرو ولا عمرا
وما شرفتني كنية عربية * ولا أكسبتني منه سناء ولا فخرا
ولكنها خفت فقلت حروفها * وليست كأخرى انما خلقت وقرا

قلت انما كان الجاحظ يقول هذا لان اسمه عمرو وكنيته ابو عثمان وقال ابو سعيد الرستمى

أفى الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم ما بين الورى شاعر مثلى
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة * وضويق اسم الله فى ألف الوصل

(وما) أحلى قول ابن نفادة

أفل وجدى مذ تناءوا فكر * وبعض ما ألقاه فيهم سهر
أنحلنى الوجد فجسمى ألف الــوصل وأسقامى ليست تظهر

(وقد) جمع السراج الوراق رحمه الله هذه الواوات فى أبيات وأحسن فيها حيث قال ومن خطه نقلت

مالى أرى عمرا أبى استجرت به * فقد صار عمرا بواو فيه وانصرما
ونام عن حاجة نبهته غلطا * بها فألفيت منه السهد والاسفا
والمستجير بعمرو قد سمعت به * فأزيدك تعرفها عرفا
وتلك واو ولا والله ما عطفت * ولو أتت واو عطف ما أتت طرفا
ولو أتت واو حال لم تسد ولو * أتى بها قسما ما برّ إذ حلفا
أو واو رب لما جرت سوى أسف * وكثرته خلافا للذى ألفا
أو واو مع لم أجد خيرا أتى معها * أو واو جمع غدا من فرقة نتفا
وليت صدغا بها قد شبهوه غدا * يكوى بنارى وهذا فى السلو كفى
والله يطمسها واو ذكرت بها * دالابوسطى وكانت قبل ذا ألفا

(قلت) أما تشبيه الصدغ بالواو فهو كثير مشهور بين الشعراء ومن ذلك قول ابن قلاقس

موضع النصاب فتجرح يدها والالتذاذ بالنظر يمنعها من وجود الالم وفى هذا من الكناية عن الحسن ما لا مزيد عليه (وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) المقصود اثبات الحسن لانه تعالى ركب فى الطباع أن لا شئ أحسن من الملك وقد عاين ذلك قوم لوط فى ضيف ابراهيم من الملائكة كما ركب فى الطباع أن لا شئ أقبح من الشيطان وكذلك قوله تعالى فى صفة جهنم طلعها كأنه رؤس الشياطين فكما تقرر فى الطباع أن اقبح الاشياء هو الشيطان فقد تقرر أن أحسن الاشياء هو الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك * وأما الحديث فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت بيوسف فى الليلة التى عرج بى فيها الى السماء فقلت لجبريل من هذا قال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر * ومن الآثار قولهم انه كان اذا مشى فى أزقة مصر يتلألأ نور وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس من الماء عليها وقولهم انه ورث الحسن من جدته سارة التى هم الملك بأخذها من ابراهيم وزاد عليها وقصتها مشهورة

الاسكندرى وهو مليح

قرنت بواو الصدغ صاد المقبل * وابديت لاما من عذار مسلسل

فان لم يكن وصل لديك لعاشق * فماذا الذى أبديت للمتأمل

(وقال) البهاء زهير فيما أظن

عسى عطفة للوصل يا واو صدغه * وحقك انى أعهد الواو تعطف

(وقول) السراج والله يطمسها واوا البيت يريد بذلك احليله وانه قد تعقف من الكبر فكان واوا لكنه منحن كالدال بعد أن كان كالالف وله فى هذا المعنى عدة مقاطيع منها قوله ومن خطه نقلت

انحل ايرى منى * كانهم عقدوه

وصار يحضن بيضى * كانهم رقدوه

(وقوله أيضا)

كان ايرا صار سيرا * يا طم الا كياس سخره

كيف لا ينأين عنى * ومعى شيب ودره

(انشدنى) لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى اجازة

وكان اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره

فاصبح لا يقوم لبدر تم * كأن النحس قد ولى الوزاره

(وقولهم) وقع رمضان فى الواوات يريدون انه جاوز العشرين فلا يذكر الا بواو عطف (وما) احسن قول محمد بن على بن منصور بن بسام

قد قرب الله منا كل ما شسعا * كانى بهلال الفطر قد طلعا

فخذ للهوك فى شوال اهبته * فان شهرك فى الواوات قد وقعا

(وكذا) قول بعضهم وقع الشهر فى الاثنين مرادهم انه يقال فيه احد وعشرين ثانى وعشرين فيكرر فيه الاثنين وفى أمثال العوام اذا وقع رمضان فى الاثنين خرج شوال من الكمين (رجع الى الاعراب) حلية مبتدا والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول وأما الذى فانها ظرف مكان موضعها النصب والعامل فيها زانت (المعنى) وأبى الاصيل يصوننى عن الاضطراب فى القول والعمل وحليه على تزيننى عند العطل أى التعرى عن أعراض الدنيا وزخرفها ولعمرى ان الانسان شئ وراء الزينة واللبس والشكل والرواء وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء باصغريه قلبه ولسانه وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسنه قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين عند ذكر هذه الكلمة لو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية اه (وقيل شعر)

واجهد لنفسك واستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(وأنشدنى بعضهم)

كمل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه فى الحضيض الاسفل

أتكمل الفانى وتترك باقيا * هملا وأنت بأمره لم تحفل

ويروى أنه عاش مائة سنة وتوفى بمصر ودفن فى نهر الفيوم الذى أحكم صنعته البديعة * ومن كلامه قيل له ماصنع بك اخوتك فقال لا تسئلونى عن صنيع اخوتى واسئلونى عن صنيع ربى ودعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم الاخيار ولا تخف عنهم الاخبار فيقال انهم أعرف الناس بما تجدد من الاخبار فى البلدان والله أعلم

(وان امرأة العزيز رزأتك فمات عنه)

(امرأة العزيز) زليخا المشغوفة بحب يوسف صار الحب شغافا لقلبها والشغاف جلدة رقيقة تحيط بالقلب وقرئ شعفها بالعين والشعاف أعالى الجبال كأن الحب بلغ أعلى قلبها وما كانت تسلو مع ذلك الحب الا باضعاف ذلك الحسن ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد أن ملك مصر واحتاجت اليه سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية

(وأن قارون أصاب بعض ما كنزت)

(قارون) هو المذكور فى الكتاب العزيز قال بعض المفسرين اختلف فى نسبه فقيل كان ابن عم موسى عليه السلام لان موسى ابن عمران

النفس للجسم النفيسة آلة * مالم تحصله به لم يحصل
يفنى ويبقى دائما فى غبطة * أبدية أو شقوة لا تنجلى
شرك كثيف أنت فى حبلاته * بادر الى وجه الخلاص وعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ماباله يرضى بادنى منزل

والرأى مازال محمودا عند العقلاء قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه رأى الشيخ خير من مشهد الغلام وقال أبو فراس الحمدانى

ولا أرضى الفتى مالم يكمل * برأى الكهل اقدام الغلام

(وقال أيضا)

فما اشتورت الا وأصبح شيخها * ولا احتربت الا وكان فتاها

ولو قال استحربت مكان احتربت لكان حسنا * ولما همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبى العاص وكان فيهم مطاعا فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا فنفعهم الله برأيه (وكان) الحباب بن المنذر يدعى ذا الرأى أشار يوم بدر على النبى صلى الله عليه وسلم أن ينزل على آخر ماء ببدر ليبقى المشركون على غير ماء وكان برأيه الخير لان ذلك أضر بكفار قريش * والمشهورون بالرأى والدهاء خمسة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن الانصار قيس بن سعد بن عبادة ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعى رضى الله عنهم * وقال بعضهم دهاة العرب أربعة معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد ابن أبيه أما معاوية فللاناة والحلم واما عمرو فللمعضلات واما المغيرة فللمبادهة واما زياد فللصغير والكبير ويقال ذوو رأى العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وعبد الله بن بديل ذكرهم الشعبى فى بيت

من العرب العرباء قد عد أربع * دهاة فما يؤتى لهم بشبيه
معاوية عمرو بن عاص مغيرة * زياد هو المعروف بابن أبيه

ثم جمعت الستة فى قولى

من العرب ان رمت الدهاة فستة * موائد فضل مابهن طفيلى
معاوية عمرو زياد مغيرة * وقيس وعبد الله نجل بديل

وقال أبو الطيب المتنبى

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران

وقال أيضا

نفت التوهم عنه حدة ذهنه * فقضى على غيب الامور تيقنا

وقال الامير بدر الدين بن نشو الدولة أحمد بن نفادة

العلم للاعلام أقوى ناصب * والرأى للرايات أثبت حامل

ابن قاهث وقارون ابن يصهر ابن قاهث وقيل كان ابن خالته وهو أول من ضرب به المثل فى كثرة المال وفى قوله تعالى (كان من قوم موسى) دليل على ايمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجها وقراءة للتوراة ويسمى المنور لحسنه وقيل انه كان من السبعين المختارة قال الله تعالى (وآتيناه من الكنوز) الكنز يطلق على ما جمع عن المال سواء كان فى باطن الارض أو ظاهرها (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) أى تنوء بها العصبة تتكلف بها النهوض وهذا من القلب المستعمل فى كلام العرب مثل دخل الرأس الظل ٣ وعرضت الدابة على الحوض واختلف فى المفاتح فقيل مفاتح أبواب الخزائن وكانت وقر ستين بغلا وهو قول واه وقيل المفاتح الخزائن نفسها وقد يسمى الشئ بما لابسه وقيل المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب يعنون انه أوتى من الكنوز مالو حفظه والاطلاع عليه ليثقل على العصبة أولى القوة أى يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها (قال انما أوتيته على علم عندى) أى على خير وصلاح علمه الله منى وقيل على علم بالمكاسب

ولرعاء علم المغيب من له * فهم صحيح باتضاح دلائل
وأخو الحجا بالفكر منه يستدل على أواخر أمره بأوائل
علم المجرب شمسه يهدى بها * والرأى مرآة اللبيب العاقل
لكنه كالسيف يصدأ ثم يجلى بالاشارة لا بكف الصاقل

وقال أبو تمام

وماشئ من الاشياء أمضى * على المهجات من رأى سديد

وقال البحترى

يوم أرسلت من كتائب آرا * ئك جندا لا يأخذون عطاء
ويود الاعداء لو تضعف الجيش عليهم وتصرف الآراء

قلت لو كان لى فى هذا البيت حكم لقلت بدل تصرف تضعف أيضا فيكون الاول من الاضعاف وهو الزيادة بالمثل والثانى من الضعف وهو المرض والوهن على ان تصرف أمدح وتضعف أصنع (وقال) على بن الجهم

فهمته جيش وعزمته سرى * وفكرته حرب وآراؤه جند

(وقال) ابن حيوس

وما البطش الشديد بمفيد عز * اذا لم يعضه الرأى السديد

(وقال ابن مكنسة)

بت جاره فالعيش تحت ظلاله * واستقه فالبحر من أنوائه
يلقى الخطوب بمثلها من صبره * والباترات بمثلها من رائه

وقال ابن المعتز

وأثارنى الدهر عصبا مهندا * يفل شبا الخطى وقلبا مشيعا
ورأيا كمرآة الصناع أرى به * سرائر غيب الدهر من حيث ما سعى

قلت ما رأى من غيب الدهر شيأ فانه ولى الخلافة يوما واحدا ثم قتل (وقال التهامى)

وللمعادى رتب فى الحجا * الرأى ثم الكيد ثم الكفاح
قد يغلب المرء بتدبيره * ألفا ولا يغلبهم بالسلاح

(قيل) ان الملك العزيز بن صلاح الدين لما أتى عمه العادل لقتاله ووصل بالعساكر الى بلبيس ضاق الامر به وأراد النفقة فى الجيوش ولم يكن عنده شئ فقيل له ان القاضى الفاضل عنده من الاموال ما يقوم بما تريده فقال أستحى ان أطلب منه شيأ فألزموه بطلبه فلما علم بوصوله دخل الى الحريم حياء منه فتضرع القاضى الفاضل له حتى خرج اليه وحكى له القصة فقال له كل ما أنا فيه من نعمة فهى من صدقاتكم والمال عندى يكفى ما ترومه ولكن دعنى أتوجه الى العادل وأطلب منه الصلح فان وافق فبها ونعمت والا فالنفقة قدامنا والمحاربة أمامنا ثم ان القاضى الفاضل توجه الى الملك العادل ولم يزل يسحره ببيانه ويفتل فى ذروته والغارب بلسانه حتى رد راجعا ولم يدخل وكفى الله العزيز أمره تلك المرة برأى الفاضل * ومن شعر مؤيد الدين الطغرائى صاحب القصيدة

لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص

والتجارات وقيل على علم الكيميا وكان الزجاج يقول هذا قول لا أصل له فان الكيميا باطلة ولا حقيقة لها (فخرج على قومه فى زينته) قيل خرج راكبا بغلة شهباء بسرج من ذهب ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب عليهن الحلى والحلل والزينة فكاد يفتن بنى اسرائيل ثم بغى وتكبر حتى أهلكه الله * واختلف فى سبب بغيه وهلاكه فقيل انه كان قد حسد هرون على الحبورة وذلك أن موسى عليه السلام لما قطع البحر وأغرق الله فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وهى القربان تأتى بنو اسرائيل بهداياهم الى هرون فيضعها فى المذبح فتنزل نار فتأكلها وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك فى نفسه وقال ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ لا أصبر على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعله الله له فقال والله لا أصدقك أبدا حتى تأتينى بآية فأمر موسى رؤساء بنى اسرائيل أن يجئ كل رجل منهم بعصاه فجاؤا بها فألقاها موسى عليه السلام فى قبة له وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعا موسى أن يريهم

فالدر وهو أجل شيء يقتني * ما حط قيمته هوان الغائص

وقال القاضي الحشيشي

ولي صاحب ما خفت مكروه طارق * من الامر الا كان لي من ورائه

اذا عضني صرف الزمان فانني * برايته أسطو عليه وورائه

وقال أبو الفتح البستي

عولي على رأيه اذا حزبت * نائبة من نوائب الزمن

فليس في الارض معقل أشب * كرائه من كرائه المحن

هذان الجناسان اللذان في هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفو وهو ان يكون أحد ركني الجناس مركبا من جزأين أولهما حرف من حروف المعاني وقد ذكرت ذلك مستوفى في كتابي المسمى جنان الجناس (وما) أحلى قول أسعد بن مماتي

طبع الجناس فيه نوع قيادة * أوما ترى تأليفه للاحرف

ونظمت أنا في هذا المعنى

ألا ان من عاني القريض بطبعه * يقود فأرسله لمن صد واحتشم

ألم تره ان قال شعرا مجانسا * يؤلف ما بين الحروف اذا نظم

ونظمت فيه أيضا

ما ناظم الشعر في محل فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا

ألف هذا حروفه وسمت * همته هذا فألف الحرفا

وقال ابن سنا الملك

وشاعر كاتب أديب * منتظم العقل والقياس

قلت له والفضول داء * وهو كما قيل كالعطاس

لم كنت تبغي فصرت تبغو * فال من العشق في الجناس

وقلت أنا

تعشقته جارا أسال مدامعي * وحملني ما ليس يحمله الناس

فجار وأجرى حين جاور واجترى * فأفاته مما يروم جناس

(وقلت)

اني محلي أناس * بهم تحلى المديح

زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

(وقلت)

لله قوم حموني * من حادثات الليالي

صانوا وصابوا وصالوا * كذا جناس المعالي

(رجع القول الى الرأي) لما استولى الاسكندر على ملك فارس كتب الى ارسطو يأخذ رأيه في ذلك فكتب اليه الرأي أن توزع مملكتهم بينهم وكل من وليته ناحية سمه بالملك وأفرده بملك ناحيته واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان المسمى بالملك لا يخضع لغيره ولا ينشب في ذلك أن يقع بينهم تغالب على الملك فيعود حربهم لك حربا بينهم فان دنوت منهم دانوا لك وان

الله بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون أما ترى صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل عن معه من بني اسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى وقيل انه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل ألف دينار دينار وألف شاة شاة وعلى هذا الاسلوب فحسب ذلك فوجده مالا عظيما فجمع قومه من بني اسرائيل وقال ان موسى يأمركم بكل شئ فتطيعونه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال على بفلانة البغي فأعطاها مائة دينار وأمرها أن تقذف موسى بنفسها وجاء الى موسى وقال ان قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم فخرج فقام فيهم خطيبا وقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى جلدناه فان كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي فقال علي بها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت

نأيت تعز زوابك وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحد انهم بعدك شيأ فلما بلغ الاسكندر ذلك علم أنه الصواب وفرق القوم في الممالك فسموا ملوك الطوائف فيقال انهم لم يزالوا برأى ارسطو مختلفين أربعمائة سنة لم ينتظم لهم أمر (وحكى) ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليها أحد فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم في ذلك فكلهم أشاروا عليه بعدم تجهيزها الا مطرانا واحدا فانه قال جهزها اليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها (حدثنى) من اثق به ان الشيخ تقى الدين احمد ابن تيمية رحمه الله كان يقول ما أظن ان الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها (قلت) ان المأمون لم يبتكر النقل والتعريب بل نقله قبله كثير فان يحيى بن خالد البرمكى عرب من كتب الفرس كثيرا مثل كليله ودمنه وعرب لاجله كتاب المجسطى من كتب اليونان والمشهور ان أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيميا (وللتراجمة) في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما انه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها الثانى ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة في جميع اللغات * الطريق الثانى في التعريب طريق حنين بن اسحاق والجوهرى وغيرهما وهو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ أم خالفتها وهذه الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحاق الى تهذيب الا في العلوم الرياضية لانه لم يكن قيما بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعى والالهى فان الذى عربه منها لم يحتج الى اصلاح فاما أوقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحرانى وكذلك المجسطى والمتوسطات بينهما (رجع القول الى ما يتعلق بالمأمون) والخلاف ما زال في هذه الامة منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعى الزكاة الى غير ذلك بل في نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما قال ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى على ما هو مذكور في مواطنه وقد روى انس بن مالك رضى الله عنه انه عليه أفضل الصلاة والسلام قال ان بنى اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهى الجماعة وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى قد أخبر ان الامة ستفترق ومتى افترقت خالف بعضها بعضا ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج وناظر كل فرقة من يخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما فهذا الامر كان غير مأمون قبل المأمون ثم زاد الشر شرا والضر ضرا وقويت به حجج

ما يقول هذا فقالت لا والله يا نبى الله وانما جعل لى جعلا حتى أقذفك بنفسى فسجد موسى يبكى ويتضرع فأوحى الله اليه مر الارض بما تشتهيه فقال يا أرض خذيه يعنى قارون فأخذته حتى غيبت بعضه ثم لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبق من جسده الا القليل وهو يتضرع الى موسى ويسأله وهو يقول خذيه الى أن غاب وقال ابن الجوزى وهو يناشده الرحم فما رحمه فاوحى الله الى موسى ما أقطعك وعزتى لو استغاث بى لاغثته قيل ولما خسف به قال بعض الجهال من بنى اسرائيل انما قصد موسى أخذ داره وكانت مبنية بالذهب والفضة فسأل الله خسف بداره وقيل أراد بداره منزله والعرب تسمى المنزل دارا هذا قول من زعم انهم كانوا في التيه اذ ليس ثم دور والقول الآخر قول من زعم أن الواقعة كانت بمصر والله أعلم

(والنطف عثر على فضل ماركزت)

(الفضل) ههنا بقية الشئ و(الركز) والركاز دفين مال الجاهلية وفي الحديث في الركاز الخمس (والنطف) رجل من العرب أصاب مالا فضرب به المثل واختلفت

المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الاهواء ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها
في مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على
الراقع وكاد منار الحق الواحد يشتبه بالثلاث الاثافي والرسوم البلاقع على ان السنة
الشريفة مرفوعة المنار مأمونة الشرار خافقة الاعلام راسخة الاحكام باهرة السنى
ساطعة غضة الجنى يانعة

ويزيدها مر الليالي جدة * وتقادم الايام حسن شباب

وأهل السنة فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها وذللوا بالشواهد الصادقة الصادعة ما جمح
من صعابها واطلعوا انيرها الاعظم فطمس من البدع تألق شهابها وأجنوا من اتبع هداهم
ثمر اليقين متحد النوع وان كان متشابها وجاسوا خلال الحق فيروزه وأهل ملة أخبر بشعابها

ومن قال ان الشهب أكبرها السها * بغير دليل كذبته ذكاء

(قال) ابو بكر الصيرفي الفقيه الشافعي الاصولي كانت المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى اظهر الله
ابا الحسن الاشعري فحجزهم في اقماع السمسم اه (قلت) ومن وقف على طبقات المعتزلة
للقاضي عبد الجبار علم قدر ما كانوا عليه من العدد والعدد (وحكي) ان أبا الحسن الاشعري
رحمه الله تعالى كان تلميذا لابي علي الجبائي قرأ عليه وتمذهب بمذهبه لان الجبائي كان زوج أم
الشيخ أبي الحسن فاتفق أن جرت بينهما مناظرة في وجوب الاصلح والصلاح على الله تعالى
فقال له الشيخ أبو الحسن أتوجب الصلاح أو الاصلح على الله تعالى في حق عباده فقال نعم فقال
ما تقول في ثلاثة صبية اخوة اخترم الله تعالى منهم أحدهم قبل البلوغ وبقي اثنان فاسلم
احدهما وكفر الآخر ما العلة في اخترام الصغير ان سأل ربه تعالى فقال لم اخترمتني دون اخوي
فقال له ابو علي انه لو عاش لكفر فكان الاصلح اخترامه فقال الشيخ ابو الحسن فقد أحيا
احدهما وكفر فهلا اخترمه علا بالاصلح له فقال له أبو علي انما احياه ليعرضه لاعلى المراتب
فهو الاصلح له فقال له الشيخ ابو الحسن فهلا احيا الذي اخترمه ليعرضه لاعلى المراتب كما فعل
بأخيه اذ قلت انه الاصلح له فانقطع ابو علي ولم يحر جوابا ثم قال الشيخ ابو الحسن اوسوست قال
ابو علي ما وسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة ثم فارقه الشيخ ابو الحسن وخالفه
وخالف سائر المعتزلة اللهم انا نسألك لطف الهداية والعصمة ودوام النعمة التي لا تماثلها نعمة
والثبات بالقول الثابت حتى نحشر مع الفرقة الناجية من هذه الامة انك اهل التقوى واهل
المغفرة وولي الخيرات التي وجدناها برسولك الصادق الامين لنا مدخرة وهذا الالزام من
الشيخ ابي الحسن رضي الله تعالى عنه في غاية الحسن (ومن الالزام) ايضا ما حكي أنه توفي لصالح
ابن عبد القدوس ولد فحضر اليه ابو الهذيل العلاف ومعه ابراهيم النظام وهو صغير فوجده
يتلظى حزنا على ولده فقال له لا ارى لتحرقك وجها اذ الناس عندك كالنبات فقال يا ابا الهذيل
انما تحرقي لانه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال وما هذا قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما
كان حتى كانه لم يكن وفيما لم يكن حتى كانه كان فقال له ابراهيم النظام فابن أنت على انه لم يمت
وان كان قد مات وعلى أنه قرأ الكتاب وان لم يكن قرأه فلم يحر جوابا (ومن الالزامات) نظما
قول ابن الرومي

ما عذر معتزلي موسر منعت * كفاه معتزليا معسرا صفدا

الاقوال فيه فبعض من
لا يعرف حقيقة أمره يقول هو
رجل كان يسقي الماء على
ظهره فكان ينطف أي يقطر
فسمي النطف ووجد خبيئة
من المال فعظم حاله واستغنى
بعد فقره وبعضهم يقول
النطف الرجل المتهم كان
الفقير يجد المال الكثير
فيقصد اخفاءه فيتهم ويظهر
عليه والصحيح ما ذكره
البلاذري أن النطف ابن
جبير بن حنظلة اليربوعي كان
مقيما بالبادية مع بني تميم
وكان باذام عامل كسرى على
اليمن يحمل ثيابا من ثياب
اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا
ويرسله الى كسرى مع خفراء
من بني الجعد المرازبة الى أن
يصل الى أرض بني تميم
فيبعث معها هوزة من
يجاوزها أرض بني تميم فلما
كان في بعض السنين في أرض
بني حنظلة تعرض لها بنو
يربوع فأغاروا عليها وقتلوا
من بها من العرب والاساورة
والفرس وكان فيمن فعل
ذلك ناجية بن عقال والحرث
ابن عقيبة والنطف بن جبير
وكانوا فرسان بني تميم فنهبوا
الاموال فحصل النطف على
شئ كثير من جملته خرجان
مملوآن مناطق ذهبا محلاة
بالجواهر النفيسة فباعها
متفرقة وضرب المثل بما

أيزعم القدر المحتوم ثبته * ان قال ذاك فقد حل الذي عقدا

(وسمعت) الشيخ تقي الدين بن تيمية ينشد

اصفع المجبر الذي * بقضاء السوء قد رضي
فاذا قال لم فعلـ * ـت فقل هكذا قضي

(وما) أحسن قول بعضهم

لئن كان حكم النجم لاشك واقعا * فما سعينا في رده بنجيح
وان كان بالتدبير يبطل حكمه * فقد صح أن الحكم غير صحيح

وقال أبو العلاء المعري

زعم المنجم والطبيب كلاهما * ان لا معاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولي فالوبال عليكما

وقال أيضا

عجبا للمسيح بين النصارى * والى أي والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
فاذا كان ما يقولون حقا * فاسألوهم في أين كان أبوه
واذا كان راضيا بقضاهم * فاشكروهم لاجل ما عذبوه
واذا كان ساخطا بأذاهم * فاعبدوهم لانهم غلبوه

ووجدت منسوبا الى أبي العلاء المعري أيضا

زعم الجهول ومن يقول بقوله * أن المعاصي من قضاء الخالق
ان كان حقا ما يقول فلم قضى * حد الزنا وقطع كف السارق

وهذه من مسائل الاعتزال والجواب عنها مذكور في مسئلة خلق الافعال وقال أيضا

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت في ربع دينار
تحكم مالنا الا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار

فأجاب علم الدين السخاوي

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

(وحكي) ان بعض اليهود صحب قدريا في الطريق فقال له لاي شئ لم تسلم فقال له لو شاء الله تعالى لاسلمت فقال ان الله تعالى قد شاء ولكن الشيطان لا يدعك فقال اليهودي أنا مع أقواهما فلم يحر القدري جوابا (وناظر) بختويه النيسابوري عافية بن شبيب البصري فقال له بختويه ما دليلك على اثبات الخالق فقال له شعرة أملك التي تحلقها فنبتت فلو لم يكن لها منبت لم تنبت فقال له بختويه ينبغي ان يكون بظفر أملك حين قطع ولم ينبت دليلا على انه لا منبت فأفحمه (وأما حلية الفضل) فانها أفضل حلية وأنفس شئ تطمح اليه نواظر الامنية وهي جمال من ليس له جمال وكمال من يتعلم منه البدر الكمال * ومن كلام ابن المعتز العلم جمال لا يخفى ونسب لا يجفى قيل ان بعض الملوك شتم بقراط فقال له انما تفتخر على بغيرك ولكن رد كل جنس الى جنسه وتعال فتكلم * وقال المأمون لبعض أولاده وقد سمع منه لحنا ما على أحد كم ان يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين بها مشهده ويفل بها حجج خصمه ويملك مجالس سلطانه

أصابه وقيل انه فرق على الفقراء من عشيرته منذ طلعت الشمس الى أن غابت وفي ذلك يقول بعض ولده

أبي النطف المباري الشمس اني
عريق في السماحة والمعالي

ومات النطف حتف أنفه بعد أن جرت بين العرب والفرس بسببه حروب عظيمة

(وكسرى حمل غاشيتك) كسرى اسم لملوك الفرس وقيصر للروم وخاقان للترك وتبع لحمير والنجاشي للحبشة واختلف في نسب الفرس على أقوال أحدها أنه فارس ابن سام بن نوح وقيل فارس ابن افريدون بن اسحق عليه السلام وكان في العرب من يفتخر بفارس على قحطان والفرس يقولون انه ابن كيومرث وكيومرث عندهم آدم عليه السلام وانه أول من ملك الفرس وكان منفردا عن العالم وليس في زمانه ظلم ولا فساد فكثر البغي والظلم فاجتمع الحكماء أهل زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم في اقامة ملك يورد الامور ويصدرها كما ان صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جنس العالم الكبير لا تستقيم أموره الا برئيس يدبره على ما تقتضيه قضايا العقول فساروا الى فارس بن كيومرث فقالوا أنت

بظاهر بيانه أيسر أحدكم ان يكون اسانه كلسان عبده أولسان أمته فلا يزال الدهر أسير كلمته

(دخل) الاحنف بن قيس على معاوية وافدا لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدى معاوية اقتحمتهما عيناه فقال النمر يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها فأومأ اليه فجلس

(وحكى) المسعودى فى شرح المقامات أن المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدى أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدى التفت اليه وقال كم سنك يافتى قال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال له تقدم بارك الله فيك (قلت) كذا ذكره المسعودى والصحيح ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى فى تاريخه الكبير ان اياسا قاضى البصرة توفى فى زمن بنى أمية سنة مائة وتسع عشرة ولم يلحق دولة بنى العباس ويقال سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة وكان معروفا بالذكاء والفطنة والفراسة ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز وحسبك عن مختاره مثل عمر لهذا المنصب (وذكر) الخطيب فى تاريخ بغداد أن يحيى بن أكثم ولى قضاء البصرة وسنه عشرون سنة أو نحوها فاستصغروه فقالوا كم سن القاضى فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجهه النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجهه النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سوار الذى وجهه عمر ابن الخطاب قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا وقد جمع بعضهم مجلدا فى ذكاء اياس بن معاوية ويقال انه نظر الى نسوة ثلاث فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فكان الامر على ما ذكر فقيل له من أين لك ذلك قال لما فزعن وضعت احداهن يدها على بطنها والاخرى على ثديها والاخرى على فرجها (ونظر) يوما الى رجل غريب لم يره قط فقال هذا رجل غريب واسطى معلم كتاب هرب له غلام فسئل فوجد الامر كما ذكر فقيل له من أين لك ذلك قال رأيته يمشى ويتلفت فعلمت انه غريب ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ويدع الرجال واذا مر بذى هيئة لم يلتفت اليه واذا مر بأسود ذى أسمال يتأمله وأين هذه من فراسة أبى الحرث جمير وقد أنشد بين يديه قول العباس بن الاحنف

قلبى الى ما ضرنى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

ان دام لى هجرك مع كل ذا * يوشك أن ينعانى الناعى

فبكى وقال هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة فقيل له من أين لك هذا فقال لانه بدأ فقال قلبى الى ما ضرنى داعى وكذلك الانسان تدعوه شهوته وقلبه الى ما يضره من الطعام والشراب فيأكل فتكثر عليه أوجاعه وهذا تعريض ثم صرح فقال كيف احتراسى البيت وليس للانسان عدو بين أضلاعه الا معدته فهى تتلف ماله وهى سبب أسقامه ومفتاح كل بلاء عليه ثم قال ان دام لى هجرك البيت فعلمت ان الطباخة كانت صديقته وهجرته ففقدها

أفضلنا وبقية أبينا آدم عليه السلام ولا بد من تقديمك علينا وتفويض أمورنا اليك فأخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة ووضع التاج على رأسه تميز اله وهو أول من لبسه ثم خطب بالسريانية وهو لسان آدم عليه السلام ويقال لو ترك كل أحد من بنى آدم لتكلم بالسريانية بالطبع فتكلم بكلام معناه الشكر والدعاء والمعونة والهداية وأقام مدة طويلة يدبر الملك وتوفى وملك بعده أوشهنج وملوك الفرس تنسب اليه وللفرس مبالغات عظيمة فى وصف كيومرث ومنهم من يزعم أنه آدم نفسه وانه خلق من الريباس وعاش ألف سنة
*و كسرى يقال بفتح الكاف وكسرها وجمع جمعين على غير قياس الاكاسرة والكسور وذلك أن حد الافعاله أن يكون جمع الافعال مثل اسكاف وأساكفة وأما الكسور فانه جمع بتقدير طرح الالف مثل جذع وجذوع قال الاعشى

انه كائن أبا الكسور

والمراد ههنا كسرى أنوشروان فانه أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا وهو كسرى أنوشروان ابن قباذ بن فيروز وفى أيامه ولد النبى صلى الله عليه وسلم وقال ولدت فى زمن الملك

وفقد الطعام ولودام عليه لمات جوعا ونعى (أخبرنى) الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قال أخبرنى الحكيم علم الدين عبد الرحيم بن أبى خليفة رئيس الاطباء عن والده الحكيم الرشيد أبى خليفة رئيس الاطباء بمصر زمن الملك الكامل انه أتت اليه امرأة من الريف ومعها ولدها وهو مصفر ناحل فوضع يده فى نبضه وقال لغلامه ناولنى الفرجية فتغير النبض تحت يده فى الحال فقال لها هذا الغلام عاشق واحدة اسمها فرجية فقالت اى والله يا مولاى وقد عجزت فى عذله فعجب الحاضرون من ذلك (أقول) ان الحكيم الرشيد انما اهتدى الى ذلك من كلام الشيخ أبى على بن سينا فى القانون حيث ذكر العشق فانه قال ومما يتوصل به الى معرفة المعشوق اذا كتمه العاشق ان يضع يده على نبض العاشق زمانا ويذكر أسماء وصنائع فتى اختلف النبض اختلافا شديدا واضطرب دفعة عند ذكر واحد منها فهو المعشوق ولو قال الشيخ بدل قوله وصنائع وصفات لكان أجمل والمعنى حاصل (يقال) أصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز فى قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب التى قالت لابيها يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر فى الوصية بالخلافة لعمر (رجع القول الى ذكر حلية الفضل) قال الشريف الرضى

ان يبل ثوبى فانى اكتسى حسبى * أو تردخيلى فانى راكب منى
لقد تقدم بى فضلى بلا قدم * أعظم بامر على ذى السن قدمنى

وتولى قضاء المعرة القاضى أبو على عبد الباقى بن أبى حصين وهو ابن خمس وعشرين سنه واقام فى الحكم خمس سنين فقال

وليت الحكم خمسا وهى خمس * لعمرى والصبا فى العنفوان
فلم تضع الاعادى قد رشانى * ولا قالوا فلان قد رشانى

ولقاضى القضاة ابن حجة

يا أيها السلطان لا تستمع * فى حق قاضيك كلام الوشاه
والله لم يسمع بان امرأ * أهدى له شيأ ولا قدرشاه

(وقال بعضهم)

قد قال قوم أعطه لقديمه * جهلوا ولكن أعطنى لتقدمى
فانا ابن نفسى لا ابن عرضى أحتذى * بالفضل لا برفات تلك الاعظم

(وقال آخر)

ان الامير هو الذى * يضحى أميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * ية لم يزل سلطان فضله

أنشدنى لنفسه اجازة القاضى زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عنى * كان لى الجاه بالعلوم

لما تولى الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن على الزملكانى قضاء حلب عامل أهلها بالتشديد فقال له نائب السلطنة الامير علاء الدين ٣ لطفا يا قاضى لاى شئ لم تعاملنا كما كان

العادل يعنى كسرى وكان ملكا حليلا محببا للرعايا تام التدبير فتح الامصار العظيمة فى الشرق وأطاعته الملوك وتزوج ابنة خاقان ملك الترك وقتل مردك وأصحابه وذلك ان أباه قباذ قد بايع رجلا زنديقا يسمى مردك أحدث مقالات فى اباحة الفروج والاموال وقال انما الناس فيها سواء وكان لا يسفك الدم ولا يأكل اللحم وانه دخل يوما على قباذ وعنده زوجته أم كسرى وكانت من أحسن النساء وعليها حلى عظيم فأعجبته فقال لقباذ انى أريد أن أنكحها الان فى صلبى نبيا يكون منها فأطاعه قباذ لقوله عقالته فلما هم مردك بها وكان كسرى صغيرا قبل قدميه وتضرع له فى أن لا يفعل فوهبها له فاول ما ولى كسرى بعد موت أبيه قتل مردك وأصحابه فعظم فى عين الفرس وأحبوه وسلك سيرة أردشير وتوطدت مملكته وبنى المبانى المشهورة منها السور العظيم الباقى الذكر على جبل الفتح عند باب الابواب وأقام الحرس وحسم المادة من فساد من خلفه ومنها المدينة التى سماها باسم رومية ومنها الايوان العظيم الباقى الذكر وليس هو المبتدئ لبنيانه وانما المبتدئ له سابور وهو الذى

القاضي زين الدين بعاما لما فقال ذلك كان يخاف على منصبه ليت كثر به وأنا لو عزلتموني اليوم لاصبح على بابي من الطلبة والتلاميذ والمستفيدين مثل ما على بابي اليوم في الحكم فقال له صدقت وكذا كان رحمه الله يعملون عليه ويعزلونه من الوظائف والرياسة العلمية فيه لا تزول وفي بيت الطغرائي من البديع نوعان وهما الموازنة في صالتي وزانتي وفيهما الترصيع والنوع الثاني لزوم ما لا يلزم فانه التزم الطاء في الخطل والعطل

(مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل)

(اللغة) المجد لغة الكرم والمجيد الكريم وقد مجد بالضم فهو مجيد وماجد قال ابن السكيت الشرف والمجد انما يكونان بالآباء يقال رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف قال والحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن لآبائه شرف اه قلت قول امرئ القيس

ولو ان ما أسعى لادنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

يؤيد ما ذهب اليه ابن السكيت لان المجد المؤثل هو الموروث ويحتمل ان يكون المجد ما يكتسبه الرجل بنفسه بدليل قوله أسعى والسعي انما يكون لتحصيل ما لم يكن للانسان والوراثة لا يسعى لها لانها حاصلة هذا ان قلنا ان اللام هنا للتعليل وان قلنا انها لشبه الملك فيترجح قول ابن السكيت وقد ذهب كثير من النحاة الى ان قوله كفاني ولم أطلب قليل من المال من باب التنازع في العمل منهم أبو علي الفارسي على جلالة قدره وليس منه قال ابن الحاجب رحمه الله لان أطلب منفي بلم والنفي في سياق لو اثبات لانه حرف امتناع والامتناع نفي ونفي النفي اثبات فاذا امتنع النفي صار ثبوتا واذا كان كذلك فيكون طلب القليل ثابتا وطلب القليل هو السعي لادنى معيشة فيكون قد أثبت بلو غير ما نفي بلم لان قوله ولم أطلب معطوف على كفاني وهو جواب والمعطوف في حكم المعطوف عليه واذا تقرر ذلك تعين ان قوله قليل لم يتوجه له من العاملين غير كفاني وانتفى ان يتوجه اليه اطلب ولو توجه اليه لفسد المعنى لتوارد النفي والاثبات على شئ واحد وان كان الطلب ثابتا تعين أن يكون مفعوله غير القليل لان امرأ القيس انما طلب الملك وقد ذكره في البيت الثاني قال ابن اياز في المطارحة قال الجرمي أراد كفاني قليل من المال ولم أطلب ولو اعمل لم أطلب في قليل لاستحال المعنى (أخرا) أي آخرا والآخر ضد الاول (شرع) أي سواء يحرك ويسكن ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ومنه قولهم الناس في هذا الامر شرع أي سواء (رأد الضحى) الضحى شروق الشمس بعد طلوعها والرأد ارتفاعها وقد سمت العرب ساعات النهار باسماء فالاولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الدلوك ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب ويقال فيها أيضا البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الرأد ثم الضحى ثم المتوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب (الطفل) بتحريك الفاء بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب فعلى هذا الطفل آخر النهار والرأد أوله فهما طرفا النهار تقول أتيته طفلا (الاعراب) مجدي مبتدأ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الدال لان الياء لا يكون ما قبلها الا من جنسها أي مكسورا والياء في موضع جر بالاضافة لانه ضمير المتكلم والضمائر كلها مبنية وسيأتي الكلام على ذلك (أخيرا)

رفعه وأتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا وكان انشقاق مثله من المعجزات النبوية والخصائص المحمدية يروى أن الرشيد هرون أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه وقال في بقائه معجزة باقية فقال الرشيد بل أبيت الا تعصبا لآبائك يعني الفرس فأمر بهدمه فصرف على هدم شرافة واحدة مالا كثيرا فكف عنه فقال يحيى أرى الآن أن تهدمه لئلا يتحدث عنك أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه (وحكي) عن بعض رسل الملوك انه دخل على كسرى فرأى في الايوان اعوجاجا فسأله عنه فقيل له انه بيت العجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فارغبها في مال كثير فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ما هو عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ويروى أن العجوز بعد بناء الايوان نزلت للملك عن البيت وقالت انما أردت بامتناعي أولا أن يتحدث الناس بعد ذلك وتكون لك هذه المأثرة الظاهرة ثم صنع كسرى في الايوان سلسلة عظيمة ذات أجراس وجعل لها طرفا خارجا عن القبة وأمر مناديه من

منصوب على انه ظرف زمان وكذلك قوله أولا والظرف ينتصب بالمعنى فالعامل فيه معنى الاستقرار ومجدى الثانى معطوف على الاول وشرع خبر عنهما كقولك زيد وعمرو كريمان فكريمان خبر عن المبتدأين (والشمس) هذه الواو هى واو الابتداء والشمس مبتدأ (رأد الضحى) منصوب على انه ظرف زمان والضحى مضاف اليه علامة جره كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور والالف حرف هوائى أى مما لا يقبل الحركة (كالشمس) الكاف تجىء فى الكلام لمعان منها ان تكون للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وزائدة كقوله تعالى ليس كمثله شئ لانه يلزم من عدم زيادتها اثبات المثل لله تعالى الله عن ذلك هكذا أعربها الجمهور من النحاة قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فى التعليقة على المقرب قال أكثر الناس هى زائدة للتوكيد والمعنى والله اعلم ليس مثله شئ وقال جماعة من المحققين ليست بزائدة وانما هى على بابها ومعنى الكلام والله أعلم نفى مثل المثل ويلزم من ذلك نفى المثل ضرورة وجوده سبحانه فان قيل لم توصل الى نفى المثل بنفى مثل المثل وهلا نفى المثل من أول وهلة فالجواب ان نفى المثل بنفى مثل المثل أبلغ وأفخم من قولنا أنت لا تفعل هذا لانه نفى الشئ بذكر دليله فهو أبلغ من نفى الشئ بغير ذكر دليله اه (قلت) وقد قال بعضهم انها ليست بزائدة ولم يعول على هذا الدليل بل قال مثل ومثل سيان وهما متحركا سواء فى اللغة كشبه وشبه فمثل ههنا بمعنى مثل قال الله تعالى ولله المثل الاعلى ويكون المعنى ليس مثل مثله شئ وهو صحيح ومن أمثلة زيادتها قول رؤبة بن العجاج * لواحق الاقراب فيها كالمقق * وهو الطول وما أحلى قول ابن قلاقس يمدح الحافظ السلفى

كالبحر والكاف ان أنصفت زائدة * فيه فلا تحسبنها كاف تشبيه

وقد أخذه من أبى الطيب حيث قال

كفاتك ودخول الكاف منقصة * كالشمس قلت وما للشمس أمثال

وتخرج الكاف من الحرفية الى الاسمية فتكون فاعلا كقول الشاعر

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وتكون مبتدأ كقول الشاعر

أبدا كالفراء فوق ذراها * حين يطوى المسامع الطرر

وتكون مجرورة كقوله * وصاليات ككما يؤثفين * وقوله * يضحكن عن كالبرد المنهم (المعنى) مجدى فى الاول ومجدى فى الآخر سواء لا تفاضل فيه كما ان الشمس استوت حالتاها فى أول النهار وآخره ومن الكلم النوابغ التاجر مجده فى كيسه والعالم مجده فى كراريسه ومنها أيضا من أخطأته المناقب لم تنفعه المناسب وفى خبر شمر بن عبس الحميرى أحد ملوك اليمن فى خبر طويل انه سأل أولاده قبل الوفاة فقال ما المجد فقالوا ابتناء المكارم وحمل المغارم والاضطلاع بالعظائم وكف النفس عن ركوب المظالم ويحتمل بيت الطغرائى انه أراد مجد أسلافى ومجدى واحد أى انى ورثت المجد عن آبائى الكرام وسدت كما سادوا وقد أخذ الطغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء المعرى حيث قال

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

كان مظلوما فاحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته قال العسكرى وهذا هو الاصل فى قول الناس حرك فلان على فلان السلسلة اذا وشى به (وحكى) انه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة فى بعض شقوق الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو بندقة فقتلها فقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب فى منقارها فالقته اليه فاخذه وقال ازرعوه فزرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفونه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذى ألهمها ان يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمه وخص كسرى بأشياء لم تكن لغيره من الملوك على ما ذكره كثير من الرواة منها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا وقطعة الياقوت المسمى لسان النور تضىء بالليل أكثر من السراج والفاهيد المغنى واضع العود الخراسانى على اثنى عشر وترا كل من ضرب به خرج الاهواء وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بلبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسمط بالخمر المغلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق

فهذا هذا خلا أن ذاك في الشمس وهذا في القمر ولكن قول المعري ألطف عبارة وأحسن اشارة لان الصغرائي أغرب في لفظتي رأدوا الطفل وعذوبة الالفاظ أمرمهم في البلاغة وكلا المعنيين يشبه قول الحريري

وطالما أصلي الياقوت جمر غضا * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي الى الامام الناصر يعرض بالوزير القمي وكان يدعي انه شريف علوي

خليلي قولا للخليفة أحمد * توق وقيت الشر ما أنت صانع

وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعك يا خير البرية ضائع

فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير في الخلافة طامع

وان كان فيما يدعي غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

فلما وقف الناصر عليها كانت سبب تغييره عليه وأمر فخرج اليه مملوكان مسرعين فهجما على الوزير في داره وضرباه بدواته على رأسه وجاءه الى المطبق فكتب الى الخليفة

ألقني في لظى فان غيرتني * فتيقن أن لست بالياقوت

عرف النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فكتب اليه الخليفة الجواب

نسج داود لم يفد صاحب الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت

وبقاء السمند في لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

اختبرناك فصرفناك واختبرناك فصرفناك والسلام ومن هنا أخذ المعنى ناصر الدين حسن ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شي

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وعلى ذكر العنكبوت ودود القز ذكرت قول محمد بن أبي الحسن المعروف بالاردخل

أقول اذا قالوا ترك مقطبا * اذا ما ادعى دين الهوى غير أهله

يحق لدود القز يقتل نفسه * اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وقول الآخر وهو أبو محمد بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي شارح المقامات

حق دود القز يبني * فوقه ثم يموت

بعد ماسدى وقد صا * ر يسدى العنكبوت

قال صاحب الصحاح والسرفة دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثل الناووس ثم تدخل فيه فتموت يقال في المثل أصنع من سرفة اه ماقاله صاحب الصحاح (قلت) هي بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء مفتوحة وآخرها هاء على وزن غرفة واختلفوا في نعتها فقال اليزيدي هي دويبة صغيرة تنقب الشجر وتبني فيه بيتا وقال أبو عمرو بن العلاء هي دويبة مثل نصف عدسة تنقب الشجر ثم تبني فيه بيتا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت مخروطا من أسفله الى أعلاه كأن زواياه قومت على خط وله في احدى صفائحه باب مربع قد الزمت أطراف عيدانه من كل صفحة أطراف

في سفود من ذهب ونار حجين من ذهب فاذا برد حمل فوضع على خوان من ذهب فيقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وله حكايات حسنة مذكورة في سيره * فمنها أن عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستأذنه في الزيادة على الرسم فامسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه قد كان في ترك اجابتك عن كتابك ماحسبتك تزجر به عن تكلف مالم تؤمر به فاذ قد أبيت الاتمادي في سوء الادب فاقطع احدى أذنيك واكفف عما ليس من شانك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الامر * ومنها أن رجلا على عهده كان يقول من يشتري ثلاث كلمات بألف دينار فتطير منه الناس الى أن وصل الى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح ثم ماذا قال ولا بد منهم قال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت أن أدري من يشتري الحكمة بالمال * ويروى انه

عيدان الصفحة الاخرى كانها مغروزة وقال محمد بن حبيب هى دويبة تنسج على نفسها بيتا فهوناووسها حقا والدليل على ذلك انه اذا نقض هذا البيت لم توجد الدودة فيه حية أصلا وزاد بعض رواة الاخبار على ابن حبيب زيادة فزعم ان الناس فى أول الدهر حين كانوا يتعلمون الحيل من أفعال البهائم تعلموا من السرفة احداث بناء الناووس على موتاهم وانه فى خط وشكل بيت السرفة ويقال وادسرف وأرض مسرفة وسرفت الشجرة اذا أصابتها السرفة ومن هذه المادة قول القائل

اذا شوركت فى أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور
ففى الحيوان يشترك اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

قلت هذا معنى قول أرباب المنطق فى كل نوع حصة من جنسه يعنون بذلك أن كل فرد فرد من أشخاص الجسم النامى المتحرك بالارادة من الناطق والصاهل والمفترس والسابح والنابح وغير ذلك فيه حصة من الحيوانية التى هى جنسه وهى الجسمية والنمو والتحرك بالارادة والنوعية هى التى امتاز بها كل نوع عن غيره وهى الفصل مثل الناطقية أو الافتراسية أو السابحية أو النابحية وقد رأيت الشيخ الامام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلبا أو بهيمة ويقول له يحنق لأى شئ تفعل به هذا وهو شريكك فى الحيوانية وما أحسن قول القائل

وللزنبور والبازى جميعا * لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

والياقوت هو سيد الاحجار التى لا تذوب ولا تتكلس بالنار زعموا انه يتكون فى كهوف الجبال وخلال الرمال ويتم نضجه فى عشر سنين وعلة تكوينه ان مياه الامطار التى ترسخ فى المغارات والكهوف متى لم يخالطها شئ من الترابية والطينية وطال وقوفها هناك ازدادت صفاء وثقلا وغلظا بتسلط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر وعلى تلك البقاع على مازعم أصحاب الكلام فى أحكام النجوم فانهم يقولون السواد لزحل والحمرة للمريخ والخضرة للمشترى والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والملون لعطارد والبياض للقمر وأصحاب الكلام فى الطبائع يقولون سبب اختلاف الالوان اختلاف بقاع الارض التى يتكون فيها ذلك لان الماء اذا وقع عليها وغاص فيها ودام تغير بما انحل فيه من يبس الارض واسخان الشمس له فعلى قدر حرارته يتكون فان اشتدت حرارته وأفرطت واستولى عليها اليبس عرض له السواد وظهر على أعلاه وبطنت الحمرة التى هى عن الحرارة المعتدلة فى باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد فقام بينهما اللون الاسمانجونى وان كانت الحرارة معتدلة انعقد أحمر وهو أجود الياقوت وان قصرت الحرارة عن غلبة الرطوبة لها انعقد أصفر وان أفرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد أبيض صافيا والاسمانجونى والاصفر اذا وضعا على النار أبيضا ولا يتغيران عن البياض فهذه الالوان الاربعة يشملها جنس الياقوت والاحمر منها ينقسم الى أربعة أصناف البهرمانى وهو أشدها حمرة وأكثرها صفاء ويوجد منه ماوزنه اثنا عشر مثقالا ثم الوردى وهو اردأ أنواع الاحمر ويوجد منه ماوزنه

اول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد انصرافهم وذلك انه كان يمد رجله فيعرفون انه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك وكان فيروز الاصغر كذلك يعرك عينه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان فى الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك بن مروان يلقى المخصرة من يده وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يدعو وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته قال اذا قلت يا غلام هات الطعام * ومن كلام كسرى القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كما تحتاج الابدان الى أقواتها من الغذاء ووقع فى قصة رافع ان الملوك اذا دبرت ممالكها بمال رعيتها كانت بمنزلة من يعمر سطح بيته بما ينقضه من أساسه وكتب باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجات من فضله ما أكلته وأنت مشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وقيل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الحاجة اليها فقال معروف أودعته عند الاحرار وعلم أورثته الاعقاب وقال احذروا صولة الكريم

ثلاثون مثقالا ثم الجمري وأردؤه ما قرب الى البياض ثم الاحمر العصفري وأردؤه ما قرب من لون الورس وأما الاصفر فمنه الرقيق الكثير الماء ثم الخلوقي وهو أشبع صفرة من الاول ثم الجلناري وهو أشبع صفرة من الثاني وأشد شعاعا وأكثر ماء وهو أكثر أنواع الاصفر ويوجد من هذه الاصناف ما وزنه أربعون مثقالا وأما الاسمانجوني فمنه الازرق واللازوردي والنيلي والكحلي ويسمى الزيتي وهو أردؤها ويوجد منه ما وزنه أربعون مثقالا وأما الابيض فمنه المهاوي وهو أشدها بياضا وأكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أردأ أصناف الياقوت ❊ قرأت على العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري كتابه الذي وضعه ووسمه بنخب الذخائر في أحوال الجواهر قال في ذكر الياقوت فالرماني أعلاها وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء ويؤخذ لونه بان يقطر على صفيحة فضة مجلوة قطرة دم قرمزي أعني من عرق ضارب فلون ثلاث القطرة على تلك الصفيحة هو الرماني ثم قال فيما بعد وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار وأما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمته أن الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساوي خمسة دنانير وضعفه عشرين دينارا وسدس مثقال ثلاثين دينارا وثلث مثقال مائة وعشرين دينارا ونصف مثقال أربعمائة دينار والمثقال بألف دينار والمثقال ونصف بألفي دينار هذا ما تقرر في زمن المأمون مع كثرة الجواهر في ذلك الزمان والمثقال من البهرماني بثمانمائة دينار ومن الارجواني بخمسمائة دينار ومن الجلناري بمائتي دينار ومن اللحمي بمائة دينار والبنفسجي يقاربه والوردي دون ذلك وكان في خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين ألف دينار وكان للمعتصم فص يسمى ورقة الآس لانه كان على شكلها وزنه مثقالان الا شعيرتين اشتراه بستين ألف درهم ثم قال قال ابن سينا ان خاصية الياقوت التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم وقال ابن زهر شرب سحيقه ينفع الجذام والتختم به يدفع حدوث الصرع انتهى (قلت) ومن خواص الياقوت انه يقطع جميع الحجارة الا الالماس فانه يقطعه لصلابته وقلة مائه وشدة الشعاع والثقل والملاسة والصبر على النار وهو لا يجلى الا على صفيحة نحاس بتكلس الجزع اليماني وهو ان يحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يعود كالغراء ثم يحك به الياقوت لانه يخرج من معدنه وظاهره مظلم فيحتاج الى الجلاء وربما وجد في باطن الحجر بعد جلائه طين أو ماء قصرت عنه حرارة المعدن في الطبخ فيطين ويجفف بعد ان يثقب بالالماس ثم يلقى في النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم فانه ينقى فان كان لونه اسمانجونيا أو اصفر لم يدخل النار الآن كان في الاسمانجوني صفرة فيدخل قليلا بقدر ما تغسل عنه فان زيد في حميه انسلخت لونيته وابيض وصار كالبلور وما أحسن قول البلغي رحمه الله تعالى

أقت لي قيمة مذ صرت تحظى ❊ شمس الكفاءة تغنيني عن النظر
كذا اليواقيت فيما قد سمعت به ❊ من حسن تأثير عين الشمس في الحجر

قال بعضهم في مليح اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به ❊ من المروءة أن لا يمنع القوت
سكنت قلبي وما تخشى تلهبه ❊ وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

اذا جاع واللئيم اذا شبع

(وقيصر رعى ماشيتك)

(قيصر) اسم لملوك الروم وسموا الروم لانهم ينتسبون الى روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وقيل انهم ينتسبون الى رومية والصحيح الاول لان رومية بنيت بعد ظهورهم بكثير وكان يقال لها رماس فلما سكنوها نسبت اليهم وقال ابن الكلبي ولد لاسحق ثلاثون ولدا منهم الروم وكان أصفر اللون وقيل لولده بنو الاصفر وقيل أغارت عليهم الحبشة فولدهم بنات أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا فنسبوا اليهن وأول من سمي منهم قيصر قيصر بن انطرطس وسمي قيصر لان أمه كانت حاملا به فتعسرت ولادتها فشق بطنها فخرج وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده وانما خرج كرها وسمي قيسر ثم قيل قيصر وصار هذا اللقب سمة لملوك الروم بعده وكان جبارا عاتيا وهو أول من جمع مملكة الروم واليونان وذلك أن أباه انطرطس لما بلغه أن ملوك اليونان قد انقرضوا ولم يبق منهم غير امرأة وهي قبلابطره أرسل اليها يخطبها وكان قد ملك طرفا من أطراف بلادهم حين انقرضوا يقول قصدي أن تصير

وأما السمندفأخبرني العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أخبرني عز الدين بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالكويكي أن السمندشئ يشبه غبار القطن ونسج العنكبوت يتكون في شقرق من سقفان تعلو أنهارا عذبة بارض الهند وانه قليل جدا لا يظفر منه الا باليسير انتهى (وأخبرني) الشيخ الامام العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان من لفظه ان البادزهر يوجد في بعضه تجويف وفيه شئ يشبه الصوف اذا وضع في النار لم يحترق منه شئ البتة (وأخبرني) الشيخ شمس الدين أيضا انه عاين عند الامير علاء الدين علي بن البزواناه بالديار المصرية منشفة طولها قدر أربعة أشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدان فاذا تدنست تلقى في النار فتنقى وذكروا انها من السمندولم يذكر أهو حيوان أو غيره وحكى لي وله انسان يظن به الصدق انه رأى عند شخص يعمل النشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء شككت أنا في طولها هل قال ذراع أو أقل وأنها توضع عليها الزيت وتلقى في النار الى ان تفنى مادة الزيت ثم تخرج بها وهي سليمة بيضاء نقية (وأخبرني) الشيخ شمس الدين أيضا انه رأى عند شرف الدين بن زنبور شخصا مغربيا يعرف بزيد الصائغ دهن لحيته بدهن كان معه ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه الى ان نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه فطفئت ولم يحترق منها شئ قلت أنا ولعل الريشة التي ذكرها لنا ذلك الرجل تدهن بذلك الدهن وهو معروف عند أصحاب الملح فالخصوصية للدهن لا للريشة والله أعلم بالصواب وان كانت هذه الريشة من طائر وله هذه الخصوصية فأقول هذا يؤيد حجة الاشاعرة في دعواهم ان الله يخلق الاحراق في النار عند قربها من الاجسام وليس الاحراق لنفس النار ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس الشبع بالخبز ويخلق الري عقيب شرب الماء وليس الري لنفس الماء فقد رأينا من يفرط في أكل الخبز ولم يشبع وفي شرب الماء ولم يرو وما ورد في الاخبار الصحيحة من بقاء الحيات والعقارب وعظم مقادرهن في نار جهنم وهي حيوانات وليس هذا بممتنع على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وهذا الطائر يمكن أن يتولد في النار كما يتولد في كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسرفوت وهو أشبه شئ بسام أبرص لا يزال حيا ما دام في النار وهي مضطرمة فاذا طفئت وبرد المكان مات وقال ارسطو لا يبعد أن يكون في كل عنصر حيوان يتولد فيه كما يحكى أن في بلاد الترك براقة بيضا اذا حصل لها مرض معروف عندهم حلقت في الهواء ونزلت ومعها حية بيضاء فدرشت برقتا كلها فتبرأ مما تشكوه ثم ذكر ارسطو أيضا السرفوت المذكور تأييدا لما ادعاه (أخبرني) العالم مفتي المسلمين شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ فتح الدين بن أبي الحسن علي بن ابراهيم الانصاري القمي من لفظه بثغر الاسكندرية قال أخبرني الشيخ نجيب الدين عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني أخبرنا أبو حامد وعبد الله بن مسلم بن جوالق قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا منصور بن أبي غالب القزاز أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب أخبرنا الحسن بن أبي بكر بن شاذان حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن نصر المصري الشاعر املاء من حفظه حدثنا أبو عمر الانسي بمصر قال حدثنا دينار مولى أنس بن مالك قال صنع أنس لاصحابه طعاما فلما طعموا قال يا جارية هاتي المنديل فجاءت بمنديل درن فقال اسجري التنور واطرحيه فيه ففعلت فابيض فسألناه عنه فقال ان هذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم وان النار لا تحرق شيأ كان للنبي صلى الله عليه وسلم أو مسته يد الانبياء دينار بن

الملكتان واحدة وأقرب منك لافضالك وعقلك فعلمت أنها مغلوبة معه فأجابته وقالت تقيم في مكانك الى يوم عيده فقامت وأفكرت في حيلة تحتال بها عليه فرأت انها تهلك نفسها وتهلكه معها ولا يمكن منها فعمدت الى حية تكون في الرمل تضرب الانسان فيهلك في لحظة فجعلتها في اناء من زجاج وزينت قصرها وفرشت مجالسها بالرياحين ولبست تاجها وجلست على سريرها واستدعت به فلما وصل الى باب القصر أخرجت الحية فضربتها فماتت وانسابت الحية في رياحين حولها فدخل انطرطس الى السرير ولم يشك أنها في عافية فجلس الى جانبها فعبث في الرياحين فضربته الحية فمات وكان ابنه معه حيث فسمع بموتهما فاستولى على بلاد الروم واليونان وكان اذا أراد أن يستشير أحدا من عقلاء دولته أرسل اليه نفقة سنته ليتوفر ذهنه على ما يشير به ومن بعده اختلفت الروم فتقاسموا البلدان والاطراف الى ظهور الاسلام وقيصر هذا أعظم ملوكهم ومن كلامه ما الحيلة فيما أعيا الا الكف عنه ولا الرأي فيما الابدال الا اليأس منه

عبد الله ضعيف واه قاله أبو أحمد بن عدى (رجع القول الى بيت الطغرائى) والمتعنت أن يقول ليس كون الشمس فى أول النهار مثل كونها فى آخره لان حالة الاقبال حالة ابتداء وتمكن وحالة الادبار حالة انتهاء وزوال ولهذا قال المنجمون ان السعى فى الحوائج قبل الزوال انجح منه فيما بعد الزوال ويكرهون الحركة آخر النهار وقال الشاعر

بكرا صاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

وأول النهار شباب وقوة وآخره مشيب وهرم فجواب المتعنت انه ما أراد الاذات الشمس من حيث هى من غير نظر الى ما يطرأ عليها من حركة فلكها الان هذه الحالة فى الابكار والعشى انما هى خير وشر بالنسبة الينا الان فلك الشمس لا يزال دائرا وحركة الفلك واحدة لا تتغير أبدا اذ الكرة لا فوق لها ولا تحت فالشمس فى جرمها واحدة لم تتغير أبدا وهى هى أبدا ما زالت ولا طرأ عليها شئ نعم كان هذا يرد أن لو كان كل يوم له شمس تجدد كما ذهب اليه بعضهم وليس بشئ ولهذا قال المعرى رحمه الله تعالى

وما البدر الا واحد غير أنه * يغيب ويأتى بالضياء المجدد

فلا تحسب الاقمار خلقا كثيرة * فجملتها من نير متردد

اذا ثبت ذلك فالشمس من حيث هى هى واحدة فى ذاتها لا تغير فى نورها وعظمها وعلوها وهبوطها لم يزدها ولم ينقصها شيأ قال ابراهيم الغزى

أما ترى البدر يكسو ناظريك سنى * فيستوى فيه اقبال وادبار

وقد بالغ الطغرائى وضرب لفخره ومجده مثلا حسنا بالشمس فانه مثل عال لا يخفى على ذى عقل فضله ولا يسعه انكاره

وليس يصح فى الاذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

ومن أحسن ما حضرنى فى الافتخار قول بشار بن برد رحمه الله

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

وقول عبد المطلب

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الاسل

لا ينزل المجد الا فى منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(وقول الآخر)

جلت بروج المجد منى كوكبا * لا يهتدى الا وى سناه السارى

وعلى الرياح أزمتى وأعنتى * ومن النجوم أسنتى وشفارى

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى

نحن الذين غدت رحى أحسابهم * ولها على قطب الفخار مدار

قوم لغصن نداهم من رفدهم * ورق ومن معروفهم أثمار

من كل وضاح الجبين كانه * روض خلائقه له أزهار

وقول الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق

(والاسكندر قتل دارا فى طاعتك)

هو الاسكندر بن فيليبش اليونانى واختلف فى أصل اليونان فقال ابن الكلبى هو يونان بن بقية ونسبه الى اسحق وقال يعقوب الكندى يونان أخو قحطان من العرب من ولد عابر خرج من اليمن ونزل ديار المغرب وأقام فيها واستعجم لسانه وتكلم بلغة من هناك من الروم وقال الرقاشى وهو الاشهر ان يونان بن يافث بن نوح وليس من العرب ولا من الروم وانما جاور الروم على ساحل البحر الرومى وكان واسع الحسن العقل كبير الهمة فأقام هناك حتى كثر ولده فخرج يطلب مكانا يسكنه فانتهى الى مدينة بالمغرب يقال لها اقنية فبنى بها قصورا وأقام وكثر نسله ولما احتضر أوصى الى ولده الاكبر وصية حسنة ثم مات فاستولى ولده على بلاد المغرب من ناحية افرنجة والصقالبة ومن جاورهم ولما ظهر بختنصر على مصر دخل المغرب ووصل الى بلاد اليونان وقرر عليهم أن يؤدوا الخراج الى ملوك فارس واستقر ذلك الى أيام الاسكندر * وأما الاسكندر فاختلف فى نسبه فقيل انه الاسكندر بن فيليبش من ولد يونان وهو الاصح

ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وأنت مطوّق

قيل ان الخليفة لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقيل انه كان يوما عنده وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة قال بل رائحة النبوّة وقول الرضى أيضا

رمت المعالى فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا دواء الفارك التطليق

وقول اسحق بن ابراهيم الموصلى

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بانف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

انما ذكر حازما لانه مولى خزيمة بن حازم التميمى وانما نزل أبوه الموصل فنسب اليه وخزيمة هو الذى يقول فيه أبو نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

(وقال الآخر)

قريش خيار بنى آدم * وخير قريش بنو هاشم
وخير بنى هاشم أحمد * رسول الاله الى العالم

ومن رسالة ابن عرسية

لله ما قد برى صفوة * وصفوة الخالق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من بينهم * محمد النور أبو القاسم

أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى

محمد خير بنى هاشم * فمن تميم وبنو دارم
وهاشم خير قريش وما * مثل قريش فى بنى آدم

ومن الاول أخذ مسلم بن الوليد قوله

فاخر فما لك فى شيبان من مثل * كذاك ما لبنى شيبان من مثل

وذكر صاحب الاغانى ان مروان بن أبى حفصة دخل يوما على ابراهيم الموصلى فجعلا يتحادثان الى أن أنشد اسحق بن ابراهيم قوله اذا مضر الحمراء البيتين قال وجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه مشغول فقال ما لك لا تجيبنى قال انك لا تدرى ما أقرع ابنك فى أذنى ومن الافتخار قول ابى تمام الطائى رحمه الله تعالى

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم * وسمى فيهم وهو كهل ويافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما وصوا بهن شرائع
فأى يدفى المجد مدت ولم يكن * لها راحة من مجدهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا * فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

وقيل هو الاسكندر بن الصعب كان أبوه نساجا واسم أمه هيلانة وكان يتيما فى حجر وسمعت أمه ببيت الصنائع وهو بيت وضعته اليونان فى القسطنطينية وصوّرت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان فمن تاقت نفسه لصنعة اشتغل بها فحملته أمه فشاهد صور الاشياء فوضع يده على تاج الملك فنهته أمه مرارا فلم ينته فنظر اليها متولى بيت الصنائع وقال أنت هيلانة قالت نعم قال وهذا ابنك قالت نعم فقال له أبشر فانت الملك الذى يسحب ذيله فى البلاد وهذا قول مردود لبعد ما بين حمير واليونان ولان القسطنطينية بنيت بعد روح عيسى عليه السلام بزمان وانما انقرضت دولة اليونان عند ظهور عيسى والصحيح أنه الاسكندر ابن فيلبش وسمى ذا القرنين تشبيها بذى القرنين المذكور فى الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرنى الشمس من المشرق والمغرب وهو صاحب ارسطاطاليس الحكيم كان أبوه أسلمه اليه فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ومرض أبوه فخاف على الملك فاسترده وعهد اليه وأما دارا فهو دارا الاصغر

وقوله أيضا رحمه الله

جرى حاتم فى حلبة منه لو جرى ✽ بها القطر قال الناس أيهما القطر
فتى دخر الدنيا أناس ولم يزل ✽ لها باذلا فانظر لمن بقى الذكر
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى ✽ فليس لحى غير نزار ذلك الفخر
جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها ✽ الينا كما الايام يجمعها الشهر

وعند أكثر الناس ان أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له تدوس العطار من جاسم قريه من قرى حوران بالشام فغير اسم أبيه واندس فى بنى طيئ (وذكر) صاحب الاغانى أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمتص ضرعها فصاح به اخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال ترى هذا قال نعم قال أو تعرفه قال لا قال هذا أبى افتدرى لم كان يشرب من ضرع العنز قال لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه ثم قال أشعر الناس من فاخر بهذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلبهم جميعا (قلت) ماهذه الاوقاحة عظيمة من جرير فى مفاخرته أولئك الشعراء وهذا أبوه لكنه تغتفر له هذه الوقاحة باعترافه لذلك الرجل واظهاره بخل أبيه (وعكس) هذه القضية هجاء دعبل الخزاعى للمأمون حيث يقول فيه

انى من القوم الذين سيوفهم ✽ قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا الذكرك بعد طول خموله ✽ واستنقذوك من الحضيض الاوهد

يشير دعبل الى واقعة طاهر بن الحسين الخزاعى مع الامين يقال ان المأمون كان اذا أنشد هذين البيتين قال قبح الله دعبلا ما أوقحه كيف يقول عنى هذا وقد ولدت فى حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت فى مهدها (سمع) المأمون يوما بعض الكنافين يقول وهو مار فى موكبه الملقسقط هذا من عينى من حين غدر بأخيه فقال من يشفع لى الى هذا الرئيس لا رتفع الى عينه بعد سقوطى (نقلت) من بعض مجاميع القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان قال أنشدنى بعض الادباء بيتا لأبى الحسين الجزار وما عرفت قائله ولا بقية الابيات المضافة اليه فقلت لابى الحسين ذلك وقلت ان كنت تعرف ذلك فانشدنى اياه وعرفنى قائله فقال وما البيت فانشدته

فليس يرجوه غير كلب ✽ وليس يخشاه غير تيس

فاستحسن ذلك وجاءنى ثانى يوم فقال قد عملت فى ذلك المعنى أبياتا وأنشد

ألا قل للذى يسأ ✽ ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم ✽ كرام الفرع والاصل
يريقون دم الانعا ✽ م فى حزن وفى سهل
وما زالوا لما يبدو ✽ ن من بأس ومن بذل
يرجيهم بنو كلب ✽ ويخشاهم بنو عجل

انتهى ما نقلت قلت وهذه الابيات تنظر الى قول الآخر فى الحكاية المشهورة قال بعضهم كنت ليلة جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه غلمانه برجلين فقال لاحدهما من أبوك

ابن دارا الاكبر بن أردشير أحد ملوك الفرس العظماء المشهورين كانت له قطيعة على أبى الاسكندر فى كل سنة ألف بيضة من الذهب فى كل بيضة ألف مثقال على عادة آبائهم فلما ملك الاسكندر أخر ارسال القطيعة فكتب اليه دارا يتهدده ويتوعده حيث أخر الاتاوة وبعث اليه بكرة وصولجان وخرقة فيها سمسم وقال أنت صبى فالعب بهذه الكرة فان أديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود عدد هذا السمسم وأتيت بك فى الاوثاق فكتب اليه الاسكندر أما بعد فقد تيمنت بالكرة والصولجان فان الدنيا مثل الكرة وسألعب بها وأضيف ملكك الى ملكى وأما السمسم فقد تيمنت أيضا به لانه بعيد عن الحرافة والمرارة وأما الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها وأكلت لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه وسار الاسكندر بجموعه والتقيا على نصيبين الجزيرة فلما هم دارا بالقتال بعث اليه الاسكندر يقول له أيها الملك لا تفعل فان دماء الملوك لا تجوز اراقتها وهدم البيوت القديمة غير محمود والبغى ذميم العقبى والحرب غير مأمون

وقال أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا على باب داره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك فقال

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قالت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلاء المصلوقة وأما الثانى فكان أبوه حجاما فقال الوالى عند ذلك

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

انتهى (والاصل فى هذا) قول عتبة الاعور يهجو أبا اسحق بن ابراهيم بن شبابة الثقفى مولاهم الكوفى كاتب المهدى وكان أبوه حجاما

أبوك أوهى النجاد عاتقه * كم من كمى أودى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل
له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف وبين منتعل

وهذا من التهكم فى غاية الحسن (وقال) بعضهم وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره يحبسها اذا شاء ويطلقها اذا شاء قال فعظم فى عينى مصرعه ثم التفت الى قبر آخر قبالته وعليه مكتوب لا يغتر أحد بقوله ما كان أبوه الا من بعض الحدادين يحبس الريح فى كيره ويتصرف فيها قال فعجبت منهما يتسابان ميتين (قلت) وقبل البيت الذى أورده ابن خلكان فى أبى الحسين الجزار

ان تاجر كم عليكم * بفضلة فى الورى وكيس

وهما لجاهد الخياط وله فيه عدة مقاطيع يهجوه بها وقد عبث الناس بأبى الحسين الجزار وهجاه من أهل عصره خلق كثير بالشعر والازجال وما كان فيمن هجاه من يقاربه فى رتبة النظم ولابى الحسين الجزار وهو فى غاية الحسن

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

(عاد الكلام الى الفخر بالجدود دون الهزل) وأقول أبيات الحماسة التى للسموءل بن عاديا اليهودى فى غاية الحسن وهى مشهورة فلهذا لم أثبتها (جرى) بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلام فيه طول لكن فى آخره فقال ابن الزبير ما مثلى يهارش به ولكن عندك من قريش والانصار ومن ساكنى الحجون والآطام من اذا سألته حملك على محجة أبين من ظهر الخفين قال ومن ذلك قال هذا يعنى أبا الجهم بن حذيفة فقال معاوية تكلم يا أبا الجهم فقال اعفنى فقال عزمت عليك لتقولن قال نعم قال قل قال أمك هند وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وأسماء خير من هند وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله ان يكون أبو سفيان مثل الزبير وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله ان شاء الله تعالى (ومثل) هذا ما حكى ان معاوية كان عنده عمرو بن العاص وجماعة من الاشراف فقال معاوية من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة

العاقبة وأصحابك قد ملوك وكرهوك لسوء سيرتك فارجع فانك محمود ولى فلم يلتفت اليه دارا وأقاما يتحاربان مدة ثم ان الاسكندر دبر حيلة وهو انه لما وقع المال بين الفريقين برز منادى الاسكندر فقال يا معشر الفرس قد علمتم ما كان من مكاتبتكم لنا وما كتبنا لكم من الامان وقد طال القتال فمن كان منكم على غير قتال فليعتزل وله الوفاء بالعهد فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا فكان من أسباب خذلان دارا انه وثب على دارا رجلان من أصحابه فطعناه من خلفه فوقع وكان الاسكندر نادى من ظفر بدارا فلا يقتله فجاء به الرجلان الى الاسكندر فقالا قد قتلنا دارا فجاء فنزل عن فرسه وقعد عند رأسه وبه رمق فقال والله ما هممت بقتلك ولقد نهيت عنه ولقد يعز على مصابك فاسألنى حوائجك فقال تقتل فلانا وفلانا اللذين قتلانى فانى كنت محسنا لهما وتزوج ابنتى روشنك فقال سمعا وطاعة وأحضر الرجلين فقتلهما وقال هذا جزاء من يجترئ على ملكه وتفرق ملك فارس ثم سار الاسكندر الى بابل وجلس على سرير دارا واستولى على خزائنه

فقال النعمان بن عجلان الزرقي بعدما أخذ بيد الحسن هذا أبوه علي بن أبي طالب وامه فاطمة وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته ام هانئ ابنة ابي طالب وخاله القاسم وخالته زينب (وكان) لخالد بن يزيد بن معاوية أخ لحاء يوما فقال ان الوليد ابن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال ان الملوك اذا دخلوا قرية الآية فقال خالد واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا فقال خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين والتفت الى الوليد وقال ويحك ومن يعد في العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير بهذا المثل نحن أصله ولكن لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت (قلت) يريد بالعير عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام وخرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغنمها فابلغ الخبر أهل مكة فنفر عتبة بن ربيعة بأهل مكة وكان مقدم القوم فلما وصلوا الى المسلمين كانت وقعة بدر وأما الغنيمات والجبيلات والطائف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف وهو جد عبد الملك لم يزل هنالك يرعى أغناما حتى ولي الخلافة عثمان فرده وكان الحكم عمه واحتج عثمان في رده بأنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده متى ولي الامر (وحكى) أبو حاتم عن العتبي عن أبيه قال ابتنى معاوية بالابطح مجلسا فجلس فيه وابنه قرظة معه فاذا هو بجماعة على رحال لهم واذا شاب منهم قد رفع عقيرته يتغنى

من يساجلني يساجل ماجدا * أخضر الجلدة في بيت العرب

قال من هذا قالوا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة فيهم غلام يتغنى

بينما يذكرنني أبصرنني * دون قيد الميل يسعى بي الاغر
قلن تعرفن الفتى قلن نعم * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال من هذا قالوا عمر بن أبي ربيعة قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة وفيهم رجل يسئل يقال له رميت قبل ان أحلق وحلقت قبل ان أرمي لاشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج فقال من هذا قالوا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه قرظة وقال هذا وأبيك الشرف في الدنيا والآخرة (وروى) أنه قال هذا الشرف لا ما نحن فيه وروى انه قال كاد العلماء أن يكونوا أربابا (ويعجبني) قول الشيخ أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أولغ الفارابي رحمه الله تعالى

أخي خل حيز ذي باطل * وكن بالحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا * ولا المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز
وهل نحن الا خطوط وقعن * على نقطة وقع مستوفز

وجواهره وسلاحه وتزوج ابنته روشنك وقيل انها كانت زوجة دارا وهي ابنته ولم يكن في زمانها أحسن منها وقيل ان الاسكندر لم يجتمع بها وقال أخشى أن أكون غلبت دارا فتغلبني روشنك ولما استولى على ملك فارس عرض جيشه وجيش الفرس فكانوا ألف ألف وقيل أكثر وشرع في هدم بيوت النيران وقتل الموابذة وكتب الى أرسطاطاليس يستشيره فيمن بقي من عظماء الفرس بهذا الكتاب أما بعد فان دوائر الاسباب ومواقع العلل وان كانت أسعدتنا بالامور التي أصبح لنا بها الناس دائنين فانا مضطرون الى حكمتك وغير جاحدين لفضلك والاجتباء لرأيك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنى منفعته حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترشيحه لعقولنا كالغذاء لنا فانفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحار وقوة الاشكال بالاشكال وقد كان مما سيق الينا من النصر وبلغناه من النكاية في العدو ما يعجز القول عن وصفه والشكر على الانعام به وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض الجزيرة وبابل الى أرض فارس فلما نزلنا

محيط العوالم أولى بنا * فماذا التزاحم في المركز

هكذا فلتكن الهمة وإلى هذه الغاية فليجر من أمسك لواء الفخر وبهذه الحلل فليتقمص من ارتدى الحمد ولكن كيف وأنى يظفر بالحقيقة من أفنى الليالي سهرا ولم يحصل له الطيف أنشدني العالم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس إجازة وفي غالب الظن سماعا قال أنشدني لنفسه الشيخ الإمام العلامة القدوة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن الإمام مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى

أتعبت نفسك بين ذلة كادح * طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك لا خلاعة ماجن * حصلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي * الأخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وأنشدني بالسند المذكور إجازة له دوبيت

الجسم تذيبه حقوق الخدمه * والنفس هلاكها علو الهمه
والعمر بذاك ينقضي في تعب * والراحة ماتت فعليها الرحمه

وإذا كان مثل الشيخ تقي الدين يقول هذا فما ظنك بغيره من أهل اللعب (أخبرني) مولانا قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي عن الشيخ تقي الدين السنباطي قال إن الشيخ تقي الدين قال لي عشرون سنة ما أعرف أن كاتب الشمال كتب علي فيها شيئا قال فسألته عن هذا فقال أظن ذلك أو كما قال (قال) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في تاريخه الكبير وقد رويته عنه بقراءتي له عليه جميع المغازي ومن أول الترجمة النبوية إلى آخر أيام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه متواليا وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبعمائة في ترجمة ابن سريج في سنة ست وثلثمائة قال الحاكم سمعت حسان بن محمد الفقيه يقول كنا في مجلس ابن سريج في سنة ثلاث وثلثمائة فقام شيخ من أهل العلم فقال أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمة دينها وإن الله بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى رأس المائتين الشافعي ثم قال

اثنان قد مضيا فبورك فيهما * عمر الخليفة ثم حلف السودد
الشافعي الألمعي محمد * إرث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس أنك ثالث * من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج وبكى وقال لقد نعى إلي نفسي قال الشيخ شمس الدين الذهبي وكان على رأس الأربعمائة أبو حامد الإسفرايني وعلى رأس الخمسمائة الغزالي وعلى رأس الستمائة الحافظ عبد الغني وعلى رأس السبعمائة شيخنا ابن دقيق العيد نسأل الله التوفيق للرشاد والاستعداد ليوم المعاد (رجع) وإذا رجعت إلى الصحيح فهم بفخر الإنسان ولم يطلق في التفاضل عنان اللسان وعلام يمرح في الكبر مرح الجياد في الميدان والكميت في الأرسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما أدخلته النار وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء قال الفقيه منصور المصري

قلت

بأهلها لم يكن إلا ريثما تلقانا نفران منهم بقتل ملكهم طلبا للحظوة عندنا فأمرنا بصلبهما لتجرئهما وقلة وفائهما ثم أمرنا بجمع من هناك من أبناء ملوكهم وذوي الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة أجسامهم وأحلامهم يدل ما ظهر من رؤيتهم على أن وراءه من قوة بأسهم ما لم يكن معه سبيل إلى غلبتهم لولا أن القضاء أدالنا منهم ولم نر بعيدا من الرأي أن نستأصل شأفتهم ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن بذلك القلوب إلى الأمن من جرائرهم ورأينا أن لا نعجل بادرة الرأي في قتلهم دون الاستظهار بمشورتك فيهم فارفع إلينا رأيك فيما استشرناك بعد صحته عندك وتقليبه على نظرك على عادة آرائك المشفقة والسلام على أهل السلام فليكن عليك وعلينا فكتب إليه أرسطاطاليس إلى الإسكندر المؤيد المهدي له الظفر من أصغر خوله أرسطاطاليس أما بعد فقد تقرر عندي من مقدمات فضل الملك ويمن نقيبته وبره وزكائه وما أدى إلى حاسة بصري صورة شخصه ووقع في فكري على تعقب رأيه أيام كنت أؤدي إليه من تعليمي إياه ما أصبحت قاضيا على نفسي بالحاجة إلى تعلمه

قلت للمعجب لما * قال مثلي لا يراجع
يا قريب العهد بالمخـ * ـرج لم لا تتواضع

وقال أيضا

تتيه وجسمك من نطفة * وأنت وعاء لما تعلم

أخذه هذا من الكلام المنسوب الى الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن آدم أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة (نظر) مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشي في حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال يزيد اما تعرفني فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك حامل العذرة وقد نظمه الشاعر فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته * يصير في الارض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(وقال) آخر أظنه ابراهيم الحصري

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم مني * اذا افتخروا وآخرهم منيه

(وقال) الارجاني رحمه الله تعالى

ملأت لنا الاسماع داعية الردى * وكأنما أنا صخرة صماء
ومساحب الاذيال أجداث لنا * فسلوا اذا ما هذه الخيلاء

(وقال) بعض الحكماء كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب وطوى على القذر وجرى مجرى البول (وقال) أبو مسلم ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا سقيط ولا تعصب الا دخيل (قال) مدني لرجل من أنت فقال من قريش والحمد لله فقال بأبي ان التحميد ههنا ريبة

*(فيم الاقامة بالزوراء لا سكني * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي)*

(اللغة) فيم أصله فيما وسيأتي الكلام عليه في الاعراب (الاقامة) مصدر أقام اقامة اذا لازم مكانا لا يفارقه (الزوراء) بغداد سميت بذلك لانحراف قبلتها وفي بغداد لغات بغداذ بدالين مهملة أخيرة وبذالين معجمتين وبدالين مهملتين وبغدان بنون بدل الدال الاخيرة ومن أسمائها دار السلام وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما ان السلام اسم لدجلة والآخر انه يسلم فيها على الخلفاء ويقال ان اسمها بك داذ ومعنى بك بالتركية الرب ودار العادل فكأنهم قالوا الله العادل ويقال غير ذلك وهي بلدة أحدثها المنصور من بني العباس سنة أربعين ومائة ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث وبغداد الثانية هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي فالاولى الرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين وهي مدينة مسوّرة والثانية مشهد أبي حنيفة مسوّرة والثالثة جامع السلطان غير مسوّرة

منه وقد ورد كتاب الملك بما رسم لي فيه وأنا فيما أشير به على الملك حد الطاقة معه كالعدم مع الوجود ولكن غير ممتنع من اجابته فأقول ان لكل تربة لا محالة قسما من كل فضيلة وان لفارس قسمتها من النجدة والقوة وانك ان تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء منهم وتورث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدنياؤهم على مراتب ذوي أخطارهم ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة فان نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك وهجم ما لا روية فيه ولا منفعة معه فانصرف عن هذا الرأي الى غيره واعمد الى من قبلك من العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم والزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان التسمي بالملك لازم لاسمه والمنعقد بالتاج لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابرا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ويعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ثم لا يزدادوا في ذلك

والرابعة مدينة المنصور وفي الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد
وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسوّرة والسادسة الكرخ مسوّرة
والسابعة دار القز مسوّرة يقال ان المنصور سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد
عندما أراد أن يختطها أريد أن أبني ههنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق
فضحك وقال أنا هو وقيل انما قال له يبنيها ملك يقال له مقلاص فقال له انا كنت أدعى بذلك
فاختطها وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوانق فسمى الدوانيقي (قرأت) على
الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بدمشق في
ترجمة سنة ست وأربعين ومائة من تاريخه الكبير قال قال المدائني حدثني الفضل بن الربيع أن
المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة طاف به فأعجبه لكنه استكثر النفقة فقال لي أحضر لنا
بناء فارها فاحضرت فقال كيف عملت لنا في هذا القصر وكم أخذت لكل ألف آجرة فبقي
البناء لا يقدر أن يرد عليه مخافة من الذي كان على العمل فقال مالك ساكتا قال لا علم لي قال
ويحك قل وأنت آمن فقال والله لا أقف عليه ولا أدري به فأخذ بيده وقال تعال لا علمك الله
خيرا وأدخله الحجرة التي استحسنها وقال ابن لي طاقا يكون شبيها بالبيت لا يدخل فيه الخشب
قال نعم فاقبل على البناء واخذ يحصي جميع ما يدخل في الطاق من الآجر والجص ففرغ له في
يومين ودعا المستعمر الذي كان على العمل وقال ادفع له الاجرة على حساب ما عمل معك فدفع له
خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور وقال لا أرضى بذلك ولم يزل حتى نقصه درهما ثم انه آخذ
الوكلاء والمستعمر بحساب ما أنفقوا على نسبة ذلك حتى فضل ستة آلاف درهم (السكن)
ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره وبقية البيت مثل من أمثال العرب والاصل فيه ان
الصدوف العدوية كانت تحت زيد بن الاخنس العدوي وله بنت من غيرها تسمى الفارعة
كانت تسكن بمعزل عنها في خباء آخر فغاب زيد غيبة فلهج بالفارعة رجل عذري يسمى
شببا وطاوعته فكانت تركب كل عشية جملا لابيها وتنطلق معه الى ثنية يبيتان فيها ورجع
زيد من وجهته فعرج على كاهنة اسمها طريفة فاخبرته بريبة في أهله فاقبل سائر الايلوى على
احد وانما تخوف على امرأته حتى دخل عليها فلما رأته عرفت الشر في وجهه فقالت لا تعجل
واقف الاثر * لا ناقة لي في هذا ولا جمل * فصار ذلك مثلا يضرب في التبري عن الشئ قال الراعي

وما هجرتك حتى قلت معلنة * لا ناقة لي في هذا ولا جمل

(الاعراب) فيم اصله فيما حذفوا الالف منها لوجوه الاول قال الجرجاني اذا وصلوا ما في
الاستفهام حذفوا ألفها تفرقة بينها وبين ان تكون حرفا الثاني أنهم حذفوا الالف
لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال الثالث طلبا
للتخفيف في هذا الحرف اعني ما لانه يقع كثيرا في الكلام وابقوا الفتحة لتدل على ان المحذوف
من جنسها كما فعلوا في علام والام وحتام وعم وبم والاصل على ماذا والى متى وحتى
متى وعماذا تسأل وبماذا تعتذر وهذه اللغة الفصحى أعني الحذف هي لغة القرآن قال الله
تعالى عم يتساءلون وقرأ عكرمة في الشاذ عما يتساءلون باثبات الالف رجوعا الى الاصل قال
ابن جني في المحتسب روينا عن قطرب لحسان رضي الله عنه

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في دمان

بصيرة الأحد ثواهنا الملك
استقامة بك فان دنوت منهم
كانوا الملك وان نأيت عنهم
تعززوا بك حتى يثب كل
منهم على جاره باسمك وفي
ذلك شاغل لهم عنك وأمان
لاحداثهم بعدك ولا أمان
للدهر وقد أديت للملك
ما رأيته حظا وعلى حقا
والملك ابعد روية وأعلى
عينا فيما استعان بي عليه
والسلام الابدي فليكن على
الملك * قال المؤلف ولما
ورد كتاب ارسطاطاليس
على الاسكندر تأمله وعرف
الحق وفرق القوم في الممالك
كما ذكرنا فسموا ملوك
الطوائف وسار الاسكندر
الى الشرق فدانت له الملوك
وبنى مدينة أصبهان وهراة
وسمرقند ولما وصل الى
الهند خرج اليه ملكها في
ألف فيل عليها المقاتلة وفي
خراطيمها السيوف الهندية
فلم تثبت خيل الاسكندر
فصنع الاسكندر فيلة من
نحاس مجوفة وربط خيله
فيها حتى ألفتها وملأها نفطا
وكبريتا ثم ألبسها السلاح
وجرها على العجل الى ناحية
العدو وبينها الرجال فلما
نشبت الحرب أمر باشعال
النار في أجوافها فلما
اشتعلت تنحى الرجال عنها
وغشيها فيلة الهند فضربتها
بخراطيمها فاحرقت الرجال

(قيل) ان بعض العوام سأل بعض الفضلاء فقال له بما توصيني فقال بتقوى الله واسقاط الالف من ما فأصل فيم فيما في حرف جر وما اسم استفهام وموضعه رفع على انه خبر مقدم والمبتدا هو قوله الاقامة وانما تقدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام تقول أين زيد وكيف هو ومتى نصر الله كأنه قال الاقامة بالزوراء فيما ذا (بالزوراء) الباء تكون للظرفية في الزمان كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وللظرفية في المكان كهذه ومجيئها للمكان أكثر منها في الزمان وتكون للسببية كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وللاستعانة نحو كتبت بالقلم وذبحت بالسكين وللتعدية كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم وللالصاق نحو مررت بزيد وللصاحبة نحو بعتك الدار بأثاثها ومنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وبمعنى من التي للتبعيض كقول الشاعر

فلثمت فاها آخذا بقرونها ＊ شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

ذكر ذلك الفارسي في تذكرته وحكى مثله عن الاصمعي في قول الشاعر

شربن بماء البحر ثم ترفعت ＊ متى لجج خضر لهن نئيج

هذا كلام الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس وخالفه مالك رحمه الله تعالى وجماعة من أهل العربية وأنكروا ذلك منهم محب الدين أبو البقاء العكبري فانه قال في قوله تعالى برؤسكم الباء زائدة وقال من لا خبرة له بالعربية ان الباء في مثل هذا للتبعيض وليس بشئ يعرفه أهل العلم ووجه دخولها انها تدل على الصاق المسح بالرأس ذكر ذلك في اعرابه (قلت) قال الشيخ شهاب الدين القرافي اذا قلت مسحت بالمنديل وكتبت بالقلم وطفت بالبيت فمن المعلوم انك ما مسحت بكل المنديل ولا كتبت بكل القلم ولا طفت بكل البيت علوا وسفلا وباطنا وظاهرا وانما مسحت ببعض ذا وكتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا ＊ وقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره قال الشافعي في مسح الرأس الواجب فيه أقل شئ يسمى مسحا الرأس وقال مالك يجب مسح الكل وقال أبو حنيفة يجب مسح قدر ربع الرأس وحجة الشافعي انه لو قال مسحت بالمنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بكله اما لو قال مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في مسح اليد بجزء من أجزاء ذلك المنديل اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد بجزء من أجزاء الرأس ثم ذلك الجزء غير مقدر في الآية فان أوجبنا تقديره بمقدار معين لم يكن ذلك القدر الا بدليل مغاير لهذه الآية فيلزمكم ضرورة ان تقولوا ان الآية مجملة وهو خلاف الاصل فان قلنا انه يكفي في ايقاع المسح على أي جزء كان من أجزاء الرأس كانت الآية مبينة مقيدة ومعلوم أن حمل الآية على محمل تبقى الآية معه مقيدة أولى من حمله على محمل تبقى الآية معه غير مقيدة فكان المصير الى ما قلناه أولى وهذا الاستنباط حسن من الآية انتهى (قلت) هذا بحث مع مالك رضي الله عنه في ايجابه مسح كل الرأس ومع أبي حنيفة رضي الله عنه في تقدير الربع وأما منع من قال بزيادتها فقد قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى لا تزاد الباء بالقياس الا في الخبر المنصوب مع ما وليس وكان اذا وليت النفي وفي فاعل كفى وفي فاعل التعجب نحو وأحسن بزيد على رأي البصريين وما عدا ذلك فليس بقياس بل هو مسموع كزيادتها في المبتدا نحو بحسبك أن تفعل لا غير ومع الفاعل نحو قول امرئ القيس

واحترقت فمن سلم ولى هاربا فكانت الدائرة على ملك الهند ولما وصل الاسكندر الى الماء نكير وهو من ملوك الصين خرج اليه الملك وارسل اليه يقول علام تفنى العالم ابرز الي فان قتلتني كنت أنت الملك وان قتلتك كنت أنا الملك فتيمن الاسكندر بكونه بدأ بنفسه في ذكر القتل فبرز اليه فقتله الاسكندر ثم توغل في بلاد الصين الى مقر ملكها الاكبر وجرت لهما اخبار طويلة اصطلحا فيها على مهادنات ومهاداة فبينما هو في بعض الليالي جالس نصف الليل اذا بالحاجب قد دخل فقال رسول من ملك الصين بالباب فأذن له فدخل فقال له قل فقال الامر الذي جئت فيه لا يحتمل الا الخلوة فأمر بتفتيشه فلم يجد معه حديدا فأخلى المجلس وبقي هو واياه فقال له قل فقال أنا ملك الصين قال وما الذي أمنك مني قال ليس بيني وبينك عداوة ولا دخل وبلغني انك رجل حكيم عاقل حليم ولو قتلتني لم تظفر بطائل مني فانهم يقيمون غيري وتنسب الى الغدر فاخبرني ما الذي تريده مني قال ارتفاع ملكك ثلاث سنين آجلا ونصف ارتفاعها عاجلا قال لقد أجحفت فما زال ينقصه حتى اقتصر

ألا هل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

أى أقام بالحضر وترك البادية وما كان مثله ومع المفعول نحو قرأت بالسورة وألقى بيده ونحو ذلك ومع خبر المبتدا فى الاثبات عند الاخفش وأعرب عليه قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وانما قال ابن عصفور فى قوله تعالى أليس ذلك بقادر انه نادر وان كان فى خبر ليس لأن ليس هناك بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها النفى وصار الكلام تقريرا ويعنى بقوله نادر أى فى صحة القياس لا فى الاستعمال وعلى هذا يخرج كل ما جاء فى الكتاب العزيز (رجع القول الى تقسيم الباء) وتأتى بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (بالزوراء) موضعه نصب على انه ظرف للاقامة (لا سكنى) هذه لا التى لنفى الجنس وسيأتى الكلام عليها عند قوله * فلا صديق اليه مشتكى حزنى * وسكنى منصوب والاصل سكنالى وانما نصب لانه اسم لا وأضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على النون (بها) الباء للظرفية وها ضمير يرجع الى الزوراء وعلامة الجر لا تظهر لان المضمرات مبنيات (ولا) الواو عاطفة ولا هى التى لنفى الجنس (ناقتى) اسم لا وقد أضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على التاء (فيها) فى هنا ظرفية والضمير راجع الى الزوراء (ولا جملى) اعرابه كما تقدم (المعنى) اقامتى فى بغداد لا لشئ ولا سكن لى بها ولا علاقة لى فيها بدليل ما ضربه من المثل فى قوله ولا ناقتى فيها ولا جملى فقد تبرم من المقام فيها كل التبرم لما استفهم استفهام منكر على نفسه وموبخ لها على المقام فيها واذا كان كذلك فرحيله عنها متعين

وان صريح الحزم والرأى لامرئ * اذا بلغته الشمس ان يتحولا

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى وهى أحب البقاع اليه وهاجر الى طيبة لما نبا المقام به وكان من أمره ما كان وعاد اليها بعد مدة وفتحها الله عليه وهو فى عشرة آلاف بعد ما خرج منها هو وأبو بكر منفردين ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فأسكنى فى أحب البقاع اليك وبهذا تمسك من فضل المدينة على مكة شرفها الله تعالى وأما البقعة التى احتوت على جسده الكريم ولمت أجزاء جسمه الجسيم فلا خلاف فى انها أشرف بقاع الارض وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المدينة لتنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وبه تمسك مالك فى تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك فى المدينة ظهر دابة قط وكان يقول أستحى ان أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبى الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا

هدم فيه موضعين الاول وكيف عرفنا والثانى لمن بان عنه لانه لو بركها ما لاقا بالمقام وينهدم معنى بان أيضا لانه فى الاصل من البين وهو الفراق وفى حالة الاستشهاد يكون من البيان وهو الظهور وهذا يجرى أيضا فى قول أبى الطيب

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فيحتمل المعنيين لم يبن من الظهور أى لم يظهر ولم يبن من الفراق أى لم يتخلف عن الطيران من

على سدس الارتفاع ثم قام مسرعا فخرج وبات الاسكندر ليلته يفكر فى أمره فلما طلع الصباح اذا ملك الصين قد أقبل فى جيش طبق الارض وعليه تاجه وبين يديه الامم فركب الاسكندر واستعد للقتال ثم ناداه يا ملك الصين أغدرا فانفرد عن أصحابه وقال لا ولكن أردت ان أعرفك انى لم أطعك عن قلة وضعف وما غاب عنك من جنودى أكثر ولكن رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منك وأكثر عددا ومن حارب العالم الكبير غلب ثم ترجل وقبل الارض فنزل الاسكندر عن فرسه وجلسا على سرير فقال له الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه خراج وقد أعفيتك فقال الملك أما اذ قد فعلت فلا بد من حسن المكافأة ثم بعث اليه بضعف ما قرره عليه وعاد الاسكندر وقد دانت له الملوك ودوخ له البلاد فأقام بشهرزور أياما واحتضر بها وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واختلف فى عمره فقيل ست وثلاثون سنة وقيل أكثر وبين وفاته وبين الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ستمائة سنة وقيل غير ذلك ومن أراد تحرير التاريخ فليأخذه من المختصر فى تاريخ

السقم

السقم بل يلزم الثوب ولم يبن عنه وهذا الثانى أدق معنى وألطف من الاول قال ابن خفاجة الاندلسى لو قال أبو الطيب

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لاهله ان نمشى رسومهم ركبا

لجاء البيت أتم جزالة لكن أبا الطيب انما كان يمتثل بالمعانى ولا يبالى بالالفاظ وربما قال قائل لفظة بان عنه تعطى معنى الرسوم لان المنزل اذا بان عنه ساكنه أقوى فاللفظان متساويان فيقال له هذا أصرح من ذلك وأنت تجد قولك لقيت من ضرب زيدا قد نزل عن قولك الذى ضرب زيدا وكان ذلك انما ينزل فى النفس عن مرتبة الجلالة فى اللفظ لا فى المعنى وقال ابن خفاجة عقب ذلك

وتلذذت نحو الحمى بى نظرة * عذرية ثنت العنان الى الحمى

فلويت أعناق المطى معرجا * ونزلت أعتنق الاراك مسلما

فى منزل ما أوطأته حافرا * عرب الجياد ولا المطايا منسما

قلت الذى أورده ابن خفاجة حسن ولكنه أتى بمعنى أبى الطيب فى ثلاثة أبيات وقد لمحت أنا الى قول ابن خفاجة فنظمته وزدت فيه مع الاستعارة حسن التعليل وهو

أضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشى الهوينى فى ظلال حماها

فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الا أعينا وجباها

وقال ابن بسام فى الذخيرة أول من بكى الربع واستبكى ووقف واستوقف الملك الضليل حيث يقول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ثم جاء أبو الطيب فنزل وترجل ومشى فى آثار الديار حيث يقول * نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * البيت وما قبله ثم جاء المعرى أبو العلاء فلم يقنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول

تحية كسرى فى الثناء وتبع * لربعك لا أرضى تحية أربع

وما أحسن قول ابن الساعاتى بهاء الدين على من أبيات يصف المطر

سرى راكبا ظهر الغمام كرامة * فلما تراءى هضب نجد ترجلا

انظر الى هذا المعنى فانه رحمه الله من كلام أبى الطيب ولكن نقله نقلا حسنا قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود بن زين الدين سلمان بن فهد الحلبى بدمشق مجلدة من نظمه فى مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمها بأسنى المنائح فى أهنى المدائح من ذلك فى أثناء قصيدة

الا حبذا مسرى الركاب وقد رأت * لها معلما عند الثنية معلما

وقد نزل الركبان عنها وعفروا * سجيرا على الارض الوجوه لتكرما

ولاح الحمى والصبح فى طرة الدجا * فلم يدر ما شق الحنادس منهما

وقد أشرفت تلك القباب وأشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتلثما

ومن شعره أيضا فى الكتاب المذكور

كأنى بكم والبيد تطوى لديكم * وقد فزتم دون المتيم باللقا

ولاحت لكم بين النخيل أشعة * أضاءت لها الاكوان غربا ومشرقا

وقد عفتم الاكوار لما علمتم * بها ان تلك الارض أشرف مرتقى

البشرة ألف مولانا السلطان الملك المؤيد ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الى أمه كتابا يسالها فيه أن تصنع وليمة وتدعو نساء أهل المملكة ولا تاذن الا لمن لم تصب بفقد عزيز من أهلها ففعلت ذلك فلم يرد عليها أحد فعلمت انه مات وان ذلك تعزية لها ثم أوصى أن يوضع فى تابوت من ذهب ويطلى بالاطلية الممسكة ويحمل الى أمه بالاسكندرية فلما فعل ذلك جمع ارسطاطاليس الحكماء وأمرهم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا كما فعل بالاسكندر الاول وكانوا عشرة فقال الاول أصبح مستأسر الاسرى أسيرا وقال الثانى هذا الاسكندر طوى الارض العريضة وهو اليوم يطوى منها فى ذراعين وقال الثالث العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون وقال الرابع ماسافر الاسكندر سفرا طويلا بلا آلة سوى سفره هذا وقال الخامس سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم على الرعية فصارت الرعية تحكم عليه وقال السابع كنت تأمرنا بالحركة فما بالك ساكنا وقال الثامن رب حريص على سكوتك وهو اليوم حريص على كلامك وقال التاسع كم أمات من فى

وسابقتم أقدامكم بوجوهكم * ليشرف خد ظل بالترب ماصقا

وما أحسن قوله سابقتم أقدامكم بوجوهكم وأما عجز البيت الرابع من القطعة الاولى فهو مضمن من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي

فلما توافينا وسلمت أشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشئ فلما دخل بها مصعب بن الزبير كلمها في ذلك فقالت ان الله عز وجل قد وسمني بوسم جمال فأحببت ان يراه الناس والله ما في وصمة استتر لها (ذكرت) بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قول جمال الدين بن مطروح

لا تنكرن لاهل مكة قسوة * والبيت فيهم والحطيم وزمزم

آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته أهل طيبة منهم

رأف الاله على الذي قد جاءه * سلما فلا يأتيه الا محرم

(رجع القول الى طلب خروج الطغرائي من بغداد) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فأينما وجدت الخير فأقم واتق الله قال المتنبي

وكل أمر يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

والمقادير عجائب وفوائد قوم عند قوم مصائب هذا يقول في بغداد هذه المقالة والعكوك يقول لما كره عنها ارتحاله

لهفي على بغداد من بلدة * كانت من الاسقام لي جنه

كأنني عند فراقي لها * آدم لما فارق الجنه

وأبو العلاء المعري يقول

بت الزمان حبالي من حبالكم * أعزز علي بكون الوصل مبتوتا

ذم الوليد ولم أذمم جواركم * فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا

يشير الى قول البحتري رحمه الله

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهي المحل الآنس

وابن الرومي قال يتشوق الى بغداد

بلد صحبت بها الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثل في الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

وأما الشريف الرضي فانه قال فيها

مالي لا أرغب عن بلدة * يكثر فيها الدهر حسادي

ما الرزق في الكرخ مقيما ولا * طوق العلا في جيد بغداد

(وقال)

أبغداد ما لي فيك نهلة شارب * من العيش الا والخطوب مزاجها

لما نبت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج منها طالبا مصر فشيعه من أكابر أهلها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقتها ومن شعره فيها

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

هذا الصندوق لئلا يموت فات وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكوته وقالت أمه مما يسلي عنه المعرفة باللحوق به وقالت روشنك ما كنت أظن ان غالب دارا يغلب * قلت ومن كلام الاسكندر السعيد من لا يعرفها ولا نعرفه فانا اذا عرفناه اطلنا يومه وأطرنا نومه وقيل له انك عظمت معلمك أكثر من تعظيم والدك فقال لان أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد من سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال النظر في المرآة يرى رسم الوجه وفي أقاويل الحكماء يرى رسم النفس وقيل له ان فلانا ينتقصك فلو عاقبته فقال هو بعد العقاب أعذر وتحاكم اليه اثنان فقال الحكيم يرضى أحدكما ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا وأحضر بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك اني فعلت ما قد فعلت وأنا كاره فقال تصلب أيضا وأنت كاره وغضب على بعض شعرائه فأقصاه وفرق ماله في أصحابه فقيل له في ذلك فقال أما أقصائي له فلجرمه وأما تفريقي ماله في أصحابه فلئلا يشفعوا فيه وجلس يوما

أفت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنى مصحف فى بيت زنديق

ووافقه القاضى عبد الوهاب تشبيه واقعة النضر بن شميل النحوى فانه لما ضاقت معيشته بالبصرة خرج يريد خراسان فشيعه من أهلها نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوى أو عروضى أو اخبارى أو لغوى فلما صار بالمربد قال يا أهل البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلاء ما فارقتكم فلم يكن فيهم من يتكلف له ذلك ذكر ذلك أبو عبيدة فى مثالب أهل البصرة وقال ابراهيم الغزى

مالى وللمكث فى الزوراء يجحف بى * من ألقح الحزم لم يفرح بما نتجا

قالوا أظن هو المعدى مساكنها * بنار لوعته لما ارتقى درجا

فالدور محترقات والهجير بها * يساعد الهجر فيما يسلك المهجا

وقال التهامى

بعض التفرق أدنى للقاء وكم * رأيت شملا بشمل غير ملتئم

كيف المقام بأرض لا يخاف بها * ولا يرجى شبا رمحى ولا قلمى

وقال شرف الدين القيروانى

وصير الارض دارا والورى رجلا * حتى ترى مقبلا فى الناس مقبولا

وهو مأخوذ من قوله

شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال أبو العرب مصعب الصقلى

اذا كان أصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

وقال أبو فراس

من كان مثلى فالدنيا له وطن * وكل قوم غدا فيهم عشائره

وما تمدل الاطناب فى بلد * الا تضعضع باديه وحاضره

وقال مسلم بن الوليد

فان الفتى ما عاش رهن تقلب * مزال بصرفى دهره المحول

وقد عجمت منى الخطوب ابن حرة * متى ما تريه منزل السوء يرحل

وقال أبو الطيب

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعينى فى فراقه الحيل

فى سعة الخافقين مضطرب * وفى بلاد من أختها بدل

(وقال أيضا)

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

بأرض ما اشتهيت رأيت فيها * فليس يعوزها الا الكرام

وقال أبو تمام

وما ربع القطيعة لى بربع * ولا النادى الاذى منى بنادى

وقال ابن سنا الملك

لم لا أهين صغارهم * وكبارهم تيها وكبرا

مجلسا عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما أعد هذا اليوم من ملكى قيل ولم أيها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين وقال من انبسط فقد أسلفك حسن الظن بك وله حكم لا تحصى وأقوال لا تستقصى أضربت عن ذكرها خوف الاطالة

(وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك)

هو أردشير بن بابك من ولد بهمن الملك أبى دارا الاكبر وكان بهمن قد تزوج ابنته خمانى على عادتهم فحملت منه بدارا الاكبر وسألته أن يعقد التاج على بطنها الولدها ففعل وكان له ولد يسمى ساسان من امرأة أخرى فلما مات بهمن تنسك ساسان وساح فى الجبال وعهد الى بنيه أنه من ملك منهم فليقتل من قدر عليه من نسل دارا وكان أردشير هذا من ولد ساسان على ما ذكر بعض الرواة وهو أول الفرس الثانية ومعنى الثانية أن الاسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس وفرق من بقى منهم وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان فلما توفى الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد

ما النيل من ماء الحيا * ة ولا جميع الارض مصرا

هذا يشبه قول الشريف الرضي ما الرزق في الكرخ اليمين وقد تقدما والاصل فيه قول ابن أخي أبي دلف العجلي

دعيني أجوب الارض في طلب الغنى * فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

يعني عمه أبا دلف الذي قال فيه العكوك رحمة الله عليهما

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

وقال الغزي

من ظن ان القوافي لا شور لها * فليذكر القاسم العجلي والكرخا

وما أحسن قول الجزار يمدح موسى بن يغمور

لما توالى حكمه قلنا له * مما رأينا أنت موسى الكاظم
اني وان كنت حبيبا عنده * فانه للرزق عندي قاسم

يريد بقوله حبيبا أبا تمام الطائي وبقوله قاسم أبا دلف العجلي لان أبا تمام له فيه مدائح كثيرة مشهورة ويعجبني أبيات ابن حمديس الصقلي وهي

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للنفس تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة * فاني أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا * حسبت دموعي أنهارها

وقال ابن الابانة في صاحب المربد

جناب ابن معن تجنبته * فلم يرضني بعده العالم
وكانت مدينته جنتي * فجئت بما جاءه آدم

ومما اتفق لي نظمه بالرحبة

وبلدة قدمتني * بكل داء عنادا
ولو رجعت لاهلي * كانت بلادي بلادا

وقلت فيها أيضا

بالرحبة انهد ركني * وذاب عظمي وجلدي
اصيفها حرحر * ولشتاها برد برد

وقلت فيها أيضا

عدمت بالرحبة اكتسابي * فلا قريض ولا قراضه
وكل طرفي بها وفكري * فلا رياض ولا رياضه

وقلت

تبا لها من بلدة لا أرى * فيها مقامي واضح النهج
لانها في وجه سكانها * وأهلها تبصق بالثلج

وما أعرف أحدا اضمن هذا المثل أعني لا ناقة لي في هذا ولا جمل أمكن ولا أحسن من قول الشهاب أبي الثناء محمود أنشدني لنفسه اجازة من قصيدة

مده تحرك أردشير وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اصطخر وخرج طالبا للملك وأوهم انه يطلب بثار ابن عمه دارا وجمع الجموع وكاتب ملوك الطوائف بكتاب طويل أوله من أردشير بن بابك المستأثر دونه المغلوب على تراث آبائه الداعي الى الله المستنصر به فانه وعد المظلوم الظفر والعاقبة سلام عليكم بقدر ما تستوجبون من معرفة الحق وانكار الباطل ثم ذكر كلاما طويلا معناه الحث على المعاونة فنهم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه فخرج بعساكره فقتل المتأخر ثم عطف على بقيتهم فقتلهم وفاء لما عهد به جده ساسان الى بنيه ورزقه الله الظفر والنصر وقتل ملك الاردوان مبارزة ووطئ رأسه بقدميه وتسمى من ذلك اليوم شاهنشاه الاعظم ومعناه ملك الملوك ثم قام خطيبا فقال الحمد لله الذي خصنا بنعمه وخولنا من فضله ومهد لنا البلاد وها نحن شارعون في اقامة العدل وادرار الفضل والاقبال على الرأفة والرحمة وانصاف الضعيف من القوي وستروون في أيامنا ما يصدق مقالنا بفعالنا ثم ساس الرعية ورتب الممالك وبه اقتدى الخلفاء والملوك بعده فانه رتب الناس على

أستغفر الله أين الغيث منفصلا * من بره وهو طول الدهر متصل
من حاتم عدّ عنه واطرح فيه * في الجود لا بسواه يضرب المثل
أين الذي بره الآلاف يتبعها * كرائم الخيل ممن بره الإبل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقة لي في هذا ولا جمل

انظر الى قلقه في بيت الطغرائي لانه عطف الناقة والجمل على السكن ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس وانظر الى وروده في أبيات الشهاب محمود فانه جاء في مكانه منسجم التركيب ثابتا في معناه حتى كانه ما برز الى الوجود الا في هذا المكان ولا ظهر الا في هذا القالب ولست أنكر ان الناس قد ضمنوه كثيرا في أغراض مختلفة طلبا للتبري عما ينتفي الانسان عنه ولكن كلما كان الكلام أكثر ارتباطا وتعلقا في أجزائه كان أحسن ألا ترى الى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت

وعيون أمرضن جسمي وأضرمن بقلبي لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض زواه * ما لأيام حسنها من زوال
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صالي

ما أحلاه وأرشقه وكيف خدمته لفظة جناتها فصارت من الجني لا من الجناية وقد ضمن المتأخرون والمتقدمون هذا البيت وما رأيت عقده الفريد على أحسن من هذا الجيد وقوله أيضا رحمه الله

هذا الذي أنا قد سمعت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعي المتنظم
لا تحرموني ضم أسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

كله حسن الا قوله المتنظم فان لؤلؤ الدمع منثور على ما هو المشهور وانظر الى قوله رحمه الله تعالى

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخديك نازل
نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول

والى قول الشهاب أحمد بن جانك في أقطع

وأقطع قد أضحى بجود عباله * ومن فضله في الناس مار دسائل
تناهت يداه فاستطال عطاؤها * وعند التناهي يقصر المتطاول

وأي هذين بروق لقابلك ويليق بلمك القدحابن جانك ذيل الفخار عليه وتناهى الى رتبة مشت فيها المحاسن بين يديه ولم أورد هذين التضمينين واحدهما في الحسن كالقمر والآخر قد خوّب على الأول ما شاده وعمر الا ليبدو لك الفرق بين عكين التضمين وقلقه وعلى ذكر الاقطع قال ابن دانيال رحمه الله

وأقطع قلت له * هل أنت لص أوحد
فقال هذي صنعة * لم يبق لي فيها يد

وما أحلى قول ابن قلاقس رحمه الله

كانت يدلك عند عبد أنت وحدك سيده
فقطعتها وبعزعبدي قولهم قطعت يده

طبقات فالطبقة الاولى الحكماء والفضلاء وكان مجلسهم عن يمينه وهم بطانته والطبقة الثانية الملوك وأبناؤهم وسماهم الخواص ومجلسهم عن يساره والطبقة الثالثة الاصبهبدية والمرازبة وهم بين يديه ولم يكن فيهم وضيع ولا دنيء الاصل ثم زادهم طبقات أخر من الوزراء والقضاة ورتب لكل ربع من أرباع الدنيا قوما يتفردون بتدبيره وتحريره ودانت له الدنيا وتمكن من الارض وكان من الشجعان المشهورين في الفرس يلقى وحده رجالا كثيرة ويشبه في قوته وشكله باردشير الاول الذي كان يدعى طويل الباع وفي أيامه بنيت المدن المشهورة كابلة واستراباذ وكرخ ميسان وغيرها ووضع له النرد تنبيها على انه لا حيلة للانسان مع القضاء والقدر وهو أول من لعب به فقيل نردشير وقيل انه هو الذي وضعه وشبه به تقلب الدنيا بأهلها فجعل بيوت النرد اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وعدد كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلبهما بأهل الدنيا وأن الانسان يلعب به فيبلغ باسعاف القدر ما يريده وان اللاعب الفطن يتأتى له ما لا يتأتى لغيره اذا أسعده

(رجع) قول الطغرائي فيم الاقامة البيت هذا النوع تسميه أرباب البديع عتاب المرء نفسه وهو من ابراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين وهما

عصاني قومي والرشاد الذي به * أمرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

والشاهد في هذه التسمية قول القائل

فقدتك من نفس شعاع وانني * نهيتك عن هذا وأنت جميع

ومن التضمين المليح قول زكي الدين بن أبي الاصبع لانه نقل الحماسة الى الغزل

له من ودادي ملء كفيه صافيا * ولي منه ما ضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهي ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

وممن أجاد في التضمين وبلغ الغاية مجير الدين محمد بن تميم فانه قال

وطرف تخط الارض رجلاي فوقه * اذا ماه مشى ضاقت على المنافس
وما أنا الا راجل فوق ظهره * ولكنني فيما ترى العين فارس

نقله من الفراسة الى الفروسية وقال

لو كنت في الحمام والحماة على * أعطافه وجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وكتب مع وردة أهداها

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وقال في زهر اللوز

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدنيا ابتسام

رفع امام على انه خبر لانت وقال

اذا هجرتني الصهباء يوما * أرى للنار في كبدي اشتعالا
كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقال

وجيران ألفتهم زمانا * فأبعدهم نوى الحدثان عني
أثاروا عيسهم فجرت دموعي * كأن العيس كانت فوق جفني

وقال

قيان ملاهيها بالذ سماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما ينشي لنا السكر بينها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وكتب مع قدح أهداه

أهديته قدحا فان أنصفته * أوسعته بجماله تقبيلا
نظمت به الصهباء درحبابها * حتى يصير لرأسها اكليلا

وقال يرثي قدحا

الهند رفعا رضتهم حكماء الهند بالشطرنج وأقام في الملك خمس عشرة سنة ثم فوضه الى ابنه سابور وانقطع في بيوت العبادات ثلاث سنين الى أن توفي بعد مولد المسيح عليه السلام * ومن كلامه الدين أساس والملك حارس ومالم يكن له أساس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع * وقال لا شئ أضر على الملك أو على الرئيس من معاشرة وضيع أو مداناة سفيه وذلك أن النفس كما تصلح بمعاشرة الشريف فكذا تفسد بمخالطة السخيف حتى يقدح ذلك فيها كما ان الريح اذا مرت بالطيب حملت منه رائحة طيبة تنعش النفوس وتقوى بها الجوارح فكذا اذا مرت بالنتن فحملت منه الروائح الكريهة آلمت النفس وأضرت بها وكان الفساد اليها أسرع من الصلاح وقال ان للآذان مجة وللقلوب ملالا ففرقوا بين الحكمتين يكون ذلك استجماما وكتب اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من أحوجكم الى الشكوى يعني نفسه ثم فرق فيهم مالا وكتب اليه متنصح ان قوما اجتمعوا على سبك فوقع عليها ان كانوا انطقوا ألسنة شتى فقد جمعت ما قالوه في رقتك

أراق دما قد صدّع الدهر شمله * وأصبح بعد الراح قد جاور التربا
سأبكيك في وقت الصبوح وانني * سأكثر في وقت الغبوق لك الندبا
وان قطبت شمس المدام لفقدها * لانك كنت الشرق للشمس والغربا

وقال في مليح يشرب بفيه

أفدى الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

وقال في مليح ينظر في مرآة

سقيا لمرآة الحبيب فانها * جليت بكف مثل غصن أينعا
واستقبلت قمر السما بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

(وقال رحمه الله)

عاينت في الحمام أسود دوائبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وقال أيضا)

تعبت حتى جوادي لا حراك به * يكاد من همزه بالركض ينهدم
فلا يغرنك منه شبه غلطا * ان الجواد على علاته هرم

(وقال أيضا)

وأهيف مثل البدر غصن قوامه * عليه قلوب العاشقين تطير
يدور عذاراه لتقبيل وجنة * على مثلها كان الخصيب يدور

وعلى الجملة فمحاسنه في التضمين كثيرة الى الغاية وأكثر ما أجاد في التشبيه والتورية والتضمين وقال في كثرة تضمينه وكل ما أوردته له نقلته من خطه

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غيري

ونقلت من خط سراج الدين عمر الوراق له

توارت من الواشي بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ونقلت له منه في بخيل صفع

وباخل يشنأ الأضياف حل به * ضيف من الصفع نزال على القمم
سألته ما الذي تشكو فجاوبني * ضيف ألم برأسي غير محتشم

ونقلت منه له مما قاله في شخص غرابيلي

مالي وما للغرابيلي يبسط في * عرضي لسانا كثير اللغو والهذر
فهل توهم جهلا أن سيجمعنا * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ونقلت منه له أيضا

اذا ما جعلتم جفنة الصلح سكرا * فقد جئتم الامر الذي كان أصلحا
وأنتم أحق الناس ان تنشدوننا * لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى

في رحلك أعجب والسالك أكذب

(والضحاك استدعى ممالك)

اختلف في نسب الضحاك فقال قوم انه الضحاك بن الاهبوب بن عوج بن طهمورث ابن آدم وزمنه بعد الطوفان وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج ملك الاقاليم وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة وهو الذي ولى أخاه سنانا مصر على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام وقال قوم هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه وفي ذلك يقول أبو نواس
وكان منا الضحاك يحذره الـ
ـحابل والوحش في مساربها
والقول الاول أكثر وكان من سيرته أن جمشيد ومعناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة وهو أول من عمل السلاح واستخرج الابريسم والقز وألزم أهل الفساد الاعمال الشاقة في قطع الصخور واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك هذا وتبعه خلق كثير لبغضهم في جمشيد فهرب جمشيد بين يديه فظفر به وأمر بنشره بمنشار وقال ان كنت الها فادفع عن نفسك ثم ملك الضحاك وطغى وتجبر وفخر ودان بدين البراهمة وهو أول من

ونقلت منه له فى العنة

نشطت اسريتى فاتنى * متاعى من بعد ماقد عزم
فقلت تنام ولى مقلة * مسهدة من بهذا حكم
فقال أما قال بشاركم * فنبهها عمر اثم نم

وله ولم أره بخطه

وسقيم الجفون أودعه الله بذاك السقام سرا خفيا
غلبت مقلتاه قلبى عشقا * وضعيفان يغلبان قويا

أنشدنى لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى اجازة

ياضعيف الجفون أضعفت قلبا * كان قبل الهوى قويا مليا
لاتحارب بناظريك فؤادى * فضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ومليح قد أخجل الغصن والبد * ر قواما رطبا ووجها جليا
غلب الصبر فى لقا ناظريه * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الامير علاء الدين الطنبغا الجاولى

ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقاما * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدنى) لنفسه المرحوم القاضى شهاب الدين ابو الثناء محمود اجازة

قل لى عن الحمام كيف دخلتها * يامالكى لتسرخلا مشفقا
أدخلتها وأولئك الاقوام قد * شدوا المآزر فوق كثبان النقا

(ومما اتفق) لى نظمه

قل للرقيب ليسترح من رصدى * ماأصبح المعشوف عندى يشتهى
وارتد قلبى عن سيوف جفونه * وكل شئ بالغ الحد انتهى

(وقلت) وقد عدت مليحا أرمد

أيقظته من كراه بعد مارمدت * عيناه لامسه من بعدها الم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة * وقد نظرت اليه والسيوف دم

(وقلت) أيضا فى بكاء المحبوب

بمقلة محبوبى دموع تحدرت * دلالا على صب غدا وهو مغرم
فشبهت عينيه سيوفا وقد غدت * من التيه فى أغمادها تتبسم

(وقلت) فى الاتراك الذين يحلقون ذوائبهم

لقد زان أصداغ المماليك نبتها * وماشانهم فى الحسن حلق الذوائب
فما بال من يهواهم عندما اتقى * عضاض الافاعى نام فوق العقارب

(وقلت) فى مليح أحب أسود

أيا من تكلف حب العبيد * ذلك فى العقل لايجمل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

غنى له وضرب الدنانير والدراهم ولبس التاج ووضع العشور وكان على كتفيه سلعتان يحركهما اذا شاء وادعى انهما حيتان يهول بهما على الضعفاء وذكر انهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطليهما بدماغى انسانين يذبحان له فى كل يوم وكان له وزير صالح فكان يستحيى أحدهما و يضع مكان دماغه دماغ كبش و يأمر الرجل باللحوق بالجبال وان لا يأوى الامصار فيقال ان الاكراد من تلك القوم اولادهم الى الجبال ثم كثر فساد الضحاك وطالت مدته فاجتمع الناس على افريدون ابن جمشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان باصبهان رجل حداد يقال له كابى قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكانت له قطعة جلد يتقى بها حرالنار فرفعها على رمح وجعلها علما وسار الى الضحاك والناس معه فخرج اليه فلما رأى ذلك العلم ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب فانهزم وأراد الناس أن يملكوا كابى فأبى وقال لست من بيت الملك فملكوا افريدون بن جمشيد وصار كابى عونا له وقتل الضحاك وقيل مات منهزما وعظم علم كابى ورصعته الملوك بالدر

(وقلت) فيمن يتهم بحاله مع معشوقه

يقول له المعشوق وهو يلوطه * لعلك تخني بعد ذاك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة * اذا لم يكن تحت الكرام كرام

(وقلت) في تفضيل بياض الشيب على سواد الشباب

أرى فضل المشيب على شبابي * يخالف فيه بعض الاغبياء
وهبني قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء

(وقلت أيضا)

قالوا حلا وصف العذار من الورى * في كل ما نلقاه من أبياته
فأجبتهم لم لا يرى حلوا وقد * قطف الرجال القول عند نباته

(وقلت) في تفضيل مملوك على خادم

يا من يرجح وجها كالظلام على * وجه كصبح تبدى في بشائره
ان كان مملوك هذا مثل خادم ذا * فما انتفاع أخي الدنيا بناظره

(وقلت أيضا)

ظبي من الاتراك يحمي خده الـ * حسن النقي من النبات المعتدي
قال الجمال لخده المبيض قد * خلت الديار فسدت غير مسود

(وقلت أيضا)

كافت بوجه فيه بعض سماجة * رجاء بان يحلو اذا هو عذرا
وغير بعيد أن يزان بلحية * فقد ينبت المرعى على دمن الثرى

(وقلت) مضمنا قول المعري في فرند السيف

ما كنت أحسب لولا نبت عارضه * أن ينبت الآس وسط الجمر في النهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

(وقلت) في شيب عذار الحبيب

قال الحبيب وقد وصفت مشيبه * والناس قد وصفوه لما عذرا
قطف الرجال القول عند نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

(وقلت) أيضا مضمنا قول المعري

وأشقر نبت عارضه تراه * كأن شعاع وجنته تلالا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا

(وقلت أيضا في مقياس نيل مصر)

يقول لنا المقياس والنيل هابط * أيقطع أوصال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وقلت أيضا)

ألا فاسقني من ريقة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لي هي الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمي * فلا خير في اللذات من دونها ستر

(وقلت أيضا)

واليواقيت وكانوا يقدمونه أمام الجيوش وقت الحرب فينتصرون به وكان عندهم كالتابوت في بني اسرائيل ويعرف هذا العلم بدرفش كابيان ولم يزل في خزائنهم يتوارثونه الى زمن يزدجرد بن شهريار فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحمل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقسم جواهره في الناس * ومما اتفق من الحكايات المستظرفة في أيام الضحاك انه لما طالت مدته وفساده اجتمع الناس على بابه وكابي الحداد معهم فلما دخل وكان جريا قال له اسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم قال بل سلام من يملك الاقاليم كلها فقال له اذا كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصت هذا الاقليم بنوائبك ومؤنتك وهلا انتقلت الى الاقاليم وساويت بينه وبينهم ثم عدد عليه أشياء فصدقه الضحاك ووعد الناس بما يحبون فانصرفوا وكانت له أم جبارة سمعت ماجرى فلما خرجوا أنكرت عليه وقالت لقد جرأتهم عليك هلا قتلتهم فقال لها مع عتوه وتجبره ان القوم بدهوني بالحق فلما هممت بالسطوة بهم وقف الحق

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهي البديع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل جامع * وما قصبات السبق الا لمعتدي

(وقلت) في ملاح أعور

أفديه أعور طرفه الشباقي يقول وما تعدي
قد غار من حسني أخي * وبقيت مثل السيف فردا

(وكتبت) على مجلد قديم قد رث

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد في دهره بمخلد
اذا عاينت كفي الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ذكرت هنا ما أخبرني به الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه وأنا أقرأ عليه الاشعار السبعة عند قول طرفة وقوفا بها صحبي البيت قال ان بعض وزراء العرب ذكره لي ونسبته أنا أمر بضرب بعض العمال مائة سوط فقال اذا أهلك وكسر اللام فقال الوزير وأنت من أجل أهلك الحق بأهلك ومما يتعلق بهذا ما ذكره ابن وكيع في المنصف عن علي ابن بسام انه دعاه صديق له مع نحوي بدمشق فثقل على علي بن بسام ثم دعي معه في يوم آخر فتخلف عنه فلقيه النحوي فعاتبه على تخلفه فقال له ما يمنعك من زيارتنا فقال يمنعني ما يمنعك يريد ثقل الاعراب في يمنعك

*(ناء عن الاهل صفر الكف منفرد * كالسيف عرى متناه عن الخلل)*

اللغة نأى ينأى نأيا فهو ناء اذا بعد (الاهل) أهل الرجل فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم ولا بأس بمعرفة الجمع واسم الجمع واسم الجنس فانه من المهمات وقد خبط الناس في ذلك قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك الاسم الدال على أكثر من اثنين بشهادة التأمل اما أن يكون موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف واما أن يكون موضوعا لمجموع الآحاد دالا عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه واما أن يكون موضوعا للحقيقة ملغى فيه اعتبار الفردية الا أن الواحد ينتفي بنفيه فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان من لفظه واحد مستعمل كرجال وأسود أو لم يكن كأبابيل والموضوع لمجموع الآحاد هو اسم الجمع سواء كان له واحد من لفظه كركب وصحب أو لم يكن كرهط وقوم والموضوع للحقيقة بالمعنى المذكور هو اسم الجنس وهو غالبا يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمرة وتمر وعكسه كمأة وجبأة ومما يعرف به الجمع كونه على وزن لم تبن عليه الآحاد كأبابيل وغلبة التأنيث عليه ولذلك حكم على نحو تخم انه جمع تخمة مع أن نظيره من نحو رطب ورطبة محكوم عليه بانه اسم جنس لان تخما غلب عليه التأنيث يقال هذه تخم ولا يقال هذا تخم فعلم انه في معنى جماعة وليس مسلوكا به طريق رطب ونحوه ومما يعرف به اسم الجمع كونه على وزن الآحاد وليس له واحد من لفظه كقوم ورهط وكونه مساويا للواحد في تذكيره والنسب اليه ولذلك حكم على نحو غزى انه اسم جمع لغاز وان كان نحو كليب جمعا لكلب لان غزيا مذكر وكليبا مؤنث وحكم أيضا على نحو ركاب انه اسم جمع ركوبة لانهم نسبوا اليه زيت ركابي والجموع لا ينسب اليها الا اذا غلبت كانصاري اه (صفر) الصفر الخالي يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين وفي الحديث ان أصفر البيوت من الخير البيت الصفر

بيني وبينهم كالجبل فخال بيني وبين ما أردت ثم كان من أمره بعد ذلك ما كان مع كابي كامر

(وجذيمة الابرش تمنى منادمتك)

هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخي وقيل الازدي أول من قاد العرب وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والانبار وولايته من قبل اردشير بن بابك وكان أبرص فعدل عن هذا الاسم فقيل الابرش والوضاح وزعم بعضهم انه كان يأنف من اسم الابرص ولذلك كني عنه بالابرش وفي العرب من يفتخر بذلك قال الراجز يمدح أبرص

أبرص فياض اليدين أكاف
والبرص ادري باللها وأعرف

وهو أول من صنع له الشمع وأدبج من الملوك وكان ذا رأي وهمة وتيه مفرط ويقال له نديم الفرقدين كان اذا شرب قدح صب لهما قدحين ولا ينادم غيرهما وكان سبب ذلك فيما زعموا انه كان تكهن وانحذ صنمين يقال لهما الغريان يستسقي بهما وينتصر على أعدائه وكانت اياد قد خرج قوم منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين

من كتاب الله عزوجل وقد صفر الرجل بالكسر وأصفر فهو مصفر أى افتقر والصفاريت الفقراء والواحد صفريت قال ذوالرمة ولا خور صفاريت (الكف) معروف وفى الانسان من أعضائه عشرة أول كل عضو منها كاف وهى الكف والكوع والكرسوع والكتف والكاهل والكبد والكتد والكلية والكمرة والكعب (يحكى) ان بعض أشياخ اللغة طلب منه عدها فعد تسعة أعضاء ونسى الكمرة فلما قام الى بيت الخلاء ذكرها وقد كان قبل قد ذكر الكرش فقيل له ليس للانسان كرش انما هى الاعفاج ويقال ان ابن خالويه وضع مسئلة سماها الانطاكية اشتملت على ثلثمائة عضو من أعضاء الانسان أول كل كلمة منها كاف وقد رأيت أنا مجلدا ولم أعرف اسم مصنفه قد جمع فيه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم وهذا اطلاع كبير فرأيت فيه زيادة فى حرف الكاف على ماذكرته هنا الكذوب النفس والكعبرة عقدة مكبلة حائدة عن الرأس والكشفة بفتح الكاف والشين دائرة من شعر تكون عند الناصية تنبت صعدا والكرشمة الوجه ولكن لا يقال الا فى الشتم والكرد أصل العنق والكراديس ماشخص من عظام البدن كالمنكبين والمرفقين والكعاس عظام السلامى والكاثبة من الانسان والبهيمة مابين الكتفين الى أصل العنق والكلكل الصدر والكشح الجنب وهو من لدن الورك الى الخصر والكفل العجز والكاذة لحم مؤخر الفخذ والكراع من الانسان مادون الركبة والكوشلة الذكر والكظر ركب المرأة والكلثوم الكعثب وهو الفرج والكين لحم باطن الفرج والكراض حلق الرحم وأما الكس فليس بعربى على الصحيح واذكرأنى وقفت على فصل فيه تسمية اعضاء الانسان باسماء حروف المعجم من أولها الى آخرها * وأما تشبيه أعضاء الانسان بالحروف فقد أكثر الشعراء من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والقامة بالالف والطرة بالشين فن ذلك قول بعضهم

لاتقولى لاف كتوب على * وجهك المشرق نورا نعم
بحروف خلقت من قدرة * ماجرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقلت أنا من أبيات

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
يا للهوى عينها عين وحاجبها * نون وتم العنا من قدها الالف

وقال محاسن الشواء

أرسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى ألف ليست لوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقال جمال الدين يحيى بن مطروح

قالت لنا ألف العذار بخده * فى ميم مبسمه شفاء الصادى

وقال الآخر

كأن عذاره المسكى لام * ومبسم ثغره الدرى صاد

البصرة والكوفة وتمكنوا على مايلى الحيرة وكثروا بعين اباغ فخرج جذيمة غازيا وكان فى اياد رجل يقال له عدى بن نصر وكان له ظرف وجمال واليه تنسب الملوك من آل نصر فنزل جذيمة بساحتهم فبعث ايادقوما منهم الى صنمى جذيمة فسقوا سادنتهما الخمر وسرقوهما فأصبحوا بهما فى اياد فبعثت ايادالى جذيمة تقول ان صنميك قد أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فان عاهدتنا على أن لاتغزونا رددناهما اليك فقال جذيمة وتعطونى أيضا عدى بن نصر يكون عندى ففعلوا وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش وهى بكر فأحبت عديا وأحبها فسألته أن يخطبها من جذيمة اذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس وكان قد دخل بها تلك الليلة فقال جذيمة ماهذه الآثار ياعدى فقال آثار عرس رقاش فقال من زوجكها ويحك قال الملك فأكب على الارض مفكرا وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر وأرسل جذيمة الى أخته يقول

ومسبل شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

وقال ابن نقادة

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بالخال تنقط

والميم فوها فالحروف تألفت * مكتوبة والصبر عنها يكشط

وما أحسن قول القائل

ياسين طرتها وصاد عيونها * انى أعوذها بسورة طه

(وقال)

سين الثنايا حوتها ميم مبسمه * طوبى لمن ذاق منها كاس تسنيم

ومن عجائب وجدى أن بى سقما * ما برؤه غير تلك السين والميم

(وقال آخر)

تالله ما لمعذبى فى حسنه * شبه فأى حشا عليه لم تهم

لام العذار وميم مبسمه على * ما أدعى من حسنه برهان لم

قلت البرهان اللمى عند أرباب المعقول أشرف من البرهان الانى لان اللمى يعطى العلة المستلزمة للوجود والانى يعطى الوجود فقط لانك اذا قلت الخشبة ممسوسة النار وكل ممسوس النار محترق فالخشبة محترقة لزم من هذا الاستدلال بالمؤثر على الاثر لان الحد الاوسط علة لثبوت الحد الاكبر للاصغر فعلة الاحتراق من مماسة النار فهذا هو البرهان اللمى وأما البرهان الانى فان الحد الاوسط فيه معلول الاكبر كقولك الخشبة محترقة وكل محترق ممسوس النار فالخشبة ممسوس النار فلزم من ذلك الاستدلال بالاثر الذى هو محترق على المؤثر الذى هو ممسوس النار وتنزيل ما قاله هذا الشاعر على هذه القاعدة وترتيبه أن يقال معذبى له عذار يشبه اللام وفم يشبه الميم وكل ذى عذار لامى وفم ميمى فهو حسن فمعذبى حسن فالبرهان على حسنه لمى والقضية الصغرى ثابتة بالمشاهدة والكبرى مشهورة فالنتيجة صادقة (كالسيف عرى) أى جرد (متناه) المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال وهما هنا جانبا السيف (الخال) جمع واحده خلة بالخاء المعجمة والخال بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره (الاعراب) ناء اسم فاعل من نأى وأصله نائى مثل جائى فلما اجتمع همزتان فى الكلمة الواحدة قلبوا الثانية ياء لانكسار ما قبلها فصار من باب قاض وأما قول الشاعر

يشجج رأسه بالفهر واجى أصله واجئ مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره أنا ناء ولم يظهر فيه الرفع لانه منقوص مثل قاض فلا يظهر فيه الا النصب فقط تقول هذا ناء ورأيت نائيا ومررت بناء فان قلت هلا رفعته على انه مبتدا قلت لا لانه اسم فاعل واسم الفاعل لا يكون مبتدأ حتى يعتمد على الاستفهام أو النفى أو معنى النفى لانهما يقربانه مما له صدر الكلام كقول الشاعر

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا * ان يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

وكما فى قول الآخر

خليلى ما واف بعهدى أنتما * اذا لم تكونا لى على من أقاطع

ألا ترى أن قاطنا لما اعتمد على الاستفهام كان مبتدأ وأن وافيا لما اعتمد على النفى جاز الابتداء

خبرينى رقاش لا تكذبينى أبحر زنيت أم بهجين أم بعبد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون قالت بل أنت زوجتنى امرأ غريبا ولم تشاورنى فى نفسى فكف عنها وآلى أن لا ينادم الا الفرقدين وحملت رقاش فولدت غلاما وسمته عمرا فلما ترعرع ألبسته وعطرته ودخلت به على خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله فى سنة خصبة فأقام فى روضة ذات زهر ونهر فخرج ولده وعمرو ومعهم يجتنون الكماة فكانوا اذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول هذا جناى وخياره فيه وكل جان يده الى فيه فضمه جذيمة الى صدره وسر بقوله وحلاه بطوق من ذهب فكان أول عربى لبس الطوق ثم ان الجن استطارته فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان من قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج من الشام يريدان جذيمة وأهديا له طرفا فبينما هما يأكلان اذ أقبل فتى عريان قد تلبد شعره فسألاه عن نسبه فعرفهما نفسه فنظفاه وغسلا رأسه وأصلحا أمره وألبساه

به وقولى أومعنى النفى ليدخل فيه قول الشاعر

غيرمأسوف على زمن * ينقضى بالهم والحزن

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان هذا البيت سأل أبا الفتح بن جنى ابنه عن اعرابه فارتبك فيه ولأبى عمرو بن الحاجب فيه كلام طويل وخرجه ابن جنى وتبعه ابن الحاجب على حذف المبتدا واقامة صفته مقامه وايقاع الظاهر موقع المضمر بحذف الظاهر المبتدا والتقدير زمان ينقضى بالهم والحزن غيرمأسوف عليه وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قولهم حسبك بزيد مبتدا لاخبرله على أحد الوجهين لكونه بمعنى اكتف وكذلك قول الشاعر غيرمأسوف البيت ومثله قول الآخر

غيرلاه عداك فاطرح اللهو ولاتغتربعارض سلم

فغير فى البيتين مبتدا لاخبرله على أحد الوجهين لانه محمول على ما كأنه قيل ما يؤسف على زمن كما فى قولهم ماقائم اخواك اهـ (قلت) فغيرمبتدأ وعلى زمن جار ومجرور فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله لمأسوف لانه صيغة اسم المفعول وقد سد الجار والمجرور مسد الخبر كقولك ماءمضروب الرجلان فتقرر بهذا ان نائيا يجوز ان يكون مبتدا لعدم اعتماده على شئ من المسوغات له (عن الاهل) عن تقدم الكلام على تقسيم مجيئها فى الكلام وهى هنا للتجاوز والجار والمجرور فى موضع النصب باسم الفاعل (صفر الكف منفرد) خبران ايضا مثل نائى فهى ثلاثة اخبار لمبتدا واحد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك قد يتعدد الخبر فيكون لمبتدا الواحد خبران فصاعدا وذلك فى الكلام على ثلاثة اضرب قسم يجب فيه العطف وقسم يجب فيه ترك العطف وقسم يستوى فيه الامران فالاول ماتعدد لتعدد ماهو له اما حقيقة نحو بنوك كاتب وشاعر وفقيه قال الشاعر

يداك يدخيرها يرتجى * واخرى لاعدائها غائظه

واما حكما كقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والثانى ماتعدد فى اللفظ دون المعنى وضابطه ان لا يصدق الاخبار ببعضه عن المبتدا كقولك الرمان حلو حامض بمعنى مز وزيد اعسر يسر اى ضابط وقد اجاز ابو على فيه العطف وجعل منه

اقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما

وهو سهو والثالث ماتعدد لفظا ومعنى دون تعدد ماهو له فهذا يجوز فيه الوجهان نحو قوله تعالى وهو الغفور الودود الآية وقال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى الاعادى فهو يقظان هاجع

ونحو قوله تعالى صم وبكم فى الظلمات اهـ قلت قوله وهو سهولان ابا على توهم انه تعدد فى اللفظ دون المعنى وليس كذلك لانه فى اللفظ والمعنى متعدد وذلك ان لقمان بن عاد كانت له اخت محمقة فقالت لاحدى نساء اخيها هذه الليلة طهرى وهى ليلتك فدعينى انام فى مضجعك فان لقمان رجل منجب فعسى ان يقع على فانجب فوقع على اخته فحملت منه بلقيم فلذلك قال النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما

ثيابا وقالا ما كنا لنهدى جذيمة أنفس من ابن أخته وخرجا به الى جذيمة فسر به ورأى الطوق فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا وقال لمالك وعقيل حكمكما قالا منادمتك مابقينا وبقيت فمكنهما من ذلك وهما نديما جذيمة اللذان يضرب بهما المثل واياهما عنى متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وقيل اياهما عنى الفرقدين *ويحكى أن جذيمة سكر مرة أخرى فقتلهما فلما أصبح ندم وبنى عليهما الغريين ونادم الفرقدين وقيل ان صاحب الغريين المنذر الاكبر ثم ان جذيمة أرسل يخطب الزباء ملكة الحضر الحاجز بين الفرس والروم وكان لها وتر عنده فأجابته واستدعته اليها فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضى فخالفهم قصير ابن سعد وكان لبيبا وقال ان النساء يهدين الى الازواج فعصاه وسار حتى اذا كان بمكان يدعى بقة استشارهم فأشاروا عليه لما يعلمون من رأيه فيها فقال قصير انصرف ودمك فى وجهك فأبى وطعن جذيمة حتى اذا عاين الكتائب قد استقبلته قال لقصير ما الرأى قال تركت الرأى ببقة ثم ركب

ليالي حتى فاستحصنت * اليه فغر بها مظلما

فأحبلها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

فعلى هذا اذا كان الانسان ابن اخت ابيه كان له معنيان هما أن اباه خاله وان خاله ابوه فهو ابن أبيه وابن خاله واذا صح هذا فهو متعدد في اللفظ والمعنى وحينئذ يستوي فيه العطف وعدمه فلك أن تقول فكان ابن أخته وابنه وان تقول فكان ابن أخته ابنه وأما قول حميد الهلالي ينام باحدى مقلتيه البيت فالعرب تزعم ان الذئب اذا نام زاوج بين عينيه فيفتح احداهما لتكون حارسة له قال العسكري وهذا محال لان النوم يأخذ جملة الحي قال ابن الجوزي والذي اراد والله أعلم انه يغمض عينا عند بداية النوم ويفتح عينا الى ان يغلبه النوم فيكون في صورة الهاجع ويكون الكلام صحيحا (قلت) ماخلص ابن الجوزي من كلام العسكري لان الشاعر قال فهو يقظان هاجع والحيوان لا يكون في حالة النوم يقظان ويزعمون ان الارنب ينام وعيناه مفتوحتان قال ابو الطيب

ارانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

اه فعلى ماقرره الشيخ بدر الدين محمد بن مالك يكون ناء عن الاهل صفر الكف منفردا أخبارا تعددت في اللفظ والمعنى دون المبتدأ لانه واحد متصف بهذه الصفات فيجوز ان تسرد الاخبار هنا معطوفة وغير معطوفة كقوله تعالى وهو الغفور الودود (كالسيف) تقدم الكلام على تقسيم الكاف وهي هنا اسم بمعنى مثل وموضعها الرفع ان قدرت فأنا منفرد مثل السيف أو النصب على الحال أو على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره منفردا انفرادا مثل انفراد السيف (عري متناه) عري فعل مغير لما لم يسم فاعله قالوا في ضم اول الفعل المغير انه دلالة على ان المحذوف مرفوع ولا يرد هاقيل وبيع وبابه فان الاصل قول وبيع بضم الاول فلما كان ثقيلا كسر لانه لا يكون قبل الياء الا ماهو من جنسها او كسر ما قبل آخره اعتناء بامره ليصوغوا له هيئة لا يشاركه فيها غيره من المفاعيل الجمسة وهذا تعليل عليل (ذكرت) هنا نادرة وهي ان أبا الصقر قبل وزارته دخل على صاعد بن مخلد وهو وزير وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة فسال الوزير عن رجل فقال أبو الصقر أنفي فقال ابن ثوابة في الخرا فتضاحك به أهل المجلس فقال أبو الصقر مثلك يحتاج أن يشد ويحد فقال وهذا من جهلك من يحد لا يشد فخرج أبو الصقر مغضبا (قلت) قد غلط أبو الصقر وابن ثوابة أيضا لان نفي لا يقال فيه أنفي لانه ثلاثي تقول نفيت الشيء والانف لا يكون الا بفتح الهمزة واحسن الكلام في مثل هذا التندير ما أنشدنيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدني ابن المتيني نائب دار العدل بمصر لنفسه يخاطب زين الدين خالدا الاشعري

قلت للزين كيف لا تثبت البعث * وتنفي انكارهم للحشر

قال أثبت فقلت ذقنك في استي * فقال أنفي فقلت في وسط جحري

قلت الصحيح انهما للنور الاسعردي وهو مأخوذ من قول الآخر

جاء فلان الدين في وجهه * أنف له كاد يواريه

قلت له ماذا القضا قال لي * ذا منخري قلت أنا فيه

ومثل

قصير فرسا لجذيمة تسمى العصا فنجا وأخذ جذيمة فلما أدخل على الزباء أمرت برواهشه فقطعت والرواهش عروق اليد واستنزفته حتى مات في خبر طويل مشهور وكانت مدة ملكه ستين سنة وله أشعار حسنة مشهورة فمنها

أضحى جذيمة في يبرين منزله * قد حاز ما جمعت من قبله عاد

مستعمل الخير لا نفني زيادته * في كل يوم وأهل الخير تزداد

(وشيرين قد نافست بوران قبلك)

هي شيرين زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان وكانت يتيمة في حجر رجل من أشراف المدائن وكان أبرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه وأخذت من قلبه موضعا لم ينساها عنه ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد أخذت في بعض الايام من أبرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرقها فأخذها ومضى فقالت له وما الذي ينفعك من تغريقي فقال قد حلفت لمولاي فقالت اقذفني في مكان رقيق فان نجوت لم أظهر وترتجي بذلك فضل وتوارت في الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه وأحسن اليها الرهبان

ومثل هذا ما نقلته من خط علاء الدين علي بن مظفر الكندي المعروف بالوداعي لنفسه

وذي دلال أهيف أحور * أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقي قات في وسطي

(رجع القول الى الاعراب) مثناه مرفوع لانه مفعول ما لم يسم فاعله وهو عرّي وعلامة رفعه الالف لانه مثنى تثنية متن وحذفت نون التثنية لاضافته الى الضمير والموجب لحذف الفاعل أمور منها الجهل به أو عكسه أو الحقارة أو عكسها او ايثار غرض السامع لذلك أو للابهام عليه أو للاختصار أو للتفعيل كما في قول الشاعر

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فلو قال خلقها الله لم يصح التفعيل في تقطيع البيت أو للتوافق كقوله

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع

فلو ذكر الفاعل لنصب الودائع والقصيدة مرفوعة أو للتقارب في السجع كقوله كثر النضال وقتل الرجال فلو ذكر الفاعل طالت القرينة ولأرباب المعاني في التسعة الموجبة المذكورة كلام طويل على كل منها اضربت عنه خوفا من التطويل فحذف الفاعل هنا يحتمل ان يكون طلبا للتفعيل لانه لو ذكره لم يصح التفعيل في تقطيع البيت ويحتمل ان يكون طلبا للابهام على السامع ويحتمل ان يكون للجهل به لان الذي عرّى السيف لا يعلم ويحتمل غير ذلك وانما أعطى المفعول في مثل هذا الرفع اهتماما بامره لان الرفع هو العمدة في الكلام فاخذ منه النصب وهو دونه وأعطى الرفع وهو خير منه ولان الفاعل الذي عدم لم يعرف ووجد المفعول قد قام به الفعل فكانه الذي أوجده كما تقول مات زيد وانهدم الحائط وهما لم يفعلا ذلك من ذاتيهما وانما قام بهما الفعل فنسبا الى الفاعلية والفعل لا يوجد الا بوجود الفاعل وهو في غنية عن المفعول في اكثر المواطن ويحتمل ان يذكر للمناسبة وجوه أخر غير هذه (من الخلل) سوف يأتي الكلام على من وتقسيمها وهي هنا لبيان الجنس لانه يحتمل ان يعرى من الخلل التي تغشى بها الجفون وان يعرى من الجفون وان يعرى من الصقل والرونق والمضاء وغير ذلك فنص على ان السيف عرى من الخلل لا من غيرها وهذه الجملة أعني عرى وما بعدها في موضع الجر على الصفة للسيف ومن الخلل متعلق بعرى (المعنى) هذا البيت متعلق بما قبله كانه قال لاي شيء أقيم في بغداد وأنا لا سكن لي بها ولا ناقة لي فيها ولا جمل وانا ناء عن الاهل فقير لا أملك شيئا من المال في كني منفرد عن الناس كالسيف الذي جرد من حليته فما تنظره العيون وهو المطلوب في نفسه عند الحاجة لا الاجفان ولا الحمائل ولا الحلية والسيف عند الشجاع غير مراد منه هذه الاشياء وانما المراد مضاؤه وفريه ونفوذه في الضرب اذ الغاية المطلوبة منه هي هذه وأما الجفن والحلية والحمائل فلا اعتبار بوجودها ولا عدمها وما الحلي الا حيلة من نقيصة * وما أحسن ما كشف المعري هذا المعنى بقوله

وان كان في لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

وقال البحتري يعزي بولد

تعز فان السيف يمضي وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وقال النمر بن تولب

فلما تقرر الملك لابرويز بعد أبيه هرمز مر بذلك الدير رسل قيصر الى أبرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى أبرويز لتحظى عنده فأرسله وعرفه مكان شيرين فسر سرورا عظيما فأرسل اليها فأحضرها وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ففوض اليها أمره وهجر نساءه وجواريه وعاهدها ان لا يمكن منها أحدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه أباه أبرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستأصلها ورماها بالزنى وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث شرائط قال ماهي قالت تسلم الى قتلة زوجي أقتلهم وتصعد المنبر وتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناووس أبيك فان له عندي وديعة عاهدني ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة أبيه فقتلتهم وبرأها مما قال وفتح لها ناووس أبيه وبعث الخادم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة * وأما بوران فهي ابنة أبرويز المذكور كانت أحسن من

فان تك أثوابى تمزقن عن فتى * فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة

فأصبحت مثل السيف أخلق غمده * تقادم عهد القين والنصل قاطع

فلهذا قال الطغرائى مافاله يعنى انى فى بغداد بهذه الحالة من الفقر واجتناب الناس لخلو ذات يدى وأنا من الفضل والعلم والادوات بمحل أسنى ومع ذلك لا يعبأ بى ولا ينظر الى ذاتى من حيث هى كالسيف المعرى من الحلية وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه اذهما ذات والمال عرض زائل قال الشاعر

تسل عن كل شئ بالحياة فقد * يهون عند بقاء الجوهر العرض

وقال أبو الطيب فى معنى عدم الالتفات الى غير الانسانية

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال الشريف الرضى

لا تجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج فى منظر حسن

ولغيره

ان الصفائح لا يغررك باطنها * نقش الطوابع موسوم على الطين

وقال التهامى

حسن الرجال بحسناهم وفخرهم * بطولهم فى المعالى لا بطولهم

وقال الغزى

لا يحطن رتبتى سوء حالى * آية الحسن فى الجفون السقام

انا كالنار أطفأ القطر منها * ولها بعد أن نفخت احتدام

وما أحسن قول ابن حديس

أصبحت مثل السيف أبلى غمده * طول اعتلاق نجاده بالمنكب

ان يبله صدأ فكم من صفحة * مصقولة بالماء تحت الطحلب

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

ولئن اراد تى الخطوب بعرها * فالرمح بزلق عن ثنايا معج

أو رحت فى سمل الثياب فاننى * كالعضب يفرى وهو رث المنسج

وقال أيضا فى عكس المعنى

قالوا الثواب عن الاتراب قلت لهم * خذوا ثوابى وردونى لاثوابى

واصبعة العضب لا جفن يصان به * وأى جفن لماضى الحد قرطاب

وقال أبو الطيب فى عكس هذا المعنى

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل يروق دفينا جودة الكفن

ومن قول أبى العلاء المعرى فى معنى قول الطغرائى

وأنت السيف ان يعدم حلابا * فلم يعدم فرندك والغرار

وليس يريد فى جرى المذاكى * ركاب فوقه ذهب معار

ورب مطوق بالتبر كبو * بفارسه وللرهج اعتبار

نشا بين الترك والفرس من النساء وملكت الناس بعد شهريار بن أبرويز وأصلحت القناطر والجسور ولما جلست على السرير قالت ليس يبطش الرجال تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته وأقامت سبعة أشهر ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أمرها قال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغى للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سرا فى ليلة عينتها له فجاءها فى تلك الليلة فقتلته فسار اليها أبوه رستم فقتلها وقيل ان هذه الواقعة مع أزرمى دخت

(وبلقيس غايرت الزباء عليك)

بلقيس ابنة الحرث بن سبا ويلقب أبوها بالهدهاد وقيل بنت الشيصبان ملكت بلاد سبا المذكورة فى الكتاب العزيز وعن ابن عباس انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولد له عشرة سكن منهم اليمن ستة والشام أربعة فاليمانيون مذحج وكندة والانمار والازد والاشعريون وحمير واما الشام فلخم وجذام

وزند عاطل يزهى بمدح * ويحرمه الذى فيه السوار

ويعجبنى قول القائل

لبس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

(قلت) الحكمة فى اخفاء ليلة القدر لها موجبات منها ان يحصل الاجتهاد فى الظفر بها فكل شخص يجتهد فى أمرها فيحصل له الاجر فى اجتهاده لان من اجتهد وأصاب فله اجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد تفضلا من الله ورحمة لئلا يحرم العامل أجرا (مسئلة) كل مجتهد مصيب فى الفروع لا فى الاصول هذا هو الصحيح ومن قال ان كل مجتهد مصيب مطلقا فلا حجة معه بدليل قوله كل مجتهد مصيب وهذا البحث فيه دقة لانه يأخذ حجة خصمه فيجعلها دليلا على مطلوبه فيقول بعين ما قلت يلزمك ما أقول اذ أنت أثبت ان كل من اجتهد أصاب وأنا قد اجتهدت فأدى اجتهادى الى ان كل مجتهد لم يصب اللهم الا فى الفروع وما أحلى قول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

قضاة الحسن ما صنعى بطرف * نمى مثله الرشأ الربيب
رمى فأصاب قلبى باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

(رجع ما انقطع) وقد تعبدنا الله عز وجل بأشياء لا ندرى معناها وأخفاها علينا لمضاعفة الاجور لنا فى الايمان بها والاجتهاد فى معرفتها ومثل ليلة القدر الساعة التى فى يوم الجمعة التى يجاب فيها الدعاء * قال ابن حزم فى مراتب الاجماع واجمعوا على ان ليلة القدر حق وهى فى السنة ليلة واحدة اه ومنهم من قال هى فى مجموع رمضان ومنهم من قال هى فى أفراد العشر الاواخر ومنهم من قال فى السابع والعشرين وهو قول ابن عباس لان قوله تعالى ليلة القدر هى تمام سبع وعشرين لفظة من السورة وليلة القدر تسعة أحرف وهى مذكورة ثلاث مرات فتكون سبعة وعشرين حرفا ومنهم من قال هى فى مجموع السنة لا يختص بها رمضان ولا غيره روى ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من يقم الحول يصبها ومنهم من قال رفعت بعد النبى صلى الله عليه وسلم اذ كان فضلها لنزول القرآن فالذين قالوا انها فى مجموع رمضان اختلفوا فى تعيينها على ثمانية أقوال قال ابن رزين هى الليلة الاولى وقال الحسن البصرى هى السابعة عشر وعن أنس مرفوعا انها التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق هى الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابن مسعود الرابعة والعشرون وقال أبو ذر الغفارى الخامسة والعشرون وقال أبى بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرون ومن قال انها لا تختص رمضان يلزمه اذا قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر أنها لا تطلق حتى يحول عليها الحول لانها تكون قدمرت بيقين لان النكاح أمر متيقن لا يزول الا بمثله وكونها فى رمضان أمر مظنون وفى هذا التفقه نظر لان الاحاديث الصحيحة دلت على أنها فى العشر الاواخر من رمضان ووقوع الطلاق حكم شرعى والحكم الشرعى يثبت بخبر الآحاد لان خبر الآحاد يوجب العمل ولا يفيد العلم قال الرافعى لو قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر قال أصحابنا ان قاله قبل رمضان أو فيه قبل مضى أول ليالى العشر طلقت بانقضاء ليالى العشر وان قاله بعد مضى ليلة منها لم تطلق الى مضى سنة كاملة قال الشيخ محيى الدين النووى قوله طلقت بانقضاء ليالى العشر فيه تجوز تابع فيه

وعاملة وغسان وكانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ويقال ان أحد ابويها كان جنيا وقال ابن الكلبى كان أبوها من عظماء الملوك وولده ملوك اليمن كلها وكان يقول ليس فى ملوك اليمن من يدانينى فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقمة ويقال ان مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح الممرد من القوارير وكان بيتا من زجاج يخيل للرائى أنه ماء يضطرب فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم يرغير شعر خفيف ولذلك أمر باحضار عرشها ليختبر عقلها ثم أسلمت وعزم سليمان على تزوجها فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة وهو أول من اتخذ ذلك وطلوا بالنورة ساقيها فصارت كالفضة فتزوجها وأرادت منه ردها الى ملكها ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التى لم ير مثلها وهى غمدان وبينون وغيرهما وأبقاها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة من الشام على البساط والريح وبقى ملكها الى أن توفى فزال بموته * وأما الزباء وهى ابنة مليح بن البراء كان أبوها ملكا على الحضر وهو

صاحب المهذب وغيره وحقيقته طلقت في أول الليلة الاخيرة من العشر وكذا قوله ان قال بعد
مضي لياليهم تطلق الى مضي سنة فيه تجوز وذلك انه قد يقول لها في آخر اليوم الحادي
والعشرين فلا يقف وقوع الطلاق على مضي سنة كاملة بل يقع في أول ليلة الحادي والعشرين
(قلت) وهذا التحقيق من الشيخ محيي الدين وعجيب من الرافعي كيف غفل عن هذا * وقيل في
تسميتها بليلة القدر وجوه أحدها انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس
ان الله تعالى قدر ما يكون في تلك السنة فيها من رزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة وقيل
القدر الضيق لان الارض تضيق على الملائكة فيها وقيل القدر للفاعل متى أتى فيها بالطاعة
كان ذا قدر وشرف وقيل نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم وقيل غير ذلك * واعلم ان الله
لا يحدث تقديره في هذه الليلة لانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض في الازل
ولكن المراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة لتكتبها في اللوح المحفوظ وهذا الذي
ينبغي أن يعتقد في قول ابن عباس رضي الله عنهما (رجع القول الى معنى قول الشاعر وتلك
خير الليالي) يعجبني قول القائل

وليس فخر المكان مما * يقدح في منصبي وديني
فالشمس علوية ومع ذا * تغرب في حمأة وطين

(قلت) يشير الى قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة الآية وهذه الآية الكريمة ظاهرها
مشكل وهو مغمز للزنادقة لانهم يقولون ان البرهان قد ثبت في المجسطي ان الشمس قدر
الارض مائة وستين مرة وكسورا فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم في عين من عيونها
والجواب ان في هنا ليست ظرفية وانما على ما ذهب اليه ابن قتيبة بمعنى عند لانها قد ترد بمعنى
عند وبمعنى مع قال الشاعر * حتى اذا ألقت يدا في كافر * معناه عند كافر (وقال الشاعر)

وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

معناه ومع الشر وقد تكون في الآية بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل أي
على جذوع النخل وقال عنترة * بطل كأن ثيابه في سرحة * أي على سرحة وكما ان في تقع موقع
على كذلك تعكس القضية كقول الشاعر * ولقد سريت على الظلام بمغشم * أي في الظلام
هذا اذا لم نفتح باب تأويل المعنى ونقول ان الخطاب جاء على حكم الحس في رأى العين لان
من وقف على شاطئ البحر المحيط أو قريبا من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كانها تدلت
في نفس البحر أو خلف الجبل قال الله تعالى حتى توارت بالحجاب أي وراء الجبل ولولا ان
اللفظ جاء على حكم الحس في الظاهر لما قال الله تعالى ووجد عندها قوما ومن المعلوم عقلا
ان القوم لا يجلسون في قرن الشمس ولاهم عندها ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل في
جوب الارض حتى انتهى الى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيل اليه أن
الشمس تغرب هنالك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى تغرب في عين حمئة (قلت) قد قرئ حامية
بثبوت الالف وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر بن عاصم فعلى هذا أقصى البحر
العربي يكون كثير السخونة حاميا ومن قرأ حمئة أراد بها كثيرة السواد من الحمأة وهو الطين
فعلى هذا الخطاب ورد على حكم الحس في الظاهر والحس قد يكذب فيرى الصغير كبيرا وعكسه
ويرى النقطة خطا ودائرة كما في القطرة الممتدة من السماء الى الارض والنقطة على الرحى

الذي ذكره عدي بن زيد
بقوله
وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ
ـلة تجبى اليه والخابور
فقتله جذيمة الابرش وطرد
الزباء الى الشام فلحقت بالروم
وكانت عربية اللسان كبيرة
الهمة قال ابن الكلبي وما
رؤي في نساء زمانها أجمل
منها وكان اسمها فارعة وكان
لها شعر اذا مشت سحبته
وراءها واذا نشرته جللها
فسميت الزباء والازب
الكثير الشعر وبلغ من
همتها أن جمعت الرجال
وبذلت الاموال وعادت الى
ديار أبيها ومملكته فأزالت
جذيمة عنها وبنت على الفرات
مدينتين متقابلتين وجعلت
بينهما أنفاقا تحت الارض
وتحصنت وكانت قد اعتزلت
عن الرجال فهي عذراء
بتول وهادنت جذيمة مدة
ثم خطبها فاستدعته وقتلته
كما تقدم في ترجمته فاما مقتلها
فان قصيرا لما فارق جذيمة
وعاد الى بلاده تحيل على
قتلها فجدع أنفه وضرب
جسده ورحل اليها زاعما أن
عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة
صنع به ذلك وانه لجأ اليها
هاربا منه واستجار بها ولم يزل
يتلطف لها بطريق التجارة
وكسب الاموال الى أن
وثقت به وعلم خفايا قصرها
وانفاقه ثم وضع رجالا من

التى تدور سريعا وكما اذا غمز الانسان عينيه ونظر الى القمر فيراه اثنين ولا بأس بتعليل هذا فأقول زعموا انه اذا احدث التواء الحدقة بسبب ارتخاء عضلها أو تحويل الرطوبة الجلدية عن وضعها فى احدى الجهتين دون الاخرى تبقى الجهة التى قد تحول وضعها تنطبع الصورة المنتقلة من رطوبتها الجلدية لا فى الفصل المشترك بل فى موضع آخر بسبب الغمز الذى حدث منه التحويل كما اذا أشرقت الشمس على ما فى البيت فانه يشرق منه نور فى السقف فلو تغير موضع الماء تغير موضع انطباعه فى السقف كذلك تغير موضع الحدقة يوجب انتقال موضع انطباع ما فى الجلدية فتبقى الصورة صورتين فيرى الواحد اثنين (حكى) ان بعضهم ادعى هذه الدعوى وقال ان كل أحول يرى الشئ شيئين وكان له ابن أحول فقال يا أبت ليس هذا بصحيح لانه يلزم من هذا انى كنت أرى القمرين أربعة * وقال الامام فخر الدين الرازى فى المباحث المشرقية واعلم ان أصحاب الاشباح يذكرون أسبابا أخر منها حركة الروح الباصر وتموجه يمنة ويسرة فيرتسم الشبح فى بعض الاجزاء قبل تقاطع المخروطين فيرى شيئين وهو مثل الشبح المرتسم فى الماء الساكن مرة واحدة والمرتسم فى الماء المتحرك المتموج مرارا كثيرة ومنها حركة الروح الذى وراء تقاطع العصبتين الى قدام وخلف حتى يكون لها حركتان متضادتان واحدة الى الحس المشترك والاخرى الى ملتقى العصبتين فيتأدى اليهما صورة المحسوس قبل ان ينمحى ما تأدى الى الحس المشترك مثلا لو ارتسمت فى الروح المؤدى صورة نقلها الى الحس المشترك والحكل مرتسم زمان ثابت قبل ان ينمحى فلما زال القابل الاول عن موضعه خلفه جزء آخر فقبل تلك الصورة بعينها قبل انمحائها فحينئذ يحصل فى كل واحدة صورة مرئية وذكر قبل ذلك تعاليل أخر * قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قولهم ان الاحول يرى الشئ شيئين ليس على اطلاقه بل انما يرى الشئ شيئين اذا كان حوله انما هو اختلاف احدى الحدقتين بالارتفاع والانخفاض ولم يستقر زمانا يألف به المرئيات أما ان كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنة ويسرة أو بسبب الارتفاع والانخفاض ودام وألف فلا ومما يؤيد ذلك ان الانسان اذا غمز احدى حدقتيه حتى تخالف الاخرى يمنة أو يسرة فانه يرى الشئ شيئين ويوجد فى الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض قد ألف تلك الحالة فلا يرى الشئ شيئين والحق ان الذى يغمز احدى عينيه حتى ترتفع أو تنخفض عن أختها انما يرى الشئ شيئين لانه يرى الشئ المرئى باحدى العينين قبل الاخرى فيصل الى التقاطع الصليبى شبح تلو هذا الشبح فيرى الواحد اثنين فقط ولولا ذلك لرأى هذا الرائى الشئ الواحد متكثرا لغير نهاية على نسبة زوج الزوج كما فى تضعيف رقعة الشطرنج اه كلامه املاء على من فمه وقد لهج الشعراء بذكر الحول فقال ابن الحلاوى فى مشرف مطبخ وهو أحول

يجنى علينا بالقليل يظنه * كثيرا وليس الذنب الا لعينه
ومن سوء حظى ان رزقى مقدر * براحة شخص يبصر الشئ مثليه

وقال النور الاسعردى فى أحول لائط

يا ظريفا يكاد يقطر من عطـ * ـفيه ماء اللواط فى كل وادى
عش هنيا فان عينيك يغنى * حول فيهما عن القواد

أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بمصر سنة سبعمائة وثمان

قوم عمرو بن عدى فى غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة متجر الى أن دخل مدينتها فخلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلوها قبل أن تصل الى نفقها فى حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام

(وان مالك بن نويرة انما أردف لك)

هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعى التميمى فارس ذى الخمار وذو الخمار فرسه ويلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوى الردافة فى الجاهلية وكانت لبنى يربوع أيام آل المنذر ومعنى الردف أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف بعده واذا غاب جلس الردف مكانه وللردف اتاوة تؤخذ مع اتاوة الملك وفى ذلك يقول الراجز

ومن ينافر آل يربوع يجب
الجالس الايمن والردف العجب

وأدرك مالك بن نويرة الاسلام وأسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه من بنى يربوع فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الصدقة وقيل ارتد وبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد ابن الوليد رضى الله عنه لقتال أهل الردة فكان اذا اصبح

وعشرين قال أنشدني لنفسه محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبي في مليح له رقيب أحول

يا أبي رشا يحوي مع الاحسان * ملكية موضوعها انساني
أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ في ادراكه شيئان
يا ليته ترك الذي أنا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني

(وما أحلى) قول نجم الدين بن اسرائيل دوبيت

قد بالغ في حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذى حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

(وقال) بعض الشعراء

وأحول العين تعشقته * ما فيه من عيب ولا شين
يشكر ما أوليه من فاقتي * حتى يرى لي الشئ شيئين

(وقال الآخر) وهو مشهور

نظرت اليها والرقيب يظنني * نظرت اليه فاسترحت من العذر
شكرت الهوى اذ بلاني بحبها * على حول أغنى عن النظر الشزر

(وقال الآخر) في مليح أحول

قالوا شغفت بأحول فأجبتهم * قد زدتم والله في أوصافه
لا تحسبوا حولا به لكنه * من زهوه برنو الى أعطافه

(وقال الشيخ) صدر الدين محمد بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت بأحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها * فعادت طوال الدهر تنظرها شزرا

(وقال) العلوي البصري فأحسن

ونظرة عين تعللتها * خلاسا كما نظر الأحول
تقسمتها بين وجه الحبيب * وبين الرقيب متى يغفل

(وتبعه الآخر فقال)

أرى مستقيم الطرف ما دمت عندكم * فان زال طرفي عنكم فهو أحول

(رجع القول الى كذب الحس وغلطه) وقد يرى القمر السائر تحت السحاب متحركا الى غير جهته التي يتحرك اليها بالذات وترى النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجبال وغيرها في السراب طوالا ويرى الخاتم اذا وضعه على عينه وحلقته كالسوار ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هي عند الزوال ويرى العنبة في الماء كالاجاصة فأما رؤية القمر متحركا الى غير جهته فعلى رأى القائلين بالشعاع ان المتحرك انما هو الشعاع وفيه كلام طويل فعلى رأى القائلين بالانطباع والشعاع اما ان المنطبع تكيف بكيفية المنطبع فيه واما لان الشعاع حين خالط الأجسام الرطبة غلظ فانعكس من ذلك المرئى غليظا فرأى ذلك المرئى غليظا وأما الشمس فسببها ان ناحيتى المشرق والمغرب فيهما رطوبات كثيرة تصاعد من الارض فينعقد شفقا على ما هو مشاهد بالحس فلهذا ترى الشمس كبيرة بسبب الرطوبات وغلط الحس كثير أثبت منه بهذا القدر (وما أحسن) قول أبي العلاء المعري

والنجم

قوما تسمع الاذان فان سمعه كف عنهم وان لم يسمعه قاتلهم الى ان مر بالبطاح وبه مالك وأصحابه فقيل انهم لم يسمعوا أذانا فقاتلهم وأتى بمالك بن نويرة أسيرا فأمر خالد ضرار بن الازور بقتله فقتله واحتج قوم لخالد في قتله وطعن عليه آخرون فأما من احتج فيزعم أن مالكا قتل مرتدا وانه لما وقف بين يدى خالد كان يقول في مخاطبته قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أو ليس هو بصاحبك أيضا يا عدو الله ثم قتله ويحتجون أيضا بقول أخيه متمم وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع متمما ينشد رثاء أخيه مالك قال وددت لو رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به أخاك قال والله لو علمت ان أخي صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه وأما الطاعنون فذكروا ان خالدا لما احتج على مالك بارتداده أنكر مالك ذلك وقال أنا على الاسلام والله ما غيرت ولا بدلت وشهد قتادة وعبد الله بن عمر بان خالدا أمر بقتله فجاءت امرأته ليلى بنت سنان كاشفة وجهها وكانت من الحسان فألقت نفسها عليه فقال لها أنت قتلتني يعني انها أعجبت

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر
(وقال) الخفاجى الحلبى

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها * وانما هو فيما يزعم البصر

وعلم المناظر علم ظريف الى الغاية ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته فى سبع مجلدات ولشهاب الدين العراقى كراريس أودعها خمسين مسئلة من المناظر سماها الاستبصار فيما تدركه الابصار قرأتها بعدما كتبتها على الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى (ومما) ينخرط فى غلط الحس ماقرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله الذهبى فى المغازى التى له قال ابن وهب حدثنى أسامة بن زيد الليثى قال حدثنى نافع قال كانت لابن رواحة امرأة وكان يتقيها وكانت له جارية فوقع عليها فقالت له أظنك قد فعلت وفرقت أن يكون قد فعل فقال سبحان الله فقالت اقرأ على اذا شيأ من القرآن فقال

شهدت باذن الله أن محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما * له عمل من ربه متقبل

وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن سليمان بن الهادى ان امرأة عبد الله بن رواحة رأته على جارية له فجحدها فقالت له اقرأ فقال

شهدت بان وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مقربينا

فقالت آمنت بالله وكذبت البصر فحدث ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فضحك (جاء) بعضهم الى قاض فاشتكى ابنه وقال أيها القاضى ان ابنى لا يصلى فقال له القاضى ماتقول فيما يقول والدك فقال كذب فانى أصلى فقال أبوه أيها القاضى ان كان صادقا فمره أن يقرأ شيأ من القرآن فقال له القاضى اقرأ فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فنهرهما القاضى وقال ويحكما تقرآن القرآن ولا تعملان به (ومما يتعلق) بكذب الحس أن بعض النساء الفواجر كان لها ميل الى رجل تحبه غير زوجها فاقترح عليها يوما ان يكون فعله أمام زوجها فقالت له اذا كان الغد فامض الى البستان الفلانى وكن بين الشجر فلما أصبحا أخذت زوجها وتوجهت به الى ذلك المنتزه الذى عينته ودخلا اليه فلما اطمأن بهما الجلوس صعدت الى شجرة هنالك على انها تلتقط من ثمرها فلما صارت بأعلاها جعلت تصيح باعلى صوتها ويلك ألك أن تفعل مثل هذا بحضرتى وتأتى بهذه القحبة الى هنا وتجامعها وأنا أنظر وأخذت فى مثل هذا زمانا ثم انها نزلت بناء على انها تمضى الى الحاكم فتشكوه فاخذ يتبرم من هذا الفعل ويتبرأ وهى لا تنفك ولا تبرح فقال لها عسى ان يكون هذا من خاصية هذه الشجرة حتى ارتك عيناك مالا حقيقة له دعينى أطلع أنا اليها وأبصر حقيقة ذلك فلما صعد الشجرة دنت عشيقها وأخذ فى العمل فلما رآها الزوج قال لها لو أننى قليل العقل مثلك لكنت أقول ان رجلا قد علاك وهو يفعل كيت وكيت (رجع القول الى قول الشاعر وليس تصح

خالدا وانه يريد قتله ويتزوجها وقام ضرار بن الازور فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية للقدر ووجهه مما يلى النار فنظرته امرأة من قومه وهو على تلك الحال فقالت اصرفوا وجهه مالك عن النار فانه والله كان غضيض الطرف عن الجارات حديد النظر فى الغارات لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف ثم بلغ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ماصنع خالد فعرض عليه أبا بكر رضى الله عنه وقال انه قتل مسلما وزنى فارجمه ووافقه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال أبو بكر انه تأول فأخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أغمده ومازال عمر حاقدا على خالد بهذه الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولى عاملا فى أيامى وكان متمم بن نويرة منقطعا الى مالك مكفى المؤنة فلما قتل حزن عليه حزنا شديدا ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح خلف أبى بكر فلما فرغ من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وهو واقف مع الناس ثم أنشد يقول

المكان البيتين) قال أبو بكر الخالدي

يا هذه ان رحت في * سمل فما في ذاك عار

هذي المدام هي الحيا * ة قميصها خزف وقار

وعلى ذكر اللباس فاني ذكرت أبيات أبي الحسين الجزار من باس وهي

لي نصفية تعد من العمـ * ـر سنينا غسلتها ألف غسله

لا تسلني عن مشتراها ففيها * منذ فصلتها نشاء بجمله

نسف الريح صدرها بالارازب فباتت تشكو هواء ونزله

كل يوم تكابد العصر والدق مرارا وما تقرب عمله

قال لي الناس حين أطنبت فيها * بس أكثرت حملها وهي بغله

في هذه الابيات عدة توريات لا يخفى حسن موقعها من السمع وقال أيضا

أشكرها ولا أنا ونصفيتي * تشكر أكثر من شكري

أراحها جدواه من كل ما * تشكوه من دق ومن عصر

كم مرة كادت مع الماء اذ * يغسلها غسالها تجري

عمرت في الماجور لولا النشا * يبعثها في ساعة النشر

ونقلت من خط السراج الوراق له

هذا وجوختي الزرقاء تحسبها * من نسج داود في سرد واتقان

قلبتها فغدت اذ ذاك قائلة * سبحان ربي بلا قاي وإبلائي

ان النفاق لشيء لست أعرفه * وكيف يطلب مني اليوم وجهان

لو أن صاحبنا الجزار أبصرها * على ابصر لبدا فوق جربان

وهذه من أبيات في الجوخة طويلة عدتها ستة وعشرون بيتا كلها بديعة ولكن اقتصرت منها على هذا القدر خوف التطويل * وعلى ذكر التعري فما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال

ما عاينت عيناي في عطلتي * أقل من حظي ومن بختي

قد بعت عبدي وحماري وقد * أصبحت لا فوقي ولا تحتي

وان كان قد أخذه من قول مجير الدين محمد بن تميم حيث قال

اتتني الحجرة الشهباء تزهو * بحسن جل عن وصفي ونعتي

وأرجو أن رسم الصوم يأتي * ليسعد منهما حظي وبختي

فألبسه وأركبها جميعا * فيصبح جود كم فوقي وتحتي

(وقال آخر) ولعله السابق

قالوا غلام القوصي وبغلته * راحا جميعا منه على بغته

قلت لقد ربح الزمان به * لم يبق لا فوقه ولا تحته

(ونقلت) من خط السراج الوراق له

بعت خفي في أرض كم من حراف * حفي بي أو أصار ني للتحفي

ثم أتبعته بندامة نفس * أحوجتني لا كل خفي وكفي

وقال أبو الحسين الجزار

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
خلف البيوت قتلت يا ابن
الازور
ثم أوما الى أبي بكر رضي الله
عنه فقال
أدعوته بالله ثم غدرته
لو هو دعاك بذمة لم يغدر
فقال أبو بكر رضي الله عنه
والله ما دعوته ولا غدرته
ثم أنشد بقية أبياته المشهورة
وانحط على قوسه وكان أعور
فما زال يبكي حتى دمعت
عينه العوراء فقام اليه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
فقال وددت لو رثيت أخي
زيدا فاجابه بما تقدم ثم رثى
زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك
فقال والله انه ليحركني لاخي
ما لا يحركني لزيد وسأله عمر
عن حزنه فقال والله اني لا
أنام الليل وما رأيت نارا رفعت
بليل الا ظننت أن نفسي
ستخرج أذكر بها نار أخي انه
كان يأمر بالنار فتوقد حتى
يصبح مخافة أن يبيت ضيفه
قريبا منه حتى رأى النار يأتي
الى الرحل وهو يأتي بالسيف
مجتهدا أسر من القوم يقدم
عليهم القادم من السفر
البعيد فقال عمر رضي الله
عنه أكرم به * وقال له عمر يوما
حدثنا عن أخيك فقال
أسرت مرة في حي عظيم من
أحياء العرب فاقبل أخي
فاهو الا أن طلع على الحاضر
فما كان أحد قاعدا الا قام

بت وأثوابي كمكتئب مزقتها الارضه
فعورتي مكشوفة * وسترتي مقرضه

وأما معنى الفقر ففيه لأبي العلاء المعري

وان الغني والفقر في مذهب الفتى * لسيان بل أغنى من الثروة العدم
وما نلت مالا قط الا ومال بي * ولا درهما الا ودر به الهم

أنشدني الامام الحافظ أبو حيان قال أنشدني لنفسه ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسي

وما بين كفي والدراهم عامر * ولست لها دون الورى بخليل
وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

وانشدني الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد

أهل المراتب في الدنيا ورفعتها * أهل الفضائل مرذولون عندهم
فما لهم من توقي ضرنا نظر * ولا لهم في ترقي قدرنا هم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم * منازل الوحش في الاهمال بينهم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم * مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى * وعندنا المتعبان العلم والعدم

(قلت) هذه القطعة ساقطة النظم عن طبقة الشيخ تقي الدين وانما أثبتها طلبا البركته

(وأنشدني) لنفسه اجازة الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردي رحمه الله

ما الاغنياء الاغبياء * يكفيك أن القوم جهال
رضيت ما يقسمه ربنا * لنا علوم ولهم مال

وانشدني جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة قال أنشدني لنفسه اجازة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة * وقعت بها في حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت مروءتي * وان لم أبح بالصبر خفت مماتي
فاعظم به من نازل بملمة * يزيل حيائي أو يزيل حياتي

وقول الطغرائي رحمه الله مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

وباينت حتى صرت للبين راكبا * قوى العزم فردا مثل ما انفرد النصل

(وما أحسن قول ابن الساعاتي

اهزني هذا الخمول الى العلا * مثل اهتزاز المشرفي القاضب

(وقال) أبو بكر بن اللبانة من قصيدة

حليف نوى لا يستقر وان نوى * اقامة رد الطرف أزعجه الخطب
نحيل معرى أشعث الفرع صارم * مضى حليه مع غمده وبقي الغرب

(وقال ابن سناء الملك) يرثي جماعة من أبيات

تلك قبور بنيت بالدمى * لم تبن الا بدمي ودمي
مناظر كما رأيت نعمى * وعشت من بعدهم برغمي

ولا بقيت مرآة حتى تطلعت
من خلال البيوت فانزل
عن جمله حتى تلقوه بي في ذمتي
خلالي فقال عمران هذا هو
الشرف ثم قال له يوما يا متمم
انك لجزل فكيف كان
منك أخوك فقال كان والله
أخي في الليلة الباردة ذات
الازيز والصرير يركب الجمل
الثقال ويجنب الفرس
الحرون وفي يده الرمح الثقيل
وعليه الشملة الفلوت وهو
بين المزادتين حتى يصبح
وهو يتبسم * ومن جيد مراثي
متمم له قوله من أبيات
وقالوا أتبكي كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى
دعوني فهذا كله قبر مالك
ومن جيد شعر مالك قوله
ولقد علمت ولا محالة أنني
للحادثات فهل تريني أجزع
أفنين عادا ثم آل محرق
تركتهم بددا وما قد جمعوا
وعددت آبائي الى عرق الثرى
فدعوتهم وعلمت أن لم يسمعوا
ذهبوا فلم أدركهم ودعتهم
غول الليالي والطريق المهيع
وقوله أيضا
وقالوا الى استأسر فانك آمن
فقلت ان استأسرت الى الحائن
علام تركت المشرفي مداجي
ومطرداته المنايا كوامن
فان تقتلوني بعد ذلك فانني
أموت بمقدار وتبقى الضغائن

كالسيف في الوحدة لا كالسهم * في فقر صوفي وذل ذمي

*(ولا صديق اليه مشتكى حزني * ولا أنيس اليه منتهى جذلي)*

(اللغة) الصديق هو الصادق في المودة والخالة فالرجل صديق والمرأة صديقة والجمع أصدقاء وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا * بأعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

قال هرون الرشيد لو وصفت الدنيا نفسها بشئ لما عدت عن قول أبي نواس اذا امتحن الدنيا لبيب البيت وأخذه أبو الوليد أحمد بن زيدون فقال من قصيدته البائية

أضننية دعوى البراءة شأنها * أنت العدو فلم دعيت حبيبا

وأخذه الآخر (فقال)

أحبابه لم تفعلون بقلبه * ماليس يفعله به أعداؤه

(وقال الآخر)

يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب
ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلماً عليه المشارب
اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة * اذا فالأعادي واحد والحبائب

(وقال الارجاني)

أأحبابنا كم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة * فماذا الذي أخشى اذا كنتم عدا

ولفظه عدو وحبيب وصديق كلها يخبر بها عن الواحد والجمع والمؤنث تقول هم عدو وقال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال تعالى فانهم عدو لي وهم صديق وحبيب (مشتكى) مصدر اشتكى (حزني) الحزن بالتحريك والسكون خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين (أنيس) فعيل من الانس وهو الانس الذي يوجد منه الانس ويركن اليه ولا يستوحش منه (منتهى) مصدر انتهى الشئ اذا بلغ الغاية قال الله تعالى وأن الى ربك المنتهى وقال ابن دريد * وكل شئ بلغ الحد انتهى * (جذلي) الجذل بالجيم والذال المعجمة ضد الحزن ورأيت بعض الناس كتب ذلك بالدال وصححه وهو غلط وانما هو بالذال المعجمة ليقابل الحزن بضده وهو الفرح (الاعراب) فلا صديق الفاء للمصاحبة ولا هذه هي التي لنفي الجنس قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك الاصل في لا النافية أن لا تعمل لانها غير مختصة بالاسماء (قلت) انما القاعدة عند أهل العربية ان الحرف اذا كان مختصا عمل كحروف الجر لما اختصت بالاسماء ومثل كان وأخواتها وان وأخواتها وظن وأخواتها ومثل لم وعوامل الجزم وعوامل النصب في الافعال مثل أن وبابها لما اختصت بالافعال عملت فيها واذا كان الحرف غير مختص كحروف الاستفهام والنفي والعطف لم يعمل شيئا لاشتراكه في الدخول على الاسماء والافعال وفي قول الشيخ جمال الدين بن مالك في الخلاصة

سواهما الحرف كهل وفي ولم نكتة لطيفة وهي انه قدم هل لاشتراكها في الدخول على الاسم

والفعل

(وعروة بن جعفر انما رحل اليك)

هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة وأهل بيته ينتسبون الى جعفر فيقال الجعفريون ولذلك قال ابن زيدون عروة بن جعفر ولم يقل ابن عتبة وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته الى الملوك وكان من ذوي العقل والشهامة وهو من أرداف الملوك وللعرب مبالغة في وصفه فيزعمون أنه رحل الى معاوية بن الجون الكندي فغزا معاوية بني حنظلة قومه من بني عامر واستصحبه معه فلما كان بواردات قال لمعاوية ان لي حق صحبة ورحلة وأريد أن أنذر قومي من ههنا وبينه وبينهم مسيرة ليلة فعجب معاوية منه فاذن له فصاح ياصباحاه ثلاث مرات فسمعه قومه من الشعب فاستعدوا وبسبب مقتله قامت حرب الفجار وذلك أن النعمان كان يبعث لسوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له من أحياء العرب حتى يبيعها هناك ويشترى له بثمنها من أدم الطائف وغيره مما يحتاج اليه وكان سوق عكاظ يقوم في كل يوم من ذي القعدة الحرام فيتسوقون الى حضور

والفعل ثم ذكر في لانها تدخل على الاسم ثم ذكر لم لانها تدخل على الفعل اه قال الشيخ
بدر الدين وقد أخرجوا من هذا الافاعملوها في النكرات عمل ليس تارة وعمل ان أخرى فاذا قصد
بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على ان في العمل لانها لتوكيد النفي وان
لتوكيد الايجاب فهي ضدها والشئ يحمل على ضده كما يحمل على نظيره لان الوهم ينزل
الضدين منزلة النظيرين ولذلك تجد الضد أقرب حضورا في البال مع الضد قال الشيخ
شهاب الدين بن النحاس هذا الذى تقوله النحاة هنا وعندى ان أحسن من هذه العبارة ماقاله
شيخنا ابن عمرون وابن الخشاب وهو أن ان للاثبات كما قيل ولا للنفي والنفي والاثبات طرفان
فاشتركا في الطرفية فحملت لا على ان لاشتراكهما فيما ذكرناه اه (قلت) هذا تعليل حسن
لانهما يعودان من باب واحد وهناك يكونان متضادين والحمل على الاشتراك أولى وبعد فهو
تطريبطله من رأس قال الشيخ بدر الدين فاما اعمالها عمل ان فشروط بان يكون نافية
للجنس واسمها نكرة متصلة بها سواء كانت موحدة نحو لا غلام رجل ظريف أو مكررة نحو لا حول
ولا قوة الا بالله فلو كانت منفصلة وجب الالغاء كقوله تعالى لا فيها غول ويجوز الغاؤها مع
الاتصال وذلك اذا كررت شبهوها اذذاك بحالها مع المعرفة نحو لا حول ولا قوة ثم اسم لا اما
أن يكون مضافا أو شبيها به أو مفردا وهو ماعداهما فان كان مضافا نصب نحو لا صاحب
بر ممقوت وكذلك ان كان شبيها بالمضاف وهو ما بعده شئ هو من تمام معناه نحو لا قبيحا فعله
محبوب ولا خيرا من زيد فيها ولا ثلاثة وثلاثين لك وأما المفرد فيبنى لتركيبه مع لا تركيب
خمسة عشر ولتضمنه معنى من الجنسية بدليل ظهورها في قول الشاعر

فقام يذود الناس عنها بسيفه * وقال ألا لا من سبيل الى هند

فيلزم الفتح بلا تنوين ان لم يكن مثنى أو جمع تصحيح وذلك نحو قوله لا بخل محمود ولا حول ولا قوة
الا بالله اه (قلت) ولهم في اعراب لا حول ولا قوة الا بالله واعراب أشباه ذلك خمسة أوجه
(الاول) فتحهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا لغو فيها ولا تأثيم (الثاني) نصب الثاني تقول
لا حول ولا قوة مثل * لا نسب اليوم ولا خلة * (الثالث) رفع الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل
لا أم لي ان كان ذاك ولا أب * (الرابع) رفعهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا بيع ولا خلة
(الخامس) رفع الاول وفتح الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل * بلا لغو ولا تأثيم فيها * وقد
اضربت عن التعليل لهذه الاوجه خوفا من التطويل (ذكرت) بلا حول ولا قوة قول السراج
الوراق ومن خطه نقلت

أرى القوة قد حالت * فلا حول ولا قوه
اذا وقع الفتى في الشيب فهو بذاك في هوه

(وحكى) لي من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة اثنتين وثلاثين
وسبعمائة قال أنشدت فلانا سماه لي وهو بعض مشايخ أهل عصرنا ولم أذكره أنا فانه من العلم
بمحل لم يشركه فيه غيره قولي في مرثية في ابن له توفي وعمره دون سنة وهو

يا راحلا عني وكانت به * مخايل للفضل مرجوه
لم تكتمل حولا وأورثتني * ضعفا فلا حول ولا قوه

فأعجبه وكتبه بخطه وكتب الثاني فلا حول ولا قوة الا بالله فقلت يا مولانا ان كنت أردت

الحج ثم يحجون وكانت
الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو
القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب وكانت العرب من
ذي القعدة يتهيؤن للحج
ويأمن بعضهم بعضا فجهز
النعمان عير اللطيمة ثم قال من
يجيزها فقال البراض بن قيس
أنا أجيزها على بني كنانة فقال
النعمان ما أريد الا من يجيزها
على أهل نجد وتهامة فقال
عروة الرحال وهو يومئذ رجل
هوازن أهذا الكلب يجيزها
لك أنا أجيزها على أهل الشيح
والقيصوم من أهل نجد
وتهامة فقال البراض أعلى بني
كنانة تجيزها يا عروة فقال
وعلى الناس كلهم فدفعها
النعمان الى عروة فخرج بها
وتبعه البراض وكان فاتكا
غدارا وعروة لايحس منه شيأ
لانه كان بين ظهراني قومه
من غطفان فنزل بأرض يقال
لها أوارة فشرب الخمر وغنته
قينة ونام فجاء اليه البراض
فدخل عليه وأيقظه فناشده
عروة وقال كانت مني زلة
فقتله وخرج وهو يرتجز
قد كانت الفعلة مني ضله
هلا على غيري جعلت الزله
وهرب فضربت العرب المثل
بقتلة البراض له وقامت حروب
عظيمة بسببه ومن شعر عروة
أتعجب مني أم حسان اذ رأت
نهارا وليلا بلياني فأسرعا

بقولك الا بالله البركة فكنت أعممت ذلك بالعلى العظيم وان كان غير ذلك فقد فسد المعنى والوزن على (قلت) وهذان البيتان فى غاية الحسن (رجع القول الى لا التى لنفى الجنس) تقرر ان عملها فى اسمها وانه يبنى معها على الفتح وهنا سؤال وهو ان العامل فى اسمها هو لا وقلتم انه تركب معها وهما بمنزلة الكلمة الواحدة فحينئذ لا جزء منها والجزء لا يعمل فى الجزء الآخر شيأ والجواب نعم الجزء يعمل فى جزئه ألا ترى قولك أعجبنى أن تقوم فان تقوم جملة وقعت موقع المفرد تقديره قيامك وقد عملت أن فى تقوم النصب وأن جزء على هذا التقدير اه وترفع الخبر تقول لا رجل ظريف قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك يجب ذكر خبر لا اذا لم يعلم كقول حاتم

وردّ جازرهم حرفا مصرمة * ولا كريم من الولدان مصبوح

وان علم التزم حذفه عند بنى تميم والطائيين وأجاز حذفه واثباته الحجازيون ومما جاء محذوفا قوله تعالى قالوا لا ضير ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقد يحذف الاسم وابقاء الخبر كقولهم لا عليك أى لا جناح عليك أو لا باس اه (قلت) ومن حذف الخبر قولك لا اله الا الله فاله اسمها والخبر محذوف قدره النحاة فى الوجود أو لنا هكذا أعربوه وأورد الامام فخر الدين الرازى فى المحرر اشكالا على هذا الاعراب فقال هذا النفى عام مستغرق وتقييده بالوجود تخصيص له ولنا أكثر تخصيصا واذا كان كذلك لم يبق النفى عاما وحينئذ لا يكون هذا القول اقرارا بالوحدانية على الاطلاق والجواب انا لا نسلم أن تقييده بالوجود اذا كان تخصيصا لا يبقى على العموم المراد من النفى لان المراد نفى الالهة فى الخارج الا الله تعالى على معنى أن نفى وجودها مستلزم لنفى ذاتها حتى كانه قال لا اله يوجد الا الله وعلى هذا يبقى النفى عاما بالمعنى المراد منه (رجع الى اعراب البيت) قوله لا هى هنا لنفى الجنس وصديق اسمها وهو مبنى على الفتح معها والخبر محذوف تقديره فيها أى فى بغداد أو تقديره لى وأما أختار أن يكون صديق ههنا مبنيا على الفتح ورأيت جماعة من الفضلاء كتبوا القصيدة بخطهم ورفعوا صديقا ونونوه وعلى هذا تكون لا بمعنى ليس والفرق بين لا وبين ليس أن ليس تنفى الواحد ولا تنفى الجنس لانك اذا قلت لا رجل فى الدار بالفتح فمعناه ليس فى هذه الدار هذا الجنس فلا يكون فيها واحد ولا اثنان ولا أكثر واذا قلت لا رجل بالضم والتنوين كان معناه نفى الرجل الواحد وقد يكون فيها اثنان وثلاثة وأكثر واذا تقرر هذا فان رفع كان المعنى أن الطغرائى ما كان له صديق واحد وقد يكون له أكثر وهذا يناقض قوله لانه فى مقام تهويل وتعظيم من أنه منفرد عن الاهل والوطن والاصحاب وكلما كان أبلغ فى الشدة والانفراد كان الكلام أبلغ وأشعر وأكثر أخذا بمجامع القلوب فى التوجع له والتعطف عليه اه (اليه) جار ومجرور وسيانى الكلام على الى وتقسيمها والجار والمجرور فى موضع الخبر المقدم (مشتكى) هذه الصيغة يشترك فيها أربعة أشياء المصدر واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان لان الاربع صيغ لا تختلف فى مثل هذا وهذه الصيغة هنا للمصدر خاصة وهو فى موضع رفع على الابتداء ولم يظهر الاعراب فيه لانه مقصور (حزنى) الحزن مضاف الى الياء وهو ضمير المتكلم فى موضع جر ومشتكى مضاف الى الحزن والجملة من المبتدا والخبر فى موضع نصب على أنها صفة لاسم لا كأن التقدير فلا صديق سامعا شكوى حزنى اليه موجود والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول (المعنى) ما أجد

وقد صار اخوانى كأن عليهم ثياب المنايا والثغام المنزعا من أبيات وقد قيل انها لعروة الرجال بالجيم وهو رجل من بنى أسد

(وكليب بن ربيعة اذ حمى المرعى بعزتك وجساس اذا قتله بأنفتك)

كليب بن ربيعة بن الحرث الوائلى الذى يضرب به المثل فيقال أعز من حمى كليب فانه رئيس الحيين من بكر وتغلب ابنى وائل وقاد معدا كلها يوم خزاز وفض جموع القوم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته فعبر بذلك حينا ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه بما هو فيه من عزة وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه وعتوه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش كذا وكذا فى جوارى فلا تهاج ولا يورد أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره ولا يحتبى فى مجلسه ولا يتكلم الا باذنه وفى ذلك يقول أخوه بعد قتله

نبئت ان النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى أمر كل عظيمة
لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقيل انه كان اذا مر بمرعى قذف فيه جروا فيعوى فلا يرعى احد من ذلك الكلا ولذلك قيل حمى كليب وائل

صديقا يكون اليه مشتكى حزنى ولا أرى أنيسا يكون اليه منتهى فرحى وهذه حالة تشق على من تلبس بها ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة ما خرج الا وأبو بكر رضى الله عنه معه ليكون له انيسا فى الوحدة ورفيقا فى الغربة يركن اليه فى المشورة ويأنس به اذا خلا وقد علمت ما كان عليه معه فى الغار من الذب عنه وحراسته من الافعى وتلقى الاذى عنه وموسى صلوات الله عليه لما أمره الله تعالى بالرسالة الى فرعون ليدعوه الى الايمان سال الله تعالى ان يكون أخوه هرون معه قال الله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه وان أراد شرا كفه عنه وكان أنوشروان يقول لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير (قلت) ولو لم يكن فى الوزير والصاحب الا المشورة لكان كافيا قال تعالى فيما أدب به رسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر وما أحسن قول الشاعر

اذا عن أمر فاستشر لك صاحبا * وان كنت ذا رأى تشير على الصحب
فانى رأيت العين تجهل نفسها * وتدرك ما قد حل فى موضع الشهب

وقلت أنا فى المشورة

لا تسرع فى امر ولا تعمل به * ما لم يزنه لديك عقل ثانى
فالشعر معتدل بوزن عروضه * وكذا اعتدال الشمس بالميزان

(وقال الارجانى)

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا ما دنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(وقال ايضا)

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالحق لا يخفى على اثنين
فالمرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

قال أصحاب علم المناظر يمكن ان الانسان يرى قفاه بطريق وهو ان يجعل مرآة بين يديه ومرآة خلفه تقابلها بحيث ان تكون احداهما كبرى لو كان فيها انسان رأى الصغيرة واما الصغيرتان اللتان تحجب كل منهما الاخرى فلا يتأتى معهما مطلوب فاذا نظر الى التى بين يديه اتصل شعاع بصره بها ثم انعكس طالبا الجهة التى جاء منها لان المرآة فى القبالة فتتصل بالوجه وبما وراءه فيجد وراءه مرآة أخرى فينطبع فيها ما انطبع فى الاولى لان الصورة تجرى فى الشعاع كما تقدم فينطبع فيها وجهه فيكون له وجهان أحدهما فى التى هى أمام والآخر فى التى هى وراء فيجد شعاع هذه المرآة التى فى وجهه خلف لانها صقيلة لا يمكنه الثبوت عليها فيرجع الى الجهة التى تقابله فيجد القفا فيتعلق به كما يتعلق بالوجه من التى هى امامه فيؤل الامر الى ان طرف الشعاع متصل بقفاه فتجرى صورته فى الشعاع حتى ينطبع فى المرآة التى هى وراءه وتؤدى المرآة التى فيها الى التى تقابلها فينطبع القفا فى التى هى امامه فيرى لنفسه وجهين ويرى قفاه (رجع القول) الى طلب الصاحب وهذا الامر مقصود عند العقلاء لانه لا بد من خل تسكن اليه فتشكو اليه حزنك وتنتصر به على من ظلمك وتتخذه عونا على ما ربك وتتوصل

يعنون الكلاب ويضيفونه الى وائل وهو اسم الملك ثم غلب هذا القول حتى ظنوه اسمه ومر يوما بمرعى فيه حمرة وهى طائر صغير وقيل قبرة وقد باضت فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها فقال أمن روعك أنت فى ذمتى ثم أنشد

يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى

فاجسر صاحب بعير يدخل ذلك المرعى *وأما جساس فهو ابن مرة بن ذهل كانت أخته تحت كليب وكان بنو جشم وشيبان فى دار واحدة قبيلتى كليب وجساس وكانت لجساس خالة من بنى سعد تسمى البسوس جاورت بنى مرة فنزلت على ابن أختها جساس ومعها ابن لها ولها ناقة خوارة من نعم بنى سعد ولها فصيل فبدت الناقة ذات يوم فدخلت فى ابل كليب ترعى فى حماه فنظر اليها فانكرها فرماها بسهم فى ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبتها وضرعها يشخب دما ولبنا فلما نظرت اليها البسوس زت صارخة ويدها على رأسها وهى تصيح واذلاه فلما سمع جساس قولها اسكتها وقال والله ليقتلن غدا جمل هو أعظم عقرا من ناقة لك يعنى كليبا ثم انتجع الحى فروا

به الى ماشق عليك بلوغه بمفردك كان الكندي يقول الصديق انسان هو أنت الا أنه غيرك وكان يقول الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليه حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا قيل لعبد الحميد الكاتب أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخي اذا كان صديقي وفي المثل رب أخ لم تلده أمك (وقال) أكثم بن صيفي القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة (ومما) أنشده الوزير عون الدين بن هبيرة من شعر أمير المؤمنين المستنجد بالله

كن عدوا مبرزا صفحته * أوفى المنى اذا لم تلك قرني

في اشتباه الناس ودينهم * ومساواة اليها سوء ضغن

كم عدو لي من ظهر أبي * وصديق أمه ما ولدتني

(قلت) الاول من قول القائل

فاما أن تكون أخي بصدق * فأعرف منك غثي من سميني

والا فاطرحني واتخذني * عدوا أتقيك وتتقيني

(وقال بعضهم)

أخ لا يذقني الله فقدان مثله * وأين له مثل وأين المقارب

تجاوزت القربى المودة بيننا * فأصبح أدنى ما تعد المناسب

(وما أحسن) قول من قال

كانت مودة سلمان له رحما * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(وقال) بعض الحكماء ينبغي للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه (رأيت) في بعض المجاميع الادبية ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنامدة لم نزر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضي الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجلس أنس وطيبه ورائحة خمر وآلات طرب (فأنشده)

مانا صحتك خبايا الود من رجل * مالم ينلك بمكروه من العذل

محبتي فيك تأبى أن تسامحني * بأن أراك على شيء من الزلل

فلما اقام من عنده خرج العماد عن كل ما كان فيه ولم يعد الى ذلك البتة (قلت) واقل الاصدقاء حالة من تشكو اليه ولم يكن عنده غير سماع الشكوى والاصغاء اليها الان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تستروح اليه ولهذا قال الشاعر

ولابد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

لان المشكو اليه اما أن يواسيك في همك وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة واما أن يسليك وهي الرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم المهذب ذو التجارب الذي حلب أشطر الدهر واما أن يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز فان خلا الصديق من احدى هذه الرتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده (قال الشاعر)

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فنرجوك للدين

ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * علمنا بأن الامثل شخصك من طين

على نهر يقال له شبيث فنهاهم كليب عنه وقال لا تردن منه قطرة ثم مروا على نهر آخر يقال له الاحص فنهاهم عنه فمضوا حتى أتوا الذنائب ونزلوا فمر جساس بكليب وهو واقف على غدير الذنائب منفردا فقال طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون فقال له جساس هذا كفعلك بناقة خالتي فقال وقد ذكرتها أما اني لو وجدتها في غير ابلي مرة أخرى لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس بفرسه فطعنه بالرمح فأرداه ووجد الموت فقال يا جساس اسقني فقال هيهات تجاوزت الاحص وشبيثا ثم عطف المزدلف فاجهز عليه ثم ان جساسا لما فرغ من قتل كليب أمال يده بالفرس حتى انتهى الى أهله فقالت أخته لابيها ان لجساس شأنا قد جاءنا خارجا ركبتيه [3] فقال والله ما خرجت ركبتاه الا لامر عظيم يعني انه كان يركبتيه وضح لا يظهره فلما جاء قال ماوراءك يا بني قال وراءي

[3] قوله خارجا ركبتيه هكذا في النسخ ولعل الصواب خارجا ركبتاه بدليل ما بعده فليتأمل ويحرر اه من هامش الاصل

(قلت)

(قلت) لو كان لي في هذين البيتين حكم لهدمت القافية وقلت

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فنرجوك للقرى
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من خرا

فاني لا أرى أن أضيع الطين في تمثاله وما أحلى قول الغزي يهجو رجلا اسمه أبو طالب

ابليس قام عمل من الخراقالب * ثم انفسد جاءنو أبو طالب

(قلت) ما ألطف هذا وأظرفه اذ جعل ابليس الصانع أخزاه الله تعالى والمادة والصورة مع ما في قوله ثم انفسد من التكميل * ثلاثة كلها تجرى على نسق * ومن شواهد العربية قول الشاعر

اذا كنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع

كفت ما كي عن عمل النصب ومن هنا اختلاس المعنى محمد بن شرف القيرواني فقال

أغي باطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجع

(رجع القول الى قوله ولا بد من شكوى البيت) رأيت بخط السراج الوراق رحمه الله تعالى بيتا قد زاده على هذا البيت وجعله ثانيا له حيث قال

وان كان من وصف المروءة خاليا * يرائيك أو يبكيك أو ليس يسمع

(قلت) ليس في هذا زيادة لانه اذا رآه فقد واساه في الظاهر واذا بكاه فقد توجع واذا لم يسمع فلا حاجة اليه وقد توهم انه أتى بزيادة على الاول وما زاد شيئا انما أكد ما قاله الاول وأتى بذلك المعنى من غير زيادة ولكن غير الالفاظ فان الرياء من المواساة والبكاء من التوجع وعدم السماع من عدم المروءة فهو هو مع نقص فيه وما أحلى قول القائل

كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال ابن خاقان في الحمام)

لله قوم بحمام نعمت بها * والماء من حوضها ما بيننا جاري
كأنه فوق شفات الرخام ضحى * أوائل الماء في أثواب قصار

(وقال ابن الرومي)

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذ كاء
أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين الحاجبي بالقاهرة من أهل العصر

اقول شبه لنا جسم الرشا ترفا * يا مدعي الفضل في وصف وانشاء
فراح يفكر فيه اقلته زمنا * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وقول الشاعر ولا بد من شكوى هذا البيت وأمثاله يسميه أرباب البديع صحة التقسيم وأوردوا فيه قول البحتري

قف مشوقا ومسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

قال ابن الاثير الجزري في المثل السائر هذا من فساد التقسيم فان المشوق قد يكون حزينا والمسعد قد يكون معينا وكذلك قد يكون المسعد عاذرا (قلت) فيما ادعاه ابن الاثير نظر اذ ليس كل مشوق حزينا لان المحزون قد يكون غير مشتاق لانه قد يكون الحبيب عنده غير

أني ما طعنت طعنة لتشتغل بها شيوخ وائل زمنا قال أقتلت كليبا قال نعم قال وددت أنك وأخوتك متم قبل هذا ما بي الا أن تسأمني أبناء وائل ثم نظر جساس الى أخته نضلة فقال

واني قد جنيت عليك حربا
تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح منها
فتى شبت لآخر غير صاحي

فأجابته نضلة تطيب نفسه

وان تك قد جنيت على حربا
فلا واه ولا رث السلاح

ثم هرب جساس ووقعت بين الحيين حرب البسوس المشهورة قيل أقامت أربعين سنة * واختلف في قتل جساس فقيل ان أبا النويرة قتله هاربا على طريق الشام بعد حين وقيل ان ابن أخته هجرس ابن كليب كان عند أمه وأخواله بعد الفتن ولما بلغ مبلغ الرجال وعرف أن خاله جساسا قاتل أبيه ركب فرسه وأخذ رمحه وأتى نادي قومه وجساس خاله في النادي مع جماعة فقال ورمحي ونصليه وسيفي وزريه وفرسي وأذنيه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بعمومته

(ومهلهلا انما طلب ثأره بهمتك)

هو مهلهل بن ربيعة بن الحرث أخو كليب المقدم ذكره واسمه عدي ولقب مهلهلا بقوله

غائب عن عيانه ولكنه معرض عنه غير ملتفت اليه فهنا الحزن موجود من غير شوق ولا يردهنا قول القائل

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له * من شدة الشوق قد أبعدت فاقترب

فان هذا من المبالغة في الحب الذي لا يشفيه قرب ولا يبل غليله دنو وأبلغ من هذا قول الآخر وهو في غاية الرقة

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد

فلو أن روحي مازجت ثم روحه * لقلت ادن مني أيها المتباعد

ومن هذه المادة قول ابن سناء الملك

لوجدت لي بالنفس منك لقلت من * شره المحبة انه لبخيل

والكل من ابن الرومي أخذوا ومن أغراضه نفذوا فانه قال فاطاب وان أطال

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني

وألثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان

ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه ما ترشف الشفتان

كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى أن يرى الروحين يمتزجان

(رجع) ولا كل مسعد عاذر فان الانسان قد يساعد صاحب البلية وهو غير عاذر له وانما يفعل ذلك رحمة وشفقة ورقة فبطل ما اعترض به ابن الاثير على البحتري الفحل واما صحة التقسيم فيحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما سمع قول زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

قال لو أدركت زهير الوليته القضاء ومن أبيات هذا النوع المسمى بصحة التقسيم قول أبي الطيب

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

(وما أحسن) قول أبي الحسين الجزار

وزير ما تقلد قط وزرا * ولا دانا. في مثوى أثام

وجل فعاله صادات بر * صلات أو صلاة أو صيام

(وقال) شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين عبد العزيز رحمه الله

لما ملك واجد ما اشتهي * ولكنه لم يجد مثله

ملاذي به ومثولي لديـ * ـه ميلي اليه ومدحي له

(وقال الآخر)

كتبت وشينات حالي غاين * الى سيد جل عن مشبه

فشوقي اليه وشكري له * وشعري فيه وشغلي به

(وكتبت أنا) الى بعض الاصحاب

كتبت لمولى نأت داره * وسينات حالي وقف لديه

فسعيي اليه سروي به * سؤالي عنه سلامي عليه

(وقلت أيضا)

لما توغل في الكراع هجينهم هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا يعني قاربت وقيل لقب مهلهلا لانه أول من هلهل نسج الشعر أي أرقه وهو أول من قصد القصائد وقال فيها الغزل وغنى بالتشبيب من شعره وهو خال امرئ القيس بن حجر ومنه ورث اجادة الشعر وكان أيضا كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء ولذلك يقول بعد قتل كليب وطلب ثاره

فلو نبش المقابر عن كليب ليعلم بالذنائب أي زير

وكان من خبره في هذه الواقعة وطلب الثار والثار بالثاء المثلثة طلب الدم وأصله الهمز ان جساسا لما قتل كليبا وفر هاربا كان همام بن مرة أخو جساس ينادم مهلهل بن ربيعة أخا كليب وكان قد صادقه وآخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيأ فجاءت اليه أمة فاسرت اليه قتل جساس كليبا فقال له مهلهل ما قالت لك فلم يخبره فذكره العهد فقال أخبرت ان أخي قتل أخاك فقال لاست أخيك أضيق من ذلك فسكت همام وأقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمرة أن

كتبت ودالات حالى كما * تراها الى سيد لم أخنه
دعائى ودمعى ودأبى دوائى * له وعليه وفيه ومنه

(وقلت فى المجون)

ملكت غلاما حبيبى له * وخذ خبرى فيه أخبرك عنه
فدلى عليه ودأبى له * ودخلى فيه وخرجى منه

(رجع) الى قوله ولابد من شكوى البيت والعاقل من كتم أمره ولم يشك الى أحد عملا بقول القائل

لا تظهرن لعاذر أو عاذل * حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الأعداء

فقد يكون بعض الاصحاب مثل ما قال الارجانى

أعياك اسعافى فصرت معنفى * ليت الذى عدم الجميل تجملا
مالى شكوت اليك نار جوانحى * لتكون مطفئها فكنت المشعلا

(وقال) أبو بكر عبادة بن ماء السماء الأندلسى

لا تشكون اذا عثر * ت الى خليط سوء حالك
فيريك ألوانا من الاذلال لم تخطر ببالك

والعلم المشهور فى هذا قول أبى الطيب

لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأما الانفراد فنقلت من خط السراج الوراق له

أفردتنى الايام عن كل خل * وأنيس وصاحب وصديق
فلو انى مشيت فى شهر آب * لأبى الظل ان يكون رفيقى

(ونقلت) من خطه له أيضا

أفردتنى الايام عن كل خدن * وأنيس وصاحب وخليل
فترانى فى شمس آب ولا ظل لشخصى مع الضحى والاصيل

(وقلت) أنا فى الوحدة

لزمت بيتى كلزوم البنا * فى الفعل والحرف على الاصل
واستوحشت نفسى حتى لقد * نفرت لو أمكن من ظلى

(وقلت أيضا)

وجدت فى عشرة صحبى أذى * لما لزمت البيت فى الوقت زال
يا عجبا من أشعرى غدا * يحمد رأى الناس فى الاعتزال

(وقلت أيضا)

كففت عن الانام فمى وكفى * كأنى بت فى خرس ورعشه
وكنت متيما فى كل شخص * فعندى من خيالى اليوم وحشه

(رجع القول) الى بيت الطغرائى لعمرى اذا كان الانسان فى بلد بهذه المثابة لا المثوبة فحقه أن يفارقها ولهذا قال أبو الطيب

صرعت مهلهل فانسل همام وأتى قومه وقد قوضوا الخيم وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا فرحل معهم فظهر أمر قتل كليب وأفاق مهلهل فصح الخبر واجتمعت اليه وجوه قومه فقالوا لا تعجلوا على قومكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا اخترمنا خصالا اما ان تدفع الينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله واما أن تدفع الينا هماما فنقتله واما ان تقيدنا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه بكر فقالوا نكلم غير مخذول فقال أما جساس فانه غلام حدث السن ركب رأسه فهرب حين خاف ولا علم لى به وأما أخوه همام فأخو عشرة وأبو عشرة ولو دفعته لكم ليصيح بنوه فى وجهى وقالوا دفعت أبانا ليقتل عن ثأر غيره وأما أنا فلا أتعجل الموت وهل تريد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك هؤلاء بنى فدونكم فخذوا أحدهم فشدوا نسعه فى رقبته فاقتلوه وان شئتم فلكم الف ناقة فغضبوا وقالوا انا لم نأتك لتبذل لنا بنيك أو لتسومنا اللبن فتفرقوا

شر البلاد بلاد لا أنيس بها * وشر ما يكسب الانسان ما يضم

وأين هذه البلدة التي وصفها الطغرائي من البلدة التي وصفها الحريري في قوله

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلي عن الاوطان كل غريب

وأين هؤلاء القوم الذين عاصرهم الطغرائي وعاشرهم من آل المهلب الذين وصفهم الشاعر (فقال)

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الاوطان في زمن المحل

فما زال بي احسانهم وجميلهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي

وزاد عليه القاضي الرشيد بن الزبير فقال

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب في زمن المحل

ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلي حسبتهم أهلي

*(طال اغترابي حتى حن راحلتي * ورحلها وقرى العسالة الذبل)*

(اللغة) الاغتراب افتعال من الغربة تغرب واغترب بمعنى فهو غريب ومغترب وغرب بضم الغين والراء أيضا والجمع غرباء والغرباء الاباعد واغترب اذا تزوج غير أقاربه وفي الحديث اغتربوا لا تضووا ومعناه تزوجوا الاباعد دون الاقارب لئلا يحصل الحياء من القرابة فيجيء الولد ضئيلا نحيفا لعدم التمكن من الزوجة (حن) حنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والحنين من الآدمي الشوق (راحلتي) الراحلة الناقة التي تصلح لان ترحل أي يوضع عليها الرحل (ورحلها) الرحل رحل البعير وهو أصغر من القتب والجمع رحال وثلاثة أرحل (وقرى) القارية من السنان أعلاه (العسالة) الرماح واحدها عسال وعسل الرمح اهتز واضطرب وعسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا اذا أعنق وأسرع وكذلك الانسان وفي الحديث عليك بالعسل أي عليك بسرعة المشي (وما أحلى) قول القائل في رمح

عجبت منه الى المران نسبته * جنسا وينعت في الهيجا بعسال

(الذبل) جمع ذابل وهو من صفات الرمح كانه يصف الرماح بالخفة والدقة وقد عيب على أبي الطيب في قوله

ان ترى أدمت بعد بياضي * فحميد من القناة الذبول

قالوا ما الآخر منطبق على الاول وكان ينبغي أن يقول فحميد من القناة السمرة لان الادمة هي الحمرة بسواد وهو يقول ان تريني حصل لي أدمة من الاسفار ومقابلة الشمس بعد بياضي فمن الواجب أن يقول فحميد من القناة السمرة وهو ما أراده متوجه وقد أجاب ابن جني عنه بأشياء طول فيها وليست بطائلة (قلت) ويمكن أن يجاب عنه بأن الذبول يعطي السمرة لان الانسان اذا هزل اسمر واذا سمن ابيض (الاعراب) طال فعل ماض اغترابي فاعله ولم يظهر لانه مضاف الى الياء التي هي ضمير المتكلم فالرفع بضمة مقدرة على الباء الموحدة أماحتى فقال الشيخ بدر الدين بن مالك دلالة حتى والى على انتهاء الغاية كثير بخلاف الى أمكن في ذلك وما أطال الكلام في حتى فعدلت الى كلام غيره قال الشيخ النحاس اعلم ان حتى في الكلام على أربعة اضرب تكون لانتهاء الغاية فتجر الى وتكون عاطفة كالواو ويبتدأ بعدها الكلام وتضمر بعدها أن

فقام مهلهل وشمر للحرب وبدا القتل واستمر بين الفريقين الى أن كان يوم واردات وقد عظم القتل في بكر فاجتمعوا الى الحرث بن عباد بن مالك وكان قد اعتزل الحرب وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فذهبت مثلا فقالوا له قد فني قومك فأرسل ابنه بجيرا وقيل ابن أخته الى مهلهل وقال له قل له أبو بجير يقرؤك السلام ويقول لك قد علمت أني قد اعتزلت قومي لانهم ظلموك وخليتك واياهم وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك فأتى بجير مهلهلا وهو في قومه فقال له خالي يقرؤك السلام فقال له من خالك يا غلام وزرخوه بالرمح فقال له امرؤ القيس ابن أبان التغلبي مهلا يا مهلهل فان أهل بيت هذا قد اعتزلوا حربنا ووالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشد عليه فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت [illegible] بنو تغلب رضيت [illegible] الحرث بن عباد فقتل الغلام أصلح بين وباء بكليب فلما [illegible] الحرث قالوا ان مهلهلا قال بؤ بشسع نعل كليب الحرث ونهض للقتال والحروب بين الحيين

فتنصب أما ان كانت عاطفة فشرطها أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو يكون فيه معنى التعظيم كقولك مات الناس حتى الانبياء أو التحقير كاجترأ على السفلة حتى الزبالون (قلت) ينبغي ان يزاد هنا أو التعجب ليدخل فيه مثل قول أبي الطيب * وما قلت حتى أنت ممن أفارق * (رجع) الى كلام بهاء الدين قال وان كانت جارة فلابد أيضا أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو ملاقي آخر جزء كنمت البارحة حتى الصباح وان كانت حرف ابتداء بمعنى انه تقع بعدها الجمل الاسمية أو الفعلية كما تقع في ابتداء الكلام نحو قول الشاعر

سريت بهم حتى تكل مطيهم * وحتى الجياد ما يقدن بارسان

فلابد أن يكون ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها في جميع الاحوال الا ان دلت قرينة على خروجه نحو صمت الايام حتى يوم الفطر (قلت) حملت حتى على الواو لان الاصل في حتى أن تكون غائية واذا كانت غائية كان ما بعدها داخلا فيما قبلها تقول جاء القوم حتى زيد فزيد داخل في الذين جاؤا وهذا معنى الواو تقول جاء القوم وزيد لكنها تفارق الواو في أن الواو لا يجب أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها الا ان حتى للغاية والدلالة على آخر طرفي الشئ ولا يتصور في طرف الشئ أن يكون من غيره فلو قلت جاء الرجال حتى النساء لكان النساء غاية للرجال وهو محال (مسئلة) تقول أكلت السمكة حتى رأسها برفع السين ونصبها وجرها فالرفع على ان تجعل حتى حرف ابتداء والخبر محذوف دل عليه أكلت تقديره ورأسها مأكول والنصب على أن تكون حتى عاطفة فالرأس مأكول أيضا وذكر لحقارته والجر على ان حتى جارة فالرأس غير مأكول ومثله قول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

كان الفراء يقول أموت وفي قلبي من حتى لانها ترفع وتنصب وتجر (رجع) الى اعراب البيت حتى هنا بمعنى الى فهي هنا دخلت على جملة فعلية (حنّ) فعل ماض أصله حنن فاجتمع مثلان سكن أحدهما وأدغم في الآخر وحذف تاء التانيث ضرورة كما قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

كان ينبغي أن يقول أبقلت لان الارض مؤنثة ولكن اضطره الوزن الى ذلك فعنى بالارض المكان وهو مذكر وكذلك الطغرائي عنى بالراحلة الجمل وهو مذكر (راحلتي) فاعل حنّ والضمة مقدرة على التاء لاتصالها بضمير المتكلم والياء في موضع جر على الاضافة (ورحلها) الواو حرف عطف وقد تقدم الكلام على الواو وتقسيمها في أول القصيدة رحلها معطوف على راحلتي ولهذا ضمت اللام والهاء والالف ضمير يعود على الراحلة وهو في موضع جر بالاضافة (وقرى) الواو عاطفة قرى معطوف على ما قبله فهو مرفوع ولكن لم يظهر الرفع لانه مقصور وسمى مقصورا لانه محبوس عن الحركات الثلاث (العسالة) مجرور على اضافته الى قرى (الذبل) مجرور على أنه صفة للمجرور وهو العسالة والصفة لها شروط وهي أن يكون فيها أربعة من عشرة وهي الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتانيث والتعريف والتنكير والرفع والنصب والجر فالذبل فيها أربعة من هذه العشرة وهي الجمع لانه جمع ذابل والتعريف والتانيث والجر وانما قلنا التانيث لانه جمع وكل جمع مؤنث وما أحلى قول

طويلا وفني معظمهم وقتل همام وغيره الى أن قام في الصلح الحرث بن عوف المري كما سيأتي عند قوله وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالة وآل أمر مهلهل الى أن رحل الى أخواله من بني يشكر فريدا وحيدا وأقام بين أظهرهم الى أن مات وقيل قتل وكان سبب قتله كما ذكر ابن الكلبي انه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فلامنه وخرج بهما يريد سفرا فأناخا به في بعض الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقته هذا البيت وقيل في بعض الروايات انه أوصاهما أن يقولا لولديه

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات وأنشداهما قوله ففكر بعض ولده وقال ان مهلهلا لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى له وانما أراد أن يقول

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
أمسى قتيلا في الفلاة مجدلا
لله دركما ودر أبيكما
لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فأقرا بقتله فقتلاه وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين ومن ذلك قوله

القائل

قلت لما تجمعوا * وبقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم * كل جمع مؤنث

وحن فعل يتعدى الى المفعول بحرف الجر تقول حننت الى كذا وانما حذف هنا النوع من البلاغة يعرفه أرباب المعاني لانه لو قال حن راحلتي الى الفها وذكر المفعول وقفت نفس السامع عند الغاية المذكورة ولما حذف ذلك تشعبت الظنون وتفرقت في كل وجهة وظن بكل ما يوجد الحنين اليه وهذا مما يعطف عليه القلوب ويزيد في توجعها له (المعنى) طال اغترابي وامتد سفري الى ان حنت راحلتي وحن رحلها وحنت أعالي رماحي الى الدعة والسكون والاستقرار بدلا من الاضطراب والحركة والتنقل وقد حثت السنة على العود الى الوطن ووصفت الاسفار بالمشقة قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع الى أهله قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر زاد بعضهم في هذا الحديث السفر قطعة من العذاب فاقطعوه بالدلجة ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما موت الغريب شهادة (أقول) هذا مما يؤكد مشقة الغربة لان النبي صلى الله عليه وسلم أدخله في مشقة الشهداء كالقتيل في سبيل الله عز وجل والمبطون والمطعون والغريق والميت عشقا والميتة في الطلق والمراد بتسمية هؤلاء المذكورين خلا المقتول في سبيل الله ان لكل منهم أجر شهيد وليس يجري عليه أحكام الشهيد في أنه لا يغسل ولا يصلى عليه وانما هذا في حق من مات بقتال من الكفار قبل انقضاء الحرب سواء قتله كافر أم أصابه سلاح مسلم خطأ أو عاد اليه سلاحه أو سقط عن فرسه متقطرا أو رمحته دابة فمات أو وجد قتيلا عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته سواء كان عليه أثر دم أم لا وسواء كان جنبا أم لا أما اذا مات حتف أنفه أو باغتيال أو بقتال الكفرة بعده أو البغاة فقولان في مذهب الشافعي فان جرح في الحرب وبقيت فيه بعد انقضاء الحرب حياة مستقرة فقولان أظهرهما أنه ليس بشهيد وقيل ان مات عن قريب فقولان وان بقي أياما فليس بشهيد قطعا أما اذا انقضت الحرب وليس فيه الا حركة مذبوح فشهيد بلا خلاف وان انقضت وهو متوقع البقاء فليس بشهيد وحكمه أن لا يغسل لقوله صلى الله عليه وسلم زملوهم في ثيابهم الحديث ولا يصلى عليه لانه مقطوع له بالجنة والصلاة انما هي شفاعة بالدعاء من المؤمنين له بالمغفرة ودخول الجنة ولقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وفيه نظر لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم مقطوع لهم بالجنة وقد صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وصلى هو صلى الله عليه وسلم على حمزة عمه رضي الله عنه يوم أحد سبعين مرة كلما قدموا ميتا صلى عليه معه (وما أحسن) قول ابن عنين في موسوس

وبارد النية عاينته * يكرر الرعدة والهزه
مكبرا سبعين في مرة * كانما صلى على حمزه

وبه قالت الحنفية مستشهدين بالصلاة على حمزة وخالفوا الشافعية في الصغير الذي يقتل في المعركة فقالوا يغسل لانه لم يجب عليه فرض القتال وخالفوهم أيضا في الصلاة على الباغي المقتول فقالوا يمنع الصلاة عليه لان عليا رضي الله عنه أوجب محاربتهم والصحيح الذي قاله

الاشاعرة

بكره قلوبنا يا آل بكر
نغاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون
وان كانت تفادى بالصقال
ونبكي حين نذكركم عليكم
ونقتلكم كأنا لا نبالي

وهذه الابيات هي أصل ما اعتمدت عليه الشعراء في هذا المعنى وأميرهم البحتري في قصيدته العينية * ومن ذلك قوله أعني مهلهلا

أليلتنا بذي حسم أنيري
اذا أنت انقضيت فلا تحوري
فان يك بالذنائب طال ليلي
فقد أبكي من الليل القصير
وأنقذني بياض الصبح منها
لقد أنقذت من شر كثير
كأن كواكب الجوزاء عود
معطفة على ربع كسير
كأن الفرقدين يدا بغيض
ألح على افاضته قيري
فلو نبش المقابر عن كليب
لخبر بالذنائب أي زير
واني قد تركت بواردات
بجيرا في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد
وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب
اذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب
اذا برزت مخبأة الخدور

ومنها بعد أن كرر قوله على أن ليس عدلا من كليب في أبيات كثيرة على عادة العرب في تكرار القول في الامور العظيمة وتقريرها وبهذه

الاشاعرة ان القاتل والمقتول في حرب علي كرم الله وجهه ومعاوية من أهل الجنة لان كلا منهم اجتهد ولكن أصحاب علي رضي الله عنه أصابوا وأصحاب معاوية أخطؤا وخالفوهم أيضا في غسل الجنب الشهيد فقائلين ان القتال لا يزيل الجنابة وقال الشافعية انما الغسل لاداء الفرائض ولا فرض فالشهيد بالشروط المذكورة هو أعلى رتب الشهادة و بعض الفقهاء اشترط في الميت عشقا الكتمان والعفاف لقوله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ورأيت الشيخ النووي في الروضة قد أطلق ولم يشترط شيأ بل قال والميت عشقا والميتة طلقا وهذا العجيب منه كيف تساهل في هذا الموضع وما هي طريقته وقد جزم بتحريم النظر الى الامرد بشهوة وغير شهوة وما أظن للفقهاء دليلا في أن الميت عشقا شهيد غير حديث من عشق فعف وقد رواه الدارمي في جزئه وفي طريقه سويد بن سعيد الحدثاني وهو من شيوخ مسلم الا أن يحيى بن معين ضعفه وقال فيه كلاما معناه لو ملكت فرسا ورمحا لقاتلته بسبب هذا الحديث قال شيخنا شمس الدين الذهبي هذا الرجل ممن لم يتورع ابن معين في تضعيفه اه (قلت) جاء انه قال فيه حلال الدم وقد روى عن سويد المذكور مسلم وابن ماجه وتوفي في حدود الاربعين والمائتين وقد روى هذا الحديث أيضا الدارقطني عن المنجنيقي فتابع سويدا ورأيت بعضهم يقول انما سمي نور الدين الشهيد شهيدا لانه أحب مملوكا وعف عنه فاكده الحب فقتله وهذا ليس بشئ في سبب موته فانه مات بعلة الخوانيق وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فما روجع فمات بقلعة دمشق فان كان مقصده بتركه الفصد العمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يستطبون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقد تصدق عليه هذه التسمية وما أظنها الا غلبت عليه كقول الناس في سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قد مات على فراشه تفاؤلا في حقهم فان قلت فكيف بقي هذا الاسم عليه ولم يبق على غيره قلت لانه ليس كغيره من الملوك لفتوحاته وغزواته وأوقافه وورعه وزهده وسائر أوصافه المحمودة وما تسمى غازان ملك التتار محمودا الا تشبها به زاعما انه يسلك طريقه في العدل قال الشاعر

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما ✽ بأن قتيل الغانيات شهيد

(وما أحلى) قول ابن رواحة الحموي

لاموا عليك وما دروا ✽ أن الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى ✽ أو كان هجر فالشهاده

وعكسه أيضا فقال

يا قلب دع عنك الهوى قسرا ✽ ما أنت منه بحامد أمرا
أضعت دنياك بهجرانه ✽ ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

ومن هذه المادة قول ابن التعاويذي

أفنيت شطر العمر في مدحكم ✽ ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أفنيه هجاء لكم ✽ فضاع عمري فيكم كله

(وقال أيضا)

ولقد مدحتكم على جهل بكم ✽ فظننت فيكم للصنيعة موضعا

الابيات استشهد بعض المفسرين لقوله تعالى في سورة الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان وتكرر هذه الآية الشريفة

كأنا غدوة وبني أبينا
بجنب عنيزة رحيا مدير
كأن رماحنا أشطان بئر
بعيد بين جالها جرور
تظل الخيل عاكفة عليهم
كأن الخيل تنهض في غدير
فلولا الريح اسمع من بحجر
صليل البيض تقرع بالذكور

يقال ان هذا أول كذب ورد في الشعر وأبلغه فان بين الذنائب وحجر سبع ليال ومن ذلك قوله

قتلوا كليبا ثم قالوا لا تثب
كلا ورب البيت ذي الاحرام
حتى يعض الشيخ بعد حمية
مما يرى جزعا على الابهام
وتجول ربات الخدور حواسرا
يمسحن عرض ذوائب الايتام

وقوله

طفلة تشتة الخلخل بيضا
ء لعوب لذيذة في العناق
ضربت صدرها الي وقالت
يا عديا لقد وقتك الاواقي

ومنها يرثي كليبا

ان تحت الاحجار حزما وعزما
وخصيما ألد ذا مغلاق
حية في الوجاء أربد لا ينـ
ـفع منه السليم نفثة راقي

قوله ذا مغلاق يروى بالعين وهو الرجل الكثير الخصومه الشديد كانه يعلق بخصمه ويروى بالغين كانه يغلق على

ورجعت بعد الاختبار أذمكم * فأضعت في الحالين عمري أجمعا

(نرجع الى الغربة) نقل عن أبي اسحق ابراهيم الغزي الشاعر انه لما مرض ببلاد خراسان وأشرف على الموت قال أرجو أن الله يغفر لي لثلاثة أشياء لكوني من بلاد الامام الشافعي وكوني شيخا كبيرا وكوني غريبا وقد استعار الطغرائي الحنين للرحل كما استعاره لصدور الأسنة من الرماح طلبا للمبالغة لانه اذا كانت الاشياء التي لا تعقل ولا تدرك حصل لها الحنين فالعاقل الدراك بطريق الاولى وهذه فائدة الاستعارة وقال الشاعر في التغرب

تتقاذف الاهوال بي فكأنني * وليت أمر مساحة الآفاق

(وقال أبو الطيب)

يخيل لي أن البلاد مسامع * وأني فيها ما تقول العواذل

معناه ان العاذل ماله كلمة مستقرة في الاذن عند المحب والكلمة اذا صادفت موقعا من الخاطر قبلها السامع وثبتت في الذهن فالسامع لها دائما يتذكرها ويستحضرها كأنها رسخت واستقرت في سمعه وهذا من تشبيهاته الحسنة وقال الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

يعني أن الكرى ما دخل عينيه كالعذل الذي لم يجر في مسمعه وهذا أبلغ من قول أبي الطيب أولا وما أحسن قول ابن سهل المغربي فيما أظن

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي

وكنت أعز عزا من قنوع * تعوضه صفوح عن جهول

فصرت أذل من معنى دقيق * به فقر الى فهم جليل

وقال أبو الطيب في الغربة

غني عن الاوطان لا يستفزني * الى بلد سافرت عنه اياب

(وقال أيضا)

أخو هم رحالة لا تزال في * نوى تقطع البيداء أو تقطع العمرا

ومن كان عزمي بين جنبيه حثه * وخيل طول الارض في عينه شبرا

(قلت) مازال أبو الطيب يقطع البيد حتى انقطع منه الوريد فان فاتك بن أبي جهل الاسدي تبعه الى دير عاقول وقتله هنالك وقتل ابنه محسدا وغلامه مفلحا وقال في كثرة الاسفار

كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

(وقال) القاضي عبد الوهاب

أطال بين الديار ترحالي * قصور مالي وطول آمالي

ان بت في بلدة مشيت الى * أخرى فما تستقر أجمالي

كأنني فكرة الموسوس ما * تبقى مدى ساعة على حال

(وقال أبو تمام)

بالشأم قومي وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط جيراني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغ بي أقصى خراسان

خصمه القول وجميع شعره في هذه الغاية من التمكن والقوة

(والسموأل انما وفى عن عهده) هو السموأل بن عاديا من يهود يثرب الذي يضرب به المثل في الوفاء فيقال أوفى من السموأل وسبب ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما قتل أبوه وكان ملك كندة خرج يستنجد ملك الروم كما سيأتي ذكره فلما مر على تيماء وبها حصن السموأل المسمى بالابلق المذكور في شعره أودع السموأل مائة درع وسلاحا ومضى فسمع الحرث ابن ظالم وقيل الحرث بن أبي شمر الغساني بها فجاء ليأخذها منه فأبى السموأل وتحصن بحصنه فأخذ الحرث ابنا للسموأل وناداه وقال له ان لم تسلم الادراع والاقتاب ابنك فأبى أن يسلم له الادراع فضرب وسط الغلام بسيف فقطعه وأبوه يراه وطرحه وانصرف فقال السموأل في ذلك قصيدته المشهورة أولها

أعاذلتي الالا تعذليني * فكم من أمر عاذلة عصيت

وفيت بأدرع الكندي اني * اذا ما ذم أقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم يا سموأل ما بنيت

(وقال) النور الاسعردي

أقول لقلبي حين جد به الأسى * لك الله من قلب صبور على الوجد
أفي حلب جسمي وقلبي بجلق * وصحبي ببغداد وأهلي باسعرد

يقال انه ما رأى أحد قبور اخوة أكثر تباعدا من قبور بني العباس رضي الله عنهم قبر عبد الله بالطائف وقبر عبيد الله بالمدينة وقبر قثم بسمرقند وقبر عبد الرحمن بالشام وقبر معبد بافريقية (اتفاق عجيب لا بأس بذكره) كان يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة والياعلى أفريقية وأخوه روح والياعلى السند فلما توفي يزيد بافريقية قال الناس ما أبعد ما يكون ما بين قبري هذين الاخوين فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وجهزه والياً مكان أخيه فدخل افريقية ولم يزل والياً الى أن مات بها ودفن مع أخيه في قبر واحد رحمهما الله تعالى

وقال الارجاني

وأخو الليالي ما يزال مراوحا * ما بين أدهم خيلها والاشهب
فالارض لي كرة أواصل ضربها * وصوالجي أيدي المطايا اللغب

(وقال الآخر)

ومشتت العزمات لا يأوي الى * سكن ولا أهل ولا جيران
ألف النوى حتى كأن رحيله * للبين رحلته الى الاوطان

(وقال) ابن عنين

فالى متى أنا بالاسفار مضيع الايام بين الشد والايضاع
بينا أصبح بالسلام محلة * حتى أمسي أهلها بوداع

(وما أحسن قوله)

وحتام لا أنفك في ظهر سبسب * أهجر أو في بطن دوية قفر
أشقق قلب الشرق حتى كأنني * افتش في سودائه عن سنى الفجر

(وقال) ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أشتاق قومي بدمشق وفي * بغداد حظ القلب والعين
ففي لقائي ذا فراقي لذا * قل لي متى أخلو من البين

(وقال) أبو الحسين الجزار

والارض قد ثقلت عليها وطأتي * اذ عمها الادبار والاقبال
حتام أمسحها فلولا أن لي * عينين قال الناس ذا الدجال

(وقال ابن اللبانة)

كأنما الارض عني غير راضية * فليس لي وطن فيها ولا وطر

وبالغ شهاب الدين أحمد المناوي في قوله

ان عشت عشت بلا أهل ولا وطن * وان قضيت فلا قبر ولا كفن
أظن قبري بطون الوحش ترحل بي * بعد الممات ففي الحالين لي ظعن

(أنشدني) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

دعني وارشدي ان كنت أغوى
ولا تغوى زعمت كما غويت

ومات امرؤ القيس قبل أن يعود الى تيماء ومنع السموأل الادراع الى أن مات هو أيضا فضرب به المثل وفي ذلك يقول الأعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به
في جحفل كسواد الليل جرار
فقال غدر وثكل أنت بينهما
فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له
اقتل أسيرك اني مانع جاري

والسموأل هذا من شعراء الجاهلية المجيدين وله في الحماسة اللامية المشهورة عند أرباب البديع أولها يقول

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها ان الكرام قليل
فما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

وله أيضا

اني اذا ما المرء بين شكه
وبدت عواقبه لمن يتأمل
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم
وألح من حر الصميم الكلكل

ليت شعري الى متى أتشكى * سفراماله ولو مت آخر
بطن سارى الوحوش قبرى فما أبرح فى الموت والحياة مسافر

والمناوى أخذ المعنى من قول أبى بكر بن العطار اليابسى حيث قال فى القتلى

وقد عوضتهم من قبور حواصلا * فيامن رأى ميتا يطيربه القبر

ومن هذا المعنى قول أبى العلاء المعرى

لعل اناء منه يعمل مرة * فيأكل فيه من يشاء ويشرب
وينقل من أرض لاخرى ومادرى * فياعجبا بعد البلى يتغرب

وهما من لزومياته وقوله

رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحكا من تزاحم الاضداد

(وقال) أبو الحسين ابن الامام الغرناطى

ياليت شعرى والامانى كلها * برق يغرك أوسراب يلمع
هل ترتمن ركائبى فى بلدة * أم هكذا خلقت تخب وتوضع
فى كل يوم منزل وأحبة * كالظل يلبس للقيل ويخلع

(وقال) سيف الدين بن قزل المشد

ان الذين عهدتهم سكنوا الحمى * رحلوا وما عطفوا عليك وودعوا
جدوا المسير فلا الحداة لظعنهم * تجفو السهاد ولا المطايا تهجع
لا تستقربهم عراص خيامهم * ماقيل تضرب أوتراها تقلع
أقوت ربوعهم فشأن بيوتهم * بيتان ينصب ذا وهذا يرفع

(وقال) أبو الحسن على بن زريق البغدادى من قصيدته المشهورة

يكفيك من روعة التفنيد أن له * من النوى كل يوم مايروعه
ما آب من سفر الاوأزعجه * رأى الى سفر بالرغم يزمعه
تأبى المطالب الا أن تجشمه * للرزق كدحا وكم ممن يودعه
كأنما هو من حل ومرتحل * موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه فى الرحيل غنى * ولو الى السند أضحى وهو يربعه
وما مجاهدة الانسان موصلة * رزقا ولادعة الانسان تقطعه
قد وزع الله بين الناس رزقهم * لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا رزقا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى الرزق والارزاق قد قسمت * بغى الا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى من حيث يمنعه * اربا ويمنعه من حيث يطمعه

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدى من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف قاله أبو محمد على بن أحمد بن حزم (قلت) وبعضهم قال ولبس البياض وروى قصيدة ابن زيدون بدلا من قصيدة ابن زريق وما أرق قول العباس ابن الاحنف

كان رحيلى من أرض كم عجبا * أوحادثا من حوادث الزمن

أدع التى هى أرفق الحالات بى عند الحفيظة للتى هى أجمل

وله أيضا

ياليت شعرى حين أندب هالكا ماذا تؤبننى به أنواحى
أيقال لا تبعد فرب كريهة فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد بذلت الحق غير ملاحى

(والاحنف انما احتبى فى بردتك)

هو الاحنف المضروب به المثل فى الحلم والسيادة واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس ابن معاوية بن حصن السعدى ويكنى أبا بحر أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ودعا له حدث الاحنف قال بينما أنا أطوف بالبيت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ لقينى رجل أعرفه فاخذ بيدى فقال ألا أبشرك قلت بلى قال أماتذكر اذ بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومك فى بنى سعد أدعوهم الى الاسلام فجعلت أدعوهم وأعرض عليهم فقلت أنت انه يدعو كم الى خير ولا أسمع الاحسنا فانى رجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته بمقالتك فقال اللهم اغفر للاحنف فما شئ أرجى لى منها وسمى الاحنف لان أمه كانت ترقصه وهو طفل وتقول والله لولا حنف فى رجله

من قبل أن أعرض الفراق على * قلبي وأن أستعد للعزن

(وأحسن) ماقيل فى بغتة الرحيل قول محمد بن وهيب وقيل مالك بن أسماء بن خارجة

بيناهم سكن لجارهم * ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا

فظللت ذا وله يعاتبني * من لايرى أمرى له أمرا

يقال ان أبا السائب لما سمع الاول قال ما أسرع هذا وأبغته أما قد دوار كانا أما او كوا سقاء أما ودعوا صديقا وقال الزبير بن بكار رحم الله أبا السائب فكيف به لوسمع قول العباس ابن الاحنف

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال

ماحللنا حتى ارتحلنا فما يفـــرق بين النزول والترحال

ومن هنا أخذ ابن الساعاتى قوله

ماضحكنا للقرب حتى بكينا * للبعاد الرسوم والآثارا

(وقال) ابن عنين فى مرثية على لسان الناصر فى أخيه وقد توفى صغيرا من أبيات

خانتني الايام فيك فقربت * يوم الردى من ليلة الميلاد

واحسن ما فى هذا الباب قول شهاب الدين العزازى

عجبا لمولود قضى من قبل أن * يقضى لايام الصبا ميقاتا

هجر الحياة وطلق الدنيا وقد * وافت بزخرفها اليه بتاتا

فكأنه من نسكه وصلاحه * وهب الحياة لوالديه وماتا

وقريب منه قول ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد * فالسابق السابق منها الجواد

والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الجياد

والله لايدعو الى داره * الا الذى استصلح من ذى العباد

(وما أحسن) قول التهامى فى ولده

يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذا عمر كواكب الاسحار

والمشهور فى البغتة قول العكوك

رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا

كابد الاهوال فى زورته * ثم ماسلم حتى ودعا

(وقال) الحسين بن الضحاك

بأبى زور تلفت له * فتنفست عليه الصعدا

بينما أضحك مسرورا به * اذ تقطعت عليه كمدا

وقريب من هذه المعانى ماروى أن اعرابيا القيه رجل لم يكن يعرفه قبل ذلك فقال له كيف كنت بعدى فقال له الاعرابى ما بعد ما لاقبل له وأما قول شرف الدين بن الفارض

حديثى قديم فى هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فامر خارج عن العقل لان العقل لايمكن أن يتصور شيئا الاقبل له ولا بعد الا واجب الوجود ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الاشياء على الذوق ويقولون فى مثل هذه الامور انها من وراء

ما كان فى فتيانه كم من مثله تقول تحانف الرجل فى مشيته وهو أن تقبل الرجل بالابهام على الاخرى * وقال عبد الملك بن عمير وفد علينا الاحنف مع مصعب بن الزبير الكوفة فما رأيت منظرا يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان باخق العينين وكان اذا تكلم جلا عن نفسه وقال الشعبى أوفد أبو موسى الاشعرى وفد البصرة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم الاحنف بن قيس فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم فى حاجة نفسه وكان الاحنف فى آخر القوم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أما بعد يا أمير المؤمنين فان أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وأهل الشام نزلوا منازل قيصر وأهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه فى الانهار العذبة والجنان المخصبة وفى مثل عين البعير وكالحوار فى السلى تأتيهم ثمارهم قبل أن تتغير وان أهل البصرة نزلوا فى أرض سبخة زعقة نشاشة طرفها فى ملح أجاج والطرف الآخر فى الفلاة لاماتيها الجانب الافى مثل حلقوم النعامة فارفع خسيسنا وانعش وكيسنا واعدل لنا فقرنا ودرهمنا ومرلنا بنهر

العدل (أخبرني) الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال حضرنا يوما الشيخ كريم الدين عبد الكريم الايكي شيخ خانقاه سعيد السعداء عند الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله وأخذ يتكلم في طريقهم وأحوالهم ويتحدث على العرفان زمانا والشيخ تقي الدين ساكت لا يفوه بكلمة فلما قام من عندهم قال الشيخ تقي الدين للحاضرين هل فيكم من فهم تراكيب كلامه فاني ما فهمت غير مفرداته اه (قلت) وهؤلاء القوم يسلم لهم حالهم فانهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محيي الدين بن عربي وقطب الدين بن سبعين وفي كلامهم من هذا النوع كثير وأما قول شرف الدين بن الفارض

شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فيمكن فهم معناه بالتأويل (أنشدني) من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أنشدني من لفظه لنفسه خالي فخر الدين حسن بن علي ابن مكرون السنجاري قصيدة تائية طويلة في وزن تائية ابن الفارض حط فيها عليه منها

ولست كمن أمسى على الحب كاذبا * مضلا لارباب العقول السخيفة
يمن على الجهال من عصبة الهوى * بنسبته في الحب من غير نسبة
فيزعم طورا أنه عين عينها * ويزعم طورا أنها فيه حلت
ويجمع ما بين النقيضين قوله * وذلك محال في العقول السليمة

وما أحسن قول أمين الدين الجوباني في تهتكه

مت في عشقي ومعشوقي أنا * ففؤادي من فراقي في عنا
غبت عني فمتى أجمعني * أنا من وجدي بي في فنا
أيها السامع تدري ما الذي * قلته والله لا أدري أنا

وقد بالغ الشعراء في وصف الخمرة بالقدم من ذلك قول ابن سناء الملك

عمروها طينا وآدم طين * سبحة في حشا الزمان جنين
قبل أن تغرس الكروم وتلتف عليها الاوراق والزرجون
وثريا السماء ماهي عنقو * د ولا آية الدجاء عرجون

ومثل هذه المعاني من الشعراء تحمل على المبالغة مجازا في القدم لانهم يزعمون ان الخمرة كلما قدم زمانها كان تأثيرها في الاسكار أكثر فاما كلام الصوفية فأمر آخر وراء هذا كله ومبالغات الشعراء والكتاب لا مدخل لها في هذا الباب وما ألطف ما أنشدنيه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم

مخبية ما عرفت الدهر سلوتها * تسري الى النفس أو تجري مع النفس
وما لها آخر لكن أولها * تعارف سابق في حضرة القدس
في عالم الذر ما جاني البشير بها * أهلا لاغنتها طهرا من الدنس
أشهى الى القلب من أمن على وجل * ومن مجال الكرى في أعين النعس

وعلى ذكر الصوفية حضرت يوما في صفد سنة ست وعشرين وسبعمائة مجلس الشيخ الامام أبي الحسن علي بن الصياد الفاسي وقد عمل درسا عاما تكلم فيه على سورة والضحى واستطرد الكلام الى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه

نستعذب منه الماء فقال عمر رضي الله عنه أعجزتم أن تكونوا مثل هذا السيد هذا والله السيد فما زلت أسمعها منه ثم حبسه عنده سنة ثم قال يا أحنف اني بلوتك فأعجبني وانما حبستك لأعلم علمك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول احذروا المنافق العالم واشفقت عليك منه فوجدتك بريئا مما تخوفت عليك وسرحه وأحسن جائزته ولم يزل يشرف حتى مات وساد بعقله وحلمه حتى يكاد يجرد لامره مائة ألف سيف وكان أمراء الانصار يلتجئون اليه في المهمات وكان اذا أراد حربا قال الناس قد غضب زبراء فصار مثلا وزبراء جارية كان مطيعا لها فكانوا يكنون عن غضبه في الحرب بغضبها * وكان يقول كما نختلف الى قيس ابن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف الى العالم نتعلم منه العلم * وحكي خالد بن صفوان قال كنت بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم عليه العباس بن الوليد فغشيه الناس فدخلت عليه فقال حدثني عن تسويدكم الاحنف وانقيادكم له فقلت ان شئت حدثتك عنه بواحدة تسود وان شئت باثنتين وان شئت بثلاث

براك فقال ذهب بعض الصوفية الى أن معنى فان لم تكن تراه ان غبت عن وجودك ولم تكن رأيته وحسن ذلك واستحسنه من حضر فقلت انا هذا حسن لو ساعد الاعراب عليه فان هذا شرط وجوابه وهما مجزومان ويكون اللفظ الصحيح فان لم تكن تره حتى يصح المعنى فاعترف بذلك ووقفت على كلام ابن أبي جمرة في شرح الاحاديث التي انتقاها من البخاري وقد تكلم على الاستواء فقال ذهب بعض الصوفية في معنى هذا اللفظ الى شئ وهو حسن لولا ما فيه من جهة العربية فقال الرحمن على ووقف هنا ثم قال العرش استوى اه (قلت) هذا حسن ولكن لا يوافقه رسم المصحف على ذلك فانه اذا وقف على علا ينبغي أن يكون من علا يعلو ولا يكتب علا من العلو الا بالالف لانه من علوت ولم يكتب على هنا في المصحف الا بالياء لانها حرف جر ومما يكاد يلحق بكلام الصوفية وليس منه ما ذكره الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي رحمه الله في أنوار البروق قال أنشدني بعض الفضلاء

ما يقول الفقيه أيده الله ولا زال عنده الاحسان

في فتى علق الطلاق بشهر * قبل ما بعد قبله رمضان

ثم انه بعد ذلك ذكر قريبا من كراسة من كلام شيخنا جمال الدين بن الحاجب ومن كلام نفسه وقال ان البيت الثاني ينشد على ثمانية أوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع استعمال اللفظ في الحقائق دون المجاز وصحة الوزن وكل بيت منها يشتمل على مسئلة من الفقه في التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسئلة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسئلة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز في الالفاظ وطرح الحقائق وعدم الوزن ثم ذكر من كلام ابن الحاجب كيفية انشاد البيت الثاني على ثمانية أوجه بأن ما بعد ما قد يكون قبلين أو بعدين أو مختلفين فهذه أربعة أوجه كل منها قد يكون قبله قبل وقد يكون قبله بعد فصارت ثمانية أوجه وذكر قاعدة ينبني عليها تفسير الجميع وهي انه كلما كان قبل وبعد فألغهما لان كل شهر حاصل قبل ما هو بعده وحاصل بعد ما هو قبله فلا يبقى حينئذ الا بعده رمضان فيكون شعبان أو قبله رمضان فيكون شوال فلم يبق الا ما جميعه قبل أو جميعه بعد والاول هو الشهر الرابع من رمضان وهو ذو الحجة والثاني هو الرابع ولكن على العكس وذلك جمادى الآخرة اه ما لخصته من أنوار البروق (قلت) وقد أطال الكلام في تقسيم ذلك وتقريره فاذا نظر الواقف عليه في ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وترديده وقد وضعت أنا لذلك شجرة لان الاشياء اذا برزت الى الخارج زاد وضوحها وزال غموضها وصورة تلك الشجرة في الصحيفة التي تلي هذه فتدبرها مع مراعاة القاعدة التي ذكرها الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى يظهر لك صحة ذلك ومثل البيتين المتقدمين فيما ذكر قول بعضهم

وعدت في الخميس وصلا ولكن * شاهدت حولنا العدا كالخميس

أخلفت وعدها وجاءت الينا * قبل ما بعد قبل يوم الخميس

وان شئت حدثتك عشيتك حتى تنقضي ولم تشعر بصومك وكان صائما يوم خميس فقال هات الاولى فقلت كان أعظم من رأينا أو سمعنا سلطانا على نفسه فما أراد حملها عليه ودفعها عنه ثم أدركني ذهني فقلت عمر الخلفاء فقال لقد ذكرتها نحلاء كافية فما الثانية قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه ولا يكون بصيرا بالمحاسن والمساوى ولا نسمع باحد أبصر منه بالمجالس في المساوى والمحاسن فلا يعمل السلطنة الاعلى حسن ولا يكفها الا عن قبيح فقال قد جئت بصلة الاولى لا تصلح الا بها فالثالثة قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيرا بالمحاسن والمساوى ولا يكون حظيظا ولا ينشر له ذكر وكان الاحنف عند الناس مشهورا فقال وأبيك لقد وصلت الاثنتين فما بقية ما يقطع عني الصوم قلت أيامه السالفة مثل فتح خراسان اجتمعت عليه الاعاجم بمرو الروذ فجاءه مالا قبل له به وهو في مثل مضيعة وقد بلغ به الامر فصلى العشاء الآخرة ودعا وتضرع الى الله تعالى أن يوفقه ثم خرج يمشي في العسكر مثل المكروب متنكرا يسمع ما يقول الناس فربعبد

ما يقول الفقيه أيده الله ولا زال عنده الاحسان في في علق الطلاق بشهر

قبل ما قبل قبله رمضان (ذو الحجة)
قبل ما قبل بعده رمضان (شوال)
قبل ما بعد بعده رمضان (شعبان)
قبل ما بعد قبله رمضان (شوال)

بعد ما قبل بعده رمضان (شعبان)
بعد ما قبل قبله رمضان (شوال)
بعد ما بعد قبله رمضان (شعبان)
بعد ما بعد بعده رمضان (جمادى الآخرة)

بعين وهو يقول اصاحب
له العجب لاميرنا يقيم بالمسلمين
في منزل مضيعة وقد اطاف
بهم العدو من نواحيهم
واتخذوهم غرضا وله متحول
فجعل الاحنف يقول اللهم
وفق اللهم سدد فقال العبد
للعبد فالحيلة قال أن ينادي
الساعة بالرحيل وانما بينه
وبين الغيضة فرسخ فيجعلها
خلف ظهره فيمنعه الله بها
واذا امتنع ظهره بها بعث
بمجنبتيه اليمنى واليسرى
فيمنع الله تعالى بهما ناحيته
ويلقى عدوه في جانب واحد
فسجد الاحنف ثم نادى
بالرحيل من مكانه حتى أتى
الغيضة فنزل في قبليها
فاصبح فاتاه العدو فلم يجدوا
سبيلا الا من وجه واحد
وهولوا بطبول أربعة وركب
الاحنف وأخذ اللواء وحمل
بنفسه على طبل فشقه وقتل
صاحبه وهو يقول

أن على كل رئيس حقا
أن يخضب الصعدة أو يندقا

وشق بقية الطبول فلما فقد
الاعاجم أصوات طبولهم
انهزموا وركب المسلمون
أكتافهم وكان الفتح ثم عدد
حاله بقية ايامه الى أن انقضى
النهار * وللاحنف حكايات
حسنة وألفاظ محكمة
ومؤاخذات معدودة عليه
* فمن حكاياته ماحدث بعض
غلمانه قال كان الاحنف يكثر

ومن المسائل العجيبة في بيت يتفرع الى ألوف من الصور في تقديم ألفاظه وتأخيرها ماحكاه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري انه سئل أول قدومه الى القاهرة عن غاية ما يمكن في البيت الواحد من وجوه العدد بتقديم الاجزاء وتأخيرها بعضها عن بعض فأجاب بان هذا انما يتأتى في بحرين من العروض خاصة وهما المتقارب والمتدارك لان ماعدا هذين البحرين اما أن تكون تفاعيله متفقة فتكون سباعية كالكامل والرجز ونحوهما وهذا لا يتأتى نظمه من كلمات سباعية واما ان تكون تفاعيله مختلفة من سباعية وخماسية كالطويل والبسيط ونحوهما فلا يحفظ نظامه في تبديل الاجزاء لاختلاف مقاديرها فتعين أحد البحرين المذكورين لان كل واحد منهما مركب من أجزاء خماسية يمكن أن تكون كلمات لا يختلف وزن البيت بتقديمها وتأخيرها ولاجل هذا المعنى يمكن أن تكون من الصفات الواردة في الغزل والمديح ونحوهما ولما كان البيت من الشعر العربي لا يتجاوز تعداد ثمانية أجزاء فنهاية ما يمكن التعدد في صورة البيت الواحد على شريطة أن لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يختلف عروضه ولا ضربه أربعون ألفا وثلثمائة وعشرون بيان ذلك ان البيت المفروض انما يفرض على صورة ما فاذا جعل الجزء الاول ثانيا والثاني أولا حدثت صورة ثانية فاذا أبدلنا الجزء الثالث تارة باول وتارة بثان على الصورة الاولى حدث في كل من الصورتين ثلاث صور فيكون المجموع الحاصل بتبديل الجزء الثالث وما قبله ست صور وعلى هذا القياس تضرب هذه الست صور في أربعة فيحصل أربعة وعشرون أخرى بتبديل الجزء الرابع ثم تضرب هذا العدد في خمسة فيبلغ مائة وعشرين عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الخامس وما قبله ثم تضرب هذا العدد في ستة فيبلغ سبعمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السادس وما قبله ثم تضرب هذا العدد في سبعة فيبلغ خمسة آلاف وأربعين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السابع وما قبله ثم تضرب هذا العدد في ثمانية فيبلغ أربعين ألفا وثلثمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الثامن وما قبله أعني جميع أجزاء البيت فأخبره السائل ان الشيخ شهاب الدين القرافي رحمه الله ذكر بيتا من بحر المتقارب من العروض وهو

حبيب بقلبي مليح جميل * بديع ظريف رشيق عزيز

وذكر انه يتفرع منه هذا العدد ولم يذكر كيفية تفريعه ولا ذكر المتدارك اه

*(وضج من لغب نضوي وعج لما * ألقى ركابي ولج الركب في عذلي)*

(اللغة) (وضج) صاح والضجيج الصياح والضجوج من النوق هي التي تضج اذا حلبت (لغب) اللغب بالغين المعجمة هو اللغوب وهو الاعياء والتعب وفي القرآن الكريم ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب قال بعض المفسرين هذا رد على اليهود لانهم قالوا ابتدأ الله خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا من لغوب ردا عليهم في انه استراح من التعب والاعياء اه وهذا من اليهود تحريف في المعنى وذلك أن الاحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض وهي أعراض لمقادير حركات الافلاك فلو كان خلق السموات والارض وما بينهما ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الفلك والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل

الصلاة بالليل وكان يحيى الى الصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول حس ويقول ما حملك على أن صنعت كذا في يوم كذا * وشكا اليه رجل وجع ضرسه فقال لقد ذهب نور عيني منذ ثلاثين سنة فما علم بذلك أحد * وقال له عمر رضي الله تعالى عنه أي الطعام احب اليك قال الزبد والكمأة قال عمر ماهما باحب الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للمسلمين يعني أن الزبد والكمأة لا يكونان الا في الخصب * وخلا به رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا أخي ان كان قد بقي من قولك فضلة فقل الآن والا سمعك قومي فتؤذى * وقال له رجل بم سدت قومك ولست بأشرفهم فقال بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما لم تترك من أمري ما لا يعنيك * وقال له رجل لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك فقال في قبرك يدخل والله لا في قبري * وقيل له بم سدت قال لو أن الناس كرهوا الماء ما شربته * وقال يوما ما يسرني اذا نزلت بدار مجزرة أني ألبنتا فأسمنت قيل له يا أبا بحر وما مرادمن دار المحورم غير هذا فقال اني أكره سوء العادة ووفد على معاوية مع أهل العراق فقال آذنه ان أمير

خلق الاجسام أجسام أخر فلزم القول بقدم العالم قال الامام فخر الدين الرازي ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف لان الفلاسفة لا يثبت لله تعالى صفة أصلا ويقول انه تعالى لا يقبل صفة بل واحد من جميع الوجوه بعلمه وقدرته وصفاته باسرها هي حقيقته وذاته والمشبهي يثبت لله تعالى صفات الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والهبوط والصعود وهذا غاية المنافاة ثم ان اليهودي في هذا الكلام جمع بين المتنافيين وأخذ مذهب الفيلسوفي في المسئلة التي هي أخص المسائل بهم وهي القدم لانهم أثبتوا قبل خلق الاجسام أجساما معدودة وأزمنة محدودة وأخذ مذهب المشبهة في المسئلة التي هي أخص المسائل بهم وهي الاستواء على العرش فأخطؤا وضلوا في الزمان والمكان جميعا اه (قلت) وتفسير هذه الآية ان ذلك اشارة الى ستة أطوار لا المفهوم من اليوم اللغوي لانه عبارة عن بقاء الشمس على وجه الارض من الشروق الى الغروب ولا شمس هناك ولا دور ولكن اليوم يطلق ويراد به الوقت تقول أصوم يوم قدومك وأسير يوم يأتيك ولذلك وقد يقدم ليلا ويأتيه ولده ليلا فلا يخرج هذا عن مرادك لانك أردت مجرد الوقت والحين فنزه الله تعالى ذاته المقدسة عن لواحق الاجسام اه (نضوى) النضو البعير المهزول والناقة نضوة (وعج) العج رفع الصوت وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية والنحر (ركابي) الركاب الابل التي يسار عليها وقد تقدم الكلام على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس (ولج) اللجاج واللجاجة مصدر لججت بالكسر تلج بالفتح وهو لجوج ولججت بالفتح تلج بالكسر لغة وهو الخث (الركب) أصحاب الابل في السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها واحده راكب وليس بتكسير لانه يصغر فيقال ركيب والجمع أركب (عذلي) العذل بالتحريك هو الاسم وبالسكون هو المصدر وهو الملامة ورجل معذل أي يعذل لافراطه (الاعراب) (ضج) فعل ماض أصله ضجج فاجتمع المثلان فسكن الاول وأدغم في الثاني (من لغب) جار ومجرور في موضع النصب على انه مفعول لاجله قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب في مقدمته المفعول له هو ما فعل لاجله فعل مذكور ثم قال وشرط نصبه تقدير اللام وانما يجوز حذفها اذا كان فعلا لفاعل الفعل المعلل اه (قلت) وقد نقضوه بمثل قعدت عن الحرب جبنا فان الجبن ليس فعلا لفاعل الفعل والجواب ان المراد بالفعل هنا أعم من ان يكون بالحواس الباطنة أو الظاهرة والجبن من فعل الحواس الباطنة ونقضوه أيضا بقوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا أجمعوا على انه منصوب بكونه مفعولا لاجله وليس فعلا لفاعل الفعل اذ الخوف والطمع مستحيلان في حق الله عز وجل والجواب انه محمول على باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال تعالى هو الذي يريكم البرق لارادة خوفكم وطمعكم والمفعول لاجله الاصل فيه أن يقدر بلام العلة كقولك ارتحلت طالب العلم أصله لطلب العلم وحينئذ رغبة فيك وأسلمت طمعا في الجنة وقد يقوم مقام اللام من وفي كقوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم وقوله تعالى الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض والمفعول لاجله هو الباعث على ايجاد الفعل فاللغب هنا هو الباعث على الضجيج (نضوي) فاعل ضج وقد تقدم المفعول له عليه وهو جائز ولم يظهر الرفع في الفاعل لاضافته الى ضمير المتكلم

المؤمنين يقسم عليكم أن لا يتكلم أحد منكم الا بالفعل فدخلوا فقال الاحنف لولا حرمة أمير المؤمنين لاخبرته ان نازلة نزلت ونائبة نابت وكلهم به فاقة الى رفد أمير المؤمنين فقال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت من غاب ومن شهد * وذكره معاوية ترما بصحبته لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأيام صفين فقال يا أمير المؤمنين القلوب التي أبغضناك بها بين جنوبنا والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا وان شئت استصفيت كدرنا بحلمك فقال أجل * ومما عيب به وأخذ عليه أمر الزبير بن العوام رضي الله عنه وذلك انه لما ترك القتال يوم الجمل ورجع عن الحرب مر ببني تميم ذاهبا الى دياره فأتى رجل الاحنف فقال هذا الزبير قدم آنفا فقال ما أصنع به جمع بين غازين يقتل بعضهم بعضا ويريد أن ينجو الى أهله فتبعه ابن جرموز فقتله غدرا فقال الناس انما قتله الاحنف بكلامه ذلك وان ابن جرموز انما فعل عن رأيه * وحين أتاه كتاب الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما يستنصره فقال قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهم ايالة الملك ولا صيانة المال ولا مكيدة الحرب ولم يجبه * وقوله للحباب بن المنذر

(وعج) فعل ماض مثل ضج (لما) جار ومجرور الجار اللام والمجرور وهو اسم ناقص بمعنى الذى لا تتم الا بصلة وعائد ولم يظهر الجر فيه لانه مبنى لشبهه بالحرف فى الافتقار لان الحرف لا يدل على معنى فى نفسه لكن فى غيره وكذا الاسماء الموصولة لا تستقل بالدلالة على معنى بنفسها حتى يؤتى بالصلة والعائد فاشبهت الحروف من حيث الافتقار ووسموا الموصول بأنه ما افتقر الى الوصل بجملة معهودة مشتملة على ضمير لائق بالمعنى فلا يقال جاءنى الذى أكرمته الا والاكرام معهود عند المخاطب والافالجملة التى وصل بها غير معهودة ولا يقال جاءنى الذى أكرمتهما الان العائد غير لائق بالمعنى فان التثنية لا تطابق الافراد وقد أورد بعضهم على هذا قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وغشيهم من اليم ما غشيهم واقص ما أنت قاض وهو كثير لانه لا عهد للمخاطب بهذه الصلة (دلت) الجواب عن هذا أن الاتيان بالصلات فى هذه المواطن غير معهودة من أعلى طبقات البلاغة لانها اذا وردت هكذا أخذ الذهن يسلك فى كل مسلك ويسرى فى كل مسرى فلو قال تعالى فغشيهم من اليم ما أغرقهم لكان الذهن قد وقف على ذلك من أول وهلة ولم يهبط واديا من الهول ولم يرتفع رابية من الجزع وكذا فأوحى الى عبده ما أوحى لو قال تعالى فأوحى الى عبده ما أقربه عينه أو أفرح به قلبه أو ما يسره به من ان لا أحد من الانبياء يدخل الجنة قبله ولا أمة من الامم تدخل الجنة قبل أمته لما كان له فى القلب هذا الموقع فان الذى يظن بعموم هذا اللفظ لا يتناهى فظهرت الفائدة فى مجىء الصلة بهمة غير معهودة ماهى وقد اختلف المفسرون فى الضمير فى عبده من هو فمن قائل انه النبى عليه الصلاة والسلام ومن قائل انه جبريل ويكون التقدير فأوحى الى عبده جبريل ما أوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم * وعلى ذكر الصلة والعائد فما ألطف قول شرف الدين بن عنين لما كتب وهو ضعيف الى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل رحمهم الله

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة ولقد استخدم ابن عنين العائد والصلة استخداما حسنا وفهم الملك المعظم أحسن منه (ومن نوادر النحاة) أن رجلا قرع الباب على نحوى فقال من أنت قال الذى اشتريتم الآجر فقال أله قال لا قال امضه قال لا قال اذهب دالك فى صلة الذى شئ ويشبه هذه النادرة ما حكى أن بعض النحاة مر من تحت مئذنة والمؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله بنصب رسول فجعل النحوى يقول ماله ماله ما أتيت الى الآن بالخبر ومن هنا أخذ ابن سنا الملك قوله فى مدح الملك العادل

مكمل وسواه ناقص أبدا * كانه ان قد جاءت بلا خبر

وأما قول ابن عنين فيما تقدم فمثله قول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

وانى الذى أضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

(وقول الآخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم غذى

اسكت يا آدر وكان الحباب آدر * وطاعته لجاريته زبراء حتى سئل عن ذلك فقال كيف لا أطيع من لى اليه كل يوم حاجة * وأتاه رجل فلطمه فقال لم لطمتنى قال جعل لى جعل على ان الطم سيد بنى تميم قال لست بسيدهم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فمضى الرجل اليه فلطمه فقطع يده فقال الناس انما قطع يده الاحنف * وأرسل اليه عمرو ابن الاهتم رجلا يكايده فقال ما كان مال أبيك ففطن له الاحنف فقال صرمة يقرى منها ضيفه ويكفى عياله ولم يكن أهتم سلاحا فهذا ما حفظ من سقطاته * وقريب منها انه خاط عند رجل ثوبا ثم تقاضاه دهرا فلما ضجر أخذ بيد ولده وجاء الى الخياط فقال اذا مت فادفع الثوب الى هذا ومن كلامه لا خير فى لذة تعقب ندما لن يفتقر من زهد اقبلوا عذر من اعتذر ما أوجع القطيعة بعد الصلة أنصف من نفسك قبل ان ينتصف منك لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان اعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك أنفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين * وقال يوما

ورفعته ومقداره بالابتدا * حاشا كم أن تقع واصلة الذى

ومن كلام أبى العلاء المعرى * فقرى اليك كفقر الذى الى الصلة وبيت الشعر الى القافية المتصلة (رجع) الى اعراب البيت تقرر أن ما اسم ناقص فى موضع جر (ألقى) فعل مضارع مرفوع لانه عار عن الناصب والجازم ولم يظهر الرفع فيه لانه معتل الطرف بالالف فالضمة مقدرة فى آخره وهو الصلة للاسم الناقص وهو ما والعائد محذوف تقديره ألقاه وهو فى موضع النصب لانه مفعول وهذه الجملة من الجار والمجرور والصلة والعائد فى موضع نصب على انها مفعول لاجله (وخ) فعل ماض كما تقدم فى نظيره و (الركب) فاعله و (فى عذلى) جار ومجرور فى موضع النصب لتعلقه بخ كأنه قال أسرع الركب فى عذلى أى أعجلوا (المعنى) هذا البيت كالذى تقدم قبله أخذ بعده مشاقه ويكرر أصناف نكده حتى ان النوق تصيح من تحته والابل ترفع أصواتها والرفاق يلومونه ويعذلونه على مواصلة الاسفار ومحاولة الاخطار وفى قوله وضج من لغب نضوى غنية عن أن يقول فيما بعده وعج لما ألقى ركابى لان المعنى واحد فكل منهما يغنى عن ذكر الآخر فان ضجيج النوق هو عج الركاب وقد عيب على أبى الطيب المتنبى فى قوله

وأنت بالامس كنت محتلما * شيخ معد وأنت أمردها

قال ابن وكيع فى اخباره أنه كان محتلما ما يغنى عن قوله وأنت أمردها أو يكتفى بقوله وأنت أمردها عن ذكر محتلم وليس هذا من الحشو الحسن بل هو كقول أبى العيال الهذلى

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس بعد الصداع حشو يستغنى عنه وكذلك قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنى اللهب

كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكر الماء بعد المزج فضل يستغنى عنه والبيتان يكفى عنهما قول أبى نواس بلا حشو

فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الأنف

اهـ كلامه (قلت) ومن تكرار الالفاظ الثقيلة قول أبى الطيب أيضا

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

وكذا قوله

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل هم كلهن قلاقل

وكذا قوله

عظمت فلما لم تكلم مهابة * تواضعت وهو العظم عظما على عظم

ولو سمى هذا البيت جبانة لكان لائقا به كما قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ذكرت عنده قصيدة ابن الرومى التى أولها

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان * فيهن نوعان تفاح ورمان

فقال هذه دار البطيخ فاقرؤا نسيبها تعلموا ذلك (قلت) وقد بالغ ابن الرومى فى غزلها وأكثر من ذكر العناب والبان والنرجس وما شاكل ذلك وكذا قول أبى الطيب أيضا

أسد فرائسها الاسود يقودها * أسد تصير له الاسود ثعالبا

قال

ما ردت عن حاجة قط فقيل له ولم قال لانى لا أطلب المحال * وقال ما نازعنى أحد الا وأخذت فى أمره بثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه * وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال الا أدلك على أدوا الداء قال بلى قال اكتساب الذم بلا منفعة * وقال يوما كانت المودة محضا وليتها اليوم مذقا * ومن كلامه فى النظم وشعره قوله

ولو مد سروى بمال كثير
لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع
اذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يجالسه رجل كثير الصمت فأعجب به الاحنف ثم تكلم يوما فقال يا أبا بحر تقدر تمشى على شرف المسجد فقال يا أخى انى كبرت ولا أقدر على ذلك ثم أنشد يقول

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فرواها قومه وقيل تمثل بها وهى لغيره فانها أرفع طبقة من شعره * ومات بالكوفة سنة تسع وستين

قال ابن رشيق ما أدرى كيف تخاص من هذه الغابة المملوءة أسودا وقال الاصمعى لمن أنشده

فمالنوى جذ النوى قطع النوى * كذاك النوى قطاعة لوصال

لوسلط الله على هذا البيت شاة لا كلت هذا النوى كله وأما قول أبى نواس

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوماله يوم الترحل خامس

فقال ابن الاثير فى المثل السائر مراده من ذلك انهم أقاموا أربعة أيام ويا عجبا له ياتى بمثل هذا البيت السخيف على العى الفاحش (قلت) أبونواس أجل قدرا من ان ياتى بهذه العبارة لغير معنى طائل وهوله فى مثل هذا مقاصد جليلة يراعيها ومذاهب يسلكها الاترى الى ماحكى عنه من انه ذكر عند الرشيد قوله

فاسقنى البكر التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم

فقال الرشيد لمن حضر ما معناه فقال أحدهم ان الخمر اذا كانت فى دنها كان عليها شئ مثل الزبد فهو الشيب الذى أراده وكان الاصمعى حاضرا فقال يا أمير المؤمنين ان أبا على أجل خطرا وان معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يخرج العنقود فى الزرجون يكون عليه شئ يشبه القطن فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان أبانواس أدق نظرا مما قلتم اهـ وأما معنى البيت الاول فان المفهوم منه ان المقام سبعة أيام لانه قال وثالثا ويوما أى آخر اليوم الذى رحلنا فيه خامس وابن الاثير لوامعن الفكر فى هذا ربما كان يظهر له وأما قول أبى الطيب

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ * ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

فقد عده بعضهم من التكرار الذى لا فائدة فيه وليس كذلك بل هو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم وأما ابن الاثير فانه عاب ألفاظ البيت من حيث هى واستثقل لفظ العارض والهتن قال ولو قال بدل العارض السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أرشق (قلت) ليس ذلك بشئ ولفظ العارض والهتن فصيح عذب فى السمع وأما ابن وكيع فانه قال لولا انتهاء القافية لمضى فى العارض الهتن الى آدم عليه السلام وبانتهاء القافية أعلمنا ان نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ثم يقف هذا الامر قال وأحسن من هذا قول البحترى

الفاعلون اذا الدنا بجودهم * ما يفعل الغيث فى شؤبوبه الهتن

فجاء بالمعنى عاما بغير عدد مردد ولا لفظ مستبرد فهو أرجح كلاما وأحسن نظاما قال وما أشبه برد بيت أبى الطيب ببيت قاله امرؤ القيس

ألا انى بال على جمل بالى * يقود بنا بال ويتبعنا بالى

اهـ كلام ابن وكيع (قلت) كذا ذكره فى التصنيف وقد أخطأ فى هذا الكلام من عدة وجوه أولها انه قال لولا انتهاء القافية لمضى الى آدم ولو قال لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا لان القافية قد حصلت فى ربع البيت من أول ذكر الهتن وهذا كلام سبقه اليه عبد الملك بن مروان وقد أنشد قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذئاب بن أسماء بن زيد بن قارب

فقال لولا القافية لوصل به الى آدم وثانيها انه قال أعلمنا ان عدد آبائه الممدوحين ثلاثة كذا

وخرج مصعب بن الزبير فى جنازته ماشيا بغير ازار وهو أول أمير فعل ذلك فى جنازة كبير ولما وضع فى قبره قامت امرأة له فقالت لله درك من مدرج فى كفن نسأل الله الذى ابتلانا بفقدك ان يوسع لحدك ويكون لك يوم حشرك أما والذى كنت من أمره الى مدة لقد عشت حميدا مودودا ومت شهيدا مفقودا ولقد كنت من الناس قريبا وفى الناس غريبا رحمنا الله واياك فى الدنيا والآخرة وتوفانا بعدك مسلمين

(وحاتما لما جاد بوفرك ولقى الاضياف ببشرك)

هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وكنيته أبو سفانة وأبو عدى * وأجواد العرب فى الجاهلية ثلاثة حاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم أشهرهم ذكرا أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه * وحكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال ياسبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال

قال والبيت يشتمل على أربعة اعداد ضرورة الوزن وأيضا فلا يلزم في المديح أن يؤتى بجميع الآباء في الذكر ويكفي من مدح أصيلا ان يقول أنت كريم وو الدك ووالده وقد مدح الشعراء بالنسب القصير قال أبو العلاء المعري يرثي الشريف الطاهر الموسوي أبا الشريف الرضي

أنتم ذووا النسب القصير فطولكم * باد على الكبراء والاشراف

والراح ان قيل ابنة العنب اكتفت * بأب عن الاسماء والاوصاف

أراد بهذا ما حكاه الفرزدق قال خرجت من البصرة أريد العمرة فرأيت عسكرا في البرية فقلت عسكر من هذا قالوا عسكر الحسين بن علي قال فقلت لأقضين حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأتيته فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت الفرزدق بن غالب فقال هذا نسب قصير فقلت أنت أقصر مني نسبا أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسن قول الامير حظي الدولة أبي المناقب عبد الباقي

لا تعذلنه بآبائه كرموا * وأحرزوا الامد الاقصى أبا فأبا

فالراح قد أكثر المداح وصفهم * لها ولم يذكروا مع وصفها العنبا

وثالثها انه مثل بيت البحتري وليس من الباب الذي حاوله ولفظة الفاعلون وشؤبوبه ثقيلتان على السمع ورابعها انه شبيه ببرد بيت أمرئ القيس وليس منه وانما الجامع بينهما التكرار ولم يكن بيت أبي الطيب في برد ذلك وقد تبع ابن النبيه أبا الطيب فقال

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب

ومما يتعلق ببيت أبي الطيب ان الالف تثبت في ابن في سائر البيت لانه لم يقع بين علمين وقد تعنت الناس على الشعراء وشاحوهم كثيرا في الالفاظ والمعاني الا ترى الى قول الحاجري

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

لما سمعه الناصر بن العزيز قال عسى ان هذا الخد كان مسلخا وقال علي بن ظافر في قول أبي عامر ابن شهيد في قصيدته

طاردتهن بفتية * صبر على حرب المسالم

فكأنني فيهم لقيط قادمن آساد دارم

غفل عن نفسه اذ شبهها بولد زنا قوادوان كان قصد لقيط بن زرارة الدارمي وقود الفرسان وقال في قول ابن شهيد أيضا من هذه القصيدة

ذكر على ذكر يصو * ل وصارم يسطو بصارم

قد غفل أبو عامر عن نفسه غفلة شديدة في قوله على ذكر وأساء من حيث ظن انه أحسن ولازلنا نستحسن الحكاية المروية عن المخنث الذي أنشد أبو بكر الخالدي بحضرته قصيدته في سيف الدولة وقد تأنق في معانيها وروق الفاظها ومكنها بقوافيها فكان من جملتها قوله

وأنكرت شيبة في الرأس واحدة * فعاد يسخطها ما كان يرضيها

فقال له المخنث أما تستحي تخاطب الامير بان تقول له في الرأس واحدة فخجل الخالدي والحاضرون تعجبا فقال له الخالدي فما أقول قال قل لأنحة أو واضحة وكذا لم ازل أعجب من قول مهيار الديلمي على جلالة قدره واتقاد خاطره وحسن تخيله

وانك مذخور لاحياء دولة * اذا هي ماتت كان في يدك النشر

يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتى بسبايا طيئ وقفت جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبنها من النبي صلى الله عليه وسلم فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * وقال عدي بن حاتم قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبي كان يطعم المساكين ويعتق الرقاب ويصل الرحم فهل له في ذلك أجر قال ان أباك رام أمرا فأدركه يعني الذكر * وأول ما ظهر من جود حاتم ان أباه خلفه في ابله وهو غلام فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الابرص وبشر بن أبي حازم والنابغة الذبياني يريدون النعمان فقالوا لحاتم هل من قرى ولم يعرفهم فقال تسألوني القرى وقد رأيتم الابل والغنم انزلوا فنزلوا فنحر لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فاخبروه ففرق فيهم الابل

وكيف تفاءل لممدوحه بان تنشر يده وكذلك قوله يتغزل

في صدرها حجر وتحت صدارها * ما ينشف وبانة تتعطف

فقوله في صدرها حجر من أبشع لفظ لما فيه من ايهام الدعاء وقد لحنه أبو القاسم الصبري في قوله النشر وقال انه استعمله مكان الانشار الذي هو الاحياء وهو خطأ من أبي القاسم فقد ورد النشر بمعنى الانشار وورد الفعل ثلاثيا ورباعيا نشر الميت وأنشره وقد قرئ في السبع أيضا وانظر الى العظام كيف ننشرها وكذلك أعجب من أبي الفتوح بن قلاقس على أنه في الفضل شمس علاء وعطارد ذكاء في قوله

بطلاقة أبدت بصفحة وجهه * وضح الصباح لمن له عينان

فيقال له كيف تجعل في وجه ممدوحك وضحا وهذا الباب انما يقع فيه كثيرا من وثق بذهنه وكبر مقدار علمه عند نفسه واعتمد على ما ينتجه خاطره من بنات فكره ويقرب من هذا وان كان دونه ما جرى لجرير لما أنشد عبد الملك بن مروان قوله * أتصحو أم فؤادك غير صاح *
فقال عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة كانه استثقل هذه المواجهة وكذلك لما أنشده ذو الرمة * ما بال عينك منها الماء ينسكب * وكان بعين عبد الملك مرض لا تزال عينه تدمع منه فقال له وما سؤالك عن هذا يا جاهل وأمر باخراجه وكذلك فعل ابنه هشام بابي النجم لما أنشده

صفراء قد كادت ولما تفعل * كانها في الافق عين الاحول

وكان هشام يعرف بالاحول فظن أنه انما عرض به فامر باخراجه وطرده وكذلك ما وقع لابي نواس لما هنأ جعفر بن يحيى بانتقاله الى قصر جديد بناه بقصيدة أولها

أربع البلى ان الخشوع لبادي * عليك واني لم أخنك ودادي

وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

فتطير يحيى واشمأز وقال نعيت الينا أنفسنا وبعد أيام أوقع بهم الرشيد وقد قيل ان أبا نواس قصد التشاؤم لهم وكان في نفسه من جعفر وأنشد أبو تمام أبا دلف قصيدته التي أولها
* على مثلها من أربع وملاعب * وفي المجلس رجل يشنؤه فقال لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وكانت في أبي تمام حبسة شديدة فانقطع خجلا وأنشد ابن مقاتل أحد شعراء الجبل الداعي الى الحق العلوي الثائر بطبرستان أبياتا في يوم المهرجان أولها

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان

فنفر منه وتطير به وقال غيره وأبدله بقولك * ان تقل بشرى فهذي بشريان * ولما أنشد الصاحب أبو القاسم بن عباد عضد الدولة قصيدته الملقبة باللاكنية لكثرة ما كرر فيها لكن وأولها

أشبب لكن بالمعالي أشبب * وانسب لكن بالمفاخر أنسب
ولي صبوة لكن الى حضرة العلا * وبي ظما لكن من العز أشرب

فلما بلغ الى قوله منها

ضممت على أبناء تغلب تاءها * فتغلب ما كر الجديدان تغلب

قال عضد الدولة يكفي بالله تطيرا من قوله تغلب وروى ان شاعرا أنشد الشريف فخر الدولة

والغنم وجاء أبوه فقال ما فعلت قال طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة وعرفه فقال أبوه اذا لا أبالي * وحكي عن زوجته النوار قالت أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض وضنت المراضع على أولادها فوالله اني في ليلة صنبرة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى أولادنا عبد الله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ثم ناموا ونمت أنا واياه فأقبل علي يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت وما بي نوم فقال مالها انامت فسكت ثم تورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال ما هذا فقالت جارتك فلانة قال مالك قالت الشر أتيتك من عند صبية يتعاوون عوي الذئاب من الجوع قال أعجليهم فهبت اليه فقالت ماذا صنعت فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم فقال اسكتي وأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه جلاب فنحره وكشط عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال تاكلون دون أهل الصوم ثم جعل يأتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار

ابن أبي الحسن نقيب الطالبيين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان وكان الشريف يتاذى بالصوم لمرض يجده فكان أولها * أيا منا بك كافا رمضان * فقال الشريف طوال والله مشؤمة مكروهة عندي منغصة على وحرمه ولم يعطه شيئا وروى أبو على حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالمكربل قال أنشدني أبو المناقب عيدية في الملك الافضل وأولها

*نهنيك كلا بل نهنى بك الدهرا * فقلت له الابتداء هكذا مما يتطير به وذكرت له خبر ابن مقاتل فوافقني على ما قلته وغير الابتداء * فقال نهنيك والاولى نهنى بك الدهرا * ثم قال ابن ظافر أما أنا فانى صنعت بالشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة قصيدة في الملك الافضل أبي الحسن على ابن الملك الناصر نور الله ضريحه أولها

دعها ولا تحبس زمام المقود * تطوى بايديها بساط الفدفد

وانشدتها لمن كان بالعسكر من اصحابنا المنتسبين الى الادب فما منهم الا من بذل جهده في نقدها ورمى بافلاذ كبده فيها فكرته ثم حملتها الى حضرته فصادفت قبولا واتفق بعد ذلك ان أنشدتها الابن الاجل التكريتي فلما انشدته البيت الاول قال لي ما كان يؤمنك اذا اخذ مدرجها في يده وفتحه فوجد أول ما فيها دعها أن يلقيها ويقول قد فعلت ألست كنت تفتضح فقلت بلى والله ولكن قد وقى الله وهذا من غريب الانتقاد (قلت) قد نقلت كلام ابن ظافر من أوله الى آخره من خطه ولا تستطل أيها الواقف على هذا الفصل ما ذكرته فانه من فقه الادب وبمثل هذه الاشياء يتنبه طرف المتادب ويلتفت الى ما يتجاوزه في حالة غفلته اه (رجع القول الى بيت الطغرائي) أقول قد أخذ بيت الشريف الرضي برمته من قوله

وافد مررت على منازلهم * وديارهم بيد البلى نهب
ووقفت حتى ضج من لغب * نضوى ولج بعذلى الركب
وتلفتت عيني فذ خفيت * عنى الطلول تلفت القلب

وما لاحد أحسن من هذه الاستعارة في تلفت القلب ولا أرشق ولا أعذب وما أحسن قول أبي العلاء المعري

الى كم تشكاني الى ركائبي * وتكثر عتبي خفية وجهارا
أسير بها تحت المنايا وفوقها * فتسقط في شخص الحمام عثارا

وقول أبي تمام الطائي

يقول في قومس قومي وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والناس يستحسنون هذا ويعدونه من النادر الجيد لابي تمام وقد أخذه بلفظه من مسلم بن الوليد واجترأ عليه اجتراء السادة على العبيد لان مسلما هو البادي وأبا تمام هو العادي قال مسلم بن الوليد

يقول صحبي وقد جدوا على عجل * والخيل تستن بالركبان في اللجم
أمطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وهذا في غاية الحسن التي تكبو الفحول دون بلوغها ويعجز الشعراء عن الظفر بعصونها والتحلي بمصوغها فان عين البلاغة تطيل النظر الى رفعتها وتتأمل ومطايا التخييل تكل عن

فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر اليناقوالله ما ذاق منها مزعة وانه لاحوجهم وأصبحنا وما على الارض الا عظم اوحافر * وحكى ابن الاعرابي قال أسر حاتم في عنزة فقالت له امرأة يوما قم فافصد لنا هذه الناقة وكان الفصد عندهم ان يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل فقام حاتم الى الناقة فعقرها ولطمته المرأة فقال لو غير ذات سوار لطمتني فذهبت مثلا ثم قال له النسوة انما قلنا افصدها قال هذا فزدى يعني انه فصدى وهي لغة طيئ * وحكى المدائني قال أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال وما هي فانشده الاسديون شعر النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحيي أن نسألك شيأ وان لنا الحاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قد رحل يعني فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه واتبعته الجارية فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية * ولحاتم أخبار كثيرة وشهرة زائدة

النهوض ببعثها فتحمل وما نحمل وقد أخذه أبو اسحق الغزي وسبكه فأبكه لما قال

تقول اذا احتثثناها وظلت * تناجينا بألسنة الكلال

الى أفق الهلال مسير ركبي * فقلنا بل الى أفق النوال

(قلت) فأين معانى الشمس ممن يحاول وأين الثريا من يد المتناول ولكن هذه الاشياء تتفق فما تعارض ولا تقارض (أخبرنى) الشيخ الامام الاديب الكامل القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال قلت للشيخ نجم الدين بن اسرائيل لاى شئ قصر قولك

لكدت تشبه برقا من ثغورهم * يا بارقا لولا الظلم والشنب

عن قول شهاب الدين بن الخيمى

يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فقال لانه شاعر جيد تناول المعنى بكرا فأجاد فيه ولم يدع فضلة لغيره ثم قال شهاب الدين محمود ما من شاعر فى الغالب الا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها

يا ظبية البان ترعى فى خمائله * ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

وما منهم من رزق سعادته اه (قلت) والذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يات بعدهم من نالها جماعة كثيرة لابأس بسرد هم هنا وهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى النسب فانه كان فرد زمانه على بن أبى طالب رضى الله عنه فى القضاء أبو عبيدة رضى الله عنه فى الامانة أبو ذر رضى الله عنه فى صدق اللهجة أبى بن كعب رضى الله عنه فى القرآن زيد بن ثابت رضى الله عنه فى الفرائض ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير القرآن الحسن البصرى فى التذكير وهب بن منبه فى القصص ابن سيرين فى التعبير نافع فى القراءة أبو حنيفة فى الفقه قياسا ابن اسحق فى المغازى مقاتل فى التأويل الكلبى فى قصص القرآن ابن الكلبى الصغير فى النسب أبو الحسن المدائنى فى الاخبار أبو عبيدة فى الشعوبية محمد بن جرير الطبرى فى علوم الاثر الخليل فى العروض فضيل بن عياض فى العبادة مالك بن أنس فى العلم الشافعى فى فقه الحديث أبو عبيد فى الغريب على بن المدائنى فى علل الحديث يحيى بن معين فى الرجال أحمد بن حنبل فى السنة البخارى فى نقد الصحيح الجنيد فى التصوف محمد بن نصر المروزى فى الاختلاف الجبائى فى الاعتزال الاشعرى فى الكلام أبو القاسم الطبرانى فى العوالى عبد الرزاق فى ارتحال الناس اليه ابن منده فى سعة الرحلة أبو بكر الخطيب فى سرعة القراءة ابن حزم فى الظاهرية سيبويه فى النحو أبو الحسن البكرى فى الصدق اياس فى التفرس عبد الحميد فى الكتابة والرقا أبو مسلم الخراسانى فى علو الهمة والحزم الموصلى النديم فى الغناء أبو الفرج الاصبهانى فى حسن المحاضرة أبو معشر فى النجوم محمد بن زكريا الرازى فى الطب عمارة بن حمزة فى التيه الفضل بن يحيى فى الجود جعفر بن يحيى فى التوقيع ابن زيدون فى سعة العبارة ابن القرية فى البلاغة الجاحظ فى الادب والبيان الحريرى فى المقامات البديع الهمدانى فى الحفظ أبو نواس فى المجون والخلاعة ابن حجاج فى سخف الالفاظ المتنبى فى الحكم والامثال الزمخشرى فى تعاطى العربية النسفى فى الجدل جرير فى الهجاء الخبيث حماد الراوية فى شعر العرب معاوية فى الحلم المأمون فى حب العفو عمرو بن العاص فى الدهاء عطاء السلمى فى الخوف من الله

وكانت أمه أم عتب بنت عفيف امرأة موسرة لاتمسك شيأ وكان اخوتها يمنعونها فتأبى فحجروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم مكنوها من صرمة من ابلها فأتوا امرأة تجى بها فأتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت من الفقر ما آليت أن لا أمنع سائلا شيأ وحاتم من فحول الشعراء ومن محاسن شعره قوله رحمه الله ان شاء بكرمه

أعاذل ان المال غير مخلد
وان الغنى عارية فمزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده
وساوس قد ذكرنه الفقر فى غد
وكم ليم آبائى فما كف جودهم
ملام ومن أيديهم خلقت يدى

وقوله يخاطب امرأته

أماوى ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى ان يصبح صداى بقفرة
من الارض لاماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى
وأن يدى مما بخلت به صفر

تعالى الوليد في شرب الخمر أبو موسى الاشعري في سلامة الباطن ابن البواب في الكتابة والخط القاضي الفاضل في الترسل العماد الكاتب في الجناس ابن الجوزي في الوعظ أشعب في الطمع أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره حنين بن اسحق في ترجمة اليوناني الى العربي ثابت بن قرة الصابي في تهذيب مانقل من الرياضي الى العربي ابن سينا في الفلسفة وعلوم الاوائل الفخر الرازي في الاطلاع على العلوم السيف الآمدي في التحقيق والاصول النصير الطوسي في المجسطي ابن الهيثم في العلم الرياضي نجم الدين الكاتب في المنطق أبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة أبو العيناء في الاجوبة المسكتة مزيد في البخل القاضي أحمد بن أبي دواد في المروءة وحسن القاضي ابن المعتز في التشبيه ابن الرومي في التطير الصولي في الشطرنج أبو حامد الغزالي في الجمع بين المعقول والمنقول ابن رشد في تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية محيي الدين بن عربي في التصوف اه أقول وقصيدة ابن الخيمي البائية التي أولها

* يامطلبا ليس لي في غيره ارب * رويتها بقراءتي على الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس عن شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن الخيمي قال اجازة وفي غالب الظن سماعا منه (قلت) وقصته مع نجم الدين بن اسرائيل مشهورة وأنشدني لنفسه الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود قصيدة بائية عارض بها ابن الخيمي وهي في غاية الحسن جاء منها في ذلك المعنى قوله

يابارق الثغر لولاحت ثغورهم * وشمت بارقها مافاتك الشنب

وقد جمعت ما اتفق لابن الخيمي وابن اسرائيل والشهاب محمود والعفيف التلمساني وصدر الدين بن الوكيل ولي أنا في معارضة هذه القصيدة وأودعته الجزء الاول من التذكرة التي جمعتها وجاء لي في معنى البيت المذكور قولي

يابرق لاتبتسم من ثغره عجبا * قدفات معناك منه الظلم والشنب

ولقائل ان يقول لنا أجمعين * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب * ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

ان تاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما تلقاه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(عاد القول الى ما انخرط في سلك بيت الطغرائي) وقد أحسن أبو العلاء المعري كل الاحسان حيث قال

مواصلة بها رحلي كأني * من الدنيا أريد بها انفصالا
سألن فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا مما يطلب لحاقه فما تحمل الجواد قوائمه ويسي له من كل حسن كرائمه ويفتح له في البديع نور والقلوب كمائمه ويحلي الاسماع من الدر بسمط لم يتعبه ناظمه وقد استعمل المعري الفال في شعره أيضا فقال

بدت حية قصري فقلت لصاحبي * حياة وشر بئسما ازعم الفال

انما قال ذلك لان الحية موصوفة بالشر وطول العمر ولهذا سميت حية وقيل انها لاتموت حتف انفها مالم يعرض لها شادخ رأسها أو قطعه وقال الآخر

وقد علم الاقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر
واني لا آلو بمالي صنيعة
فاوله زاد وآخره ذخر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى
وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذي قرابة
غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر
وقوله يصف طارقا
عرا آيسا شبه الجنون ومابه
جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فاثقبت ناري ثم أبرزت ضوءها
وأخرجت كلبي وهو في
البيت داخله
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقمت الى البزل الهجان أعدها
لوجبة حق نازل أنا فاعله
وقوله أيضا
حننت الى الاجبال أجبال
طيئ
وحنت قلوصي أن رأت سوط
أحمرا
واني لمزجاء المطي على الوجى
وما أنا من خلانك ابنة
عفزرا
فلا تسأليني واسألي أي فارس
اذا الخيل جالت في قنا قد
تكسرا
فلا تسأليني واسألي بي صحابتي
اذا ما المطي في الفلاة تضورا
رأتني كأشلاء اللجام وان ترى
أخا الحرب الاساهم الوجه أغبرا

فهو كالاصل من بنات الافاعي * كلما طال عمره زاد شرا

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي من قصيدة يصف فيها الحية

وأزب يبرد من حشاه مكرع * خصر يسح وتلعة مخضال
ما بين خطي جدولين كانما * بسطت يمين منهما وشمال
مثل الحباب بمخناه ذؤابة * خفاقة حيث الرياح كغال
ينساب ثاني معطفيه كانه * هيمان نشوان هناك مذال
أوظل أسمر بالالوى متأطر * عطفت جنوب متنه وشمال
لم أدر هل يزهو فيخطر نخوة * أم لاعبت اعطافه الجريال
فاذا استطار به النجاء فبرق * واذا تهادى فالهلال هلال
زرت عليه حبيرة موشية * بقيت له أخت لها أسمال
مزق كما بقدفي يوم الوغى * عن ابني مستلئم سربال
ألقى به منها هناك درعه * بطز وجرد وشيه مختال
بيد العجيرة منه سوط خافق * وبساق ليلة صرصر خلخال

وما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر من جملة كتاب تروع للراعي والمراعي وتسمع منها السهام المنية فعافيها كبش الافاعي من كل صل يفترس افتراس الضيغم وينملس انملاس الجدول المفعم تنقض انقضاض السهام وتروع رائيها في المنام ومن حمتها يحم الحمام واذا انقبضت كانت لمنية عروة واذا انبسطت فهي للرزية حزام مانابها بنوائبه ناب ولا لعابها في جده بالاتيان على النفوس بلعاب ذوات ألوان كالدنيا تروق وتروع وذات معاطف كالليالي والايام منذرة كالفخ للوقوع قد غدت للخيام أطنابا عوضا عن الاطناب ونابت عن العمد فيها أشر مناب فلو شاهدها بقراط لم ير أن غيرها الموت من العلل الخبائث والاسباب كم تصبحت الاعين منها بأسود سالخ وكم غدا مهري بسمها مهريا من الحريق فهو في كور على لغة العوام نافخ ومن عجب انها تمشي على بطنها ولا تأكل من نهشته بنابها النائب عن سنها تحترس وتفترس وترى لاعينها في الظلام نار الا يجد عليها اهدى طرف المقتبس كم غدت لبعير عقالا وكم اعتقل الموت منها للطاعنة رماحا طوالا وأرسل نبالا وفي كلام العوام مما يتحاجون به قولهم حية ميتة وقاعدة قائمة وجارية واقفة وبيضاء حمراء ومسلم شماس وكثيرة قليلة ونقلت من خط السراج الوراق له في استعمال الفال

ومسائل عني يقو * ل وقد كفاه سوء حالي
كيف الزمان عليك قلـ * ـت على هذا منك فالي

ونقلت من خطه له أيضا بقاضي عسلامن ابن العسال

قبل يد الشرف التي هي قبلة * أبدا لها تتوجه الآمال
واذكر له شوقا اليه يهزني * فكأنني متأود عسال
ولعل ذا فال جرى نطقي به * وأبوك يصدق في نداه الفال

وعلى ذكر الفال فقد حكي ان طاهر بن الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان وفي كمه دراهم يفرقها على الضعفاء ثم انه سها واسبل كمه فتبددت فتطير من ذلك فقام اليه شاعر وقال

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقوله أيضا
وعاذلتين هبتا بعد هجعة
تلومان متلافا مفيدا ملوما
لحا الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ولله صعلوك يساور همه
ويمضي على الاحداث والهول مقدما
اذا ما رأى يوما مكارم اعرضت
تيمم كبراهن ثمت صمما

(وزيد بن مهلهل اعار كسب بفخذيك)

هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائي فارس مظفر بعيد الصيت أدرك الاسلام وأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وهو شاعر مفلق معدود من الشعراء والفرسان وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيله فانه لم يكن لكثير من العرب غير الفرس والفرسين وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره مثل الهطال وكامل ودول ولاحق وكان زيد الخيل عظيم الخلقة طويلا جدا ويسمى مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة من الارض وهي في الهودج وكذلك أبو زبيد الطائي وابن جذل الطعان كما ذكره

هذا بدد جمعهم لا غيره * وذهابه منا ذهاب الهمم

شيء يكون الهم نصف حروفه * لا خير في امساكه في الكم

ويقال ان ملوك مصر العبيديين قالوا في أول دولتهم لبعض العلماء بمصر اكتب لنا في ورقة القابا تصلح للخلفاء حتى اذا تولى منا أحد لقبناه بلقب منها فكتب لهم القابا كثيرة آخرها العاضد فاتفق ان آخر من ملك منهم العاضد وزالت في أيامه دولتهم على يد السلطان صلاح الدين * وقال بعضهم حضرت مجلس كافور الاخشيدي وقد دخل رجل فدعا له وقال في دعائه أدام الله أيام مولانا وكسر الميم من أيام فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه فقام رجل من وسط الناس وأنشد مرتجلا

لا غرو ان لحن الداعي لسيدنا * أو غص من دهش بالريق أو بهر

فتلك هيبته حالت جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر

وان يكن خفض الايام من غلط * في موضع النصب لا عن قلة النظر

فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال نؤثره عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب * وان أوقاته صفو بلا كدر

ويقال انه أقبل رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما اسمك قال شهاب بن حرقة قال ممن قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك قال بذات لظى فقال أدرك أهلك فقد احترقوا رواه مالك في الموطأ فكان كما قال عمر رضي الله عنه ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل بغلمانه يا سالم يا يسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار في يسر (وحكي) ان بعض العرب مر على قوم فقال لاحدهم ما اسمك قال منيع وسأل آخر فقال شديد وسأل آخر فقال وثيق وسأل آخر فقال ثابت فقال ما أظن الاقفال وضعت الا من أسمائكم (وسأل) بعض العرب رجلا عن اسمه فقال بحر فقال ابن من قال ابن فياض قال فما كنيتك قال أبو الندى فقال لا ينبغي لاحد أن يلقاك الا في فلك أو شختور جاء اثنان الى بعض الشهود ليكتب لهما حجة بدين على احدهما فقال له ما اسمك قال رحال قال ابن من قال ابن سابق قال ابن من قال ابن مسافر فقال له يا أخي بالله لا تعامل هذا في شيء فما أظنه الا يطير اذا فارقك ولا تظفر به وقال أبو العلاء المعري

وقد سماه سيده عليا * وذلك من علو القدر فال

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب

في رتبة حجب الورى عن نيلها * وعلا فسموه علي الحاجب

(وقال) ابن الرومي

كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى للمعالي ويصعد

لما سمع البحتري هذا قال أخذه من قولي

سماه أسرته العلاء وانما * قصدوا بذلك أن يتم علاه

(وقال آخر)

شم الانوف لذلك قد سموا بها * ومن المسمى تؤخذ الاسماء

وقال ابن سوار في القاضي ابن حمدان

الرواة (وحكي) أبو عمرو الشيباني قال وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زر بن سدوس وغيره من طيئ فاناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فلما رآهم قال اني خير لكم من العزى ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع ومن الجمل الاسود الذي تعبدونه من دون الله فقام زيد الخيل وكان من أتم الرجال يركب الفرس ورجلاه تخط في الارض كانه على حمار فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أنك رسول الله فقال ومن أنت قال زيد الخيل بن المهلهل قال بل أنت زيد الخير ثم قال الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام يا زيد ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما وصف الا أنت فانك فوق ما قيل فيك وفي رواية أخرى ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الاناة والحلم فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل ان سلم من آطام المدينة فاخذته الحمى فمكث سبعا ثم اشتدت به الحمى فخرج وقال لاصحابه جنبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ولا والله لا أقاتل مسلما حتى

من معشر جدوا فأجدسعيهم * ولذاك قد سموا بني حمدان

وقال البحتري

سماه سعد التفاؤل باسمه * حتى القد ألفاه سعد الذابحا

كان شهاب الدين القوصي يوما عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم وكانت بينهما وحشة فقال الاشرف ماتقول ياشهاب الدين في سعد الدين فقال ياخوند اذا كان عندك فهو سعد السعود وعلى السماط سعد بلع وفي الخيام عن الضيوف سعد الاخبية وعند المرضى سعد الذابح *حدثني الشيخ المولى القاضي علاء الدين علي بن غانم قال عتبني يوما القاضي شهاب الدين محمود وقال قد بلغني أن جماعة ديوان الانشاء يذموني وأنت حاضر ماترد غيبتي فكتبت اليه

ومن قال ان القوم ذموك كاذب * وما منك الا الفضل والجد والجود
وما أحد الا الفضلك حامد * وهل عيب بين الناس أوذم محمود

فكتب الي أبياتا منها

علمت باني لم أدم بمجالس * وفيه كريم القوم مثلك موجود
ولست أزكي النفس اذ ليس نافعي * اذا ذم مني الفعل والاسم محمود
وما يكره الانسان من أكل لحمه * وقد آن أن يبلى ويأكله الدود

فلم يبق بعد ذلك الا أياما قلائل وتوفي رحمه الله وأكله الدود (رجع القول) الى بيتي المعري اللذين فيهما * فكان اسم الامير لهن فالا * أخذ هذا التخلص من قول أبي تمام الطائي

اذا بعثت على أمل بعيد * فقد قربت من الامل البعيد
أبين فانزلن سوى كريم * وحسبك أن يزرن أباسعيد

ومن حسن التخلص قول أبي الطيب

نودعهم والبين فينا كانه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

وقال علي بن الجهم

وليلة كحلت بالنفس مقلتها * ألقت قناع الدجى في كل اخدود
قد كاد يغرقني أمواج ظلمتها * لولا اقتباسي سنى من وجه داود

وقال يذكر سحابة

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها * فتاة ترجيها عجوز تقودها
فمارحت بغداد حتى تفجرت * بأودية ماتستفيق مدودها
فلما قضت حق العراق وأهله * أتاها من الريح الشمال بريدها
فمرت تفوت الطرف سعيا كأنها * جنود عبيد الله ولت بنودها

يريد انصراف عبيد الله بن خاقان عن الجعفري الى سر من رأى عند قتل المتوكل وقال ديك الجن

وعزير يقضي بحكمين في الرا * ح بجور وفي الهوى بعدال
للعقار دفـه وللخوط ماحمل لينا وجيده للغزال
فعلت مقلتاه بالصب ما تفـ * عل جدوى يديك بالاموال

الى الله عز وجل فنزل بماء لجرم يقال له فردة واشتدت به الحمى فقال

أمرتحل صحبي المشارق غدوة * وأترك في بيت بفردة منجد
فليت اللواتي عدنني لم يعدنني * وليت اللواتي غبن عني عودي

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب معه لبني نبهان كتابا بفدك فمكث زيد الخيل بفردة سبعا ثم مات فاقام عليه قبيصة بن الاسود النياحة سبعا ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرت امرأته وكانت على الشرك الى الراحلة وليس عليها زيد ضربتها بالنار فاحترق الكتاب فيما احترق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربها الراحلة بالنار واحتراق الكتاب قال ويل لبني نبهان (وحكى) الشيباني عن شيخ من بني عامر قال أصابتنا سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل من القوم بعياله حتى أنزلهم الحيرة فقال لهم كونوا قريبا من الملك ليصيبكم من خيره حتى أرجع اليكم وآلى الية لا يرجع حتى يكسبهم خيرا أو يموت فتزود زادا ثم مشى سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابن مع تطفل الشمس فاذا خباء عظيم وفيه قبة من أدم قال فقلت في نفسي ما لهذا

وقال البحترى

كأن سناها بالعشى وصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وقال محمد بن هانئ المغربى

كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقال ابن الساعاتى

كم وقفنا فيها مع الغيث مثليـ * ـن جنوبا وكافة وغماما
أثخنته ظبا البروق جراحا * منهرات سالت عليه ركاما
فكأن الغمام نقع وقد جرد فيه الملك العزيز حساما

وقال أيضا

منعت ظباء المنحنى بأسوده * وأشد ما أشكوه فتك ظبائه
فعلت بنا وهى الصديق لحاظها * كظبا صلاح الدين فى أعدائه

وقال أيضا

أبكى العقيق بجيله وتهب أنـ * ـفاس الغضا بضرامه المتسعر
وجدى وان كنت الذليل بدينه * وجد العزيز بكل لدن أسمر

وقال ابن سناء الملك

لا يرجع الكلف الذليل عن الهوى * أو يرجع الملك العزيز عن الندى

والاول أكمل وأحسن وقال أيضا

فالوجد لى وحدى دون الورى * والملك لله وللظاهر

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة

وكم ليلة قد بتها معسرا ولى * بزخرف آمالى كنوز من اليسر
أقول لقلبى كلما اشتقت للغنى * اذا جاء نصر الله تبت يد الفقر

قلت انظر الى هذا الشاعر كيف تخلص ووثب الى المديح وما تربص وصدق نظمه فى الحسن وما تخرص فاحذ على مثاله ان كنت تحذو واغذ بلبان بيانه ان كنت تغذو (وقال) أيضا يمدح جمال الدين موسى بن يغمور

جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

(وقال) النفيس القطرسى يمدح شجاع الدين جلدك

يا قلب من لانت معا * طفه علينا ما أشدك
أتقنى جلد الهوى * أو أنلنى عزمات جلدك

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

غصن تقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد
من رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

قلت انظر الى حسن هذا التخلص ولطفه وجنى البيان وقطفه مع ما فيه من التورية الحسنه والبلاغة التى تبيت لها الجفون وسنة أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن

الخباء بدمن أهل وما لهذا العطن بدمن ابل فنظرت فى الخباء فاذا شيخ قد اختلفت ترقوتاه كأنه نسر فجلست خلفه مختفيا فلما وجبت الشمس اذا بفارس قد أقبل لم أر قط فارسا أعظم منه ولا أجسم على فرس مشرف ومعه عبدان يمشيان جنبيه واذا مائة من الابل مع فحلها فبرك الفحل وبركن معه وحوله فقال لاحد عبديه احلب فلانة ثم اسق الشيخ فحلب فى عس حتى ملأه ثم وضعه بين يدى الشيخ وتنحى فكرع الشيخ منه مرة أو مرتين ثم نزع فثرت اليه مختفيا فشربته فرجع العبد فقال يا مولاى قد أتى على آخر العس ففرح وقال له احلب فلانة فحلبها ثم وضع العس بين يدى الشيخ فكرع منه واحدة ثم نزع فثرت اليه فشربت نصفه وكرهت أن آتى على آخره فجاء العبد وأخذه ثم أمر مولاه بشاة فذبحها وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه فأمهلت حتى اذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت الى الفحل فحللت عقاله فاندفع وتبعته الابل فمشيت ليلتى حتى الصباح فلما علا النهار اذا أنا بفارس قد أقبل واذا هو صاحبى فعقلت الفحل ونثلت كنانتى

نباتة رحمه الله يمدح الملك المؤيد صاحب حماة

كيف الخلاص لطوى على شجن * وقد تمالت عليه أعين سحره

تغزو لواحظه فى المسلمين كما * تغزو سيوف عماد الدين فى الكفره

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح

واختلف الاصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح

فقيل لى تعريسهم ساعة * وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

قلت انظر الى هذا النظم ما الطف تركيب ألفاظه وأحلاه وكونه استعمل طريق الفقهاء فى البحث فى ذكر اختلاف الاصحاب وانه قيل كذا وقيل كذا وقلت كذا وهو الصحيح كانه امام الحرمين وقد ألقى درسا فى مسئلة فيها خلاف بين الاصحاب وقد رجح ما رآه هو وعنده من الدليل وما رأيت أحسن من هذا بينما هو يصف أحوالهم فى السرى ومشاقهم فى التعب وتشاورهم فيما بينهم وما أشار به كل منهم فى ازالة ما حصل لهم من العناء اذا به قد برز من بينهم برأى أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه مكانه فى حلقة الدرس وقد شرع فى مسئلة خلافية ويحرم هذا النظم على غير الشيخ تقى الدين

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الالها

وما أحقه لو أنشد قول الارجانى

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع * فى العصر لا بل أفقه الشعراء

وليس هو كما قال الآخر فى بعض الناس

هو فى الفقه شاعر لا يبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء

لا الى هؤلاء ان طلبوه * وجدوه ولا الى هؤلاء

والارجانى فيما تقدم أخذ قوله من قولهم كلام الملوك ملوك الكلام وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة ما كتبه لصاحب اليمن جوابا عن هدية وردت منه قرين كتاب

أتانى كتابك والمكرمات * تسير لديه مسير الخدم

لئن جاء فى موكب من نداك * فكتب الملوك ملوك الكتب

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

وليلة بتها من ثغر حبى * ومن كاسى الى فلق الصباح

أقبل أقحوانا من شقيق * وأشربها شقيقا من أقاح

ومن كلام الناس كتب الاحباب أحباب الكتب والعلم المشهور فى هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدة أولها * أهن عوادى يوسف أم صواحبه * أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا له لم لا تقول ما يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور (يقال) انه عرض على القاضى الفاضل رقعة باسم مؤذنين

ووقفت بينها وبين الابل فوقف بعيدا وقال احلل عقاله فقلت كلا لقد تركت نسوات بالحيرة وآليت أن لا أرجع اليهن حتى أفيدهن خيرا أو أموت قال فانك ميت حل عقاله لا أبالك فقلت هو ما أقول لك انك لمغرور ثم قال انصب لى خطامه وفيه ثلاث عجر ففعلت فقال اين تحب أن أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم رمى الثلاثة صائبا فرددت نبلى ووقفت مستسلما فدنا منى فأخذ السيف والقوس ثم قال اركب وعرف أنى الذى شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بى قلت أحسن ظن قال وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى فقال أترانى كنت أهيجك وقد بت تنادم مهلهلا قلت أزيد الخيل أنت قال نعم فقلت كن خير آخذ قال لا بأس عليك ومضى بى الى موضعه ثم قال أما لو كانت هذه الابل لى لسلمتها لك ولكنها لابنة مهلهل فأقم على فانى على شرف غارة فأقمت أياما ثم غار على بنى نمير بالملح فاصاب ابلا فاعطانيها وبعث معى خفيرا من ماء الى ماء حتى وردت الحيرة (وحكى) الاصمعى قال أسر

يستخدمان اسم أحدهما مرتضى والآخر زيادة ووقع على رأسها أما زيادة فمرتضى وأما مرتضى فزيادة فاستخدم زيادة وصرف مرتضى وهذا في غاية الحسن وهو من لطف القاضي الفاضل وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمساني ومن خطه نقلت

يا بأبي معاطف واعين * يصول منها رامح ونابل
فهذه ذوابل نواضر * وهذه نواظر ذوابل

هذا من أعلى طبقات هذا النوع لانه رد العجز على الصدر بالفاظه مع اختلاف المعنى وقلت انا في مثل هذا النوع

اضاع نسكي عذار مسكي * فكيف تركي لحاظ تركي
قد شك قلبي برمح قد * قد فؤادي بغير شك

وقلت في النوع الاول أيضا

قد وفى غصن الفا حبي * واخجل البدر في التمام
ذاك قوام بلا محيا * وذا محيا بلا قوام

وكان نجم الدين بن اسرائيل يقول أنا شاعر الفقراء بل وفقير الشعراء (وقال) بعضهم في صاحب الشذور هو اما شاعر الحكماء أو حكيم الشعراء (وقال آخر) من رد الأعجاز على الصدور قبور الاحياء أحياء القبور (رجع القول) الى أبيات الشيخ تقي الدين رحمه الله وقد أخذ الشيخ كلامه من قول ذي الرمة

ونشوان من طول النعاس كأنه * بحبلين من مشطونة يترجح
اذا مات فوق الرحل أحييت روحه * بذكراك والعيس المراسيل جنح

ولكنه أخذه جسدا فاعاد روحا وأوحى الى الاسماع أطيب ما يوحى ولابي نواس شئ من هذا المذهب في الشعر يذكر البحث والجدل في قوله

فاخرت كل شراب فسمت * رتبة ليس يضاهيها شراب
لاعاريك على تحريمها * ان نقل ما حرمت طال الخطاب
حرمت ما حرمت بل حرمت * جاء في التنزيل نهي واجتناب
قال هل أنتم فقلنا نحن لا * وسكتنا كلنا واستدباب

كان يقال أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر والشافعي شاعر غلب عليه الفقه والشافعي والخليل ابن أحمد وأبو بكر بن دريد معدودون من العلماء الشعراء ومن شعر الشيخ تقي الدين ما أنشدنيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال أنشدني شيخنا تقي الدين لنفسه

قالوا فلان عالم فاضل * فأكرموه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تقى * تعارض المانع والمقتضى

وكل من عاني النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به الى ذلك الفن وغلبت عليه قواعده واستعملها في مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه وظهر على ما يرومه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه الا ترى الى أبي الفتح البستي ومقاطيعه المشهورة في الآداب والحكم كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين (حكي) ان بعض الاطباء كان في خدمة بعض الملوك في غزوة لم يكن معه وقت النصرة كاتب ترسل فأمر الطبيب أن يكتب للوزير يعلمه بذلك فكتب أما بعد فانا قد

زيد الخيل الحطيئة الشاعر وكعب بن زهير في حرب فاما كعب ففداه قومه وأما الحطيئة الشاعر فشكا الحاجة فقال زيد

أقول لعبدي جرول اذ أسرته أثبني ولا يغررك أنك شاعر

فقال الحطيئة

ان لا يكن مالي بآت فانني سيأتي ثنائي زيد بن مهلهل
فما نلتنا غدرا ولكن لقيتنا غداة التقينا في المضيق بأخيل
تفادي حماة الخيل من وقع رمحه
تفادي ضعاف الطير من وقع اجدل

فرضي عليه زيد ومن عليه فلما رجع الحطيئة الى قومه قام شاكرا لزيد ذاكرا النعمة فلما أسرت طيئ بني بدر طلبت فزارة الى شعراء العرب أن يهجوبني لام وزيدا فتحاماهم الشعراء فصاروا الى الحطيئة فابى عليهم فقالوا نجعل لك مائة من الابل فقال لو جعلتموها ألفا ما فعلت ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني

ومن شعر زيد الخيل قوله

كالمع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت منه بسمع الماوقع الا على قيفال فلم يكن الا كنبضة او نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يامعتدل المزاج (قلت) مارأيت أحسن من هذا ولا أوجز ولا أبلغ ولا أحسن ضرب مثل ولا أحسن تشبيها وهو فى غاية الفصاحة ولما أنكر على القرش القماش بسبب لوح البريد الذى نقشه لعز الدولة وطلب طلبا مزعجا اختفى مدة ثم كتب الى القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر رقعة فيها يقبل الارض وينهى ان له ثلث سنة مختف وهو مختف فى حواشى البيت خوفا من الاشعار فان المملوك يخشى الرفاع من صاحب الطومار والمملوك يسأل ستر هذه القضية بحيث لا يقع عليه غبار فانه والله مايحمل عود ريحان فأعجبه ذلك ولم يزل يتلطف له عند سلار والجاشنكير الى أن خمدت قصته وسكنت (قلت) الكل مناسب الا قوله الاشعار فانه فى الاصل بفتح الهمزة لأنه الذى يكتب الأشعار والقرش رحمه الله استعمله مكسور الهمزة مصدر أشعر به اشعارا ولكنه لحن خفى خفيف على القلب والسمع * وقريب من هذا قول من كان يعرف الرياضى حين احتضر اللهم يامن يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد والجذر الاصم اقبضنى الىك على زاوية قائمة واحشرنى على خط مستقيم قلت لا بأس بالكلام على ما يتعلق بهذا (قطر الدائرة) هو الخط الذى يمر بالمركز ويقطع الدائرة بنصفين وقيل هو أطول خط فى الدائرة والخط قال أوقليدس فى رسمه الخط طول لا عرض له قالوا فى هذه العبارة تجوز لان الطول انما هو صفة الخط والخط هو المقدار المتصف بالطول فقط فالعبارة السديدة فى ذلك أن يقال الخط هو ماله طول فقط لان الخط من مقولة الكم والطول من مقولة الكيف ويتصور وجود الخط فى الحس اذا كان فصلا مشتركا بين لونين كالفصل المشترك بين الماء والزيت فأنت ترى طولا بلا عرض وهذا أحرى الامثلة له فى الخارج والدائرة رسمها أوقليدس فقال كل شكل مسطح محيط به خط واحد فى داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها الى الخط المحيط متساوية وتسمى تلك النقطة مركز الدائرة قالوا أشار الى معنى ليس بموجود لانه ليس يوجد فى الحس شكل على هذه الصفة أى على غاية الاستدارة وفى وسطه نقطة كل الخطوط الخارجة منها كما قال متساوية على غاية التساوى فالصفة مفهومة واعتقاد غير موجودة لان الحس كثير الغلط فما يوجد بالحس لا يوثق به ولأن الاشياء المحسوسة مستحيلة كأنية فاسدة ليست ثابتة على صفة واحدة ولا آن واحد والجواب أنها متحققة فى الذهن فهى معقولة فهى ثابتة الوجود هذا كلام الكركرى وكأنه حاول اثبات الدائرة فى الخارج فعجز عن ذلك فوقف عند اثباتها فى الذهن وذهل عن الفلك أنه موجود فى الخارج وهو كرة صحيح الاستدارة بالاجماع من الرياضيين والطبيعيين حسبما تقتضيه البراهين من الفريقين ومتى وجدت الكرة وجدت الدائرة أقل ذلك منطقة الكرة فانها محيط دائرة بلا شك فعلى هذا قطر الدائرة خط مستقيم ومحيطها خط مستدير وهما متباينان بالنوع فلا نسبة بينهما فى كان محيط الدائرة معلوما كان القطر مجهولا ضرورة وانما قربه ارشميدوش بأن جعل القطر سبعة من اثنين وعشرين بأقرب تقريب فعلى هذا لا يعلم نسبة قطر الدائرة من محيطها تحقيقا الا الله تعالى وكذلك نهاية العدد لا يعلمها الا الله تعالى لان كل عدد نفرضه يمكن الزيادة عليه دائما فلا نقدر على تحصيل النهاية وكذلك الجذر الاصم لا يعلمه الا الله تعالى لان الجذر مقدار اذا

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا
أبو مكنف قد شد عقد الدوائر
بجيش تضل البلق فى حجراته
ترى الاكم منه سجدا للحوافر
أبت عادة للورد أن تكره القنا
وحاجة رمحى فى نمير وعامر

وقوله وقد غزا غزوة فظلع فرس من خيله فلم يتبع الخيل فاخذه بنو الصيداء

يا بنى الصيداء ردوا فرسى
انما يصنع هذا بالذليل
لا تذيلوه فانى لم أكن
يا بنى الصيدا لمهرى بالمذيل
عودوه بالذى عودته
دلج الليل وايطاء القتيل

وقوله أيضا

جلبنا الخيل من أجا وسلمى
تخب نزائعا خبب الذئاب
ضربن بغمرة فخرجن منها
خروج الودق من خلل السحاب
وقد علموا بنو عبس وبدر
ومرة أننى شعب عقابى

(والسليك بن السلكة انما عدا على رجليك)

هو السليك بن عمرو بن يثربى أحد بنى مقاعس وأمه السلكة جاهلى قديم وهو أحد صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل (حكى) ابن شهاب قال كان السليك السعدى اذا

ضرب في نفسه قام منه العدد وجذر الواحد مساوله لانه واحد وجذر العدد الصحيح أقل منه كالتسعة جذرها ثلاثة وجذر الكسر أكثر منه لان الربع جذره نصف والاعداد منها ماله جذر ويسمى المفتوح كالواحد والاربعة والتسعة والستة عشر وغير ذلك ومنها ما لا جذر له معلوم وان كان لابد له من جذر في نفس الامر كالعشرة ويسمى الاصم فانه أى كسر أضفناه الى الثلاثة وضربنا المجموع في نفسه لابد ان يزيد عن العشرة أو ينقص عنها فلا نعلمه على التحقيق بوجه ولهذا يحكى عن فلاسفة الهند انهم يقولون سبحان العالم بخارج الجذور الصم واما الزاوية القائمة فكل خط يقوم على خط قياما معتدلا لا ميل فيه الى احدى الجهتين يسمى عمودا فان الزاويتين اللتين عن جنبتي العمود متساويتان وهما قائمتان وهذه صورته لانك اذا اقمت على خط اب عمود جد فالزاويتان اللتان عن جنبتي العمود متساويتان وهما قائمتان فلو كان العمود القائم على خط اب مائلا كانت زاوية اجد منفرجة وكانت زاوية دجب حادة فقوله اقبضى على زاويته قائمة أراد بذلك أنها أعدل الزوايا وانه لا ميل لواحد من خطيها على الآخر ولا عنه ولذلك ينسب اليها سائر الزوايا الحادة والمنفرجة كما تقول زاوية المثلث ثلثا زاوية قائمة وزاوية المسدس قائمة وثلث وكذلك المخمس وأما الخط المستقيم فقد رسمه أوقليدس بأن قال انه الموضوع على مقابلة أى النقط كانت عليه بعضها البعض ومراده بذلك أن تكون النقط كلها متقابلة في سمت واحد أعنى أن لا يكون بعضها أرفع وبعضها أخفض كالقوس مثلا فانا اذا اعتبرناها من جهة الحدودب كانت النقط المتوسطة أرفع من المتطرفات وان اعتبرناها من جهة المقعر كان الامر بالعكس بخلاف الخط المستقيم ورسمه ارشميدوش بأنه أقصر خط يصل بين نقطتين وهذا يرد عليه أنه غير شامل لانه انما حد من الخط المستقيم ما هو متناه بين نقطتين والمستقيم اعم من ذلك ورسمه أبو على بن الهيثم بأنه الذى اذا ثبت طرفاه وأدير دورة تامة لم يحدث من دورانه سطح ويرد عليه ما يرد على ارشميدوش وأنه استعمل في رسمه الحركة وليست من موضوعات الهندسة وكأن القائل لم من هذا الصراط المستقيم (رجع الى قوله كل من قال الشعر غلب على معانيه ما يعانيه من الفنون) هذا الشيخ صدر الدين بن الوكيل لما كان الفقه يغلب على فنونه تجد كلامه في الغالب اذا خلا من القواعد الفقهية يحط عن رتبة الحسن الا ترى ما أحسن قوله في القصيدة البائية

ما الكاس عندى باطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب

شججت بالماء منها الرأس موضحة * فخذ بن أعقلها بالخمس لا عجب

لا يخفى ما في هذا الثانى من المحاسن التى تقف الاوهام دون غايتها وتؤمن الاسماع بآيتها وتمد كف الثريا الى رفع رايتها ولولا خوف الاطالة لاعطيت هذا المقام ما يستحقه ونبهت على ما تضمنه من أنواع البديع الذى تملك القلب الغليظ ويسترقه وان كان قد أخذه من قول عكاشة الصوفى في أصل المعنى

حمراء مثل دم الغزال وتارة * بعد المزاج تخالها زريابا

واذا المزاج علا فشج جبينها * نفثت بألسنة المزاج حبابا

ولكنه أخذه ذهبا فجعله يتوقد لهبا وتناوله قبسا فاطلعه في أفق البلاغة شهبا وزاده من

كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة فيجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا لم يمكنه أغار على ربيعة وكان يقول اللهم انك تهيئ ما شئت لمن شئت اللهم انى لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم انى أعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة فذكروا انه أملق حتى لم يبق له شئ فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بابله حتى أمسى في ليلة من ليالى الشتاء مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه فقال له استاسر فرفع السليك رأسه وقال الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا فجعل الرجل يلهزه ويقول يا خبيث استاسر فلما آذاه أخرج السليك يده وضم الرجل ضمة ضرط منها وهو فوقه فقال السليك أضرطا وأنت الاعلى فذهبت مثلا ثم قال السليك من أنت قال رجل افتقرت فقلت لاخرجن فلا أعود الى أهلى حتى أستغنى قال فانطلق معى فانطلقا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا

الفقه زيادة رقصت بها الاعطاف طربا وهزت الرؤس عجبا ومن تأمله وجد التورية قد مدت فيه على المجرة طنبا وأخذت محاسن النيرين سلبا (قال صاحب الاغانى) ان المهدى لما سمع الابيات قال لعكاشة لقد وصفت الخمر فاحسنت فى وصفها احسان من شربها وقد استحققت الحد فقال أيؤمننى أمير المؤمنين حتى أتكلم بحجتى قال قد أمنتك فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين انى قد أجدت وصفها ان كنت لا تعرفها فقال له المهدى اعزب قبحك الله وما أحسن قول الشيخ صدر الدين أيضا

لم يصلب الراووق الا عندما * قطع الطريق على الهموم وعاقها

وقوله أيضا

ارقت دم الراووق حلا لانى * رأيت صليبا فوقه فهو مشرك

وزوجت بنت الكرم بابن غمامة * فصح على التعليق والشرط أملك

هذا الآخر من نمط الاول فى استعماله قواعد الفقهاء والتورية بالتعليق مع تضمين المثل والاول أخذه من قول سيف الدين بن المشد فى مليح نصرانى

يصبو الحباب الى تقبيل مبسمه * وتكتسى الراح من خديه أنوارا

من أجل ذا أصبح الراووق منعكفا * على الصليب وشد الكاس زنارا

واستعمله صدر الدين أيضا فقال

ياغاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لا أصبو الى مخلوق

ياخير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صليت على الراووق

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين

أنا لا أكلم واصبا * الا باذن منه يملك

شرطى شفاء الهالكين * من الاذى والشرط أملك

لا يخفى حسن التورية فى أكلم والشرط أملك (رجع الى حسن الخلاص) ومن أحسن ما فيه قول القائد أبى عبد الله السنبسى يمدح سيف الدين صدقة بن منصور بن دبيس

ونرجس خضل تحكى أزاهره * أحداق تبر على أجفان كافور

كانما نشره فى كل باكرة * مسك تضوع أو ذكر ابن منصور

وأما ابن حجاج فاشق غباره فى حسن الخلاص الى المديح ولا سابقه برق فضلا عن الريح بيناهو يهذر سخفا اذا به قد رفع الى المديح سمعا يتصل مديحه بمجونه اتصال الزهر بغصونه والحديث بشجونه وتخدمه الجد بالهزل اتحاد الذل بالعزل والجدب بالازل فمن ذلك قوله من قصيدة

اليك من ندام فى * هذا الزمان قد ركك

قد ورث لى وقعة * مثل اللجين المسبك

فقلت ياسيدتى * أحسنت لا لجمت بك

أحسنت يا أوسع من * فتوح مولانا الملك

وقال أيضا من أبيات

جميعا حتى أتوا الجوف وهو جوف مراد فلما أشرفوا عليه اذ فيه نعم كثيرة فهابوا أن يغزوا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب فقال لهم السليك كونوا قريبا حتى آتى الرعاة فأعلم لكم علم الحى أقريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت اليكم وان كان بعيدا قلت لكم قولا أومئ اليكم به فاغزوا وانطلق حتى أتى الرعاة فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فاذا هو بعيد ان طلبوا لم يدركوا فقال السليك للرعاة الا أغنيكم فقالوا بلى فرفع صوته وغنى

ياصاحبى الا لاحى بالوادى
الا عبيد قيام بين اذواد
هل تنظران قليلا ريث غفلتهم
أم تغدوان فان الربح للغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فطردا الابل فذهبا بها ولم يبلغ الصريخ الحى حتى فاتوهم (وحكى) أبو عبيدة قال بلغنى أن السليك رأى طلائع لبكر بن وائل وكانوا منجردين ليغيروا على بنى تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك أنذر بنا قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يحضر كأنه ظبى وطارداه عامة يومهما ثم قالا اذا كان الليل أعيا ثم سقط وأقصر عن العدو فنأخذه فلما

وقد بادلتها فيا لها لي * بشورة استها ولها اقذالي

كلا ابن العميد جميع مدحي * ودنيا ابن العميد جميعها لي

ومن حسن الخلاص قول ابن المعتز

والله لا كلمتها ولو انها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا في قوله

وماله بالحسن يسحر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف

لا أرتضي بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

ونعت عليه ابن جبارة في تعليقته التي أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عنده هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك ان هذا الشاعر كثيرا ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتي به على غير ما يقتضيه فان ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها في الحسن كالشمس التي هي آية النهار أو كالبدر الذي هو آية الليل أو كالمكتفي الذي هو خليفة الارض في عظم الشان وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر الى الحسن ومن أين للمكتفي صفة الحسن والذي دلت عليه التواريخ انه كان أسمر أعين قصيرا وليست هذه من صفات الحسن والغالط أن ابن المعتز وصفه بالحسن هو شئ على ظنه وأخذ فيه يصفه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد وأحسن ابن أبي الشخباء في قوله

الشعر كالروض ذا ظلام وذا محل * أو كالصوارم ذا ناب وذا خذم

مثل العرانين هذا حظه خنس * يزري عليه وهذا حظه شمم

(قلت) ليس ابن سناء الملك ممن يخفى عليه هذا الذي ذكره وانما ذكر ابن المعتز المكتفي خروجا الى المديح بملاحة الحسن وما زال الشعراء يصفون الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة ويشبهونه بالشمس والبدر والصبح وذلك مشهور لا يحتاج الى شاهد يؤيده وانما قول ابن المعتز قد شاع وذاع وملأ الاسماع وسار وطار في الاقطار بالاشتهار فلما ذكر ابن سناء الملك حسن محبوبه وذكر الشمس والقمر والقافية قائمة كان المكتفي جالسا في طريقها وكان في ذكره اشارة الى قول ابن المعتز مع زيادة الجناس وقال بل لا أكتفي بالمكتفي الذي جعله ابن المعتز غاية في الحسن عنده لانه انتقل من أدنى الى أعلى ألا ترى ان قول ابن سناء الملك فيه بل التي هي للاضراب وهذا من الادب غاية في حسن النظم والتلعب بالكلام وما ينكر هذا الا من ليس له ذوق بالادب فانه تجد جماعة من هذا النوع كثيرا في كلام المتأخرين أنشدني لنفسه بالباب وبزاعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة المولى صفي الدين الحلي

يقبل الارض عبد من عبيدكم * عليكم وبعد فضل الله يعتمد

ما دام يمدح من أسنى مقاصده * يرما وأنتم له العلياء فالسند

وقال ابن سناء الملك أيضا

ودمية من أهواه في الحسن دمية * وصدق قولي أنها لم تكلم

(وقال أيضا)

اذا قيل لا تهلك أسى بجهالة * لعاذل هذا قوله وتجمل

(وما أحسن) ما أشار ابن حجاج الى قول ابن نباتة السعدي في فرس أغر محجل

أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فتتبعا أعينها وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد أثرت بالارض فقالا اياه أخزاه الله وهما بالرجوع ثم قالا لعل هذا كان من أول الليل ثم قفواه فاذا أثره متفرقا قد بال فرغا في الارض وخدها فقالا اياه قاتله الله ما رأينا أشد منه لا نتبعه أبدا فانصرفا ووصل الى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فأنشد يقول

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب

ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحي موكب

وجاء الجيش فأغاروا (وحكى) الاصمعي أن السليك لقي رجلا من خثعم ومعه امرأة فأخذه فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك فقال له السليك ذلك لك على أن لا تخيس بي ولا تطلع على أحد من خثعم فحالفه وخلف عنده امرأته رهينة ورجع الى قومه فنكحها السليك وجعلت تقول له احذر خثعم فاني أخافهم عليك فقال

غضبت صباح وقد رأتنى قابضا * أبرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يحقق فيك قول الشاعر

اشارة الى قوله

فكأنما لطم الصباح جبينه * واقتص منه فخاض فى أحشائه

وهذا من المرقص وليس بعد هذا مزيد ولا غاية فى الحسن وراءه وما أحسن ما قال ابن سناء الملك رحمه الله فى موضع آخر من شعره

بأبى وأمى من يكون المكتفى * بجماله لجماله كالمقتدى

هنا لم يرد بالمكتفى الخليفة ولكنه هنا اسم فاعل من اكتفى ولما وصل الى المقتدى ترشح المكتفى للتورية لان المكتفى والمقتدى خليفتان من بنى العباس وقولى كان المكتفى جالسا فى طريق القافية ذكرت به ما اتفق لبشار بن برد مع تسنيم فان بشارا عرض له يوما نظم بيت فقال

ما ان تحرك ايرفا لاشبقا * الا تحرك عرق فى است

ثم قيل له فى است من فربه تسنيم بن الحوارى فسلم عليه فقال بشار فى است تسنيم فقال له ايش والك قال له لا تسل قال سمعت ما أكره فاذكر لى سببه فانشده البيت فقال ما حملك على هذا فال سلامك على قال لا سلم الله عليك ولا على ان سلمت بعدها عليك (رجع) وقد ذم بعض المتأخرين التخلص فى بيت واحد ولكنه حسن ما قبح فقال

بينا ذوائب من يحب بكفه * حتى تعلق لحية الممدوح

وقد جاء التخلص فى القرآن الكريم فى قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون الآيات الى قوله تعالى فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين فهذا تخلص من قصة ابراهيم وقومه الى قولهم وتمنى الكفار فى الدار الآخرة الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بالرسل وهذا تخلص خلافا لابى العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى فانه أنكر وقوع التخلص فى الكلام وفى القرآن كثيره والله تعالى أعلم

*(أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلى)*

(اللغة) الارادة المشيئة وأصله الواو لقولك راوده الا أن الواو سكنت فنقلت حركتها الى ما قبلها فانقلبت فى الماضى الفاو فى المستقبل ياء وسقطت فى المصدر لمجاورتها الالف الساكنة وعوض منها الهاء فى الآخر تقول راودته على كذا مراودة ورواداأى أردته (البسطة) السعة وانبساط الشئ على الارض ومنه قوله تعالى وزاده بسطة فى العلم (الكف) تقدم الكلام عليه فى قوله ناء عن الاهل (أستعين) أصله أستعون ويأتى الكلام على ذلك فى الاعراب ومعناه أطلب الاعانة (القضاء) الحكم قال الله تعالى وقضى ربك أى حكم وقد يكون بمعنى الفراغ من قضيت حاجتى وقد يكون بمعنى الاداء والانهاء تقول قضيت دينى وهذا المعنى هو المراد هنا (الحقوق) جمع حق وهو خلاف الباطل والمراد به هنا ما يلزم ذمة الانسان من المروءة فى الجود وما أشبهه (العلا) هو الرفعة والشان والشرف والجمع المعالى فاذا فتحت العين مددت فقلت العلاء واذا ضممت قلت العلا بالقصر (القبل) الطاقة تقول مالى به قبل أى طاقة فهو وكأنه احتمال الذى يلتزم بالقيام بما فى ذمته (الاعراب) أريد فعل مضارع ماضيه

وما حشم الاناام أذلة
الى الذل والاسحاق تنمى وتنتمى

وبلغ خبره شبل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعمى فخالفا الى السليك فلم يشعر الا وقد طرقاه بالخيل فانشأ يقول

من مبلغ قومى أنى مقتول
يارب قرن قد تركت مجدول
ورب زوج قد نكحت عطبول
ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه وليس له طريق للعدو فقتلاه * ومن شعره وقد أغار بقوم فانصرفوا عنه خوفا من العطش وبقى معه رجل يسمى صردا فبكى فقال السليك منشدا

بكى صرد لما رأى الحى أعرضت
مهامه رمل دونه وسهوب
فقلت له لا تبك عينك انها
قضية ما يقضى لنا فنؤوب
سيكفيك ضرب القوم لحم معرض
وماء قدور فى القصاع مشوب

أقول الصرب اللبن الحامض وماء القدور المرق كأنه يقول ستستغنى وتأكل اللحم بعد اللبن وقوله

ألا عتبت على فصارمتنى
وأعجبها ذوو اللمم الطوال
أشاب الرأس أنى كل يوم
أرى لى حالة وسط الرجال

أرادوا القاعدة في حرف المضارعة أنه اذا دخل على رباعي كان مضموما تقول تريد تحسن تقيم لان الماضي أراد أحسن أقام وان كان الفعل ثلاثيا مثل ضرب وذهب أو خماسيا مثل انطلق واقتتل أو سداسيا مثل استخرج واحرنجم فان حرف المضارعة يكون مفتوحا في ذلك كله تقول يضرب ويذهب وينطلق ويقتتل ويستخرج ويحرنجم وانما اعرب الفعل المضارع دون الامر والماضي لان المضارع شابه الاسم بجواز شبه ما وجب له قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل لذلك ينبغي أن يعلم أن المعاني التي تعرض للكلم على ضربين أحدهما مايعرض قبل التركيب كالتصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب فهذا الضرب بازاء كل معنى من معانيه صيغة تخصه فلا حاجة الى الاعراب بالنسبة اليه والثاني من الضربين مايعرض مع التركيب كالفاعلية والمفعولية والاضافة وكون الفعل المضارع مأمورا به أو علة أو معطوفا أو مستأنفا فهذا الضرب تتعاقب معانيه على صيغة واحدة فيفتقر الى اعراب يميز بعضها عن بعض والاسم والفعل المضارع شريكان في قبول ذلك مع التركيب فاشتركا في الاعراب لكن الاسم عند التباس بعض مايعرض له ببعض ليس له مايغنيه عن الاعراب لان معانيه مقصورة عليه فجعل قبوله لها واجبا لان الواجب لا محيص عنه والفعل وان كان قابلا بالتركيب لمعان يخاف التباس بعضها ببعض فقد يغنيه عن الاعراب تقدير اسم مكانه مثل لا تعن بالجفاء وتمدح عمرا فانه يحتمل أن يكون نهيا عن الفعلين مطلقا وعن الجمع بينهما وعن الجفاء وحده مع استئناف الثاني فالجزم دليل على الاول والنصب دليل على الثاني والرفع دليل على الثالث ويغني عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من المجزوم والمنصوب والمرفوع تقول لا تعن بالجفاء ومدح عمرو ولا تعن بالجفاء مادحا عمرا ولا تعن بالجفاء ولك مدح عمرو فقد ظهر بهذا تفاوت مابين سببي اعراب الاسم واعراب الفعل في القوة والضعف فلذلك جعل الاسم أصلا والفعل فرعا والجمع بينهما بما ذكرته أولى من الجمع بينهما بالابهام والتخصيص ولام الابتداء ومجاراة الفعل المضارع لاسم الفاعل في الحركة والسكون لان المشابهة بهذه الامور بمعزل عما جيء بالاعراب لاجله بخلاف المشابهة التي اعتبرتها الان في الفعل الماضي من مشابهة الاسم مايقابل المشابهة المعزوة للمضارع ولعله يكمل في ذلك ان الماضي اذا ورد مجردا من قد كان مبهما في بعد المضي وقربه واذا اقترن بقد تخلص للقرب فهذا شبيه بابهام المضارع عند تجرده من القرائن وتخلصه للاستقبال بحرف التنفيس وأما لام الابتداء وان كان للمضارع بها مزيد شبه بالاسم لكونها لا تدخل الا عليهما فيقاومها اللام الواقعة بعد لو فانها تصحب الاسم والفعل الماضي خاصة كقوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة ولو أسمعهم لتولوا وليس اعتبار تلك أولى من اعتبار هذه ولو لم نظفر بهذه لقاوم تلك تاء التأنيث فانها تتصل بآخر الفعل الماضي كما تتصل بآخر الاسم فحصل للماضي بذلك من مشابهة الاسم مثل ما حصل للمضارع بلام الابتداء ويقاوم لام الابتداء مباشرة مذ ومنذ فان الماضي يشارك الاسم فيها دون المضارع وأما مجاراة المضارع اسم الفاعل في الحركة والسكون فالماضي غير الثلاثي شريكه فيها وانما يختص بها المضارع اذا كان الماضي على فعل مطلقا أو على فعل متعديا وللماضي مايقاوم الغائب من اتحاد وزنه ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما فالاتحاد نحو طالب طلبا وجالب جلبا وغالب غلبا وفرح وأشر وبطر

يشق على أن يا لبنين ضيما
ويقصر عن تخلصهن مالي
(وعامر بن مالك ملاعب الاسنة يديك)

هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة المعروف بملاعب الاسنة ويكنى أبا براء وامه أم البنين أنجب امرأة في العرب وذلك أنها ولدت من مالك بن جعفر خمسة أبا براء والطفيل أبا عامر بن الطفيل وربيعة أبا لبيد وتزار ومعاويه ويسمى معود الحكماء وقد افتخر بها لبيد عند النعمان فقال

نحن بني أم البنين الاربعه

وانما قال الاربعة لضرورة الشعر ونصب بني على المدح وأبو براء هو رجل من فرسان العرب المشهورين وكبارهم وانما لقب ملاعب الاسنة لقول أوس بن حجر فيه

يلاعب أطراف الاسنة عامر
فراح له حظ الكتائب أجمع

وقيل لقول آخر وقد فر عنه أخوه في حرب

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا
يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

وقيل لقول حسان بن عمير وقد رآه بين فرسان أطافوا به يقاتلهم ماهذا الا ملاعب الاسنة ووفد عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم ولم يبعد وجعل رايه

وبطر فهو فرح وأشر وبطر والمقاربة نحو تعب تعبا وحسب حسبا وكذب كذبا ولا ريب ان هذا التوازن فى هذا الضرب أكمل منه فى يضرب فهو ضارب فبان بما ذكرناه تفصيل ما اعتبرناه (قلت) انما أثبت هذا الفصل بطوله من كلام الشيخ جمال الدين لما فيه من الفوائد وقد خالف الاقدمين فى تعليل اعراب المضارع ومال الى هذا الرأى الذى استنبطه وقد خالفه ولده الشيخ بدر الدين ومال الى مذهب المتقدمين ولكن جمال الدين اجتهد فى الاستقراء وانصف القياس * ومثل لا تعن بالجفاء وتمدح عمرا امثال النحاة فى قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن يجوز فى تشرب الرفع والنصب والجزم أما اذا نصبت فيكون النهى عن أكل السمك فى حال شرب اللبن كانك قلت لا تأكل السمك شاربا اللبن واذا رفعت يكون النهى عن أكل السمك والاباحة فى شرب اللبن كانك قلت لا تأكل السمك ولك شرب اللبن وأما اذا جزمت فيكون النهى عن الجمع بينهما قيل ان الجاحظ ناظر يوحنا بن ماسويه فى هذه المسئلة فقال الجاحظ لا يخلو الجمع بين السمك واللبن اما أن يكونا جميعا متساويين أو متضادين فان تساويا كان الجمع بينهما بمثابة استعمال الكثير من احدهما وان تضادا كان كل واحد منهما يقوم بدفع ضرر الآخر فلا فائدة فى منع الجمع بينهما فقال ابن ماسويه هذا البحث ما أعرفه ولكن متى جمعت بينهما انفلجت (قلت) فات تقسيم الجاحظ قسم آخر وهو أن يكونا متخالفين كالحموضة والبياض فانها ليست ضد البياض ولا مشابهة له بل مخالفة وأما العلة فى الفالج وغيره من الآفات اللاحقة للجمع بين السمك واللبن دون انفرادهما وان تضاعف مقدار كل واحد منهما على الانفراد فهو أن المزاج يحدث للممزج صورة لم تكن لكل واحد من البسائط كما ان السكنجبين اليسير منه يقمع الصفراء ويكسر عاديتها على الفور ولا يفعل ذلك السكر ولا الخل عند انفرادهما واعتبر ذلك بالحبر فان كل واحد من العفص والزاج ليس باسود والماء المستخرج فيه قوة كل واحد منهما يقرب من الصفرة فاذا امتزجا حدث السواد الحالك وعجائب المركبات انما تتبع الصور اللاحقة للزاج ألا ترى أن الماء المعتصر بابن العذراء كيف تختلف الوانه بحسب السبق فى الاختلاط وصورته ان يدق المرتك ويعمل عليه اربعة أمثاله خل ويغلى ويصفى بالمعتقة ويعزل ماؤه فى اناء ويدق القلى ويعمل عليه أربعة أمثاله ماء قراح ويغلى ويصفى بالمعتقة ويعزل ماؤه فى اناء ثان فهذان الماآن اذا جمع بينهما فى اناء ثالث ظهر بلون غير لونيهما اسود أو أبيض فاذا جمع بينهما فى اناء رابع وخولف بين الصب من أحدهما على الآخر فى ما تقدم جاء لون آخر ضد اللون الاول وهلم جرا تبارك الله الذى أوجد عجائب هذا العالم فى مخلوقاته لا اله الا هو الفعال لما يريد (رجع الى اعراب البيت) أريد فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم (فان قلت) هذه علة عدمية والعدم لا يكون علة للوجود (قلت) معنى خلوه عن الناصب والجازم وجوده على أول حالاته قبل طريان الجازم والناصب واستعمال الكلمة على أول حالاتها ليس بأمر عدمى وانما اخترت هذه العبارة وان كانت رأى الكوفيين لانها أقوى حجة من مذهب البصريين فانهم قالوا أعرب بالرفع لوقوعه موقع الاسم وهو باطل لانهم اما أن يريدوا موقعا هو للاسم بالاصالة سواء جاز وقوع الاسم فيه كما فى نحو يقوم زيد أو امتنع منه كما فى نحو جعل زيد يفعل واما موقعا هو للاسم مطلقا فان أرادوا الاول فهو باطل برفع المضارع بعد لو وحرف التحضيض لانه ليس للاسم بالاصالة وان أرادوا الثانى فهو باطل أيضا

مات مسلما حيث حدث خالد بن عبد الله قال قدم عامر ابن مالك أبو براء ملاعب الاسنة وأمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له فرسين وراحلتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قبلت هدية مشرك لقبلت هديتك وعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد انى أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومى خلفى فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك فان يتبعوك فما أعز أمرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخاف عليهم أهل نجد فقال عامر لا تخف انى جار لهم ان تعرض لهم أحد من أهل نجد فبعث معه أربعين رجلا من الانصار وقيل سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو فلما نزلوا بماء من مياه بنى سليم يقال له بئر معونة عسكروا واوسرحوا ظهورهم وبعثوا مع سرحهم الحرث بن الصمة وعمرو بن امية وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فى رجال من بنى عامر فلما انتهى حرام لم يقرؤا الكتاب ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله واستصرخ عليهم بنى عامر فابوا وقد كان عامر

لعدم رفع المضارع بعد ان الشرطية لانه موضع صالح للاسم فى الجملة كقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره (بسطة) مفعول به فلهذا انصبه وفى المفعول به كلام طويل وبحث حسن ادخرتهما لغير هذا المكان (كف) مضاف اليه فلهذا جر (أستعين) فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم كما تقدم وأصله أستعون من العون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وموضعه النصب على ثلاثة أوجه اما على انه مفعول لاجله أى أريد بسطة كف للاعانة على قضاء الحقوق أو على انه حال أى أريد بسطة كف مستعينا على كذا أو على الصفة لبسطة أى بسطة كف معينة لى (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية لشبهها بالحروف فى الوضع وسيأتى الكلام على الضمائر (على قضاء) على حرف جر وسيأتى الكلام على تقسيمها قضاء مجرور بعلى (حقوق) مجرور بالاضافة الى قضاء (للعلا) جار ومجرور ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور واللام تكون للملك نحو المال لزيد ولشبه الملك نحو الباب للدار وللتعدية نحو قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا وللتعليل نحو جئتك لاكرامك وزائدة لتقوية عامل ضعف بالتأخير أو بكونه فرعا عن غيره فالاول نحو قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون والثانى نحو قوله تعالى مصدق لما معهم وقوله تعالى فعال لما يريد فاللام فى بيت الطغرائى معناها شبه الملك وقد رأيت مصنفا لابى القاسم الزجاجى قد قسم اللام فيه الى أحد وثلاثين قسما وفصلها وذكر على كل قسم شواهده ولا باس بسردها هنا من غير تمثيل وهى لام التعريف ولام الملك ولام الاستحقاق ولام كى ولام الجحود ولام ان ولام الابتداء ولام التعجب ولام تدخل على المقسم به ولام جواب القسم ولام المستغاث به ولام المستغاث من أجله ولام الامر ولام المضمر ولام تدخل فى النفى بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى النداء بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل فى الفعل المستقبل لازمة فى القسم لا يجوز حذفها ولام تلزم ان المكسورة اذا خففت من الثقيلة ولام العاقبة وسماها الكوفيون لام الصيرورة ولام التبيين ولام لو ولام لولا ولام التكثير ولام تكون بمعنى عند ولام تزاد فى لعل ولام ايضاح المفعول من أجله ولام تعاقب حروفا وتعاقبها ولام البين ولام تكون بمعنى الى ولام الشرط ولام توصل الافعال الى مفعولين (قبلى) منصوب بنزع الخافض على انه ظرف مكان معنى كانه قال على قضاء حقوق للعلا فى طوقى ووسعى وما أقدر على الاتيان به والعامل فيه متعلق الجار والمجرور فى العلا تقديره حقوق استقرت للعلا فى قبلى (المعى) أحاول من الزمان بسطة كف من المال المتسع لاجل الاعانة على وفاء حقوق استقرت فى ذمتى للعلا وكنى عن الغنى ببسطة الكف لان الغنى يبسط كفه بالنفقة وكل غنى منفق باسط كفه وما زال الانفاق يسمى بسطا والامساك قبضا قال الله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وفى الآية الاولى اشكالان فى الظاهر تمسك بهما الملاحدة أحدهما أن اليهود مطبقون على أنهم لم يقولوا هذا الكلام فى حق الله تعالى فكيف يخبر الله تعالى عنهم بما لا يقولونه ولا يعتقدونه * والجواب من وجوه الاول وهو مذهب الحسن رضى الله عنه أن المراد بهذا الكلام قولهم ان الله لا يعذبنا الا على قدر الايام التى عبدنا فيها العجل الا أنهم عبروا عن هذا المعنى بهذه العبارة

ابن مالك خرج قبل القوم الى ناحية نجد وأخبرهم انه جار أصحاب محمد فلا تتعرضوا لهم فقالوا ان نخفر جوار أبى براء وأبوا أن ينفروا مع ابن الطفيل فاستصرخ قبائل من بنى سليم فنفروا معه ورأسوه عليهم فقال ابن الطفيل أقسم بالله ما اقتل هذا وحده فاتبعوا أثره حتى وجدوا القوم فقاتل القوم حتى قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى المنذر ابن عمرو فقالوا له ان شئت أمناك فقال لن أقبل منكم أمانا حتى آتى مقتل حرام فأمنوه حتى أتى مصرعه ثم برئوا من أمانه فقاتلهم حتى قتل وأقبل الحرث بن الصمة وعمرو بن أمية بالسرح وقد ارتابا بعكوف الطير قريبا من منزلهم فجعلا يقولان قتل والله أصحابنا ثم أوفيا على نشز من الارض فاذا أصحابهما مقتولون والخيل واقفة فقال الحرث لعمرو ما ترى قال أرى أن الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال الحرث ما كنت لاتأخر عن موطن قتل فيه المنذر فاقبلا فلقيا القوم فقاتلهم الحرث حتى قتل منهم اثنين ثم أخذوه فاسروه واسروا عمرو بن أمية وقالوا للحرث ما نحب ان نصنع بك فانا لا نحب قتلك فقال أبلغوا

الفاسدة * الثانى قال المفسرون ان اليهود كانوا أكثر الناس أموالا وثروة ولما بعث صلى الله عليه وسلم ضاقت عليهم معايشهم ومنعوا من التكسب لاشتغالهم بأمره ومحاربته والجاهل اذا وقع فى البلاء والشدة يقول مثل هذه المقالة * الثالث انهم لما رأوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى غاية الفقر والحاجة قالوا على وجه السخرية والاستهزاء ان اله محمد فقير مغلول اليد لا ينفق عليهم شيأ * الرابع لعله كان فيهم من يرى رأى الفلاسفة ويقول انه يوجب بالذات لا يحدث الحوادث الا على نهج واحد وسنن واحد ولا يتعدى ذلك والفاعل المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو كما قال تعالى كل يوم هو فى شان أى لا يزال فى ابداع شؤن فعبر الفلسفى من اليهود عن هذا المعنى بهذه العبارة * الخامس لعل هذا الكلام صدر منهم على هذا النظام فى ذلك العصر وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده كما نسبوا الى عبادة العجل وقولهم عزير ابن الله وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده * والاشكال الثانى فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان قالوا تقرر بالدليل القطعى والبرهان العقلى أن الله تعالى ليس بجسم وهذه الآية تشعر بالجسمية والجواب ان اليد فى اللغة تطلق على معان منها الجارحة ومنها النعمة تقول له على يد أى نعمة ومنها القوة تقول مالى بهذا الامر يد أى قوة تدفع قال الله تعالى أولى الأيدى والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ومنها الملك تقول هذه الضيعة فى يدى قال الله تعالى الذى بيده عقدة النكاح أى يملك ذلك فالاولى يمتنع اثباتها فى حق الله تعالى ولا يمتنع فى حقه تعالى اثبات البواقى * بقى سؤال آخر ما الفائدة فى تثنية اليد ههنا الجواب ان فسرنا اليد بالنعمة فالمراد نعمة الدنيا ونعمة الدين أو الباطنة والظاهرة أو ما يتعلق بالدنيا والآخرة وان أردنا القوة فالمراد الاقتدار على الموت والحياة أو الخذلان والنصر أو الغنى والفقر وما أشبه ذلك وان أردنا الملك فالمراد ملك الدنيا والآخرة أو الايمان والكفر أو السعادة والشقاوة وما أشبه ذلك فعلى كل تقدير من التفسير يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء أى متمكن من اعطاء الدنيا والدين أو الاماتة والاحياء أو الاسعاد والاشقاء ردا عليهم فيما زعموه (حكى) أن بعضهم كان من المسرفين على نفسه فلما توفى رآه بعض من كان يعلم حال باطنه فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال كنت اذا تلوت هذه الآية غلت أيديهم وأطلت التشديد فى اللام كالمتشفى بهم اه ولم أطل الكلام هنا الا لأن لفظ اليد يقع فى القرآن والحديث كثيرا وفى هذا ما يزيل تلك الشكوك وكتاب تاسيس التقديس للامام فخر الدين فى هذا الباب جيد نافع للغاية ولقد رأيت بعضهم بالغ فى اثبات اليد واستشهد على ذلك بقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون فسقطت من كلامه مقهقها وتقهقرت متدهدها وقلت له الأيد هنا القوة كالآد والتأييد ومنه المؤيد ولو كان المراد به جمع يد لأثبت الياء فى آخره٣ فقال بأيدى لان هذه أصلية لا يجوز حذفها لان أصل يد يدى والجمع يرد الاشياء الى أصولها فلم يحر جوابا (رجع) الى معنى البيت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا وما ظلم الطغرائى فى طلب المال لانفاقه فيما يكتسب به المحامد ويغنم به الاجور قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح مع الرجل الصالح وقال الحسن رضى الله عنه اذا أردت أن تعرف من أين أصاب الرجل ماله فانظر فيما ينفقه فان الخبيث ينفق فى السرف وقال أبو ذر أموال الناس تشبه الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر

بى مصرع المنذر وبرثت ذمتكم فبلغوا به مصرع الرجل ثم أطلقوه فقاتلهم وقتل منهم اثنين فشرعوا له الرماح حتى نظموه فيها قتلا وقال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية وهو أسير فى أيديهم لم يقاتل انه كانت على أمى نسمة فأنت حر عنها وجز ناصيته فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بئر معونة جعل يقول هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها ودعا على من قتلهم بعد الصبح فى الركعة الثانية من صبح تلك الليلة التى جاءه فيها الخبر فلما قال سمع الله لمن حمده قال اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم عليك ببنى ذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله قال ذلك خمس عشرة ليلة حتى نزلت الآية ليس لك من الامر شئ ثم أقبل أبو براء سائرا وهو شيخ كبير هرم فأخبر بما فعل ابن الطفيل فشق ذلك عليه ولا حركة به من الضعف وقال أخفرنى ابن أخى مرتين وسار حتى لحق ابن الطفيل فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله وقيل كان الطاعن ربيعة ولده فتصايح الناس فقال ابن الطفيل انها لم تضرنى وقد وهبتها العمى وانصرف عنه ونزل عامر بن مالك بقومه فدعاهم الى الارتحال الى النبى صلى الله عليه وسلم

٣ قوله لأثبت الياء الى آخره هذا سهو لان الياء لا تثبت فيه رفعا وجرا اه

الاغنياء باتخاذ الغنم ويامر الفقراء باتخاذ الدجاج وفى المثل مال المرء موئله وقوته قوته وقال بعضهم اثنان لا أدرى أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير قال بعض الشعراء

وما رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

وقال ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة فى الورى * فأنت المسود فى العالم
وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم

(واما) توجه المعز أبو تميم معد بن منصور العبيدى الى الديار المصرية بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط له القاهرة وكان العبيديون ينتسبون الى فاطمة رضى الله عنها خرج الناس الى لقائه ولما قرب من مصر واجتمع به الاشراف قال له من بينهم أبو محمد عبد الله بن طباطبا العلوى الى من ينتسب مولانا فقال له المعز سنعقد لكم مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم أحد فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك سيفه وقال هذا نسبى ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا وما زال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التبجح على بنى العباس خلفاء بغداد فيقولون أبونا على بن أبى طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم الحاكم وكان فى كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فى أشغال الناس فرفعت اليه رقعة فيها

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا * فانسب لنا نفسك كالطائع
أو كان حقا كل ما تدعى * فاعدد لنا بعد الاب السابع
أو فدع الاشياء مستورة * وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد والقيمون بعلم الانساب والتواريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة (قلت) كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروون هذه الواقعة للحاكم وليس بشئ لان الحاكم توفى سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان الخليفة ببغداد اذ ذاك القادر بالله لانه توفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والطائع لله تقلد الامر سنة ثلاث وستين وثلثمائة وخلع من الخلافة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وتوفى مخلوعا سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة والذى كان خليفة بمصر فى أيامه انما هو العزيز أبو منصور نزار بن المعز لانه ولى الامر سنة خمس وستين وثلثمائة ومات سنة ست وثمانين وثلثمائة واذا كان كذلك فصاحب الواقعة انما هو العزيز وهو والد الحاكم بل الذى اتفق للحاكم أنه كان يدعى علم الغيب فيقول فلان قال فى بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللاتى يدخلن بيوت الناس ويتجسسن أخبارهم فرفعت اليه رقعة مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقه

فسكت بعد ذلك عن الكلام فى المغيبات وقيل ان ذلك اتفق للعزيز أيضا (رجع) وما بعد

أن

وطلب ثار القتلى الذين كانوا فى جواره فتثاقلوا عليه وقال له بعض بنى أخيه انهم يقولون انه حدث لك عارض فى عقلك فدعا ابن أخيه لبيدا وقينة له فشرب وقال لها غنى ثم قال يا لبيد لو حدث بعمك حدث ما كنت قائلا فان قومك يزعمون ان عقله ذهب والموت خير من ذهاب العقل وبعضهم يرويها من عزوب العقل وقال يا لبيد اسمع

قوما تنوحان مع الانواح
فأبنا ملاعب الرماح
أبا براء مدره الشياح
كان غياث المرمل الممتاح

وهى من أبيات ثم شرب أبو براء الخمر صرفا حتى مات وهو يقول لا خير فى العيش وقد عصتنى بنو عامر وبنو جعفر يزعمون انه مات مسلما وكان شريف بيته ويزعمون انه لما تنافر ابن أخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الاعانة فأعطاه نعليه وقال استعن بهما فى مفاخرتك فانى ربعت فيهما أربعين مرباعا مع انه كان كارها للمنافرة وفى ذلك يقول

أؤمر أن أسب بنى شريح
ولا والله افعل ما حييت

ومن احسن ما سمعت من شعره قوله

أن الطغرائي كان ذا نفس شريفة سخية وهمة عالية يؤثر المال لينفقه في مصارفه ومن شعره رحمه الله وقد تقدم ذكره في المقدمة

سأحجب عني أسرتي عند عسرتي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراه
ولي أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياه

وهذه نفوس الاشراف تظهر عند الثروة طلبا للانفاق وتخفى عند الفقر طلبا لكتمان حالها ولا تكلف الناس سؤالا وما أحسن قول القائل

اسقني خمرة كرقة ديني * أو كعقلي ولا أقول كحالي
خيفة من توهم الناس أني * قلت هذا في معرض لسؤالي

ولقائل أن يقول على كل حال تعرض للسؤال كما قالوا في حق الغزالي لما أنشد قوله

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردي بالسودد

قالوا أراد بهذا التواضع وهو قد ترفع لانه ادعى انفراده بالسودد ومن قول الاول قول الآخر ولكنه زاد في تعداد المتصف بالرقة حيث قال

ولم أدر اذ رق النسيم وعيشنا * وصوت مغنينا وصهباء قرقف
أعيشي أم صوت المغني أم الصبا * أم الكاس أم ديني أرق وأضعف

وقد ظرف في تأخير ذكر دينه لانه اخرما في السمع قبل ذكر الرقة والضعف وأما الاول فان ذكر دينه اندمج وطال عهد السامع به وهذا من أنواع البلاغة وقلت أنا

أقول لهم قد رق عيشي والصبا * وعقلي وكاساتي وصوت الذي غني
فقال الذي أهوى وخصري نسيته * فقلت له والله قد جئت في المعنى

وقول الطغرائي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء * من قول الآخر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(حكي) ان الامير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه تنقلت به الايام الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه بالديار المصرية وكتب له رقعة فيها هذان البيتان

كنا جميعين في بؤس نكابده * والقلب والطرف منا في أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسني ان الكرام اذا

اشارة الى البيت المتقدم فأعطاه عشرة آلاف درهم (قلت) وهذا عندي أشرف من التضمين الكامل وأطرب للفهم وأعذب للسمع وفيه من البلاغة حسن التضمين مع ما في ذلك من الاختصار الذي هو من أشرف أنواع البلاغة لانه يرفع عن المخاطب مؤنة الاصغاء وقرع السمع بما هو محفوظ مقرر في الذهن (أنشدني) من لفظه لنفسه المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي بالباب وبراعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة من أبيات

لا تترك مالي ترك * ما دين حبي شرك
حواجب وعيون * لها بقلبي فتك
كالقوس يصمي وهذي * تشكي المحب وتشكو

(وقال آخر)

لحا الله أبانا عن الضيف بالقرى
وألأمنا عن عرض والده ذبا
وأدخلنا للبيت من قبل استه
اذا القور ابدى من جوانبه ركبا

القور الاكم والجبال الصغار يعني ان البخيل اذا كان جالسا بفنائه فرأى راكبا قد لاح من القور زحف بظهره داخلا الى بيته فرارا وخشية من الضيف كيلا يراه فيطرقه

(وقيس بن زهير اذا استعان بدهائك)

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين داحس والغبراء كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه كان فارسا شاعرا داهية يضرب به المثل فيقال أدهى من قيس (حكي) المدائني ان رجلا من بني الاحوص فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب فنظر الاحوص والقوم في أمره فعي به فقال أرسلوا الى قيس بن زهير فجاء فقال له الاحوص ألم تخبرني انه لا يرد عليك أمر الا عرفت مأتاه ما لم

يتبادلان فينصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماء ذا * كالبحر يمطره السحاب

(وقال) ابن سناء الملك

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهدم * فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال أيضا)

والمجد مر طعمه * لا تحسبن المجد تمرا

(وقال) شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة

راموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت في جيبي يدي * وقلت خلوني والا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين الحسيني ابن قاضي العسكر كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة طويلة

ولما وقفنا بالمطايا عشية * على الطلل البالي وقلنا له ألا
أذنا لاخلاف الدموع فاخلفت * وفاضت الى ان أنبت العشب والكلا

الاشارة في البيت الاول وقلت أنا

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
يلفى المتيم من تثقيف قامتها * ما لا يلاقيه كوفي من الثقفي
انى لاعجب للعذال كيف رأوا * شخصي وقد درجت ذا روح تردد في

(وقلت أيضا)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(وقلت أيضا)

قل من هجالك شعرا * أو شابه برحاف
وقل لمن لام فيه * على نحت القوافي

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أهيم الى العذب من ريقه * اذا هام العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

قيل ان المبرد بعث غلامه الى غلام يحبه وقال له بحضرة الناس امض اليه فان رأيته فلا تقل له وان لم تره فقل له فذهب الغلام ورجع فقال لم أره فقلت له فجاء فلم يجئ فسئل الغلام عن معنى ذلك فقال أنفذني الى غلام يهواه فقال ان رأيت مولاه فلا تقل له شيأ وان لم تر مولاه فادعه فذهبت فلم أر مولاه فقلت له فجاء مولاه فلم يجئ الغلام (رجع) الى ذكر الامير بدر الدين بيليك الخازندار حكي أن الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر يا خوند انه يحسن الكتابة والقراءة فأحضرت له دواة وقلم وقدما اليه ليكتب شيأ يراه فكتب

لولا الضرورات ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

ترنو اصي الخيل قال فالخبر فاعلموه فقال وضع الصبح لذي عينين فصار مثلا يضرب في وضوح الشئ ثم قال هذا رجل أسره جيش فاصدا لكم ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم فعرض لكم بما فعل أما الصرة من التراب فانه يزعم انه قد أتاكم عدد كثير وأما الحنظلة فانه يخبر أن بني حنظلة غزتكم وأما الشوك فانه يخبر أن لهم شوكة وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم ان كان حلوا أو حامضا فاستعد الاحوص وورد الجيش كما ذكر (وحكي) أن النعمان بن المنذر ارسل الى أبيه زهير يخطب ابنته وسأله أن يبعث اليه ببعض بنيه وأرسل اليه ولده شاسا فلما قدم عليه اكرمه وأحسن جائزته ورده الى أبيه وعرض عليه ان يتبعه قوما يخفرونه فقال لا شئ أمنع لي من نسبتي الى أبي وخرج وحده فرعا من مياه بني غني فأكل وشرب ونزل الى الماء يغتسل وكان رياح بن الاشل الغنوي نازلا في بيته على الماء ومعه امرأته فرآها تحد النظر الى جسد شاس وقد شمت منه رائحة المسك فاخذته غيرة ففوق اليه سهما فقتله وغيب أثره وأخذ ما معه وكان معه عيبة

فأعجب الملك الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى مشتراه (وحكى) ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى يحمل مداسه وكان عنده فى حال غير مرضية فقال هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى من هو الذى أوقفك عليها فقال يا مولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته عنده حينئذ وقد عرّض بعض أهل العصر بذكر الشيخين صدر الدين وكمال الدين فقال

مولاى صدر الدين ان زرته * أسعده الله على كل حال
رأيت حظى عنده وافرا * فصح ان النقص عند الكمال

(رجع الى قوله أريد بسطة كف) أصاحب المال وطالبه للانفاق فما زال الشعراء يتداولون معناه قال أبو اسحق الغزى

لو تملك الدنيا يدى لأرحت من * يمسى ويصبح طالبا محتاثا
وقسمتها بينى وبين أصادقى * وعداى غير مميز أثلاثا

وقال بعض أهل الاندلس وهو مشهور

لحا الله دهرا خصنى بخصاصة * وأقعدنى عما سعى فيه أمثالى
تنوب صديقى نائبات زمانه * فيقعدنى عن رفده قلة المال
فوا أسفا من مكرمات أرومها * فينهضنى عزمى ويقعدنى حالى

وأشهر منه قول الآخر

والهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ما ليس عندى من احدى المصيبات

(وقال آخر)

النفس ملأى من المعالى * والكيس صفر الجنان خالى
فليت مالى كمثل فضلى * وليت فضلى كمثل مالى

وقال أبو الحسين الجزار

لقد رضى الرحمن عن كل منفق * فما بالنا نلقى رضا الله بالسخط
معيب على الانسان يعطيه ربه * بغير حساب وهو يحسب ما يعطى

وقال صالح بن صالح الشنتريني

أحب لدى قربى وصل ذا وسيلة * وقم بالحقوق الواجبات اللوازم
أما انني لو نلت أيسر يسرة * لكانت لكفى بسطة فى المكارم
فآها لعصر مثل أهليه جاهل * ودهر لابناء المروءة ظالم

(وقال آخر)

يعز على أن أرى ذا مروءة * من الناس لا أستطيع تغيير حاله

مملوءة مسكا وعطرا من عطر النعمان وحللا من ثيابه وأبطأ خبر شاس عن زهير فاخبر بما انصرف به من عند النعمان ولم يدر من قتله فقلق لذلك فقال قيس يا أبت أنا أكشف لك خبر أخى ثم دعا بامرأة حازمة من نساء قومه وكانت لسنة شديدة فامرها ان تأخذ نحيا سمينا فتقعده وتخرج به الى بنى عامر وغنى وتعرض ذلك عليهم وتقول انى قد زوجت ابنتى وأنا أبتغى لها طيبا وثيابا ففعلت الى ان وقعت على امرأة الغنوى فقالت لها ان كتمت على أعطيتك حاجتك وأخبرتها بأمر شاس وأعطتها مسكا وثيابا وباعتها ذلك بما معها من السمن واللحم وخرجت العبسية حتى أتت قيسا فأخبرته فاخبر أباه فركب فى قوم من بنى عبس وأغار على غنى فقتلهم وفرقهم (وحكى) انه فى بعض حروبه لبنى ذبيان وهو يوم الشعب المشهور صعد بالجيش والنعم الى الجبل وعقل الابل عشرة أيام لا تشرب والماء كثير تحت الجبل فلما همت بنو ذبيان بالصعود الى الجبل حل عقال الابل وأمسك بذنب كل بعير رجل معه سلاحه فمرت الابل طالبة الماء لا تمر بشئ الا طحنته والرجال فى

ولو كان لى مال اصادف مالكا * يجود ببذل المال قبل سؤاله

وقال مسلم بن الوليد

عند الحوادث من أخيك عزيمة * حصداء مبرمة وعقل فاضل

عرف الحقوق وقصرت أمواله * عنها وضاق بها الغنى الباخل

(وقال آخر)

أرى نفسى تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى

فلا نفسى تطاوعنى ببخل * ولا مالى يبلغنى فعالى

(وقال آخر)

رزقت لبا ولم أرزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال

اذا أردت مساماة تقاعد بى * عما أحاول منها رقة الحال

(وقال آخر)

الناس صنفان فى زمانك ذا * لو تبتغى غير ذين لم تجد

هذا بخيل وعنده سعة * وذا جواد بغير ذات يد

زعمت الرواة انها لم تسمع للاحنف بن قيس الا هذين البيتين وهما

فلو مد دهرى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا

فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وما أحسن قول ابن نباتة السعدى

مثل خلعت على الزمان رداءه * عدم الدراهم آفة الأجواد

وقال الوزير سهل بن هرون

ولكنما أبكى بعين سخينة * على حدث تبكى له عين أمثالى

وما الفضل الا أن تجود بنائل * والا لقاء الخل ذى الخلق الغالى

فواحسرتى حتى متى أنا موجع * بفقد خليل أو تعذر افضالى

فراق خليل لا يقوم به الاسى * وخلة حر لا يقوم بها مالى

وقال ابن سناء الملك

ثقل الزمان على حتى خف بين الناس وزنى

ألقى الصديق بلا ثرا * والعدو بلا مجن

ومما نظمته أنا

وقائلة فيم اجتهادك للغنى * وقد رقدت للحظ منك عيون

فقلت لها والله مالى حاجة * لتحصيل دنيا فالامور تهون

ولكن حقوق للعلا قد ترتبت * على ذمتى مفروضة وديون

فلو وجدت كفى لبرأت ساحتى * وكنت أريك الجود كيف يكون

ومما قلت أيضا

أنا ان لم أجد فى كسب مال * هات قل لى بالله كيف أجود

واذا لم أسد خلة حر * هات قل لى بالله كيف أسود

أعقابها تضرب فمن مرت به فكانت الهزيمة على بنى ذبيان (وحكى) انه لما تطاولت الحروب بينه وبين حذيفة وحمل ابنى بدر الذبيانيين جمع جمعا عظيما وبلغ بنى عبس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس أطيعونى فوالله لئن لم تفعلوا الاتكئن على سيفى الى أن يخرج من ظهرى قالوا فانا نطيعك فامرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ثم ارتحلوا فى الصبح وأصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم فلما أصبحوا اطلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال قيس خذوا غير طريق المال فلا حاجة للقوم أن يقعوا فى شوكتكم ولا يريدون غير ذهاب أموالكم فاخذوا غير طريق المال فلما أدرك حذيفة الاثر ورآه قال أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم وسارت ظعن عبس والمقاتلة من ورائهم وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال فلما أدركوه ردوا أوّله على آخره ولم يفلت منهم شئ وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الابل فيذهب بها وينفردوا واشتد الحر فقال قيس يا قوم ان القوم قد فرق بينهم المغنم واشتغلوا فاعطفوا الخيل فى آثارهم

وما يطلب المال الا للانفاق وبلوغ المقاصد وابلاغ القاصد كما ان السيف للذب والردع
والمدية للقط والقطع وما أحسن قول أبي العتاهية في عبد الله بن معن من أبيات

فصغ ما كنت حليت * به سيفك خلخالا
فما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

يقال ان عبد الله قال ما لبست سيفي قط فرأيت انسانا يلمحني الا ظننته يحفظ قول أبي العتاهية
فيّ ومثل هذا ما قاله ابن نفيل في عبد الملك بن عمير القاضي

اذا كلمته ذات دل لحاجة * فهم بأن يقضي تنحنح أو سعل

قال عبد الملك تركني والله وان السعلة لتعرض لي في الخلاء فاذكر قوله فأهاب أن أسعل
ومدح عبد الله بن الزبير الاسدي أسماء بن خارجة الفزاري فقال *تراه اذا ما جئته متهللا*
البيتين فأثابه ثوابا لم يرضه فغضب عبد الله وقال يهجوه

فوالله لولا رهن هند بظرها * لعد أبوها في اللئام المفالس
بنت لكم هند بتلديغ بظرها * دكاكين جص عاليات المجالس

فركب اليه أسماء وأرضاه وكان يقول بعد ذلك والله ما رأيت جصا في بناء ولا غيره الا ذكرت
بظر أختكم هند يقال ان الهادي كان بنو العباس يسمونه موسى أطبق لانه كان يفتح فاه
كثيرا فرتب المهدي في خدمته خادما يلاحظه أبدا فمتى سها عن نفسه وفتح فاه قال له موسى
أطبق (رجع) عن أبي ذر رضي الله عنه انما مالك لك أو للعاجة أو للوراثة فلا تكن أعجز
الثلاثة وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يكسب المال ليكف به وجهه ويؤدي به أمانته
ويصل به رحمه وما أحسن ما عبر به ابن الجهم عن جمع المال طلبا للانفاق في قوله

وما تجمع الاموال الا لبذلها * كما لا يساق الهدى الا الى النحر

ومثله قول مسلم بن الوليد

تأتي البدور فتفنيها اصابعه * وما تدنس منها كف منتقد
لا يعرف المال الا عند نافلة * ويوم يجمعه للنهب والبدد

وقال النضر بن جؤبة

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق
لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

وبالغ أبو الطيب في قوله

وكلما لقي الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا
مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

هذا البيت الاول من معاني أبي الطيب التي يناقض آخرها أولها لانه قرر أولا أن الدينار يلقى
صاحبه ثم قال يفترقان قبل اصطحابهما وهذا تناقض وكذا قوله

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا

فقرر ان سخاءه أعدى الزمان فهذا دليل على وجوده ثم قال فسخا الزمان به أي أوجده والشئ
لا يتقدم على وجود نفسه ولكن هذا النوع من المبالغات التي تخرج الى حد الاستحالة فتفيد

فلم يشعر بنو ذبيان الا بالخيل
فلم يقاتلهم كثير أحد وانما
كان هم الرجل في غنيمته
أن يحوزها ويمضي فوضعت
بنو عبس فيهم السلاح حتى
ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم
يكن لهم هم غير حذيفة
فارسلوا الخيل تقص أثرهم
وكان حذيفة قد استرخى
حزام فرسه فنزل عنه ووضع
رجله على حجر مخافة أن يقص
أثره ثم شد الحزام فعرفوا
حنف فرسه والحنف أن تميل
احدى اليدين على الاخرى
فتبعوه ومضى حتى استغاث
بجفر الهباءة وهو موضع بماء
الهباءة وقد اشتد الحر وقد
رمى بنفسه ومعه حمل بن بدر
أخوه وورقاء بن بلال وقد
نزعوا سلاحهم وطرحوا
سروجهم ودوابهم تمعك
وجعل ربيئتهم يتطلع فاذا لم
ير شيأ رجع فنظر نظرة فقال
اني رأيت شخصا كالنعامة
فلم يكترثوا بقوله وبينما هم
يتكلمون اذ دهمهم شداد
ابن معاوية فحال بينهم وبين
الخيل ثم جاء قرواش وقيس
حتى تتاموا خمسة فحمل
بعضهم على خيلهم فطردها
وحمل البقية على من في الجفر
فقال حذيفة يا بني عبس فأين
العقول والاحلام فضربه
أخوه حمل بين كتفيه وقال
اتق مأثور القول فذهبت
مثلا يعني انك تقول قولا

المعنى قوة لم تكن فى غيره وقال أبو الحسين الجزار فى الحث على الانفاق

اذا كان لى مال علام أصونه * وماساد فى الدنيا من البخل دينه
ومن كان يوماذا يسار فانه * خليق لعمرى أن تجود يمينه

وقلت أنا وفيه نكتة نحوية

لاتجمع الدينار واسمح به * ولا تقل كن فى حمى كنى
ماالدهر نحوى فنحو الهدى * ويمنع الجمع من الصرف

لان جمع دينار دنانير وهذا الوزن أحد الاوزان الثلاثة التى جاءت على صيغة منتهى الجموع وهى مساجد ومصابيح وشواب والكل ممنوع من الصرف وأردت بالصرف فى الظاهر ما يريده النحاة وفى الباطن ما هو من حوادث الدهر ويخدم أيضا فى مصارفة الدينار بالدراهم فتأمله يظهر لك والمال قد يطلب لذاته وهذا مذموم نطق القرآن بالتوعد عليه فيمن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقهما وأى أرب فى جمع المال وعدم انفاقه وأى فرق بين أن يكون ما فى الصندوق ذهبا وفضة وجواهر وبين أن يكون حجارة وترابا وبين أن يكون خاليا قال أبو الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

وهذا البيت مضطرب الصنعة لانه كان ينبغى له ان يقول سرور محب أو حزن عدو وهذا مما يقع له كثيرا وسيأتى من كلامه نظائر لهذا البيت وقول الطغرائى فى هذا البيت والذى بعده يشبه قول أبى الطيب

وأعجب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده
وفى الناس من يرضى بميسور عيشه * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبى ماله * مدى ينتهى بى فى مراد أحده

والدنيا كل أمورها غريبة وكلها عجائب وعلى الحقيقة مافيها غيبة هذا الطغرائى منشى السلطان محمد كما تقدم وصاحب ديوان الشعر وله يد فى الكيميا وحل رموزها ومع هذا يقول* أريد بسطة كف أستعين بها* ولكن الزمان حرب الفضل وسلم الجهل والظاهر من أمره أنه كان يعرف الكيميا علما لاعملا أو علما وعملا لكن الايام ماساعدته على التمكن من عملها حتى يبرزها من القوة الى الفعل لانه قال

ومن أعجب الاشياء أنى واقف * على الكنز من يظفر به فهو مبخوت
وأن كنوز الارض شرقا ومغربا * مفاتيحها عندى ويعجزنى القوت
ولولا ملوك الجور فى الارض أصبحت * وحصباؤها درلدى وياقوت

ذكرت بهذه الابيات قول المعتمد لما ترقت حال الموفق أحمد بن المتوكل الى غاية لم يبلغها الخليفة المعتمد وغلب الموفق على أمره

أليس من العجائب أن مثلى * يرى ماهان ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * ومامن ذاك شئ فى يديه

*(والدهر يعكس آمالى ويقنعنى * من الغنيمة بعد الكد بالقفل)*

تخضع فيه وتقتل ويشتهر عنك وقتل حذيفة وحمل ومن معه وتفرقت بنو ذبيان وأسرف قيس فى النكاية والقتل ثم ندم على ذلك ورثى حمل بن بدر بالابيات المشهورة فى الحماسة وهو أول من رثى مقتوله ولما أطال الحروب ومل أشار على قومه بالرجوع الى قومهم ومصالحتهم فقالوا سر نسر معك فقال لا والله لا نظرت فى وجه ذبيانية قتلت أباها أو أخاها أو زوجها او ولدها ثم خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط فقال يامعشر النمر انا قيس بن زهير غريب حرب فانظروا لى امرأة قد أدبها الغنى واذلها الفقر فزوجوه امرأة منهم ثم قال انى لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقى انى امرؤ غيور فخور انف ولست افخر حتى أبتلى ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فرضوا باخلاقه فاقام فيهم زمانا ثم اراد التحول عنهم فقال يامعشر النمر انى ارى لكم على حقا عصاهرتى لكم ومقامى بين اظهركم وانى آمركم بخصال وانهاكم عن خصال عليكم بالاناة فبها تدرك الحاجة وتسويد من لا تعابون بتسويده والوفاء فبه تتعايشون واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح

(اللغة) الدهر الزمان قال الشاعر

ان دهرا يلف شملى بليلى * لزمان يهم بالاحسان

ويجمع على دهور ويقال الدهر الابد وقولهم دهر داهر كقولهم أبد آبد وقولهم دهر دهارير أى شديد كقولهم ليلة ليلاء ونهار أنهر ويوم أيوم وساعة سوعاء وفى الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر لانهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم فان ذلك الفاعل هو الله تعالى والدهرى بفتح الدال هو الملحد وبضمها المسن وقال ثعلب هما جميعا منسوبان الى الدهر والدهرى هو الذى يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والنشور والمجازاة (العكس) رد آخر الشئ الى أوله ومنه عكس البلية عند القبر لانهم يربطونها معكوسة الرأس الى ما يلى كلكلها وبطنها ويقال الى مؤخرها مما يلى ظهرها ويتركونها على تلك الحال حتى تموت (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء تقول أملت خيره آمله بالضم أملا وكذا التأميل وقولهم ما أطول املته بكسر الهمزة أى أمله فهو كالجلسة والركبة (القناعة) الرضا بالقسم وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقنوع وأقنعه الشئ اذا أرضاه (الغنيمة) واحدة الغنائم وهى ما تظفر به من ملك غيرك ولم يكن لك (الكد) الشدة فى العمل وطلب الكسب والتعب (القفل) الرجوع من السفر وقد قفل يقفل بالضم ومنه القفل والقافلة الرفقة الراجعة من السفر فلا يقال لمن خرج من بلدة يريد مكانا آخر قافل الى أن يرجع وتسمى الرفاق قافلة قبل العود تفاؤلا لهم بالرجوع كما تسمى المهلكة مفازة واللديغ سليما وأول من نطق بهذا المثل امرؤ القيس فقال

وقد طوفت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وقال عبيد بن الابرص

ولو لاقيت غلباء بن عمرو * رضيت من الغنيمة بالاياب

(الاعراب) (والدهر) الواو للابتداء الدهر مرفوع على انه مبتدأ (يعكس) فعل مضارع رفع لتجرده من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه وهو ثلاثى فلهذا فتح حرف المضارعة منه على ما تقدم (آمالى) جمع أمل وهو منصوب بيعكس ولم يظهر النصب فيه لانه مضاف الى ياء المتكلم والمفعول به قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب هو ما وقع عليه فعل الفاعل قال النيلى فى الشرح يريد بالوقوع التعلق لا المباشرة والا لخرج مثل أردت الطلاق لعدم المباشرة واحترز بقوله عليه من الظرف لان الفعل يقع فيه لا عليه ومن المفعول له فان الفعل يقع لاجله ومن المفعول معه لانه يقع معه لا عليه ومن المفعول المطلق لانه نفس الفعل الواقع من الفاعل وقيل المفعول به هو المقول فى جواب من سأل عن تعلق هذا الفعل فيقول المجيب بزيد فلا تقييده فى السؤال والجواب بالباء سمى المفعول به (قلت) كيفما حاول النحاة رسم المفعول به لا يخلصون من ايراد عبد القاهر الجرجانى فى اعراب خلق الله العالم لانه قال العالم هنا مصدر لا مفعول به لان المفعول به هو الذى كان موجودا وأثر فيه الفاعل شيأ آخر بفعله والمصدر هو الذى لم يكن موجودا بل كان عدما محضا والفاعل موجده ومخرجه من العدم الى الوجود بفعله والعالم فى قولنا خلق الله العالم كذلك فكان مصدرا واعترض عليه بأنه لو كان مصدرا لكان نفس الخلق ولا يجوز ان يكون ذلك لوجهين أحدهما أنا نعلم العالم مع الشك فى

وخالط الضيف بالالزام واياكم والرهان فيه ثكلت مالكا أخى والبغى فانه صرع زهيرا أبى وحملا والسرف فى الدماء فان قتل أهل الهباءة أورثنى العار ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ثم رحل الى عمان فأقام بها حتى مات وقيل انه خرج هو وصاحب له من بنى أسد عليهما المسوح يسيحان فى الارض ويتقوتان مما تنبت الى أن دفعا فى ليلة قرة الى أخبية لقوم من العرب وقد اشتد بهما الجوع فوجدا رائحة القتار فسعيا يريدانه فلما قاربا أدركت قيسا شهامة النفس والانفة فرجع وقال لصاحبه دونك وما تريد فان لى لبثا على هذه الاجارع أترقب داهية القرون الماضية فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة باسفل واد فنال من ورقها شيأ ثم مات وفى ذلك يقول الحطيئة من أبيات

ان قيسا كان ميتته
أنفا والحر منطلق
فى دريس لا يغيبه
رب حر ثوبه خلق

ومن شعر قيس بن زهير يرثى حمل بن بدر يقول

تعلم ان خير الناس ميت
على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه مازلت أبكى
عليه الدهر ما بدت النجوم

كونه مخلوقا لله تعالى الى أن نعلم ذلك بدليل منفصل فالعالم على هذا معلوم وكونه مخلوقا له تعالى غير معلوم لتوقفه على الدليل والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فكان الخالق غير العالم الثانى ان الله تعالى يوصف بالخلق فلو كان الخالق العالم لكان الله موصوفا بالعالم وهو لا يجوز لانه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث أو قدم العالم (قلت) الجواب عن الايراد الذى أورده الامام عبد القاهر هو أن الكلام انما هو فى اصطلاح النحاة وهذا المصطلح انما هو فيما يعرض لاواخر الكلم من الرفع والنصب والجر لاتصاف الكلمة تارة بالفاعلية وتارة بالمفعولية وتارة بالاضافة الى غير ذلك فاذا قلنا خلق الله السموات والارض قلنا هذه الكلمات المركبة المسموعة نسميها فى اصطلاحنا فعلا وفاعلا ومفعولا فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل ونصبنا السموات والارض على المفعولية لوقوع فعل الفاعل عليهما ولا يلزمنا من هذه العبارة التى أوقعناها على هذه الالفاظ أن يكون المعنى فى الاصل قد وقع وتجدد لان الالفاظ أدلة على المعانى والدليل غير المدلول ولان الاسم غير المسمى والا لزم احتراق فم من تلفظ بالنار ولزم اذا قلنا أعدم الله العالم وأقام القيامة وأمات زيدا أن يكون هذا كله قد وقع الآن وتجدد ونحن نجد هذا باطلا على أنى أعتقد أن الامام رحمه الله كان يعتقد بطلان هذا الايراد وانما أورده مغالطة واظهار صناعة فى البحث لا غير (رجع) واختلف فى ناصب المفعول به فذهب سيبويه انه الفعل ولذلك تعددت المفاعيل بحسب اقتضاء الفعل لها لان الفعل ان اقتضى مفعولا نصبه أو اثنين نصبهما أو ثلاثة نصبها ومذهب ابن هشام أنه الفاعل لانه الذى أثر فيه فى المعنى فيؤثر فيه فى اللفظ (قلت) وهذا ليس بشئ لان الفاعل ضمير والمضمر لا يعمل فى المظهر ولانهم قسموا الفعل الى لازم ومتعد فدل على أن العمل له ومذهب الفراء انه الفعل والفاعل قياسا على الابتداء والمبتدا فى الخبر والشرط وحرف الشرط فى الجزاء على قول من يراه ومذهب الاخفش أن العامل فيه هو الفاعلية وليس بشئ والصحيح مذهب سيبويه وقد أشبعت القول على ما يتعلق بهذا فى التعليقة على الحاجبية (ويقنعنى) الواو عطفت الفعل على الفعل يقنعنى فعل مضارع مرفوع لانه معطوف على مرفوع ورفعه ضم العين والنون نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وموضعها النصب بالمفعولية ليقنع والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى الدهر كما استتر فى يعكس (من الغنيمة) جار ومجرور ومن هنا للتبعيض وهو أحد معانيها وسيأتى الكلام عليها فى غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى (بعد الكد) ظرف ومخفوض به فبعد ظرف زمان ولهذا نصب والعامل يقنع والكد جر باضافته الى الظرف (بالقفل) جار ومجرور والباء هنا للتعدية وتقدم الكلام على تقسيم الباء فالدهر فى البيت مبتدأ وخبره يعكس كانه قال والدهر عاكس آمالى ويقنعنى موضعه الرفع عطفا على الخبر والياء فيه مفعول أول وبالقفل مفعول ثان له ومن الغنيمة متعلق بيقنع فالجملة كلها من يقنعنى الى آخر البيت فى موضع رفع على أنها خبر معطوف على خبر المبتدا والبيت كله من أوله الى آخره فى موضع نصب على أنه حال من فاعل أريد بسطة كف كانه قال أريد بسطة فى حال أن الدهر عاكس آمالى وقال الجوهرى فى صحاحه أقنعه الشئ اذا أرضاه فعلى هذا لا يتعدى الى مفعول ثان الا أن يشدد تقول قنعته بالقليل من الرزق (المعنى) والدهر يعكس ما أؤمله وأرجوه من البسطة والرفعة حتى أقنع من الغنيمة بالرجوع بعد التعب والمشقة وهذا

ولان المعنى حمل بن بدر
بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومى
وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال وما رسونى
فمعوج على ومستقيم
وقوله أيضا
تعرفن من ذبيان من لو لقيته
بيوم حفاظ طارق اللهوات
ولو أن ساقى الريح يجعلكم
قذى
لا عينا ما كنتم بقذاة
وقوله أيضا
اذا أنت أقررت الظلامة
لامرئ
رمالك باخرى شعبها متفاقم
فلا تبد للاعداء الا خشونة
فمالك منهم ان تمكن راحم
(واياس بن معاوية انما
استضاء بمصباح ذكائك)
هو اياس بن معاويه بن قرة
المزنى قاضى البصرة وكنيته
أبو واثلة صاحب الفراسة
والاجوبة البديعة يضرب
به المثل فيقال أزكن من اياس
والزكن التفرس بالشئ
بالظن الصائب قال الشاعر
زكنت منهم على مثل الذى
زكنوا
وبعض الناس يقول اذكى من
اياس وهو الذى أراده أبو
تمام فى قوله
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس
(حكى) ابن عائشة قال اول
ما عرف من ذكاء اياس انه
دخل الشام وهو صغير فقدم

المثل

المثل يضرب لمن خفق مسعاه وطال سفره وتمنى العود الى بلده نعوذ بالله من هذا الحال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من طمع فى غير مطمع ومن طمع يعود الى طبع وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والدهر مازال يعكس المقاصد ويراقب الخيبة ويراصد ويكمن المنايا فى الامانى ويثنى غصون الامل ذاويه بعد أن كانت عذبة المجانى خلقا ألفه الناس فى سجاياه وطبعا رمى الخلق به من سهام جناياه

فقد تدنو المقاصد والامانى * فتعترض الحوادث والمنون

والشعراء مازالوا يكثرون فى هذه المعانى قال أبو الطيب

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى * ماليس يبلغه فى نفسه الزمن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

(وقال أيضا)

أهم بشئ والليالى كأنها * تطاردنى عن كونه وأطارد

وقال المعتمد بن عباد يرثى ولديه المأمون والراضى بأبيات منها

بكيت فتحا فاذ ذانيت سلوته * أودى يزيد فزاد القلب أشجانا

فكنت كالمبتغى ما تخسله * حتى انتهى فرأى الغدران نيرانا

(وقال) ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

الى كم أسوم الدهر غير طباعه * وأصدقه عن شيمتى وهو حانث

وأسمو مجدا فى العلا وتحطنى * خطوب كأن الدهر فيهن عابث

وقال مسلم بن الوليد

ماقصر السعى ولا علات * عن مطلب نفسى أمانيها

بل خانها الدهر وأزرى بها * عثرة جد لا تواتيها

ومن أصوات ابن جامع فى الاغانى

لئن فاتنى فى مصر ما كنت ارتجى * وأخلف لى منها الذى كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى نازل به * ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

ووالله ما فرطت فى وجه حيلة * ولكنه ما قدر الله نازل

وقد يسلم الانسان من حيث يتقى * ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافل

(وقال) أبو فراس بن حارث الحمدانى

قد كنت عدتى التى أسطو بها * ويدى اذا اشتد الزمان وساعدى

فرميت منك بغير ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

(حكى) الخالديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد انه كان فى بعض أطراف البصرة رجل يخيف السبيل فأعيا أمره السلطان ثم ظفر به فامر بقتله وصلبه فلما قدم لذلك قال للموكل به ان رأيت أن تتوقف عنى قليلا وتدنينى الى الجذع وتأمر لى بدواة وقرطاس أكتب شيئا فى قلبى فاذا فرغت من ذلك فشأنك وما أمرت به فاجابه الى ما سأل وقربه من الجذع فكتب ثم قال للموكل بقتله افعل ما بدا لك فنظر الى ما كتب فاذا هو

خصم ماله شيخا الى قاضى عبد الملك بن مروان وكان القاضى يعرف الخصم فقال لاياس اما تستحيى تقدم شيخا كبيرا فقال اياس الحق أكبر منه فقال له اسكت قال فمن ينطق بحجتى اذا سكت قال ما أحسبك تقول حقا حتى تقوم قال أشهد أن لا اله الا الله فقام القاضى فدخل على عبد الملك فاخبره الخبر فقال اقض حاجته واصرفه عن الشام لئلا يفسد علينا الناس (وحكى) غيره قال أول ما عرف من ذكاء اياس أنه كان صبيا فى المكتب فاجتمع قوم من النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا ان المسلمين يزعمون انه لا يكون فى الجنة ثفل الطعام يعنون الغائط فقال اياس لمعلمه يا معلم أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب فى البدن قال نعم قال فما ينكر أن يكون الباقى يذهبه الله فى البدن فسكت النصارى وأعجب به المعلم وحكى انه دخل الى الشام مرة ثانية وأراد الحج فقال للمكارى انظر لى انسانا غريبا فانى أريد أن أخرج سرا يعنى عديله فاكراهما فلبثا فى المحمل ثلاثا لا يسأل هذا هذا شيأ فقال اياس يا عبد الله بعد ثلاث لا أصبر من أنت قال غيلان فقال غيلان العذرى قال نعم فمن أنت قال اياس

قالت سليمى كم تمنينا * وعدك وعد ليس يأتينا
يا قانعا بالدون من عيشه * حتى متى تصبح محزونا
فحركت أشرس ذامرة * من بعد ثنتين وخمسينا
ان كنت قصرت ولم أجتهد * فى طلب الرزق فلومينا
وأى باب يرتجى فتحه * وما قرعناه بايدينا
ماقصر السعى ولكنها * مقادر جارية فينا

فرفع خبره الى من أمر بقتله فصفح عنه وأمر باطلاقه

(وقال آخر)

أسمو الى الامل الاقصى فيلفتنى * جد عثور ودهر مهتر خرف
لا الحظ يسعدنى فيما أحاوله * من العلو ولا لى عنه منصرف

خرج الوزير نظام الملك أبو الحسن على الى الصلاة فجلس قليلا ثم التفت الى الحاضرين وقال هنا بيت شعر أريد له أولا وهو

فكأننى وكأنه وكأنها * أمل ونيل حال بينهما القضا

وكان فى الجماعة أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الشافعى فقال

أفدى حبيبا زارنى متنكرا * فبدا الوشاة له فولى معرضا

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين يوسف الصوفى بدمشق سنة سبعمائة وعشرين

كأنما البدر وقد أشرقت * أنواره بين غصون الغصون
وجه حبيب زار عشاقه * فاعترضت من دونه الكاشحون

وقلت أنا فى هذا التشبيه

كأنما الاغصان لما انثنت * أمام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقلت أيضا)

كأنما الاشجار فى روضها * والبدر فى غيهبه مسفر
بنت مليك خلف شباكها * قامت الى موكبه تنظر

(وقلت أيضا)

وكأنما الاغصان تثنيها الصبا * والبدر من خلال يلوح ويحجب
حسناء قد عامت وأرخت شعرها * فى لجة والموج فيه يلعب

(رجع) أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى بالديار المصرية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

الحمد لله كم أسمو بعزمى فى * نيل العلا وقضاء الله ينكسه
كأننى البدر يبغى الشرق والفلك الأ * على يعارض مسراه فيعكسه

قلت أخذه الشيخ تقى الدين من ناصح الدين الارجانى حيث قال

قال أبو وائلة قال نعم ان شئت سألتنى وان شئت سألتك فقال له غيلان تكلم قال ان شئت أخبرتك بخبر أهل الجنة والنار والملائكة والشيطان والعرب والعجم فقال غيلان أخبرنى بها قال قال أهل الجنة حين دخلوها الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقال أهل النار حين دخلوها ربنا غلبت علينا شقوتنا وقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقال الشيطان رب بما أغويتنى وقالت العرب

ولا يمنعنك الطير شيأ أردته
فقد خط بالاقلام ما كنت لاقيا

وقالت العجم هرجه بايد بان بود همان از بيش

* وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل رجلا من أهل الشام وأمره ان يجمع بين اياس والقاسم بن ربيعة ويولى القضاء أنفذهما فجمع بينهما فكان كل منهما يمتنع من الولاية فقال اياس للشامى سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن البصرى وابن سيرين فعلم القاسم أنه ان سأل عنهما أشارا به فقال للشامى لا تسأل عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا الافضل منى وأعلم بالقضاء فان كنت ممن

سعى اليكم فى الحقيقة والذى * تجدون عنكم فهو سعى الدهر بى
أنحو كم ويردعزمى القهقرى * دهرى فسيرى مثل سير الكوكب
فالقصد نحو المشرق الاقصى له * والسير رأى العين نحو المغرب

لكن الشيخ تقى الدين أتى بالمعنى كاملا فى بيت واحد والارجانى أتى بما يحتاج فيه الثالث الى الثانى فكان ذلك أكمل (قلت) لا بأس بايضاح هذا المعنى وذلك أن كل كوكب من الكواكب السيارة فى فلك يخصه وهو مرصع فى فلكه كالفص فى الخاتم والافلاك السبعة دائرة من المغرب الى المشرق بدليل أن الهلال يرى فى الليلة الاولى فى مكان وفى الثانية ينتقل الى مكان آخر آخذا الى جهة الشرق وفى الثالثة والرابعة كذلك الى آخر الشهر حتى يتكمل لفلكه الدورة وهو أن يعود الى النقطة التى كان عليها أولا وهذه الحركة للفلك لا للكوكب وهى الحركة الذاتية المختصة بكل فلك وهذه الافلاك السبعة وفلك البروج وهو فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع سمى الاطلس لانه لم يظهر للعين فيه شئ من الكواكب ولعل فيه كواكب لا ترى للبعد المفرط وهذا الفلك الاطلس يدور بما فى باطنه من الافلاك الثمانية فى كل يوم وليلة من المشرق الى المغرب دورة كاملة فحينئذ لكل فلك من الثمانية دورتان ذاتية وهى التى من المغرب الى المشرق وقسرية وهى التى من المشرق الى المغرب وقربوا تفهيم ذلك بنملة ماشية الى اليسار على رحى دائرة الى اليمين فللنملة فى هذه الحالة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك وتديرها الى غير جهة حركتها الذاتية فتعكس دورانها وهذه الحركة هى التى بها نرى الشمس كل يوم فى شروق وغروب والافلاك الشمس لا يدور الدورة الكاملة الا بعد مضى سنة شمسية وذكر ابن أبى جمرة فى مسئلة الرحمن على العرش استوى أنه يقال علا القوم زيد أى ارتفع ومعلوم أنه لم يستقر عليهم قاعدا وكما يقال علت الشمس فى كبد السماء أى ارتفعت وهى لم تستقر ويشهد لذلك قول جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله هل زالت الشمس فقال جبريل عليه السلام لا نعم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قلت لا ثم قلت نعم فقال بينما قلت لك لا ونعم جرت الشمس مسيرة خمسمائة عام وقد نص عز وجل على ذلك فى كتابه فقال والشمس تجرى لا مستقر لها على قراءة من قرأ بالنفى اه (قلت) الذى قرأ ذلك هو ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبى رباح وأبو جعفر محمد بن على وأبو عبد الله جعفر ابن محمد وعلى بن حسين نص على ذلك ابن جنى فى المحتسب وهذه الحركة التى ذكرها جبريل عليه السلام هى حركة الشمس القسرية لا الذاتية وهى حركة الفلك الاعظم قال الامام فخر الدين رحمه الله انه بقدر ما يرفع الفرس سنبكه من الارض ويضعه وهو فى أقوى جريه يتحرك الفلك الاطلس كذا كذا ألف ميل أو كما قال فسبحان الله العظيم ذى القدرة والجلال والعظمة لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون سبحان من أبدع هذا العالم وأوجده على غير مثال وقدر حركات الافلاك * يقال ان الامام فخر الدين كان يقول وهو على المنبر سبحان خالق تدوير فلك كرة المريخ قال العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم ابن ساعد الانصارى انما خص الامام تدوير فلك المريخ دون غيره من الافلاك لانه أعظم تداوير الافلاك حتى انه أعظم من الفلك الممثل للشمس الذى يحيط بالافلاك السفلية وفلك

يصدق فينبغى لك أن تصدق قولى وان كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني القضاء وأنا كذاب فقال اياس للشامى انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة يستغفر الله عز وجل منها وينجو من النار فقال الشامى أما اذ فطنت لها فانى أوليك فاستقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولى القضاء دخل عليه الحسن البصرى فبكى اياس وقال يا أبا سعيد بلغنى أن القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو فى النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو فى النار ورجل اجتهد فأصاب فهو فى الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى فى النبى داود ما يرد قول مولاى ثم قرأ قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحمد سليمان ولم يذم داود (وحكى) المدائنى قال أودع رجل آخر كيسا فيه دنانير وغاب مدة طويلة فلما طال الامر فتق الرجل الكيس وأخذ الدنانير ووضع عوضها دراهم والخيط والخاتم على حاله ثم قدم صاحب المال فطلب ماله فدفع له الكيس بخاتمه فلم يقبله وقال هذه دراهم ومالى دنانير فقال هذا كيسك وخاتمك فرفعه لابن هبيرة

القمر والعناصر والمولدات ويتفرع على ذلك أنه يكون حين مقارنته للشمس أبعد عنها مما يكون عند المقابلة وذلك أن الكواكب العلوية انما تقارن الشمس فى ذرى تداويرها وانما تقابلها فى الحضيضات فعلى هذا اذا قارن المريخ الشمس كان بينها وبينه قطر تدويره واذا قابلها كان بينه وبينها قطر ممثلها وقطر تدوير المريخ أعظم من قطر ممثل الشمس اهـ أقول اذا كانت الكواكب العلوية النيرة تعاكس فى السير فما عسى أن يكون حال من هو فى هذا العالم الارضى وهو عالم الكون والفساد (رأيت) فى بعض المجاميع لبعض المغاربة

لست وجيها لدى الهى * هذا مدى دهرى اعتقادى

لو كنت وجها لما برانى * فى عالم الكون والفساد

وقد خطر لى عند تعليق هذا الفصل ان أرد على الطغرائى فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت بحيث يكون ذلك نظما فى وزنه ورويه فقلت

تقول يعكس آمالى وأنت كما * علمت فى عالم فى التيرب مستفل

أما ترى الشمس تلقى عكس مقصدها * فى كل يوم ولولا ذاك لم تفل

وكنت نظمت قبل هذا

لا يعجب المرء لعكس المنى * ما فكره فى مثل ذا ناقع

فالانجم السبع العلا مانجت * من عكسها بالفلك التاسع

وليس عكس المقاصد عند الدهر مطردا بل هو مع الاذى جار وعلى نهج الردى سار فان تمنى الانسان شرا قربه وان تمنى خيرا قلبه قال أبو الطيب الذى جربه

وأحسب أنى لو هويت فراقكم * لفارقتكم والدهر أخبث صاحب

فياليت ما بينى وبين أحبتى * من البعد ما بينى وبين المصائب

يقال من نكد الوجود أن الانسان يرى فى منامه أنه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا أو ربما يرى أنه قد أحدث فاذا انتبه وجد ذلك يقينا قال الشاعر

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو أننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا فهو لابد واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

وقال الاحنف العكبرى

وأحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى

ولو أبصرت شرا فى منامى * لقيت الشر من قبل الأذان

وما أرق قول القائل

وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا

فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا

ثم انتبهت وآمالى تخيل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وقال ابن المعتز

فقال لاياس انظر بينهما فقال اياس منذ كم أودعك قال منذ عشرة أعوام فقال فضوا الخاتم ففضوه ونثروا الدراهم فوجدوا فيها ضرب خمس سنين وست سنين وأقل وأكثر فقال اياس قد أقررت انه عندك منذ عشر سنين وفى الكيس ضرب خمس سنين فاقر بالدنانير وألزمه اياها ونظر اياس يوما الى رجل لم يره قط فقال هذا غريب واسطى معلم صبيان هرب له غلام فوجدوا الامر كذلك فسئل عن ذلك فقال رايته يمشى ويلتفت فعلمت انه غريب وأبصرت على ثوبه حمرة تراب واسط فعلمت انه من أهلها ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ولا يسلم على الرجال فعلمت انه معلم ورأيته اذا مر بذى هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود ذى أسمال تأمله فعلمت انه يطلب آبقا * ووجده يوما الحكم بن أيوب عامل البلد فسبه وقال انك خارجى منافق فائتنى بكفيل فقال أنت أيها الامير تكفلنى ولا أعلم أحدا أعرف منك بى فقال وما علمى بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق فقال اياس ففيم الشهادة منذ اليوم * وتبصر الناس هلال شهر رمضان فلم يره أحد غير أنس بن مالك

أبصرته فى المنام معتـذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به انتـبهت عند الصباح لا كانا

وما ألطف قوله وان لم يكن من هذه المادة

ألم الخيال بلا جحده * وأبدانى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة * أتت بالحبيب على بعـده

وهذا يشبه قول الآخر

تركت هجاء ابليس ثم مدحته * وذلك لامر عزعنـدى سـلوكه
يقـرب من أهوى الى فان أبى * حكاه خيالا فى الـكرى فانيكه

وما أشبه هذا بقول أبى حفص الشطرنجى

قـل لمن شئت اننى بك مغرى * ثم دعـه يروضـه ابليس

أنشدنى لنفسه بالديار المصرية من لا أوثر ذكره هنا

لو أن طيفـك فى المنام أنيسى * ما بت أشكو وحشتى لجليسى
قـر أدار عـلى خمـرة ريقه * ولحاظـه وحديثـه المأنوس
ما عمدتى فى قربه وحضوره * ووفاقـه الا عـلى ابليس

ومارمى ابليس بحجر من بنى آدم أدمغ له من قول أبى نواس

عجبت من ابليس فى تيهـه * وخبث ما أضمـر فى نيتـه
تاه عـلى آدم فى سجـدة * وصار قـوادا لذريتـه

وهذا المعنى الذى تخيله فى غاية الحسـن وهو الذى فتح على ابليس هـذا الباب ودخله الناس أفواجا قال بعضهم

عـلام تتيه أبا مرة * ونزهى كبرا عـلى آدم
وانك فى الخزى من بعده * تقود عـلى جملة العالم

وأما على ذكر الخيال فما ولع به أحد ولوع البحترى ولا أبدع فيه مثل ابداعه حتى صار لاشتهاره بذلك مثلا يقال خيال البحترى فمن ذلك قوله

بلى وخيال من أثيـلة كلما * تأوهت من وجد تعرض يطمع
نرى مقلتى مالا ترى من لقائه * وتسمع أذنى رجع ماليس يسمع
ويكفيك من حق تخيـل باطل * ترد به نفس اللهيـف وترجـع

(وقوله أيضا)

اذا ما الـكرى أهدى الى خيـاله * شفى قربه التبريح أو نقع الصـدى
ولم أر مثلينـا ولا مثـل شاننا * نعـذب أيقاظا وننعم هجـدا

(وقوله أيضا)

قـد كان منى الوجـد غب تذكر * اذ كان منك الصـد غب تناسى
تجرى دموعى حين دمعك جامد * ويلين قلبى حين قلبك قاسى
ما قلت للطيف المسلم لا تعـد * نفسى ولا نهضت حامـل كاسى

وما أحسن قول أمين الدولة ابن التلميذ

وقد قارب المائة سـنة من العمر فشـهد عنـد اياس فقـال اياس أشر لنا الى موضعه فجعل يشير ولا يرونه فتأمـل اياس واذا بشعرة بيضاء من حاجب أنس قد انثنت وصارت على عينيه فمسحها اياس وسواها ثم قال يا أبا حمزة أرنا موضـع الهـلال فنظر فقال ما أرى شيأ * وقيل لاياس لو ما ان فيـك عيوبا دمامة الشـكل والاعجاب بما تقول والعجلة بالحكم فقـال أما الدمامـة فليس أمرها الى وأما الاعجاب بالقول أفليس يعجبـكم ما أقول قالوا نعم قال فانا أحق بالاعجاب بقولى وأما العجلة بالحكم فكم هذه ومد أصابع يده فقالوا خمس فقال أعجلتم بالجواب ولم تعدوها أصبعا أصبعا فقـالوا كيف نعـد ما نعلمه فقال وأنا كيف أؤخر حكما أعلمه * ودخل الى واسط فقال يوم قدمت بلد كم عرفت خيار كم من شرار كم من غير أن أكشـف عنهـم قالوا كيف قال معنا قوم خيـار ألفوا منكم قوما وقوم شرار ألفوا قوما فعلمت أن خيار كم من ألفـه خيارنا وكذلك شرار كم * وكان يقول عرفت الزكـن من أمى وكانت خراسانية وأهل بيتها يزكنون أى يتفـرسون ولاياس أخبـار كثيرة من

عاتبت اذلم يزر خيالك والنوم بشوقي اليك مسلوب
فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب

دخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزيني وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فاشفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان أعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص

وما درى ان نومي حيلة نصبت * لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

يقال اول من طرد الخيال طرفة بن العبد فانه قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

(وقلت أنا)

ياخجلة لجرير من * قول كفانا الله عاره
طرقتك صائدة القلو * ب وليس ذا وقت الزياره
هل كان يلقي ان أتا * ه خيال من يهوى خساره
أو كان قلب فدحوا * ه من حديد أو حجاره

وأين قول جرير وطرفة من قول الآخر يعنف من عتب على الخيال حيث قال

الطيف أعشق منك اذ * يأتي اليك وأنت راقد

وفضل التهامي الخيال على الحقيقة فقال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما أشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والندم

واعتذر كشاجم عن تأخر الخيال على لسان الحبيب فقال

لعد بخلت حتى بطيف مسلم * على وقالت رحمة للحبيبي
أخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك أن يلقاه طيف رقيبي

نقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر له

ان يكن ضحك في الطيف حديثي ومقالي
كيف لا اضحك مما * قص منه في الخيال

ومما قلته في الخيال

لم يرني الطيف اذ أتاني * لذوب جسمي بك انتحالا
وعنده ما دله أنني * باتك لا ارى خيالا

(وقلت أيضا)

هذا الباب مجموعة في كتاب يسمى زكى اياس * ومات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة وقال في العام الذي مات فيه رأيت في المنام كاني وأبي على فرسين جريا جميعا فلم اسبقه ولم يسبقني وكان أبوه ايضا قد مات وهو ابن ست وتسعين سنة

(وسحبان اعيا كلم بلسانك)

هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلي وائل باهلة خطيب مصقع يضرب به المثل في البيان أدرك الاسلام وأسلم ومات سنة أربع وخمسين (وحكى) الاصمعي قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ * وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوم من أودي فالوا وما تصنع بها وانت بحضرة امير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده فضحك معاوية وقال هاتوا عصا فجاؤا بها اليه فركلها برجله ولم يرضها وقال هاتوا عصاي فاتوا بها

ضممت خيالك لما أتى * وبلته قبلة المغرم
وقت ومن فرحتى باللقا * حلاوة ذاك اللمى فى فمى

ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله هذا على ان الطيف لا أعتداد عنه وان ركب الاهاول وقطع المراحل وتخطى الى أغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال وحل وأعين الشهب اليه حول روان ودنا وأطراف القسى دوان وكيف أعتد بزيارته والفكر يدنيه وأنا يقظان و يمثل ما لم يكن من قربه كما مثلت العين منه ما كان ويخليني منه ورب أحباب خلون به دونى ووجدنيه وأثارهن شوق لو طلبونى عنده ما وجدونى ذكرت بقوله والفكر يدنيه وأنا يقظان ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين أبو الثناء محمود

سرى والدجى شوق اليه وتذكار * خيال أضاءت من ضلوعى له نار
أموه بالتوهيم سر قدومه * اذا ما اسرارته شجون وأفكار

كتب شرف الدين بن عنين من اليمن الى أخيه

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة أعوزت من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

الثانى لابى العلاء المعرى وهذا مبالغة فى البعد بكون الخيال يعجز عن قطع مسافته ومن المعلوم ان الخيال يجتاب آفاق الارض فى طرفة عين يسئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فقال السائل فى الليلة الواحدة بل الساعة الواحدة يراه جماعة فى أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو

كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

البيت لابى الطيب وهو مأخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

وأخذ هذا من قول البحترى

عطاء كضوء الشمس عم فمغرب * يكون سواء فى سناها ومشرق

ومثل هذا السؤال ما سئل عنه أبو الفرج بن الجوزى قيل له يا امام قتل الحسين رضى الله عنه بكربلاء ويزيد فى دمشق فكيف ينسب قتله اليه فقال

سهم أصاب وراميه بذى سلم * من بالعراق لقد أبعدت مرماك

البيت للشريف الرضى وقد أخذه ابن سناء الملك فقال

رميت من مصر قلبا بالشآم فما * أمراك سهما الى أحشاء أمراك

وقد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وأمره بامر هل يلزمه العمل به أولا قالوا ان أمره بامر يوافق أمره يقظة ففيه خلاف وان أمره بما يخالف أمره يقظة فان قلنا ان من رآه صلى الله عليه وسلم على الوجه المنقول من صفته فرؤياه حق فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بارجحهما وما ثبت باليقظة أرجح فلا يلزمه العمل بامره فيما يخالف أمره يقظة اهـ

* أورد ابن الاثير فى المثل السائر قول بعضهم

وقد أشق الحجاب الصعب بادية * دونى وتأبى ولو جافيه ان طرفا
كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا اذا انطبقا

فاخذها ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر الى ان قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه وقد بقى عليه منه شئ فما زالت تلك حاله حتى اشار معاوية بيده فاشار اليه سحبان ان لا تقطع على كلامى فقال معاوية الصلاة قال هى أمامك ونحن فى صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية انت أخطب العرب فقال سحبان والعجم والجن والانس * ومما روى عنه فى بعض خطبه البليغة يقول ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار أيها الناس خذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان يخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم * ومن شعره يمدح طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعى

يا طلح اكرم من بها
حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطنى
وعلى مدحك فى المشاهد

فيقال ان طلحة قال له احتكم

ثم قال ورأيت ابن حمدون البغدادي صاحب التذكرة قد أورد هذين البيتين في كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لا يدخل الجفن وانما تخيله النفس قلت وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس يماثله عندي الا ما يحكى عن ملك الروم اذ أنشد عنده بيت المتنبي وهو

كأن العيس كانت فوق جفني ❊ مناخات فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسر له فقال ما سمعت بأكذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه الا يهلكه اهـ (قلت) القوة المخيلة لا يختص فعلها باليقظة دون النوم بل تفعل في النوم أقوى لانها لا تحتاج الى تحريك أعضاء البدن وانما تستعمل عين الروح النفساني المتكون في البطن المقدم من الدماغ وهو لا يكل بالاستعمال فلهذا القوة المخيلة قادرة على أفعالها في جميع الاحوال الا أنها لا تتصور الاشياء باختيارها لانها ليست قوة ارادية وانما في اليقظة كانت القوة الارادية تصرفها على حسب اختيارها فاذا أتى النوم أتى أمر آخر فاضطرها الى أفعالها وذلك الامر لا يخلو من أحد امور أربعة الاول ارتسام صور المحسوسات التي أدركتها الحواس في ذلك اليوم في الخيال فاذا نام الانسان تصرفت القوة المخيلة في رسوم الصور لقرب عهدها بها ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال وعكسه اتصال الخيال بالحس كالاحلام وكمن يرى انه يأكل شيئا في النوم فيستيقظ وطعمه في فمه والثاني أن تنظر القوة الفكرية في أمر من الامور مثل سفر أو ملاقاة صديق أو رجاء أو خوف واستخدم الخيال في احضار صورها وبقيت تلك الصور في النوم فتصرفت القوة فيها وفي معانيها ويسمى حديث النفس وعده بعضهم ضربا من الوسواس والثالث ان يتغير المزاج من الروح الذي هو محل القوة فتختلف أفعالها بحسب تغيره فان غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيران وما أشبه ذلك وهي طبيعة الصفراء وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما أشبه ذلك وهي طبيعة البلغم وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهي والحجامة والفصد وما أشبه ذلك وهي طبيعة الدم وان غلب على مزاجها البرودة اليابسة رأت المخاوف والظلمات والسواد وما أشبه ذلك وهي طبيعة السوداء وان غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والطفرة والعدو وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الثقل رأت الاحمال الثقيلة والانحصار والانضغاط وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها عفونة الاخلاط رأت الاماكن القذرة والرائحة المنتنة وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الاعتدال في الاخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وما أشبه ذلك (وعلى الجملة) فاذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المضطربة بغير نظام لان المزاج لا يثبت على حالة واحدة وهذه هي أضغاث الاحلام فما تعلق من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير وقل أن تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة في اليقظة كثيرا لما يحاولونه في معاني التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك (والرابع) ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيلة حال النوم بمثال تدركه النفس وعلم تعبير الرؤيا هو معرفة تطبيق ذلك المثال على ما قصد به وربما ألقاه صريحا بغير مثال فيستغني عن التأويل ويسمى رؤية المثل بالمثل (فمن ذلك) المرائي التي ذكرها جالينوس في كتاب حيلة البرء ومنامات الشيخ محيي

الدين

قال فرسك الورد وقصرك كذا فقال طلحة أف لك لو سألتني على قدري أعطيتك كل فرس لي وكل قصر ولكن أبيت الا باهليتك

(وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك)

هو عمرو بن سنان الاهتم بن سمي التميمي المنقري وانما لقب سنان بالاهتم لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب وعمرو من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام وهو بليغ القول طلق العبارة وكان يدعى المكحل لجماله وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزبرقان بن بدر فأسلما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمهما فسأل يوما عمرا عن الزبرقان بحضوره فقال مطاع في ناديه شديد العارضة في قومه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يا رسول الله انه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني فقال عمرو أما والله لئن علمت ما قد علمت فانه زمن المروءة أحمق الاب لئيم الخال ضيق العطن حديث الغنى فرأى تغير النبي صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله لا تغضب لما رضيت قلت أحسن ما علمت ولما غضبت قلت أقبح ما علمت فوالله

الدين بن عربى قدس سره التى ذكرها ضمن كتابه المسمى بالفتوحات المكية وناهيك به من كتاب وما أحسن قول القائل

له آمر بالرشد فى يقظاته * وفى النوم يهديه لخير الطرائق

فان قام لم يدأب بغير فضيلة * وان نام لم يحلم بغير الحقائق

وما أليق هذا بجناب النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان فى مبدا الامر قبل النبوة لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح واعلم أن القوة المخيلة لا تستقل بنفسها فى رؤية المنام بل تفتقر الى قوة الرؤية المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية فمن رأى كأن أسدا تخطى اليه وعطى ليفترسه فالقوة المفكرة تدرك ماهيه سبع ضار والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه والحافظة تدرك حركاته وحياته والمخيلة هى التى ارتسم فيها ذلك جميعه وتخيلته * واعلم أن المنامات التى تحتاج الى التعبير هى الرؤيا التى تكون من الله تعالى اما بشارة أو نذارة لطفا من الله تعالى لينبه الانسان على ما يحدث له فى المستقبل ولهذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يبق من الوحى الا الرؤيا الصادقة وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفسر ذلك القاضى عياض بأن قال ما معناه ان مدة ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعبد بغار حراء قبل النبوة تكون قدر جزء من ستة وأربعين جزأ من مدة النبوة وهى احدى وعشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة (قلت) قالوا أصح الاقوال أنه عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وأنه نبئ على رأس الاربعين سنة فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة وثبت أنه كان يوحى اليه مناما قبل البعثة بستة أشهر وهى نصف سنة فاذا نسبناستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزأ من ستة وأربعين وهو كما جاء فى أشهر الاقوال * واعلم أن السبب فى تأخير تحقيق المنامات السارة وسرعة تحقق المنامات الضارة هو أن القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارة بالخيرات الكائنة قبل أوانها بمدة طويلة لتكون مدة الفرح والسرور أطول فتكون النفس منبسطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها ومن الجهة الاخرى تظهر الانذار بالشرور الكائنة فى زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهم والغم وكثيرا ما لا يشعر بالهم ولا ينذر به اذا لم يكن للانسان منبه اشفاقا عليه لئلا ينضاف الى ذلك الشر الهم الحاصل من الشعور بحصوله وليس حصول الشر سريعا وحصول الخير بطيئا من القواعد المطردة قيل لجعفر الصادق رضى الله عنه كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبى صلى الله عليه وسلم كلبا أبقع يلغ فى دمه فكان شمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص وكان تأخير الرؤيا خمسين سنة وقال بعضهم تتأخر الرؤيا الى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تأويل رؤياه بعد عشرين سنة قال الرئيس أبو على بن سينا فى الشفاء فى كتاب الحيوان والصبى لا يحلم حلما يعتد به الى أربع سنين ومن الناس من لم يحلم الى أن يسن ومنهم من لم يحلم البتة ثم قال وفى أثناء الكتاب ويضحك الصبى بعد أربعين يوما وذلك أول ما تفعل النفس الناطقة فى بدنه ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لانه فى مثل ذلك الوقت بالتقريب تختلف عنده المحسوسات ويميز بينها وترتسم فى خياله وقال أيضا كل حيوان دموى مشاء فانه ينام ويستيقظ وكل ذى جفن فانه يطبقه عند النوم وقد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها اه ومن نوادر الخيال ما حكى أن بعضهم

ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الثانية فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا واختلف فى معنى الحديث ان من البيان لسحرا فقال قوم أريد به المدح فان البيان الفهم وانما سمى سحرا لحدة عمله وسرعة قبول القلب له والتعجب منه كما يتعجب من السحر وقد اتفق الناس على أن تصوير الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق من أعلى درجات البلاغة وقال قوم أريد به الذم لان السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق واحتجوا بقوله عليه السلام الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق والاول أصح وانما سمى البيان هنا نفاقا اذا كان من البذاء (وحكى) العتبى قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاراد أن يقرع بينهما فى الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الاحنف وهى من سقطاته

ثوى قدح عن قومه طول ما ثوى

فلما أتاهم قال قوموا فافخروا فقال عمرو انا كنا نحن وأنتم فى دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماء كم وسبينا نساءكم

كتب الى امرأة كان يهواها مرى خيالك أن يلم بى فكتبت اليه ابعث الى بدينارين حتى أجىء اليك بنفسى فى اليقظة ومثل هذا ما حكى ان بعض البخلاء كتب الى غلام يهواه وضعت على الثرى خدى لترضى فكتب اليه الغلام ابعث الى بدينار وحتى أدعك تضع خدك على خدى وقيل ان بعض المعلمين تعب فى تحصيل من كان يهواه مدة طويلة فلما حصل عنده وضع العاشق رأسه ونام فقال له لاى شئ تفعل هذا فقال من عشقى فيك أنام لعلى أرى خيالك فى المنام وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

فسر لى عابر مناما * فصل فى قوله واجمل
وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدنى لنفسه الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال الموصلى

كم قيل لى اذ دعيت شمسا * لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعى

وقال الشيخ تقى الدين السروجى

لى طلوع أنا به لى نزول * وطلوع بلا ارتفاع نزول
قيل لابد أن نزول سريعا * قلت أخشى أزول قبل نزول

وذكرت بما أوردته مما نقله ابن الاثير من البيتين اللذين أولهما وقد أشق الحجاب الصعب ما نقلته من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

نصبت جفونى للخيال حبائلا * لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا أغمضتهن أصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

وهو مأخوذ من قول ابن سناء الملك

سرى طيفه لا بل سرى بى سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
وما كان يدرى الطيف قبل طروقه * بان انفتاح الجفن منى حجابه

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

كفى حزنا أن لا أراقب لمحة * ولا أشهد اللذات الا تخيلا
ولا انثر الطيف خوف فراقه * لما ذقت من طعم التفرق أولا
وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(رجع) ذكرت بقول الطغرائى ويقنعنى من الغنيمة بعد الكد بالقفل ما انشدته أنا وهو

قنعت بالعود الى منزلى * وذاك دأب المرء فى خيبته
كالحجر الملقى الى صاعد * ليس له هم سوى عودته

اختلاف أهل النظر فى هذا الموضع فقال قوم ان السهم أو الحجر أو غيرهما اذا رمى به صعدا وتناهى صعوده كانت له فى آخر صعوده لبثة ما ثم ينصوب منحدرا وقال آخرون لا لبث هناك وانما أول وقت حدوره عقيب آخر صعوده قال ابن جنى وهذا القول أشبه بسياق هذا الكلام على قول أبى الطيب

وما أنا غير سهم فى هواء * يعود فلم يجد فيه امتساكا

والبوم فى دار الاسلام والفضل
فيها من حلم فغفر الله لنا ولك
فغلب يومئذ عمرو على الاحنف
ووقعت القرعة لآل الاهتم
فقال عمرو

ولما دعتنى للرياسة معشر
لدى مجلس أضحى به النجم باديا
شددت لها ازرى وقد كنت قبلها
لامثالها قدما أشد ازاريا

وتوفى فى سنة سبع وخمسين
*وكان يقول أشجع الناس من رد جهله بحلمه *وكان يقول أف للخمر وكان ممن حرمها فى الجاهلية وقال لو كان شئ يشترى ما كان شئ أنفس منه يعنى العقل فالعجب لمن يشترى الحمق بماله فيدخله فى رأسه فيقئ فى جيبه ويسلح فى ذيله
*ومن شعره وهو فى أعلى الطبقات قوله

ومستنبح بعد الهدو دعوته
وقد حان من سارى الشتاء طروق
يعالج عرنينا من الليل باردا
تلف رياح ثوبه وبروق
أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل
لاحرمه ان المكان مضيق
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
فهذا مبيت صالح وغبوق
وقمت الى البرك الهواجد فاتقت
مقاصيد كوم كالمجادل روق

(قلت) القول الاول ذهب اليه الرئيس أبو علي بن سينا لانه يقول اما ان يحصل بين الحركة الصاعدة والحركة الهابطة زمان أولا والثاني محال والالزم تتالي الآنات فيلزم من ذلك تركب الحركة الصاعدة والحركة الهابطة من أجزاء لا تتجزأ هذا خلف فتعين الاول فالجسم ساكن في ذلك الزمان هذا ملخص ما حكاه أثير الدين الابهري في كشف الحقائق ثم قال وفيه نظر لان الآن لا وجود له في الاعيان والاسكان في الحركة جزء لا يتجزأ فيكون في الجسم جزء لا يتجزأ وهو محال (قلت) هذا مبني على اثبات الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ وهي مسئلة عظيمة تدور عليها قواعد كثيرة في علم الكلام واثباته يشق على من ناظر الفيلسوف قال الذي منع ثبوته كل جزء تفرضه فان يمينه يتميز عن يساره ومتى كان كذلك قبل القسمة وقال المتكلمون لابد أن ينتهي القول الى اثبات جزء فاصل بين كل يمين ويسار فرضا في قسمة الاجزاء وهو المطلوب (مسئلة فرضية فيها اثبات الجوهر الفرد) وهي أختان اشترتا أمهما ثم أن أمهما وأجنبيا اشتريا أباهما يعني أبا الاختين فماتت احدى الاختين ولم تخلف الا أختا والاجنبي فلها النصف بالاخوة والباقي لمعتقي الاب وهما الام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو الربع للاختين لام ما معتقاها واحداهما ماتت فنصيبها وهو الثمن لمعتقي الاب وهما الام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو نصف الثمن للاختين وواحدة ميتة فنصيبها وهو ربع الثمن للام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو ثمن الثمن للاختين وهكذا الى ما لا نهاية له ويبقى شئ لا ينقسم على هذا النمط فتأمله يثبت لك الجوهر الفرد والله أعلم واحتال الفرضيون على قسمة هذا الميراث فقالوا نحن رأينا هذا الثمن الدائر ثلثاه للاجنبي وثلثه للبنت الموجودة اذ لها نصف بالاخوة وثمن بالجر وثلث الثمن الدائر أيضا عاقرناه وللاجنبي ربع وثلثا الدائر فيكون للبنت الثلثان فتجعل من ستة ثلاثة للبنت بالاخوة والباقي ثلاثة سهمان منها للاجنبي وسهم واحد للبنت بالولاء الذي انجر اليها من المعتق فيكون للبنت أربعة أسهم وللاجنبي سهمان والله أعلم وبالغ أبو اسحق النظام من المعتزلة في القول بعدم اثبات الجوهر الفرد وما أحلى قول ابن سناء الملك

ولو عاين النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد

(وقوله أيضا)

وقد حرر النظام جوهر ثغره * ألست تراه قد تقسم بالفلج

وما أحسن قول المعتضد بن عباد يضمن قول أبي الطيب

وما كنت بعد البين الا موطنا * لنفسي على أن لا يكون اياب
ولكنك الدنيا الي حبيبة * فما عنك لي الا اليك ذهاب

ومثل الاول قول ولده المعتمد

ما سرت قط الى القتا * ل فكان من أملي الرجوع
شيم الالى أنا منهم * والاصل تتبعه الفروع

والاصل فيه قول قيس بن الحطيم

فاني في الحرب الضروس موكل * بتقديم نفس لا أريد بقاءها

قال أبو دلامة كنت في عسكر مروان بن محمد أيام زحف الى طبرستان فخرج رجل منهم ينادي

بأدماء مرتاع النتاج كأنها
اذا عرضت دون العشار فنيق
فقام اليها الجازران فأعلوا
بطيران عنها الجلد وهي تفوق
بخير الينا ضرعها وسنامها
وأزهر يحبو للقيام عتيق
وبات لنا منها وللضيف موهنا
عشاء سمين آهن ووشيق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى
وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق
نمتني عروق من زرارة للعلا
ومن فدكي والاسد عز عروق
مضاريب يجعلن الفتى في أرومة
يفاع وبعض الوالدين رقيق
وقوله أيضا من أبيات
وذي لوثة منى الرقاد بعينه
بغام رخيم الصوت ألوث فاتر
فقلت له كش ثيابك وارتحل
والا يكابدك السرى والهواجر
اذا ما نجوم الليل صارت كأنها
هجائن يطلعن الفلاة صوادر
شآمية الا سهيلا كأنه
فنيق غدا من شوله وهو جافر
وقوله وهو أحسن ما للمتقدمين في هذا المعنى
تطارحني يوم جديد وليلة
هما أبليا جسمي وكل فتى بالي

البراز فما اخرج اليه أحدا الا أعجله فجعل مروان يندب الناس على خمسمائة درهم فقتل أصحاب الخمسمائة فندبهم على ألف ولم يزل الى خمسة آلاف فلما سمعت الخمسة آلاف اقتحمت الصف فلما نظر الخارجي الى برزوه ويقول

وخارج اخرجه حب الطمع * فرمن الموت وفي الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

قال فلما وقعت في أذني وليت هاربا ودخلت في غمار الناس وكان أبودلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه فدعا رجل الى البراز فقال أبو مسلم لابي دلامة اخرج اليه فقال

ألا لا تلمني ان هربت فانني * أخاف على فخارتي ان تحطما
فلو انني أبتاع في السوق مثلها * وجدك ما باليت أن أتقدما

ولما خرج أبودلامة مع روح المهلبي لقتال الشراة وأمره بالمبارزة قال

انى أعوذ بروح أن يقدمني * الى القتال فتخزى بي بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت أورثكم * ولم ارث أنا حب الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

وقال ابن أبي قيس

قامت تشجعني ضلا لابتضاليل * وللشجاعة قلب غير مجهول
هاتي شجاعا بغير القتل ميتته * أريك ألف جبان غير مقتول
لما رأيت سيوف القتل مصلتة * مني تحيرت في عرضي وفي طولي
الله سلمني منهم وخلصني * مصفر الوجه مخضوب السراويل
والله لوأن جبريلا تصمن لي * نفسي لما وثقت نفسي بجبريل

(قيل) ان بعض الجبناء ولى هاربا عند التقاء الصفين فقيل له ان الامير يغضب عليك لفرارك فقال غضبه علي وأنا حي خير لي من رضاه علي وأنا ميت

(وذى شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا وكل)

(اللغة) ذى بمعنى صاحب (الشطاط) بالفتح والكسر اعتدال القامة يقال جارية شاطة بينة الشطاط (الاعتقال) هو أن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه واعتقلت الشاة اذا وضعت رجليها بين فخذيك (هياب) رجل هيوبة وهيابة وهياب وهيبان بتشديد الياء أي جبان وكذلك الهيوب وفي الحديث الايمان هيوب أي صاحبه يهاب المعاصي (الوكل) رجل وكل بالتحريك ووكلة مثل همزة أي عاجز يكل أمره الى غيره ويتكل عليه وموكل مثل موحد وهو شاذ (الاعراب) الواو واو رب قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك رب حرف تقليل وتستعمل في التكثير كما قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر أقيال

وقال تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فرب هنا معناها التكثير كما جاء في كلامهم وهو كثير مثل رب ساع لقاعد ورب غافل ينتظره الموت اهـ ثم قال بدر الدين وتختص بالنكرات

اذا ما سلخت الشهر أهللت بعده * كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي

(وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك) بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس كما تقدم في ذكر جساس ومهلهل واستمرت أعواما كثيرة الى أن تفانى الحيان وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى أخواله ضجرا من الحرب وتطاول المدة ومال من بقي من القوم الى صلح بعضهم بعضا ورأسهم الحرث بن عمرو بن معاوية الكندي ملك كندة وهو جد امرئ القيس الشاعر في الصلح بينهم والتملك عليهم وقد كانوا قالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا وأكل القوي الضعيف والرأي أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوي ويرد المظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب فأجابوا الحرث ابن عمرو الى ما أراد فقدم عليهم وتلافى بقيتهم وأصلح أمرهم وشغلهم بغزو اللخميين من بني غسان ملوك الشام وكان الحرث ملكا جليلا رفيع الهمة ويسمى آكل المرار وانما سمي بذلك لان

بالنكرات نحو رب رجل لقيته قلت لان النكرة تدل على الشيوع فيجوز فيها التقليل لقبولها التقليل والتكثير واما المعرفة فمعلومة المقدار لا تحتمل تقليلا ولا تكثيرا اه ثم قال بدر الدين وقد تدخل في السعة على المضمر كما تدخل على المظهر مثل دخول الكاف في الضرورة كقول العجاج

خلى الزنابات شمالا كثبا * وام اوعال كها أو أقربا

الا ان الضمير بعد رب يلزم الافراد والتذكير والتفسير بتمييز بعده نحو ربه رجلا عرفته وربه امرأة لقيتها أنشد أحمد بن يحيى * وربه عطبا انقذت من عطبه * قلت قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس اختلف في الضمير العائد الى النكرة هل هو معرفة أو نكرة فان قلنا بان ضمير النكرة نكرة وبه قال السيرافي والزمخشري وجماعة فلا اشكال في دخول رب على الضمير وان قلنا بان ضمير النكرة معرفة وبه قال أكثر النحاة وهو الصحيح فانما جاز دخول رب على الضمير لانه لما أبهم من جهة تقديمه على المفسر ومن جهة وقوعه للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وشاع من جهة تفسيره بالنكرة صار فيه من الابهام والشيوع ما قارب به النكرة فجاز دخول رب عليه قال بدر الدين وتجري رب مع افادتها التقليل مجرى اللام المقوية للتعدية في دخولها على المفعول به وتختص بوجوب تصدرها ونعت مجرورها ومضي معداها وهو ما بعد النعت من فعل مفرغ [٣] ظاهر أو مقدر مثال الظاهر رب رجل كريم عرفت ومثال المقدر رب رجل عرفته أي عرفت وكذلك قولك رب رجل رأيت ورب رجل كريم رأيته (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس لابد للمخفوض بها أو بما ناب منابها من الصفة وفي هذه المسئلة خلاف وهو هل المجرور برب لازم الصفة أولا فمن الناس من قال بعدم اللزوم ومنهم من قال باللزوم كابي علي والزمخشري وابن عصفور ومن تبعهم واحتجوا لذلك بان الصفة في النكرة للتخصيص فهي تفيد الموصوف تقليلا فيوافق المعنى المقصود في ان رب للتقليل وقال الشيخ بهاء الدين أيضا انما جاز رب رجل وأخيه ولم يجز رب أخيه لان الثواني يجوز فيها ما لا يجوز في الاوائل بدليل قولهم كل شاة وسخلتها بدرهم ومررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ولو قلت كل سخلتها ومررت برجل لا قاعدين أبواه لم يجز وانما جاز في الثواني ما لم يجز في الاوائل من قبل انه اذا كان ثانيا يكون ما قبله قد وفى الموضع حقه فيما يقتضيه فجاز التوسع في ثاني الامر بخلاف ما لو أتينا بالتوسع في اول الامر فانا حينئذ لا نعطي الموضع شيأ مما يستحقه هذا اذا لم نقل ان المضاف الى ضمير النكرة نكرة فان قلنا انه نكرة كان الجواز أسوغ قال ولا يكون العامل فيها الا بمعنى المضي كقولك رب رجل جواد لقيته أو أنا لاق أو هو ملاق ولا تقول رب رجل جواد سألقى أو لالقين لان التقليل في الماضي شائع ولا كذلك في المستقبل لانه لم يعلم فيتحقق تقليله قال وتلزم ابدا الصدر لشبهها بحرف النفي من جهة مقاربة التقليل للنفي لان النفي اعدام الشئ وتقليله تقريب من اعدامه ولان العرب استعملوا التقليل في موضع النفي قال الشاعر

قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون

معناه ما يبرح المطيع هواه كلفا قال وتدخل عليها ما فتكون ما حينئذ كافة ويسميها بعضهم مهيئة لانها هيأت رب للدخول على الفعل الذي لم تكن تدخل عليه (قلت) وتحذف رب ويبقى عملها وهو بعد الفاء وبل قليل وبعد الواو كثير فمن حذفها بعد الفاء قول امرئ القيس

زياد بن الهبولة أحد ملوك الشام غزا أرضه والقوم خلوف بالبحرين فاصاب سبيا وغنائم وسبى هند بنت ظالم زوجة الحرث بن عمرو فبلغ الحرث الخبر فخرج للقاء ابن الهبولة وأرسل سدوس ابن شيبان وخليع بن وهب يتحسسان له الخبر في عسكر ابن الهبولة فخرجا حتى هجما على العسكر ليلا وقد أمن الطلب وقسم النهب وأخذ الرباع وأوقد نارا عظيمة ونادى مناديه من جاء بحزمة حطب فله قدره من تمر فاخذ كل منهما حزمة من الحطب وألقاها عند النار وأخذا التمر فاما خليع فقال يكفي هذه آية وانصرف وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بامر جلي فلما دخل ابن الهبولة قبته قرب سدوس منها بحيث يسمع كلامه وأقبل ناس يحرسون القبة فضرب سدوس يده الى جليس له مخافة أن يستنكره فقال من أنت فقال فلان ودنا ابن الهبولة من هند امرأة الحرث فقبلها وداعبها وقال ما ظنك الآن بالحرث قالت ما هو الظن بل هو اليقين انه ان يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر يعني الشام وكاني أنظر اليه في فوارس من شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب كانه بعير

[٣] قوله من فعل مفرغ الى آخر العبارة هكذا بالاصل وليحرر اه

* فذلك حبلى قد طرقت ومرضع * ومن حذفها بعد بل قول رؤبة بن العجاج

* بل بلد مثل الفجاج قتمه * وحذفها بعد الواو كثير لا يحتاج الى شاهد واما حذفها مع عدم الواو والفاء وبل فنادر كقول الشاعر

رسم دار وقفت فى طلله * كدت أقضى الحياة من جلله

وفى رب تسع لغات رب ورب ورب وربت وربت وربت ورب ورب ورب (رجع) ذى أصله ذوو وأعاجر بالياء لانه أحد الاسماء الستة المعتلة المضافة التى تعرب بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء جرا وذو هذه أطلق المتقدمون لفظها فى هذه الاسماء الستة ولم يحترزوا من ذو التى بمعنى الذى فى لغة طيئ فانها مبنية لادخول للاعراب فيها وهذا أورده على الشيخ جمال الدين بن الحاجب فى قوله وذو مال فى مقدمته قالوا كان ينبغى ان يقول وذو التى بمعنى صاحب احترازا من ذو الطائية كقول الحماسى

فان الماء ماء أبى وجدى * وبئرى ذو حفرت وذو طويت

يريد الذى حفرت والذى طويت وكما قال أبو زيد الطائى فى صفة الاسد لعثمان رضى الله عنه ولا وذو بيته فى السماء ولذلك قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك

من ذلك ذو ان صحبة أبانا * وأجيب عن جمال الدين بن الحاجب بانه قال وذو مال فاستغنى بالمثال عن الاحتراز لانها فى المثال بمعنى صاحب فتعين ان لفظة ذى فى بيت الطغرائى بمعنى صاحب وهى مجرورة برب مضمرة وعلامة جرها الياء (شطاط) مضاف الى ذى وسيأتى الكلام على الاضافة فيما بعد (كصدر) الكاف بمعنى مثل وهى فى موضع جر لانها صفة لذى المجرورة برب وصدر مجرور بالاضافة (الرمح) مجرور بالاضافة الى صدر (معتقل) مجرور على انه صفة بعد صفة لذى (بمثله) جار ومجرور والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى ترجع الى الرمح والجار والمجرور فى موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كأنه قال معتقل مثله (غير هياب) غير مجرور على انها صفة لمعتقل (فان قلت)٣ معتقل نكرة وغير هياب معرفة فكيف توصف النكرة بالمعرفة (قلت) غير لا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين كما تقول عجبت من قيامك غير قعودك أو عجبت من الحركة غير السكون وهياب لم يضاده معتقل فغير نكرة هنا مع وجود الاضافة ومن خواص غير أن لا تدخلها الالف واللام (ولا وكل) الواو عاطفة ولا حرف نفى وغير للنفى فعطفت النفى على النفى ووكل مجرور بالعطف على هياب (المعنى) وصاحب قامة معتدلة مثل صدر الرمح معتقل برمح غير جبان ولا عاجز أخذ يصف صاحبه ويعدد ماهو عليه من كمال الخلق والخلق والصفات التى تطلب من رفاق السفر فى الليل من الشجاعة والاقدام وغير ذلك فقد التفت الى هذا فاقتضب مما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه فى بغداد وغربته وفقره وعدم أصحابه وعكس مقاصده ووصف هذا الرفيق والالتفات عادة البلغاء فينتقلون من فن الى فن ومن أسلوب الى أسلوب على عادة العرب فى كلامهم وأرى الاقتضاب نوعا من الالتفات كقول أبى نواس فى قصيدته النونية بيناهو يصف الخمر ويقول من ذلك

ما استقرت فى فؤادفتى * فدرى مالوعة الحزن

اذ اقتضب ذلك وقال بعده

أكل مرارا فسمى آكل المرار والمرار نبت فيه مرارة اذا أكلت منه الابل قلصت مشافرها وقيل بل سمعها سدوس يعنى هند اتقول لابن الهبولة وقد سألها عن حبها الحرث فقالت والله ما أبغضت نسمة قط بغضى له ومارأيت أحزم منه نائما ومستيقظا وكان اذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عسا من لبن فبينماهو نائم يوما وأنا قريب أنظر اليه اذ أقبل ساع الى العس فشرب منه ثم مج فيه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال على بالاناء فناولته اياه فشمه ثم ألقاه فهريق ثم قال أين ذهب الاسود فقلت مارأيته فقال كذبت فلما سمع سدوس هذه المقالة أمهل حتى نام الحرس وخرج يسرى ليلته حتى صبح الحرث فدخل عليه وهو ينشد

أتاك المرجفون برجم ظن
على دهش وجئتك باليقين

ثم قص عليه ما سمع وكان الحرث جالسا فى موضع فيه شئ كثير من نبت المرار فجعل يسمع الحديث ويعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا وهو لا يعلم انه يأكله

٣ (قوله فان قلت الخ) فى هذا نظر ظاهر فليتأمل اه

نضحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن

وكذلك الطغرائي بيناه وفي ذكر حاله وما هو عليه من شكوى الزمان اذا اقتضب ذلك وأخذ في وصف الصاحب الذي ذكره فهذا التفات من نوع الى نوع وقول ابن الأثير في المعاني المبتدعة وتغلطه الناس في الالتفات ومشاحة من أدخل في الالتفات ما ليس من شرطه وهو ان الالتفات الرجوع من الخطاب الى الغيبة أو بالعكس تحكم منه وانما الالتفات هو الخروج من نوع الى نوع وسلوك سبيل بعد سبيل حتى ان التخلصات هي نوع من الالتفات ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك وبين المدح وأرباب البلاغة يسمون الالتفات شجاعة العربية وهو ينقسم ثلاثة أقسام الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب وبالعكس فالاول كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الآيات ثم قال اياك نعبد واياك نستعين انتقل من الغيبة الى الخطاب والثاني كقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم انتقل من الخطاب الى الغيبة (وأقول) انما عدل في الاول من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة الا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده فكأن القارئ توسل الى الاعلى بالادنى والى الخطاب بالغيبة على سبيل التدريج الى الغاية ولم يخاطب الله من أول وهلة

قدم يدا من قبل أن تدني يدا * ومبرة من قبل ان تدني هوا

فكأنه أثنى أولا ثم خاطبه ثانيا وفي الثاني انما عدل عن الخطاب الى الغيبة لان المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية ورحمة من الله تعالى فلو قال غير الذين غضبت عليهم لكان قد نسب الغضب اليه تعالى وكان بمنزلة من يقول أنت تنعم وتنتقم وتعفو وتؤاخذ وفي هذا من المواجهة لمن يطلب احسانه ورحمته وهدايته ما فيه لانك تذكره بما له عليك أما اذا قلت أنت المنعم الذي لا يغضب والعفو الذي لا يؤاخذ كنت قد أتيت بما زاده عطفا عليك وأغراه بالعفو عنك وما أحسن قول القائل

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتني * والله يعلم أنني مظلوم

والثاني من أقسام الالتفات الرجوع عن الفعل المستقبل الى الامر وعن الماضي الى الامر فالاول كقوله تعالى ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني انتقل من الاستقبال الى الامر والثاني كقوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين أقول انما عدل في الآية الاولى عن المستقبل الى الامر لئلا يساوي بين شهادة الله تعالى وشهادتهم فلم يقل أشهد الله وأشهدكم وانما عدل في الآية الثانية عن الماضي الى الامر لان لفظ الامر فيه العناية بما أمر به فاذا قلت أمرتك بالقيام وصل لله تعالى كان أبلغ من قولك أمرتك بالقيام والصلاة والثالث الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وبالعكس فالاول كقوله تعالى الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا الآية انتقل من المضي الى الاستقبال والثاني كقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم وقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات الآية انتقل من الاستقبال الى المضي وأقول انما عدل في الاول عن الماضي الى

من شدة الغيظ الى أن فرغ الحديث ووجد طعمه نسي آكل المرار ثم لحق ابن الهبولة فقاتله وظفر عليه ولم يزل ملكا على بني وائل الى أن مات ومن شعره يقول

رب شهم جشمته في هواكم
وبعير تركته محسور
وغلام كلفته دلج الليـ
ـل فاضحى كأنه مخمور
ان من غره النساء بشيء
بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان وسن
كل شيء يجن منها الضمير
كل أنثى وان بدا لك منها
آية الحب حبها خيتعور

(والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك)

(الحمالات) جمع حمالة وهو ما يتحمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة وأصل الحرب بين بني عبس وذبيان أن قيس بن زهير المقدم ذكره كان قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول وورد بها الى قومه فرآها عليه الربيع بن زياد وكان سيد بني عبس فأخذها منه غصبا فانتقل عنه قيس بن زهير بأهله وماله ونزل على بني ذبيان وسيدهم حمل بن بدر بن حصين وأخوه حذيفة فأكرموه وأحسنوا جواره وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس وانما سمي

الاستقبال طلبا لاستحضار حال تلك الصورة البديعة فان المستقبل فى الانتظار والتوقع فيطلب بذلك التهيؤ والتطلع لوقوع الحال بخلاف الماضى فانه أمر فرغ منه وليس للنفوس اليه تطلع وفى الثانى انما عدل عن الاستقبال الى الماضى لان الماضى أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه ولما كان الحشر وفزع أهل السموات والارض أمرا مطلوبا ثبوته وتحققه أخبر عنه بالماضى الذى وقع وجزم القول به بخلاف الاستقبال فانه أمر مظنون يحتمل وقوعه وعدمه فانظر الى ما أعطى الالتفات فى هذه المواضع من المعانى وأفادها من الحكم فتبارك الله الذى أنزل القرآن وجعله معجزا نأت غايته عن البشر وبعدت مرامى معانيه وحكمه عن المعارضة والاتيان بمثله أو بسورة منه تنزيل من حكيم حميد * قال الزمخشرى والالتفات من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وطلب للاصغاء اليه قلت ألا ترى أن الطغرائى لما أخذ فى وصف حاله وما هو فيه من النكد وضيق الحال كأنه أطال على المخاطب فى ذلك وأحس منه بالملل فالتفت الى وصف هذا الصاحب الذى رافقه فأنشأ للسامع معنى غير الاول بعث له نشاطا جديدا واستأنف له اصغاء آخر وجدد له تطلعا يتشوف معه الى الوقوف على هذا الخبر الثانى وهذا غير خاف وصدر بيت الطغرائى هو بعينه صدر بيت الحريرى فى مقامته الرابعة والاربعين من قصيدته البائية لانه قال

وذى شطاط كصدر الرمح قامته * صادفته بعى يشكو من الجدب

ومثل هذا لا يعد سرقة لان المعنى ليس ببديع ولا لفظه بقطيع ولا الطغرائى بعاجز عن الاتيان بمثله بل جرى على لسانه ونسى أن هذا لغيره لعدم الاحتفال بأمره اذ هو ليس بأمر كبير وهذا كثير الوقوع للناس لا يكاد يسلم الفحول منه ولهذا قال أشياخ الادب ما حفظ المقامات أحد ونسيها الا نظم ونثر وقوله كصدر الرمح معتقل بمثله من الايجاز والاختصار لانه استغنى بمثله عن ان يقول برمح طويل قويم معتدل وما أحسن المثل المشهور يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق وقال البحترى

والشعر لمح كفت اشارته * وليس بالهذر طولت خطبه

وأحسن ما ورد فى الايجاز قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين وقد تكلم أرباب البلاغة فى هذه الآية وأكثروا قال ابن أبى الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من المحاسن وذكرها ثم فسر ذلك وشرحه والكلام عليها يطول ههنا وهذه الآية مشهورة بين أرباب البلاغة بالابداع وأعظم ما فيها شرح شأن نوح عليه السلام فى الطوفان من أوله الى آخره فى هذه الالفاظ القلائل ومن جملة اعجاز القرآن ايجازه وهو مشحون بذلك ومثل قول الطغرائى بمثله فى كلام الشعراء كثير كقول أبى تمام الطائى

وركب كأطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

فاستغنى بقوله على مثلها عن أن يقول على نوق كأطراف الاسنة وما أحلى قول ابن الساعاتى

بالقوى وقد أقام فريق * ليلة النصف واستقل فريق
كل قد ومثله لكن الذا * بل قد والناضر الممشوق

وقات

داحسا لانه كان لرجل من بنى يربوع يقال له قرواش وكان له فرس تسمى جلوى ولرجل منهم يقال له حوط فرس يقال له ذو العقال وكان لا يطرقه شيأ وانهم توجهوا فى نجعة والفعل مع ابنتين لحوط يقودانه فمرت به جلوى وديقا فلما استنشاها ودى فضحك شباب منهم فاستحيت الفتاتان فأرسلتا مقوده فوثب على جلوى ثم جاء حوط وكان سيئ الخلق فرأى عين فرسه فقال ثار والله فأخبر بالخبر فنادى بنى يربوع فاجتمعوا فقالوا والله ما كرهناه قال أريد ماء فرسى فقالوا دونك فأوثقها حوط ثم جعل فى يده ترابا وسطا عليها فادخل يده فى فرجها وأخرجها فاشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسماه داحسا لسطو حوط عليه ودحسه اليد اليها وخرج داحس كأنه أبوه * ثم ان قيس بن زهير أغار على بنى يربوع فغنم وسبى وركب داحسا فتيان من بنى دريم فنجوا وقطعا الخيل فلما رآه قيس أعجب به فدعا الى أن يجعل فداء السبى ففعلوا وصار لقيس فتراهن رجلان من بنى ذبيان عليه وعلى فرس لحذيفة تسمى الغبراء أيهما

وقلت أنا في هذا النوع

يا لقومي من سطوة الترك سلوا * بيض أجفانهم لحز النحور
كل لحظ ومثله لكن النصـ * ـر تراه في الحرب للمكسور

وقلت أيضا

رب يوم تقابل الورد فيه * بين روض وبين خد تضرج
كل شيء ومثله لكن الأحـ * ـسن ما كان بالعذار مسيج

وقلت أيضا

يقابل بدر التم منه بطلعة * هي البدر لكن حسنها منه أشهر
وفي خده ورد وفي الروض مثله * ولكن ما تحت النواظر أنضر

وقريب من هذه المادة أعني قول الطغرائي وغيره قول أبي العتاهية فيما أظن

حلقت لحية موسى باسمه * وبهرون اذا ما قلبا

قوله باسمه أوقع في النفس من ان يقول حلقت لحية موسى بموسى لان خفاء التنديد أحسن من وضوحه وعلى ذكر موسى فما أحلى قول مجد الدين بن الظاهر الاربلي في القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان وولده موسى

وكيف يؤتى رشده حاكم * حكم في لحيته موسى

كتب الشيخ جمال الدين الموقاني الى جمال الدين موسى بن يغمور وقد أهدى له موسى

وأهديت موسى نحو موسى وان يكن * قد اشتركا في الاسم ما أخطأ العبد
فهذا له حد ولا فضل عنده * وهذا له فضل وليس له حد

وقد اختلس قول أبي العتاهية المتقدم أبو الحسن علي بن عبد الغني الضرير الحصري وهو ابن أخت أبي اسحق ابراهيم صاحب زهر الآداب فقال

يا حرفة الشعراء انك منهم * حيث ابتغوا رزقا لبالمرصاد
لو حل بالوادي المقدس ركبهم * لشفاء غلتهم لجف الوادي
ولو ابتغوا حلق الرؤس بمكة * حضر الرشيد بها وغاب الهادي

يريد اسم الرشيد وهو هرون واسم أخيه الهادي وهو موسى ومثل هذا قول أبي بكر محمد بن عمار وقد دخل حماما بحصن شقورة فالتمس نورة يطلي بها عورته فلم يجد فاستعمل الموسى بدلا منها فقال

شقورة شر دار * وشرها زاد بوسا
عدمت هرون فيها * فظلت أطلب موسى

وقول ابن عمار والحصري فيه شيء يؤاخذان به وهو انما أراد بهرون قلب حروفه ليعود نورة وليس في اللفظين ما يدل على القلب وان كان يمكن التأويل للحصري بانه ما أراد الا غيبة موسى الهادي وحضور الرشيد هرون لا غير ولكن المتبادر الى الذهن ذلك فعلى كل حال قول أبي العتاهية أكمل وقلت أنا ملغزا في الموسى

وماشي له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس يصبح تحت حلقه

السابق على عشر قلائص وقد قيل ان داحسا والغبراء فرسا قيس والخطار والحنفاء فرسا حذيفة وانهم أجروا الجميع وقيل تراهنا على فرسي قيس أيهما اسبق وللرواة في ذكر هذا السباق أخبار مختلفة مطولة جدا تشتمل على أمثال وأشعار اختصرتها لكثرة ما فيها من الموضوعات ثم ان الرجلين أخبرا حذيفة بن بدر بالرهان على فرسه وفرس قيس فرضي به وأرضاه فاتيا قيسا فقالا انا راهنا على فرسك فقال راهنا من شئتما وجنبا بني بدر فانهم قوم يظلمون فقالا قد أوجبنا الرهان مع حذيفة فقال والله ليشتعلن علينا شرا ثم جاء قيس الى حذيفة فقال انما جئتك لاواضعك الرهان عن صاحبي فقال لا والله حتى تاتي بالعشر قلائص فأحفظ ذلك قيسا فغضب وتزايدا حتى بلغا مائة قلوص ووضعا الرهان على يد رجل من بني ثعلبة وجعلا الغاية مائة غلوة ثم قادا الفرسين الى الغاية وركبهما فتيان منهما وكان حمل بن بدر قد جعل شعبا ثالا ووضعه في شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين وأكمن فيه فتيانا وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

رأيت في حلق غزالا * تحار في حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى * قلت هذا تحالق الذقون

وهذا النوع يسميه أرباب البديع القول بالموجب وهو ان يقع في كلام المتكلم شيء يعني به نفسه فيثبته المتكلم لغيره من غير تصريح بثبوته له ولا بنفيه وقد جاء في القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل الآية فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن المؤمنين فأثبت الله عز وجل صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج بصفة العزة ولا لنفيه وهذا نوع عزيز الوقوع لا يطيع من يرومه لتوعر مسالكه ولا باس بايراد ما حضرني منه قرأت على الشيخ الامام الكاتب أبي الثناء محمود كتابه الذي وسمه بحسن التوسل الى صناعة الترسل وأورد فيه لنفسه قوله

رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ثم قال ومن أحسن ما سمعت فيه قول محاسن الشواء

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للعمى فارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

قلت ومن هنا أخذ ناصر الدين بن النقيب قوله

ومابي سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

وأصل هذا المعنى قول الاول

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانس

وأورد في حسن التوسل قول الارجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

قلت أخذه ابن نقادة أخذا قبيحا واستحق به اللوم صريحا لانه قال

غالطتني حين حاكى خصرها * جسمي المرض وجدا وغراما
ثم قالت أنت عندي ناظري * ولعمري صدقت لكن سقاما

وأخذه آخر فقال

شكوت صبابتي يوما اليها * وما قاسيت من ألم الغرام
فقالت أنت عندي مثل عيني * لقد صدقت ولكن في السقام

وأورد في حسن التوسل قول القائل

قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلي بالايادي

وجهه الى أن تسبقه الغبراء فسبق داحس فأشار اليه من كان في الشعب فردوا وجهه وجاءت الغبراء وعلم قيس والذي على يده الرهان بذلك فقال قيس لحذيفة أعطى سبقي وقال الذي على يده الرهان يا حذيفة أعطوه سبقه فقد سبق داحس فاعطاه السبق ثم ان جماعة من قوم حذيفة ندموه على دفعه السبق الى قيس ونهاه آخرون عن الشر وقالوا ان قيسا لم يسبق الى كرمه وانما سبق دابة دابة فابى وبعث ابنه ندبة بن حذيفة الى قيس يطلب منه السبق فقال هذا سبقي فكيف أعطيكم اياه فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ له وكان الى جانب قيس رمح فطعنه فدق صلبه واجتمع الحيان وأدوا دية المقتول وأخذها حذيفة دفعا للشر ثم ان قومه ندموه فعاد الشر بينهم فتحمل قيس عن معه من قومه ورحل وجمع الفرسان وقامت الفتن بين الحيين الى أن قتل مالك بن زهير أخو قيس وكان الربيع ابن زياد عمهما معتزل الحرب فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان وأنشد

قلت طولت قال لابل تطولـ ـت وأبرمت قال حبل ودادي

انتهى ما أورده في الكتاب المذكور وما ألطف قول صدر الدين بن الوكيل

وبي من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي

أقـــر برق اذ أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدي

ونقلت من خط السراج الوراق له

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي * لهموم نفس ليت لا جلتها

قـد كان عندك يا فلان صريعة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

ونقلت منه له

وسائـل يسأل مني وقـد * أنشدت شعرا يشبه الشعرى

يقول لي اذ كنت لدى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا

ما حصـلت دائرة بينهم * قلت نعم بطيخة خضرا

ونقلت منه له

متمارض جعل التغا * شي من خباثته سبب

ويقول ما أنا طيب * صدق اللعين وما كذب

ونقلت منه له

لقنته العذر عن تر * ك حاجتي لو تصور

فقلت أنسيتها والنسيان أمر مقـــدر

فقال لست بناس * فقلت مولاي أخبر

ونقلت منه له

أطعموا العلقة شحا * ذقنـه كالثلج بيضا

ثم قالوا خـذ دواء * يستغيض الداء غيضا

يحلق السوداء حلقا * قلت والبيضاء أيضا

ونقلت منه له

قلت صدقي فيك مدحي * وثناء فاض فيضا

قال ما صدقت عمري * لا ولا صليت أيضا

ونقلت منه له

لقنته الاعـذار عن * وعـد ثناه عنـه افك

وصرفت للنسيان دا * ك وقلت لم يك منك ترك

فأجاب بل أنا غيرنا * س قلت ما في ذاك شك

ونقلت منه له

كانت لابني بنات أربع * والتي جاءت تمام الخامسه

قلت قد سميتها رابعة * قال اياك وأخرى طارمه

ونقلت منه له

وقائـل قال لي لما رأى قلقي * اطول وعـد آمال تعنينا

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه * بالصبح قبل تبلج الاسحار

أفبعد مقتل مالك بن زهير * يرجو النساء عواقب الاطهار

يعني انه أخذ ثار مالك فندبته النساء وكذلك عادة العرب لا تندب القتيل حتى يؤخذ ثاره ولبعض الادباء اعتراض في قوله بالصبح قبل تبلج الاسحار فان الصبح لا يكون الا بعد تبلج الاسحار وأجيب بأقوال منها ان الصبح هنا الحق الواضح من وصف القتيل الذي هو كالصبح كأن النساء ندبنه بخلاله الحسان الواضحة والبيت الثالث ٣ يستشهد به العروضيون على دخول الحذف في عروض الطويل كما يدخل في ضربه وهو زوال السبب من

٣ قوله يستشهد به العروضيون الخ فيه أن البيت المذكور من الكامل لا من الطويل فلم يصادف الاستشهاد به على ما ذكره محلا لان أواخر تفاعيل الكامل أوتاد لا أسباب كما لا يخفى هذا ولم يتعرض أبو الفداء في تاريخه لهذا البيت الثالث فليحرر اه مصححه الاول

عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخربنا

ونقلت منه له

قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم وادأب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لى سببا * قالت ولا وتدا وهذى الفاصله

وقال ابن سناء الملك

لهفى على عشاقك الطرش * العمى فى عشقك لا العمش
عاشقك القش ولا غرو أن * تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا * مالا يرى قلت على الفرش

ونقلت من خط الشيخ محمد التلمسانى

اسم حبيبى وما يعانى * قد شغلا خاطرى وبلى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوانى فقلت قلبى

وقال الانور الاسعردى

سألت الوزير أتهوى النسا * أم المردجار واعلى مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى * كذا وكذا قلت من زوجتك

وقال أيضا عند ما عمى فى آخر عمره

سألت الله يختم لى بخير * فعجل لى ولكن فى عيونى

وقال أيضا فى مملوك باعه

سمحت ببيع المملوك يمانعنى * ولو أراد رضائى ما تعدانى
قالوا أينسب للغلان قلت لهم * ما كنت بائعه لو كان علانى

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبه عاتبى
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى شمس الدين محمد بن الصائغ

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ما أطنبوا
ما آن بالعارض أن تنتهى * قلت ولا بالشيب لا تتعبوا

وقلت أيضا

وصاحب لما أتاه الغنى * تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منعيدا * تشكرها قلت ولا راحه

وقلت أنا

ولقد أتيت لصاحب وسألته * فى قرض دينار لأمر كانا
فأجابنى والله دارى ما حوت * عينا فقلت له ولا انسانا

وقلت أيضا

يقولون لما زارنا وانثنى * وقد أخجل الغصن والجؤذرا
أتشتاق من طرفه أبيضا * فقلت ومن قده أسمرا

وقلت

مفاعلان المقبوضة وهو قليل ولا يستعمل * ثم توالت أيام الحروب بينهم وكان أعظمها يوم الهباءة كما تقدم وسئم قيس من القتال فذهب الى أخواله كما ذكر فى ترجمته وكان الربيع قد مات وأكل بعض القوم بعضا فقام فى الصلح الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان وحملا الحمالات واجتهدا فى اصلاح ذات البين وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى الشاعر

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وكانت اليد الطولى للحرث ابن عوف أولا وآخرا والسبب فى ذلك أن الحرث قال يوما لخارجة بن سنان أترانى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن ذلك قال أوس بن حارثة بن لام الطائى فقال الحرث لغلامه ارحل فركبنا حتى لقينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث ابن عوف قال مرحبا بك ياحرث قال وبك قال وما حاجتك قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس الى امرأته مغضبا وكانت من عبس فقالت من الرجل الذى وقف عليك فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف

وقلت أيضا

يقول لي العذال لما عشقته * وبعض جواب الصب فيه لطائف
أيسبيك منه يا أخا الوجد ناظر * مهند ماض فقلت وسالف

وقلت أيضا

قد سالت النسيم وهو خبير * بسؤالي اذ غاب وجهك عني
قلت قل لي هل ورد خديه غض * قال قد ضاع نشره قلت مني

وقلت أيضا

بدا في الخد عارضه فاضحى * عليه معنفي باللوم يغرى
وحاول أن يرى مني سلوا * فقال لقد تعذر قلت صبري

وقلت أيضا

سالت نسيم أرضك حين وافى * فقلت صف القوام ولا تحاشي
فقال يلين قلت لكل صد * وقال يميل قلت لكل واشي

وقلت أيضا

صدق خلي نسمات الصبا * فيما روت عنك وما شكا
وقال لا أخبر منها بما * جاءت به قلت ولا أذكى

وقلت أيضا

يقول صحبي اذا أتى منكم * مشرف بالغت في شكره
هل يلتقي أكرم من طيه * قلت ولا أطيب من نشره

ولا باس بقول من قال موالیا

عبر على حبيبي قلت كلمي * فقال بحبك لحسني قلت تقبلني
فقال لي بشما زا أو تجاوبني * ضحكت لو قال بارد قلت سبلني

وبعضهم أراد أن يشتري جارية عرضت عليه فقال لها كم دفعوا فيك فقالت وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل ان رجلا رمى عصفورا فاخطاه فقال له آخر أحسنت فغضب وقال أتهزأ بي قال انما قلت أحسنت الى العصفور ذكر أبو الحسن المدائني ان رجلا من أهل الحجاز قال لابن شبرمة العلم من عندنا خرج فقال صدقت الا انه لم يرجع اليكم لقي شيخ شيخا آخر مثله فقال له ماذا يصنع الشيخ النحس اليوم فقال له يشتمني وقال بعضهم لولده والله لا أفلحت فقال له والله يا أبي ولا أنا حكي ان الصاحب جمال الدين بن مطروح قال يوما لشهاب الدين القوصي ياشهاب الدين أنت عندنا مثل الوالد فقال لاجرم أني مطروح وقال له بعض الرؤساء أنت عندنا مثل الأب وشدد الباء فقال لاجرم انكم تأكلوني (أقول) لا يخفى ما في هذا التندير من اللطف لان الأب مشدد الباء هو المرعى وقال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز للاناسي ومن يشدد الباء من الاب الذي هو الوالد لا يكون الا دابة وقيل ان أبا الفرج بن الجوزي كان له ولد يدعى عليا فدخل يوما الى البيت فرأى تحت سجادة الشيخ أربعة دنانير فأخذها فلما أحس بمجيء الشيخ نام فطلب الشيخ الدنانير فلم يجدها فعرف أنه أخذها فحركه وقال ويلك أكانت الدنانير تحتها قال لا والله الا جيادا فضحك الشيخ وقال خذها لا جعل الله لك فيها بركة

قالت فما بالك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءني خاطبا قالت أفتريد أن نزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال بماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول انك لقيتني وأنا مغضب بامر لم تقدم فيه قولا فانصرف ولك عندي ما تحب فانه سيفعل فركب أوس بن حارثة في أثره قال خارجة والله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فاقبلت على الحرث وما يكلمني غما فقلت له هذا أوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا لا نلتفت صاح ياحرث اربع علي فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة لاكبر بناته فاتته فقال يا بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءني خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لاني امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحيي منك ولا آمن أن يرى مني

(حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل)

(اللغة) الحلو نقيض المر يقال حلا يحلو حلاوة واحلولى افعوعل وقد عداه حميد بن ثور فى قوله

فلما أتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دمانا يرودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا هذا وحرف آخر وهو اعرورريت الفرس والطعوم تسعة وهى الحلو والمر والحامض والمز والمالح والحريف والعفص والدسم والتفه لان الجسم اما ان يكون كثيفا أو لطيفا أو معتدلا والفاعل فيه اما الحرارة أو البرودة أو الاعتدال بينهما فيعمل الحار فى الكثيف مرارة وفى اللطيف حرافة وفى المعتدل ملوحة وتعمل البرودة فى الكثيف عفوصة وفى اللطيف حموضة وفى المعتدل قبضا ويعمل الاعتدال فى الكثيف حلاوة وفى اللطيف دسومة وفى المعتدل تفاهة وقد يجتمع طعمان كالمرارة والقبض فى الحضض ويسمى البشاعة والمرارة والملوحة فى السبخة ويسمى الزعوقة وبعضهم زعم أن أصول الطعوم أربعة الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وما عداها مركب منها أنشدنى لنفسه المولى صفى الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلى اجازة

يا قابض المال الذى لم يزل * طرفى الى بهجته يطمح

ومن اذا جدنى لحظه * غدا بلحظى خده يجرح

تالله لا أنفك مستهزأ * فيك بأشعارى ولا أبرح

يعذب لى الاحماض فى قابض * حلو اذا ما مر يستملح

وما أرشق قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى أنشدنيه الحاج لاجين الذهبى قال أنشدنى البدر يوسف لنفسه

يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو

يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

(فائدة) قولهم فلان يحب الحموضة معناه انه يأتى الدبر لان الاحماض فى اللغة الانتقال من شئ الى شئ لان الابل اذا ملت الخلة اشتهت الحمض فتحول اليه وفى حديث الزهرى الاذن مجاجة وللنفس حمضة أى شهوة للانتقال فكأن اللائط انتقل من الامر الطبيعى المعتاد الى غيره (الفكاهة) بالضم المزاح وبالفتح مصدر فكه فهو فكه وفكاهة اذا كان طيب النفس مزاحا (الجد) نقيض الهزل وهو الاجتهاد فى الامور تقول جد فى الامر يجد بالكسر والضم وأجد فى الامر مثله قال الاصمعى ان فلانا لجاد مجد باللغتين (المزج) الخلط يقال مزجت الشراب اذا خلطته بغيره ورسم المزاج عند الحكماء بانه حصول كيفية متشابهة عن تفاعل كيفيات متضادة موجودة فى عناصر متصغرة الاجزاء متلاقية بأكثرها اذ او تقف فعلها عند حد وقيل عليه ان هذا التفاعل ان كان فى آن واحد كيف يمكن ان يكون الكاسر مكسورا وان كان على التعاقب كيف يصير المنكسر كاسرا بعد انكساره ولابد من انكسار سورة كل واحد منهما لتحصل الكيفية المتشابهة متوسطة بينهما (والجواب) ان الحكماء بينوا أن الجسم مركب من جزءين قابل ومقبول ويسمى القابل منهما الهيولى والمادة ويسمى المقبول الصورة فالفاعل فى حال المزاج انما هو الصورة بواسطة الكيفيات والمنفعل انما هو المادة فيكون التفاعل فى آن واحد ويقع انكسار السورات ولا يلزم كون الفاعل منفعلا وتقريب ذلك ان النار تفعل بواسطة كيفيتها التى هى

ما يكره فيطلقنى فقالوا على وصمة فقال قومى بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بمثل ذلك أو بقريب منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لاختيها فقالت أنت وذاك فقال انى عرضت ذلك على أختيك فأبتاه فقالت لكنى الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة أبا فان طلقنى فلا أخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بهيسة بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وانزله اياه فلما أدخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله لما مددت يدى اليها قالت مه أعند أبى واخوتى هذا لا يكون قال فامر بالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث أن لحقنى فقلت أفرغت قال لا والله قالت لى كما يفعل بالامة الجليبة والسبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلى قلت والله لأرى همة عقل وانى لارجو أن تكون المرأة النجيبة ثم سرنا الى أن دخلنا بلادنا فاحضرنا الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت

الحرارة فى مادة الماء والماء يفعل بواسطة كيفيته التى هى البرودة فى مادة النار (رجع) (الشدة) ضد اللين (البأس) الشجاعة (الرقة) ضد الغلظ (الغزل) مغازلة النساء وهى محادثتهن ومراودتهن وتغزل اذا تكلف الغزل وزعم بعض الادباء ان الغزل فى الذكور والتشبيب فى الاناث (الاعراب) حلو صفة لذى فى البيت الذى تقدم (الفكاهة) مجرور بالاضافة والاضافة تنقسم الى قسمين معنوية ولفظية فالمعنوية هى التى لا ينوى بها الانفصال وتحدث بين المضاف والمضاف اليه تعلقا لم يكن قبلها وتفيد الاول تعريفا كغلام زيد وتخصيصا كغلام رجل واللفظية هى التى فى تقدير الانفصال ويكون بين المضاف والمضاف اليه تعلق من غير جهة الاضافة ولا تفيد تخصيصا ولا تعريفا ولكن فائدتها التخفيف والذى عمل فى الثانى الجر تقدير حرف الجر وهو اما من التى لبيان الجنس مثل خاتم فضة واما اللام التى للملك أو الاختصاص بطريق الحقيقة أو المجاز فان كان المضاف بعض ما أضيف اليه وصالحا لحمله عليه كما فى خاتم فضة وثوب خز وباب ساج وخمسة دراهم فالاضافة بمعنى من وان لم يكن كذلك كما فى غلام زيد ولجام فرس وبعض القوم ورأس الشاة فالاضافة بمعنى اللام ومن النحاة من ذهب الى انها تكون بمعنى فى كقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر وقوله تعالى يا صاحبى السجن وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذا اختيار الشيخ جمال الدين محمد بن مالك قال ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة يعنى أن الاضافة على ثلاثة أنواع والضابط فيها ان تعين تقديرها بمن لكون المضاف اليه اسما للجنس الذى منه المضاف فهى بمعنى من أو تقديرها بفى لكون المضاف اليه ظرفا وقع فيه المضاف فهى بمعنى فى وان لم يتعين تقديرها بهما فهى بمعنى اللام ثم قال بدر الدين والذى عليه سيبويه وأكثر المحققين ان الاضافة لا تعدو أن تكون بمعنى اللام أو بمعنى من وموهم الاضافة بمعنى فى محمول على انها فيه بمعنى اللام على المجاز ثم أخذ يستدل على ذلك بأمور فيها طول اضربت عن اثباتها خوف الاطالة وعلى ذكر الاضافة أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

يا مالكا يجبر قصاده * جبرا له الله مكافى عليه
شكرا لهذا الجود من نعمة * يبسط ضيف الباب فيها يديه
اذا أتته وهو فى صحبة * صار مضافا ومضافا اليه

وقال ابن سناء الملك

تجىء الملوك لابوابه * فيغمرهم جوده الشامل
ويخفضهم انه كالمضاف * ويرفعه انه الفاعل

وظرف الشهاب محاسن الشواء فى قوله

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

قلت ويعجبنى قول ابن هانئ الاندلسى من أبيات

علمته باب المضاف تفاؤلا * ورقيبه يغريه بالتنوين

(رجع) الاضافة فى الفكاهة اضافة لفظية وليست بمعنى من لان من شرط ذلك أن يحسن وصف الاول بالثانى لكونه بعضا له ولا بمعنى اللام التى للملك لا بطريق الحقيقة ولا المجاز الا

أفرغت قال لا والله قالت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها قالت قد احضرنا من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت لى من الشرف ما لا أراه فيك قلت كيف قالت أتتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا يعنى بنى عبس وذبيان قالت فتريد ين ماذا قالت اخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى وانى است فائتتك قلت والله انى لارى عقلا وهمة ولقد قالت قولا فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى من الفريقين ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف بعير وعاش الحرث الى أن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ووفد عليه وأسلم وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار فى جواره يدعو قومه الى الاسلام فقتله رجل من بنى ثعلبة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال لحسان قل فيه فأنشد يقول

يا حار من يغدر بذمة جاره * فيكم فان محمدا لا يغدر
وامانة المرى حيث لقيته * مثل الزجاجة صدعها لا يجبر

فتألم الحرث لهذا القول وأرسل يعتذر وبعث اليه بدية

بتكاف أعنى تقدير اللام ويحسن أن تكون بمعنى فى ويكون التقدير حلو فى الفكاهة (مر الجد) صفة أخرى والجد مضاف اليه والكلام فيه كالكلام فيما تقدم ولك فى هذه الصفات التى تعددت كلها الرفع على أنها خبر مبتدا محذوف تقديره هو حلو الفكاهة والنصب على أن العامل أعنى مضمرا والجر على الصفة للذى وهو أقواها وقد قرئ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك برفعها ونصبها وجرها لان الصفات اذا تعددت جاز فيها ذلك وعليه اعرب قوله تعالى والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة وقول الخرنق

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

فى قوله معتدل فى البيت الاول الى قوله فى الثانى مر الجد يجوز فى الجميع الاعرابات الثلاثة الاقوله وكل فانه معطوف على هياب وهو مجرور فلا يجوز فيه الا الجر (فارق بين الصفة والوصف) قالوا الوصف ما يجوز انتقاله كحمرة الخجل وصفرة الوجل والصفة ما لا تتغير كالطول والقصر والسواد للزنجى والبياض للصقلى (قد مزجت) قد حرف يصحب الافعال ويقرب الماضى من الحال وهى هنا للتحقيق الفعل وسيأتى الكلام عليها فى قوله

نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت *(مزجت) فعل مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة تأنيث الفاعل (بشدة البأس) الباء حرف جر وشدة مجرور بالباء والبأس مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام (منه) جار ومجرور (رقة) مرفوع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله لمزجت وقد تقدم الكلام على مفعول ما لم يسم فاعله فى قوله ناء عن الاهل البيت (الغزل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام وفيه تقديم وتأخير تقديره قد مزجت رقة الغزل فيه بشدة البأس والجملة كلها فى موضع الجر على أنها صفة للذى والتقدير ممزوجة فيه رقة الغزل (المعنى) انه صاحب حلو المزاح طيب الاخلاق كريه الجد وهذه صفة مدح لان الشدة فى الاجتهاد محمودة فهو قد مزجت فيه الحلاوة من رقة الغزل بالمرارة من شدة الباس وما أحق هذا الصاحب بقول القائل

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه وجلساءه ويمزح ويلين جانبه لمن حضره ويؤنسه فاذا كانت الحرب واحتد الجد وحمى الوطيس وخارت القوى وذهلت الابطال تقدم أصحابه واتقى بنفسه صلى الله عليه وسلم ومن خصائصه انه كان صلى الله عليه وسلم اذا جرد سيفا لا يغمده حتى ينال به من عدوه ومنها تحريم الهزيمة عليه من العدو فى الحرب ولا شك فى لطفه ورأفته ورقة قلبه وحنوه على قومه وهم به كافرون يؤذونه ويكذبونه ويصدون عنه ويحاربونه وهو يحلم عليهم ويشق عليه عنادهم قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم وقال صلى الله عليه وسلم يوم كسر سنه اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى وصفه الله تعالى فى كتابه فقال وانك لعلى خلق عظيم ثناء على صفاته الحميدة وخلاله الجميلة وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها ولا شك فى انه كان صلى الله عليه وسلم من النجدة والشدة والبأس والاقدام ولقاء العدو فى الغاية التى تكبو دونها سوابق الابطال وتتبرقع الفرسان بغبارها فانه كان فى حروب الكفار أقرب الناس الى العدو وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ترقوة أبى بن

الرجل سبعين بعيرا فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات الحرث عقيب ذلك ومن شعره قوله

فان أكبر فانى فى لداتى
وعاقبة الاصاغر أن يشيبوا
وما كثرت فوائدنى بغدر
كفانى فى الفوائد ما يطيب
ولولم يكن للشاعر الاهذا القول لكفاه وقوله

لم من يد لا أودى حق نعمتها
عندى لمختبط طار ومن منن
ادجاء يسعى الى رحلى لأسعفه
أليس قد ظن بى خيرا ولم يرنى

(وان احتيالهرم لعلقمه وعامر حتى رضيا كان ذلك عن اشارتك) هو هرم بن قطبة بن سنان الفزارى حكم من حكام العرب يقضى بين السادات فيرضون بقضائه ولا يرد قوله اذا فصل أحد المتنافرين على الآخر ومعنى المنافرة المحاكمة فى الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه ونفره اذا غلبه (وعلقمة) هذا هو علقمة ابن علاثة بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة (وعامر) هو ابن الطفيل بن مالك بن الاحوص وكل منهما سيد من سادات قومه فارس شاعر وسؤدد من أخبارهما

خلف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فطعنه صلى الله عليه وسلم بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد بن المسيب فكسر ضلعا من أضلاعه فمات منها ومع هذا فقد مزح صلى الله عليه وسلم ولم يقل الاحقا قرأت على الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي أودعها تاريخه ومنها قال زيد بن أبي أوفى عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس تفرد به ابن لهيعة وضعفه معروف وجاء من طريق آخر لابن لهيعة كان النبي صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبي انتهى وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل قال أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقني قال الناس وهل الجمل الا ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال مالك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في عينيك بياضا فقال وهل أحد الا وفي عينيه بياض وقالت أخرى يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة قال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال عليه السلام أخبروها انها لا تدخل وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وبالجملة فصفاته وشمائله وما انطوى عليه أجل من أن يحيط بها وصف وأشرف من ان ينضم جواهرها نظم أو وصف فلو جرى القلم الى أن يحفى وصر لسانه الى أن يخفت ويخفى ماجنى زهرا أنبتته حدائق تلك الحقائق ولا التقط درا ملأ حقائب هاتيك الخلائق ولا اجتلى من ذلك الافق الذي كله شموس وأقمار غير شهبه الخفية ولا نال على ظمئه من ذلك البحر غير بقية وكل موارده عذبة شهية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ان في الموج للغريق لعذرا * واضحا ان يفوته تعداد

نعم قد دون الناس جملة من شمائله وصفاته ووضعوا كتبا كأنها رياض تتأرج بنسمات سماته وأودعوها كتبا بدورها في التمام ورصعوها جواهر تروق في التأليف والانتظام

في بطن قرطاس رخيص ضمنت * احشاؤه درر الكلام الغالي

وبوبوا ورتبوا وهذبوا وذهبوا وذكروا ونصوا وخبروا وقصوا وحبروا ودبجوا وحكوا الصحيح وما روجوا

وعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فما كتاب القاضي عياض الارياض ولا الشمائل الا خمائل ولا كتاب الدلائل الا فوائد جلائل ولا الشهاب الا مطفئ التهاب

أساميا لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

ويعجبني أبيات العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه سمعت الشيخ الامام فتح الدين الحافظ محمد بن سيد الناس اليعمري في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالديار المصرية وهو يقرأ علينا من لفظه كتابه الذي وسمه بنخ المدح قال رويناه من طريق الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد وأحمد بن عمرو البزار ومحمد بن موسى بن حماد البربري قالوا حدثنا أبو السكن زكريا بن يحيى حدثني عم أبي زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال قال خزيمة بن أوس كنا

شيأ * فاما سبب منافرتهما كما حكى أبو عبيدة وغيره قال أول ما هاج النفار بين علقمة ابن علاثة وعامر بن الطفيل ان علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فنظر اليه عامر وقال لم أر كاليوم سوأة رجل أقبح فقال علقمة لانها لا تثب على جاراتها ولا تنازل الا كفاتها يعرض بعامر فقال عامر وما أنت والقدوم والله لفرس أبي المسمى حبوة أذكر من أبيك ولفحل أبي المسمى الغيهب أعظم ذكرا منك فقال علقمة أما فرسكم فعارة وأما فحلكم فغدرة وكانوا قد استعاروه هذا الفحل من رجل من كلب يستطرقونه فغلبوه عليه ولكن ان شئت نافرتك قال قد شئت فقال علقمة والله اني لبر وانك لفاجر واني وفي وانك لغادر فيم تفاخرني يا عامر فقال عامر والله اني لانزل منك للقفرة وأنحر للبكرة وأطعن للثغرة ثم تنافروا على مائة من الابل يعطيها الحكم أيهما نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بمن معه من بني خالد وخرج عامر بمن معه من بني مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الاسنة فقال يا عماه أعني قال يا ابن أخي سبني قال لا أسبك وأنت عمي قال دونك نعلي فاني ربعت فيهما أربعين مرباعا فاستعن بهما في نفارك وجعل منافرتهما

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمه العباس يارسول الله انى اريد ان امتدحك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهو من نظمه

يا أحمد المبعوث فينا لقد * بلغك المجد الى منتهاه
كم رمت امداحك وانى لى * لفظا يوافى ذا المثانى ثناه
انى لا أحصى ثناء على * ذى خلق أثنى عليه الاله

وما أحلى قوله

لقد قال كعب فى النبي قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وله فى غالب الظن

يقولون لم لا تمدح سيد الورى * وتطنب فى تعظيمه وامتداحه
فقلت لهم جبريل جاء بمدحه * وليس مديحى ريشة فى جناحه

٣ قلت جزم الناظم الحافى بمتدح وهى مرفوعة وهو لحن من توهم أن لم حرف جزم وانما هى لم التى يستفهم بها والقاعدة حينئذ حذف الالف منها * وقد جمع الشيخ فتح الدين المشار اليه كتابا فيمن مدح النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضى الله عنهم وسماه منح المدح وله قصائد على حروف المعجم سماها بشرى اللبيب بذكرى الحبيب كلها فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت منها الجزء الاول وسمعته من مصنفه الى ترجمة ابن الزبعرى والباقى اجازة والثانى كتبته وقرأته غير مرة والشهاب الدين محمود قصائد طنانة فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم كتبتها وقرأتها عليه رغبة فى البركة وطلبا للدخول فى زمرة من دون مدحه وكتبه وقرأه صلى الله عليه وسلم (رجع) وممن جمع الشجاعة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وصحابته كان فينا كاحدنا لين الجانب كثير التواضع سهل القياد وكنا نهابه مهابة الاسير المربوط للسياف الواقف على رأسه وقال معاوية رضى الله عنه لقيس بن سعد رحم الله أبا الحسن فلقد كان هشا بشا ذا فكاهة فقال قيس نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويتبسم الى أصحابه وأراك تسر فى نفسك وتعيب أبا الحسن بذلك والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قد مسه الطوى وتلك هى هيبة التقوى ليس كما يهابك طغام الشام ولما عزم عمر بن الخطاب رضى الله عنه على استخلافه قال له لله أبوك لولا دعابة فيك وشجاعته اشهر من أن تذكر واغنى

من

الى أبى سفيان بن حرب فلم يقبل منهما وكره ذلك الامر لحالهما وحال عشيرتهما فانطلقا الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال هرم لاحكمن بينكما ثم لافصلن ثم لست أثق بواحد منكما فاعطيانى موثقا اطمئن اليه أن ترضيا بما أقول وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ الاجل خرجا اليه فخرج علقمة ببنى الاحوص معهم القباب والجزر والقدور ينحرون فى كل منزل ويطعمون وجمع عامر بنى مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح فقال رجل من غنى ياعامر ما صنعت أخرجت بنى مالك تفاخر بنى الاحوص معهم القباب والجزر وليس معك شئ تطعم الناس ما أسوأ ما صنعت فقال عامر لرجلين من بنى عمه احصيا كل شئ مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة ففعلا فقال عامر يا بنى مالك انها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا ففعلوا فاتوا هرما فاقاموا عنده أياما وأرسل الى عامر فأتاه سرا لا يعلم به علقمة فقال يا عامر قد كنت

٣ قوله قلت جزم الناظم الخ الظاهر ان الجزم ضرورة فلا داعى الى الجزم باللحن اه

من ان تمدح أو تشكر ولما دعا الامام على معاوية الى البراز قال له عمرو بن العاص لقد أنصفك فقال له معاوية رضى الله عنه ما غششتنى منذ نصحتنى الا اليوم أتأمرنى بمبارزة أبى الحسن أراك طمعت فى امارة الشام بعدى (عاد القول) الى معنى بيت الطغرائى هذه الصفات التى ذكرها قلما تجتمع فى انسان الا من اختصه الله بهذه الموهبة لانها مع تضادها محمودة ولا يتفق ذلك الا من اعتدال المزاج وقد اختلف الحكماء فى وجوده وعدمه قال الامام فخر الدين فى الطب الكبير الذى ذكره الشيخ فى الشفاء يعنى الرئيس ابن سينا وساق كلاما يدل على ان المركب المعتدل قد يكون موجودا الا انه لا يستمر ولا يدوم ثم قال بعد كلام طويل وأما المعتدل الذى امتزج من العناصر على أكمل أحواله فقد قالوا لما كان الاعتدال الحقيقى ممتنعا وجب ان يكون كلما كان أقرب اليه أولى باسم الاعتدال اهـ قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى احتجوا على تعذر وجود المعتدل بامتناع مكان يستحقه لان مكان الجسم المركب هو مكان ما يغلب عليه من البسائط وهذا بسائطه متعادلة فيجب ان لا يستحق مكانا فيمتنع وجوده وأقول فى هذه الحجة نظر وذلك ان عنينا بالمعتدل ما تكافأت فيه الكيفيات فهذا لا يجب ان لا تتكافأ فيه الكميات لان الجزء اليسير من النار يقاوم بحرارته كثيرا من جوهرى الماء والارض فعلى هذا يجوز وجود المعتدل باعتبار الكيفيات دون الكميات ويكون مكانه الذى يستحقه هو مكان ما غلب عليه من العناصر بكميته لا بكيفيته لان الاعتبار فى المزاج انما هو بالكيف فقط والاعتبار فى الحيز انما هو بالكم والثقل والخفة فالحجة المذكورة غير موجهة والمزاج لا يخلو اما ان تتكافأ فيه الكيفيات الاربع الاول وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أولا فان كان الاول فهو المعتدل وان كان الثانى فلا يخلو اما ان تغلب فيه كيفية واحدة أولا والاول هو الذى خروجه فى كيفية بسيطة وأقسامه أربعة بعدد الكيفيات الاربع وهى الحار والبارد والرطب واليابس والثانى هو الذى خروجه فى أكثر من كيفية واحدة فلا تجتمع فيه كيفيتان متضادتان غالبتان فبقى ان يكون احدى الفاعلتين أعنى الحرارة والبرودة مع احدى الانفعالتين أعنى الرطوبة واليبوسة فاقسامه أربعة الحار الرطب والحار اليابس والبارد الرطب والبارد اليابس فجملة أنواع المزاج تسعة واحد منها معتدل وثمانية خارجة عن الاعتدال انتهى * وقول الطغرائى رحمه الله تعالى يشبه قول أبى تمام الطائى وهو

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جد لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقة * لا خير فى الصهباء مالم تقطب

ما أحسن قوله لا خير فى الصهباء مالم تقطب لان الخمرة اذا كانت صرفا كانت حادة لا يمكن استعمالها فاذا مزجت بالماء وهو طبع بارد تولد عنهما كيفية أخرى تقارب الاعتدال فامكن استعمالها وقول أبى تمام أيضا

لا طائش تهفو خلائقه ولا * خشن الوقار كأنه فى محفل
فكه يجد الجد أحيانا وقد * ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقول أبى الحسين الجزار

أنت الكريم وجل من قد أنبأت * عمن مضى فى كتبها الاخبار

أرى لك رأيا وفيك خيرا وما حبستك هذه الايام الا لتنصرف عن صاحبك أتفاخر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك الا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر ناشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله ان فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتى جزها واحتكم فى مالى فان كنت ولا بد فاعلا فسوّ بينى وبينه فقال انصرف فسوف أرى رأيا فخرج عامر وهو لا يشك انه ينفر عليه ثم أرسل هرم الى علقمة سرا لا يعلم به عامر فاتاه فقال يا علقمة والله ان كنت لاحسب فيك خيرا أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك وهو أعظم منك عناء وأحمد لقاء فما الذى أنت به خير منه فقال له علقمة نشدتك الله أن لا تنفر على عامر فأجابه بما أجاب به الآخر وانصرف ثم ان هرما أحضر بنيه وبنى أبيه فقال انى قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فعلت ذلك فليطرد أحدكم عشرة جزائر فينحرها عن عامر ويطرد بعضكم عشرة جزائر وينحرها عن علقمة وفرقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة وأصبح هرم فجلس فى مجلسه وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقام لبيد فقال

خلق كابن الماورق لشارب * ظام وعزم فى التوقد نار

وقول القائل

ملك تقر المشركون بباسه * فتقر بالاقرار عين الدين
فعلى العداة بغلظة وتجهم * وعلى العفاة برقة ولين

وقول ابن أبى العرب المغربى

من كل مشتمل بنصل عزمه * ذى همة تطأ السماك همام
نشوان من خمر الكرى صاحى الندى * ريان من ماء المحامد ظامى

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ملك يقاس محاربه بسودده * اذ يقاس عير الدار بالفرس
مظفر الجد مشاء على جدد * من حمله اللدن أو من حربه الشرس

ومن أحسن ما حضرنى فى صاحب جمع الاخلاق التى يعز وجودها فى شخص واحد قول القائل

تلاطفت الايام حتى تفضلت * على بندمان كريم الخلائق
له سمت عدل واستكانة عاشق * وهمة جبار ولطف الزنادق

وما أحسن قول أبى الفتح البستى فى عبد الملك الثعالبى صاحب اليتيمة وغيرها

أخ لى ذكى النفس والاصل والفرع * يحل محل العين منى والسمع
تمسكت منه اذ بلوت اخاءه * على حالتى وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقل وآنس من هوى * وأوفق من طبع وأنفع من شرع

ذكرت بتنسيق الصفات هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى الحاكم بصفد سنة أربع وعشرين وسبعمائة يصف الشبابة وهو مليح

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعار * يخالف بين تقطيع الحروف
تخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
نصيحة عاشق ونديم راع * وعزة موكب ومدام صوفى

وقد أحسن أبو بكر الخوارزمى حيث قال فى الخمرة

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم
ممات لأحياء حياة لميت * وعدم لمن أثرى ثراء لمعدم

وما أحسن قول شهاب الدين العزازى ملغزا فى الشبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * يزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديثا تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وما هى لا سعاد ولا الرباب

قوله تصيح عداه الى أحاديث وهو غير جائز الا على تأويل حمله على المعنى أى تسمع وهو ضعيف

يا هرم ابن الاكرمين منصبا
انك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوّب رأى من تصوّبا

فقام هرم وقال يا بنى جعفر قد تحاكمتما عندى والله انكما كركبتى البعير الآدم يقعان معا على الارض وليس أحد منكما الا وفيه ما ليس فى صاحبه وكلاكما سيد كريم وعمد بنو هرم الى الجزر فنحروها وفرقوا الناس وكره أن يفضل بينهما وهما ابنا عم فيوقع بذلك عداوة بين الحيين وخرجا من عنده راضيين وقد قيل انه قال لهما أنتما كغربى السيف فانه لو قال كركبتى البعير لقيل أيهما اليمين وقيل انه لم يقل شيأ من ذلك وانما اكتفيا بما قال سرا وذهبا عنه وادعى الاعشى انه ما حكاه وحكم لعامر على علقمة وقال فى ذلك قصائد * ومات علقمة مسلما وله وفادتان احداهما على النبى صلى الله عليه وسلم أسلم فيها والثانية على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجرت له معه حكاية لطيفة كان علقمة صديقا لخالد بن الوليد رضى الله عنه وكان عمر يشبه بخالد فالتقاه فى الليل فقال يا خالد اعزلوك وهو يظن انه خالد وكان عمر قد عزل خالدا عن جيش الشام غيظا منه بسبب قتل مالك بن نويرة وتزوج زوجته كما تقدم

وأما التشبيب فهو مأخوذ من قول سيف الدين بن المشد

ياطربا أغنى النديم غناؤه * عن طيب مشموم وعن مشروب
شبب اذا غنيتني بحديثهم * ان الغناء يطيب بالتشبيب

وأخذه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فنقله وقصره على الحسن وعقله فقال

كتبت لكم من أعين القصب التي * جرى في نواحيها بذكركم طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

وأنشدني الشيخ الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود وقال أنشدني من لفظه لنفسه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالنفخ من روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاسمعت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وقال محيي الدين بن قرناص في مليح مشبب

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وله فيه أيضا

علقته مشببا مهفهفا * أخضع في حبي له فيشمخ
لاغرو ان تشب من تشبيبه * نار الهوى أما تراه ينفخ

وأنشد يوما بحضرة شرف الدين الحلاوي لغزوهو

وناطقة خرساء باد شحوبها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر جاش منخر

فأجاب في الحال

نهاني النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ما أحلى هذا الجواب وأبدعه حيث أجاب التضمين بتضمين مثله حل به معناه ونقله الى الشبابة وكلاهما من أبيات الحماسة لتابط شرا ومثله قول زين الدين بن عبد الله

وناحلة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما في الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعادها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقول مجير الدين محمد بن تميم

قيان ملاهيها يلذ سماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما يلهى لنا السكر بينها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقوله أيضا

ولما حضرنا للسماع وضربنا الـ * ـملاهي وكل بالهوى يترنم
أصخنا الى تشبيبهم وغنائهم * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وأنشدني القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود لشمس الدين عبد الوهاب

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما وينظرها شزرا
وتحسبها في كفه من شئت فلتقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

فقال عمر نعم فقال علقمة ماهو الا والله نفاسة عليك وحسد لك فقال عمر فما عندك معونة على ذلك فقال معاذ الله ان اعمر علينا سمعا وطاعة ولانخرج عليه ولانخالفه وانصرفا فلما أصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد فقال عمر رضي الله عنه له ياعلقمة أنت القائل البارحة لخالد ما قلت فقال علقمة لخالد أفعلتها فقال والله ما لقيتك البارحة ولا رأيتك الا في هذه الساعة ففطن علقمة وعرف انه انما لقي عمر وظنه خالدا فقال يا أمير المؤمنين ما سمعت الا خيرا قال أجل ثم ولاه حوران وخرج اليها فقصده الحطيئة مادحا له فمات علقمة قبل أن يصل اليه فقال

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى غيبته الجنادل
وما كان بيني لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

فلما وصل وجد علقمة قد أوصى له بسهم من ماله وأما عامر بن الطفيل فكان شجاعا مشهورا شاعرا مقدما قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة صياد الفرسان وفارس ربيعة بسطام بن قيس وفارس قيس عامر بن

يعني أن الشبابة بالشين المعجمة تصحيفها سبابة بالمهملة وقال سيف الدين علي بن قزل المشد

ومطرب قد رأينا في أنامله * براعة لسرور النفس أهلها
كأنما عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال أيضا

وعارية من كل عيب حبيبة * الى كل قلب ظل بالبين مجروحا
لها جسد ميت يعيش بنفخة * اذا دخلته الريح صارت به روحا
تعمد الذي يلقي عليها بلذة * تزيد فؤاد الصب وجدا وتبريحا
وتنطق بالسحر الحلال عن الهوى * وتوحي الى الاسماع أطيب ما يوحى

(قلت) غالب ما سقته من المقاطيع مأخوذ من قول سيف الدين بن قزل المشد حسبما أراه
ذكرت هنا قول السراج المحار يهجو زامرة سوداء

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنملها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

شبه ثلاثة بثلاثة فابدع وان كان قد لحمه من قول الاول يهجو زامرا أسود

كأنها في حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وعلى قول السراج المحار يليق قول القائل أبصر الحامل والمحمول ودار الوكالة خنافس تسعى
على خيار الشنبر الى الكنيف وقال آخر يمدح زامرا

وزامر يبعث في زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل في نايه * ينفخ في الاموات أرواحا

وقلت أنا في ذمه

يقول في مجلسنا زامر * لم نلق ما القى باصغاء
ما عندكم ميل الى حاضر * قلنا ولا شوق الى ناء

(رجع) وفي بيت الطغرائي من حسن الصناعة ما يشهد لقائله بفوز قدحه في البلاغة فانه جمع
فيه بين ثمانية أشياء الحلاوة والمرارة والفكاهة والمزح والقوة والرقة والبأس والغزل
وهي ثمانية لم تجتمع لغيره بهذا الانسجام والعذوبة وأرباب البديع يسمون هذا النوع
المقابلة واستشهدوا عليه بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيتين ففي كل
آية ما يقابل الاخرى هكذا قرره الجميع وأقول انه فات فيه ذلك فان لفظة فسنيسره تكررت
في الآيتين ولم يختلف معناها فما تمت المقابلة ويحتمل أن يكون فسنيسره في معنى فسنعسره
لانه اذا تيسر تعسيره كان معسرا لكن ذلك غير صريح ومن أحسن ما استشهدوا به في هذا
النوع من الشعر قول أبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

قالوا فابلغ في خمسة بخمسة * كنت عند الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبي
الثناء محمود أقرأ عليه كتابه حسن التوسل فجاء هذا البيت في أثناء القراءة في مكانه وعنده
جماعة من الطلبة وغيرهم فقال عدوا هذه الخمسة التي ذكرها أرباب البديع فكلهم قالوا

الطفيل وفد على النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه أربد بن
قيس مع قوم من بني عامر
فقال يا محمد مالي ان أسلمت
قال النبي صلى الله عليه وسلم
لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم
قال لا الا أن تجعل لي الامر
من بعدك قال ليس ذلك
لقومك قال فتجعل لي الوبر
ولك المدر قال لا ولكن
أجعل لك أعنة الخيل قال
أوليست لي ثم قال يا محمد
والله لأملأنها عليك خيلا
ورجلا ولأربطن بكل نخلة
فرسا وولى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم
اكفني عامرا وأربد واهد
بني عامر واغن الاسلام عن
عامر ثم انصرفوا حتى اذا
كانوا ببعض الطريق بعث
الله تعالى على عامر بن الطفيل
الطاعون في عنقه فاندلع
لسانه من فيه كضرع الشاة
فمال الى بيت امرأة من سلول
وجعل يقول غدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية ثم
مات فواراه أصحابه وجعلوا
على قبره أنصابا ميلا في ميل
وجعلوه حمى فقيل ان بعض
ولده رأى ذلك فيما بعد
فقال لقد ضيقتم على أبي
وأما أربد فأرسل الله تعالى
عليه صاعقة فقتلته وفي ذلك
يقول أخوه
أخشى على أربد الحتوف ولا
أرهب نوء السماك والاسد

أزورهم يقابل أنثني وسواد يقابل بياض والليل يقابل الصبح ويشفع يقابل يغري ووفقوا
فقال هذه أربعة لاربعة وبقي القسم الخامس فلم يتنبهوا له فقلت لفظة لي تقابل لفظة بي لان
الشفاعة له تقابل الاغراء به كأنه قال ذلك لي وهذا على قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

الاتراه قابل ما عليهم بما لهم لما في ذلك من الاساءة والسرور فأعجبه ذلك وقد أخذ بعضهم
قول أبي الطيب أخذا مليحا فقال وقد أجاد

أقلي النهار اذا أضاء صباحه * وأظل انتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وفيه مقابلة خمسة بخمسة * حكى لي الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري
قال كان شيخنا الامام العلامة تقي الدين بن دقيق العيد يقول قل لعلماء المعاني والبيان
والبديع أتحسنون أن تقولوا مثل أزورهم البيت فاذا قالوا الاول لهم فأي فائدة فيما تصنعونه
اه يريد بهذا أن العلم غير العمل والمباشرة دون الوصف والطعن في الهيجاء غير الطعن في
الميدان وحكي ان بعض الوعاظ كان على منبره يتكلم في المحبة وأمور العشق وأحواله ومد
أطناب الاطناب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة وقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل زفت اليك فروع ليلى * زفيف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فافشر ما شئت وما أحسن قول عبد الله بن سباط الكاتب
القيرواني

قال الخلي الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب * ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع * ان لم ترد جريه كففته
فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب اذ وصفته

وقال علماء الادب ان معنى بيت أبي الطيب مسروق من قول ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

ولبعضهم في المقابلة

عذيري من الايام مدت صروفها * الى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهي طالعات أرى بها * سهام أبي يحيى يسددها نحوي
فذاك سواد الخد ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

أبو يحيى كناية عن الموت وفي المقابلة من هذه الابيات نظر وأحسن من هذا المعنى وأرشق
قول الارجاني

شبت أنا والتحى حبيبي * حتى برغمي سلوت عنه
وابيض ذاك السواد مني * واسود ذاك البياض منه

ومن المقابلة قول أبي تمام الطائي

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

ولعامر بن الطفيل شعر جيد
سري متمكن فمن ذلك قصيدته
الرائية التي ذكر فيها عور
عينه وذلك ان مسهر بن يزيد
كان فارسا شريفا فجنى جناية
في قومه فلحق ببني عامر فشهد
يوم فيف الريح مع عامر بن
الطفيل وكان عامر يتعهد
القوم يومئذ فيقول يا فلان
ما رأيتك فعلت ويا فلان
ما صنعت فيقول الرجل
الذي قد أبلى انظر الى سيفي
وما فيه ورمحي وما فيه وان
مسهرا قد أقبل في تلك الهيئة
فقال يا أبا علي يعني ابن الطفيل
انظر الى ما صنعت اليوم
انظر الى سنان رمحي حتى
اذا أقبل عليه عامر وجأه
بالرمح في وجهه ففلق الوجنة
وانشقت عين عامر ففقأها
وترك سهر الرمح في عينه
وضرب فرسه ولحق بقومه
قالوا وانما دعا مسهرا الى
الغدر بعامر أنه كان يراه
يصنع بقومه هذا فقال هذا
والله مبير قومه فأراد قتله
وأراحتهم منه فقال عامر

لقد علمت عليا هوازن أنني
انا الفارس الحامي حقيقة
جعفر
وقد علم المزنوق أني اكره
على جمعهم كر المنيح المشهر
ألست ترى أرماحهم في
شرعا
وأنت حصان ماجد العرق
فاصبر

حكى الشيخ العلامة غرس الدين أبو بكر الاربلى صاحب كتاب الالفية فى الالغاز الخفية ان الصاحب شرف الدين مستوفى اربل أنشده لغيره

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفى رجل حر قيد ذل يشينه

فقال غرس الدين المذكور بديها

تسر لئيما مكرمات تعزه * وتبكى كريما حادثات تهينه

قلت هذا أحسن فى البديهة ولكنه ناقص عن الاول من وجهين الاول ان الاول قابل ستة بستة لاشك فيها وهو قابل أربعة بأربعة الثانى ان المقابلة فى قوله تحتاج الى تأويل لان السرور يقابله الحزن فكان ينبغى أن يقول وتحزن لكن لما كان الغالب ان البكاء انما يكون من الحزن أطلق البكاء هنا على الحزن ولان المكرمات لا تقابل الحادثات الابتأويل أن المكرمات تكون فى الخير والحادثات تكون فى الشر وأكثر ما عد الناس فى المقابلة بيت أبى الطيب لانه قابل فيه بين خمسة وهذا قابل فيه بين ستة كما تراه فهذا أبلغ ما يمكن أن ينظم فى هذا المعنى والله أعلم * وما أحلى قول القاضى الفاضل والقدوم على كريم ترتجى مبرته خير من المقام مع لئيم تخشى معرته وقال شرف الدين الحلاوى

وبدت نظائر ثغره فى قرطه * فتشابها متخالفين فأشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

قلت لو اتفق له أن يقول سلافة الطلا لكان أحسن ولكن هذا من الجناس المعنوى لانه أراد ذلك فلم يساعده الوزن فعدل الى ما يرادف ذلك المعنى وهذا النوع استدركه المتأخرون وهو عندى باطل لان هذا الباب اذا فتحناه كان غالب الشعر جناسا معنويا وقد أشبعت القول على هذا فى مكانه من كتابى المسمى جنان الجناس ولم تتفق المقابلة فى قول الحلاوى صريحة الا فى قوله تحت وفوق وأما البدر والدر فبتأويل بعيد أى ان ذلك فى كبد السماء والدر أصله من قعر البحر وأما سالفة الطلا ومسكرة الطلا فليس من التقابل فى شئ وأى تقابل بين سالفة الغزال والخمرة حكى السراج الوراق قال خرجنا الى الدير وصحبتنا جمال الدين أبو الحسين الجزار ومعنا غلام مليح زامر فلما اجتمعنا فى مشرف الدير حضر عندنا صبى راهب مليح فشرب معنا وأطمعتنا أنفسنا فيه فأنكر الرهبان عليه وأخذوه منا وهرب الزامر فقلت

	فى خفة لم يقع الطائر
فقال أبو الحسين الجزار	لا راهب الدير ولا الزامر
فقلت	فالقلب فى اثرهما هائم
فقال أبو الحسين	والعقل من أجلهما حائر
فقلت	فسعدنا ليس له أول
فقال أبو الحسين	ونحسنا ليس له آخر

ويعجبنى قول القائل

الشعر خطة خسف * لكل طالب عرف

وقول الآخر

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظارف

لعمرى وما عمرى على بهين
لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا
جبانا فما اغنى لدى كل محضر
ومن ذلك قوله
وكم مظهر بغضا لنا ود أننا
اذا ما التقينا كان اخفى الذى ابدى
مطاعيم فى اللأوى مطاعين فى الوغى
شمائلنا تبلى وأيماننا تندى
وقوله ايضا
وصاحب صدق قد أخذت بضبعه
وقلت له وازر أخاك فأزرا
ضروب بنصل السيف خلف صحابه
اذا اغبر أولاد المقاريف اسفرا
(وجوابه لعمرو وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن ارادتك)
يعنى هرم بن قطبة المقدم ذكره وذلك انه كان أسلم وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحبه فقال له يوما يا ابا عمرو ايهما كنت تنفر يعنى علقمة وعامرا ومن كان عندك الافضل منهما فقال لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة يعنى الحرب بين الحيين فأعجب بهذا القول منه وقال بحق حكمتك

ذكرت هنا واقعة عبد الجليل بن وهبون المرسي مع خاله وان لم تكن من باب المقابلة قيل انه كان دون الحلم وهو الى جانب خاله وقدم نعله عريش فانكسرت دعائمها ثم رفعت على أخشاب الجوز فانكسرت فقال له خاله أجز

مال عليها العريش فانكسرت ❊ فقال ❊ كأنها من سلافة سكرت
لم ترعيني ولا وعت أذني ❊ سلافة أسكرت وما عصرت

وكتاب بدائع البداءه لابن ظافر والدلائل عليه له في هذا الباب كتاب حسن يدل تأليفه على سعة باع مصنفه في الاطلاع ومن المقابلة قول القائل في مأبون

يأتي الى الاحرار يجلس فوقهم ❊ وينام من تحت العبيد ويوتى

ذكرت هنا قول الآخر

لنا عالم يؤتى فيأتي بحجة ❊ على ذاك من أنباء علم وآيات
فقلنا له الاسلام يعلو ولم يكن ❊ ليعلى فقال العلم يوتى ولا ياتى

أنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود

يا را كبا يفري جيوب الفلا ❊ على أمون جسرة أوجواد
يسري فتبديه ظهور الربا ❊ طورا وتخفيه بطون الوهاد

وهذا أرشق من قول عبد الصمد بن بابك

ألوح وأخفى والعيون رواصد ❊ وشمس الضحى تنأى منالا وتقرب
فيضمرني جو من الارض غائر ❊ ويطلعني حقف من الرمل أحدب

قلت كذا نقلته من خط ابن خروف النحوي ولو قال بدل جو وهد لكان أحسن لان الجو لا يقابل الحقف وانما يقابله وهد ولو قال بدل الارض والرمل السهل والحزن كان أبدع فانه لا تضاد بين الارض والرمل فاعرفه (وقلت أنا)

غنى بشعر سجع فانثني ❊ مشذب الجوقة يدعو لي
وقال ما مقطوعه داخل ❊ لذاك يستخرج موصولي

أنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

جاء وفي قده اعتدال ❊ مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال ❊ وثقلت جفنه شمول
ثم انثني راقصا بقد ❊ تثني الى نحوه العقول
يجول ما بيننا بوجه ❊ فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا ❊ حف به اللطف والدخول
فعطفه داخل خفيف ❊ وردفه خارج ثقيل

وعلى ذكر ثقالة الردف فما أحلى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني وأرشقه

تلاعب الشعر على ردفه ❊ أوقع قلبي في العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره ❊ رفقا به ما أنت الا ثقيل

وأين هذا من قول الآخر

يا خصره كم جفاه ❊ تبدي وأنت نحيل

العرب (وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك) (الجد) الحظ والجد الاجتهاد في الامور وكلا الوجهين يصلح ههنا ❊ وهذا المذكور هو الحجاج بن يوسف ابن ابي عقيل الثقفي السفاك المشهور ولد سنة احدى واربعين ونشأ بالطائف وزعم بعض الرواة انه كان اول امره معلم صبيان ويسمى كليبا وفيه يقول الشاعر

اينسى كليب زمان الهزال ❊ وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلك دائر ❊ وآخر كالقمر الازهر

يشير الى خبز المعلمين فانه مختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكايته مع كعب الاسقري ايام ولايته وذلك ان المهلب ابن ابي صفرة لما طال قتال الازارقة في ولاية الحجاج كتب اليه يستبطئه في تأخير مناجزة الازارقة ويعجزه فقال المهلب لرسوله قل له ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب وقام كعب الاسقري وكان من جند المهلب فانشد

ان ابن يوسف غره من غزو كم ❊ خفض المقام بجانب الامصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا ❊ ضاقت عليه رحيبة الاقطار

يا ردفه نح عني * ما أنت الا ثقل

قلت الاول أحسن وأرشق وأكمل من وجوه الاول ان المعنى كامل في بيت واحد وهنا في بيتين الثانى انه أتى بالمثل خاليا من ثقل الاعراب كما هو جار على ألسنة العوام ولم يأت به ملحونا الثالث أن في قوله نح عني ما لا يليق بالعشاق من الجفوة لانه يطلب بعد الردف عنه الا تراهم عابوا على ابن بقي قوله في الابيات القافية

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي

أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

وفضلوا عليه قول الحكم بن عبال

ان كان لا بد من رقاد * فأضلعي هالك عن وساد

ونم على خفقها هدوًا * كالطفل في نهضة المهاد

وقلت أنا رادا على ابن بقي في وزنه ورويه

أبعدت من زحزحته عن أضلع * ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق

هذا بدل الناس منك على الجفا * اذ ليس هذا فعل صب وامق

ان شئت قل أبعدت عنه أضالعي * ليكون فعل المستهام الصادق

أو قل فبات على اضطراب جوانحي * كالطفل مضطجعا بمهد خافق

أنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين الحلي

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه

فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمساني من قولا من خطه

فكم يتحالى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ثغره وهو بارد

وكم يدعي صوناوهذي جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

قلت هذا هو السحر الحلال الذي يلعب بالعقول ويدع الاعجاب بحسنه يقوم ويقول أنشدني من لفظه لنفسه بالديار المصرية سنة تسع وعشرين وسبعمائة شرف الدين عيسى الناسخ

شكوت الى ذاك الجمال صبابة * تكلف جفني انه قط لا يغفو

فلانت لى الاعطاف والخصر رق لى * ولكن تجافى الشعر وانثاقل الردف

قلت لا أعرف يغفو اغا هو غفي يغفي وان كان فهو لغة رديئة غير فصيحة لان غفا يغفو لم يرد في كلام فصيح والله أعلم

*(طردت سرح الكرى عن ورد مقلته * والليل أغرى سوام النوم بالمقل)*

(اللغة) الطرد الابعاد وكذا الطرد بالتحريك يقال طردته فذهب ولا يقال منه انفعل ولا افتعل الا في لغة رديئة والرجل مطرود وطريد (السرح) المال السائم تقول سرحت الماشية وأنفشتها وأرحتها وأسمتها واهملتها وسرحتها سرحا هذه وحدها بلا الف ومنه قوله تعالى وحين تسرحون وسرحت هي بنفسها سروحا يتعدى ولا يتعدى تقول سرحت بالغداة وراحت بالعشي وسرحت فلانا الى مكان كذا اذا ارسلته (الكرى) النعاس تقول منه كرى الرجل بالكسر يكرى كرى فهو كرو امرأة كرية على فعلة بكسر الراء وفتحها قال الشاعر

ورأى معاودة الدباغ غنيمة أيام كان محالف الاقتار فبلغت أبياته الحجاج فكتب الى المهلب يأمره باشخاص كعب فأعلم كعبا بذلك وأوفده من ليلته الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه يستوهبه منه فقدم كعب برسالته من المهلب الى عبد الملك فاستنطقه واستنشده فاعجبه ما سمعه منه وكتب الى الحجاج يقسم عليه أن يعفو عنه فلما دخل كعب على الحجاج قال ايه يا كعب ورأى معاودة الدباغ غنيمة فقال أيها الامير والله لوددت في بعض ما شاهدته من تلك الحروب وما اوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاما أو حائكا فقال الحجاج أولى لك لولا قسم امير المؤمنين لما نفعك ما أسمع فالحق بصاحبك وبعض الرواة ينكر هذا القول ويقول هذه من أكاذيب الشعراء ويزعم ان الحجاج لم يزل في كنف أبيه وكان أبوه رجلا نبيلا جليل القدر الى أن اتصل يعني الحجاج بروح بن زنباع ثم بعبد الملك بن مروان ولم يزل يترقى الى أن ولي العراق والمشرق وطارد كره وعظم سلطانه وأول ما عرف من شهامته وجوره أن أباه خرج من مصر يريد عبد الملك

لا يستمل ولا يكرى مجالسها * ولا يمل من النجوى مناجيها

وأصبح فلان كريان الغداة أى ناعسا (الورد) خلاف الصدر وهو فعل القوم الذين يأتون الماء ليردوه (المقلة) شحمة العين التى تجمع البياض والسواد وتجمع على مقل والحدقة السواد الاعظم والناظر هو السواد الاصغر والانسان يكون فى الناظر لانه كالمرآة اذا استقبلتها رأيت شخصك فيها قال أبو الطيب

جارية طالما خلوت بها * تبصر فى ناظرى محياها

يصف شدة قربها منه والعامة تسمى الانسان النؤنؤ وذبابة العين مؤخرها واللحاظ طرف العين مما يلى الصدغ والموق طرفها مما يلى الانف والجلاق باطن جفن العين وشفر العين طرف الجفن الذى ينبت عليه الشعر والحجاج العظم المشرف على العين * ذكرت بالشفر ما أنشدنيه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

يقولون من وطء النساء خف العمى * فقلت دعوا قصدى فما فيه من شين
اذا كان شفر العين دون محالها * فعندى أن الشفر خير من العين

قلت هذا يشبه قولهم تصدقت ببصرى على ذكرى وقول نور الدين على الاسعردى

يا سائلى لما رأى حالتى * والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ولكننى * سمحت بالعينين للأعور

(رجع) الاغراء ضد التحذير (السوام) والسائمة بمعنى وهو المال الراعى يقال سامت الماشية تسوم سوما اى رعت فهى سائمة وجمع السائم والسائمة سوائم وأسمتها أنا أخرجتها الى الرعى قال الله تعالى فيه تسيمون (النوم) معروف وهو ضد اليقظة يقال نام ينام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على الاصل ونيم على اللفظ وسيأتى الكلام على تصريف ذلك فى الاعراب (الاعراب) (طردت) طرد فعل ماض أدغمت الدال فى التاء لقرب المخرج والتاء ضمير الفاعل (سرح) مفعول به وتقدم الكلام عليه و(الكرى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور والاضافة هنا مقدرة باللام التى هى لشبه الملك (عن ورد) عن حرف جر وورد مجرور به وهو فى موضع نصب لانه مفعول ثان لطردت وعن هنا للتجاوز وقد تقدم الكلام على عن وتقسيمها (مقلته) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام أيضا والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى ذى الذى تقدم فى قوله وذى شطاط (والليل) الواو واو الحال وهى التى للابتداء والليل مرفوع على انه مبتدأ (أغرى) فعل ماض سد مسد الخبر للمبتدا والفاعل فيه ضمير مستتر يرجع الى الليل والخبر اذا كان فعلا وجب تاخيره لانه لو تقدم خرج عن باب المبتدا والخبر الى باب الفعل والفاعل ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا وتاخير الخبر اذا كان المبتدا يساوى الخبر فى المعرفة والنكرة وليس هناك قرينة تدل على المحكوم عليه ولا المحكوم به كقولك صديقى صديقك وأفضل منى أفضل منك فهنا استويا فى المعرفة والنكرة وليس ثم قرينة توضح المخبر به من المخبر عنه وأحدهما يمتاز عن الآخر بالتقديم لانه محكوم عليه فوجب حفظ المرتبة فقدم المبتدأ فأى الجزءين قدمت كان هو المبتدأ وهذا يطرد فى باب الفاعل والمفعول اذا لم يكن ثم قرينة لا عقلية ولا لفظية مثل ضرب موسى عيسى فالمقدم هو الفاعل لانه تراعى له المرتبة وتحفظ فى التقديم (مسئلة) قولهم أبو يوسف أبو حنيفة هذا مبتدأ وخبر وقد استويا

ابن مروان ومعه ابنه الحجاج فاقبل سليم بن عمرو القاضى وكان ممن أورع الناس وأتقاهم فقام اليه يوسف فسلم عليه وقال انى أريد أن آتى أمير المؤمنين فان كانت لك حاجة فأعلمنى قال نعم حاجتى ان تسأله أن يعزلنى عن القضاء فقال يوسف والله لوددت قضاة المسلمين كلهم مثلك فكيف أسأله هذا ثم انصرف فقال ابنه الحجاج من هذا الذى قمت اليه فقال يا بنى هذا سليم بن عمرو قاضى أهل مصر وقاصهم فقال يغفر الله لك يا أبت أنت ابن أبى عقيل تقوم الى رجل من كندة أو تجيبه فقال والله يا بنى انى أرى الناس ما يرحمون الا بهذا واشباهه فقال والله ما يفسد الناس على أمير المؤمنين الا هذا واشباهه يقعدون ويقعد اليهم أحداث الناس ويذكرون سيرة أبى بكر وعمر فيخرجون على أمير المؤمنين والله لو صفا هذا الامر الى لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لى السبيل فاقتل هذا واشباهه فقال أبوه والله يا بنى انى لاظن أن الله تعالى خلقك شقيا * وأول ما أعجب عبد الملك منه انه كان لما اتصل بروح بن زنباع وصار من جملة أصحاب شرطته وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك ثم ان عبد الملك توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن

في التعريف ومع ذلك فلا تحفظ لهما المرتبة بل هما سواء تأخر أحدهما أو تقدم لان لنا قرينة عقلية تدل على أن أحدهما مخبر عنه والآخر مخبر به اذ الغرض تشبيه أبي يوسف بأبي حنيفة وأبو يوسف محكوم عليه وأبو حنيفة محكوم به عقلا فلا يضر التقديم والتأخير لفظا ومن هذا النوع قول الشاعر

تعيرنا أننا عالة * ونحن صعاليك أنتم ملوكا

هذا البيت سأل علي بن زيد الفصيحي أبا القاسم بن علي الحريري عن اعرابه فقال تقديره تعيرنا أننا عالة صعاليك ملوكا كأنتم ونحن عالة جمع عائل صعاليك منصوب به وملوكا صفة لهم وأبطل هذا الجواب علم الدين السخاوي وقال الملوك لا تكون صفة للصعاليك وفي تقديره صعاليك ملوكا كأنتم ونحن لا معنى له والصواب ان عالة من عالني الشيء بمعنى أثقلني أي تعيرنا بأننا عالة ملوكا في حالة التصعلك فهو منصوب على الحال ونحن أنتم مبتدأ وخبره أي نحن مثلكم ومن المواطن التي يجب فيها تقديم المبتدا اذا كان الخبر محصورا كقولك انما زيد شاعر وما عمرو الا كاتب لمن يتوهم أن زيدا غير شاعر وعمرا غير كاتب فهنا يجب حفظ المرتبة لهما ومنها أن يكون الخبر مسندا الى مبتدا مقرون بلام الابتداء نحو لزيد قائم ومنها أن يكون له صدر الكلام كقولك من أبوك لان الاستفهام له صدر الكلام (سوام النوم) منصوب على انه مفعول به والنوم مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام التي هي لشبه الملك (بالمقل) جار ومجرور موضعه النصب متعلق بأغرى والباء هنا للتعدية وقوله والليل أغرى سوام النوم بالمقل في موضع النصب على الحال كأنه قال طردت الكرى عنه في حالة اغراء الليل سوام النوم بالمقل (المعنى) منعته النوم بالمحادثة ونحن في ليل قد أقبل بالنوم على العيون وحببه الى المقل واستعار الطرد للمحادثة واستعار الكرى سرحا اذ هو من متعلق السرح ولذلك أكده بالاستعارة الثانية لانه ابدل السرح للنوم بالسوام وهما من باب واحد وحسن الاستعارة هنا أن السرح السائم اذا ورد الماء كأنه يذهب بالشرب واذا سام في النبات رعاه واذهب سافه من العشب وقد يكون فيه زهر يشبه العيون اليقظى فاذا ذهب بالرعي اشبه العين التي زال رونقها وغاب بياضها وسوادها بالنوم وكذلك الماء المورود للسرح يشبه العين اليقظى فاذا ذهب أشبه تغميضها وقد ناكد الطغرائي هذا الرفيق ومنعه نومه فكان كما يقال لا ينام ولا يدع الناس ينامون ولو كما شرع لسره فان الخلي لا يلزم بحال الشجي والوزير المغربي أنصف دونه اذ قال

لي كلما ابتسم النهار تعلة * بمحدث ما شان قلبي شانه
فاذا الدجى وافى وأقبل جنحه * فهناك يدري الهم أين مكانه

وهو مأخوذ من قول مجنون بني عامر

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

ولمح المعنى فيه محمد بن يحيى بن حزم فقال

اذا طلعت شمس علي بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وقال المجنون أيضا

وشغلت

الحرث عند ما عصى عليه بقرقيسيا فقام روح بن زنباع جماعة من أصحابه وأصحاب شرطته يحثون المتأخرين من أهل العسكر في كل منزلة وكان الحجاج من جملتهم وكان يجتهد في ذلك الى ان مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح في خيمة يأكلون فأمرهم بالرحيل فنهروه منه اذ لا يعلمهم ومحل سيدهم وقالوا انزل كل واسكت فضرب بسيفه أطناب الخيمة فسقطت عليهم وأطلق فيها نارا فاحرقت أثاثهم عليهم فاشتكوه وأتوا به الى روح وسمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا بالاجتهاد فيما وليتنا ففعلنا ما أمرت وبهذه الفعلة يرتدع من بقي من أهل العسكر وما على أمير المؤمنين ان يعوض عليهم ما ذهب وقد قامت الحرمة وتم المراد فأعجب عبد الملك فقال ان شرطيكم لجلد ثم أقره على ما هو عليه ولما طال القتال والحصار بينه وبين زفر بن الحرث أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج الى زفر بكتاب يدعوه الى الصلح فأتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاة فقام رجاء فصلى مع زفر وصلى الحجاج وحده فسئل عن ذلك فقال لا أصلي مع

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان منك وحبكم شغلى
وأديم نحو محدثى نظرى * أن قد فهمت وعندكم عقلى

ومن هنا أخذ أمين الدين جوبان قوله دوبيت

لا أستمع الحديث عن غيركم * من لذة فكرى واشتغالى بكم
ألوى نظرى كأنى أفهمه * من قائله وخاطرى عندكم

ولعمرى ان هذه الاستعارات التى فى كلام الطغرائى واقعة موقعها وهى فى غاية الحسن والاستعارة عند أرباب البيان هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا أو تقديرا ألا ترى انه شبه الليل وارادة النوم على المقل بالراعى الذى يسوق الماشية الى المرعى وشبه منعه النوم صاحبه وشغله عنه بالطرد كالذى يطرد السرح عن ورود الماء ولاشك ان الاستعارة أبلغ من التشبيه وأوقع فى النفس وانظر الى قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والى ما فيه من الطلاوة بخلاف ما اذا قيل وشيب الرأس كالنار يشتعل فهو ادعى أن حقيقة الاشتعال فى الشيب دون النار ووجه المناسبة التى حسنت هذه الدعوى ان الشيب لما كان بياضا يأخذ فى الشعر الاسود شيأ فشيأ الى ان يقوى ذلك ويشتد حتى يأتى على السواد جميعه فيذهبه حسن ادعاء الحقيقة هنا كما ان النار تأخذ فى الفحم شيأ فشيأ وتدب دبيب الشيب فى الشعر حتى تأتى على الفحم ومن هنا عيب على القائل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فان الصياح هنا لامناسبة له ولا معنى وقيل ان بعضهم لما سمع قول أبى تمام

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكائى

جهز له قدحا وقال له ابعث لى فى هذا قليلا من ماء الملام فقال أبو تمام حتى تبعث لى ريشة من جناح الذل وما ظلم من جهز له القدح فانه استعار قبيحا وليست استعارته كاستعارة جناح الذل فى الآية بل الاستعارة فى الآية فى غاية الحسن وما أحلى قول الحسن بن وهب شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت فما غفلت حتى لحقنى قميص الشمس وما أحلى قول البدر الذهبى

ما نظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

سال رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الرجل فى ثوبه أو فى خفه من حصى المسجد قال ارم بها فقال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد فقال دعها تصيح حتى ينشق حلقها فقال الرجل سبحان الله أولها حلق قال فمن أين تصيح ومثل هذا ما حكاه أشعب الطماع قال جاءت لى جارية بدينار فقالت أودعه لى عندك فقلت ضعيه تحت المصلى فلما راحت وضعت الى جانبه درهما فلما كان بعد جمعة جاءت تطلبه وقالت أين الدينار قلت محله لكن انظرى لعله ولد فان كان ولد شيأ أخذيه فنظرت اليه فقالت نعم هنا درهم فقلت ما دام هو تحت المصلى فهو يلد لك كل جمعة درهما فاخذت الدرهم وتركت الدينار وانصرفت وحضرت بعد جمعة وطلبت الدينار فلم تجده فسألت عنه فقلت لها مات فى النفاس فقالت ويلى كيف يموت فقلت يا بظراء

منافق خارج على أمير المؤمنين وعن طاعته فسمع عبد الملك بذلك فزاد عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه بلدا تسمى تبالة وهى أول ما ولى فخرج اليها فلما قرب سال عنها فقيل انها وراء هذه الاكمة فقال أف لبلدة تسترها اكمة فرجع فقيل فى المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم قدم على عبد الملك ملازما خدمته فلما فرغ عبد الملك من قتال مصعب ابن الزبير ورجع الى الشام قال من لابن الزبير يعنى عبد الله القائم بمكة والحجاز وندب الناس الى قتاله فقام الحجاج فقال يا أمير المؤمنين أناله ابعثنى اليه فلقد رأيت فى المنام كأنى سلخته وجردته من جلده فبعثه اليه وجهز معه جيشا فقدم الى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة وفعل ما فعل حتى قتل ابن الزبير وصفت الخلافة لعبد الملك فسر باجتهاده وأرسل اليه عهده على مكة والمدينة والطائف فاستخف أهل الحرمين وأهانهم ثم كتب الى عبد الملك يقول انى حزت الحجاز بشمالى وبقيت يمينى فارغة يعرض بالعراق فبعث اليه عهده على العراق وهذا أحد الاقوال فى سبب ولايته العراق * والقول الآخر انه وفد على عبد الملك ومعه ابراهيم ابن طلحة بن عبد الله التيمى

كيف تصدقين بولادته ولا تصدقين بموته في الفاس وما أحسن قول ابن خفاجة الاندلسي

وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقوله من أبيات

في خصر غور بالاراك موشح * أو رأس طود بالغمام معمم
أو نحر نهر بالحباب مقلد * أو وجه خرق بالضريب ملثم

وقول محيي الدين بن قرناص

قد أتينا الرياض حين تحلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ذكرت بعمامة الغمامة هنا قول القاضي الفاضل ووصلنا حصن كوكب وهو نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة قلت ما أحسن هذا التخيير وألطف هذه الاستعارات وقد عاب ضياء الدين بن الاثير هذا الفصل في المثل السائر وأجبت عنه في كتابي المسمى بنصرة الثائر على المثل السائر ويعجبني قول ابن خفاجة

ألا رب يوم حثت الكاس خطوه * فطار وأيام السرور قصار
عثرت بذيل السكر فيه عشية * وللريح في موج الخليج غبار
وقد فضض النوار كل رباوة * وسال عليها للاصيل نضار

قلت كل هذه الالفاظ في الابيات فصيحة الا قوله رباوة فانه غير مستعمل لان في ربوة أربع لغات تثليث الراء بالضم والفتح والكسر والضم أفصحها واللغة الرابعة رباوة ولكنها غير مستعملة الا فيما قل ولغة القرآن أفصح ولو قال

وقد فضضت جيد الروابي أزاهر * يسيل عليها للاصيل نضار

لكان أعذب موقعا في السمع من ذلك وقول أبي نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي

خرقنا باطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا * لاوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبي الحسن علي العقيلي من أبيات

وفرق تيجان نواره * فلم ينس من غصن مفرقا

وقوله أيضا

اذا أبدى مؤامرة التجني * أقمت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا

لنا أخ يحسن ان يحسنا * رضاه للعانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

وقوله أيضا

وكان من رجال قريش علما ونبلا وعملا وزهدا ومهابة وكان الحجاج مسخرا له لا يترك من اجلاله شيأ فلما قدما على عبد الملك أذن للحجاج في الدخول فلما دخل سلم ولم يبدأ بشيء الا أن قال يا أمير المؤمنين قدمت عليك برجل من أهل الحجاز ليس له نظير في كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق قال ومن هو قال ابراهيم بن طلحة التيمي فليفعل أمير المؤمنين معه ما يفعله بامثاله فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة ثم أذن له فلما دخل قربه وأدناه ثم قال له ان أبا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفك به من الفضل وحسن المذهب فلا تدع نحاجة الا ذكرتها فقال ابراهيم ان أولى الامور أن يفتتح به الحوائج ما كان لله فيه رضا ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء ولجماعة المسلمين نصيحة قال وما هو قال لا يمكن القول الا وأنا خال فأخلني قال أو دون أبي محمد قال نعم فاشار عبد الملك الى الحجاج فخرج وقال قل فقال يا أمير المؤمنين انك عهدت الى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه وبعده عن الحق وركونه الى الباطل ووليته الحرمين وبهما من أولاد المهاجرين والانصار من قد

خاص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصدود عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا

كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا

فلما تبدى لنا وجهه * نهبنا محاسنه بالعيون

وقوله أيضا

الغرب بالليل مسك * والشرق بالفجر ند
وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه أرض * له من الماء خد
لجيد يومك فيه * من الملاحة عقد

وقوله أيضا

الى كم ذا ترد الغيث * لا تروى من الغدر
أظن الغيث قد نمت * عليه حيلة العذر

وقوله أيضا

قد ضاقت الحيلة بي في رشا * لا يقبل الرشوة من ود
ما سرت بالشكوى الى سمعه * قط فاشرفت على وعد

وقوله أيضا

وأوحشت من رؤياك طرفي فلم يزل * تنزهه في ورد وجنتك الغض
فان كنت تخشى من لسان بكائه * فما الرأى الا أن تبر طل بالغمض

وقول ابن الساعاتي

ولولا رواة الطل وشاة تخرصوا * أحاديث ليست في سماع ولا نقل
لثمنا ثغور النور من شنب الندى * خلال جبين النهر في طرر الظل

وقول ابن النبيه

تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودب عذار الظل في وجنة النهر

وقوله أيضا

والنهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

وقول محيي الدين بن قرناص

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لقضبه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار ظل * على نهر حكى خدا أسيلا

وكلهم أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال

وما الانس الا في مجاج زجاجة * ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

علمت يسومهم الخسف ويقودهم بالحتف ويطؤهم بطغام أهل الشام ورعاع لا روية لهم في اقامة حق ولا في ازاحة باطل ثم تظن أن ذلك ينجيك من عذاب الله فكيف بك اذا جاثاك محمد صلى الله عليه وسلم غدا للخصومة بين يدى الله تعالى أما والله أنك ان تنجو هنالك الا بحجة تضمن لك النجاة فأبق لنفسك أودع وكان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا وقال كذبت ومنت فيما جئت به ولقد ظن بك الحجاج ظنا لم يجده فيك فانت المائن الحاسد قال فقمت ووالله ما أبصر شيأ فلما جاوزت الستر لحقني لاحق فقال للحاجب امنع هذا من الخروج وأذن للحجاج فدخل فلبث مليا ولا أشك انهما في أمرى ثم خرج الاذن لي فدخلت فلما كشف الستر اذا أنا بالحجاج خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني وقال اذا جزى الله المتواخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل الجزاء أما والله لئن بقيت لارفعن ناظريك ولا تبعن الرجال غبار قدميك قال فقلت في نفسي انه ليسخر بي فلما وصلت الى عبد الملك أدنى مجلسى كما فعل في الاول ثم قال يا أبا طلحة هل أعلمت الحجاج بما جرى أو شاركك أحد في

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقول ابن قلاقس

جرت خيل النسيم على الغدير * وردت تحت قسطال العبير
وغاب الصبح فى كف الثريا * وكان براحة القمر المنير

وما أحسن قول أمين الدين جوبان

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما منه بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

ويعجبنى قول القائل وان كان مشهورا

بحيرة جدول وسماء آس * وأنجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كأس * وبرق مدامة وضباب ند

وقول ابن الساعاتى

وكم ركبت بهيم الليل فى غرض * وبدره غرة والصبح تحجيل
ووردة الفجر فى خدى مطالعه * كأنها أثر ابقاه تقبيل

وقول ابن قلاقس

سرى وجبين الجو بالطل يرشح * وثوب الغوادى بالبروق موشح
وفى طى أبراد النسيم خميلة * باعطافها نور المنى يتفتح
تضاحك فى مسرى المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح
ويورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابن رشيق

باكر الى اللذات واركب لها * نجائب اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وقال ابن سناء الملك

قد كان لى منديل كم سابغ * ما جاز مسح فى به فى مذهبى
فاعتضت منه بخد من أحببته * ومسحت فى منديل كم مذهب

وقال بعض المغاربة

زار وقد شمر فضل الازار * جنح ظلام جانح للفرار
وروضة الانجم قد صوحت * والفجر قد فجر نهر النهار

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب أبى الثناء محمود قصيدة له منها

يا راكب الوجناء يجذب فى السرى ذيل الزميل
يختال فى حبر الشرو ق ضحى وفى حبك الاصيل
ويخوض من نهر المجرة كالنجوم على مسيل

وقرأت عليه من أخرى له

أيها السائر الذى فى المرامى * باكر السير بكرة وأصيلا

يكاد

نصيحتك فقلت لا والله ولا أعلم أحدا أظهر يدا عندى من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بدينى لكان هو ولكنى آثرت الله ورسوله والمسلمين فقال قد علمت صدق مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان لك فى الحجاج أمل وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت ولايته عليهما وأخبرته انك الذى استنزلنى له عنهما استصغارا للولاية ووليته العراق لما هنالك من الامور التى لا يدحضها الا مثله وانما قلت له ذلك ليؤدى ما يلزمه من ذمامك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته مع يدك عنده فخرجت مع الحجاج واكرمنى أضعاف اكرامه واستدللت على مكارم عبد الملك وأخلاقه واعترافه بالحق وتلطفه فى الامور (وقيل) فى سبب ولاية الحجاج العراق قول آخر ثم دخل الحجاج الى العراق ودخل الكوفة وبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التى يقول فيها يا اهل العراق والنفاق والله لاعصبنكم عصب السلمة ولالحونكم لحو العصا فطالما أوضعتم فى الضلالة وتماديتم فى الجهالة يا عبيد العصا أنا الغلام الثقفى لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى

يكحل المقلتين من أغدالايك ل فيغني القفار ميلا فيلا
وقرأت عليه من أخرى له

أعد حديث الحمى فالركب في طرب * وقص أنباء من بالجزع من عرب
كرر حديث الثنايا فهو أعذب لي * على الظماء من رضاب الخرّد العرب
اذا الكرى ذرفي أجفاننا سنة * من النعاس نفضناها من الهدب

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ولما جنى طرفي رياض جمالكم * جعلتم سهادي في عقوبة من جنى
أأحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجزع موطنا
فقد حزتم دمعي عقيقا ومهجتي * غضى وسلكتم من ضلوعي منحنى

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

وقدّروت عن لينه واعتداله * صحاح العوالي مسندا بعد مسند
اذا قعدت أردافه قام عطفه * فيا طول شجوي من مقيم ومقعد

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

لحا الله قلبا كلما جرطرفه * الى الحسن ألقى عروة المتماسك
تأبط شرا من أذى الوجد وانثنى * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

هذي الحمائم في منابر أيكها * على الغنا والطل يكتب في الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهذا أحسن من قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

اني لاشهد للعمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
مازاره أيام نرجسه فتى * ألا وأجلسه على أحداقه

وقلت أنا من مقامة

وما حسدت نفسي سوى نفس الصبا * ولا سيما يوم قطعناه بالحمى
فكم ضم عطفا للغصون مرنحا * وعانق قدا للقضيب مقوما
وقبل خد الورد وهو مضرج * وثغر الاقاحي في الربا اذ تبسما
وكم بات يستجلي عذار بنفسج * سقته الغوادي صوبها فتنعما

وقلت أيضا

قالت اذقيل لي تسل فهذا بصدغه قد دجا وكان ينير
هي مرآة خده غاب منها * في غلاف العذار شيء يسير

وقلت أيضا

لقدّها اذ ينثني صولة * معروفة ما بين عشاقها
قد قطعت ظهر غصون الربا * وجرت الورق بأطواقها

وقلت أيضا

وحقك لو حكاها غصن بان * لقطعت الخفاف على قذاله

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم أشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا واقسم بالله لتدعن الارجاف ولتقبلن على الانصاف ولتنزعن عن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أولاهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والولدان يتامى والله لكأني أنظر الى الدماء تترقرق بين اللحى والغلاصم فلما سمع أهل الكوفة هذه الخطبة وكان بعضهم قد أخذ حصا اراد أن يحصب به الحجاج فتساقط من ايديهم حزنا ورعبا وثبتت مهابته في قلوبهم وتحكم حينئذ في رقابهم وكان القاسم بن سلام يقول قاتل الله اهل الكوفة ابن قبائلهم وعشائرهم واهل الانفة منهم واين تجبرهم قتلوا عليا وطعنوا الحسين وقاتلوا المختار وعجزوا عن قتل هذا الملعون الدميم الصورة وقد جاءهم في اثني عشر راكبا وهم مائة الف ولكن ظهر تصديق امير المؤمنين علي بن ابي طالب في قوله اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي ثم اقام الحجاج بالعراق يرهب

ولم يفتح لعين الزهر جفنا * لينظر في الغدير الى خياله

وقلت أيضا وان كان فيه طول

لي غادة لم ترض بدر الدجى * يبيت في خدمتها يسري
اذا رنت أقسم من خوفها * هاروت لا عاد الى السحر
وفرقها الوضاح ينفي الدجى * ويسلخ الليل الى الفجر
والبرق لما ابتسمت كم غدا * وقلبه يخفق بالذعر
والظبي لما التفتت جيدها * هم على الوجه الى القفر
فلو تثنت قطعت خفها * على قذال الغصن النضر
وأدخلته في حرام النقا * وما استحت من شيبة الزهر

وما أطرب لشيء كطربي لاستعارات القاضي الفاضل رحمه الله في مثل قوله وتلك الجبهة وان كانت عربية فانها مستودع الانوار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار * وقوله ونصبر حتى تنجلي هذه الغمرة وحتى تجف مناديل الجفون فانها كانت بالدموع عصرة وقوله أيضا من قصيدة مطوّلة

قد استخدمت بالافكار سري * وما أطلقت لي بالوصل أجره
ولم أره على الايام الا * عقدت محبة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا * بقيت بأدمعي في الشمس عصره

وقوله في ليلة جد نحرها وتجد جرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قمصا الى قمصها والشمس لو جرت النار الى قرصها * وقوله وأنتم يا بني أيوب لو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره في الهبات دنانير ودراهم وأيامكم أعراس ومآتم فيها على الاموال مآتم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم * ونقلت من خط مجير الدين عبد الله بن عبد الظاهر وما أحسن ما قال القاضي الفاضل رحمه الله وأما الجاحظ فما منا معاشر الكتاب الا من دخل من كتبه الحارة وشن الغارة وخرج وعلى الكتف منها كارة ولا يقول المملوك في فوائد المولى تاج الدين ذلك بل يقول ما منا الا من أدخله داره وساهمه بدره وابداره وأجلسه معه في الدارة وأخلى له سريره وخلى سراره ونزل من عنده وبين يديه من فوائده الكواكب السيارة بل يقول ما منا الا من استعار منه فأعاره واستكساه فحسن له الشارة واستجناه فأجناه ثماره وتركه وكل معنى مبتكر له كصاحب الجمل وكل ذي استفادة منا يلتقطه كبعض السيارة * قلت كان ينبغي له ان يقدم القول الثاني على الاول * وقول القاضي الفاضل وحالي في التفرس الى هذه الغاية الارض من ذوات المحارم ما وطئتها برجلي وطرقها اضاحية ما كسوتها ظلي * وقوله وان رأى المجلس ان يكون الجواب في ظهر الكتاب لجزاء كل مفتخر أن يدفع في ظهره * وقوله أيضا والله يمن بطلوع نجمه نهارا وبقدوم وجهه الذي تسر أساريره أسرارا فينعم بكتابه فان الكتاب للقاء رديف وفيه نجدة للصبر على الشوق والشوق قوي والصبر ضعيف * وقوله واعمال لسانه ببر الابريز ولي لسان حببه القلب فهو في الدهليز * وقوله وعلى المتوفى ديون جليلة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط * وقوله وكيفما كتبت يد سيدنا نثرت الدر الثمين

ويقتلك حتى استوثقت له الامور ثم خرج عليه عبد الرحمن ابن الاشعث باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا شيعته فاستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة في ستة أشهر وكان مع ابن الاشعث أكثر من مائتي ألف فلما هزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهد والا قتله فاتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر لبئس العبد أنا والله ما بقي من عمري الا ظمء حمار واني انتظر الموت صباحا ومساء فأمر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ آخر فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج أتخادعني عن نفسي أنا أعرف بها منك واني لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله * وكان في الحجاج خلال امتاز بها عن أبناء وقته الكرم

واستدعت سطوره مصافحة شفاه اللاثمين * وقوله فان الهم موت والوهم صريخ ماله صوت وقوله أيضا فلا أقرأله كتابا الا كنت سابحا في بحر كله درر وقاطفا من روض كله ثمر وظللت منه بنهار كله غرر وبت بليل كله سحر مستمتعا بحديث كله سمر واردا منه موردا كله صفاء على رغم انف زمان كله كدر * وقوله فطرقنا كلها أسواق والبرارى عليها من المهابة أغلاق وأيدى الولاة لأعناق المفسدين أطواق * وقوله أيضا وما يؤثر المملوك أن يفتح باب شكواه لدهره ولا يعزيه عن المصاب الذى لا يطيعه اللسان فى ذكره ولا أن يدل المولى على الامر الجامع بين ترويح سره وتحصيل أجره ولا أن يشير الى أن الحى غريب فى طريق عمره الى أن يحصل فى دار قبره * وقوله أيضا وأنا على دفع الايام وهى تدفعنى ولباس الليالى وهى تخلعنى وعتاب الدهر ولكن ما أظنه يسمعنى وقوله فيما أظن

نزاتى بالله زولى * وانزلى غير لهاتى
واتركى حلقى بحقى * فهو دهليز حياتى

وقوله فى ممسحة القلم

ممسحة نهارها * يجن ليل الظلم
كأنها مذ خلقت * منديل كم القلم

وقول نور الدين على بن سعد المغربى فيها

وممسحة لاحت كأفق تبددت * به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما أطال الليل فيها وروده * حكته وسدت للصباح المطالع

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر

وممسحة تناهى الحسن فيها * فأضحت فى الملاحة لا تبارى
فلا تنكر على القلم الموافى * اذا فى وصلها خلع العذارا

(والركب ميل على الاكوار من طرب * صاح وآخر من خمر الكرى ثمل)

(اللغة) الركب تقدم الكلام عليه (ميل) جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرج قال جرير

لم يركبوا الخيل الا بعد أن هرموا * فهم ثقال على أكتافها ميل

(الاكوار) جمع كور وهو القتب (الطرب) خفة تلحق الانسان لشدة حزن أو سرور تقول طرب يطرب فهو طرب قال الشاعر

وترانى طربا فى اثرهم * طرب الواله أو كالمختبل

فطرب اسم فاعل وهو هنا يحتمل أن يكون من الفرح وأن يكون من الحزن ولكنه الى الحزن أقرب لانه فى بيت الطغرائى جاء فى سياق شدة السهر (صاح) صحا يصحو من سكره فهو صاح اذا زال ما كان يجده من النشوة (خمر) قال ابن الاعرابى انما سميت الخمرة خمرة لانها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها وقيل لمخامرتها العقل أى تغطيتها (الكرى) تقدم تفسيره (ثمل) تقول ثمل الرجل بالكسر ثملا اذا أخذ الشراب منه فهو ثمل أى نشوان (الاعراب) (والركب) الواو للابتداء والركب مرفوع على انه مبتدأ (ميل) مرفوع على انه خبر المبتدا وهو جمع أميل كما تقول أبيض وبيض وكان أصله ميل بضم الميم كما تقول أحمر وحمر ولكنهم استثقلوا الضمة قبل حرف العلة وهو الياء فقلبوا الضمة الى جنس ما بعدها فكانت كسرة كما

والفصاحة والدهاء والجور وحلم فى بعض الاوقات * فاما كرمه فحكى انه لما دخل المدينة فرق فى أهلها عشرة آلاف دينار ثم قال أتينا كم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا فقال رجل لا عذر الله من يعذرك وأنت أمير المصرين وأنت عظيم القريتين فقال صدقت واقترض أموالا من هناك من التجار فكان شيأ عظيما ولما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة يجتمع على كل مائدة عشرة أنفس ويطاف به فى محفة على أيدى الرجال يشرف على القوم ويقول يا أهل الشام اهشموا الخبز لئلا يعاد عليكم وقيل كان فعله هذا خصيصا بأهل الشام وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال أيها الناس رسلى اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال الناس قد قلوا فقام رجل وقال يا أيها الامير انك أغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فأعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك * وأما دهاؤه فحكى عبد الله بن ظبيان قال كنت مع مصعب بن الزبير قال كنت يوما واقفا على باب الحجاج

في بيع وقيل وكما في ميزان وميعاد فالاصل ضم أوائل هذه الاربعة ولكنهم فعلوا بها ماذكرته لك (على الاكوار) جار ومجرور متعلق بميل (من طرب) جار ومجرور وطرب بكسر الراء اسم فاعل هنا وليس هو مصدرا فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى وكان الجار والمجرور مفعولا من اجله وكان قوله وآخر من خمر الكرى معطوفا على غير شئ ولم يتعلق بما يربطه وهذا الجار والمجرور في موضع الحال واذا كان الجار والمجرور حالا فلا بد له من التعلق بمحذوف هو العامل فيه وتقديره هنا والركب مائلون منقسمين (صاح) مجرور على أنه صفة لطرب تبعه في افراده وتذكيره وتنكيره وجره (وآخر) الواو عاطفة عطفت آخر على طرب ولم يجر لانه غير منصرف فعلامة الجر فيه فتحة وانما قلنا انه غير منصرف لان فيه علتين فرعيتين من العلل التسع وهما العدل والصفة والعدل فيه تحقيقي لان آخر من باب أفعل التفضيل وهذا الباب شرطه ان لا يستعمل الا مضافا أو بالالف واللام أو بمن ولهذا لحنوا أبا نواس في قوله

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لانه استعمل افعل التفضيل بغير شرطه وأجاب ابن أبي الحديد رادا هذا القول على ابن الاثير في المثل السائر بأن قال لا ينكر أن كثيرا من أئمة العربية طعن في هذا البيت ولكن انتصر له كثير منهم فقالوا وجدنا فعلى افعل في غير موضع واردة بغير لام ولا اضافة ولا من مثل دنيا في قول الراجز * في سعي دنيا طالما قد مدت * وقول الآخر * وان دعوت الى جلى ومكرمة * وقول الآخر * لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * وقالوا طوبى لك وفي البيت وجه آخر وهو ان تكون من في قوله من فواقعها زائدة على مذهب أبي الحسن في زيادة من في الواجب فانه يذهب الى ذلك ويحتج بقوله تعالى فيها من برد أي فيها برد وهذا يرجع ان يكون كبرى وصغرى في البيت مضافتين وقد وقع الاتفاق على جوازه (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل أما ايراده دنيا واخواتها فكل وجوهها مذكورة في كتب النحاة بما يغني عن الاطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى وأما قوله بزيادة من فكأنه يظن ان من اذا كانت زائدة كان الجر بالاضافة أو كانت الاضافة باقية وهذا لا وجه له وانما الجر بحرف الجر لان حروف الجر لا تعلق وأما زيادة حرف الجر بين المضاف والمضاف اليه فلم يقل به الا في مثل لا أبا لك على شذوذ وليس هذا منه ولا يريد الاخفش بقوله ان من تزاد في الواجب ما أراده ابن أبي الحديد اه (قلت) قال النحاة وربما استعملوا هذه الصفات استعمال الاسماء فحذفوا الالف واللام نحو قولهم دنيا لانها وان كانت صفة وقد غلبت وصارت بمنزلة الاسماء غير الصفات ومثله جلى وأنشدوا الابيات التي أنشدها ابن أبي الحديد وأمامي قرأوفولوا الناس حسنى بغير تنوين ومن أنشد * ولا يجزون من حسنى بسوأى * فليستا بتأنيث أحسن وأسوأ بل هما مصدران كالرجعى والبشرى * وقد اختلف النحاة في الصرف ما هو فقال قوم التنوين وحده وقال آخرون الجر والتنوين واختار الاول جمال الدين محمد بن مالك والدليل على انه أقوى من أربعة أوجه الاول انه مطابق لاشتقاق اسم الصرف فانه مأخوذ من صريف ناب الابل والبكرة والقلم وهو الصوت الذي يسمع من هذه الاشياء قال الشاعر * له صريف صريف القعو بالمسد * يعني البكرة الثاني ان الاسم الذي لا ينصرف

فاذا به قد خرج وحده وكانت القائلة وما بالباب أحد فوقع في نفسي ان أقتله فنظر الى فقال هل لقيت يزيد بن أبي أسلم يعني كاتبه قلت لا قال القه فان عهدك على الري معه فطمعت وكففت عنه وتوجهت الى يزيد فلم يكن عنده عهد ولا شئ من ذلك وانما قال الحجاج ذلك حذرا وشغلا لي عما أردته به وبنى هو وعبد الملك في بعض المساجد بابين فوقعت صاعقة فاحرقت باب عبد الملك فداخله حسد للحجاج فكتب اليه انما مثل أمير المؤمنين ومثلي كمثل ابني آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ودخل يوما على عبد الملك فدعا بالشراب فقال يا أمير المؤمنين اعفني فاني أنهى أهل عملي عنه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فقال عبد الملك انه نبيذ الرمان يشهي الطعام ويزيد في الباه فقال الحجاج أما كونه يشهي الطعام فوالله لوددت أن هذه الاكلة تكفيني حتى أموت وأما كونه يزيد في الباه فحسب الرجل أن يصرع في الشهر مرة وصعد يوما المنبر فأراد أن يختبر طاعة الناس له فقال الا ان الحجاج كافر فلم يرد عليه أحد شيأ

يدخله الجر مع الالف واللام والاضافة مع وجود مانع الصرف فيه الثالث ان الشاعر اذا اضطر الى التنوين فى المرفوع والمنصوب نون ويقال اضطر الى ذلك ولاجر الرابع انه اذا اضطر الى التنوين فى الجر جر ونون ولو كان الجر من الصرف لفتح ونون وانما كان باب ما لا ينصرف ممنوعا من الجر والتنوين قياسا على الفعل اذ لاجر فيه ولا تنوين لكون الفعل فرعا على الاسم على الصحيح والعلل المانعة من الصرف كلها تتفرع على ما سواها فاذا دخلت على الاسم الحقته بالفرعية وخلصته من الاسمية الابقية فلهذا أعرب اعراب الفعل ومنع ما منع منه الفعل فاذا أضيف أو دخلته الالف واللام أو من قويت الاسمية فيه وتمحض فيها فدخل فيه الجر وانما قلت ان العلل المانعة من الصرف فروع لان العدل فرع على المعدول عنه سواء كان تقديريا أو تحقيقيا والصفة فرع على الموصوف والتأنيث فرع على التذكير والمعرفة فرع على النكرة والعجمة فرع على العربية والجمع فرع على المفرد والنون والالف الزائدتان فرعان على ما زيدتا عليه ووزن الفعل فرع على وزن الاسم فاذا حصل فى الاسم علتان من هذه شابه الفعل فى الفرعية فاعطى ما أعطى ومنع ما منع وانما تبع التنوين الجر لانه لو جر بغير تنوين لالتبس بالمضاف الى النفس و بالجملة ففى باب ما لا ينصرف مباحث دقيقة استوفيتها فى التعليقة على الحاجبية من أول الباب الى آخره (رجع)* (من خمر الكرى) جار ومجرور ومضاف اليه ولم تظهر الكسرة فى المضاف لانه مقصور والاضافة بمعنى اللام التى للملك مجازا والجار والمجرور متعلق بثمل ومن هنا لبيان الجنس (ثمل) مجرور على انه صفة لآخر والبيت بمجموعه فى موضع النصب على الحال كانه قال طردت سرح الكرى عن ورد مقلته فى حالة اغراء النوم بالمقل وفى حالة ميل الركب على ظهور مطيهم (المعنى) نادمته وحادثته والرفاق قد مالوا على مطاياهم فهم ما بين صاح من النوم وما بين ثمل من الكرى وهذا دليل على انهم كانوا فى أخريات الليل وفى ذلك الوقت يكون بعضهم قد صحا من خمر النوم والآخر فى نشوته يميل يمنة ويسرة قال ابن صردر

قلت وهم من نشوات الكرى * موائد كالسجد الركع
حنوا مطاياكم فكم غاية * قد فنيت بالأينق الظلع

وقال بديع الزمان الهمذانى

لك الله من ليل أجوب جيوبه * كأنى فى أجفان عين الردى كحل
كأن الدجى نقع وفى الجو حومة * كواكبها جند طوائرها رسل
كأن مطايانا سماء كأننا * نجوم على أقتابها برجها الرحل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا لها شرب كأن المنى نقل

أنشدنى اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهيرى الاربلى الحنفى من أبيات

أما والمطايا فى الازمة تمرح * وقد شفها طول السرى فهى رزح
قسى عليها كالسهام سواهم الـ * ـوجوه كما أمسوا على السوق أصبحوا
يميل بهم سكر السهاد كانما * على كل كور غصن بان مرنح

فقال باللات والعزى وبالبغلة الشهباء ويوم الاربعاء ودخل عليه قاتل الحسين رضى الله عنه فقال له أنت قاتل الحسين قال نعم قال كيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا ثم هبرته بالسيف هبرا ووكلت أمر رأسه الى امرئ غير وكل فقال الحجاج اما والله لا يجتمعان فى الجنة وكان قصده رضا اهل العراق واهل الشام فخرج اهل العراق يقولون صدق الحجاج لا يجتمع والله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله فى الجنة وخرج اهل الشام يقولون صدق الامير لا يجتمع من شق عصا المسلمين وخالف امير المؤمنين هو وقاتله فى طاعة الله فى الجنة *واما جوره وسفكه الدماء فقد ذكر انه قتل اكثر من مائة الف صبرا آخرهم سعيد ابن جبيل بل جبير وهو الصحيح رضى الله عنه ومات فى حبسه اكثر من عشرين الفا لم يجب على احد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل صيفا وشتاء وليس فيه مستراح والناس بعضهم على بعض ومر يوما عليهم فاستغاثوا به فقال اخسؤا فيها ولا تكلمون *وقال أبو عمرو بن العلاء كنت اقرأ الا من اغترف غرفة بالفتح ولع الحجاج وكان يقرأ بالضم

وقرأت على القاضي أبي الثناء محمود قوله من قصيدة طويلة

كأن غصوناً في الرمال يميلها * سحيراً على الانضاء مرّ صباها
نشاوى على الاكوار من خمرة السرى * وكاس الكرى قد أولياً بطلاها

وقرأت عليه أيضاً قوله

لا تردها على جواها ودعها الآن تهوي بين الوهاد هويّا
ان بين الضلوع منها الى الري بعين الزرقاء داء دويّا
ضمّر كالقسي ترعى بشهب * فوقها كالسهام ترمى قصيّا
بلبلتهم كاس السرى فتثنوا * نشوة ما سقوا بها البابليّا

وقرأت عليه أيضاً قوله

كرر حديث الثنايا فهو أعذب لي * على الظما من رضاب الخرّد العرب
فقد سرت نفحة أنشأت نسمتها * فيناً فلناعلى الاكوار من طرب

وقرأت عليه أيضاً

برانا الهوى حتى توهمنا الذى * برانا خيالاً في الدجى قد سرى وهنا
كأنا على الاكوار أفنان دوحة * يميلها مرّ الصبا غصناً غصنا

وقال ابن قلاقس

ولرب خرق جبته بضوامر * لحق الاياطل قادها الاقدام
خوص كأمثال السهام نحافة * فاذا سما خطب فهن سهام
في فتية بيض الوجوه حديثهم * والليل داج صبوة وغرام
عبث الكرى برؤسهم فأمالها * فكأنهم سكرى وليس مدام

وقال أيضاً

طرحنا العجز عن أعجاز عيس * نوشحها على الحزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسيّاً * فتقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة

وقد مابرت منها قسياً يد السرى * وفوق منها فوقها الجد أسهما

وقال ابن الساعاتي

ولكم رميت حشا الفلاة بأسهم * بعثت حنايا اينق وركائب
من كل منتصب وآخر ساجد * وسناكما اختلفت أنامل حاسب

قلت هذا التشبيه في غاية الحسن لان أنامل الحاسب واحدة ترتفع وأخرى تنخفض وكذا الركب في وقت السرى اذا غلب عليهم النعاس ترى هذا قد هوى بعدما ارتفع وهذا قد انتصب بعدما هوى وقال الشريف الرضي

هن القسي من النحول فان سما * طلب فهن من النجاء الاسهم

قال الثعالبي هذا ما أراه سبق اليه لانه جمع بين القسي والاسهم اهـ ويعجبني قول ابن حمديس الصقلي

قلاص حناهن الهزال كأنها * حنيات نبع في أكف جواذب

فطلبني فهربت الى واد بصنعاء فأقمت زماناً فسمعت أعرابياً يقول لآخر قد مات الحجاج فقال الاعرابي

ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

فلم أدر بأي شئ كنت أشد فرحاً أبموت الحجاج أم بسماع البيت استشهد به على القراءة (وحكى) بعض القراء قال قرأ الحجاج في سورة هود انه عمل غير صالح فلم يدر أيقول عمل أم عمل فقال ائتوني بقارئ فأتي بي وقد قام من مجلسه فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة أشهر فلما انتهى الي قال فيم حبست فقلت في ابن نوح أصلح الله الامير فضحك وأطلقني وحكى أنه أراد سفراً فصعد المنبر فقال اني قد عزمت على السفر وخلفت عليكم ابني محمداً وأوصيته خلاف ما أوصى به العبد الصالح أن لا يتقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا واني أعلم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة الا واني معجل لكم الصواب بالجواب فأقول لا أحسن الله عليكم الخلافة * وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت بقرية فأجد كلباً نائماً في ظل حب فقلت في نفسي ليتني كنت الكلب وكنت

اذا أوردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على ارجائها كالحواجب

أخذه الآخر فقال

وقفر شكائيه جوادي من الظما * ولم ألق فيه منه الاغير ناضب
كان الهيامي أقسمت لا تدله * على عين ماء أو ترى مثل حاجب

وقال التهامي

وعصابة مال الكرى برؤسهم * ميل الصبا بذوائب الاغصان

قلت ما أحلى قوله عصابة ورؤس وذوائب تكاد ترقص بهذا المعنى الالفاظ والسطور وتحلى بدرره الترائب من الغواني والحور وما أعلم مثله في بديع صناعته غير قول أبي الطيب

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل في صدره وبل

فانه ناسب فيه بين السابح والموج والوبل ثم ان سابحا هنا مثل قول التهامي وعصابة في أن كلا من اللفظين يخدم في معنيين اما عصابة فأحد معنييها في البيت الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت واذا لمح الرؤس والذوائب كان معناها الثاني ما يشد به الرأس وكذلك سابح أحد معنييه الفرس والثاني اسم فاعل من سبح ولقد تعجبت من هذين البيتين وحسنهما واتقان البديع فيهما وهما اللذان أمنا أن يعززا بثالث لا ما ادعاه الحريري فيما رواه عن الحارث والبيتان اللذان للحريري هما قوله

سم سمة تحمد آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتني السودد والمكرمه

ولقد رأيت عدة مقاطيع قد نظمها الشعراء في هذا النمط لما ادعى الحريري هذه الدعوى فيهما ومن أحسن ما علق بذهني من تلك المقاطيع قول القائل

ملامة الوقعاء يوم الوغى * أحسن من حرأتي ملامه
فهاذا استجديت عن قول لا * فالحر لا يملا منها فمه

وقول الآخر

والمس لمهوى الضيف جزل القرى * واصفح عن المسلم والمسلمه
والمهر مهما اسطعت لا تعله * فانه مهما علا مهرمه

وللصاغاني مجادلة في معارضة البيتين رواها الشيخ شرف الدين الدمياطي عنه (رجع) وفي بيت الطغرائي من البديع الجمع مع التقسيم لانه جمعهم في ميل على الاكوار ثم قسمهم فقال منهم من مال من التعب ومنهم من مال من النعاس ومن أمثلة هذا النوع قول أبي الطيب

حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وأحسن من هذا قوله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فأمضيت وقيل فأبقيت * ووقف اعرابي على حلقة الحسن رضي الله عنه فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الرجل منكم أحدا حتى عمه بالمسئلة ومن المجون قول من قال

مستريحا من خوف الحجاج ومررت ثم عدت من ساعتي فاجد الكلب مقتولا فسألت عنه فقيل جاء أمر الحجاج بقتل الكلاب فعجبت من عموم جوره * وأما حلمه فحكي عنه انه خرج يوما الى ظاهر الكوفة منفردا فرأى رجلا فقال ما تقول في أمير كم قال الحجاج قال نعم قال زعموا انه من ثمود وكفى بسوء سيرته شرا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فقال الحجاج أتعرفني قال لا قال أنا الحجاج فقال الرجل أتعرفني أيها الامير قال لا قال أنا مولى بني عامر اجن في الشهر ثلاث مرات هذا اليوم أشد الصرع على فضحك من قوله وصفح عنه * وأتي بقوم من أصحاب ابن الاشعث فأمر بضرب أعناقهم فقام رجل فقال أيها الامير ان لي عندك يدا قال وما هي قال شتمك رجل بحضرة ابن الاشعث فرددت عنك فقال من يشهد لك فاشار هذا وأشار بيده الى رجل منهم فقال صدق أيها الامير فقال ما منعك أن تفعل كما فعل قال بغضي لك فقال الحجاج أطلقوا هذا ليده عندنا وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت * وقال يوما لاحمد بن يونس فكرت في أمرك فوجدت دمك ومالك

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حن قلبي اليه
أشتهي أن يكون عندي وفي بيـ ـتي وبعضي فيه وكلي عليه

وقرأت على القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله قوله في كتابه حسن التوسل

واني في نظري نحوها * وقد ودعتني قبيل الفراق
ولا صبر لي فأطيق النوى * ولا طمع ان نأت في التلاق
ولا أمل يرتجى في الرجوع * ولا حكم في رد تلك النياق
كضني يودع روحا غدت * يراها على رغمه في السياق

وقال أبو تمام في الافشين لما أحرق

نار يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت له شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة بكل فقار
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم * يوم القيامة جل أهل النار

الشاهد في قوله صلى لها البيت قلت هذا الافشين كان أيام الخليفة المعتصم قائد الجيوش وله صولة عظيمة عند المعتصم ثم انه شق العصا وخرج عليه وعلى الاسلام وكان موصوفا بالنجدة والشجاعة والرأي والخبرة ولما قبض عليه وعلى مازيار وموبذان السغد أحضروا بين يدي الوزير ابن الزيات وأحضر رجلان عريانان فاذا جنوبهما عارية من اللحم وكان اسم الافشين خيذر والافشين لقب لكل من ملك أشروسنة فقال له الوزير يا خيذر أتعرف هذين قال نعم هذا مؤذن وهذا امام مسجد بنياه باشروسنة ضربت كلا منهما ألف سوط لانه كان بيني وبين ملوك السغد عهد أن أترك كل قوم على دينهم وكانا قد وثبا على بيت أصنام فأخرجاها منه وعملاه مسجدا فقال له الوزير فما الكتاب الذي عندك قد زخرفته ورصعته بالجواهر وجعلته في الديباج وفيه الكفر بالله قال هذا كتاب ورثته عن آبائي فيه آداب وحكم من نمط كليلة ودمنة آخذ منه الآداب وأدع ماسواه فقال للموبذان ما تقول في هذا قال هذا يأكل المخنوقة ويأمرني بها ويقول لحمها أرطب من المذبوحة وقال اني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل ما أكره حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل غير أني الى هذا العام لم يسقط عني شعر يعني عانته ثم ان الموبذان بعد هذا أسلم على يد المتوكل ثم قال له الموبذان يا أفشين كيف يكتب اليك أهل مملكتك قال كما كانوا يكتبون الى أبي وجدي ما تفسيره بالعربية الى اله الآلهة من عبيده قال ابن الزيات ما أبقيت لفرعون قال خفت أن يفسدوا علي بتغيير ما عهدوه وقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا قال مازيار كتب الى أخوه على لسانه انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك فاما بابك فقد قتل نفسه بحمقه فان خالفت لم يكن للخليفة من يقوم بحربك غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك أما العرب فكالكلب اطرح له كسرة ثم اضرب به بالدبوس وأما المغاربة الذئاب فانهم أكلة رؤس غنم وأما الاتراك فانما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعي على أخي ولو كنت

حلا لافقال أيها الامير أشد ما في القضية أن هذا الرأي بعد الفكر فضحك وعفا عنه وكان عنده يوما بعض ندمائه وقد أدركته سنة فعطس النديم عطسة منكرة ففزع الحجاج وقام منكرا مغضبا وقال ما أردت بهذه العطسة الا أن تروعني فقال أيها الامير والله هذه عادتي فقال والله ان لم تأتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك فخرج الرجل فوجد بعض أصحابه فقص عليه الامر فقال أنا أشهد لك فدخلا على الحجاج فقال اصاحبه بم تشهد فقال أيها الامير اشهد بانه عطس يوما عطسة وقع منها ضرسه فضحك الحجاج حتى استلقى فقال حسبك وأمر بهما فأخرجا وكان قليل الضحك الا أن يغلب عن نفسه * وأما فصاحته وبلاغته فمنها خطبته المشهورة المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصوله الموجزة في المكاتبات وعلى المنابر قال مالك بن دينار والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنعه الى أهل العراق وسوء صنيعهم له حتى يخيل لي أنه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرأ ذهبت ساعة من عمره في

كتبت اليه لم أنكره لانى اذا نصرت أمير المؤمنين بيدى كنت أنصره بالحيلة أحرى لآخذ
برقبة هذا فزجره ابن أبى دواد وقال أمختون أنت قال لا قال ما منعك قال خفت التلف قال
أنت تلقى الحروب وتخاف من قطع قلفتك قال تلك ضرورة أتصبر عليها وأما القلفة فلا ولا أخرج
بها من الاسلام فقال القاضى قد بان لكم أمره فرد الى الحبس ومنع من الطعام والشراب الى أن
مات وصلب وأحرق بالنار وهذا اللعين أخزاه الله تعالى أخذ بغتة بغير تعب ويليق به أن
يدخل فى قوله تعالى ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا
نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين بل هو أشد حالة من أصحاب سقر فانه ضرب من
عمر مسجدا وأذن وصلى ألف سوط وشق عصا المسلمين وغدر بمن وثق به وخان العهود والأيمان
ونكث بمن خوله النعم وحكمه على البلاد والجيوش وأراد اطفاء نور الاسلام واظهار عبادة
النار وخوطب بالالوهية

الرود راوزى لم تلومه * وما أتى فى فعله بدعه
هل نالك الامه فى دبرها * فى الظهر من رمضان يوم الجمعه

لو اتفق لهذا الناظم أن يذكر أن وقوع الفعل كان فى مكة شرفها الله تعالى لما كان فات ذلك شئ
من الخزى * قيل ان بعضهم كان واقفا بعرفة فرأى انسانا يتضرع ويتعب ويبالغ فى الدعاء
ويقول بتحرق وتوجع اللهم اغفر لى فقال له يا أخى ان الله تعالى قد من على عباده فى هذا
اليوم وغفر لاهل عرفة فقال يا أخى دعنى فان ذنبى عظيم فقال له هل قتلت أحدا والديك قال
لا قال هل وطئت أحدا من محارمك قال لا قال فهل كفرت قال لا قال هل دللت على سرية من
سرايا المسلمين قال لا وأخذ يعدد عليه كبائر الذنوب وهو يقول لا قال فما الذى أتيت قال
نكحت خنزيرة قال الامر سهل ان الله يغفر الذنوب جميعا ولكن أخبرنى كيف وقفت لك حتى
فعلت قال كانت ميتة قال فكيف قام عليك قال مصصت لسانها فقال لا غفر الله لك ولا تجاوز
عنك يا نحس العالم وهذا الافشين كان المعتصم قد جهزه لمحاربة بابك الخرمى لانه أخاف
الاسلام وتغلب على أذربيجان وأراد اظهار ملة المجوس وظهر فى أيامه مازيار المذكور القائم
بملة المجوس بطبرستان فعظم شانه وكان المعتصم قد بعث اليه فى أول سنة اثنتين وعشرين
ومائتين القواد قائدا بعد قائد وفى كل ذلك يهزم بابك الجيوش ويقتل الابطال حتى بعث
اليه بالافشين وأطلق يده فى الولايات وعقد له لواء على أرمينية وما فتحه من البلاد فاختار
الافشين من الجند ما أراد ولم يزل يدبر على بابك الحيلة ويطاوله حتى أمكنته الفرصة فهرب
بابك وأخذ أخوه وقرابته وكان بابك قد اختفى بعد هروبه فى غيضة ثم خرج منها فالتقى بسهل
البطريق فجاء به عنده وبعث الى الافشين يخبره فجاء أصحابه اليه وأحدقوا به وأخذوه وكان
المعتصم قد جعل لمن أحضره حيا ألفى ألف درهم ولمن أحضره ميتا ألف ألف درهم فأمر لسهل
بالفى ألف درهم وحط عنه خراج عشرين سنة ولما أحضر ليلا ما أمكن المعتصم الصبر الى بكر
النهار فاختفى فى لباس غريب وتوجه اليه حتى أبصره وكان من شدة تطلعه الى أخباره قد رتب
البريد فى منازل قريبة حتى كانت تأتيه الاخبار من مسيرة شهر ونصف فى يوم ونصف ثم ان
المعتصم أمر سنة ثلاث بقتل بابك وأخيه واحراقهما فاركبوا بابك فيلا وخضبوا بالحناء وألبسوه
قباء ديباج وقلنسوة سمور ومثل الشربوش وطافوا به ثم قطعت أربعته ثم رأسه ولما قطعت يده

غير مخلوق له لجدير أن
تطول حسرته * وخطب
يوما فقال أيها الناس اقدعوا
هذه الانفس فانها اسأل شئ
اذا اعطيت وأعطى شئ اذا
سئلت فرحم الله امرأ جعل
لنفسه خطاما وزماما فقادها
بخطامها الى طاعة الله
وعطفها بزمامها عن معصية
الله فانى رأيت الصبر عن
محارمه أيسر من الصبر على
عذابه * وبلغه وفاة أخيه
وابنه فصعد المنبر فقال
محمدان فى يوم أما والله ما كنت
أحب أن يكونا معى فى الدنيا
مما أرجو لهما من ثواب
الآخرة وايم الله فيوشكن
الباقى منا ومنكم أن يفنى
والجديد أن يبلى وستدال
الارض منا فتأكل من لحومنا
وتشرب من دمائنا كما كنا
من ثمارها ونشرب من
أنهارها * وخطب يوما فقال
ان الله أمرنا بالعمل وكفانا
الرزق فليتنا لو أمرنا بالرزق
وكفينا العمل * وقال أيها الناس
والله ما أحب أن ما مضى من
الدنيا بعمامتى هذه ولما
بقى منها أشبه بما مضى من
الماء بالماء * ولما قتل عبد
الله بن الزبير ارتجت مكة
بالبكاء فصعد الحجاج المنبر
فقال الا ان ابن الزبير كان من
أحبار هذه الامة حتى
رغب فى الخلافة ونازع فيها
وخلع طاعة الله واستكن

دلك بدمها وجهه فقيل له لاى شئ فعلت هذا فقال خشى لا تروا وجهى مصفرا اذا نزف دمى فيظن انى خفت من الموت فقال المعتصم لولا أن جنايته لا توجب الصنيعة لكان أهلا للاستبقاء وقال له أخوه يا بابك عملت ما لم يفعله أحد فاصبر صبرا لم يصبره أحد فقال سوف ترى وفعل ما فعل بهما ثم أحرقا فلم يتأوها قط قيل انه قتل مائة وخمسين ألفا * قلت رحم الله المعتصم فلقد كان ذا عزم ومروءة وعصبية لهذا الدين القيم بلغه وهو فى مجلس شرابه أن امرأة هاشمية عند بعض نصارى عموريه وأن نصرانيا من البطارقة لطمها على وجهها فقالت وامعتصماه فقال النصرانى ما يجىء اليك الا على الابلق فبلغه فختم الكاس التى كانت فى يده واقسم لا يشربها حتى يفك الهاشمية من الاسر ونادى فى عسكره ان يجتهدوا فى ركوب الخيل البلق فيقال انه توجه الى عموريه فى سبعين ألف أبلق ولم يزل بجده واجتهاده حتى فتح عموريه وتطلب تلك الهاشمية بعينها فلما حضرت قال لها لبيك لبيك وطلب تلك الكاس المختومة وشربها وصار ركوب الابلق مثلا * وما أحسن قول كمال الدين بن النبيه فى زجل يمدح به الاشرف موسى من جملته

هات يا ساقى الحميا * ان نجم الليل غرب
من يكون البدر ساقيه * كيف لا يشرب ويطرب
أنت والاوتار والكاس * للهموم دوا مجرب
لا تخاف الصبح يهجم * دع يجى ويركب أبلق

ونقلت أنا هذا الى العذار فقلت من جملة زجل

يا فؤادى لا تحول * عن هوى ذا الظبى الاحور
اياك أن يطغيك لائم * قال كذلك يتعذر
ما ترى كافور خده * وعليه الخال عنبر
لا تخف صولة عذارو * دع يجى ويركب أبلق

*(فقلت أدعوك للجلى لتنصرنى * وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل)*

(اللغة) دعوت فلانا اذا صحت به (الجلى) الامر العظيم وجمعها جلل مثل كبرى وكبر قال جرير

وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما كراما من الاقوام فادعينا

(النصرة) ضد الخذلان فى الحروب وغيرها وهى الاعانة على ما أهم وفى الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما وسيأتى الكلام على ذلك خذله أخذله خذلانا اذا تركت عونه ونصرته (الحادث) الجلل الواقع العظيم من الدهر قال الشاعر

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهن عظمى

والجلل أيضا الهين فهو من الاضداد قال امرؤ القيس لما قتل أبوه الا كل شئ ما سواه جلل والمراد به هنا فى كلام الطغرائى الواقع العظيم * ومن الاضداد غابر للذاهب والآتى والجون للابيض والاسود والبين للبعد والقرب والصريم الليل والنهار والناصع الابيض والاسود والامم للعظيم واليسير والناهل للريان والظمآن ووراء بمعنى قدام وخلف وبعت الشئ اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته وشعبت الشئ أصلحته وشققته والصارخ للمستغيث والمغيث والهاجد للمصلى بالليل والنائم والوهدة الارتفاع والانحدار

يحرم الله ولو كان شيأ مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لان الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة * وخطب يوما فقال أيها الناس من ادعى داء فعندى دواؤه ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ان للشيطان طيفا وللسلطان سيفا فمن وضعه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة وأرجف قوم بموته فخرج متحاملا حتى صعد المنبر فقال الان أهل العراق أهل النفاق نفخ الشيطان فى مناخرهم فقالوا مات الحجاج وان مت فمه والله ما يرجى الخير الا بعد الموت وما رضى الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد من خلقه الا لاخسهم وأهونهم عليه وهو ابليس لعنه الله ولقد سأل سليمان يوما ربه فقال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ففعل ثم اضمحل كأن لم يكن أستغفر الله لامير المؤمنين ولى وللمسلمين ثم نزل وكتب الى قتيبة بن مسلم انى نظرت

والتعزير للاكرام والاهانة والتقريظ للمدح والذم وترب للغنى والفقير والاهماد للسرعة في السير والاقامة ٣ والخناذيذ للخصيان والفحول وعسعس اذا أقبل واذا أدبر والقرء للحيض والطهر ومذهب الشافعي انه للطهر فقط روى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء السبعة ومالك وربيعة وأحمد رضي الله عنهم وقال علي وعمر وابن مسعود وأبو حنيفة والثوري والاوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة واسحق رضي الله عنهم انه الحيض وثمرة معرفة هذا الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي رضي الله عنه ومن تابعه أقصر وعند الباقين أطول حتى لو طلقها في حال الطهر حسبت بقية الطهر قرأ وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعند أبي حنيفة ومن تابعه فالم تطهر من الحيضة الثالثة ومن الحيضة الرابعة ان كان الطلاق في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم ان فالت طهرت لا كثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضي عليها وقت صلاة ومن حجج الشافعي على مذهبه أن الطلاق في زمن الحيض منهي عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض وقول عائشة رضي الله عنها أتدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ولان الاصل أن لا يكون لاحد على أحد منع من التصرفات فاذا جاء أمر بخلاف الاصل كان الزمن الاقل أولى من الاطول والاطهار أقل فالقول بان القرء هو الطهر أولى ومن حجج أبي حنيفة على مذهبه قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان واجمعوا على أن عدة الامة نصف عدة الحرة فوجب أن الحرة تعتد بالحيضات والاجماع على أن استبراء الرحم في الجواري المشتريات بالحيضة فكذلك العدة للحرة لان شرع العدة لاستبراء الرحم وأهل اللغة مختلفون في القرء ما هو فقال أبو عبيدة قيل هو من الاضداد وقيل انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض وقال قوم هو حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقال آخرون بالعكس وقال آخرون هو موضوع بحسب معنى واحد مشترك بين الحيض والطهر والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال الاول أن القرء هو الاجتماع ثم في وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي والقول الثاني قول أبي عبيدة انه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة والثالث وهو قول أبي عمرو ابن العلاء ان القرء هو الوقت يقال اقرأت النجوم اذا طلعت واقرأت اذا افلت ويقال هذا قرء الرياح لوقت هبوبها فاذا ثبت ان القرء هو الوقت دخل فيه الحيض والطهر لان لكل واحد منهما وقتا معينا وما في ربع العبادات اصعب من مسائل باب الحيض والتيمم ولما اجتاز نجم الدين البادراني بالموصل رسولا الى حلب سنة سبع واربعين وستمائة سال الفقهاء الذين بها عن هذه المسئلة نظما

أيا فقهاء العصر هل من مخبر * عن امرأة حلت لصاحبها عقدا
اذا طلقت بعد الدخول تربصت * ثلاثة اقراء حدّدن لها حدا
وان مات عنها زوجها فاعتدادها * بقرء من الاقراء تاتى به فردا

فاجاب عن ذلك تاج الدين بن يونس بقوله

في سني فاذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نحومني في السن وان امرأ قد سار نحو خمسين حجة الى مورد لقمن أن يورده ولما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهي مدينته التي انشاها وكان يوم موته عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهي تبكي وتقول الا ان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن فسمع جر السلاسل من قبره فقال كاتبه رحمك الله أبا محمد ما تدع قراءة القرآن حيا ولا ميتا فضحك الناس من قوله ووقف رجل من أهل دمشق على قبره فقال اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل بالطلاق الثلاث من زوجته أن الحجاج من أهل النار فاستفتى طاوس فقال يغفر الله لمن يشاء وما أظنها الا طلقت ويقال انه استفتى الحسن البصري فقال اذهب الى زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج في النار فما يضركما انكما في متعة الحرام

وكنا هدانا النجم يهدي بنوره * فبالك قد ابهم العلم الفردا
سألت تخذعني فتلك قيمة * اذرت برق بعد ان نكحت عمدا

(الاعراب) فغلت الفاء للتعقيب اى عقبت طرد الكرى عنه بقولى والمعنى فالتفت الى فقلت له أوفلم يلتفت الى فقلت له وما احسن الفاء التى تكررت فى قول الشنفرى

بعيني من امست فباتت فاصبحت * فقضت أمورا فاستقلت فولت

وابيات ابى ذؤيب الهذلى التى يصف فيها حمر الوحش والصائد على حرف العين المرفوعة ايضا فى هذا الباب مليحة الى الغاية ومن ألطف ما وجدته فى هذا الباب قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلا تكن يافتى بالعذل معترضا
روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا * عهد الوفى الذى للعهد ما نقضا
قف واستمع راحبا أخبار من قتلوا * فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فخب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فأعيا نيله فقضى

وظرف نور الدين الاسعردى فى قوله

وأغن كم فى جفنه من قاضب * وقوامه فى لينه كقضيب
لاقيته متبسما من بعدما * قد كنت لاالقاه غير قطوب
أسقيته راحى فنام فنكته * والفاء فى الحالين للتعقيب

أورد ابن الاثير فى المثل السائر قوله تعالى فحملته فانتبذت به الآيتين وقال فى هاتين الآيتين دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهى للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التى للتراخى والمهلة ألا ترى أنه قد جاء فى الآى الاخر قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره فى البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم * قال ابن أبى الحديد فى الفلك الدائر الفاء ليست للفور بل هى للتعقيب على حسب ما يصح اما عقلا أوعادة ولهذا صح ان يقال دخلت البصرة فبغداد وان كان بينهما زمان كثير لكن تعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلا سنة أو مدة طويلة بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحدة منها اقامة يخرج بها عن حد السفر الى ان دخل بغداد وهذا الذى يقوله أهل اللغة وأهل الاصول وليست الفاء للفور الحقيقى الذى معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل الا ترى الى قوله تعالى لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فان العذاب متراخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى فى قصة مريم على ان الحمل والمخاض كانا فى يوم واحد اه (قلت) بحث ابن أبى الحديد متجه والذى قاله ابن الاثير ضعيف وقد اختلف المفسرون فى مدة حملها فقال ابن عباس رضى الله عنهما تسعة أشهر كما فى سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر وقال غيرهم ثمانية أشهر ولم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر الا عيسى عليه السلام وقال آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة وروى ابن عباس رضى الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة قال الامام فخر الدين

(وقتيبة فتح ماوراء النهر بعدك)

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى وكنيته أبو صالح نشأ فى الدولة المروانية وترقى وولى الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ماوراء النهر مرارا وابلى فى الكفار * وكان شجاعا جوادا دمث الاخلاق فطنا ولم يكن يعاب الا بانه باهلى وكان أصحابه يمازحونه بذلك ويحتمل ويحلم (حكى) أبو عبيدة قال قدم رجل من بنى سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الرى وهو المعلى المحاربى فرآه على الباب قدامة بن جعفر وكان صديقا لقتيبة كثير الادلال عليه فدخل على قتيبة فقال بيابك ألأم العرب فقال ومن هو قال سلولى رسول محاربى الى باهلى فتبسم قتيبة تبسم غيظ والتفت الى مرداس الاسدى وقال أنشدنى شعر الاقيشر ففهم مرداس مراده فانشده شعر الاقيشر فيه تعريض بقدامة يقول

قلت قم صل فصلى قاعدا
يتغشاه سمادير السكر
فتغير وجه قدامة فقال قتيبة هذه بتلك والبادى أظلم

* ويروى انه مازح اعرابيا جافيا فقال أيسرك ان تكون مثلى باهليا أميرا

الرازي وعكس الاستدلال بوجهين وذكر في الاول ما قاله ابن الاثير وذكر في الثاني ان الله
تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت
ان عيسى عليه السلام لما قال الله له كن كان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل
تلك المدة في حق من يتولد من النطفة اهـ وقال الامام فخر الدين في الطب الكبير قد عرفت
أن الشهر السابع أول شهر يولد فيه الجنين الذي تكون خلقته قوية وزمان تكوينه سريعا
وزمان طلبه للخروج سريعا وكثيرا ما يموت المولودون في هذه المدة لانهم يقاسون حركات
شديدة في ضعف من الخلقة فان مثل هذا المولود وان كان قويا في الاصل لكنه قريب العهد
بالتكون فاما المولود في الشهر الثامن فهو أكثر المولودين هلاكا وبقاؤه حيا نادر جدا فان كان
أنثى فبقاؤها اندر فان كان في البلاد الحارة فاندر والسبب فيه انه لا يخلو حاله اما ان يكونوا
تاخروا في تمام الخلق وطلب الانفصال الى هذا الوقت فهذا يدل على أن قوتهم ما كانت قوية
في الاصل فلما احتاجوا الى حركة الانفصال في أول عهد الاستتمام وقبل كماله ضعفوا أكثر من
ضعف من يحاول الانفصال في آخر عهد الاستتمام وكانت قوته قوية في الاصل كالمولودين
في السابع فان لم يكونوا كذلك كانت خلقتهم قوية وحركتهم سريعة وطلبهم الانفصال من
الام سريعا فيكون مثل هذا الجنين قد رام الانفصال في الشهر السابع وعجز عنه فحينئذ
عرض له ما يعرض للضعيف الذي حاول الحركات المخلصة ثم عجز عنها من الاعياء والضعف
فيمرض لا محالة وتضعف قوته وتنحل فاذا ولد في الشهر الثامن فقد توالى عليه سببان موجبان
للضعف فلاجرم أنه يموت وأما اذا ولد في الشهر التاسع فقد تخلله بين هذين الزمانين زمان
طويل زال عنه فيه أثر الضعف فلاجرم أنه يعيش واعلم أن كثيرا ممن يولد في العاشر يكون قد
عرض له محاولة الانفصال في التاسع فلم يتيسر له وعرض له ما يعرض في الثامن وقلما لا يتفق
طلب الانفصال في التاسع ثم يمتد الانتعاش الى العاشر وأما المنجمون فقالوا الجنين يكون في
الشهر الاول في تدبير زحل وفي الثاني في تدبير المشتري وهكذا حتى يكون في السابع في تدبير
القمر فان ولد فيه عاش لان خلقته قد تمت واستوفت طبائع الكواكب وقواها واما الشهر
الثامن فان زحل يتولاه ثانيا فيستولي عليه البرد والجمود والضعف فان ولد فيه مات وأما
التاسع فيتولاه المشتري فيكسب المولود قوة وحرارة وصلاح حال فاذا ولد عاش وأما العاشر
فيتولاه المريخ فلاجرم أن يكون الامر كما ذكرنا اهـ (قلت) كل من الطبيعيين والمنجمين عللوا
عدم حياة المولود في الثامن بما ذكروه على ما هو جار على قواعدهم المقررة عندهم وأما كونه
تحرك في هذا الوقت المخصوص دون غيره وطلب الانفصال فلم يعللوه ولكن هذا من الادلة
على القول بان الفاعل المختار سبحانه وتعالى فعال لما يريد وفي قوله تعالى ما أشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق أنفسهم رد عظيم على الطبيعيين وأرباب الهيئة والمنجمين
ومذهب الشافعية ان أكثر مدة الحمل أربع سنين وأقله ستة أشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم
ستة عشر شهرا وشعبة ولد لسنتين وهرم بن سنان ولد لاربع سنين ولذلك سمي هرما ومالك
ابن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين والحجاج بن يوسف ولد لاثني عشر شهرا يقال انه كان يقول
اذكر ليلة ميلادي ويقال ان عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعي حمل به أربع
سنين أو اقل والحنفية يقولون للشافعية في بسطهم ما جسر امامكم أن يظهر الى الوجود حتى توق

فقال لا والله قال فتكون
باهليا خليفة فقال لا والله
ولو أن لي ما طلعت عليه الشمس
قال فيسرك أن تكون
باهليا وتكون في الجنة
فاطرق ثم قال بشرط أن
لا يعلم أهل الجنة أني باهلي
فضحك قتيبة من قوله
* وكان قتيبة من أكبر
الامراء المنتمين الى الحجاج
وهو الذي كاتب عبد الملك
ابن مروان في أمره حتى ولاه
خراسان وذلك أن يزيد بن
المهلب كان قد ولي خراسان
بعد أبيه وظهرت مناقبه
وعظمت آثاره فحسده الحجاج
وعمل على عزله وتولية قتيبة
وكان مما كدأمر يزيد عنده
ان الحجاج وفد على عبد
الملك ثم عاد الى العراق فمر
في طريقه بدير فيه راهب عالم
بالكتب وعلوم الاول فسأله
هل تجدون أمورنا في كتبكم
قال نعم قال ما تقول في عبد
الملك قال نجده في زماننا
الذي نحن فيه قال ومن
يقوم بعده قال رجل يسمى
الوليد قال فهل تعلم ما الي
قال نعم قال فمن يليه قال يزيد
قال في حياتي أم بعد مماتي
قال لا أعلم فوقع في نفس
الحجاج انه يزيد بن المهلب ثم
جلس يوما يفكر وعنده عبيد
ابن يونس وهو ينكت في
الارض فقال له ما الذي بك
قال ان أهل الكتب يذكرون

امامنا ويجيبهم الشافعية بقولهم بل امامكم ماثبت لظهور امامنا * ويحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أتى اليه رجل وقال اني تزوجت جارية بكرا ولم أر بها ريبة ثم انها أتت بولد لستة أشهر فقال الولد لك قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وعن عمر رضي الله عنه أنه جيء له بامرأة وضعت لستة أشهر فشاور في رجمها فقال ابن عباس رضي الله عنهما ان خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم ذكر هاتين الآيتين فكأنما أيقظهم (رجع) والفاء أصل وضعها للترتيب المتصل والترتيب على ضربين ترتيب في المعنى وترتيب في الذكر والمراد بالترتيب في المعنى ان يكون المعطوف بها لاحقا متصلا بلا مهلة كقوله تعالى خلقك فسوّاك والاكثر كون المعطوف بها متسببا عما قبله كقولك أملته فمال واقته فقام وأما الترتيب في الذكر فنوعان أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى كقولك توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي الآية والثاني عطف لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرئ القيس بين الدخول فحومل وتختص الفاء بعطف مالا يصلح كونه صلة على ما هو صلة كقولك الذي يطير فيغضب زيد الذباب فلو جعلت موضع الفاء واوا أو غيرها فقلت الذي يطير ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسئلة لان يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي فلا يصلح أن يعطف على الصلة لان شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فان كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لانها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لاشعارها بالسببية كانما قلت الذي ان يطر يغضب زيد الذباب وقد تقع ثم موقع الفاء كقول الشاعر

كهز الرديني تحت العجاج * جرى في الأنابيب ثم اضطرب

وقد يعطف بالفاء متراخيا كقوله تعالى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى اما التقدير متصل قبله واما لحمل الفاء على ثم اه كلام بدر الدين بن مالك قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس وقد أورد على كون الفاء للتعقيب والترتيب قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها باسنا وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وبهذه الآية أخذ داود الظاهري في كون الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة ولا دليل في ذلك لان تقدير الكلام والله أعلم فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله وأما الجواب عن الآية الاولى فيجوز ان تكون الارادة محذوفة فيها أيضا كما كانت محذوفة في الاخرى وتقديره والله أعلم وكم من قرية أردنا اهلاكها وقد أجيب بجواب آخر وهو ان معنى قوله فجاءها باسنا حكم بمجيء البأس فالحكم متأخر عن الاهلاك فالفاء على بابها اه (قلت) قد تحذف الفاء مع المعطوف بها اذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر معناه فافطر فعليه عدة ومن هذا الباب هذا البيت لانه يقدر طردت عنه الكرى فلم يلتفت الى فقلت له ادعرك وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعاني الفاء الفصيحة قال صاحب الكشاف في قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله تقديره ففعلا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال صاحب المفتاح واخبار عما صنع بهما

وعما

أن ماتحت يدي يليه رجل يسمى يزيد واني نظرت في هذا الاسم فذكرت جماعة منهم يزيد بن أبي كبشة ويزيد ابن الحصين ويزيد بن دينار وليس فيهم من يصلح لهذا الامر وما ثم غير يزيد بن المهلب قال فأخاق به فلم يجد شيأ يعزله به فكتب الى عبد الملك بن مروان يذم من يزيد ويقول انه يميل الى آل الزبير فكتب اليه عبد الملك ان ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب وان وفاءهم لاولئك يدعوهم الى الوفاء لنا فكتب اليه الحجاج يخوفه غدر يزيد وآل المهلب فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت في يزيد فسم لي رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن مسعر ولم يكن يصلح وانما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله الى قتيبة ويعلم أن عبد الملك لا يرضى مجاعة ابن مسعر فكتب اليه عبد الملك يسفه رأيه معناه لم يرض ابن مسعر فسمى له قتيبة بن مسلم فقال وله فولاه وكره أن يواجه ابن المهلب بالعزل فكتب اليه اقدم علي واستخلف أخاك ففعل وعند قدومه سار قتيبة الى خراسان فدخلها وصعد المنبر فسقطت العصا من يده فتطير الناس فأخذها وقال ليس كما ساء الصديق وسر العدو ولكن كما قال الشاعر

وعما فالاه كانه قيل نحن فعلنا الايتاء وهما فعلا الحمد وهذا الباب كثير في القرآن وهو من جملة فصاحته ولهذا اسماها أرباب المعاني الفاء الفصيحة (رجع) قلت فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (أدعوك) فعل مضارع والكاف ضمير المفعول وأصله أأدعوك فحذف همزة الاستفهام كقول الشاعر

فوالله ما أدري وإن كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع رمين أم بثمان فحذف الهمزة للضرورة والمحذوفة اما التي للاستفهام أو الاصلية على خلاف في ذلك هربا من استثقال الجمع بين الهمزتين * يقال ان بعض النحاة قال للطبيب يا حكيم أفؤادي يوجعني فقال له أبطل هذه الهمزة وقد عوفيت من هذا الالم فكيف لو قال له أأدعوك (للعلي) جار ومجرور واللام للتعدية وعلامة الجر كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور وموضعه النصب على المفعولية (لتنصرني) اللام لام كي فهي تنصب الفعل المضارع وتنصرني فعل مضارع منصوب بلام كي والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وما أحلى قول شرف الدين بن الفارض

نصبا أكسبني الشوق كما * تكسب الافعال نصبا لام كي

وأحسن منه قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت

ومستتر من سني وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ في

كوى القلب مني بلام العذار * فعذرني أنها لام كي

(وأنت) الواو واو الابتداء وأنت اسم مضمر في موضع رفع بالابتداء والضمائر كلها مبنية لانها أشبهت الحرف في الوضع لان الاصل في الاسماء أن توضع على ثلاثة أحرف فما فوقها ولا يرد باب يد ودم وأخ وأب اذ الاصل يدي ودمو وأخو وأبو وان يكون الحرف الصناعي على حرف كباء الجر ولامه هذا هو الاصل في وضع الاسماء والحروف وقد يخرج الاسم عن هذا الاصل فيوضع على حرف واحد وهو الضمائر مثل الهاء والكاف والياء فاذا كان كذلك فقد شابه الاسم الحرف في الوضع فيعطى حينئذ حكمه فيبنى (فان قلت) اذا قررت ما قررته فباقي الضمائر مثل أنا وفروعه وهو وفروعه على أزيد من حرف (قلت) كما ان الحرف خرج عن أصله فكان منه ما هو على حرفين مثل من وعن وفي وما هو على ثلاثة أحرف مثل على والى وما هو على أربعة أحرف مثل حتى ولكن العاطفة وما هو على خمسة أحرف مثل لكن من اخوات ان كذلك خرج الضمير عن وضعه فكان على حرفين مثل هو وبابه وعلى ثلاثة مثل أنا وأنت فلذا اعتبر الاصل في وضع الحرف أولا ولا اعتبار بما طرأ عليه واعتبر الضمير في أصله ولا اعتبار بما تجدد له (فان قلت) فمن أين لك ان الاصل في الضمائر ان تكون على حرف واحد (قلت) لان الاصل في وضع الضمائر طلب الاختصار وكونها على حرف واحد أخصر من غيره ولذلك لا يؤتى بالمنفصل مع امكان الاتيان بالمتصل فلا تقول أعطيتك اياه موضع أعطيتكه والضمائر كلها تسعون ضميرا اندخل منها تسعة وعشرون وبقي منها أحد وستون ضميرا أصلها خمسة وهي الياء للمتكلم فقط والتاء للمتكلم والمخاطب والكاف للمخاطب فقط والهاء للغائب والميم للجمع المذكرين وتخلفها النون للجمع المؤنث والدليل على انها تسعون أن الضمير اما مرفوع او منصوب أو مجرور فالاولان يكونان متصلين ومنفصلين والثالث لا يكون الا

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر
ثم وثب قتيبة ليغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه فخطبهم خطبة بليغة فقطع النهر فتلقاه من الطالقان رسل الملوك وهداياهم وأولهم صاحب طخارستان وهو من ملوك الترك وأرسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا فصالحه وأقام قتيبة على بلخ لان بعضها كان عاصيا عليه فقاتل أهلها وسباهم وكان فيمن سبى امرأة برمك جد البرامكة فصارت الى عبد الله بن مسلم أخي قتيبة فواقعها فيقال انها حملت منه بخالد وقيل كانت حاملا به * ثم غزا قتيبة بيكند وهي أدنى مدائن بخارى الى النهر ويقال لها مدينة التجار وهي على رأس المفازة من بخارى فلما نزل بهم استنصروا بالصغد واستنجدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا على قتيبة الطرق والمسالك فلم يصل اليه رسول ولا قدر على انفاذ رسول مدة شهر وأبطأ على الحجاج خبره فأشفق عليه وعلى من معه من المسلمين فأمر الناس بالدعاء وكتب بذلك الى الامصار وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم يقال له تندر

منصـلا فذلك خمسة تضرب فى ثلاثة تكلم وخطاب وغيبة فتلك خمسة عشر تضرب فى ثلاثة
مفرد ومثنى ومجموع فتلك خمسة واربعون تضرب فى اثنين مذكر ومؤنث فتلك تسعون سمع
المازنى قرقرة من بطن انسان فقال هذه ضرطة مضمرة (رجع) تخذلنى فعل مضارع مرفوع
لخلوه من الناصب والجازم ورفعه ضمة اللام والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول
والجملة فى موضع الخبر لانت (فى الحادث) جار ومجرور فى موضع نصب لانه ظرف لتخذلنى
تقديره تخذلنى وقت الحادث (الجلل) مجرور على انه صفة للحادث وقد تبعه فى افراده
وتذكيره وتعريفه وجره وقوله أدعوك الى آخر البيت فى موضع النصب بقلت (المعنى) فقلت
له مستفهما أدعوك للامر العظيم طالبا نصرتك وأنت تخذلنى فى مثل هذا الحادث العظيم
وهذا استفهام ومعناه التوبيخ كقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس
الآية لكن الاستفهام هنا للمسيح صلوات الله عليه والتوبيخ للنصارى والاستفهام هنا من
المسيح أبلغ من الاستفهام من النصارى لانه يحتمل انهم يقولون نعم كذا قال فيرجع الى المسيح
صلوات الله وسلامه عليه ويستفهم منه فابتدئ بالاستفهام منه فى أول الامر

يرى الامر يفضى الى آخر * فيجعل آخره أولا

وفى الاستفهام منه فائدة أخرى وهى أنه عليه الصلاة والسلام قال ما قلت لهم الا ما أمرتنى به
فكان أبلغ فى توبيخهم فى الموقف بين العالمين وفى قوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به فائدة لانه
لو قال لم أقل لهم ذلك لاحتيج أن يقال له فما الذى قلت لهم فعلم المقصود وأجاب عما يقال له
فيما بعد ومثله قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته علما
بانه صلى الله عليه وسلم يسئل فيما بعد ذلك عن السمك وفى قوله الا ما أمرتنى به دون ما قلت
لهم الا أن اعبدوا الله دليل على اعترافه بالعبودية وانه مأمور فى أقواله وأفعاله لئلا يتوهم
انه فعل ذلك وقاله تبرعا ويفهم هذا من قوله ربى وربكم فانه اعترف على نفسه لله تعالى بالربوبية
قبلهم وفى قوله تعالى وأنت على كل شئ شهيد حكمة أخرى ترفع وهم من يتوهم أنه كان
الشهيد عليهم لما كان بين ظهرانيهم دون الله تعالى وانه لما غاب عنهم تولى الله الشهادة عليهم
فقال وأنت على كل شئ شهيد أى فى الحالتين حالة وجودى بين ظهرانيهم وحال غيبتى عنهم
وبالجملة فهذه القصة يحتمل الكلام عليها مجلدا لطيفا فانها قد تضمنت من البلاغة والحكم
ما يعجز المتكلمون عن استغراق ذلك واستخراج جواهره واستنباط معانيه قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فسبحان من أنزله
هدى ورحمة (رجع الى قول الطغرائى) أقول قد جبلت النفوس الابية على تحقيق الظنون
بها وتصديق الامل فيها والرجاء فيما يطلب منها من نصرة واعانة وازالة ضرورة وسد خلة
وايواء وذب وغير ذلك والنفوس اللئيمة بخلاف ذلك تكذب الظنون فيها وحسن الظن
بالله أمر واجب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل أنا عند ظن عبدى بى
فليظن بى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى ونقل
عن أحد اهل البيت رضى الله عنهم أنه لما احتضر قال لولده يا بنى اقرأ على الرخص لاموت
وأنا أحسن الظن بالله تعالى وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه حسن الظن بالله أن لا ترجو
الا الله تعالى ولا تخاف الا ذنبك * أنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب

أعجمى فدفع اليه أهل
بخارى مالا على أن يدفع
قتيبة عنهم فأتاه فقال أخلنى
فأخلى المجلس فقال قد عزل
الحجاج عن العراق وهذا
عامل جديد يقدم عليك
فارجع بالناس الى مرو وكان
عند قتيبة ضرار الضبى فقال
قتيبة لغلامه اقتل بندر
فضرب عنقه فقال لضرار
والله ان علم أحد بهذا
الحديث قبل ان يقضى
حربنا لالحقنك به فان انتشار
مثل هذا الحديث يفت فى
أعضاد المسلمين ثم أصبح
الناس على راياتهم وانكروا
قتل بندر وقالوا كان ناصحا
للمسلمين فقال قتيبة ظهر لى
غشه فأخذه الله بذنبه ثم
تقدم فقاتل وأنزل الله
النصر على المسلمين فهزموهم
وفتح قتيبة اكنافهم ووصل
الى بيكند ففتحها عنوة
وأصاب بها من الاموال
والجواهر مالم يصبه فى بلد
آخر وكان بها صنم من
ذهب فاذابوه فخرج منه
مائة ألف وخمسون ألف
مثقال من الذهب وكتب
الى الحجاج بالفتح ثم توجه الى
سجستان فارسل اليه صاحبها
فصالحه ثم توجه الى خوارزم
وكان صاحبها قد راسله سرا
خوفا من أخيه الخارج عليه
فصالحه وسلم اليه أخاه لانه
كان شرط عليه ذلك

القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ومن خطه نقلت

قيل ما أعددت للعتيف فقد جئت محله
قلت أعددت مع التوحيد حسن الظن بالله

وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس

فقري لمعروفك المعروف يغنيني * يا من أرجيه والتقصير يرجيني
ان أوثقتني الخطايا عن مدى شرف * نجا بادراكه الناجون من دوني
أوغض من أملي ماساء من عملي * فان لي حسن ظن فيك يكفيني

ويتعين على ذوي المروآت احتمال الاذى والضرر في تصديق أمل الآمل وتحقيق رجائه وايصاله الى مآربه وتبليغه مقاصده قال أبو الطيب المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

قيل ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب الى بعض الرؤساء رقعة على يد صديق له يشفع فيها عنده فكتب له ذلك الرئيس هذا الأمر على فيه مشقة فكتب ابن مطروح جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس فهم الاشارة الى قول المتنبي وقضى المصلحة * وسأل أبو الأسود الدؤلي معاوية في أمر فوضع معاوية يده على أنفه فضرب أبو الاسود يده وقال والله لا تسودنا حتى تصبر على محادثة الشيوخ البخر * وفي معنى قول أبي الطيب قول مسلم بن الوليد

أبا سهل ان الجود خير مغبة * وأكرم ما ياتي به القول والفعل
وما الفضل والمعروف فيما هويته * ولكنه فيما كرهت هو الفضل

وقول مهيار الديلمي

وأكره كل معتذر المساعي * الى التقصير مال فما أنالا
اذا نشأت سحائبه بوعد * أهب قنوطه ريحا شمالا
وليس أخوك الا من تحط الامور به فيحملها ثقالا

ومن الكلام النوابغ محك المودة والاخاء حال الشدة لا الرخاء ولهذا قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * ومع الشدائد تعرف الاخوان

قيل ان يوسف عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ولله در يزيد بن المهلب من ذي مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان في حبس الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل نجم مما كان عليه وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح في قيدك السماحة والجود وفضل الصلاح والحسب
لا بطر ان تتابعت نعم * وصابر في البلاء محتسب
أحرزت سبق الجياد في مهل * وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال له أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر وقد روى صاحب الاغاني هذه الابيات لحمزة بن بيض مع يزيد المذكور وقال فقال له يزيد والله يا حمزة لقد أسأت اذ نوهت باسمي في غير وقته ولا ترك لك ثم رفع مصلاه ورمى اليه

ثم توجه الى سمرقند فقاتل وثلم السور فصالحوا الصلح فصالحهم على ألفي ألف ومائتي ألف في كل سنة وعلى ان يعطوه ثلاثين ألف رأس ليس فيهم طفل ولا شيخ وعلى ان يخلوا المدينة لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة ويبني بها مسجدا ويصلي فيه ويخطب ويتغدى ويخرج منها فاجابوه الى ذلك فقال ابعثوا الينا ما صالحناكم عليه فبعثوا اليه بالمال والرؤس فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار اولادهم واخوانهم في ايدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا منبرا واخلوا المدينة وانتخب قتيبة من اراد من فرسانه ودخلها فاتى المسجد وصلى وخطب ثم تغدى وارسل الى اهلها ان شئتم فاخرج منها فخذوا ما اعطيتمونا وكان قتيبة يعبر بالغد ربا هل سمرقند ثم حرق الاصنام وبيوت النيران ووجد جارية من بنات يزدجرد فقال قتيبة اترى ابن هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل ابيه فارسل بها الى الحجاج فبعث بها الى الوليد ابن عبد الملك فولدت له يزيد ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر فبعث اليه ملك الصين ابعث لنا رجلا من قومك نسأله عن دينكم فنندب له

بخرقة مصرورة وعليه صاحب خبر واقف وقال خذ هذا الدينار والله ما أملك ذهبا غيره فاخذه حمزة وأراد أن يرده فقال له اسمر اخذه ولا تخدع فيه والله ماهو بدينار قال فخرجت فقال لى صاحب الخبر ما أعطاك يزيد فقلت أعطانى دينارا وأردت ان أرده عليه فاستحيت فلما صرت الى منزلى حللت الصرة فاذا فص ياقوت كأنه سقط زند فخرجت الى خراسان فبعته من رجل يهودى بثلاثين ألفا فلما بعته وقبضت المال وصار فى يدى قال والله لو أبيت الا بخمسين ألفا لأخذته ثم انه دفع الى مائة دينار زيادة على أن الانسان يتعين عليه التفرس أولا والتمكن ليختار لحاجته من ينهض بحملها ويقوم بكلها حتى تنزل من جانبه بالرحب ويتلقاها بالبشر ويكون بها كفيلا قال أبو الطيب

ولم أرج الأهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم

والا فيكون قد أخطأ فى التأميل قبل التأمل وأضاع الفراسة قبل الافتراس والناس يختلفون فى الهمم ويتفاوتون فى القيم قال أبو الطيب

ما كل من طلب المعالى نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

وقال الآخر

أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

وقال ابن نباتة السعدى من أبيات

ولكنما سامرت أحلام نائم * وحاورت وسنانا ينام وأسهر
يفكر لما جئت مستصرخا به * ولا يصرخ المكروب من يتفكر

وقد أخذ المعنى فى الاصل من قول الحماسى

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

ومما يبعد قول الطغرائى من قول الارجانى

فان يك أعدائى على تناصروا * فما هو الا من تخاذل اخوانى
ولم أدع للعلى صديقا أجابنى * ولم أرض خلا للوداد فأرضانى

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط

أعينا على وجدى فلست بنافع * أخا كما اذا لم تعيناه
أما سبة أن تخذلا ذا صبابة * دعا وجده الشوق القديم فلباه

وقال الآخر

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * نعم صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لم تحفظوا لمودتى * زماما فكونوا لا عليها ولا لها

عشرة من اشراف القبائل لهم هيبة وجمال فدخلوا عليه وعليهم ثياب رقيقة فلم يكلمهم احد فنهضوا ثم دخلوا عليه فى اليوم الثانى وعليهم البيض والمغافر والسلاح كأنهم الجبال فسأل الملك أحدهم عن صنيعهم امس واليوم فقالوا ذاك لباسنا فى أهلنا وهذا فى حربنا فقال انصرفوا الى صاحبكم وقولوا له ينصرف فقد عرفت قلة أصحابه والا بعثت له من يهلكه ومن معه فقالوا كيف تقول هذا لمن أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يعنون الشام وقد غزاك فى بلادك ودوخها وقد سبى وهو فى طلبك لا ترد له راية ولا غاية قال وما الذى يريد قال انه أقسم أن لا يرجع حتى يطأ أرضك ويختم على أعناق أولاد الملوك ويأخذ الجزية قال الملك ونحن نبر قسمه ثم دعا بصحاف من ذهب وجعل فيها من تراب قصره ودعا بأربعة من أولاد الملوك وبعث مالا كثيرا وقال ليطأ هذا التراب ويختم على هذه الغلمة ويأخذ هذا المال ففعل قتيبة ذلك وقرر عليهم مالا ومضى وقد أذعنت له ممالك ما وراء النهر واشتهرت فتوحاته حتى سمع معبد المغنى انه فتح سبعة حصون

قفوا وقفة المعذور عن عزل * وخلوا نبالي للعدا ونبالها

وقال آخر

وكنت أخي باخاء الزمان * فلما انقضى صرت حربا عوانا
وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا

وقال آخر

أيا مولاي صرت قذى لعيني * وسترا بين جفني والمنام
وكنت من الحوادث لي عياذا * فصرت من المصيبات العظام

وقال الارجاني

ترجع الايام فيما وهبت * لؤم طبع ومتى كانت كراما
كم أناس خلتهم لي جنة * يوم روع فغدوا في سهاما

كتب المعتمد بن عباد الى ابن عمار الاندلسي

وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختياري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فاجابه ابن عمار

فديتك لا تزهد فثم بقية * سترغب فيها عند وقع المصائب
فأبق على الخلصان ان لديهم * على البدء كرات بحسن العواقب
ولو لمعت لي من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج السحائب
فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك آكد واجب

ذكرت بقول المعتمد فلم ترني الايام البيت قول بعض أهل العصر في الشيخ صدر الدين بن الوكيل فانه كان يقبل أول الامر في الصحبة ثم يستحيل في الآخر

ودادا بن الوكيل له شبيه * ٣بلبادين خلق في المسالك
فاوله حلي ثم طيب * وآخره زجاج مع لوالك٣

ويشبه هذا قول الآخر في هجو شريف

يا مشبه الكشك أجداده مطهرة * ويستحيل الى داء وتخليط
ما أنت الا كبيس التمر أوله * عذب وآخره يدعى بقلوط

يقال ان جالينوس قال في الكشك أبوان كريمان أنتجا لئيما وما أحسن قول الآخر يهجو من أبوه شريف

ان فاتني بأبيه * فلم يفتني بامه
أو رام هجوي ظالما * سكت عن نصف شتمه

وهو مأخوذ من قول عنترة العبسي

اني امرؤ من خير عبس منصبا * نصفي وأحمي سائري بالمنصل

وهذا البيت يؤيد قول من لحن الناس في اطلاقهم سائرا على معنى الجميع وانما هو بمعنى الباقي فمن قال قدم سائر الحاج ويريد جميعهم فقد لحن وأنشد الحريري في درة الغواص

في المشرق لا يرتقي اليها فصنع سبعة أصوات صعبة المأخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة * وأقام قتيبة بالمشرق واليا عليه ثلاث عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب وكان شرف بيته ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية يزيد بن المهلب (حكى) الجاحظ قال لما بلغ قتيبة ان سليمان يريد عزله عن خراسان كتب اليه ثلاث صحائف وقال للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد بن المهلب فادفع اليه هذه فان شتمني فادفع اليه الثالثة فلما دفع له الكتاب الاول وفيه يا أمير المؤمنين ان بلائي في طاعتك وطاعة أبيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع اليه الرسول الكتاب الثاني وفيه يقول عجبا كيف تأمن ابن رحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده يعني يزيد بن المهلب فشتم قتيبة فدفع اليه الثالث وفيه من قتيبة الى سليمان أما بعد والله لأوثقن لك آخية لا ينزعها المهر الارن فقال سليمان جددوا له عهدا على عمله ثم فسدت على قتيبة بطانته فقتلوه في خلافة سليمان وقام العزاء في المشرق عليه وقال رجل من الاعاجم يا معشر العرب قتلتم قتيبة

شاهدا على هذه الدعوى قول الشاعر

ترى الثور فيها يدخل الظل رأسه * وسائره باد الى الشمس أجمع

وغالب الناس لا يكاد يسلم من هذا اللحن على أن صاحب الصحاح قال وسائر الناس جميعهم وتساب شريف هو وآخر فقال الشريف ما تقول فى وأنت لا تتم صلاتك الا بالصلاة على وعلى آبائى وأجدادى فقال له والله انى أسلك من بينهم كما تسل الشعرة من العجين لانى أقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين (رجع) قال علقمة بن لبيد العطاردى لابنه يابنى ان نزعت بك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك وان أصابتك خصاصة مانك وان قلت سدد قولك وان صلت شدد صولك وان مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها وان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتدائك وان نزلت بك احدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق * ذكر صاحب الاغانى فى اخبار علوية أن من جملتها انه دخل على المأمون وعنده جملة من المغنين وهو يرقص ويصفق ويغنى ويقول

عذيرى من الانسان لا ان جفوته * صفا لى ولا ان صرت طوع يديه

وانى لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فسمع المغنون والمأمون منه مالم يعرفوه واستطرفه المأمون وقال ادن ياعلوية وردده فردده عليه سبع مرات فقال المأمون فى الآخرة ياعلوية خذ الخلافة واعطى هذا الصاحب (قلت) وما صاحب يبذل فيه الخلافة المأمون فى سعة الملك وابهته وصفاء الوقت من الاكدار الا أعز من الكبريت الاحمر بل ما خلقه الله ولا أوجده (ذكرت) بوصية علقمة لولده قول الفضل بن عبد الرحمن لرقية بنت عتبة بن ابى لهب انظرى لى امرأة معروفة النسب كريمة الحسب فائقة الجمال مليحة الدلال ان قعدت أشرفت وان قامت اضعفت وان مشت ترقرقت تروع من بعيد وتفتن من قريب تسر من عاشرت وتكرم من جاورت وتبذ من فاخرت ودودا ولودا لا تعرف اهلها ولا تسر الا بعلها فقالت له ياابن العم اخطب هذه من ربك فى الآخرة فانك لا تجدها فى الدنيا * وقال ابو موسى المكفوف لنخاس اطلب لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصدم بى السوارى ولا يدخلنى تحت البوارى ان اكثرت علفه شكر وان قللته صبر وان ركبته هام وان ركبه غيرى نام فقال له النخاس اصبر أعزك الله عسى ان يمسخ الله القاضى حمارا فتصيب حاجتك (رجع) وعلى الصحيح فالكمال معدوم الا فى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا بد فى الانسان من لو ولولا ومن كانت ماهيته متضادة فالنقص فيه أولى والاعتدال بعيد من المركب وما سالك الصواب صديق الاوينكب فلا تعتبر أى الرجال المهذب

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

قال الحريرى

ولو انتقدت بنى الزمان * وجدت اكثرهم سقط

قال بعضهم لو انصف الحريرى لقال كلهم فالبس أخاك على علاته واغتفر لبعض صوابه جل زلاته وقد هون الامر فى الصحبة مؤيد الدين الطغرائى فى قوله

أخاك

والله لو كان فينا الجعلناه فى تابوت واستفتحنا به غزونا ولقتيبة أخبار وألفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحته كتب اليه الحجاج انى قد طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة فتزوجها فكتب اليه ليس كل مطالع الامير أحب ان اطلع فقال الحجاج ويل ام قتيبة اعجابا بقوله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أنت قدح ابن مقبل فلم يدر الحجاج ما أراد فسأل قتيبة وكان عالما برواية الشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قدحا له فقال

غدا وهو مجدول فراح كانه من المس والتقليب بالكف أفطح

اذا امتحنته من معد قبيلة غداربه قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح وهو السهم الذى يستقسم به على عادة العرب فى الميسر وهو اصطلاح على نوع من أنواع القمار معروف فيقول ان هذا القدح لكثرة فوزه وخروجه دون اقداح الجماعة بكثرة تقليبه والتعجب منه يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقة بفوزه وقال قتيبة ان هذا القدح فار سبعين مرة لم يخب مناهرة واحدة حتى ضرب به المثل * ولما دخل قتيبة خراسان

اخاك اخاك فهو اجل ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان
وان زادت اساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وقال ايضا وان لم يكن من الباب

غائظ صديقك تكشف عن ضمائره * وتهتك الستر عن محجوب أسرار
فالعود ينبيك عن مكنون باطنه * دخانه حين تلقيه على النار

وقلت انا في شرط الصحبة

صديقك مهما جنى غطه * ولا تخف شيأ اذا أحسنا
وكن كالظلام مع النار اذ * يوارى الدخان ويبدى السنا

وكانى بالطغرائي وقد جره هذا الصاحب فانجزم وطلب اقباله على النصرة له فانهزم وسامه الوقوع على المساعدة فتعلى ورام النجدة منه فقر أعبس وتولى * سأل أبو جعفر المنصور بعض الخوارج فقال أخبرني أي أصحابي كان أشد اقداما في مبارزتك فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يدبروا أعرفك بهم * وأخذ ابن الرومي هذا المعنى وزاده وزنا فقال

قرن سليمان قد أضربه * شوق الى وجهه سيتلفه
كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب في وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

ذكرت بالقفا قول أبي الفضل الميكالي

لنا صديق تجيد لقما * راحتنا في أذى قفاه
ماذاق من كسبه ولكن * أذى قفاه أذاق فاه

وذكرت بالصفع هنا ما حكي عن شرف الدين بن الشيرجي وكان الحي وشهاب الدين التلعفري من أنهما اجتمعا في ليلة أنس عند الناصر فاتفق أن قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فأمره الناصر بالاشارة ان يصفع التلعفري فلما صفعه امسك التلعفري بذقن شرف الدين وانشد ويده في ذقنه لم يفلتها

قد صفعنا في ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضي تشريفي
فارث للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والاخريف ى فى

قلت تأمل هذا النظم ما الطفه وما أحسن مقدمه ومصرفه وهذه التورية التي اتفقت له بديها وساعده اللطف الزائد فيها وكاني بذقن الشيرجي وهي في يد ذلك الحريف وقد ذكر الربيع والمصيف وختم بالخريف هذا وكونه قال في وسكت أحلى ما سمع من النكت ولو كمل ما بقي له هذه الحلاوة والاشارة أبلغ عند ذي الالباب من العبارة لذي الغباوة فارعها السمع واضحك الى أن تشرق العين بالدمع فما كل من ندب ندر ولا كل من خبر خبر وقد رأيت البيتين في ديوان الاسعردي ومثل هذه الاشارة قول الآخر

أباجعفر لست بالمنصف * ومثلك من قال قولا يفي
فان أنت أنجزت لي موعدي * والا هجوت وادخلت في

قام اليه بعض الشعراء وأنشد يقول

شد العصاب على البرى وما جنى
حتى يكون لغيره تنكيلا
والجهل في بعض الامور وان غلا
مستخرج للعاقلين عقولا

فقال قتيبة قبحك الله من مشير والله لا اقت معي في بلد ثم أخرجه من خراسان * ونظر في بعض مغازيه الى رجل من الازد معه ترس من جلد بعير قد تشعب من جميع نواحيه فقال يا أخا الازد ترس ابن أبي ربيعة خير من ترسك يريد قول عمر بن أبي ربيعة في قصيدته المشهورة وقد تستر بنسوة من الحي

فكان مجني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فقال الرجل أيها الامير هذا المجن أوفى من ذلك المجن * ومن كلام قتيبة لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طمع فانه لا يؤثرك على نفسه ولا بكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد القريب ولا بأحمق فانه ربما أراد نفعك فضرك * ومر يوما بكناسة فيها عذار واقذار فقال ان الذي يبخل بما يصير آخره الى هذا لبخيل

(والمهلب أوهن شوكة الازارقة بيدك وفرق ذات بينهم بكيدك)

هو المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح الازدى العتكى البصرى أمير كبير مشهور الذكر شجاع جواد نشأ فى دولة آل أبى سفيان ثم أمره مصعب ابن الزبير على البصرة نيابة عنه فى أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم ولاه عبد الله خراسان وقتل الخوارج واستمر على ذلك الى أن مات فى زمن الحجاج فى سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وهو أول من اتخذ الركب الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب * وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك ابن مسمع بمحبته للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال جميعها وسيأتى فى آخر الترجمة نبذ من أخباره وألفاظه * فاما الازارقة فهم الخوارج القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الازرق الخارجى خرجوا معه من البصرة والاهواز وغيرها من بلاد فارس واتبعوه وعظمت شوكتهم وتملكوا الامصار وكانت له آراء ومذاهب دانوا بها معه منها انه كفر عليا كرم الله وجهه بسبب التحكيم المشهور وقال أنزل الله فى حقه ومن الناس من يعجبك قوله

وقد علم الناس ما بعده * فغط الحديث ولا تكشف

وقد ذكر بعضهم ايضا المجرور فى هذا البيت

مكان أقمت به تسعة * واخرجت منه بلطف خفى

وعلى ذكر الصفع قيل ان صبيا قال ليهودى تقف يا عمى حتى أصفعك فقال له اليهودى انا مستعجل ولكن اصفع اخى عنى * أنشدنى لنفسه الشيخ ابراهيم بن علام الثورى المعمار

سألته فى صفعة قال لى * جنابه الصفعة ما منه بد
صاع من التمر أحلى به * قلت نعم أعطيك صاعا ومد

وقال أيضا

ومفتن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذذاك فنى
سلمته عنق الدقيـ * ق فراح يخله بعن
ما ان اذنت له رضا * لكنه من خلف اذنى
لولا يد سبقت له * لأمرته بالكف عنى

وأنشدنى أيضا لنفسه

وصاحب أنزل بى صفعة * فاغتظت اذ ضيع لى حرمتى
وقال فى ظهرك جاءت يدى * فقلت لا والعهد فى رقبتى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

يحتاج ذا التاج من برصعه * بدرة تحت دالها كسره
فمن برى عنقه الطويل ولا * ينزل فيه يموت بالحسره

وقال ابن دانيال فى البرهان وقد صفع وهو أرمد

صفع البرهان وما رحما * فبكى من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمدا صعبا * فازداد بذاك الصفع عمى
نزلوا سحرا فى ساحله * فرأى الاصباح بهم ظلما
من كل فتى بالصفع بدا * مثل القصار اذا احتزما
فسقاه بها صرفا سبعا * وسقاه بها سبعين بما

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أيضا

وما انساه فى النيروز لما * تامروا الامارة فيه تكفى
وقد اومت اليه كل كف * رات ذاك القذال بكل خف
فطرز عنقه بالصفع منا * وما عوذج الطرز مخفى

وما استعمل التطرز احد أحسن من هذا خصوصا وقد رشحه بقوله مخفى وقلت انا فى ذلك

ورب صديق غاظه حين جاءه * من القوم صفع دائم الهطل بالنطل
فقلت له تأبى المروءة أننا * نخليك يا بستان فينا بلا نخل

كان بعصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير بلغ ابن سناء الملك أنه هجاه فادبه وشتمه فكتب اليه ابن المنجم الشاعر يقول

قل للسعيد أدام الله دولته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه

صفعته اذ غدا يهجوك منتقما * منه ومن بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع لا يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ما الهجو عندي أثر * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وسمعت أنا امرأة تسأل من في رقبته دمل ما هذا فقال لها طلوع فقالت أشتهي والله أن انزل في هذا الطلوع وانشدني القاضي شهاب الدين محمود لنفسه اجازة فيمن صفع وقال لكمت ودفعت قوله

يا مدعي الصفع لكما * ومعيد الدال عينا
قل لمن يختار ما اختر * ت فانا قد رأينا

وما اظرف قول القائل

حباها باكرام وقام مبادرا * الى وتد المقياد علق خفها
وكان اذا ما رابه سوء فعلها * يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقال ابن دانيال في السراج الحوراني

رأيت سراج الدين للصفع صالحا * ولكنه في عامه فاسد الذهن
أستره بالكف خوف انطفائه * وآفته من طفئه كثرة الدهن

وما أحسن قول القائل

أرى الصفع ورد منه القذالا * وأوسع في أخدعيه المجالا
وأسلاه عن حب ذات اللمى * وان هي فاقت وراقت جمالا
لئن كان قد حال ما بينه * وبين الحبيبة صفع توالى
فقد يحدث الظرف بين المضاف * وبين المضاف اليه انفصالا

ما أحسن ذكر الظرف ههنا ومن شواهد فصل المضاف من المضاف اليه قول الشاعر

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودي يقارب أو يزيل

فكف مضاف الى يهودي ولكن الظرف فصل بينهما وهو يوما وما احسن قول ابن سكرة الهاشمي أو ابن حجاج

قاز غلامي ومقلتاه تكف * وجسمه ظاهر السقام دنف
خدمتناه هذه التي كثر الا رجاف في امرها فليس يقف
قد عزلونا عنها فقلت نعم * وصاد فاء بين واو ونون الف

*(تنام عني وعين النجم ساهرة * وتستحيل وصبغ الليل لم يحل)*

(اللغة) النوم معروف وهو ضد اليقظة (العين) حاسة الابصار وهي مؤنثة والجمع اعين وعيون واعيان قال الشاعر كأعيان الجراد المنظم وتصغيرها عيينة ومنه قيل للجاسوس ذو العيينين (النجم) الكوكب ومتى اطلق فالمراد به الثريا فان اخرجت منه الالف واللام تنكر (ساهرة) السهر ضد النوم وقد سهر بالكسر فهو سهران وساهر واسهره غيره (وتستحيل) الاستحالة التغير وحالت القوس واستحالت بمعنى اذا انقلبت عن حالها التي غمزت عليها وحصل فيها اعوجاج (الصبغ) اللون تقول صبغت الثوب اصبغه واصبغه صبغا بالفتح وبالكسر ما يصبغ به فعلى هذا اللفظ الصحيح في البيت صبغ بالفتح (الليل) ضد النهار وهو من لدن

الآية وأنزل في حق ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه أو كان على دينه وحكم ان من ارتكب كبيرة خرج عن الاسلام وكان مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدل بكفر ابليس وقال ما ارتكب الا كبيرة حيث أمر بالسجود فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله عز وجل الى غير ذلك من المذاهب التي أجمعت عليها الازارقة (وحكى) عن خالد ابن خداش قال لما تفرقت الازارقة وآراء الخوارج ومذاهبهم أقام نافع بن الازرق بسوق الاهواز يعترض الناس وكان متشككا في ذلك فقالت له امرأته ان كنت كفرت بعد ايمانك وشككت فدع كلمتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم تعني المسلمين المخالفين لمذهبه وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبل قولها وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء فاذا ولى بلدا كان ذلك دأبه الى أن

غروب الشمس الى وقت طلوعها وهو الليل الطبيعي والليل الشرعي من لدن اقبال الظلام
في الشرق الى وقت الفجر الثاني واما سليمان الاعمش فقال النهار الشرعي من اول بزوغ
الشمس محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم صلاة النهار عجماء اي لا يجهر فيها ولعمري ان
ما قاله لجيد وان كان الصحيح خلافه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن صلاة النهار عجماء
فعلم من هذا ان صلاة الليل غير عجماء وهي الجهور فيها والله تعالى قال ان قرآن الفجر كان
مشهودا أي مجهورا به وما يجهر فيه يكون حكمه داخلا في الليل ويقال انه قيل لابي حنيفة
الا تمضي الى الاعمش تسلم عليه قال كيف أسلم على من لم يصم رمضان قط وقال وكيع
سمعت الاعمش يقول لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسحرت قال الشيخ الامام الحافظ شمس
الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي كان هذا مذهب الاعمش وهو على الذي
روى النسائي من حديث عاصم عن زر عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان ضوء النهار الا ان الشمس لم تطلع ذكر ذلك في تاريخه الكبير الذي قرأته عليه
حوادث واجازنيه تراجم (قلت) وأكد الامام فخر الدين مذهب الاعمش ونصره بحث قال
منه لو بحثنا عن حقيقة الليل في قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل وجدناها عبارة عن
زمان غيبة الشمس بدليل ان الله تعالى سمى ما بعد المغرب ليلا مع بقاء الضوء فيه فثبت ان
يكون الامر من الطرف الاول من النهار كذلك فيكون ما قبل طلوع الشمس ليلا وان لا يوجد
النهار الا عند طلوع القرص اه (قلت) الآية الكريمة قد بينت حرمة أكل الصائم في
قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فقد
أبانت غاية الاكل بحتى فهذا نص صريح في غاية مدة أكل الصائم في الليل والخيط الابيض
هو الفجر الثاني الذي يستطيل في الافق من القبلة الى الشمال وليس الفجر الكاذب الذي
يأخذ اولا من ذيل الافق الى قريب من ثلثه طولا وهو المسمى بذنب السرحان وهذا
الفجر الكاذب من الادلة القوية على الفاعل المختار لان تعليله يشق على الحكيم اذ لا سبب
له غير الشمس لكونه أولا يبدأ آخذا الى فوق ثم يذهب ويأخذ بعد قليل في الافق
عرضا من اليمين الى الشمال فان كان ذلك بواسطة الشمس فكان ينبغي ان يكون في الغرب
مثله عند العشاء الاخيرة فاذا غاب الشفق ظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب
السرحان وقد قال بعض الحمقى ان في جبل قاف طاقة اذا حاذتها الشمس خرج الضوء من
تلك الطاقة فاذا بعدت المحاذاة بطل الضوء فاذا قاربت الشمس الظهر بدا الضوء الثاني
فحصل الفجران وهذا من خرافات العقول وأكاذيب الاوهام وأباطيل الحدس وقد ذكر
شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي القرافي في كتابه الاستبصار فيما تدركه الابصار
تعليل ذلك وفيه نظر (الاعراب) * (تنام) مضارع نام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على
الاصل ونيم على اللفظ وتقول نمت وأصله نومت بكسر الواو فلما سكنت سقطت لاجتماع
الساكنين ونقلت حركتها الى ما قبلها وكان حق النون ان تضم لتدل على الواو الساقطة
كما ضمت القاف من قلت الا أنهم كسروها للفرق بين المضموم والمفتوح وأما كلت فانما
كسروها لتدل على الياء الساقطة وأما على مذهب الكسائي فالقياس يستمر لانه يقول أصل
قال قول بضم الواو وأصل كال كيل بكسر الياء والامر منه نم بفتح النون وكذلك بناء

يحبيه أهلها فوضع عليهم
الجباية والخراج واشتدت
شوكته وفشا عماله في السواد
الاعظم فارتاع لذلك أهل
البصرة فمشوا الى الاحنف
ابن قيس وشكوا اليه أمرهم
وقالوا ليس بيننا وبين القوم
الا ليلتان فقال لهم الاحنف
ان سيرتهم في مصركم ان
ان ظفروا بكم مثل سيرتهم
في سواكم فخذوا في جهاد
عدوكم وقد حرضهم الاحنف
فاجتمعوا اليه زهاء من
عشرة آلاف في السلاح وأمر
عليهم مسلم بن عبيس وكان
شجاعا دينا وخرج بهم فلما
صاروا بموضع يعرف بدولاب
خرج اليه نافع بن الازرق
على الشراة وكانوا ستمائة
نفر فاقتتلوا اقتتالا شديدا حتى
تكسرت الرماح وعقرت
الخيل وتضاربوا بالعمد
فقتل في المعركة ابن عبيس
وهو أمير أهل البصرة وقتل
نافع بن الازرق أيضا فعجب
الناس من قتل الاثنين ثم
ولى على أهل البصرة الربيع
ابن عمرو على الازارقة
عبد الله بن الماحوز فقتل
الربيع وتولى الحجاج بن
رباب فقتل وتولى حارثة بن
بدر ونادى في الناس بأن
اثبتوا فاذا فتح الله عز وجل
فللعرب زيادة فريضتين نعم
وللموالي زيادة فريضة وثبت
الناس فالتقوا وقد فشت

المستقبل لان الواو المنقلبة ألفا سقطت لاجتماع الساكنين وهنا أيضا حذفت الهمزة التى
للاستفهام لان أصله أتنام عنى وحذفها جائز فى ضرورة كما تقدم (عنى) جار ومجرور وأصله عن
الجارة ودخلت نون الوقاية على النون الاصلية فلهذا شددت فى اللفظ وكتبت بنون واحدة
والياء ضمير المتكلم فهو مجرور بعن ومن العرب من لا يدخل نون الوقاية على عن ولا على من
ويقول عنى ومنى بنون واحدة مخففة وعن هنا معناها التجاوز أى تجاوز أمرى وتنام وتقدم
الكلام على تقسيم عن فى أول القصيدة (وعين النجم) الواو للابتداء وعين مرفوع على انه
مبتدأ والنجم مجرور بالاضافة والاضافة هنا معنوية وهى مقدرة باللام (ساهرة) مرفوع
على انه خبر المبتدا والاحسن ان تكون ساهرة منصوبة على الحال والخبر محذوف كما قرئ
ونحن عصبة بالنصب معناه ونحن نرى عصبة فكذا يقدر هنا وعين النجم نرى ساهرة اذ المعنى
أتنام عنى وهذه عين النجم ترى ساهرة لاجلى وتستحيل على وهذا صبغ الليل يرى غير حائل
وفى تقديره هكذا توبيخ له لكونه من ذوى الحواس وقد نام عنه واستحال عليه وهذان غير
حاسين ومع ذلك فقد سهرت عين النجم ورثت فى حاله غير نائمة ولم يستحل صبغ الليل رحمة له
ووفاء واذا جعلت ساهرة خبر العين النجم وصبغ مبتدأ ولم يحل الخبر وكانت الجملة فى
الموضعين فى تقدير الحال ذهب معنى التقريع والتوبيخ الذى تقرر ويعود المعنى أتنام عنى
والحال من النجم والليل كذا وكذا وان شئت قدرت عين النجم خبرا والمبتدا محذوف تقديره
وهذه عين النجم ساهرة ويكون فيه معنى زائد فى التوبيخ لانك اذا قلت أيخفى عليك ما أردت
وهذا الطفل قد فهمه فيه معنى زائد على قولك أيخفى عليك ما أردت والطفل قد فهمه
(وتستحيل) الواو عاطفة الجملة الفعلية على مثلها وهما تستحيل وتنام تستحيل فعل مضارع
مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه كما فى تنام (وصبغ) الواو للابتداء
وصبغ مرفوع اما على انه مبتدا والخبر محذوف تقديره يرى أو على أنه خبر مبتدا محذوف
تقديره وهذا صبغ الليل على ما تقدم (الليل) مجرور بالاضافة المعنوية وهى مقدرة باللام
(لم) حرف يجزم الفعل المضارع وهى من خصائصه وعملت فيه الجزم لانها دخلت عليه ونقلته
من الاستقبال الى المضى فاختصت بهذا المعنى وكان عملها الجزم قياسا على ان الشرطية
لانها تدخل على الماضى فتنقله من المضى الى الاستقبال وهى مع ذلك تقتضى شرطا
وجزاء وهما جملتان فطالما اقتضته وكان لا بد من العمل فناسب أن يكون الجزم ليقابل
طول ما اقتضته بهذه الخفة (يحل) فعل مضارع مجزوم بلم وكان أصله يحول فاجتمع ساكنان
وهما الواو واللام آخر الفعل لدخول الجازم والاول حرف علة فحذف وبقى آخر الفعل ساكنا ثم
اضطر الشاعر الى حركة الساكن فكسره اذ القاعدة فى الساكن انه اذا حرك كسر لانهما
أخوان فى أن كل واحد منهما مختص بنوع من الكلام فالجر بالاسماء والجزم بالافعال وما
أحسن قول من قال دخول لم على المضارع كدخول الدواء المسهل على الجسد ان وجد فضلة
ازالها والا أضعف البدن وكذا ان كان المضارع فيه علة متوسطة أو متطرفة اذهبها وان
كان صحيحا أضعفه لانه ينقله من الحركة الى السكون ولو ان جالينوس كان يعلم نحو العرب
ما أتى بأحسن من هذه المناسبة وقد قيل انه كان يعرف النحو اليونانى * بقى فى البيت سؤال
وهو أن مفعول تستحيل ماهو لان تستحيل من الاستحالة وهى استفعال من الاحالة تقول

بينهم الجراح وماتت الخيل
الا على القتلى فبينما هم
كذلك اذ أقبل من اليمامة
مدد عظيم للازارقة
فاجتمعوا وهم يرجون مع
أصحابهم وحملوا على الناس
فلما رأتهم الجيوش ورآهم
حارثة نكص برايته وانهزم
وقال لاصحابه

كرنبوا ودولبوا
وحيث شئتم فاذهبوا
أير الحمار فريضة لعبيدكم
والخصيتان فريضة الاعراب

فتتابع الناس على اثره
منهزمين وتبعهم الخوارج
فالقوا نفوسهم فى دجيل
فغرق منهم خلق أكثرهم
من الازد وفى ذلك يقول
شاعر الازارقة

يرى من جاء ينظر فى دجيل
شيوخ الازد طافية لحاها

وقلق أهل البصرة لذلك
ودخل قلوبهم الرعب من
الخوارج فبينما هم كذلك
اذ ورد المهلب بن أبى صفرة
متوجها الى خراسان وقد
كتب له عبد الله بن الزبير
عهده بها فلما مر بالبصرة قال
الاحنف لوجوه أهل البصرة
والله ما للخوارج غير المهلب
فكلموه فى ذلك فقال هذا
عهدى على خراسان
وما كنت لادع أمر أمير
المؤمنين عبد الله بن الزبير
فاتفق أهل البصرة مع
الاحنف على أن يقاتلوا

استعمال زيد على عمرو فالجواب انه محذوف تقديره على وحسن حذفه كونه معلوما من السياق لانه اذ قال تنام عنى علم ان معنى قوله وتستحيل أى على فهو جار ومجرور موضعه النصب على المفعولية (المعنى) أتنام عنى وهذه عين النجم تراها ساهرة لما أقاسيه وأكابده من الفكر وتستحيل على وصبح الليل كم تراه لم يحل ولم يتغير وفى هذا ادماج لانه أدمج فى هذه العبارة أن الليل طويل عليه لم ينسلخ من سواده الى الفجر وما أحسن قول ابن الساعاتى

غبتم عن سهاد جفنى ولا * يعلم ماض ساهرا من ينام
ما رعيتم حق الجوار وان كا * ن بادنى الجوار يرعى الزمام

وقال الارجانى

فلا تنكروا حق المشوق فانما * لناو عليكم أنجم الليل تشهد
أبيت نجى الهم فى كل ليلة * كأن بها طرفى طراف ممدد

وقال ابن الهبارية

لقد ساهرتنى عيون الدجى * وقد غمضت عنى عيون الملاح
اذا ماشكا الليل هجر الصباح * شكوت الى الليل هجر الصباح

وقال ابن خفاجة

لا تسألوا عنى الخيال فانه * ما زارنى عنكم فيعلم ما بى
واستخبروا الليل الرعيت نجومه * فنضا ولم ينصل دجاه خضابى
سهرت كواكبه معى ورقدتم * أنتم كواكبه وهن صحابى

وقلت أنا فى هذه المادة

أشكو الى البدر ليالى الجفا * وليس يدرى ما عضناك
فهو سميرى أتسلى به * وانما البدر محياك

وما أحسن قول القائل فى طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وأخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل وزاده فقال

بكف الثريا وهى جذما تقاس لى * شقاق دجى مدت من الشرق للغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضى يا ليل أو ينقضى نحبى

وقال شرف الدين أحمد بن نصير بن كامل بن على بن منقذ

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين أحمد المذكور

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا

كتابا على ابن الزبير يأمره فيه بقتال الخوارج فكتبوه وفيه (أما بعد) فان الحسن ابن عبد الله كتب الى يخبرنى أن الازارقة أصابوا جندا من المسلمين وأنهم قد أقبلوا نحو البصرة وكنت قد كتبت عهدك على خراسان ووجهتك وقد رأيت أن تبتدئ بقتال الخوارج فان الاجر فيه أعظم من سيرك الى خراسان فلما قرأ المهلب الكتاب قال والله ما أسير اليهم حتى تجعلوا الى ما غلبت عليه وتقوونى من بيت المال وأنتخب من فرسانكم ورجالكم من شئت فأجابوه الا طائفة من بنى مسمع فقدها عليهم المهلب وسار الى الخوارج فكان عليهم أشد من كل من قاتلهم وبلغ ابن الزبير افتعال الكتاب فلم يقل شيأ وأقره على ذلك ثم ان المهلب أخذ بالحزم فى القتال واعمال الرأى والمطاولة فاذكى العيون وأقام الحرس وخندق ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم فكانت الازارقة اذا أرادوا البيات المهلب وجدوا أمرا محكما ثم خرج المهلب يوما على تعبية حسنة وخرج الخوارج على مثل ذلك الا انهم أحسن

وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت ان صباحه قد ماتا

وما أحسن اعتذار الأرجانى عن طول الليل

لا أدعى جور الزمان ولا أرى * ليلى يزيد على الليالى طولا

لكن مرآة الصباح تنفسى * للهم أصدأ وجهها المصقولا

وما أرشق قول خالد الكاتب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

وأنصف من قال

وما ليلنا الا سواء وانما * تفاوته أنا سهرنا ونمتم

وقال زكى الدين بن أبى الاصبع

وساق اذا ما ضاحك الكاس قابلت * فواقعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا

خشيت وقد أمسى نديمى على الدجا * فاسدلت دون الصبح من شعره الحجبا

وقصت شمس الطاس بالكاس أنجما * فيا طول ليل قصت شمسه شهبا

أخذ الاصل من قول القائل

ترى الشمس قد صيغت كوكبا * وقد طلعت فى عداد النجوم

(رجع) وأين صاحب الطغرائى من قول أبى الطيب

لا أستزيدك فيما فيك من كرم * أنا الذى نام اذ نبهت يقظانا

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

وله عذر فى نومه واستحالته على الطغرائى لان هذا الصاحب سائر على مطايا الراحة والامن والطغرائى قد اقتعد فى ذروة القلق والجد والروع والطلب وهيهات بينهما فرق بعيد دونون وقد ضل من اعتقد أن الصاحب له فى الشدائد عون ويا ويل الشجى من الخلى وهان على الاملس ما لاقى الدبر ومن هذا قول ابن قلاقس الاسكندرى

يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم

يقال ان أبا أيوب المرزبانى وزير المنصور كان اذا دعاه المنصور يصفر لونه ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع اليه لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك الى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازو ديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لاصحابك قال وكيف ذلك قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من ها هنا الى ها هنا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما انا فأوخذ من الجبال وقد كبر سنى فتخاط عينى وأطعم الشئ اليسير وأساهر فامنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد فاطير وحدى وآخذه وأجئ به الى صاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازين فى سفود ما عدت اليهم ابدا وأنا فى كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وانتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه لكم (قلت) وكأن أبا أيوب كان قد استشعر ايقاع المنصور به فانه أوقع

عدة وأكرم خيلا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك انهم أكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فجاؤا فى المغافر والدروع يسحبونها فالتقى الناس واشتد القتال وصبر بعضهم على بعض عامة النهار ثم شدت الخوارج على الناس شدة منكرة فاجفل الناس فانصاعوا منهزمين وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع ثم نادى الناس الى الى عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه حتى اجتمع اليه نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من اجتمع اليه رضى جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيهزمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمرى انى الآن بجماعتكم لراض وانتم والله أهل الصبر وفرسان المصر وما أحب ان أحدا ممن انهزم معكم ولو كانوا فيكم ما ارادوكم الا خبالا عزمت على كل نفر منكم الا أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيولهم فى طلب اخوانكم فقبلوا منه ثم اقبل بهم زحفا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم فى جانب عسكرهم ثم استقبلوا

به فما بعد وعذبه وأخذ أمواله وكانت أموالا عظيمة وما أعاده الدهن الذى ضرب به المثل شيأ فان فى أفواه العوام دهن أبى أيوب قيل انه كان يدهن حاجبيه بدهن يسحر فيه المنصور اذا رآه فلا يتمكن منه (رجع) واستعارة الابن للنجم فى بيت الطغرائى من أحسن ما يكون قال ابن نباتة السعدى

وخطة ضيم قد أبيت وليلة * سريت فكان المجد ما أنا صانع

هتكت دجاها والنجوم كأنها * عيون لها ثوب السماء براقع

وقال الارجانى

ثم خافت لما رأت أنجم الليـ * ـل شبيهات أعين الرقباء

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ما راعنا تحت الدجى شئ سوى * شبه النجوم بأعين الرقباء

ومن الالغاز فى السماء والنجوم

وحسناء خرساء لا تنطق * بروقك ملبسها الازرق

وأحسن من كل مستحسن * عيون لها فى الدجى تبرق

وقال ابن طباطبا العلوى

وقد لاحت الشعرى العبور كأنها * طرف تقلب بالدموع هموع

وقال أيضا

وكأن النجوم لما تدانى الصبح أجفان مستهام كئيب

شاخصات الى السماء فما تطـ * ـرف أجفانها عن التغريب

زاهرات كأنها زمن الجا * هل فى حندس كدهر الاديب

وما أحسن هذا الثالث وألطف تخيله وقد استعمل أبو العلاء المعرى دهر الاديب أيضا فقال

خبرينى ماذا كرهت من الشيـ * ـب فلا علم لى بذنب المشيب

أضياء النهار أم وضح اللؤ * لؤ أم كونه كثغر الحبيب

واذكرى لى فضل الشباب وما يجـ * ـمع من منظر يروق وطيب

غدره بالخليـ * ـل أم حبه للغى أم أنه كدهر الاديب

وهذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس وهو أعلى مراتب التشبيه طبقة لانه ينشأ عن لطف ذوق وسلامة فطرة وصحة تخيل فهو صعب على من يرومه متقاعس عن جذب زمامه لان العلوم العقلية تستفاد من الحواس فى المقادير والالوان والطعوم والرائحة وطيب النغم ونعومة الملمس وخشونته ولهذا قالوا من فقد حاسة فقد علما واذا كان كذلك فالمحسوس أصل والمعقول فرع وتشبيه المعقول بالمحسوس من باب رد الفرع أصلا والاصل فرعا وأحسن ما جاء فيه قول القائل

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

وقول الآخر

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وقول الآخر

أميرهم عبد الله بن الماخور وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح فحمل الرجل من أصحاب المهلب يتعرض وجه الرجل بالحجارة حتى يثخنه ثم يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل ابن الماخور وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب معسكر القوم وما فيه ومضى المنهزمون الى كرمان واصبهان ثم ولى مصعب ابن الزبير العراق ورجع اليه المهلب فقاتل معه المختار بن أبى عبيد الى أن قتل ورجع الى الازارقة فلم يزل يغاديهم القتال ويراوحهم وهو مع ذلك شديد الاحتراز على عسكره والتحفظ واليقظة الى أن بلغ مدة طويلة وبلغ الخوارج قتل مصعب بن الزبير أمير العراق واستيلاء عبد الملك بن مروان قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا امام هدى وليا فى الدنيا والآخرة قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين قالوا فانا منه برآء فى الدنيا والآخرة قالوا وانتم ونحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم المصعب قد قتله عبد الملك وانكم ستجعلون عبد الملك غدا امامكم وأنتم اليوم تتبرؤن منه وتلعنون

كان

كأن انتضاء البدر تحت غمامة * نجاة من البأساء بعد وقوع

وقول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وقول جحظة البرمكي

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جحظة والزمان

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله في كتابه حسن التوسل يصف حصنا

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تمثله في طيها الفكر

وقول ابن الهبارية

كم ليلة بت مطويا على حرق * اشكو الى النجم حتى كاد يشكوني

والصبح قد مطل الشرق العيون به * كأنه حاجة في نفس مسكين

وقول أبي القاسم سعد بن ابراهيم

تتنفس الصهباء في لهواته * كتنفس الريحان في الآصال

وكأنما الخيلان في وجناته * ساعات هجر في زمان وصال

وهو مأخوذ برمته من قول الآخر

اسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال

وأخذه الشهاب بن المعمار فقال في خال قبيح على خد مليح

وجهك الزاهر نور * فيه خال غير حالي

ساعة من ليل هجر * في نهار من وصال

وكلاهما أخذ المعنى من المعتمد بن عباد حيث قال

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور

فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وقول الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

وما أحلى قول أبي حفص عمر بن علي المطوعي

قم هات دهقانية * وعليك بالكاس الدهاق

أوما ترى نور الخلا * فكأنه نور الوفاق

وقوله أيضا

أوما ترى نور الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

أو كف سنور ولكن نشره * يسعى بفار المسك في الآفاق

وعلى ذكر الفار حكى ان فخر القضاة ابن بصاقة امسك له فارة بيضاء فصنع لها قفصا وكتب عليه من نظمه

وفارة بيضاء لم تمتهن * يوما باطعام السنانير

أباه فقالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك فناداهم الازارقة يا أعداء الله بالامس تتبرؤن منه وتلعنون أباه واليوم تبايعونه بالخلافة وقد قتل امامكم الذي كنتم تتولونه فأيهما المهدي وأيهما الضال فقالوا رضينا بذلك ونرضى بهذا ولى كل منهما أرواحنا وأمورنا فقالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وطلبة الدنيا ثم ولى عبد الملك وأمر الحجاج على العراق وأمره بامداد المهلب فشمر الحجاج لذلك وتتابع المدد الى أن قال المهلب لقد ولي العراق والذكر ثم ان الحجاج كتب الى المهلب يستبطئه في مناجزة الازارقة ويستعجزه فحبس المهلب رسول الحجاج أياما حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم وكتب الى الحجاج يقول ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى فان أمكنتني فرصة انتهزتها وان لم تمكني توقفت فأنا أدبر ذلك بما يصلحه وان أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب فان كان صوابا فلك وان كان خطأ فعلي فابعث من رأيت مكاني والسلام ولما طالت الحرب

اذ فأرة المسك سمعنا بها * وهذه فأرة كافور

ومما يستغرب انه وجد في ذخائر سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه غلة في عنقها سلسلة تاكل كل يوم رطلي لحم بالبغدادي

*(فهل تعين على غي هممت به * والغي يزجر أحيانا عن الفشل)*

(اللغة) الاعانة المساعدة في الخير والشر (الغي) الضلال تقول غوى بالفتح يغوي غيا وغواية فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوي على فعيل قال الاصمعي لا يقال غيره وأنشد قول المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

سأل بعض المغفلين انسانا فاضلا فقال له كيف تنسب الى اللغة فقال لغوي فقال أخطأت في ضم اللام انما الصحيح ما جاء في القرآن قال الله تعالى انك لغوي مبين (الزجر) المنع والنهي يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر (احيانا) الحين الوقت وجمعه أحيان (الفشل) الجبن يقال فشل بالكسر فشلا اذا جبن (الاعراب) فهل الفاء قد تقدم الكلام عليها وهل حرف استفهام وهي أخت الهمزة ولها صدر الكلام تقول أزيد قائم وأقام زيد وهل زيد قائم وهل قام زيد وانما كان الاستفهام له صدر الكلام لانه طالب الفهم وقيل لانه طريق الى الفهم وقيل لانه قسم من أقسام الكلام فوجب ان يتميز عن غيره من أول مرة وقيل لان أداة الاستفهام تنقل معنى الجملة من الخبر الى الاستخبار فاشبه النفي والتمني وغيرهما ولما كانت الهمزة وهل غير مختصتين كانتا غير عاملتين والهمزة أعم من هل لانك تقول أزيدا ضربت أم عمرا وهل لا تقع هنا لان أم المتصلة لا تقع بعد هل فحيث وجدت هل وجد الفصل أي الانقطاع وأيضا فان قولك أزيدا ضربت قد فصلت فيه بين همزة الاستفهام وبين الفعل بالمفعول ولا يجوز ذلك في هل فلا تقول هل زيد ضربت وتقول أتضرب زيدا وهو أخوك ولا تقول هل تضرب زيدا وهو أخوك لانك في الهمزة تدعي ان الضرب واقع به وأنت توبخه وفي هل لا تدعي ذلك بل تستفهم عنه فقط وقد تجيء هل بمعنى قد كقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر وقد تجيء أيضا بمعنى ما كقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله (تعين) فعل مضارع من اعان يعين اعانة مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت (على غي) جار ومجرور وعلى تكون للاستعلاء حسا مثل ركبت على الفرس أو معنى نحو تكبر عليه وفلان علينا أمير وقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وفيه لطيفة وذلك انه أتى بعلى للهدى وبفي للضلال لان صاحب الهدى والحق كانه مستعل على ما هو عليه كالجواد يركض به كيف شاء وصاحب الضلال والباطل كانه منغمس فيما هو فيه وراسه منخفض لا يدري أين يتوجه وهذا من لطائف القرآن وغوامض معانيه ألا ترى الى لفظ الهدى كيف وقع بعلى في قوله تعالى على هدى من ربهم والى لفظ الضلال كيف وقع بفي في قوله تعالى انك لفي ضلالك القديم وقد تكون بمعنى في التي للظرفية نحو قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقد تكون بمعنى عن كقول الشاعر

اذا رضيت علي بنو قشير * لعمر الله أعجبني رضاها

وقد تكون اسما وذلك اذا دخل عليها حرف الجر نحو نزلت من عليه أي من فوقه والقول فيها

بين المهلب وبينهم ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم علم انه لا يظفر الا بالاختلاف اذا وقع بينهم وكان في عسكرهم حداد يسمى ابزي يصنع نصالا مسمومة يرمي بها أصحاب المهلب فوجه المهلب رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر الخوارج وقال ألق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك وكان في الكتاب الى الحداد أما بعد فان نصالك قد وصلت الينا وقد وجهت اليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب الى قطري فدعا ابزي وقال ما هذا الكتاب قال لا أدري قال فما هذه الدراهم قال لا أعلم علمها فأمر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير وكان من كبار القوم فقال له قتلت رجلا على غير بينة ولا تبين أمره فقال لها هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز ان يكون حقا فقال قطري قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما يراه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة معه فلم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل له انما سجدت لك فقيل

بانها اسم كالقول فى من وفى على لغات تقول جاء السيل من علو ومن علو بضم الواو وفتحها وكسرها مع سكون اللام ومن على ومن علو ومن علا بكسر اللام مع الياء وضمها مع الواو وفتحها مع الالف ومن عال فهذه ثمان لغات وأما ما أنشده البغداديون لابن ثمر وان من قوله

يارب يوم لى لاأظلله * أرمض من تحت وأضحى من عله

فقال أبو على الهاء فيه مشكلة وأبطل أن تكون ضميرا وهاء سكت (رجع) هممت فعل ماض تقول هم يهم وانما يفك الادغام عند اتصال الفعل بضمير الرفع واما اذا دخل الجازم على المضارع من هذا المشدد فانت مخير بين الفك والادغام والفك لغة القرآن وهى للحجازيين قال الله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يحلل عليه غضبى ولاتمنن تستكثر واغضض من صوتك والادغام لغة بنى تميم وعليها قوله تعالى ومن يشاق الله ولك أن تقول حل واحلل ومد وامدد وغض واغضض والتاء ضمير الفاعل وهو المتكلم (به) جار ومجرور والباء هنا يحتمل أن تكون للالصاق وقد تقدم الكلام عليها وهممت وما بعده صفة لغى فى موضع جر (والغى) الواو للابتداء والغى مرفوع على أنه مبتدأ (يزجر) فعل مضارع من زجر يزجر وارتفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه يرجع الى المبتدا الذى هو الغى والجملة من الفعل والفاعل فى موضع رفع على انها خبر الغى (أحيانا) منصوب على انه ظرف زمان والعامل فيه يزجر (عن الفشل) جار ومجرور وعن هنا للمجاوزة ومفعول يزجر محذوف للعلم به لان التقدير يزجر الانسان عن الفشل وعن الفشل فى موضع نصب لتعلقه بالفعل وهو يزجر (المعنى) يقول لصاحبه أتنام عنى وتستحيل على فهل لك فى أن تعين صاحبك على غى هم به وسيأتى تفسير ذلك الغى فيما بعد فان الغى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن واعانة المرء صاحبه فى الحق أمر مندوب اليه قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهذا فى الواجبات وقال صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه وهذا فى الامور المباحة فاما المحظورة فلا ومن فعل فقد شارك وصار له كفل منه وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل له يارسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك اياه وحدث عمرو بن سعيد بن سالم الباهلى قال كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين واستتاق الخلافة له فخرج لينظر الى العسكر فى بعض الليل فعرفته ولم يعرفنى فاغفلته وجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفى فقال من أنت قلت أبا عمرو عمرك الله ابن سعيد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله فقال أنت الذى كنت تكلؤنا فى هذه الليلة فقلت الله يكلؤك يا أمير المؤمنين فانشأ المأمون يقول

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال ياغلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت ان تكون الابيات طالت فأجد الغنى فقلت يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال لى هات فقلت * وان غدوت ظالما غدا معك * فقال ياغلام أعطه لهذا البيت ألف دينار فبرحت من موضعى حتى أخذت خمسة آلاف دينار (قلت) مافهم المأمون من هذا البيت الاخير الا مافسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام حديثه المتقدم * وأما الجبن فامر مذموم قال صلى الله عليه وسلم لاتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم

النصرانى ذلك فقال له قطرى انما السجود لله فقال ماسجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فانكر ذلك عليه وقال قتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبعث اليهم المهلب رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فاتاهم الرجل فقال أرأيتم لو أن رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ماتقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فهو من أهل الجنة وأما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الخلاف فخرج قطرى الى حدود اصطخر وأوقع المهلب بمن بقى منهم مع صالح بن مخراق وزحف الى البقية وخندق عليه ثم أقام أياما وأوقع بينهم الفتنة حتى وقع بين قطرى وعبد ربه فانحاز الى عبد ربه جماعة وولوه عليهم وذهب قطرى باصحابه وقاتل المهلب جيش عبد ربه فقتل عبد ربه بعد

فاصبروا وفي رواية فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف وفي كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى خالد بن الوليد رضي الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياة وقال عمر رضي الله عنه الجراءة والجبن من الغرائز التي يضعها الله حيث شاء فالجبان يفر عن أهله وولده والجريء يقاتل عمن لا يؤب الى رحله * وقال خالد بن الوليد عند موته لقد لقيت كذا وكذا زحفا ومافي جسدي موضع قيس شبر الا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت عيون الجبناء * ووقع في أبي فراس الحرث بن حمدان نصل نشاب أقام في بدنه ثلاثين شهرا حتى خرج فقال فيه

فلا تصفن الحرب عندي فانها * طعامي مذ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي * وشقق عن زرق النصول اهابي
ولجت في حلو الزمان ومره * وأنفقت من عمري بغير حساب

وقال أبو الطيب

رماني الدهر بالأرزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال
وهانا لا أبالي بالرزايا * لأني ما انتفعت بأن أبالي

(رجع) ويدخل في قول الطغرائي اغراء المحبين من يألفونه ويحبونه بالاقدام على الزيارة وركوب الاخطار وتهوين الخطوب في الوصال ويتوصلون الى ذلك بأنواع من سحر الكلام والمغالط التي يستعملها البلغاء في الاغراء والتحذير ويسمي أرباب المعقول هذا النوع الخطابة ومن أحسن ماجاء في ذلك قول القائل

قم بنا نفديك نفسي * نجعل الشك يقينا
قال كم ياحبيبي * يأثم القائل فينا

وهو مأخوذ من قول الآخر

لا أنس لا أنس قولها عني * ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها * هل لك يا هند في الذي زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كي لا تضيع الظنون والتهم

(وقلت) انا كأني حاضر أسمع مخاطبتهما

هذا محب ومايخاصه * في دينه أن وشاته أثموا
فواصليه واصغي لمغالطة * يقبلها من طباعه الكرم
ياويح وصل أتى بحيلته * ان كنت لم ترع عندك الذمم

وأنشدني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدني أبو عبد الله فتح الدين البكري قال أنشدني الجمال الكاتب محمد بن أبي العز المكرم لابيه

الناس قد أثموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم * بأن نحقق مافينا يظنونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

ووقائع طويلة وانفل جند الازارقة وتشتتوا في البلاد وتخطفهم الناس وكتب المهلب الى الحجاج بالفتح يقول الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ماسواه بان حكم بان لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علا أمرهم حتى ارتاعت الفتاة وتوهم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وادنيت السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج يشكره ويذكر بلاءه ويأمره بالقدوم عليه واستخلاف أحد بنيه فقدم على الحجاج فاجلسه على السرير الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد عتقاء المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله

ذكرت بالمغالطة هنا مغالط المنطق فمنها قولك الاول يغذو الحمام والحمام يغذو البازي يلزم
من ذلك ان تكون النتيجة الاول يغذو البازي وهي كاذبة مع صدق المقدمتين وقد ذكرها
الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي في أنوار البروق من جملة عشر مغالط وهي
أحسنها لاني امتحنت بها جماعة من الاذكياء الفضلاء فلم يتنبهوا لمكان الغلط في ذلك ووجهه
ان الضرب الاول من الشكل الاول شرط انتاجه ان يكون الحد الاوسط محمولا في الصغرى
موضوعا في الكبرى كقولك العالم متغير وكل متغير حادث فالنتيجة العالم حادث فلما كان
هنا نفس محمول الصغرى موضوعا في الكبرى انتج صدقا بخلاف المسئلة الاولى لان
المحمول في الصغرى انما هو لفظة يغذو وليس هو الموضوع في الكبرى وانما الموضوع
فيها مفعول يغذو وهو الحمام فلم يتحد الحد الاوسط وهذا نظير قولك زيد مكرم عمرا وعمرو
مكرم خالدا فانه لا ينتج صدقا أن زيدا مكرم خالدا نعم لو قلت ان زيدا مكرم عمرا ومكرم
عمرو مكرم خالد أنتج ان زيدا مكرم خالدا فاعرف ذلك فانك تركب من هذه القاعدة مغالط
كثيرة * ومن مغالط شهاب الدين القرافي قولك الوتد في الحائط والحائط في الارض فيلزم
منه انتاج الوتد في الارض وهو كاذب بخلاف قولك الدراهم في الكيس والكيس في
الصندوق فالنتيجة الدراهم في الصندوق وهي صادقة وانما صدق الانتاج هنا وفي الاولى
كذب لان الحائط في الاولى لم يغب بمجموعه في الارض كما غاب الكيس بمجموعه في الصندوق
ومن مغالطه أيضا وهو مشهور بين أرباب المنطق في الاستدلال على ان السارية ذهب أو الجبل
ذهب أو ما وقعت عينك عليه ذهب قولك مثلا هذا الجبل ذهب لان كل من قال انه ذهب قال
انه جسم وكل من قال انه جسم صادق فينتج كل من قال انه ذهب صادق ووجه الغلط أن صحة
المقدمات غير مسلمة لان منها انه قال انه ذهب وهذا كذب ومنها كل من قال انه ذهب قال انه
جسم وبعض هذه المقدمة ممنوع واذا كذبت احدى المقدمتين أو بعض المقدمة تبعته النتيجة
في الكذب وما أحسن ما أنشدته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة لنجم الدين الوارسي
وهو

لا تخطبن سوى كريمة معشر * فالعرق دساس من الطرفين
أو لست تنظر في النتيجة أنها * تبع الاخس من المقدمتين

وهذا في غاية الحسن وهذه المغالطة عظيمة يمكن الذكي ان يرتب عليها أنواع المحالات ويستدل
على سائر الاجسام انها ياقوت أو ذهب أو غير ذلك * وأنشدني الشيخ الامام الاديب الكاتب
شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدني لنفسه الشيخ الامام مجد الدين بن الظهير الاربلي أبياتا
كتبها من نظمه على الجزولية في النحو

مقدمة في النحو ذات نتيجة * تناهت فاغنت عن مقدمة أخرى
حبانا بها بحر من العلم زاخر * ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا
وأوضحها بالشرح صدر زمانه * ولم نر شرحا غيره يشرح الصدرا

*(اني أريد طروق الحي من اضم * وقد حماه رماة من بني ثعل)*

(اللغة) الطروق هو المجيء بليل يقال أتانا فلان طروقا وقد طرق يطرق فهو طارق قال ابن
الجواليقي في التكملة الصواب أن يقال طوارق الليل وجوارح النهار لان أبا زيد حكى ع

الامير والله لكاني أسمع
قطريا وهو يقول المهلب كما
قال لقيط ثم أنشد هذا الشعر
فسر الحجاج حتى ظهر عليه
وسئل المهلب ما أعجب
ما رأيت من قتال الازارقة
قال رأيت رجلا منهم يطعن
الرجل فيمشي في الرمح الى
طاعنه وينال منه وهو يقول
وعجلت اليك رب لترضى
وكانت مدة اقامة المهلب
على قتال الخوارج ومصابرته
لهم تسع عشرة سنة الى أن
فتح الله على يديه وطهر منهم
الارض ومات على فراشه
ومن أخباره المستحسنة انه
أقبل يوما من بعض غزواته
فتلقته امرأة فقالت له أيها
الامير اني نذرت ان أقبلت
سالما أن أصوم شهرا وتهب
لي جارية وألف درهم فضحك
وقال قد وفينا نذرك فلا
تعودي لمثله فليس كل أحد
يفي لك به * ووقف له رجل فقال
أريد منك حويجة فقال
اطلب لها رجيلا يعني أن
مثلي لا يسئل الا حاجة عظيمة
وركب يوما بالبصرة فسمع رجلا
يقول هذا الاعور ساد الناس
ولو خرج الى السوق لا يساوي
أكثر من مائة درهم فبعث
اليه بمائة درهم وقال لو زدتنا
في الثمن زدناك في العطية
ولما هزم قطري بن الفجاءة
دخل عليه المغيرة وأنشده
أمسى العباد بعمري لا غياث لهم

العرب جرحته نهارا أو طرقته ليلا قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقال الجوهري جرح واجترح أي اكتسب وذكرت هنا أبياتا نظمها أحد الأمشاطي من أهل العصر وذلك في سنة ست وعشرين وسبعمائة وهي

وقتالة اللواحظ بعد هجر * حباك كرما وأنعم بالمزار
وظل نهاره يرمي بقلبي * سهاما من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه * وحكم النوم في الأجفان جاري
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

(الحي) واحد أحياء العرب وهم القوم النازلون بمكان (واضم) بكسر الهمزة جبل بأرض المدينة قال الشاعر * شدت بأعلى عائذ من اضم * (حماه) منعه (رماة) جمع رام (ثعل) أبو حي من طيئ وهو ثعل بن عمرو أخو نبهان وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله

رب رام من بني ثعل * مخرج كفيه من ستره

وبنو ثعل مشهورون بإتقان الرمي وقد أكثر الشعراء من نسبة ذلك إليهم قال ابن قلاقس

وحي من كنانة قد رموني * بما حوت الكنانة من سهام
إذا انتضلوا وما ثعل أبوهم * رموك بكل رامية ورامي

ومن هذه القبيلة عمرو بن المسبح الثعلي الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفود العرب فأسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب بالسهام وإياه عنى امرؤ القيس بقوله رب رام البيت وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ القيس من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة (الاعراب) إن حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وإنما عملت هذا العمل لأنها وأخواتها أشبهت الفعل ووجه الشبه أن معنى إن أكدت وحققت وكأن شبهت ولكن استدركت وليت تمنيت ولعل ترجيت ولأنها مفتوحات الآخر كما انفتح آخر الفعل ولأنها تدخلها نون الوقاية كالفعل فأعطي هذا الباب أحسن حالات العمل وأقواها وهو تقدم المفعول على الفاعل فشبه اسمها بالمفعول وخبرها بالفاعل (فإن قلت) أحسن الحالات للفعل تقديم الفاعل (قلت) إنما منع ليكون للأصل مزية وتعلم فرعية إن وبابها في العمل وقد أحسن محاسن الشواء حيث قال في جارية زرقاء العيون

وغادة قلت لها الا * رعيت في الحب إلا إلا
وطرفك الأزرق ما باله * يحدث فينا الخطأ القتلا
قالت ألا يقتل طرف حكى * لون سنان الرمح والشكلا
قد عملت إن على أنها * حرف وقد أشبهت الفعلا

وقيل إنما قدم المنصوب على المرفوع ولم يعكس لأن كان تقدمت هذا النوع وفازت بذلك العمل وإنما قلنا بتقديم كان وأخواتها لأنها مختلف في حرفيتها فقوم قالوا إنها أفعال سلبت الدلالة على مصادرها وقوم قالوا بحرفيتها فلما تقدمت كان وأخواتها اختصت بذلك العمل وجاءت هذه بعد فاختصت بهذا العمل فرقا بين العملين ومنهم من قال إنها نصبت الاسم لا غير والخبر مرفوع بما كان عليه أولا لأن إن إنما تدخل على المبتدأ والخبر وليس بشيء لأن المبتدأ

الا المهلب بعد الله والمطر
هذا يجود ويحمي عن ديارهم
وذا يعيش به الأنعام والشجر
فقال هذا والله هو الشعر وأمر له بعشرين ألفا * ومن كلامه عجبت لمن يشتري العبيد بماله ولا يشتري الأحرار بأفعاله * وكان يقول لولده إذا غدا عليكم الرجل وراح فكفى بذلك تقاضيا * وتذاكروا عنده الثياب فقال أحسن ثيابكم ما رأيتموه على غيركم * وكان كثيرا ما يأمر بصلة الرحم والمكيدة في الحرب (وحكي) أن عبد الرحمن ابن الأشعث لما خرج على الحجاج بالجيش الذي كان بعثه معه إلى قتال زنبيل كاتب المهلب وهو بخراسان يدعوه إلى خلع الحجاج فقال المهلب لا غدر بعد سبعين سنة ثم كتب إلى الحجاج أما بعد فإن أهل العراق مع ابن الأشعث قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحط من أعلى إلى أسفل ليس يرده شيء حتى ينتهي إلى قراره ولأهل العراق شدة في أول جريهم ولهم صبابة إلى نسائهم وأبنائهم فلا شيء يردهم دون أهاليهم فلا تستقبلهم وخل لهم السبيل حتى يأتوا البصرة فيضاجعوا نساءهم ويتشهوا أبناءهم فتبرد قلوبهم ويخلدوا إلى المقام في منازلهم ويتفرقوا

أولى بأن يبقى على حاله والكلام في هذا الباب متسع فلذا اقتصرت منه على ما ذكروان
تكسر في مواطن ستة الاول أن تقع مبتدأة كقوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الثاني أن
تكون أول الصلة كقولك جاءني الذي انه شجاع ومنه قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان
مفاتحه لتنوء بالعصبة واحترزنا بأول الصلة من مثل جاءني الذي عندك أنه كريم لانها تفتح
الثالث أن يتلقى بها القسم كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه الرابع أن تحكى بقول
مجرد من معنى الظن كقوله تعالى قال انى عبد الله واحترز بمجرد من معنى الظن من نحو
قولك أتقول انك فاضل فهنا تفتح الخامس أن تحل محل الحال نحو زرت زيدا واني ذو محبة
فيه وكقوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون
السادس أن تقع بعد فعل معلق باللام نحو قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله فهذه هي المواطن
التي يجب الكسر فيها * ولها أماكن أخر يكسر فيها وأماكن أخر يجوز فيها الفتح والكسر
منها أن تقع بعد اذا التي للمفاجأة كقولك خرجت فاذا انه واقف ومنها ان تقع بعد قسم
وليس مع أحد معموليها اللام كقولك حلفت انك ذو تعب ومنها أن تقع بعد فاء الجزاء
نحو من يأتني فاني أكرمه ومنها أن تقع خبرا عن قول وفاعل القولين واحد نحو قولي اني
أحمد الله وما عدا هذه المواضع فانها تكون فيها مفتوحة * وتدخل اللام على خبر المكسورة اذا
قصد المبالغة في التوكيد وانما أدخلوا اللام على الخبر دون الاسم كراهية الجمع بين أداتي
التوكيد ودخولها على الخبر مشروط بان لا يتقدم معموله نحو ان زيدا طعامك آكل ولا يكون
منفيا نحو ان زيدا لا يقوم ولا ماضيا متصرفا خاليا من قد نحو ان زيدا قام فتدخل على المفرد
نحو ان زيدا القائم وعلى المجرور نحو وانك لعلى خلق عظيم وعلى الجملة الاسمية نحو ان زيدا لأبوه
قائم وعلى الفعل المضارع نحو ان زيدا ليقوم وان زيدا لسوف يفعل وعلى الماضي الذي لم
يتصرف نحو ان زيدا لعسى أن يفعل وعلى الماضي المتصرف المقرون بقد نحو ان زيدا لقد أتى
وتدخل على معمول الخبر نحو ان زيدا لطعامك آكل وان عبد الله لفيك راغب وعلى ضمير
الفصل كقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق وعلى اسم ان اذا تأخر عن الخبر الظرف نحو ان
عندك لزيدا أو الجار والمجرور نحو ان في الدار لزيدا * ولها أحكام أخر منها انها اذا خففت يقل
عملها وقد تعمل مع لزوم اللام في خبرها ومنه قراءة ابن كثير وان كلا لما ليوفينهم ربك
أعمالهم والاهمال أكثر نحو وان كل لما جميع لدينا محضرون واذا دخلت عليها ما كفتها عن
العمل وقد تحذف نون الوقاية معها وهو الاكثر فيقال انى والاصل انني وكذا باقي أدوات الباب
تقول ليتني وهو الكثير وتقول ليتي وهو القليل وتقول لكني ولكنني وهما متساويان ولعلى
ولعلني وكأني وكأنني (رجع) والياء في اني في موضع النصب على اسمية ان ولم يظهر الاعراب
لان الضمائر مبنية (اريد) فعل مضارع ماضيه أراد رفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله
مستتر فيه تقديره أنا والجملة في موضع رفع لانها خبر ان (طروق الحى) طروق منصوب على
المفعولية لاريد والحى مضاف اليه والاضافة معنوية مقدرة باللام (من اضم) جار ومجرور
ومن هنا لبيان الجنس (وقد حماه) الواو واو الحال وقد حرف تحقيق حماه فعل ماض والهاء
في موضع نصب على المفعولية وهي ترجع الى الحى (رماة) مرفوع على انه فاعل حماه (من بنى
ثعل) من هنا لبيان الجنس وثعل اسم مجرور بالاضافة وهو ممنوع من الصرف لان فيه

عن ابن الاشعث فأوقع بمن
حاربك منهم فان الله ناصرك
عليهم فلما قرأ الحجاج كتابه
قال ويلي على ابن المروى
والله مالي نظر وانما نظر الى
ابن عمه ولم يقبل منه ذلك
وكان ذلك مراد المهلب
وتلطف له في طي هذه
النصيحة البليغة * ومما روى
من شعره

انا اذا أنشأت قوما لنائم
قالت لنا أنفس أزدية
عودوا
لا يوجد الجود الا عند ذي
كرم
والمال عند لئام الناس
موجود

(وان هرمس أعطى بلينوس
ما أخذ منك)
هرمس هذا هو الذي يزعم
قوم من الصابئة أنه نبي
مرسل وأنه ادريس عليه
السلام ويسندون اليه
شرائعهم في تعظيم الكواكب
السبعة والبروج الاثنى عشر
والتقرب اليها بالذبائح
والدخن وما أشبه ذلك من
مذاهبهم قال أبو معشر البلخي
هو أول من تكلم في الاشياء
العلوية من الحركات النجومية
وجده كيومرث وهو آدم
عليه السلام علمه ساعات
الليل والنهار وهو أول من بنى
الهياكل ومجد الله فيها وأول
من نظر في الطب وتكلم
فيه وصنف لاهل زمانه

العلمية والعدل التقديري أي قدر فيه أنه معدول عن فاعل (فان قلت) لاي شئ كان هو معدولا عن فاعل ولم يكن فاعل معدولا عنه (قلت) لان الاصل في صيغة اسم الفاعل هذا الوزن وذلك معدول عنها وانما صرف هنا للضرورة على قول أو للتناسب على قول وقوله وقد جاء الى آخر البيت في موضع النصب على الحال * وذكرت بالعدل والمعرفة هنا قول شرف الدين بن عنين

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

وقول نور الدين الاسعردي في بعض مدرسي العجم

يقولون ان الجد بالقصف مولع * فقلت لهم ما اعتاد شيأ سوى القصف
فقالوا أساعاما وافظا مجاسا * فلم منعوا عن صرفه راغم الانف
فقلت لتأنيث به ولعجمة * فقالوا وقد تلجي الضرورة للصرف
ولابد من تقطيعه عند قبضه * فقد زاد بسط الكف في جهة الوقف

قلت لا يخفى ما في البيت الثالث من محاسن باب ما لا ينصرف وما في الرابع من محاسن العروض * وما أحسن ما أنشدنيه من لفظه المولى القاضي شرف الدين أبو عبد الله الحسين ابن ريان

أتيت حانة خمار وصاحبها * مخارف متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل عاق رشيق أهيف حسن
فقال لي اذ رأى عيني قد انصرفت * الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واستتر من عجمة وزن

وظرف من قال

وذي أدب بارع نكته * وأوجه فيه هداعنف
فقلت فديتك أعصر عليه * ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت * لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق * فقال وأحمق لا ينصرف

قيل ان بعض السؤال وقف على باب نحوي فقرعه فقال النحوي من بالباب فقال سائل فقال انصرف فقال اسمي أحمد قال النحوي لغلامه أعط سيبويه كسرة * وحكي أن جماعة من النحاة اختلفوا في بناء سراويل وهل هو منصرف فدخل البرقي عليهم فقال فيم أنتم قالوا في بناء سراويل فما عندك فيه قال مثل ذراع البكر أو أشد * وقال رجل نحوي لبعض العوام اسمعيل ينصرف أو لا فقال اذا صلى العشاء فما قعوده * ومدح شاعر طلحة صاحب البريد باصبهان فلم يثبه فقال

لو كنت أقبح من مدحي بلا صفد * لا كنت من طلحة كرين من خبز

فقيل له طلحة لحنت لانك صرفت طلحة فقال الشاعر انما طلحة الذي لا ينصرف هو طلحة الطلحات فأما أنت فانك تبلغ الصين بنفخة واحدة (المعنى) يقول لصاحبه الغني الذي طلبت

كتبا كثيرة بأشعار موزونة بلغتهم في معرفة الاشياء العلوية والارضية وأول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار * وكان مسكنه مصر فعند ذلك بنى الاهرام ومدائن التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي والجبل المعروف ببرباة اخميم وصور في ذلك الموضع الصناعات وصناعها نقشا وأشار الى صفات العلوم لمن بعده حرصا على تخليدها من بعده وزعم الصابئة أن النبوة من بعده لاسقلبليوس وكان اسمه بليوس فزيد فيه تعظيما الاسم وكذلك يقال في ارسطاطاليس فان اسمه ارسطو وكان كل من مهر في علومه زيد في اسمه * وكان بليوس قد أخذ العلوم والاسرار عن هرمس هذا وهو هرمس الهرامسة وزعم آخرون أن هرمس صاحب بليوس كان بعد الطوفان وهو غير هذا وقال الكندي هو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيبا فيلسوفا عالما بطبائع الادوية جوالا في الارض طوافا في البلاد عالما بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها وأدويتها وهو صاحب الطلسمات الاندلسية مثل السودانية

اعانتك عليه هو أني أريد طروق الحي أي النزول على اضم ليلا وقد حماه رماة من بني ثعل وهم المقيمون في الحي فهل لك في الاعانة على المسير اليهم * وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طروق الرجل أهله ليلا وفي النهي فوائد منها أن أهله لم يكن استعدن له كما هي عادة المرأة مع بعلها فيراها على حال يكرهها ومنها أن يحصل لهم في ذلك الوقت ازعاج بقدومه وهم في وقت يسكنون فيه ويجدون الدعة فيحصل منه استثقال ومنها أن يشوش على جيرانه بحركته في ذلك الوقت ومنها غير ذلك وهذه الحالة أعني كون الرماة يحمون الحي مما لا يهابه العشاق ولا يصدهم عن زيارة أحبابهم ولا يمنعهم عن الوصول اليهم لانه قيل

علامة الحب أن يستصغر الخطر * وان تزورونار الحرب تستعر

وما أحسن قول القائل

وان نذرت فيك العشيرة قتلتي * فللموت عندي في هواك سلام
ومن أعجب الاشياء خوفي من العدا * ولي كل يوم في هواك حمام

وقال أبو الطيب

يهون على مثلي اذا رام حاجة * وقوع العوالي دونها والقواضب

وقال ابن الساعاتي

رعاك الله ياسلمى رعاك * ودارك باللوى ذات الاراك
أخاف سيوف قومك من معد * وما كانت بأقتل من هواك

وأنشدني جمال الدين المعروف بالحافي قال أنشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه

أسير ولو أن الصباح مواكب * وأسرى ولو أن الظلام قتام
وأغشى بيوت الحي لا مترقبا * وأطرق ليلى والوشاة نيام
اذا لم يكن للصب اقدام صبوة * تحل تلاف النفس وهو حرام
فليس له بين المحبين رحلة * ولا بين هاتيك الخيام مقام

وأول هذه الابيات ماخوذ من قول يوسف بن عبد الصمد

فاطعن ولو أن الثريا ثغرة * واضرب ولو أن السماك وريد
واقتح ولو أن السماء معاقل * واهزم ولو أن النجوم جنود

بل ماخوذ من قول أبي العلاء المعري

أسير ولو أن الصباح صوارم * وأسرى ولو أن الظلام جحافل

الا أنه غير الصوارم والجحافل بالمواكب والقتام ومن هذه المادة قول أبي العلاء أيضا

وكان حبك قد رحلك في السرى * فالطم بأيدي العيس وجه السبسب
واهجم على جنح الدجى ولو انه * أسد يصول من الهلال بمخلب

وقول أبي طالب المأموني

اذا ما طمى بحر المنى بين أضلعي * تعشقت بحرا من دجى الليل طاميا
فأمسى شجا في ثغرة الليل رائحا * وأضحى قذى في مقلة الصبح غاديا

وقول أبي فراس بن حمدان

لقيت نجوم الافق وهي صوارم * وخضت سواد الليل وهو خيول

النحاس وغيرها * وكان بلينوس هذا تلميذه سافر معه الى البلاد فلما خرجا من الهند الى فارس خلفه ببابل وكان قد أخذ عنه جميع علومه وظهرت له في الطب وابراء المرضى وقائع معجزة الى أن كثرت فيه أقاويلهم وقالوا هو نبي وقالوا ملك وزعموا أن مولده روحاني وأن الله تعالى رفعه في عمود من نور واقليدس ينسب اليه وهو الذي وضع علم الطب في هيكل يعرف بهيكل اسقنبلينوس ويدل على ذلك قول جالينوس في بعض كتبه ان الله تعالى المخلصي من دبيلة فقال كانت عرضت لي جئت الى بيته المسمى بهيكل اسقنبلينوس ويقال ان هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلم الناس مركبة على حركات نجومية وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة (وحكى) جالينوس ان الله تعالى أوحى الى اسقنبلينوس اني الى أن أسميك ملكا أقرب من تسميتك انسانا وكان معظما عند اليونان يستسقون بقبره ويوقدون عليه كل ليلة ألف قنديل وخلف ابنين ماهرين في صنعة الطب وعهد اليهما أن لا يعلما الطب الا لاولادهما وأهل

ولم أرع للنفس الكريمة خلة * عشية لم يعطف على خليل
ولا ٓن لقيت الموت حتى تركتها * وفيها وفى حد الحسام فلول
ومن لم يتق الله فهو ممزق * ومن لم يعز الله فهو ذليل

وما أحسن قول الارجانى

سحبت ذيل الدجى حتى طرقتهم * بسحرة وقميص الليل أطمار
أزورهم وسنان الرمح من بعد * الى بالمقلة الزرقاء نظار

وقوله أيضا

لما طرقت الحى قالت خيفة * لا أنت ان علم الغيور ولا أنا
فدنوت طوع مقالها متخفيا * ورأيت خطب القوم عندى أهونا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أغنتهم تلك القدود عن القنا * ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا
وحموا طروق الحى حتى لم يكن * مسرى الخيال اليه أمرا ممكنا

ولا أرى أن الحالة تشق فى الزيارة الا عند العود ولهذا قيل

ياليل ما جئتكم زائرا * الا وجدت الارض تطوى لى
ولا انثنى عزمى عن بابكم * الا تعثرت باذيالى

*(يحمون بالبيض والسمر اللدان به * سود الغدائر حمر الحلى والحلل)*

(اللغة) يحمون يمنعون (البيض) جمع أبيض وهو السيف (السمر) جمع أسمر وهو الرمح (اللدان) جمع لدن وهو اللين (الغدائر) ضفائر الشعر واحدتها غديرة (الحلى) ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة وغير ذلك (الحلل) جمع حلة وهى البردة اليمانية والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين (الاعراب* يحمون) فعل مضارع من حمى يحمى والواو ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع والفرق بين الواو والنون اللتين تكونان فى زيدون جمع المذكر السالم هو أن الواو التى فى جمع المذكر السالم علامة الرفع والنون نون الجمع والواو التى فى الفعل المضارع مثل يفعلون ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع فهما هنا عكس تينك هناك وتقدم الكلام على موجب اعراب الفعل المضارع فى قوله أريد بسطة كف والواو هنا فى يحمون ضمير يرجع الى رماة الحى (بالبيض) جار ومجرور والباء هنا للاستعانة وقد تقدم الكلام عليها (والسمر) الواو واو العطف وقد عطفت اسما على اسم وقد تقدم الكلام على تقسيمها فى أوّل القصيدة* ولا باس بالكلام على حكمها فى العطف فأقول ان الواو للجمع المطلق ولا تقتضى الترتيب بدليل قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى حكاية عن منكرى البعث وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وانما يريدون نحيي ونموت وقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقول الشاعر

حتى اذا رجب تولى وانقضى * وجماديان وجاء شهر مقبل

والادلة على عدم ترتيبها كثيرة وذهب قطرب والربعى الى انها مرتبة مستدلين على ذلك بقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم والجواب أن الذكر هنا بالشرف لا

بينهما ولا يدخلا فى هذه الصناعة غريبا وكان تعليم الطب تلقينا الى أن وضع أبقراط الكتب وهو السادس عشر من ولده قال جالينوس وأما صورته يعنى المصوّرة فى الهيكل فصورة رجل ملتح قائما متشمرا مجموع الثياب يدل بهذا الشكل على انه ينبغى للاطباء أن يستعدوا فى جميع الاوقات آخذا فى يده عصا معوجة ذات شعب يدل ذلك على انه يمكن فى صناعة الطب أن يبلغ من استعمالها من السن أن يحتاج الى عصا يتوكأ عليها وقيل انما صور العصا لانها من شجرة الخطمى وانه يطرد بها الامراض وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن فيه ثم صوّر على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر وهو التنين ويقرب هذا الحيوان منه لاشياء كثيرة أحدها انه حيوان حاد البصر كثير السهر وكذلك ينبغى للطبيب أن يكون فى المعرفة والاجتهاد كذلك والثانى انه يسلخ لباسه الذى يسمونه الشيخوخة فكذلك يمكن الطبيب أن يسلخ الشيخوخة بما يفيده من الصحة والثالث انه طويل العمر وعلى ذلك يحرص بعض الاطباء ويروى انه عاش تسعين سنة

بالترتيب كما تقول جاء الخليفة والسلطان والوزير والامراء (مسئلة) من نسب الشافعي الى أنه فهم الترتيب في الوضوء من الواو فقد غلط وانما أخذ الترتيب من السنة ومن سياق النظم وأيضا فذلك أن الله تعالى ذكر الوجوه ووزنها فعول كرؤس وذكر الايدي ووزنها أفعل كأرجل وأدخل ممسوحا بين مغسولين وقطع النظير عن النظير فلولا أن الحكمة في ذلك التنبيه على الترتيب لكان الاحسن بالبلاغة أن يقال وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤسكم كما يقال رأيت زيدا وعمرا ودخلت الحمام ولا يقال رأيت زيدا ودخلت الحمام ورأيت عمرا ولو قيل ذلك لكان هجنة في الكلام ومن أحسن من الله قيلا (فان قلت) لم يقطع النظير عن النظير بل عطف مغسولا على مغسول وممسوحا على ممسوح ويحتج لهذا بشئ يروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وبالقراءة القاهرة وهي جر أرجلكم في قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه عطفا على مسح الرؤس وقراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه ليست عطفا على الايدي بل هي عطف على موضع الرؤس كما قال الشاعر

معاوي اننا بشر فأسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

(قلت) هذا خلاف قول الجماعة ونقل الثقات عن علي الغسل وقد ذكر ابن ماجه في سننه حديثا لابي حية عن علي في باب غسل القدمين وحديث المقداد بن معديكرب وحديث الربيع وكذلك كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن أبي ليلى أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين قال أبو اسحق وقد لقي عبد الرحمن مائة وعشرين صحابيا وقال أبو اسحق أيضا قال عطاء بن أبي رباح وقد لقيت عشرة من الصحابة ولم أر أحدا منهم يمسح على القدمين قال أبو اسحق هذا مذهب الشافعي وبه قال من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وحذيفة وأنس بن مالك وأبو هريرة وتميم الداري وسلمة بن الاكوع وعائشة رضي الله عنهم ثم قال وهو مذهب الشعبي والحكم والحسن وابن سيرين والزهري وعكرمة ومحمد بن علي بن الحسين وجعفر ابن محمد وعطاء الخراساني وقول مالك والليث والاوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد وأبي اسحق وأبي ثور وابن عيينة والحسن بن صالح وداود بن علي وأبو اسحق هذا هو الفيروزابادي صاحب التنبيه في الفقه وأما ابن أبي شيبة فقد ذكر في مصنفه بأسانيد صحيحة عن الشعبي وعكرمة والحسن ان مذهبهم المسح وما أدري من أين لابي اسحق هذا النقل عنهم ورواية الجمهور والمشاهير تصلح أن تكون تفسير الكتاب الله تعالى وانما القفال نقل في تفسيره عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر أن الواجب فيهما المسح وهذا مذهب الامامية وهو باطل لان قراءة الجر عارضناها بقراءة النصب والاخبار الكثيرة وردت بالغسل والغسل يشمل المسح ولا ينعكس فالغاسل ماسح وزيادة وليس الماسح غاسلا فالغسل أقرب الى الاحتياط وأيضا فرض الغسل محدود كما في اليدين الى المرفقين وغسل الرجلين محدود الى الكعبين والمسح غير محدود كما في الرأس فالرجلان مغسولتان (فان قلت) الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم وقال الاصمعي ومحمد بن الحسن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل عظم البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق والقدم وعلى هذا يجوز مسح ظاهر القدم الى هذا الموضع (قلت) قال

*ومن كلامه الصنيعة عند الكفور اضاعة للنعمة المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يمشي ولا يبرح ولا يعرف ما هو فاعل في تدبيره (وأفلاطون أورد على ارسطاليس مانقل عنك) هو أفلاطون بن ارسطس الالهي آخر المتقدمين الاوائل معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان أردشير الاول وتتلمذ لسقراط ولما اغتيل سقراط ومات مسموما قام مقامه وجلس على كرسيه وقد أخذ العلم عن سقراط وطيمارس وكان قد رحل الى مصر فأخذ أيضا عن أصحاب فيثاغورس وغيره وضم الى علومه الالهية العلوم الطبيعية والرياضية وهو أحد المشائين المشهورين ومعنى المشائين أنه كان من رأيه الرياضة للبدن بالمشي المعتدل لتحليل الفضول ومدارسة الحكمة في تلك الحالة ويقال انه أمر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة لتعليم أولادهم فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة ويصورون فيها أصناف الصور المستحسنة التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلم فيها الصبي فاذا حفظ علما أو حكمة صعد يوم عيد على درج في مجلس بديع الصنعة وقد اجتمع كبار أهل المملكة فيتكلم

صاحب الصحاح الكعب العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم وأنكر الاصمعي قول الناس انه في ظهر القدم وأيضا فلو كان الكعب على ماذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما أنه لما كان الحاصل في كل يد مرفق واحد لاجرم قال وأيديكم الى المرافق وأيضا فالذي قاله الامامية والاصمعي عظم خفي لا يعرفه الا من نظر في علم التشريح والعظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم معلومان لكل أحد ومناط التكليف العام يكون أمرا ظاهرا لا خفيا وأيضا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصقوا الكعاب ولا يكون الالصاق الا فيما ذهب اليه الجمهور وهما العظمان الناشزان ومنه قيل للمرأة كاعب وهي التي نهد ثديها وقولهم في النصب انه عطف على الموضع فبابه الضرورة ولا ضرورة في القرآن فان القرآن على الكل الوجوه ويكفي هذا القدر في هذه المسئلة وذكرت بالعطف على الموضع قول شهاب الدين بن محاسن الشواء

هاتيك يا صاح ربا لعلع * ناشدتك الله فعرج معي
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نفيل اليوم وقفا على السا كن أو عطفا على الموضع

(رجع) السمر مجرور لانه عطف على البيض (اللدان) صفة السمر لانه تبعه في جمعه وتعريفه وتأنيثه وجره (به) جار ومجرور والضمير يعود الى الحي والباء هنا ظرفية بمعنى في والتقدير يحمون سود الغدائر حمر الحلي والحلل بالبيض والسمر اللدان في الحي أو يحمون في الحي سود الغدائر (سود) جمع أسود وهو منصوب على انه مفعول به ليحمون (الغدائر) مجرور بالاضافة الى سود وسود هنا ليس مفعولا في الحقيقة بل هو صفة للمفعول وهو من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه تقديره يحمون الرماة بالبيض والسمر التي بالحي أبكارا سود الغدائر أو ملاحا أو نساء كيف أردت وهذا كثير في الكلام قال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل أي مطر وابل والاضافة هنا لفظية (حمر) صفة اسود بل صفة ثانية للمحذوف المقدر وهو المفعول حقيقة على ماتقرر و(الحلي) مضاف اليه وان أردت جعلته بدل الكل من الكل أعني حمر الحلي بدل كل من سود الغدائر (والحلل) معطوف على الحلي (المعنى) هؤلاء الرماة الذين هم من بني ثعل يحمون بالبيض التي هي السيوف والسمر اللينة أي الرماح في الحي أبكارا سود الضفائر حمر الحلي والبرود يعني ان حليهن من الذهب الاحمر ولباسهن من الحرير الاحمر قال أبو الطيب

من الجآذر في زي الاعاريب * حمر الحلي والمطايا والجلابيب

وقال أيضا

بكل فلاة تنكر الانس أرضها * ظعائن حمر الحلي حمر الايانق

ومن قول الطغرائي أخذ ابن الساعاتي قوله

من الظباء اللواتي لاذمام لها * من أين يعرفن رعي العهد والذمم
بيض الترائب سمر الخط يحجبها * سود الذوائب حمر الحلي والنعم

ولاشك ان اللباس الاحمر يزيد الحسن رونقا ويفيده روحنة وبهاء آخر * قال أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي مارأيت ذا لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالحكمة التي حفظها على رؤس الاشهاد وعليه التاج ويسمى حكيما كل ذلك ترغيب للصبي في الاشتغال لما يحصل له من الشرف والسرور وفي يوم من هذه الايام ظهر أمر أرسطاطاليس كما سيأتي ذكره * ولافلاطون آراء ومذاهب أخذها عنه أرسطاطاليس وخالفه في بعضها مثل حدوث العالم وغيره وكان يصور لافلاطون الصورة ويؤتى بها اليه فيقول من خلق هذه الصورة كذا ومن حالها كذا فصورت صورته وسئل عنها فقال من خلق صاحب هذه الصورة كذا وكذا وهو محب للزنا فقيل انها صورتك فقال نعم ولولا أني أحبس نفسي عن الزنا لفعلت * ومن كلامه ان الله تعالى بقدر مايعطي من الحكمة يمنع من الرزق فقيل له ولم قال لان الحكمة حظ النفس الناطقة والمال حظ النفس الشهوانية والناطقة غالبة على الشهوانية فالمال والحكمة متغايران فلا يجتمعان * وقال لا ينبغي أن تفعل شيأ اذا عيرت به غضبت فانك اذا فعلت ذلك كنت أنت القاذف لنفسك * وقال عقول الناس مدونة في رؤس أقلامهم وظاهرة في اختيارهم * وقيل له بماذا ينتصف

وأما قول الشاعر

هجان عليها حمرة في بياضها * تروق به العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال الحريري في درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا السنة الجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر اه (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقولهم الموت الاحمر انه القتل الذي يرى فيه سفك الدم وقول الطغرائي من قول أبي الطيب

ديار اللواتي دارهن عزيزة * بسمر القنا يحمين لا بالتمائم

وقول أبي اسحق الغزي

وبورك في خيام قبيل سلمى * وفي تلك المضارب والحجال
فما أوتادهن سوى المواضي * ولا أطنابهن سوى العوالي

وقال الارجاني

وقفا الصائدة الفؤاد بدلها * وخفا جنايته عينها الحوراء
وتحدثا سمر الخول خبائها * سمر الرماح يملن للاصغاء

وقال ابن قلاقس الاسكندري

في سندس الكلة حوريه * تسكن قلبي وهو النار
أحدقت السمر بها مثل ما * تحدق بالمقلة أشفار

وقد أخذه من قول أبي الطيب

مضى بعدما التف الرماحان حوله * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا

وقال السراج الوراق

من البيض تمشي البيض حول خبائها * شبيهة نومي ليس يأوي الى جفني
غزالة أنس والرماح كناسها * ومن حوله قوم يخالون كالجن
لهم غيرة قد ساء بالطيف ظنها * فضنوا عليها بالكرى خيفة الظن

وقال أيضا

ومحجوبة أما الدجى فغدائر * عليها وأما الصبح فهو جبينها
عجبت لسرى الطيف لي من كناسها * ومن حوله أسد الشرى وعرينها

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي

وادي لليلى العامرية منزلا * بالجود يعرف والندى أصحابه
فيه الامان لمن يخاف من الردى * والخير قد ظفرت به طلابه
قد أشرعت بيض الصوارم والقنا * من حوله فهو المنيع حجابه
وعلى حماه جلالة من أهله * فلذاك طارقة العيون تهابه
كم قلبت فيه الخدود على الثرى * شوقا اليه وقبلت أعتابه
قد أخصبت منه الاباطح والربا * للزائرين وفتحت أبوابه

الانسان من عدوه قال بأن يزداد فضلا في نفسه * وقال في معنى الملك هو كالبحر تستمد منه الانهار فان كانت الانهار عذبة فاصلها منه وان ضد ذلك فمنه * وقال ينبغي للذين يأخذون على أيدي الاحداث أن يدعوا لهم موضعا للعذر لئلا يضطروا الى الضجر بكثرة التوبيخ وقيل له فلان لا يعرف شيئا من الشر قال فاذا لا يعرف الخير يريد أن تكون الامور متميزة عند الانسان فانه بعد تمييزها يختار منها واذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ومتى بطل اختياره خيف عليه أن يقع في مهالكها وقال من القبيح أن نمتنع من الطعام اللذيذ لتصح أبداننا ولا نمتنع من القبائح لتصفو بذلك أنفسنا * فاما ارسطاطاليس فهو ابن نيقوماخس المعروف بالمعلم الاول وانما سمي بذلك لانه أول من وضع التعاليم المنطقية وأخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض وكان سبب محبة افلاطون له والقائه علومه اليه أن أباه كان قد أسلمه لافلاطون صغيرا ومات فاستمر ارسطاطاليس سنين في خدمته وكان ذوفسطاليس الملك قد اتخذ لولده بطاقورس بيتا

وقال ابن سناء الملك

ألا فارفعي ذا الشعر عنا فاننا * نغار عليه من ملاعبة الحجل
عجبت له اذ يطمئن معانقا * أما اذهل الخلخال خوف بني ذهل
بشوك القنا يحمون شهد رضابها * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

قال شرف الدين بن جبارة بعد أن أورد على البيت الاول والثاني ما أورده من فساد المعنى ونقضه أراد أن يمدحهم فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذي جعله كفى مبيته لانه جعل طعن رماحهم كابر النحل وابرة النحل لا أثر لها ولا ألم يحصل منها ولو أن كل عاشق انما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها لسهل عليه صعبها وذلل منعها ولله در المجنون اذ يقول كما نقل عنه

وحقكم لا زرتكم في دجنة * من الليل تخفيني كأني سارق
ولا زرت الا والسيوف هواتف * الي وأطراف الرماح عواشق

ولابي عبد الله عثمان المعروف بابن الحداد الاندلسي

أني أراع لهم وبين جوانحي * شوق يهون خطبهم فيهون
أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
وكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال لولا وقوع هذا الشاعر في شعره وقلة معرفته وقصور فكره لما قال بشوك القنا يحمون شهد رضابها * وكيف يحمى الشهد بالشوك ولو اتفق له أن يقول حمى رضابها لكان أسوغ وأبلغ ثم قال في أول البيت شهد وفي آخره شهد وانما الاحسن أن يأتي بالمثل بالمعنى لا باللفظ لانه اذا كرر بلفظه فكأنه هو وانما القصد أن يكشف المعنى بلفظ موجز وقول مجموع معجز واذا تؤمل أكثر الشعر المضمن للامثال وجد على هذا المثال وهذه العلوم تدق عن فهمه ويخفى غرضها عن مرمى سهمه اه (قلت) اما كونه يدعي انه لا ألم في ابر النحل ولا ضرر في الزنابير فهذا مما لا يسمع وهو تحامل أليس ان في ابر النحل والزنابير سما يمنع القرب منه والدنو اليه وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه * ومن مسائل النحاة كنت أظن العقرب أشد لسعا من الزنبور فاذا هو هي أو فاذا هو اياها الاول مذهب سيبويه والثاني مذهب الكسائي وليس بشئ لان مذهب الكسائي خرجت فاذا زيد واقف وهذه المسئلة تعرف بالزنبورية وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة على المقرب والشيخ علم الدين السخاوي ذكرها مستوفاة في سفر السعادة ولعل بعض الناس لسعه زنبور فتورم منه ومات وبالجملة ففي ابر النحل سم تعاف النفوس من الاقدام عليه وهو ما اراد أن طعن قومها مثل لسع ابر النحل كما قال المعري

وأضعف الرعب أيديهم وطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

لانه ما أتى بمثل ولا بكاف التشبيه بل نبه بالمثل الذي ذكره على أن حلاوة ريقها لا تنال الا بعد مشقة وعناء وأهوال كما أن الشهد من دونه ابر النحل وكل لذيذ محفوف بألم فالجنة حفت بالمكاره وهذا غير وارد عليه واما انكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة والتشبيه مطابق لان الاسنة أشكالها مستدقة والاسنة حادة كما هو الشوك وأتى بها ليطابق الكلام المثل في قوله

للحكمة وأمر افلاطون بتعليمه وكان غلاما متخلفا قليل الفهم وارسطاطاليس غلاما ذكيا حادا وكان افلاطون يعلم بطاقورس الآداب والحكمة وارسطاطاليس يعي ذلك ويرسخ في صدره حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذي هو بيت الحكمة والبس بطاقورس التاج وحضر الملك وأهل المملكة على العادة وصعد افلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة والشرف على رؤس الاشهاد فلم يورد الغلام شيأ ولا نطق بحرف فأسقط في يد افلاطون واعتذر بأنه لم يقصر في الالقاء عليه ثم قال يا معشر التلامذة من فيكم من ينوب عن بطاقورس فثار ارسطاليس وصعد الى مجلس الشرف وأخذ يسرد جميع ما ألقاه افلاطون الى ابن الملك لم يغادر منه حرفا فقال افلاطون أيها الملك هذه الحكمة التي ألقيتها على ولدك قد حفظها هذا اليتيم فما احتيالي في الرزق والحرمان ثم انصرف الجمع وقد اغتبط افلاطون بارسطاليس واعتنى به بعد ذلك ومكث عنده نيفا وعشرين سنة وكان كثير التعظيم له بحيث انه كان اذا جلس فاستدعي منه الكلام يقول اصبر حتى يحضر الناس

ولابد دون الشهد من ابر النحل * فقوله شوك يناسب ابر النحل وقد شبه الشعراء القنا بالشوك قال الارجانى

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه أن يجتنى

وقال ابن خفاجة

والخيل تعثر فى شبا شوك القنا * وتظل تسبح فى الدم الموار

وما أعجبنى شئ مما أورده عليه غير انكاره تكرار الشهد وكان الاحسن لو قال بشوك القنا يحمون رشف رضابها * حتى اذا جاء المثل فسر ما تقدم واخراج الكلام مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفوس وأبلغ الاترى ما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم فى مليح يشرب من بركة

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وراقت مشرعا

أبدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

فلو قال أبدت لعينى قمر وجهه وقمر خياله لما كان له هذه الديباجة فاعرف ذلك * وبيت الطغرائى فيه من البديع التدبيج وهو تفعيل من الديج وهو النقش والتزيين وأصل الديباج فارسى معرب فالتدبيج فى البديع ان يذكر الشاعر فى مدح أو ذم أو وصف الفاظا تدل على الوان مختلفة كقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وأخذه ابن النبيه فقصر عنه فى قوله

له بنان طافح بالندى * فهن امادیم أو بحار

بيض الايادى خضر روض الرضا * حمر المواضى فى العجاج المثار

والطغرائى ذكر فى بيته البيض والسمر والسود والحمر وما أحسن قول القائل

الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الأسنة خضبت بدماء

كالصعدة السمراء تحت الراية الحمراء فوق اللامة الخضراء

(وقلت أنا)

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

وقال ابن النبيه

وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر تحمى احورارها

أثارها نقع الجياد سرادقا * به دون ستر الخدر عنا استتارها

وقال عماد الدين بن دنوقا من ابيات

أرى العقد فى ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر

ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر

وبعت رشادى بغى الهوى * لأجلك يا طلعة المشترى

ولبعض الكتاب وأوردنا ظبا الحديد الاخضر ماء الوريد الاحمر من عدو الدين الازرق من

ورعما قال اصبر حتى يحضر العقل فاذا حضر ارسطاليس قال تكلموا ثم مات افلاطون وقد أخذ عنه ارسطاليس جميع علومه وخالفه فى مسائل استدركها عليه وكان يقول انا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقنا فالحق أولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله وقال انما فضل الناس على البهائم بالمنطق فاحقهم بالانسانية أبلغهم منطقا وأوصلهم الى عبارات من ذات نفسه بالايجاز وله فى ذلك مسائل ومصنفات معروفة وكذلك فى جميع علومه الحكمية والفلسفية وكان قد تسلم الاسكندر بن فيلبش من أبيه فعلمه وهذبه وولى الاسكندر المملكة فكان لا يبرم أمرا وينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى أن توفى الاسكندر وعاش بعده قليلا ومات فوضعت جثته فى اناء من نحاس وقيل فى خشبة كالتابوت وعلقت فى جزيرة صقلية وكان أهل البلد يجتمعون اليها عند المشاورة والمدارسة فى فنون الحكمة ويقولون ان مجيئهم الى ذلك الموضع يذكى عقولهم ويصحح فكرهم وربما استقوا به فى الجدب * ومن كلامه مما كتب به للاسكندر وهو فى

بني الاصفر * وقال القاضي الفاضل من رسالة يصف فيها كتابا ورد عليه وقبضته وكم افضى منه شرارة بعد شرارة وفضضته فاذا جبال النور منه مستعارة كأن شراره الجمالات الصفر أو القصور الحمر أو النصال الزرق أو الليالي السود أو البروق البيض * والعلم المشهور في هذا قول الحريري في المقامة الثالثة عشرة فداعبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر * وأخبرني الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود أن القاضي الفاضل شرع في انشاء مقامات فكان يعارض كل فصل من كل مقامة للحريري بفصل من كلامه فلما انتهى الى هذا الفصل قال من اين يأتي المتكلم بمثل هذا وأبطل ما عمله من المقامات * والحديث المدبج عند علماء الحديث هو الذي يروي فيه الاقران بعضهم عن بعض وهم المتقاربون في السن والاسناد وربما اكتفى الحاكم أبو عبد الله فيه بالتقارب في الاسناد ان لم يوجد التقارب في السن وأعلاه ما روى فيه الصحابي عن الصحابي مثل عائشة وأبي هريرة وبعده التابعي عن التابعي مثل مالك عن الاوزاعي وعكسه وبعده تابع التابعين عن تابع التابعين مثل أحمد بن حنبل عن علي بن المدائني وعكسه وبعده رواية الاشياخ عن الاشياخ وقد جمع الحافظ عبد الغني والحافظ ابن عساكر والحافظ جمال الدين الرهاوي وغيرهم أجزاء في الرباعي أي الحديث الذي اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

* (فسر بنا في ذمام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل) *

(اللغة) الذمام الحرمة والاعتساف افتعال من العسف وهو الاخذ بغير دليل فالذي يعتسف في السير يمشي على غير طريق (نفحة الطيب) رائحته يقال نفح الطيب ينفح اذا فاح نشره (تهدينا) ترشدنا الى مقصدنا (الحلل) بكسر الحاء جمع حلة وهي بيوت القوم (الاعراب) فسر الفاء للتعقيب أي عقب كلامه بقوله فسر وسر فعل أمر من السير مجزوم لكونه أمرا وذكرت هنا بيتين من أبيات المعاني وهما

سألت ونحن في البيداء عمرا * على عجل ونحن نسير سيرا
فجاد به ولم يبخل علينا * فقلت له جزاك الله خيرا

ولا يظهر في بادئ الرأي أنه جاد له بشئ لان الذهن يتبادر الى أن سيرا مفعول مطلق مثل ضربت ضربا وانما هو مفعول به لسألت وتقدير الكلام سألت ونحن في البيداء عمرا سيرا فجاد بالسير (رجع) الامر ينقسم الى قسمين لغوي وهو طلب ايجاد الفاعل الفعل في الخارج على سبيل الاستعلاء وقيل اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء والمراد بالاقتضاء ما يقوم بالنفس من الطلب لانه الامر الحقيقي وتسمية الصيغة به مجاز وقيل غير كف ليقع الاحتراز من النهي وعلى جهة الاستعلاء ليقع الاحتراز من الدعاء وأورد على طرده كف لانه اقتضاء فعل هو كف فلا يكون هذا أمرا لكنه أمر فلا يكون مطردا وعلى عكسه لا تكف لانه اقتضاء فعل غير كف فيكون أمرا لكنه ليس أمرا فلا يكون منعكسا * وصناعي وهو ما حصل به ذلك أي طلب ايجاد الفعل والذي حصل به ذلك هو الصيغة التي يطلب بها الفعل من الفاعل وفعل الامر مبني على السكون لانه الاصل في البناء وصيغته مأخوذة من المضارع فاذا أردت أن تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة ونظرت الى ما يليه فان كان متحركا صغت مثال الامر

على

لا تخدع للهوى وان خيل اليك أن في اتخاذك له خداعه فقد يسترسل الانسان وهو يظن انه متحفظ واجمع في سياستك بين مداراة لا احدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شكل بشكله حتى تزداد قوة وكن عبد الله فعبد الحق حر وليكن وكذلك الاحسان الى الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة في موضعها وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك واذا أشكل عليك أمر فاضرع الى الله تعالى يبلغك هذه الغاية فانه يفتح لك المرتج واذا فاتك شئ فاعلم ان ذلك لسهو عرض لك في الشكر على ما أفادك ومهما اخطأك شئ فلا يخطئك الفكر في الرحيل عن هذه الدار * ومنه ان لكل شئ صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار * ورأى انسانا سمين البدن فقال ما أشد عنايتك برفع سور جسمك وقال سلوا القلوب عن المودات فانها لا تقبل الرشا * وقال مقدم الرأس للفكر ومؤخره للذكر والدليل على ذلك ان المتفكر يطأطئ برأسه والمتذكر يرفع رأسه وقال من علامات الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب وأكثر الامثال في شعر المتنبي من

على صيغته وحركته فتقول مثلا لمن تشمر شمر ومن يدحرج دحرج ومن يثب ثب ومن يصل صل وان كان الذى يلى حرف المضارعة ساكنا اجتلبت له همزة وصل ليتوصل الى النطق باوّل الفعل ساكنا فتقول من مثل يضرب اضرب ومن مثل ينطلق انطلق ومن مثل يستخرج استخرج لأن الابتداء بالساكن فى النطق مستحيل وما أحسن قول السراج الوراق

ياسا كنا قلبى ذكرتك قبله * أرأيت قبلى من بدا بالساكن
وجعلته وقفا عليك وقد غدا * متحركا بخلاف قلب الآمن
وبذاجرى الاعراب فى نحو الهوى * فاليك معذرتى فلست بلاحن

وسواء كان الفعل ثلاثيا أوخماسيا أوسداسيا وشذ من هذه القاعدة فعلان فلاتدخل عليهما همزة وهما اخذ وكل وجوّز فى فعلين الحاق الهمزة وحذفها وهما مر وسل وقد نطق القرآن الكريم بهما فقال تعالى سل بنى اسرائيل وقال تعالى واسئل القرية وتقول مره بكذا وأمره بكذا فاما حركة الهمزة المجتلبة فان كان الماضى رباعيا فانها مفتوحة فى الأمر تقول من أكرم أكرم واذاكان ثالث المضارع مضموما فانها مضمومة فى الامر تقول فى الامر من يقتل اقتل وما عدا ذلك فانها مكسورة (رجع) سر كان أصله يسير لان مضارعه يسير فاجتمع فيه ساكنان وأحدهما حرف علة فحذف والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره أنت (بنا) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والباء للتعدية (فى ذمام الليل) فى حرف جر وذمام مجرور بها والليل مضاف اليه وهى اضافة مقدرة باللام وموضع الجار والمجرور النصب على الظرف (معتسفا) اسم فاعل من اعتسف وهو منصوب على الحال والحال صاحبها هو الضمير المستتر المقدر فى سر وهو أنت والعامل فيها سر وافراده هنا متعين (فان قلت) لاى شئ لم يقل معتسفين لانهم جماعة أومعتسفين لانهما اثنان قد شملهما السير (قلت) كانه قال لصاحبه تقدم أنت وسر بنا اماما واعتسف الارض ودعنى مشغولا بما أنا فيه من الفكر وحديث النفس ولا تخف فنفحة الطيب التى تتضوع من أهل الحى تهديك وتدلك على الطريق اليهم (فنفحة الطيب) الفاء هنا سببية ونفحة مرفوع على الابتداء والطيب مجرور بالاضافة وهى مقدرة باللام أومن (تهدينا) فعل مضارع من هدى يهدى فهو ثلاثى مفتوح الاول وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل مثل يرمى والنون والالف ضمير فى محل نصب بتهدى والفاعل يرجع الى النفحة (الى الحلل) جار ومجرور فى موضع نصب لتعلقه بتهدينا والى تاتى فى العربية لمعان فتأتى لانتهاء الغاية لانها تقابل من فى الابتداء تقول جئت اليك من البلد الفلانى أى انتهى مجيئى اليك قال الله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر أى الثمر غاية النظر وتاتى بمعنى مع وهو قليل قال بعضهم فى قوله تعالى ولاتاكلوا أموالهم الى أموالكم بمعنى مع أموالكم وليس بشئ لانه لوكانت بمعنى مع لأمكن أن تقدر بمعنى مع فى كل مواطنها كما يقدر ابتداء الغاية فى من فى كل مواردها ولايمكن ذلك فى الى فلا تقول فى سرت اليك ان الى بمعنى مع وأما الآية الكريمة فلما كان الاكل بمعنى الجمع والضم وليس بمعنى البلع والمضغ عداه بالى أى لاتضموا أموالهم الى أموالكم لان الضم سبب فى الاكل فاقام المسبب مقام السبب كقوله تعالى ولاتاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله تعالى من أنصارى الى الله قيل المعنى مع الله وليس كذلك بل من أنصارى الى أن يتم أمر الله وتاتى بمعنى فى كقول النابغة

قوله وقد أفرد الهاشمى رسالة فى ذلك (وحكى) عبدالله بن طاهر أن المأمون قال رأيت فى المنام رجلا قد جلس مجلس الحكماء فقلت له من أنت فقال ارسطاليس الحكيم فقلت أيها الحكيم ما أحسن الكلام قال ما استقيم فى الرأى قلت ثم ماذا قال ما استحسنه سامعه قلت ثم ماذا قال مالايخشى عاقبته قلت ثم ماذا قال ماعدا هذا هو ونهيق الحمار سواء قال المأمون ولو كان حيا ما زاد على هذا الكلام شيأ آخر اذ به جمع ومنع وقال قوم ان هذا الكلام وجد فى كتبه (وبطلميوس سوّى الاصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك) هو بطلميوس صاحب كتاب المجسطى الكبير والجغرافيا والاصطرلاب وكتاب اللعون الثمانية وغير ذلك وهو أول من شرح القول على هيآت الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل وأكثر الرواة يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر وبطلميوس لقب ملوكهم وكان رجلا حكيما وسبب ملكه أنه لما مات بطلميوس الصانع ملك اليونان لم يكن فى بيت هذا الملك من أهله من يتصلح للملك فذكر لليونان رجل يصلح فقال بطلميوس

فلا تبركنى بالوعيد كاننى * الى الناس مطلى به القار أجرب

واختلف فيما بعدها فقيل ان كان ما بعدها داخلا فى مسمى ما قبلها دخل والا فلا فعلى هذا يدخل المرفق فى الغسل لان المرفق داخل فى مسمى اليد لان اليد من رأس الانامل الى الابط وهذا ينتقض بقولك نمت البارحة الى نصفها ولا يجوز أن يقال انه نام البارحة كلها وقال الجمهور بغسل المرفقين مع اليدين وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين وهذا الخلاف أيضا فى الكعبين حجة زفر أن الى لانتهاء الغاية والمنتهى غير النهاية فلا يتعين غسل النهاية والجواب من وجهين الاول مذهب الزجاج سلمنا ان المرفق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم فانه هو المكان الذى يرتفق به أى يتكأ عليه ولا نزاع فى أن ما وراء طرف العظم لا يجب غسله الثانى أن حد الشئ قد يكون منفصلا عن المحدود كقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل فان النهار منفصل عن الليل فى الحس وقد لا يكون منفصلا كقولك بعتك هذا الثوب من هنا الى هنا فهذا الحد غير منفصل ولا شك أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلا لا معنى ولا حسا واذا كان كذلك فليس ايجاب الغسل الى جزء أولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب القول بغسل كل المرفق وقال بعضهم النهاية غير المتناهى وغسل المرفق لم يفهم من الآية الكريمة انما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لو قلت بعتك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة لم تدخل الغاية ههنا واذا قلت بعتك هذا البستان من هذا الحائط الى هذا الحائط دخل الحائطان فى المبيع والفرق بينهما أن الغاية فى الاولى من جنس ما دخلت فيه فهى خارجة عنه وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل وفى الثانية أن الغاية خارجة عن المغيا لان الحائط ليس من جنس البستان فلهذا دخل الحائطان فى المبيع ألا ترى أن قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل قال صلى الله عليه وسلم اذا أدبر النهار من ههنا وأقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم فاعتبر دخول الليل لانه خارج عن النهار (المعنى) فسر بنا فى ذمة الليل فانه يسترنا واعتسف السير ولا تخش الضلال عن طريق الحى فان له نفحة طيب من أهله ترشدك الى الحلة التى هم بها نزول وهذا معنى لطيف وتركيب رقيق وقد جرت عادة الشعراء أن يذكروا أن مواطن الحبيب وأماكنه وما جاورها تتضوع بانواع الطيب وتتأرج النسمات بنفحاته العطرة قال محمد بن عبد الله النميرى فى زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفى من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الجبرات

ومنها

يخمرن أطراف البنان من التقى * ويطلعن شطر الليل معتجرات

ويروى * ويقتلن بالالحاظ مقتدرات * ومنها

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من ان يلقينه حذرات

ولما بلغ الحجاج أن النميرى تغزل باخته تهدده وقال لولا أن يقول قائل لقطعت لسانه فهرب الى اليمن ثم انه استجار بعبد الملك بن مروان فأجاره وكتب له الى الحجاج فامنه واستنشده الابيات فانشدها حتى بلغ قوله ولما رأت ركب النميرى فقال له وما كان ركبك قال أربعة

انه لا يصلح للملك قالوا ولم قال لانه كثير الخصومة وليس يخلو فى خصومته أن يكون ظالما أو مظلوما فان كان ظالما لم يصلح للملك لظلمه وان كان مظلوما لم يصلح للملك لعجزه وضعفه قالوا صدقت فانت أولى بالملك فملكوه عليهم وقال بعض محققى التاريخ ليس بطلميوس الحكيم من ملوك اليونان بل هو رجل حكيم كان فى زمن انطنوس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة والدليل على انه ليس من ملوك اليونان انه ذكر فى كتاب المجسطى انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر وكان من بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة ومن قتل دارا الى زوال ملك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وثمانون سنة ومن غلبة أوغسطس الى أن ملك انطنوس مائة وسبعون سنة فيكون ذلك موافقا لما حكاه بطلميوس فى كتابه * وأما الاصطرلاب فيزعمون أنه باللغة اليونانية ميزان الشمس وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الارصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك وبه مثلت هيئة الفلك وكذلك الكرة والاصطرلاب كرة مطبوعة مثال كرة من شمع

أجرة لي كنت أجاب عليهما القطران وثلاثة أجرة أصحابي تحمل البعر فضحك عند ذلك وخلى سبيله ويشبه هذا ما حكي عن الشريف المرتضى انه كان جالسا في علية له تشرف على الطريق فرتحته ابن المطرزي الشاعر يجر نعلا له بالية وهي تثير الغبار فامر باحضاره فلما حضر قال له أنشدني أبياتك التي تقول فيها

اذا لم تبلغني اليكم ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال له أهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرزي ساعة ثم قال له لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى لانك خلعت مالا تملكه على من لا يقبل فاستحى الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل يقول والله ان قول المطرزي عندي أحسن من قول الشريف (رجع) وذكرت بقول الطغرائي قول أبي العلاء المعري

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز في الحضر

اذا همى القطر شبتها عبيدهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

القطر هو العود ومعناه ان هؤلاء الممدوحين يوقدون النار في الليل ليهتدي الضيف بها اليهم فاذا كان الغمام ونزل القطر واطفأ النار أمروا عبيدهم أن يوقدوها بالطيب ليشم الساري الرائحة فيهتدي اليهم وهذا معنى غريب مليح وعليه اعتمد ابن عباد في قوله على انه ما فارق المعنى ولا خالف المعنى وهو

المكثرين من الكباء لنارهم * لا يوقدون بغيره للساري

ومن قول الطغرائي قول التهامي

يتركن حيث حللن زهر لطيمة * مما يثرن به العبير وطاحا

يهدي ثراه الى البلاد وربما * حيت برياه الرياح رياحا

وقول الارجاني

بلغاني منازل الحي أسألها * متى فارقت رباها الغيدا

واستدلا على الحمى نشر مسك * من مجر الحسان فيه برودا

والاصل في هذا كله قول أبي الطيب

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

وقول الآخر

ولو ان ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وقول ابن النبيه

راح تطير النار من دنها * كأنما بازلها قادح

أنكرها الخارص نابها * حتى هدانا نشرها الفائح

وقوله

ان جاء من يبغي لهم منزلا * فقل له يمشي ويستنشق

ضمت عليها اليدان فصارت دائرة وزعم بطلميوس ان الافلاك تسعة فأولها أقربها الى الارض وهو أصغرها وهو فلك القمر ثم الذي يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل والثامن فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة التاسع الفلك الاعظم الحاكم على جميع الافلاك ويسمى الاثير لانه يؤثر في غيره وغيره لا يؤثر فيه ويقال الاسمى لانه يدير الافلاك دورة قسرية في كل يوم وليلة وهيآت البروج مثل البطيخة المخططة أعلاها وأسفلها كالنقطتين وكل بيت بين خطين بمنزلة البرج ثم ان الفلك المحيط يدير الافلاك الثمانية من المشرق الى المغرب كل يوم دورة واحدة والافلاك الثمانية تدور من المغرب الى المشرق وشبهوا ذلك بسفينة تجري مع الماء وفيها رجل يمشي مصعدا (وحكى) أبو حيان التوحيدي قال كان ابن بكير يقول دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر ويقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين وهذا من آرائه التي تفرد بها ولم أجد أحدا يوافقه عليها والصناعة برهانية ولا أعرف أي برهان قام له على هذه الدعوى ومن كلام بطلميوس ما أحسن

وقول مسلم بن الوليد

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وقول ابن الرومي

أعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلق

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

ان قلت هذا المعنى مختل لان ريح المسك يوجد فائحا فكان ينبغي أن يوجد منهم على أميال لان الشرط اذا صدق صدق المشروط (قلت) فيه تقديم وتاخير تقديره لو كان يوجد ريح مسك على أميال لوجدته منهم ولكن لم يوجد ريح مسك على أميال فلا يوجد منهم ورواه بعضهم لو كان يوجد ريح مجد وعلى هذه الرواية فلا حاجة الى الايراد والجواب * وقرأت على الشيخ القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله من أبيات

اذا هبطوا أرضا وأومض بارق * تروض من سح الدموع ثراها

يقفون نار الفريق على الحمى * تبدت لهم وهنا ولاح سناها

ويعتسفون البيد يرشدهم بها * الى الدار ان ضلوا الطريق شذاها

وتهديهم أنوارها لا كواكب السماء اذا حاروا ولا قمراها

اذا عاينوا أعلامها وضعوا لها * خدودا على وجه الثرى وجباها

وقرأت عليه أيضا قوله

غنى بذكر الحمى فارتاح كل شجي * وخاض بالدمع حادي الركب في لجج

واسترخص السير اذ أدنى تواصله * من الاحبة بالغالي من المهج

ولذ قطع الدجى اذ كان يسفر عن * صباح يوم بنور الوصل منبلج

واسترشد الركب اذ حار الدليل بهم * بما تلقوه دون الحي من أرج

وأنشدني أيضا اجازة قال أنشدني الشيخ الامام الفاضل شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي لنفسه وكذلك أنشدني الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني لنفسه شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المذكور اجازة ان لم يكن سماعا وفي غالب الظن انه سماع قصيدته البائية التي أولها

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

ومنها

بالله ان جزت كثبانا بذي سلم * قف بي عليها وقل لي هذه الكثب

ليقضي الخد من جرعائها وطرا * من تربها ويؤدي بعض ما يجب

وخذ يمينا لمغنى تهتدي بشذا * نسيمه الرطب ان ضلت به النجب

وحكى ابن رشيق في الانموذج أن عبد الرحمن بن محمد القرشي جلس مع بعض شيوخ تونس وكان هذا الشيخ نهاية في المجون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدونة فأقبل الشيخ عليه

وقال

بالانسان ان يصبر عما يشتهي وأحسن منه ان لا يشتهي الا ما ينبغي وقال ينبغي للعاقل ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى وجهه حسنا لم يشنه بشيء قبيح يفعله وان رآه دميما لم يجمع بين قبيحين وسمع جماعة من أصحابه حول خيمة له يقعون فيه فهز رمحا بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وأن يتباعدوا عنه قيد رمح ويقولون ما أحبوا وكان يقول انما نحن كائنون في الزمن الذي يأتي من بعد هذا رمزا الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقي ذلك الكون والعالم

(وبقراط علم العلل والامراض بالطف حسك)

هو بقراط بن ابراقليس كان في زمن بهمن بن اسفنديار ويقال انه سابع الاطباء الذين أولهم اسقليبيوس وهو قبل سقراط وافلاطون وهو الذي نظر في صناعة الطب فوجدها قد كادت تبيد لقلة أبنائها الموروثين لها من آل اسقليبيوس فانهم كانوا يلقنونها الابناء منهم ولا يكتبونها فيتعلمها غيرهم فبث أبقراط هذه الصناعة في الناس وعلم الغرباء وعهد الى الاطباء عهدا طويلا مشهورا وقال جالينوس في بعض كتبه ان أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلمه في الطب من أمر النجوم ما لم

وقال هي في ذلك المكان في تلك الناحية حيث يقوم ايرك فقال القرشي والله لا نظير هذا المعنى فما رأيت مثله وأنشأ يقول من وقته

ان شئت أن تعرف عن صحة * دار الذي يعزى اعبدونه
فامش فان ايرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكست أنا هذا المعنى فقلت

أقول لمن يسائل عن محلي * تقدم وامش من خلف السواري
ومر فحيثما تلقى احتكاكا * بمرملك لا تعد فثم داري

*(فالحب حيث العدا والاسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الاسل)*

(اللغة) الحب بالضم المحبة وبالكسر الحبيب نعته قال ابن الانباري الحب الحبيب يقال للذكر والمؤنث بلفظ واحد وحكى عن بعض العرب انهم يقولون فلانة حبتي وسيأتي الكلام على الحب في قوله يقتلن أنضاء حب (العدا) بكسر العين الاعداء وهو جمع لا نظير له قال ابن السكيت لم يات فعل من النعوت الاحرف واحد يقال هؤلاء قوم عدا وأنشد

اذا كنت في قوم عدا لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

ويقال قوم عدا وعدا بالكسر والضم مثل سوى وسوى (الاسد) جمع أسد وأسد يجمع على اسود وأسد مقصور منه وأسد مخفف وأسد وآساد مثل جبل وأجبال (رابضة) الربوض للبقر والغنم والفرس والكلب مثل البروك للابل والجثوم للطائر يقال ربضت تربض ربوضا فهي رابضة (حول) يقال قعدت حوله وحواله وحواليه وحوليه ولا تقل حواليه بكسر اللام وحول الشيء ما يحاذيه من كل جانب (الكناس) موضع الظبي الذي يكنسه تقول كنس يكنس بالكسر (الغاب) الآجام والغابة الاجمة وهي مكان الاسد (الاسل) الرماح وهي المرادة هنا وأصل الاسل نبات طويل له شوك ومنه أسلة اللسان والذراع وهو ما استدق منهما (الاعراب * فالحب) مبتدا والخبر محذوف تقديره مستقر (حيث) ظرف مكان وهو مبني على الضم وانما بني لانه أشبه الحرف من حيث الاستعمال اذ كان يحتاج الى صلة مثل الذي ويوصل بالجملة الاسمية كقولك جلست حيث زيد جالس وبالجملة الفعلية كقولك جلست حيث يجلس زيد وكان البناء ضما لوقوعها موقع الغاية والغاية هي الخبر والخبر مرفوع وكذلك قبل وبعد اذا وقعا غاية وما أحسن قول محاسن الشواء

لما صديق له خلال * تعرب عن أصله الاخس
أضحت له مثل حيث كف * وددت لوانها كامس

وأنشدني المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني لنفسه القاضي زين الدين عمر المعروف بابن الوردي الشافعي بحلب وأنشدنيه أنا أيضا فيما بعد لنفسه ومن خطه نقلت

قلت لنحوي اذا عرضا * له بأوقات الرضا اعرضا
يا حيث لو أصبح باب الرضا * كيف لما كنت كأمس مضى

(قلت) معناه يا مضموم لو أن باب الرضا مفتوح لما كنت مكسورا وفي حيث لغات الضم وهو الافصح والفتح لانه أخف والكسر لان الاصل في البناء السكون واذا حرك الساكن كسر

يكن بدا انه فيه أحد من أبناء زمانه وكان يعلم أمر الاركان التي منها تركيب أبدان الحيوان وكون جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد وفسادها وهو الذي برهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان والنبات واستنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وهو أول من اتخذ البيمارستان وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للمرضى وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشيدوكن أي مجمع المرضى وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسي ولم يكن يرغب في الاتصال بالملوك حتى ان ملك الفرس كتب الى عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل أبقراط اليه لاجل وباء عرض في بلاده وأن يحمل اليه مائة قنطار ذهبا ويضمن له اقطاعا مثلها وكتب الى ملك اليونان في ذلك الوقت يستعين به على اخراجه اليه وضمن له مهادنته سبع سنين فلم يجب ابقراط الى هذا وقال أهل المدينة ان خرج أبقراط خرجنا كلنا وقتلنا دونه وتفسير أبقراط ضابط الكل وقيل ضابط الخيل وهو الصحيح * وكتبه جليلة وأخباره حسنة ومن

وجاءت لغة رابعة وهي حوث (رحم) وحيث في موضع نصب لانه ظرف والعامل فيه مستقر وقد سد مسد الخبر (العدا) مبتدا ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور (والاسد) معطوف عليه وهو عطف نسق (رابضة) خبر عن المبتدا المعطوف وسد هذا الخبر عن الاول لان العدا في الشدة والبأس كالاسد (حول) منصوب على الظرفية والعامل فيه رابضة و(الكناس) مضاف اليه والاضافة ههنا معنوية (لها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية وهو خبر مقدم لان المبتدا نكرة (غاب) مبتدا تقدم خبره في الجار والمجرور ولا يجوز الابتداء بالنكرة لان الغالب فيها أن لا يفيد الاخبار عنها فان أفادت ابتدئ بها والنحاة في الغالب عدوا لها ستة مواطن أولها أن يكون المبتدا نكرة محضة والخبر جار ومجرور مقدم كما في هذا البيت أو ظرف نحو عندي درهم وثانيها أن تعتمد النكرة على استفهام نحو هل رجل في الدار أو على نفي نحو ما أحد خير منك وثالثها أن تخصص النكرة وتقرب من المعرفة اما بوصف نحو قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك أو باضافة نحو خمس صلوات كتبهن الله على العباد ورابعها أن يكون فيها معنى الدعاء نحو سلام عليكم وخامسها أن يكون فيها معنى التعجب كقول الشاعر

عجب لتلك قضية واقامتي * فيكم على تلك القضية أعجب

وسادسها أن يكون لها صدر الكلام كقولك من أبوك وكم غلام لك قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس تنكير المبتدا اختلفت فيه عبارات النحاة فقال ابن السراج المعتبر في المبتدا حصول الفائدة فمتى حصلت الفائدة جاز الابتداء بالنكرة وقال الجرجاني يجوز الاخبار عن النكرة بكل أمر لا تشترك النفوس في معرفته نحو رجل من بني تميم شاعر فالمجوز عنده شيء واحد وهو جهالة بعض النفوس وقال شيخنا جمال الدين محمد بن عمرون الضابط في جواز الابتداء بالنكرة قربها من المعرفة لا غير وفسر قربها من المعرفة بأحد شيئين اما باختصاصها كالنكرة الموصوفة أو بكونها في غاية العموم كقولنا تمرة خير من جراده فعلى هذا لا حاجة الى تعداد الاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة بل يعتبر كل ما يرد فان كان جاريا على الضابط أجزناه والا منعناه ثم قال الشيخ بهاء الدين فيما بعد والاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة تزيد على ثلاثين ولم أجد أحدا من النحاة غيره زاد على أربعة وعشرين فيما علمته وقد ذكر هذه الاماكن التي عدها في تعليقته على المقرب وأضربت أنا عنها خشية التطويل (رحم) من الاسل جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس وقوله لها غاب من الاسل في موضع رفع صفة للاسد (المعنى) حبيبي مكانه حيث الاعادي والاسود رابضة حول كناسه وللاسود غاب من الرماح ولو كان لي في البيت حكم لقلت * فالحب حيث العدا كالاسد رابضة * لانه ينتهي الى أن يقول * حول الكناس لها غاب من الاسل * والاسل هي الرماح التي أرادها في البيت والرماح مما يختص بالاناسي لا بالاسود وأيضا الاسود ليس من شأنها الالفة بالناس حتى تكون حولهم (فان قلت) أراد بالاسود العدا وذلك أنهم في البأس كالاسد فاطلق ذلك عليهم مجازا (قلت) لا يتأتى له ذلك وقد عطف الاسد على العدا والعطف يدل على المغايرة فاذا الاسد غير العدا وأيضا هو قطع الكلام عن العدا وما ذكرهم منعلقا ووصف المحبوب بأن الاعادي يحيطون به وحولهم الاسل وهو أبلغ في المنع والتحصن من الاسود لان الانسان أبلغ في الحرس والاحتراز

ظريف حكاياته أن ولد أحد ملوك اليونان عشق جارية من حظايا أبيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر أبقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير عنده علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل خرج عن الدار فقالت لا فقال لابيه مر رئيس الخصيان بطاعتي فأمره بذلك فقال أخرج على النساء فخرجن وأبقراط واضع يده على نبض الصبي فلما خرجت الصبية الحظية اضطرب عرقه وحال طبعه فعلم بقراط انها المعنية بهواه فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن تيك قال هي زوجتي قال فانزل عنها ولك عنها بدل فتمنع أبقراط وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق زوجته ولا سيما الملك في عدله ونصفته يأمرني بمفارقة زوجتي وهي عديلة روحي فقال الملك اني أوثر ولدي عليك وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال أبقراط ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه ما ينصف من غيره

والاحتراز من الاسد لانه ذو عقل وتفكر ووهم وليس للاسد غير البطش وعلى الجملة فقد وصف محبوبه بانه مصون محجب لا سبيل الى الوصول اليه والحالة هذه وما أحسن قول أبي عبد الله محمد بن أحمد الخياط الدمشقي

ومحتجب بين الاسنة معرض * وفي القلب من اعراضه مثل حجبه

وقول ابن قلاقس

ارجع عن الوادي فان مياهه * مما يشب به غليل الهيم
وبشعب رامة معرك يغدو به * قلب الهزبر أسير لحظ الريم
مد الكماة من الاسنة فوقه * ظلا وذاك الظل من يحموم
حيث التفت الى مطالع شمسه * الفيتها محجوبة بغيوم

وقول ابن القيسراني ومن خطه نقلت

وفوق مرادي من مراد عقائل * تبيت المذاكي القب سجف قبابها
ودون الخدور السابرية عترة * تهز كعوب الرمح دون كعابها

وقول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحي كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطرف * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر

(قلت) هذا هو النظم الذي تخجل منه درر العقود ويستحي من طرسه رقم البرود وقد جمع الانسجام والجزاله وأضاف الى الاستعارة حسن التخيل فقلت هذا البدر ضمن هاله وابرز في صورة تفرق منها الضراغم وتنوح على من تلبس بتلك الحالة ساجعات الحمائم فاذا حاول محاكاتها ناظم وجدها كالحديد ملمسا وكالحر بر ملبسا وأين الثريا من يد المتناول وقوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت أطراف الاسنة أنجما * ودست لهالات البدور ديارا

وقول ابن صردر

وطرقت أرضهم وتحت سمائها * عدد النجوم أسنة المران
أرض جداولها السيوف ونبتها * نبع ومار كزوا من الخرصان

(قلت) ما أحسن الجداول هنا والنبع بعدها وقول ابن نقادة

أظن الصبا من أرض نجد هبوبها * فمن نشر ليلى قد تضوع طيبها
ومن عجب أن صافحتها وسلمت * عليها ولم يشعر بذاك رقيبها
ولو أنها مما يرى كان صده اا * لغيور ولم يبلغ الى هبوبها

أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يا بقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفي الفتى من لاعج الهوى * ومن كلام أبقراط سلوا القلوب عن المودات فانها شهود لا تقبل الرشا وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع يعني من المآكل والمشارب وقال خير الغداء بواكره وخير العشاء بوادره يعني بذلك المبادرة به في بقايا النهار والضوء متمكن وقبل الدخول في حد النوم وقال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه * وسئل كم ينبغي للانسان أن يجامع فقال في كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال في كل شهر قيل فان لم يقدر قال في كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هي روحه متى شاء أخرجها ولما حضرته الوفاة قال خذوا مني العلم بغير حسد من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته فقد طال عمره

(وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك)

(جالينوس) هو آخر الحكماء المشهورين ويسمى خاتم الاطباء والمعلمين وذلك انه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الاطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها فانتدب

وقوله أيضا

قد حجبوا البيض ببيض الصفاح * ومنعوا السمر بسمر الرماح

وأطبقوا أحداق أسيافهم * فاترى شمس الصباح الصباح

غاروا من النكباء تسرى فهم * لورقدوا سدوا مهب الرياح

وقول ابن قلاقس

وابلائي من مخدرة * دونها سور وجدران

وأسود خاف سطوتها * كل من حازته أجفان

ورقيب لو يلاحظها * لتثنى وهو غيران

قال ابن الاثير في المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو

أغار اذا آنست في الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه

وأنشدني الشيخ الامام القاضي شهاب الدين محمود قال أنشدني شيخنا الامام مجد الدين محمد ابن أحمد بن عمر الظهير الاربلي الحنفي لنفسه من أبيات

أواصل فيه لوعتي وهو هاجر * ويؤنسني تذكاره وهو نافر

غزال منيع الخدر دون مزاره * مظللة بالبيض منها المحاذر

وقرأت عليه أيضا قوله من قصيدة

ومن طلب الاحبة كان أسخى * ببذل النفس من كعب بن مامه

ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضال من دون مطلبه حسامه

وأنشدني لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

وعلى الحمى حي تخال ظباءه * أخذت سطا الفتكات عن آساده

جعلوا القنا رصد القباب فمن نأى * طرفا له رمقته زرق صعاده

يحمى نزيلهم ويأمن جارهم * الا على أحشائه ورقاده

فاذا تزود نظرة من عيهم * قبل الرحيل فحتفه في زاده

وأنشدني له أيضا اجازة

ولقد عهدت رماحهم تصغي الى * مر الصبا خوفا على أسرارهم

ورأيت مع بذل النوال حماهم * والوهم يفرق أن يرى بمزارهم

وأنشدني اجازة لنفسه المولى صفي الدين الحلي ومن خطه نقلت

وسرب ظباء مشرفات شموسه * على حلة عد النجوم بدورها

يمانع عما في الكناس أسودها * ويحرس ما تحوى القصور صقورها

يغار من الطيف الملم حماتها * ويغضب من مر النسيم غيورها

اذا ما رأى في النوم طيفا يزورها * توهمه في اليوم ضيفا يزورها

نفرنا فأعدتنا السقام عيونها * ولدنا فأوتتنا النحول خصورها

لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها وساح وطلب الحشائش وجرب وقاس أمزجتها وطبائعها وشرح الاعضاء ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة وهي مادة الاطباء الى يومنا هذا وأشهرها الكتب الستة التي شرحها الاسكندرانيون ولم يأت بعده الا من هو دون منزلته وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ولم يره (حكى) انه لما بلغه دعوة المسيح صلوات الله عليه احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاكمه والابرص قال لمن حوله من التلامذة ان علم من هذا المدعي بما لا يستقل به الطبيعة سفه قبل ما ادعاه لا يخاطب ويحمل فيما ادعاه على ما تقدم العلم منه من السفه وان لم يعلم منه سفه تقدم دعواه يطالب بالبيان لامكانه مما وراء عالم الطبيعة وذلك سبيل كل ناطق يقوم في ابتداء كل قرن يأتي من الزمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد في الارض سبيله الدعوى بما لا يستقل به الطبيعة لانقياد الناس الى طاعته بعد القيام بصحة ما ادعاه فمن ملك سبيله بعد ذلك تمت حركته ثم تجهز للاجتماع به وسار اليه فمات في طريقه بمدينة الفرما وهي

وزرنا واسد الحي تذكي لحاظها * ويسمع في غاب الرماح زئيرها

فيا ساعد الله المحب فانه * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(قلت) هذا تضمين حسن ولكن القافية تكررت معه في يزورها وما وصف أحد رقيبه بأبلغ من قول ابن قلاقس المتقدم وهو قوله رقيب لو يلاحظها البيت وهو أنه يغار حتى من نفسه وهذه حالة زائدة عن الرقباء فان الرقيب قد يكون يريد الصون وأن العاشق لا يلم بالمعشوق ولا يداني مكانا يضمه فأما اذا انضاف الى هذه الغيرة انه يغار عليه من نفسه كان حال المحب أشق عليه الى الغاية وأين غيرة هذا الرقيب من عدم غيرة عبد المحسن الصوري على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتي ونحيبي

وشاركني في حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب

فلا تلزموني غيرة ما ألفتها * فان حبيبي من أحب حبيبي

وبالغ الآخر فقال يمجن بالقيادة

أقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيري قواد على رغم أنفه

وما أحلى قول مجير الدين بن قرناص

لي صاحب كملت جميع صفاته * قد عمني بغرائب الاحسان

لو لم يكن مثل النسيم لطافة * ما بات يعطف لي غصون البان

وقال الوجيه الدوري

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ في كل الامور مهذب

طورا يغني بالرباب وتارة * تأتي على يده الرباب وزينب

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

جاء في البرم واحد العصر والقواد أيضا في ذاته مقبول

وهو مع ما فيه من البرم والفتل مخلي من دينه محلول

وقال ابن سناء الملك

لي صاحب أفديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال

لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال

يكفيك منه أنه ربما * قد قاد للمهجور طيف الخيال

وقال آخر

يسهل كل ممتنع شديد * ويأتي بالمراد على اقتصاد

فلو كلفته تحصيل طيف الـ * خيال ضحى لزار بلا رقاد

وقال مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا

يكاد بحكمة فيه وحذق * يقود بلا أزمتها النياقا

وقال عبد العزيز الآمدي فيمن له ابن يدعى سراجا

لك زوجة وابن هما لك روضة * زهر وفي يوم اللقاء سراج

على شاطئ بحيرة تنيس وبها قبره ولما اشتد به المرض قيل له الا تتداوى قال اذا نزل قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل ثم مات مبطونا ومات ارسطاطاليس بالسل ومات افلاطون مبرسما ومات أبقراط مفلوجا * ومن حكايات جالينوس عن نفسه قال مررت بشيخ يزرع شجرة فقلت يا شيخ ما تزرع فقال شجرة ثمرتها لي ولك قلت وما هي قال شجرة المشمس ثمرتها لي لاني آخذ ثمنها ولك لانها تكثر المرضى فتأخذ من أموالهم (وحكى) عن نفسه في معرفة التشريح قال أعرف رجلا شكا ضعف شهوة الطعام فوضعت على رقبته أدوية فبرئ لان في العضوين المجاورين للعرقين النابضين شعبة الى فم المعدة تنال منها الحس وكان في رقبة ذلك الرجل خنازير فقطعها الاطباء فاضر ذلك بتلك القصبة التي منها الشعبة وبرئت رقبته وصار ضعيف الشهوة عن الطعام فوضعت عليها الادوية المقوية فبرئ * ومن كلامه الانسان سراج ضعيف كيف يدوم ضوءه بين رياح أربع يعني الطبائع * وقال الانسان الى تجنب ما يضره أحوج منه الى تناول ما ينفعه وقال من كان له درهم فليجعل نصفه في النرجس فانه راعي

لاتخش فى طرق القيادة ظلمة * لك منهما طوافة وسراج

قيل ان أبا الحسين الجزار حضر الى بيت الزين الماوردينى الشاعر ومعه مليح فاطال الزين الجلوس فكتب الجزار بيتين فى ورقة ودفعها اليه وهما

ليس فى البيت ماتخاف عليه * وعلى الضمان حتى تعودا

فتصدق وقد على فلابد اذا جئت منزلى أن أقودا

وقال أبو الحسين الجزار أيضا من أبيات

ليت شعرى ماذا تقول اذا ما * رمت شتمى قل لى باى طريق

علم الله مامضيت رسولا * قط من عند ابنتى لعشيق

لاولا جئت بالرجال الى بيتى وكاسرتهم فى السوق

وكتب أيضا الى السراج الوراق من أبيات

ولئن كنت قد علقت حبيبا * موصليا فأنت بالعلق أعلق

فاجابه السراج بأبيات منها

ماترى كيده وقد جاء بالقا * فرويا خذت بالقلب أعلق

قلت دعه فالشيخ أقول منا * قال بالدال قلت قولك أصدق

وقال ابن دانيال فى الكحال العواد

عين الكحال العواد فاف * وهو شويخ ردقواقى

سرت قياداته الى أن * فادبصر على عراقى

وحكى لى الشيخ الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى ان الشيخ شهاب الدين بن النحاس دخل الى الجامع الازهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الاقول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين ماتفاءلت أنا الا بقول صاحبنا السراج الوراق اه قلت أما مراد الشيخ بهاء الدين بن النحاس من قول ابن سناء الملك فهو

أنا فى مقعد صدق * بين قواد وعاق

وأما مراد أبى الحسين الجزار من قول السراج الوراق فهو

ومهذب راض الابى فقاده سلس القياد

لما توسط بيننا * جرت الامور على السداد

وقد تساب كل منهما مع خصمه ولم يشعر بمرادهما أحد * وقريب من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء قال روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور قال سمعت المبارك بن أحمد بن الافوه يقول خرج رجل من بغداد على سبيل الفرجة فقعد على الجسر فاقبلت امرأة من جهة الرصافة متوجهة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال رحم الله على بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل مر الرجل مشرقا ومرت المرأة مغربة فتبعت المرأة وقلت ان لم تقولى ما أراد وما أردت والافضحتك فضحكت وقالت أراد الشاب بقوله رحم الله على بن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت

الدماغ والدماغ راعى العقل ورأى مصارعا كان لايرمى أحدا فقد صار طبيبا فقال الآن كما صرعت الناس

(وكلاهما قادك فى العلاج وسالك عن المزاج)

العلاج والمعالجة فى اللغة المغالبة وسمى الطب علاجا لكون الطبيب يغالب المرض وقال أبقراط يعالج الجسد على خمسة أضرب مافى الرأس بالغرغرة ومافى المعدة بالقىء ومافى أسفل المعدة بالاسهال وما بين الجلدين بالعرق واسهال الدم ويحتاج ذلك الى علوم الاصول من الاستقصات والطبائع والاخلاط والقوى والارواح والاسباب وغير ذلك والمزاج فى اللغة خلاط الشراب بغيره وعبر عنه الاطباء بأنه عبارة عن تكافؤ الطبائع واختلاطها فى البدن والمزاج عندهم تسعة واحد معتدل وثمانية غير معتدلة وفى الثمانية أربعة مفردة وهى الحار والبارد والرطب واليابس والاخلاط أربعة وهى الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم فالدم حار رطب والمرة الصفراء حارة يابسة والبلغم بارد رطب والمرة السوداء باردة يابسة ومعرفة أمزجة الانسان من أقسام الاسباب والعلامات ويعرف مزاج غير

وأردت أنا بقولي رحم الله أبا العلاء المعري قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومثل هذا ما ذكره صاحب الأغاني قال هوي محمد بن عيسى الجعفري جارية مغنية اسمها بصيص وطال عليه ذلك فقال لصديق له لقد شغلني حب هذه عن صنعتي وكل أمري وقد وجدت مس السلوة عنها فاذهب بنا حتى أكاشفها فأستريح فأتياها فلما غنت لهما قال لها محمد بن عيسى أتغنين

وكنت أحبكم فسلوت عنكم * عليكم في دياركم السلام

فقالت لا ولكني أغني

تحمل أهلها عنها فبانوا * على آثارهم ذهب العفاء

قال فاستحى وزاد بها كلفا وأطرق ثم قال أتغنين

واخضع بالعتبى اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذي أتنصل

قالت نعم وأغني أحسن منه

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * وننزلكم منا بأقرب منزل

قال فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين وما شعر بهما أحد (قلت) وبصيص هذه من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء وهي جارية يحيى بن نفيس يقال ان المهدي اشتراها وهو ولي العهد سرا من أبيه بسبعة عشر ألف دينار وولدت منه علية بنت المهدي (رجع) والاصل في غالب ما تقدم من القيادة قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي من أبيات

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب

تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخي عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبي عتيق لما سمع ذلك قال لعمري ما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم مثل قوادتك هذه وأخذ هذا المعنى الواواء الدمشقي فقال هذه الابيات

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومنه قول الآخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كأنك مازح

فان أعرضت عني فقوه مغالطا * بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

وقال الآخر دوبيت

بالله اذا لقيت من أهواه * عاتبه وقل له الذي ألقاه

ان أغضبه الوصال غالطه به * أورق فقل عبدك لا تنساه

وقلت أنا من أبيات

ويا رسولي اليهم صف لهم أرقي * وأن طرفي لطيف الضيف مرتقب

عرض بذكري فان قالوا اتعرفه * فاسأل لي الوصل وانكرني اذا غضبوا

ذلك بالتجربة وبالقياس فليعلم ذلك

(واستوصفك تركيب الاعضاء واستشارك في الداء والدواء) يشير بمعرفة الاعضاء الى ذكر صفات التشريح التي ذكرها جالينوس وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة والاعضاء عندهم على قسمين بسيط ومركب فالبسيط كالعظم والعصب والعروق والمركب كالرأس واليدين والرجلين ومن الاعضاء أعضاء رئيسة وأعضاء مرؤسة وأعضاء ليست برئيسة ولا مرؤسة فالرئيسة أربعة كالدماغ والقلب والكبد والانثيين والمرؤسة ما تخدم هذه الرئيسة وذلك أن الدماغ يخدمه العصب والقلب تخدمه الشرايين والكبد تخدمها العروق والانثيان أوعية المني وما ليس برئيس ولا خادم كالعظام والغضاريف والشحم واللحم والاعضاء التي لها قوى كالمعدة والكلى *والداء هو المرض الداخل على الابدان وأجناسه ثلاثة الاول فساد المزاج والثاني تفرق الاتصال والثالث المرض المشترك *والدواء ما يحفظ به الصحة المائلة عن البدن أو ما يجلب به الصحة للبدن المزايلة له وهو نفس القسم العملي ومداره على

وقال بعضهم دخلت مدينة فرأيت بها غلاما حسنا فراودته عن نفسه فأجاب فلما خلونا ذكرت الله وانصرفت عما هممت به فلما خرجنا قال ادفع لى شيأ فقلت ما جرى بيننا ما يوجب العطاء فتنازعنا وطال اللجاج فبينما نحن كذلك اذ مر بنا رجل فناديناه وتحاكمنا اليه وحكينا له الصورة فقال حدثنى أبى عن جدى عن المزنى عن الشافعى انه قال اذا أغلق الباب وأسبل الستر فقد وجب المهر فأعطه حقه فدفعت الى الامرد درهمين وقلت لذلك الرجل أعيذك بالله من نوادر ما رأيت من يتودد لى بمذهب الشافعى بسند متصل غيرك * وفى المثل أقود من ظلمة قال بعضهم أظنه من قولهم الليل أخفى للويل أو من قولهم * فانما الليل نهار الاديب * أو من قولهم * فالشمس نمامة والليل قواد * وليس بشئ وانما أصل المثل انه كانت فى هذيل امرأة تدعى ظلمة زنت ستين سنة وقادت أربعين سنة فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيسا وعنزا وكانت تنزى التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين هذا قالت حتى أشاهد أنس الجماع فألتذبه (أقول) فما كان أحقها بان يقال فى حقها

عجوزة قد زنت ستين عاما * وقادت بعد ذلك أربعينا
وقامت فاشترت تيسا وعنزا * لتسفر لذة المتباكينا

ويقول بعضهم

شيخة الفسق لا تحول عن العهد كما تستبيح مالن يجوزا
ساحقت طفلة وليطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

قلت وما رأيت من استعمل هذه المادة من الصغر الى الكبر الا الذى قال

حاشا لمثلى عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
أهواه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحيته واذا علاه مشيب

وأخذه الآخر فقال موالیا

هويت شيخ اسمرا كحل ماله عائب * الاشيب وما قلبى بذا تائب
يحى على كل حاله ما بروح خائب * أمرد ومذ زمن كرش ملتحى شائب

(رجع) الى ذكر الرقيب وأما الرقيب فلازمه أمر يضنى ومرض يفرى الحشا ويفنى والمحبون ابتلوا به حديثا وقديما ورعوا به روض المحبة هشيما وأرى الرقيب هو المبتلى وصاحب السهر والتعب على انه ما عشق ولا سلا وذلك لان العاشق يجد فى الغرام لذة عليه عائده والرقيب أضاع زمانه وأذاب فؤاده بلا فائده ولهذا قال ابن رشيق

تأذى بالحظى من أحب وقال لى * أخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * الى فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

وما ألطف قول ابن المعتز

وابلائى فى محضر ومغيب * من حبيب منى بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

قلت ما أحلى استعارته الشرق والورد والرى لماء الوجه فهكذا يكون الشعر وأظن أن ابن بابك أخذ من هنا قوله

الحذق وكان بقراط يقول الطبيب الحاذق يصير بحذقه السم دواء نافعا والجاهل يصير الدواء سما قائلا مثال ذلك أن الجاهل بالطب اذا أخذ الصندل وسحقه كالكحل ثم طلاه على بدن حار كثير الحرارة طاليا تخلخل تلك الاجزاء الدقيقة فى منافس الجسد ومسامه فتؤذى العليل والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندى فيسحقه ناعما ثم يطليه على البدن طليا رقيقا فيتصل ما فيه من الرطوبة الى حرارة البدن فيبردها ويجد الحر سبيلا الى الخروج فتكون حرارة العود مبردة بتدبير الطبيب فاعلم ذلك

(وأنك نهجت لابى معشر طريق القضاء)

النهج بيان الطريق ووضوحه ومنه نهج الثوب اذا بان فيه البلاء * والقضاء فصل الامر قولا كان أو فعلا وأصله قضاى من قضيت وقلبت الياء همزة والمراد به هنا حكم المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب قال الشاعر * يقضون بالامر عنها وهى غافلة *

وأبو معشر هذا هو جعفر ابن محمد بن عمر البلخى المنجم المشهور فى علم النجامة كان فى الاول من أصحاب الحديث ببغداد وكان يشنع

تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشربه من رقة البشره

وتلطف ابن المعتز أيضا حيث قال

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وما أحسن قول سيف الدين بن حمدان

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فأطمعه * وخاف عواقب الطمع
وصادف خلسة فدنا * ولم يلتذ بالجرع

وأبلغ من هذا قول الحرث بن خالد

تدنيك شيأ قليلا وهي خائفة * كما يمس بظهر الحية الفرق

وتلطف الصاحب بن عباد رحمه الله حيث شبه الرقيب بالصلة والمحبوب بالذي لشدة اتصالهما وعدم خلو الذي من الصلة فقال

ومهفهف ذي وجنة كالجنبذ * ولحاظه مثل السهام النفذ
قد نلت منه مراد قلبي في الهوى * وملكته لولم يكن صلة الذي

وبالغ القائل في ملازمة الرقيب فقال

أنا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث لم يكن الدهـ * ـر باني أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الحـ * فوافى فقلت كم الطبيب

وما ترك هذا الشاعر في الظرف غاية لمن بعده وقريب من هذه المادة ما ذكره الحريري في درة الغواص قال حكى لي أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمداني حين قدم البصرة حاجا في سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له ما الذي بك قال حمى فقال له الصاحب قه فقال له النديم وه فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه وقيل ان بعض الظرفاء سمع امرأة حسناء تقول وقد أتت الى جانب نهر يا جارية أين أضع رجلي فقال لها ذلك الظريف على كتفي فقالت بحقي فقال لها رتبة زوجك فقالت له من أين خرجت فقال لها من بيتك فقالت مصفوع فقال لها علي تهمة بك فقالت وأنت عنها بريء فانقطع * ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في ترجمة ضياء الدين موسى الكاتب من نوادره انه قال له الرضي الحلاوي الشاعر أنا في لحيتي حاصة فقال الضياء موسى لي وقال الحلاوي يوما أنا أشعر شعرا حسنا وما يعوزني الا الحلق فقال له موسى لحية قلت اما النادرة الاولى فلا بد فيها من مسامحة ما لان التقدير اذا كان جوابا اغتفر فيه للسرعة ما لا يغتفر في غيره اذ الحصة التي هي بمعنى النصيب وهو مراد الضياء موسى بغير ألف وأما الداء الذي يتناثر منه شعر الذقن وهو مراد الحلاوي انما هو حاصة والحص قلة الشعر فاعرفه وعلى قول الضياء في الثانية ذكرت ما قلته أنا قديما

قلت له اذ هز لي ذقنه * ولام فيمن ذبت في عشقها
تذكر اذ غنت فؤادي نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

على الكندي الفيلسوف بعلوم الفلسفة ويغري به العامة فدس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك ثم عدل الى أحكام النجوم فتفنن ومهر وانقطع شره عن الكندي لانه من جنس علوم الكندي ويقال انه اشتغل بالنجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وصنف الكتب الحسنة في هذا العلم مثل كتاب الالوف وكتاب المدخل وكتاب المذاكرات وغير ذلك وظهرت له اصابات عجيبة وحكي عنه فيها حكايات بديعة قال في كتاب المذاكرات قال حضرت وشيلمة والزيادي عند الموفق وكان الزيادي استاذ زمانه في النجوم فاضمر الموفق ضميرا فقال الزيادي أضمر الامير فقد امر جليل رفيع فقال له كذبت فقال شيلمة قولا قريبا منه فقال الموفق كذبت ثم قال لي هات ما عندك فقلت أضمر الامير الله عز وجل فقال أحسنت والله ويلك أنى لك هذا قلت الرئيس يرى فعله ولا يرى نفسه وكان في أرفع درجة الفلك في الضمير ولم أعرف له مثلا الا الله عز وجل لان الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو وهو فوق كل عزة وسلطان ليس فوقه شيء (وحكي) عنه انه كان قد تنقل في البلاد

*(نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت * نصالها بمياه الغنج والكحل)*

(اللغة) الام القصد يقال أمه وأممه وتأممه اذا قصده (ناشئة) مؤنث ناشئ وناشئ اسم فاعل من نشأ ينشأ فهو ناشئ (الجزع) بالكسر منعطف الوادي (النصال) جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ويجمع على نصول (مياه) جمع ماء ويجمع على أمواه في القلة ومياه في الكثرة والهمزة في ماء مبدلة من الهاء في موضع اللام اذ أصله موه بالتحريك لانه يجمع على أمواه كما تقدم (الغنج) بالسكون والغنج بالتحريك الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهي غنجة والغنج هو الدل (الكحل) سواد يعلو جفون العين مثل الكحل من غير اكتحال ورجل كحيل وامرأة كحلاء (الاعراب) نؤم فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره نحن (ناشئة) مفعول به وهو صفة لموصوف محذوف تقديره فتاة ناشئة أو فتيات ناشئة وهذا جائز ونطق القرآن به كثيرا كقوله تعالى ثم يرم به بريا أي شخصا بريا و(بالجزع) جار ومجرور في موضع نصب بما في ناشئة من معنى الفعل والباء هنا ظرفية (قد) حرف توقع لاقترانه بالافعال المتوقعة في الحال والمسئول عنها ومنه قد قامت الصلاة لان المصلين ينتظرون قيامها وقال الجوهري ولا تدخل الا على الافعال وهي جواب لقولك لما تفعل وزعم الخليل انك تقول قد مات فلان لمنتظر الخبر ولو أخبرت شخصا لا ينتظره لا تقول قد مات ولكن تقول مات فلان وأصلها التقريب فتقرب الماضي من الحال تقول كنت امني الحج وقد حججت أي في زمن قريب من اخباري ولكونها تفيد التقريب في زمن الحال تلزم الفعل الماضي اذا وقع حالا نحو جاء زيد وقد ركب ومعناها في المضارع التقليل وهي فيه بمنزلة رب في الاسماء لان التقريب يناسب التقليل ومعنى تقليلها تقريبها الفعل من الحال ومنه قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم أي تحقق علم ذلك عند الله تعالى وأما قولهم قد يصدق الكذوب فمعناه ان الصدق يقل منه ويحتمل أن يكون المراد أن الصدق قد يتحقق من الكذوب وقيل انها اذا دخلت على المضارع أدت منه معنى الماضي وقد تكون زائدة في نحو لو قد جاءني لاكرمته وقد تخرج عن بابها وتجيء من قبيل الاسماء بمعنى حسب تقول قدك أي حسبك قال أبو تمام الطائي

قدك اتئب أربيت في الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرائي

ومن أبيات المعاني قول الفقيه أبي الحسن الطوسي

منينني حينا فلما أن ملأت من التمني

عرضن لي بالوصل حتى قلت قد أعرضن عني

وظاهره مشكل لعدم انتظام الكلام فاذا حملت قد على معنى حسب صح المعنى (سقيت) فعل مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة والتاء علامة لتأنيث المفعول (نصالها) مفعول ما لم يسم فاعله والضمير في موضع جر بالاضافة وقد تقدم الكلام على رفع ذلك المفعول قلت ومن مشكل هذا النوع قراءة ابن كثير وعاصم يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بضم الياء في يسبح وفتح الباء على بناء ما لم يسم فاعله قال بعض العلماء حذف الفاعل هنا وابهامه على السامع مدح عظيم لانه اذا حذف الفاعل اقتضى ان الذين يسبحون الانس والجن والملائكة والخلق أجمعون كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح

فاتصل ببعض ملوك العجم وان الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليطالبه بجريمة وقعت منه فاستخفى الرجل وعلم ان أبا معشر يدل عليه بالطريق الذي يستخرج بها الخفايا والاشياء الكامنة فاراد ان يصنع شيأ لا يهتدى اليه ويبعد عنه الحدس فاخذ طشتا وملأه دما وجعل في الدم هاونا من ذهب كبيرا يتمكن من القعود عليه ثم جلس عليه أياما وتطلب الملك ذلك الرجل فاعياه فاحضر أبا معشر وقال له عرفني موضعه كما جرت عادتك فعمل المسئلة التي يستخرج بها المجهولات وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب حيرتك قال أرى شيأ عجيبا قال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر دم ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فلما يئس الملك من القدرة عليه نادى في البلد بامان الرجل ومن اخفاه فلما اطمأن الرجل بذلك ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فاخبره بما اعتمد فاعجبه حسن احتياله واصابة أبي معشر في استخراجه ولابي معشر في هذا الباب أخبار كثيرة والله أعلم بحقيقتها وكان مع تقدمه في هذه الصناعة يصيبه

بحمده على أحد الاقوال ثم انه تعالى خصهم بالذكر فى قوله رجال لا تلهيهم أى صفتهم ماذكر من المدح تشريفا لهم وعناية بهم فكأن السامع تشوق الى أن يعلم من هم المسبحون فعقبه بقوله رجال الآية والوقف فى هذه القراءة على الآصال ويبتدئ بقوله رجال ولو وقف على رجال لكان كفرا ويحكى أن بعض الافاضل صلى تحت منبر يوم الجمعة وكان الخطيب عاميا فقال الحمد لله المسبح بكسر الباء فقال له الفاضل ذلك أنا الذى أسبح باللغات المختلفة ومثل هذا ما سأله بعض العوام وقد رأى جنازة فقال من المتوفى بكسر الفاء فقال له رجل فاضل الله تعالى فأنكر العامى قوله فقال له الفاضل الله يتوفى الانفس حين موتها والميت متوفى بفتح الفاء وحكى أن بعض العميان سمع بعضهم يقول يامن يرى ولا يرى بضم الياء فى الكلمة الاولى وفتحها فى الثانية فقال له الاعمى ابيك ذلك أنا وحكى بعضهم انه سمع بعض السؤال يقول من يعطينى فلسا وأحيله على من يرى ولا يرى فقال له بعض أهل المجون فاذا أعطيتك من هو المطالب *(فائدة)* قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار هذه الآية الكريمة أقوى دلائل المعتزلة فى الادلة السمعية على أن الله تعالى لا يرى لانها صريحة (والجواب) أن الآية الاخرى تناقضها وهى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث عائشة رضى الله عنها انكم لترون ربكم يوم القيامة الحديث وأما شبهتهم فى قوله تعالى لا تدركه الابصار فقد أجاب الاشاعرة عنها بأن قالوا قوله تعالى لا تدركه الابصار نقيض لقوله تدركه الابصار وقوله لا تدركه الابصار يقتضى أن كل أحد لا يبصره لان الالف واللام اذا دخلتا على الجمع أفادتا الاستغراق ونقيض السالبة الكلية الموجبة الجزئية فكان معنى قوله تعالى لا تدركه الابصار لا تدركه كل الابصار ونحن نقول بموجبه فان جميع الابصار لا تراه ولا يراه الا المؤمنون وهذه النكتة هى معنى قولهم سلب العموم لا يفيد عموم السلب *ومن حجج المعتزلة بالادلة السمعية أيضا قوله تعالى لموسى لن ترانى ولفظة لن تقتضى التابيد (والجواب) عن ذلك أنها لا تقتضيه بدليل قوله تعالى وان يتمنوه أبدا فاخبر أنهم لن يتمنوا الموت وذكر لفظة أبدا وأيضا فقد تمنوه فى قوله تعالى ونادوا يامالك ليقض علينا ربك *ومن حجج الاشاعرة قول الامام فخر الدين الرازى رؤية الله تعالى معلقة على شرط جائز وكل ما علق على شرط جائز فهو جائز فرؤية الله جائزة لان الرؤية علقت على شرط استقرار الجبل وهو جائز لقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى وانما قلنا بجوازه لان الجبل جسم وكل جسم يمكن أن يكون ساكنا وانما قلنا ان المعلق على الجائز جائز لانا بتقدير وقوع ذلك الشرط ان لم يحصل المشروط لزم الكذب فى اخبار الله تعالى وهو محال وان حصل كان الجواز حاصلا وهذه نكتة حسنة والادلة السمعية على رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة كثيرة منها قراءة من قرأ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا بفتح الميم وكسر اللام ولا جائز أن يكون ذلك الملك الا الله تعالى وروى الجمهور انه صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وأول المعتزلة قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بان المراد بناظرة منتظرة واستشهدوا بقوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون واستشهدوا أيضا بالشعر وغيره والذى يقال فى جوابهم ان انتظرت فى اللغة يتعدى بغير حرف الجر وأما نظرت الى كذا بحرف الجر فلم يرد الا فى معنى البصر ولئن سلمنا أن الانتظار يتعدى

الصرع عند امتلاء القمر فى كل شهر وكان لا يعرف لنفسه ولدا ولكن كان قد عمل مسئلة عن عمره وأحواله وسأل عنها الزيادى المنجم ليكون أصح دلالة اذا اجتمع عليها طبيعتان طبيعة المسؤل وطبيعة السائل فخرج طالع تلك السنة السنبلة والقمر فى العقرب فى مقابلة الشمس والمريخ ناظر الى القمر من الدلو وهذه الصورة توجب الصرع ومات به سنة اثنتين وسبعين ومائتين وقيل كان سبب موته ان المستعين ضربه أسواطا لانه اخبر بشئ قبل كونه فاصاب فكان يقول أصبت فعوقبت

(وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء)

(الكيمياء) معروفة الاسم باطلة المعنى وليعقوب الكندى رسالة بديعة سماها ابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ويقال ان أبا بكر الرازى رد عليه فى رسالته ورأيت لابى عثمان الجاحظ فى كتاب الحيوان عند ذكر خلق الفار من الطين كلاما فى الكيمياء بعد فيه وقرب ولم يخرج على شئ من ابطالها وتحقيقها

بحرف الجر فنقول ان الانتظار كان حاصلا من المؤمنين فى الدنيا فلا فائدة فى ذكره يوم القيامة فلا بد من شئ زائد على ما كان حاصلا قبل وهو النظر الى وجه الله الكريم جعلنا الله بفضله ممن يؤهل لذلك المقام ويخص بذلك الانعام العام وأورد الزمخشرى فى تفسيره هذين البيتين وهما قول بعض العداية

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وأجاب عنهما بعض أهل السنة بقوله

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا * بالعدل مافيهم لعمرى معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

وعلى ذكر قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال قرأ بعض المغفلين فى بيوت أذن الله أن ترفع برفع بيوت فقال له آخر يا أخى انما القراءة فى بيوت بالجر فقال له يا مغفل اذا كان الله تعالى يقول فى بيوت أذن الله أن ترفع تجرها أنت ومن نوع الآية الكريمة قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

(رجع) بمياه جار ومجرور متعلق بسقيت والباء هنا زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأنت زائدة مع المفعول لان سقى يتعدى بنفسه تقول سقاه وأسقاه بمعنى و(الغنج) مضاف الى مياه والاضافة معنوية مقدرة باللام (والكحل) معطوف على الغنج والجملة من قوله قد سقيت الخ فى موضع النصب على الصفة لناشئة (المعنى) نقصد فتاة أو فتيات ناشئة بمنعطف الوادى ونصالها التى تحميها قد سقيت بمياه الغنج والكحل وهذا معنى قد أولع الشعراء به وأكثروا منه وهو أشهر من أن يستشهد له ولا بد من لمة منه قال ابن الساعاتى

حال من دونك يا أخت الكلل * مقل الحى وفرسان الاسل
ومواض مرهفات فتكت * بى وحاشاك ولا مثل الكحل

وقال أبو الشيص

يرمين ألباب الرجال بأسهم * قد راشهن الكحل والتهديب

وما أحسن قول عمر بن أبى ربيعة

تنكر الاثمد ماتعرفه * غير أن تسمع منه بخبر

يعنى أنها تستغنى عنه بالكحل الذى فى أجفانها وهذا يشبه قول المجنون

موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

ومن هنا أخذ ابن النبيه قوله

بيضاء كحلاء لها ناظر * منزه عن لوثة المرود

وقوله منزه أبلغ من قول المجنون ترغب وأحسن فى الذوق وقال ابن سناء الملك

تحطو وتخطر فى حلى وفى حال * وتمزج السحر بين الكحل والكحل
كحلاء ماكحلت بالميل عاينه * الا انتفض جفنيها من الكسل

وقال أيضا من أبيات

والصحيح الاشهر عدم الصحة فيها ولذكرها هنا عقيب صناعة النجوم مناسبة لاقوال الناس فيهما * وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة فى كتاب يعتمد عليه وهذا دليل على قول أكثر الناس انه اسم موضوع وضعه المصنفون فى هذا الفن وزعموا انه كان فى زمن جعفر الصادق وانه اذا قال فى كتبه قال لى سيدى وسمعت من سيدى فانه يعنى به جعفر الصادق ومع ذلك فان الله تعالى أعلم بحقيقتها (واعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق)

هو ابراهيم بن سيار بن هانئ البصرى المعروف بالنظام ويكنى أبا اسحق شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم شديد الغوص على المعانى وانما أداه الى المذاهب التى استشنعت منه تدقيقه وتغلغله فانه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال فى كلامه الى الطبيعيين منهم والالهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم مثل قوله ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى خلافا لاصحابه لانهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه

لهـا ناظر ياحيرة الظبي اذرنا * به كحل ناداه ياخجلة الكحل
وأثقلها الحسن الذي قد تكاثرت * ملاحته حتى تثنت من الثقل

قال ابن حجة قوله لها ناظر تحققنا ذلك ثم قال ياحيرة الظبي ولم يحترم مع وجود المقاربة وعدم المباينة ثم جعل العلة في حيرته وجود الكحل ان هذه قريحة قريحة وفكرة غير صحيحة وهذا ان سلم ممن يأخذ عليه على المجازاة باذ وليست من حروف المجازاة وهل ينبغي أن يقول قائل اذ يقوم زيد قام عمرو ويريد بذلك التعليق وانما أراد سبك مثل المتنبي

* ليس التكحل في العينين كالكحل * ومن أحسن ما نقلته في التكحل والكحل قول بعضهم

زادت على كحل الجفون تكحلا * ويسم نصل السيف وهو قتول

وقال بعد كلام ساقه على البيت وقوله وأثقلها الحسن هذا اقلب المعنى الذي ليس يعنى وذلك أن الحسن فيما يظهر هو رونق يكون على محيا شخص فيستحسن به والملاحة هي وان كانت البياض في الأصل فهي في الاستعمال صفة صورة الذات من الحاجب والعين والانف والفم ولهذا يقال في العرف مليح حسن يعني ان الذات مكملة بالملاحة في صورة مستحسنة عند تأملها لبلوغ الامل ثم قال ولا ينبغي أن يقال هو حسن مليح لانه يجعل الوصف الذاتي تبعا لغيره وكان الصواب أن يقول أثقلتها الملاحة التي تكاثر حسنها ثم قال حتى تثنت من الثقل لو رفع ثاء الثقل لكان أليق بالبيت وبصنعه فلا يقال له أهويت ولا أوهيت وهل يتثنى الانسان من الثقل وانما يمشي قطعة واحدة في حال الثقل ثم قال وقد وكلت شرح هذا البيت لعجزي عن معناه الى عريف الجمال ابن فعساه يعرف معناه ولقد أحسن الاعشى حيث يقول

كأن مشيتها من بيت جارتها * مشي السحابة لا ريث ولا عجل

وقال بشار بن برد

اذا قامت لحاجتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

انتهى (قلت) هذا لعمري نقد حسن وسبيل ألقى اليه العنان والرسن ولو كان لي في البيت الاول حكم لقلت * لها ناظر ياحيرة الظبي عنده * وخلصت من اذ وعدم وضعها للمجازاة وأما قوله وأثقلها الحسن فابن حجة معذور فيه لان حسنا يثقل صاحبه سمج باردغث لان الحسن انما يفيد الخفة والحركة والنشاط وما مدح شئ بالثقل غير الارداف وما يتركها الشعراء بل يقرنونها بخفة الخصر ورشاقة القد ومنه قول شمسة الموصلية

هيفاء ان قال الشباب لها انهضي * قالت روادفها اقعدي وتمهلي

وقول الآخر وهو في غاية الحسن

هيفاء ان خطرت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وقول ابن رشيق

أجل ألقى على ردفه * وأمسك الخصر لئلا يضيع

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته

سألت النقا والبان يحكي لناظري * روادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

فلما أصبحت أنشدته في معناه

لا يفعلها ومثل قوله ان الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت وقوله ان الله تعالى خالق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونبات وحيوان وانسان ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض وهذا قول أهل الكمون من الفلاسفة وقوله في القرآن ان في قوى البشر أن تأتي بمثله الا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك الى غير ذلك من مسائله المذكورة في كتب الاصوليين ومراد ابن زيدون بالحقائق غير ذلك من مسائله الحسنة المعجبة فانها كثيرة وانما عدت سقطات النظام لكثرة اصابته وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة (حكي) أن أباه جاء به وهو صغير الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة قال أبمدح أم بذم قال بمدح قال تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراءها قال فذمها قال يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر قال فصف لي هذه النخلة وأومأ الى نخلة في داره قال بمدح أم ذم قال بمدح قال حلو جناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال صعبة

يقول ردف حبيبي * وعطفه المثنى
ما أنت يا غصن قدى * ولا كثيبك وزنى

فقال ما أشبه نظمى ونظمك الا ببشار بن برد وسلم الخاسر (قلت) يريد بذلك قول بشار بن برد

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاخذه منه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

والخفة أمر يطلب فى كل شئ ويستحسن الا تراهم يصفون الكؤس بها اذا ملئت مداما ولهذا قال الشاعر

ثقلت زجاجات أتتنا فرغى * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقال ابن حمديس

ويخف ملآنا ويثقل فارغا * كالجسم تعدم روحه أو توجد

وقال أيضا

تخف ملأى وتعطى الثقل فارغة * كالجسم عند وجود الروح أو عدمه

وذكرت بقوله لا يعرفه الا عريف الجمال ابن مادار بين الصاحب جمال الدين بن مطروح وبين معين الدين بن لؤلؤ وقد دخل عليه يوما فانشده الصاحب وقال انظر ما أحسن هذا النظم

مازلت أضممه الى أحشائى * حتى وهت من ضمه أعضائى

فقال له معين الدين الله الله يا مولانا الصاحب قلت هذا المسكين بالله ارفق به فاغتاظ الصاحب منه وقال أليس هذا أحسن من شعرك الذى للتراسين حيث تقول

* اياك اياك منه والغرام به * فقال يا مولانا الصاحب ما أردت أن تقول الا كما قال بعضهم

أعانقه واشفاقى عليه * ينفس عنه من ضيق الخناق

فاعترف له بالاحسان وأما قول بشار بن برد * اذا قامت لحاجتها تثنت * البيت فقد حكى أن بشارا ما سمع قول كثير عزة

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

قال قاتل الله أبا صخر يزعم أنها عصا ويعتذر بانها خيزرانة والله لو قال عصا مخ أو عصا زبد لكان قد هجنه ذكر العصا هلا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها ثمر الجنان

اذا قامت لحاجتها البيت وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى الشيخ علاء الدين على بن خطاب الباجى الاصولى لنفسه

رنى لى عذلى اذ عاينونى * وسحب مدامعى مثل العيون
وراموا الكحل عينى قلت كفوا * فأصل بليتى كحل الجفون

وأنشدنى الشيخ الامام الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة قال أنشدنى لنفسه شيخنا الامام مجد الدين محمد بن الظهير الاربلى الحنفى أبياتا أولها

غش المفند كامن فى نصحه * فأطل وقوفك بالغوير وسفحه

ومنها

المرتقى بعده اختى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بنى نحن الى التعلم منك أحوج ثم اشتغل على أبى الهذيل العلاف بمذهب الكلام الى أن برع وظهر فى أيام المعتصم وتبعه خلق كثير وكان أصل مذهبهم أنه من زعم أن الله تعالى شئ فهو كافر ثم ناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مرارا وقيل له أتناظر أبا الهذيل قال نعم وأطرح له رخامن عقلى (وحكى) الجاحظ عنه فانه كان من أكبر تلامذته وأصحابه قال دخل أبو اسحق النظام على أبى الهذيل وقد أسن وبعد عهده بالمناظرة وأبو اسحق حدث السن فقال يا أبا الهذيل أخبرنى عن قول من زعم أن يكون جوهرا حافة أن يكون جسما فهلا فر ثم من أن يكون جوهرا مخافة أن يكون عرضا والجوهر أضعف من العرض فبصق أبو الهذيل فى وجهه فقال أبو اسحق قبحك الله من شيخ فما أضعف حجتك (وحكى) عنه قال مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى اليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فرآه محترقا فقال أبو الهذيل لا اعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لانه لم يقرا

ومنها

وبى الذى يغنيه فاتر طرفه * عن سيفه وقوامه عن رمحه
ظبى يؤنس بالغرام نفاره * ويجد فى نهب القلوب بمزحه
ذو وجنة شرقت بماء نعيمها * كالورد أشرقه نداه برشحه
وكأن طرته وضوء جبينه * ليل تألق فيه بارق صبحه
ياشاهرا من جفنه عضبا غدا * ماء المنية باديا فى صفحه
قلبى وطرفى ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما فى جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

وانما أثبت هذه الابيات وان كان أكثرها ليس له علاقة ببيت الطغرائى لحسن نظمها وانسجام لفظها وانظر الى قافية البيت الأخير وعكنها فى محلها كأنها الشمس فى الحمل أو الدرة التى تم بها حسن العقد وكل والقافية روح والبيت جسد فتى قلقت فيه ضعف تركيبه وفسد وتمكن القوافى دليل على قوة الناظم فى فنه وقلقها أدل على وقوف قريحته وجمود ذهنه وقال التهامى

طرقته فى أترابها فجلت له * وهنا من الغرر الصباح صباحا
أبرزن من تلك العيون أسنة * وهززن من تلك القدود رماحا
ياحبذا ذاك السلاح وحبذا * وقت يكون الحسن فيه سلاحا

وفى بيت الطغرائى من أنواع البديع الكناية وهى أبلغ من الصريح وأوقع فى النفوس ألا ترى ان قولك بعيدة مهوى القرط أبلغ من قولك طويلة العنق وقول امرئ القيس

ويضحى فتيت المسك من فوق فرشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

أبلغ من قوله منعمة ذات خدم وجوار يخدمونها فهى تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة وامرؤ القيس أبدع الناس فى الكناية لان الناس كانوا يقولون أسيلة الخد حتى جاء هو فقال أسيلة مجرى الدمع وكانوا يقولون طويلة القامة وتامة العنق حتى قال بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون فى الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وما أشبه ذلك حتى قال قيد الاوابد * وعلى ذكر مهوى القرط أقول قد أنشدنى شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه شيخنا مجد الدين بن الظهير الاربلى من أبيات

حكى قرطها قلبى خفوقا فهل رثى * له أو عراه الوجد أو راعه الهوى

وهو فى غاية الحسن لانه استوفى أقسام الأسباب الموجبة لاضطراب القرط وما أحسن قول ابن سناء الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

وأخذه البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فقصر عنه اذ قال

وأحوى فاتر الاجفان ألمى * رشيق قده رخص البنان
تملك قرطه والقلب منى * فصار له بذاك الخافقان

وقال ابن الساعاتى

كتاب الشكوك فقال أبو الهذيل وما كتاب الشكوك قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك أنت فى موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات وشك أيضا فى انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه فخصر صالح وكان مذهبه مذهب السوفسطائية فانهم يزعمون أن الاشياء لا حقيقة لها وان ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده وان حال اليقظان كحال النائم (وحكى) الجاحظ قال تجاذبت يوما أنا واياه حديث الطيرة فقال أخبرك انى جعت حتى أكلت الطين وما صرت الى ذلك حتى قلبت قلبى أتذكر هل ثم رجل أصيب عنده غداء او عشاء فما قدرت عليه وكان على جبة وقميص فبعت القميص ثم قصدت الاهواز وما أعرف بها أحدا وما كان ذلك ناشئا الاعن الحيرة والضجر فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة فى صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضا فقلت للملاح تحملنى قال نعم قلت ما اسمك قال داود بالفارسية وهو

يزول زوال الظل صبري وعهدها * ويخفق خفق الآل قلبي وقرطها
وما ألطف ما اعتذر به الوراق الخطيري عن خفق الفؤاد عند رؤية المحبوب في قوله

يقول لي حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
ما القلب منك أضحى * بخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه

ومنه قول الآخر

لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدي حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر

وما أحسن قول ابن سناء الملك

أوسعت فيه الدهر عتبا ولما * فأجابني بالافك والبهتان
قلبي يحاسبني على اجرامه * ويعدها بأنامل الخفقان

وقول القاضي الفاضل

وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل في عمر العدو تحاسبه

وقول معين الدين بن لؤلؤ

لم أنسه اذ قال أين تحلني * حذرا علي من الخيال الطارق
فاجبته قلبي فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا في خافق

على انه أخذه من قول الآخر

وسكنت قلبا خافقا * ياساكنا في غير ساكن

---

*(قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ومن بخل)*

(اللغة) أحاديث جمع حديث على غير قياس قال الفراء يرى أن واحد الاحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث (الكرام) جمع كريم ويجمع أيضا على كرماء والكريم ضد البخيل تقول قد كرم بالضم فهو كريم وهو أيضا ضد اللئيم لان الكريم هو الذي يجمع الصفات الحميدة وهذا المعنى هو المراد في البيت وما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

بالروح أفدي معرضا لم أزل * في كل وادمن هواه أهيم
مبخل يشبه ريم الفلا * واطول شجري من بخيل كريم

ونقلت من خط علاء الدين الوداعي له

ما أنت أول سائل محروم * من باخل بادي النفار كريم

وأخذه الوداعي من نور الدين الاسعردي فانه قال في غلام مغن

وغزال أغن غني فأغرى * اذ شدا بالغرام كل مليم
قلت جد لي بقبلة قال خذها * وارتشف من لماي بنت الكروم
است أبغي ما عشت عنه سلوا * كيف أسلو عن حب شاد كريم

وحاولت أنا نظم شيء في هذه المادة ففتح علي فقلت

كفلت حل غرامي * له بفرط نحولي
فهل سمعتم بغيري * في السقم مضنى كفيل

اسم شيطان فتطيرت فركبت معه فلما اقتربت من الفرضة صحت يا جمال ومعي لحاف سمل ومضربة خلق وبعض ما لا بد لي منه فكان أول جمال أجابني أعور فقلت ليقارك كان واقفا بكم تكري ثورك هذا الى الخان فلما أدناه مني اذهو أعضب فازددت طيرة الى طيرة وقلت في نفسي الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتي الى أكل الطين وقلت ومن لي بالموت فلما اصرت الى الخان وأنا حائر ما أصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذي أنا فيه فقلت من هذا فقال رجل يريدك فقلت من أنا فقال ابراهيم بن سيار النظام فقلت هذا عدو ورسول سلطان ثم اني تحاملت وفتحت له الباب فقال أرسلني اليك ابراهيم ابن عبد العزيز ويقول لك ان كنا اختلفنا في المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت بي على حال كرهتها وينبغي أن تكون نزعت بك حاجة فان شئت فاقم بمكانك مدة شهر أوشهرين فعسى نبعث اليك ببعض ما يكفيك زمانا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد علي أمر أدهلني اما واحدة فاني لم أكن ملكت

وقلت أيضا

واخوان وثقت بهم فأضحى * أذاهم يعتريني كل حين
ولما أن أسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقين

(ي)

(رجع) الكرام جمع كريمة (الجبن) ضد الشجاعة وما أحسن قول ابن النقيب فيما أظن

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعوني فاني آكل الخبز بالجبن

وكتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتابا الى الملك الظاهر مع زيتون الفرنجي قريبا من عكا وهرب زيتون وأسر غالب من كان معه من الفرنج فجا من جملة الكتاب وفر زيتون من الجبن قيل ان الظاهر لما سمعها أعجبته وخلع عليه والجبن الذي هو ضد الشجاعة مخفف والذي يؤكل مشدد النون وقد تخفف وتقول في الاول قد جبن بكسر الباء وضمها فهو جبان (البخل) بضم الباء وسكون الخاء وعن الكسائي بتحريك الخاء مضمومة وهو ضد الكرم (الاعراب * قد) تقدم الكلام عليها (زاد) فعل ماض وانما بني الماضي على الفتح لانه أخف الحركات (طيب) مفعول به وقد تقدم الكلام على المفعول به (أحاديث) مجرور بالاضافة وهي بمعنى اللام ويجوز أن تكون بمعنى في (الكرام) مضاف الى أحاديث والاضافة بمعنى اللام أيضا (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير وهو راجع الى ناشئة والباء هنا تصلح أن تكون بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وانما قلت انها بمعنى عن لانك تقول حدثت عنه ويحتمل غير ذلك (ما) اسم ناقص بمعنى الذي ولا يتم الا بصلة وعائد وموضعها من الاعراب الرفع على أنها فاعل زاد ومفعولها طيب الذي تقدم وما تأتي في الكلام لمعان منها أن تكون للتعجب كقولك ما أحسن زيدا ومنها أن تكون للنفي كقولك ما قام زيد ومنها أن تكون للاستفهام عما لا يعقل وعن صفات من يعقل فاذا قلت ما عندك قيل فرس واذا قلت ما زيد قيل عالم وهنا تنبيه وهو أنها في هذه المواطن لا تحتاج الى صلة ولا صفة لانها أمكنة ابهام ومنها أن تكون للشرط كقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله ومنها أن تكون مصدرية كقولك أعجبني ما عملت أي عملك وكقوله تعالى بما كانوا يكذبون أي بتكذيبهم ومنها أن تكون بمعنى الذي فهي تحتاج حينئذ الى صلة وعائد كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أي بالذي تؤمر بالصدع به فحذفت الباء فاجتمعت الالف واللام والاضافة فحذفتا فبقي بصدعه ثم حذف المضاف فبقي به ثم حذف الجار فبقي تؤمره ثم حذفت الهاء العائدة وهو الكثير قال الاصفهاني في شرح اللمع لم يأت في القرآن اثبات العائد الا في ثلاث آيات وهي الذي يتخبطه الشيطان من المس وكالذي استهوته الشياطين واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا * وعلى ذكر ما الموصولة أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال أنشدني والدي أبو عمرو محمد قال أنشدني والدي أبو بكر محمد قال أنشدني ابن عروة القيسي قال أنشدني أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن علي بن سعيد بن حزم الظاهري لنفسه

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذي * تراه كعمرو بين عرب وعجم
فان صديق السوء يزري وشاهدي * كما شرقت صدر القناة من الدم

قلت قوله مثل ما أي صديقا يحتاج الى ما يكمله كاحتياج ما الموصولة الى الصلة والعائد

قبل في جميع دهري ثلاثين دينارا والثانية انه لم يطل مقامي وغيبتي عن أهلي والثالثة ما تبين لي من الطيرة انها باطل * وتوفي النظام سنة احدى وعشرين ومائتين وله من العمر ست وثلاثون سنة وله كلام حسن وشعر رقيق ومن كلامه العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فانت من اعطائه لك البعض على خطر وقال كنا نلهو بالاماني ونعد أنفسنا بالمواعيد فذهب من كان نعتز ثم اشتغلنا بالهموم عن الآمال وقال مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام فالشئ يصير الى شبهه والجنسية علة الضم * وقال اذا كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فان المصيبة عندك أكثر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت في مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغي أن ينادم هذا الا الأعمى ثم نظر المعنى في شعره ومن شعره

ذكرتك والراح في راحتي * فشبت المدام بدمع غزير
فان ينفد الدمع فرط الاسى * بكتك الحشى بدموع الضمير

ومنه أيضا

واحد الذي تراه كعمرو أي صديقا فيه زيادة لا حاجة اليها كالواو التي في آخر عمرو لان صديق السوء يزري بصاحبه كما ان المؤنث اذا جاور المذكر اكسبه التأنيث كقولهم ذهبت بعض أصابعه وكقول الاعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر الذي هو مذكر لما اضيف الى القناة أنث فعله وهو شرقت والتأنيث سوء بالنسبة الى التذكير قال الله تعالى قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وهذا البيت مما أنشده سيبويه وأهل الكوفة يستشهدون به وساقه ابن السكيت في كتاب المذكر والمؤنث له ويحتمل أن يكون اراد بالذي كعمرو عمرا الذي في قول الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

والاول أليق وأحسن وما احسن قول أمين الدين المحلي

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لأرباب الصدور تصدرا

واياك أن ترضى بصحبة ناقص * فتنحط قدرا عن علاك وتحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يحقق قولي مغريا ومحذرا

(قلت) قد تركت هذا المعنى غفلا ولم أوضح لك معناه لتعمل فيه فكرك وتشحذ ذهنك في استخراج النكتة منه فانه اذا ظهر لك هز عطفك وكاد يطير بلبك (رجع) ومنها أن تكون نكرة موصوفة كقول الشاعر

ربما تكره النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

أي رب شيء مكروه ومنها أن تكون زائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وعما قليل ومنها أن تكون كافة وهي التي تدخل على ان واخواتها وعلى رب فتكف الجميع عن العمل كقوله تعالى انما الله اله واحد ومن العرب من يقول انما زيدا قائم بنصب زيد وابقاء عمل ان وقد جمع بعضهم هذه الانواع التسعة في بيت واحد فقال

تعجب بما اشرط زد صل انكر واصفا * وتستفهم انف المصدريه واكففا

وقد تكون ما بمعنى ليس فتعمل عملها فترفع الاسم وتنصب الخبر وسألت الشيخ الامام أثير الدين أبا حيان في كم موضع من القرآن وردت ما بمعنى ليس فقال في ثلاثة مواضع * احدها ماهذا بشرا * والثاني فما منكم من احد عنه حاجزين وزعم بعضهم أن حاجزين صفة لاحد وليس بشيء لان الصفة يستغنى عنها والخبر محط الفائدة * والثالث ماهن أمهاتهم وهذه لغة الحجاز فأما بنو تميم فانهم يرفعون معها الجزأين فيقولون ما زيد قائم ومنه قول القائل

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فاجاب ما قتل المحب حرام

يعني أجاب انه من بني تميم لانه نطق بلغتهم (رجع) بالكرائم جار ومجرور والباء هنا للالصاق وهذا الجمع لا يقع بهذه الصيغة الا للمؤنث وشذ منه ثلاثة جموع وهي فوارس وهوالك ونواكس أما فوارس فلانه لا يكون الا في الذكور ولا يكون في الاناث فامن فيه اللبس وأما هوالك فانما جاء في المثل هالك في الهوالك جريا على الاصل والامثال يجيء فيها ما لا يجيء في

يا تاركي جسدا بغير فؤاد
أسرفت في الهجران والابعاد
ان كان يمنعك الزيارة أعين
فادخل الي بعلة العواد
ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الاجساد

ومنه

أريد الفراق وأشتاقكم
كانا افترقنا ولم نفترق
واستغنم الوصل كي أشتفي
وهل يشتفي أبدا من عشق

ومنه

يروع منا جيه بهاروت لفظه
ويؤنسه منه بصورة آدم
نرى فيه لاما فوق وردة فوق وردة
وفصا من الياقوت من فوق خاتم

ومنه

وشادن ينطق بالظرف
يقصر عنه منتهى الوصف
رق فلو برت سرابيله
علقه الجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره
ويشتكي الايماء بالطرف
أفديه من معرى بما سامني
كانه يعلم ما أخفي

وقيل له وهو في مرضه وفي يديه قدح من زجاج مملوء من بعض الادوية ماهذا فقال

أصبحت في دار بليات
أدفع آفات بآفات

(وجملات للكندي ربما استخرج به الدقائق)

غيرها وأمانوا كس فاجاء الا فى ضرورة الشعر والجوابان الاخيران ليس فيهما تعليل يعتمد عليه والجار والمجرور متعلق بمحذوف لازم اضماره لوقوع الجار والمجرور صلة للموصول وهو ما التى تقدمت فى قوله مابال الكرائم تقديره قد زاد طيب أحاديث الكرام بها الذى استقر بالكرائم أو الذى يكون بالكرائم *(قاعدة)* كل جار ليس بزائد ومجرور أو ظرف لابد وان يتعلق بفعل أو بما فيه معنى الفعل وما فيه معنى الفعل الاسماء التى تعمل عمل الفعل والجار والمجرور والظرف اذا تعلقا باستقرار محذوف فالجار والمجرور مثل زيد فى الدار أى مستقر فى الدار والظرف مثل زيد عندك أى مستقر عندك والمتعلق اما أن يكون ملفوظا به أو مقدرا والمقدر اما أن يكون لازم الاضمار أولا ولازم الاضمار له أربعة مواضع *الاول أن يقع خبرا لذى خبر *الثانى أن يقع صفة لموصوف *الثالث أن يقع صلة لموصول *الرابع أن يقع حالا لذى حال ففى الصلة لا يقدر الا بالفعل لان الصلة لا تكون الا جملة وفى البواقى بالفعل وغيره وغير لازم الاضمار كقولك بزيد فى جواب من قال بمن مررت (رجع) من جبن جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (ومن بخل) معطوف عليه (المعنى) قد زاد طيب الاحاديث بين الكرام اذا تسامروا ما يوجد فى النساء الكرائم من الجبن والبخل وهاتان الصفتان محمودتان فى النساء مذمومتان فى الرجال لان المراة اذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فأوقعت به فعلا ادى الى هلاكه أو مكنت من الخروج من مكانها على ما تراه لانها لاعقل لها يمنعها مما تحاوله وما يصدها عما تقتضيه عقلها الجبن الذى عندها والخوف فاذا لم يكن لها مانع من الجبن قدمت على كل قبيح وتعاطت ما تختاره اقداما منها على ما يأمرها به عقلها *وقصة شرحبيل بن الحريث مع زوجته مية بنت عمرو بن مسعود مشهورة وملخصها أنها كانت نائمة الى جانبه فى الفراش فاقبل أسود سالخ فتخافاه لينهشه والسراج يزهر فأخذت بحلقه وخنقته الى أن مات وتركته تحت الفراش فلما أصبح جاء أبواه اليه ليصبحاه وكانا يفعلان ذلك كل يوم تعظيما له فاخرجت السالخ اليهما ميتا فقالوا من قتل هذا قالت أنا ولو كان أشد منه لقتلته فقال أبوه ياشرحبيل خل عنها فهى للرجل أقتل فطلقها مكرها *وفى كتاب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضى بمدينة الرملة لما أمسكها بالليل بالجبانة وهى تنبش القبور وكانت بكرا فضربها فقطع يدها وهربت منه فلما أصبح ورأى كفها ملقى وفيه النقش والخواتم علم أنها امرأة فتتبع الدم الى أن رآه قد دخل بيت القاضى فما زال حتى تزوجها ولما كان بعض الليالى لم يشعر بها الا وهى على صدره وبيدها خنجر فما زالت به حتى حلف لها بطلاقها على انه يخرج من هذه البلدة ولا يعود اليها أبدا واذا كانت المراة سمحة جادت بما فى بيتها فاضر ذلك بحال زوجها ومتى علم منها الجود ربما يطلب منها ربما حصل الطمع فيها بأمر آخر وراء ذلك ولهذا جاء فى القرآن العظيم فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ولان المراة ربما جادت بالشىء فى غير موضعه قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قيل النساء والصبيان وبالجملة فما حمد أحد من العقلاء كرم المراة ولا شجاعتها وما أحسن قول أبى اسحق الغزى

غريرة تخطف الابصار شاخصة * من حولها بروق البيض والاسل

تنمى الى القوم جادوا وهى باخلة * والجود فى الخود مثل الشح فى الرجل

(الكندى) هو يعقوب ابن الصباح المسمى فى وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس كان أبوه ابن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها فى أيام المهدى والرشيد وانتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فاتقنها وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوائده وتلامذته وكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته وهى كثيرة جدا ومن أجودها كتاب أقسام العقل الانسى وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى *وله أخبار حسنة ونوادر فى البخل وغيره فمن أخباره حكى انه كان حاضرا عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام فانشده قصيدته السينية فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم احنف فى ذكاء اياس

قال الكندى ما صنعت شيأ قال كيف قال ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الاترى الى قول العكوك فى أبى دلف حيث قال

وانظر ما أحسن هذا النصف الثاني من البيت الثاني فان فيه مع ارسال المثل الجناس بين الجود والخود وهو جناس التصحيف وقال أيضا

من ضنها بالطيف توعدنا * ليطير طيب النوم بالمقل
دعها فلو سمحت به سمجت * جود النساء يعد في البخل

وكذا اتفق له في هذا البيت الثاني الجناس المصحف في سمحت وسمجت وهو مأخوذ من قول علية بنت المهدي

بني الحب على الجور فلو * أنصف المحبوب فيه لسمج

وما أحسن قول ابن الرومي

ما للحسان مسيئات بنا ولنا * الى المسيئات طول الدهر احسان
فان تبعن بعهد فلن معذرة * انا نسينا وفي النسوان نسيان
لا نلزم الذكر انا لم نسم به * ولا نمنحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وباس وأحلام وأذهان
وأن فيهم وفاء لا نقوم به * وهل يقوم مع النقصان رجحان

وقال ابن نباتة السعدي

كسلى تزور مع الظلام لها * طيف فأعدى طيفها الكسل
بخلت بما جاد الرقاد به * ومن الغواني يحسن البخل

وما أبلغ قول ابن المبارك يهجو

ياواسطيون ثقوا انني * بهجوكم بين الورى مولع
ما فيكم كلكم واحد * يعطى ولا واحدة تمنع

(تبيت نار الهوى منهن في كبد حرى ونار القرى منهم على القلل)*

(اللغة) تبيت اي تمسي (النار) معروفة وهي هنا مجاز وفي قوله نار القرى حقيقة والنار عنصر مضيء مركزه فوق الهواء لانها حارة يابسة والهواء حار رطب فنزل عنها والهواء مركزه فوق الماء لان الماء بارد رطب فنزل عن الهواء والماء مركزه فوق الارض لانها باردة يابسة فالنار والهواء يطلبان فوق والماء والارض يطلبان أسفل لانك اذا نكست الشعلة الى أسفل انقلبت الى فوق واذا ملأت زقا مثلا هواء وقسرته على المكث في الماء ورفعت القاسر طلب الزق جهة فوق وعلا الماء واذا تحيلت على صعود الماء الى فوق بالفوارات والزرافات بلغ غاية الرفع ثم أخذ في الهبوط واذا حذفت الحجر الى فوق بلغ غايته ثم تصوب منحدرا وترتيب النار أولا والهواء ثانيا والماء ثالثا والارض رابعا هو الصحيح ومنهم من قال ان الارض في وسط العالم ومنهم من قال انها أول العناصر ثم تلطف الماء عنها ثم تلطف الهواء عنه ثم تلطفت النار عنه ومنهم من قال ان الماء هو أصل الاربعة والارض كثيفة والذى علاها لطيف ومنهم من قال الهواء الاصل فالنار لطيفة والذى سفل عنه كثيف والصحيح الاول على ما تقرر في الطبيعي لان حدوث النار مسبب عن اصطكاك أجرام الافلاك والكلام في هذا يطول وهو مستقصى في أماكنه من كتب الحكمة وقول ابليس خلقتني من نار وخلقته من طين افتخار بعنصر النار لانه مضيء مشرق فاعل الحرارة التي هي سبب النمو والنشوء ومركزه فوق

رجل أبر على شجاعة عامر بأساوغبر في محيا حاتم
فاطرق أبو تمام ثم أنشد
لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس
ولم يكن هذا في القصيدة فتعجب منه ثم طالب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد يكون في ذلك الوقت ظهرت له دلائل من شخصه على قرب أجله وسمع الكندي انسانا ينشد ويقول
وفي أربع مني حلت منك أربع
فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
خيالك في عيني أم الذكر في فمي
أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي
فقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا *وقال يوما لجارية كان يهواها اني أرى فرط الاعتياصات من المتوقعات على طالبي المودات مؤذنات بعدم المعقولات فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقالت ان اللحى المسترخيات على صدور أهل الرقاعات محتاجات الى المواسي الحالقات *ومن نوادره وكلامه في

ويعارض بأن الارض مركز الحياة والنشو للحيوان والنبات بخلاف النار فانها اذا استولت على شئ من ذلك أفسدته وهى مفرطة الكيفية والارض معتدلة وان كانت النار حسنة اللون فى الحس الباصر فانها مضرة بحس اللمس والارض لا تؤذى باللمس فثبت أن النار ليست أشرف من الارض خلافا لبشار بن برد فانه قال فى ذلك

ابليس خير من أبيكم آدم * فتنبهوا يا معشر الفجار
النار جوهرة وآدم طينة * والطين لا يسمو سمو النار

وقال بعضهم النار عند العرب أربعة عشر نارا وهى نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصى بن كلاب ونار الاستسقاء كانوا فى الجاهلية اذا تتابعت عليهم السنون جمعوا ما قدروا عليه من البقر وعلقوا فى عراقيبها وأذنابها العشر والسلع ثم صعدوا بها فى جبل وعر وأضرموا فيها النار وضجوا بالدعاء يزعمون أنهم يمطرون بذلك ونار التحالف كانوا لا يعقدون الحلف الا عليها ويطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا فى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان ونار السلامة توقد للقادم من سفره سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم كانوا اذا لم يحبوا أن يرجع الزائر او المسافر أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه ونار الحرب وتسمى نار الأهبة يوقدونها على يفاع اعلاما لمن بعد عنهم ونار الصيد يوقدونها للظباء لتعشى أبصارها ونار الأسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها أحدق اليها وتأملها ونار السليم توقد للدوغ اذا سهر والمجروح اذا نزف ومن الكلب الكلب يوقدونها حتى لا يناموا ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التى يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار القرى وهى أعظم النيران ونار الحرتين وهى التى أطفأها الله بخالد بن سنان العبسى احتفر لها بئرا ثم أدخلها فيها والناس يرونه ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها (رجع) الهوى مقصور ميل النفس وجمعه أهواء (الكبد) واحدة الاكباد وفيها اللغات كبد بالتحريك والسكون و(حرى) مؤنث حار (القرى) الضيافة (القلل) جمع قلة وهى أعلى الجبل وقلة كل شئ أعلاه (الاعراب * تبيت) فعل مضارع تقول بات يبيت ويبات بيتوتة وبياتا وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وبات من أخوات كان (نار) مرفوع على أنه اسم بات و(الهوى) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير والضمائر كلها مبنية وهن ضمير جماعة المؤنث يرجع الى فتيات الحى ونسائه اللاتى تقدم ذكرهن (فى كبد) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف وهذا الجار والمجرور سد مسد الخبر الذى لبات لانها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر تقديره تبيت نار الهوى منهن مستقرة فى كبد (حرى) مجرور على الصفة لكبد وقد وافق الموصوف فى الافراد والتأنيث والتنكير والجر لان الكبد مؤنثة وحرى لا ينصرف لانه مؤنث بالالف المقصورة لان ألف التأنيث سواء كانت ممدودة أو مقصورة تمنع الاسم من الصرف وهى علة مستقلة تمنع الصرف بخلاف التاء وانما كان كذلك لان مطلق التأنيث فرع ولزومه كتأنيث آخر والالف بهذه المنزلة لانها لازمة مع الكلمة من أول الامر والتاء تنفك فى المذكر ولان الالف

البخل كان يقول من شرف البخل أنك تقول للسائل لا ورأسك الى فوق ومن ذل العطاء أنك تقول نعم وأنت برأسك الى أسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت وقال عمرو بن ميمون تغديت يوما عند الكندى فدخل جار له فدعوته الى الطعام فقال الرجل والله لتغديت فقال الكندى ما بعد الله شئ فكتفه كتافا لو نشط لبأكل معه لكان كافرا ومن وصيته لولده يابنى كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فان مالك اذا خرج عن يديك لم يعد اليك واعلم أن الدينار محموم فاذا صرفته مات واعلم انه ليس شئ أسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر ومثل الدرهم كمثل الطير الذى هو لك ما دام فى يدك فاذا طار عنك صار لغيرك وقال المتلمس

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال خير من فناء
وسير فى البلاد بغير زاد

واعرف هنا بيتا بيت أكثر من مائة ألف فى المساجد وهو قول القائل

تستمر فى الجمع ولا تفارق فى مثل حبلى وحبالى واما التأنيث بالتاء ففارق مثل مسلمة ومسلمات ولهذا لم يدخل حرى التنوين وحرى يكتب بالياء (ونار) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والنار هنا حقيقة وفى الاول مجاز وهو مرفوع على أنه اسم ثان لتبيت (القرى) مجرور بالاضافة وهى هنا معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور والهوى والقرى يكتبان بالياء أيضا لانهما من هويت وقريت (منهم) اعرابه كاعراب منهن و(على القلل) جار ومجرور متعلق بمحذوف كما قلنا فى كبد وعلى هنا للاستعلاء وقال فى النار الاولى منهن لان الضمير يعود الى نساء الحى وفى النار الثانية منهم لان الضمير يعود الى رجاله الذين جعلهم عدا كالاسود (المعنى) أن هذا الحى الذى أريد طروقه له ناران نار لنسائه تبيت فى كبد حرى ونار لرجاله تبيت للقرى مضرمة على القلل وهذا فى غاية المدح لهذا الحى لان نساءه حسان ورجاله كرام وفى قوله كبد حرى منكرا نكتة كانه قال نار نسائه فى كبد واحدة وهى كبدى لانهن غير مبتذلات لمن يراهن فما يشاركنى فى محبتهن أحد ونار قراهم على القلل تبدو لكل ناظر وقد جمع بين وصف النساء ووصف الرجال فى بيت واحد وهو من البلاغة ومن هذا قول ابن الساعاتى

يا دمية الحى الحسان جفانه * لله ما صنعت بنا جفناك
أغنت لحاظك عن ظبات سيوفهم * فبها بلغت من القلوب مناك
أمضى رماحهم قوامك ان يكن * حرب وخير سيوفهم عيناك

وقوله أيضا

وأبى الهوى لو كنت أملك قوة * تذر الوشيج براحتى مكسرا
لطرقت دون الحى غير مراقب * ذاك الكناس ورعت ذاك الجؤذرا
ولزرت بيضاء المضارب صاليا * اما بنار الحرب أو نار القرى
يا دمية الحى المقدس تربه * فكانما يطؤن مسكا أذفرا
آنست نارك فى التهائم دونها * جمرات قومك فى الذوائب والذرا
ويظن غاش أنها ما أضرمت * من فحمة الظلماء الا عنبرا

وأنشدنى الشيخ الامام شهاب الدين محمود وقال أنشدنى الشيخ مجد الدين محمد بن الظهير الاربلى لنفسه اجازة

حيث الاراكة والكثيب الاوعس * واديهيم به الفؤاد مقدس
وبكل خدر منه ليث خادر * أفغابة ذاك الحمى أم مكنس
يا جيرة الحى المظلل بالقنا * هل ناركم بسوى الاضالع تقبس
أضرمتموها للنزيل ودونها * غيران فتاك الحفيظة أشرس

وما أحلى قول أبى طاهر بن حيدر البغدادى

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على تاج الربا * للطارقين ذوائب النيران

وهذه الاستعارة فى غاية الحسن وهو مأخوذ من قول الاول

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار فى الظلماء ألوية حمرا

فمر فى بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
فاحذر يا بنى أن تلحق بهم
* ومن كلامه فى الفلسفة
علوم الفلسفة ثلاثة فاولها العلم الرياضى فى التعليم وهو أوسطها فى الطبع والثانى علم الطبيعيات وهو أسفلها فى الطبع والثالث علم الربوبية وهو أعلاها فى الطبع وانما كانت العلوم ثلاثة لان المعلومات ثلاثة اما علم ما يقع عليه الحس وهو ذوات الهيولى واما علم ما ليس لذى هيولى اما أن يكون لا يتصل بالهيولى البتة واما أن يكون قد يتصل بها فأما ذات الهيولى فهى المحسوسات وعلمها هو العلم الطبيعى واما أن يتصل بالهيولى فان له انفرادا بذاته كعلم الرياضيات التى هى العدد والهندسة والتنجيم والتاليف واما لا يتصل بالهيولى البتة وهو علم الربوبية * ومن شعره فى وصف قصيدة

تقصر عن مداها الريح جريا
وتعجز عن مواقعها السهام
تناهب حسنها حاد وشاد
فحث به المطايا والمدام

ومنه

أناف الذنابى على الارؤس
فغمض جفونك أو نكس

وقال ابن صردر

قوم اذا حيا الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

وهذه استعارة أخرى وهي أكمل لان في النار من اللسان شيئين وهما الشكل الشبيه باللسان والزفير الشبيه بالتصويت وفي الاستعارة الاولى الشكل لاغير ومن هنا قول التهامي

نادته نارك وهي غير فصيحة * وهنا يخفق ذوائب النيران

وقال أبو اسحق ابراهيم الغزي

اذا سجا الليل في اللأواء واحتجبت * زهر النجوم فضل الحافر الوقع

دعته نار مقاريهم بألسنة * فوق الفضا من شدوق الاكم تندلع

وهذه استعارة حسنة في الشدوق للاكام وقال ابن قلاقس

عصائب لم يفرق بها الخطب لائذ * مفارق لم يعصب بها الدم لائث

اماء القدور الراسيات لديهم * بنار القرى في كل يوم طوامث

انظر الى هذه الاستعارة في قوله اماء القدور الراسيات اذ شبه القدور بالجواري السود وفيه نقص من وجوه الاول أنه لا مناسبة في ذلك لانه ليس كل أمة سوداء الثاني أن هذا الشكل مخالف لذلك الشكل لان هذه مستديرة وتلك مستطيلة الثالث عدم الاحساس ولكن لما رشح التشبيه بأن النار بمنزلة دم الحيض لهن حسنت الاستعارة وصارت غاية في البلاغة وقد بالغ مهيار الديلمي في قوله

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وما أحسن قول الاسعد بن مماتي

لنيرانه في الحي أي تحرف * على الضيف ان أبطا وأي تلهب

توقد لي بشرا وجادت يمينه * فحققت أن الماء من نوء كوكب

ويعجبني أبيات الحطيئة وان كان فيها طول

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل * ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

أخي جفوة فيه من الانس وحشة * ترى البؤس فيها من شراسته نعمى

تفرد في شعب عجوزا ازاءها * ثلاثة أشباح تخالهم بهما

حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة * ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما

رأى شبحا عند العشاء فراعه * فلما رأى ضيفا تسوّر واهتما

وقال هيا رباه ضيفا ولا قرى * بحقك لا تحرمه ذي الليلة اللحما

فقال ابنه لما رآه بحيرة * أيا أبت اذبحني ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا * يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

فروّى قليلا ثم أحجم برهة * وان هو لم يذبح فتاه فقد هما

فبيناهم عنت على البعد عانة * قد انتظمت من خلف مسحلها نظما

ظماء تريد الماء فانساب نحوها * على أنه منها الى دمها أظمى

فامهلها حتى تروت عطاشها * وأرسل فيها من كنانته سهما

وعند مليكك فابغ العلو
وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى وفي غدا
وان التعزز بالانفس
وكائن نرى من أخي عسرة
غني وذي ثروة مفلس
وكم قائم شخصه ميت
على انه بعد لم يرمس

وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقي

لو قيل للعباس يا ابن محمد
قل لا وأنت مخلد ما قالها

فقال ليس يجب أن يقول الانسان في كل شئ نعم وكان الوجه أن يستثني ثم قال هجرت في القول لا الا لمعارضة تكون أولى بلا في اللفظ من نعم

(وان صناعة الالحان اختراعك وتاليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك)

(الالحان) الاصوات ذوات النغم والايقاع المؤلف على أعداد هندسية وزعم قوم أن الالحان هي موضوعة على أعاريض فقال اسحق الموصلي وهو خاتم القوم هذا قول من لم يدر هذه الصناعة * واختلف فيمن وضعها فقيل بطليموس وقيل غيره والصحيح انها قديمة موجودة في تعاليم الفلاسفة الاولى والاشهر أن بطليموس أول من أفردها كتابا وسماه كتاب اللحون الثمانية ولها ألقاب وأوضاع معروفة

وكان بطلميوس يقول الالحان أشرف المنطق ولذلك ترتاح اليها النفوس أكثر من كل نطق وأشرف النفوس ما كان اليها أكثر ارتياحا وقال غيره النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه القلب وقال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات المطربة فان النفس اذا حزنت خمد نورها فاذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد وسئل أبو سليمان المنطقي لم صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة في أن الشخص يكون بغيض المنظر والقرب فاذا غنى بألحان مطربة عشق قربه وأقبل الطارف عليه فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان لان الصناعة ههنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة وقد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وانما تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتسب بأملائها والموسيقى حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف بالموسيقا واذا صادف طبيعة قابلة ومادة منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوسا شريفا وأعطاها

تحرت بحوض ذات جحش قتيبة * فدا كثرت لحما وقد طبقت شحما
فيا بشره اذ جرها نحو قومه * ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمي
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم * وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا * لضيفهم والام من بشرها أما

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمم بن نويرة عن حزنه على أخيه مالك فقال والله انى ما أنام الليل وما رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت أن نفسي ستخرج لأني أذكر بها نار أخي فانه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيف قريبا منه حتى رأى النار يأوي اليها وذكر المبرد في الكامل فصلا طويلا في قصة مالك بن نويرة وقتله ومراثي أخيه متمم فيه وقد احتج الناس لخالد بن الوليد رضي الله عنه في قتله مالكا بانه قتله على ردته فانه لما وقف بين يديه كان يقول في مخاطبته قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أوليس هو صاحبك يا عدو الله ثم قتله واحتجوا له أيضا بقول أخيه متمم لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سمعه ينشد مراثي أخيه مالك وددت لو رثيت أخي زيدا بما رثيت به أخاك فقال والله لو علمت ان أخي صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه وقيل ان الجاحظ لما قيل له ان الاصمعي كان يقول في مرثية متمم لأخيه مالك بقصيدته العينية التي منها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

هذه أم المراثي قال الجاحظ لم يسمع الاصمعي

أي القلوب عليكم ليس ينصدع * وأي نوم عليكم ليس يمتنع

(قلت) هذه من مراثي أبي تمام الطائي في بني حميد (رحمه) وما هجا أحد قوما بمنع الضيف من القرى وعدم الأنس به والبشاشة له بمثل ما هجا القطامي به امرأة من محارب في قصيدته البائية فانه أخبث هجاء وهي مشهورة منها

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
فما راعها الا بغام مطيتي * تريح بمحسور من الصوت لاغب
تحنت جنونا من دلاث مناخة * ومن رجل عاري الاشاجع شاحب
سرى في جليد الليل حتى كانما * تحزم بالاطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كوري وناقتي * اليك فلا تذعر علي ركائبي
فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جانب
فردت سلاما كارها ثم أعرضت * كما انحازت الافعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من القوم قالت معشر من محارب
ولما بدا كرهانها الضيف لم يكن * على مبيت السوء ضربة لازب
الا انما نيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقد أسقطت من غضونها أبياتا تخوف الاطالة والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعذل في أخيه أحمد حيث يقول

ليت لي منك يا أخي * جارة من محارب

نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

وعبد الصمد هذا كان صاحب مجون شديد الاقدام على الاعراض ردئ السيرة خبيث الهجاء ولكن كان يؤانس على علاته لظرفه وطيب مجالسه وكان أخوه أحمد بالضد من حاله فكان صاحب زهد وورع وعبادة وانقطاع عن الناس وتقدم فى الاعتزال * وحكى انه كان فى مكان وتحته عبد الصمد فى جماعة من أصحابه وقد انهمكوا على شرابهم وعكفوا على لذتهم فعلت أصواتهم وجلبتهم بما هم فيه من صوت الملاهى والغناء وغير ذلك فشوشوا على أحمد فى تعبده فناداه يا عبد الصمد أأمنت أن يحل بك وبهؤلاء عذاب من الله فرفع عبد الصمد رأسه اليه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ولاحمد بن المعذل هجو ظريف فى أخيه عبد الصمد وهو قوله

قال لى أنت أخو الكلب وفى * ظنه أن قد هجانى واجتهد

أحمد الله تعالى انه * ما درى أنى أخو عبد الصمد

وهذا الهجو فى غاية الاذى مع ما فيه من اللطافة ويقال ان أهجى بيت قالته العرب هو قول الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

وقد اشتمل هذا البيت على معايب أولها انهم قليلون حتى تنصت الاضياف لنباح كلابهم ثانيها أنها نار قليلة لفقرهم فهى تطفأ ببول امرأة ثالثها أن أمهم هى التى تخدمهم فليس لهم خدم غيرها رابعها أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمهم خامسها عقوقهم لوالدتهم حيث انهم يمتهنونها فى الخدمة سادسها عدم أدبهم لانهم يخاطبون أمهم بهذه المخاطبة التى يستحى الكرام من التفوه بها سابعها أنهم لا يتركون أمهم تبيت عند مراقدهم لانهم قالوا لها بولى ولم يقولوا لها قومى الى النار ثامنها انهم جبناء لا يرقدون لانهم مستيقظون يستمعون الصوت الخفى من البعد تاسعها قذارتهم لانهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول اذا وقع فى النار عاشرها الزام والدتهم بأن لا تبول وان تدخر ذلك الى وقت الحاجة اليه والافكل وقت يطلب الانسان الاراقة يجدها فتجد لذلك ألما ومشقة من احتباس البول حادى عشرها افراطهم فى البخل الى غاية يشفقون معها على الماء أن يطفأ به النار فيروح مجانا ثانى عشرها أنه تأكيد لهذا القول عداوة المجوس للعرب لان الفرس يعبدونها واولئك يبولون عليها فيتأكد بذلك الحقد (قلت) قد سمعت من أفواه الادباء بعض هذه الاقسام وتكلفت أنا الكثير واجتمع الفرزدق والاخطل ليلة على الشراب وتناشدا الى أن قال الاخطل والله انك واياى لاشعر من جرير ولكنه أوتى من سير الشعر ما لم نؤته قلت أنا بيتا وما علم أن أحدا قال أهجى منه وهو * قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * البيت فلم يروه الا حكماء الشعر وقال هو

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

فلم يبق ثقات ولا سوقة الا رووه * وقال المنصور لعمرو بن عبيد ما بلغك فى الكلب قال ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا لغير حراسة أو صيد نقص من أجره كل يوم قيراطان قال ولم ذلك قال كذا جاء فى الحديث فقال المنصور خذها بحقها وذلك لانه ينبح

صورة معشوقة فمن ههنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة الحاذقة التى من شأنها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحسن فيها مستكملا فكما تأخذ تعطى * فاما الاوتار والانقار فاشارة الى الآلات المطربة الملهية من العيدان والدفوف وما أشبه ذلك * ويقال ان أول من اتخذ العود لملك بن متوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف وقيل بطالميوس وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع فالزير بازاء المرة السوداء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة الصفراء فاذا احتملت أوتاره المركبة على ما يجب جانست الطبائع فانتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وأول من اتخذ الدفوف لوبابن لمك واتخذت العرب القصب والتوقيع عليها واتخذت الفرس الصنوج واشباهها وكل ذلك موضوع على نقرات معدودة ووقفات بينها وأول من غنى من العرب على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب

الصيف وبرقوع السائل * وذكر أصحاب الخواص أن الكلب اذا نبح انسانا وخاف ضرره فليلتفت اليه وليجلس الى الارض فانه يرجع عنه * (مسئلة) * من علم المناظرة تتعلق بالنار ان قال قائل لم كانت النار يراها الانسان من بعد أكبر مما يراها اذا وقف عندها أو قريبا منها (فالجواب) ان الهواء المحيط بالاجسام يتكيف بكيفية النار وتحدد بجرمها فترى أكبر منها لعسر التمييز على الحس بواسطة البعد ومن أوصاف النار قول ابن المعتز وقد تقدم فى المقدمة

مشهرة لا يحجب البخل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرق أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

وقول ابن خفاجة

حمراء نازعت الرياح رداءها * وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنسمت من كل نفحة جمرة * باتت لها ريح الشمال بمرقب
قد ألهبت فتذهبت فكأنها * شقراء تمرح فى عجاج أكهب

وقول محمد بن عطية بن حسان الكاتب من شعراء المغرب

بتنا نديرالراح فى شاهق * ليلا على نغمة عودين
والنار فى الارض التى دوننا * مثل نجوم الجو فى العين
فياله من منظر رونق * كأننا بين سماءين

وقول مجير الدين محمد بن تميم

وكأنما النار التى قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلبها فلسانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقول الآخر

وفحم كأيام الوصال فعاله * ومنظره فى العين ليل صدود
كأن لهيب النار بين خلاله * بوارق لاحت فى غمائم سود

وقول الآخر

كانون يطفى برده كانوننا * ما بين سادات كرام حذق
بأراقم حمر البطون ظهورها * سود تنضنض باللسان الازرق

وقول مجير الدين محمد بن تميم

كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور
دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقها ريشهن منثور

وقوله أيضا

كأنما النار فى تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

وقول الآخر

كأن كانوننا سماء * والجمر فى وسطه نجوم
ونحن جن بحافتيه * والشرر الطائر الرجوم

العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى فى الاسلام بألحان الفرس سعيد ابن مسجح وقيل طويس وذلك أن عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربى ثم دخل الى الشام فأخذ الالحان عن الروم ثم دخل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدئ هذا العلم ببطليموس وختم باسحق ابن ابراهيم الموصلى

(وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك)

(هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى) البالغ الى أعلى المراتب فى الكتابة البليغة يقال انه كان فى أول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان بن الجعدى قبل أن يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا سجدت فقال ولم أسجد على أن كنت معنا فطرت عنا يعنى بالخلافة فقال اذا تطير معى قال الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته وهو أول من اتخذ التحميدات فى فصول الكتب واستعمل

وقول أبي الفرج الببغاء

فحمناه قدم الغلام فأدنى * في كوانينه حياة النفوس
كان كالآبنوس غير محلى * فغدا وهو مذهب الآبنوس
ألقي النار في ثياب ثكالى * فكسته مصبغات عروس

وقلت أنا

لا كنت يا فصل الشتاء فاننا * لم تأت الا انضرم النيرانا
فاذا تطارد فيك خيل شرارها * رجعت بحدتها بنا خيلانا

ومن كلام القاضي الفاضل من جملة كتاب وان البرج وطيس الحرب وقد دأحمته الى أن أحرقته وصرح الشرك قد خاضته الى أن أغرقته وان الخندق بركة والبرج لها فوارة وان الله أعد للعدو نارا في الآخرة وأحرقهم في الدنيا بشرارة وان العدو تحصن في البرج بكتيب بنفسج أحرقه الله بجلناره ومن كلامه أيضا وبات الناس مطيفين بالحصن والنيران به وعليهم مشتملة وعذبات ألسنتها على وجهه منسدلة ومن خلفه مسبلة ولفحاتها جهنمية وقودها الناس والحجارة والبلاء ينادي طبرية بلسان مصابها اياك أعني واسمعي يا جاره فولجت النار مواج تضيق عنها الفكر وتعجز عنها الابر وخولف المثل في أن السعادة تلحظ الحجر وأغنى ضوء نهارها سواد كل بقعة أن يسأل هذا وذا ما الخبر الى أن بدا الصباح وكأنه منها أمتار وانشق الشرق وكأنه من عصفرها صبغ الازار وسرى داء النقوب الى المعاقل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران فاغرة والبلى سار في أعقابها مخلدة والنار تحت ثيابها وقال آخر

كأن نضيد الفحم خوف شراره * اذا النار مست جلده فتلونا
تذكر أيام السحاب التي جرت * عليه لما تاود أغصنا
فأنبت منه الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسنا

قلت وأظن الجوبان القواس سام هذا المرعى ولمح هذا المعنى فنقله الى الراووق اقتدارا وصنعا فقال

ولما حكى الراووق في العين شكله * وقد علق العنقود في سالف الدهر
تذكر عهد الكروم فكله * عيون على ايام عصر الصبا تجري

(قلت) قل من يحسن أن ينشده معربا بالعدم تصور معناه والوجه في اعرابه أن يكون العنقود منصوبا على انه مفعول حكى وشكله مرفوع على أنه بدل من المرفوع الذي هو فاعل حكى ونائب فاعل علق ضمير مستتر يعود على العنقود ففيه تقديم وتأخير وتقديره ولما حكى شكل الراووق العنقود في العين وقد علق هو في سالف الدهر ومثل هذا كثير في شعر العرب كقوله

ان الفرزدق صخرة ملمومة * طالت فليس تنالها الاوعالا

وقول الآخر

نزلنا القادسية فاستقينا * من البئر التي حفر الاميرا

وقول الآخر

في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال فمن الايجاز أن بعض عمال مروان أهدى اليه عبدا اسود فأمره بالاجابة ذاما مختصرا فكتب لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته وأما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتابا يستميله ويضمنه ما لو قرئ لاوقع الاختلاف بين أصحاب أبي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه وأمر بنار فأحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى
عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد القوم محتاجون اليك لادبك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي أو بعد مماتي فقال عبد الحميد

من بنات الكروم جاءت سلافا * لم يدسها برجله العصارا

وقول الآخر

من قبل صدقنا وقد كان قومنا * يصلون للأوثان قبل محمدا

التقدير طالت الأوعال واستقينا الأمر وجاءت العصار وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم

*(يقتلن أنضاء حب لا حراك بهم * وينحرون كرام الخيل والإبل)*

(اللغة) أنضاء جمع نضو وقد تقدم في قوله وضج من لغب نضوى وأراد بالأنضاء جماعة العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم ولهذا أضافهم الى الحب والحب معروف يقال أحبه فهو محب وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب واذا أفرط الحب سمي عشقا فالعشق محبة مفرطة وليس بافراط المحبة كما قاله بعضهم فيكون أخص من المحبة لان كل عشق محبة من غير عكس قال صاحب الريحان والريعان الحب أوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الوجد ثم العشق وهو مقرون بالشهوة والحب والمقة في الله تعالى والعشق اسم لما فضل عن المقدار الذي هو الحب ثم الشغف وهو احراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج والغرام ثم الجوى وهو الهوى الباطن والتيم والتبتل والهيام وهو شبه الجنون والعشق عند الأطباء من جملة أنواع الماليخوليا وهي تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي الى الفساد وقد رسموا العشق بأنه مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقال ارسطو العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذه خاصية من خواص العشق والتحقيق ان العشق أعم من ذلك لان الرئيس أبا علي بن سينا في رسالته في العشق ذكر أنه سار في جميع الموجودات من الفلكيات والعنصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات حتى ان أرباب الرياضي ذكروا فيه الاعداد المتحابة واستدركوا ذلك على اقليدس وقالوا فاته ذلك ولم يذكره وهي المائتان والعشرون فانها عدد زائد أجزاؤه أكثر منه واذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان والمائتان والاربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه واذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر وبيان ذلك أن العدد التام هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه كانت مثله وهو ستة فان أجزاءها البسيطة الصحيحة انما هي النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة والعدد الناقص هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه وهو ثمانية فان أجزاءها انما هي النصف وهو أربعة والربع وهو اثنان والثمن وهو واحد ومجموع ذلك سبعة وهي أقل من العدد المذكور والعدد الزائد هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر فان له النصف وهو ستة والثلث وهو أربعة والربع وهو ثلاثة والسدس وهو اثنان ونصف السدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة عشر وهو يزيد على الاصل الذي هو اثنا عشر فالمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة وربع وهو خمسة وخمسون وخمس وهو أربعة وأربعون وعشر وهو اثنان وعشرون ونصف عشر وهو أحد عشر وجزء من أحد عشر جزأ وهو عشرون وجزء من اثنين وعشرين جزأ وهو عشرة وجزء من أربعة وأربعين جزأ وهو خمسة وجزء من خمسة وخمسين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة وعشرة أجزاء وهو اثنان

وجزء

أسير وفاء ثم أظهر غدرة
فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا أمير المؤمنين ان الذي أمرتني به أنفع الأمرين اليك وأقبحهما بي ولكني أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا على صاحبه الى أن عرف عبد الحميد فأخذ وسلمه السفاح الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمي له طستا ويضعه على رأسه الى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو جعفر المنصور يقول غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكي وقيل لعبد الحميد ما الذي مكنك من البلاغة قال حفظ كلام الاصلع يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل له أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخي اذا كان صديقي * وقال أكرموا الكتاب فان الله تعالى أجرى الارزاق على أيديهم * وقال العلم شجرة وثمارها الالفاظ وكان

وجزء من مائتين وعشرين جزأ وهو واحد وجملة ذلك من الاجزاء البسيطة الصحيحة مائتان
وأربعة وثمانون وهي ليس لها الانصف وهو مائة واثنان وأربعون وربع وهو واحد
وسبعون وجزء من أحد وسبعين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة واثنين وأربعين جزأ وهو
اثنان وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد فقد ظهر بهذا المثال تحاب العددين
وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة في المحبة ويقولون اذا جعل هذا العدد
الاقل والعدد الاكثر في شيء من المأكول وأكل المحب الاكثر وأطعم الاقل لمن يريد محبته
فان المحبوب يحبه أكثر مما كان ذلك يحبه ويجمع هذين العددين قولك فرد كرو كنت قد
بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم بدا لي اثباتها لما تذكرت قوله صلى الله عليه
وسلم من علم علما وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار (فان قلت) ذلك في العلوم الدينية (قلت)
والتحابب أيضا من الامور الدينية قال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا
تؤمنوا حتى تحابوا وتألف القلوب أمر مرغوب فيه وقد حض الشارع عليه الصلاة والسلام
عليه ومن صرف هذا في غير أمر شرعي فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى (رجع)
قال أفلاطون العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخيل نامية باتصال
الهيكل الطبيعي والعشق يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة فيكسو كل انسان عكس
طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديانه الى الداء العضال الذي لا دواء
له وقال الاسكندر العشق نور شعشعاني أوجده واجب الوجود في اللطائف القدسية مؤلفا بين
المتنافيين لبقاء سره الخفي في تناسبها اذ التنافي مؤد الى الشتات والشتات مؤد الى الانفراد
والانفراد مؤد الى الوحدة والوحدة مؤدية الى العجز والعجز مؤد الى العدم وهو مع ضيائه جار
مجرى ظلمة الشهوة التي ركبها الله تعالى لبقاء معاني الاجسام اذ لا سبيل الى بقاء أعيانها
وقال سقراط العشق صفة من صفات علة العالم خلطها بماء العزة وقسمها في جميع المركبات
ولم يدل عليها الانور العقل اذا ظفر بها ظن أن هي هو فجرى تحت أوامرها صاغرا وخضع
لذلك المعنى القدسي حكمة من الله تعالى لئلا تستديم امرته فيسهو عن تلك الافلاك فيستحيل
جهلا بالبيان فينقطع سلك النظام فيذبونها وقال أبو معشر العشق اتصال نسبات أرضي لحظ
أوجبته الكواكب الفلكية من الاجسام الطبيعية والمواليد الزمانية في عالم الكون والفساد
اذ هي فاعلة في الطبائع اذ العالم العلوي فاعل في العالم السفلي كما أن فلك الآدميين فاعل في
فلك الحيوان وفلك الحيوان فاعل في فلك النبات وفلك النبات فاعل في فلك المعادن فاستدللنا
بذلك على ان سببه نجومي وقرانه زماني وقال اقليدس العشق وفق هندسي وجزء معنوي
لقي شكله فطابقه وصادف مخالفه فنافاه وذلك أن مركب الاشباح اللاهوتية والاشكال
الناسوتية اقتضت حكمته سبحانه أن يكسوها كيفا وكما لتتفاضل وتتمالأ على جنوس
الزمان فاي التئام وافق شخصين سمي ذلك الالتئام عشقا كتركيبك خمسة أعداد على خمسة
أعداد وثمانية امثال على ثمانية امثال ولا يعتد بتنافي الالوان والاطوال فانه قد يقاوم
السطح المستطيل المثلث المستدير فيعدله في المثال وقد تزن شجاعة النحيف كثافة الجبان
*وقال بطليموس العشق مغناطيس روحاني أودع في سرائر الانفس لخفائها عن الادراك
لاجتذاب معاني لطائف كرائم المطبوعات المستترة فلاجل ذلك اذا سئل العاشق لم وقع منك

ابراهيم بن جبلة يكتب خطا
رديئا فقال له عبد الحميد
أطل جلفة قلمك وأسمنها
وحرف قطتك وأيمنها يصلح
خطك والى هذا أشار ابن
زيدون بقوله وعبد الحميد
باري أقلامك *ومن رسائله
ما كتب عن مروان الى هشام
يعزيه بامرأة من حظاياه
ان الله تعالى أمتع أمير
المؤمنين من أنيسته وقرينته
متاعا مدة الى أجل مسمى
فلما تمت له مواهب الله
وعاريته قبض اليه العارية
ثم أعطى أمير المؤمنين
من الشكر عند بقائها
والصبر عند ذهابها أنفس
منها في المنقلب وأرجح في
الميزان وأسنى في العوض
فالحمد لله رب العالمين وانا لله
وانا اليه راجعون *وكتب
موصيا بشخص يقول حق
موصل كتابي اليك كحقه
على اذ جعلك موضعا لامله
ورآني أهلا لحاجته وقد
أنجزت حاجته فصدق أمله
*وكتب يعرض بشعار بني
العباس الاسود من رسالة
فرويدا حتى ينصب السيل
وتمحى آية الليل *وكتب في
فتنة بعض العمال من رسالة
حتى اعترانى حنادس جهاله
ومهاوي سبل ضلاله ذللا
لسباقه وسلما لقياده الى
نزل من حميم وتصلية جحيم
سوى ما انتجت الحفيظة

ذلك لم يعلم حجة يبرهن بها عن نفسه كما لو سئل أعلم الخلق بعلم الطبيعة عن السبب الكامن في الحجر الذي أوجب اجتذاب الجرم المعدني لم يكن جوابه الا الصمت أو الخاصية هذا مع صفاء ذهنه وجودة خاطره ❊ وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية والهام شوقي أوجبهما كرم الله على كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهي موجودة في الانفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم مخبر لهم عنها بصورة لفظا وأما ماذكر من أخبار المتيمين في مصارع العشاق وطوق الحمامة لابن حزم وغيرهما فذلك مقصور على عشق الفتيان والفتيات وما اتفق في ذلك من غرائب الاخبار ولطائف الاشعار والذي يظهر من موت المدنف من العشاق عشقا انما هو سبب دق يعتريه بسبب سهره وتقليل طعامه وشرابه واستعمال الفكر والوسواس وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال تعالى يحبهم ويحبونه وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع وما أطرف قول بعض الادباء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل من شخص مخصوص وقول الاطباء بجلبه المرء الى نفسه ليس بصحيح لان الغالب في العشاق انهم اضطروا الى محبة من يهوونه وقال الفضيل بن عياض فيما أظن لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وما أحسن قول أبي فراس

وكم في الناس من حسن ولكن ❊ عليك لشقوتي وقع اختياري

يقال ان بعض العرب قال لرجل من بني عذرة ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امرأة ألفها وليس ذلك الا ضعف نفس أو خور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقلت أنا

والهوى لو ملكت أمرا طاعا ❊ في الهوى تقتفي هداه العقول

لامرت العيون ترنو ودر الثغر يفتر والقوام يميل

ثم أدعو العذال اذ ذاك حتى ❊ أن رأوا عندهم فضولا يقولوا

(رجع) لا حراك بهم الحركة ضد السكون يقال ما به حراك أي حركة (وينحرون) يذبحون (كرام الخيل والابل) يعني الاصائل من هذه وتلك والخيل هنا هي الافراس والابل اسم للجمال لا واحد له من لفظه وربما قالوا ابل بسكون الباء والجمع آبال (الاعراب ❊ يقتلن) فعل مضارع والنون نون الاناث والفعل المضارع اذا اتصلت به هذه النون أو احدى نوني التأكيد بني ولكن على السكون ان كان المتصل نون الاناث وعلى الفتح ان كان المتصل نون التوكيد فيقال هن يقمن ولا تفعلن ولا تفعلان الفعل حينئذ قد تركب مع النون تركيب خمسة عشر فبني بناءه ولهذا الوحال بين النون والفعل ألف الاثنين أو واو الجمع أو ياء الخطاب نحو هل تضربان وهل تضربن لم يحكم عليه بالبناء لتعذر الحكم عليه بالتركيب اذ لم تركب العرب ثلاثة أشياء وأصل تضربان تضربانن فاستثقلت النونات فحذفت نون الرفع تخفيفا وبقي الفعل مقدر الاعراب ❊ وحكى لنا الشيخ الامام نجم الدين أبو محمد الحسن ابن كمال الدين محمد القرشي الصفدي ان الشيخ تاج الدين الكندي حضرت اليه من بغداد

في نفسه من عوائد الحسد وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناصبة ومبارزة لامير المؤمنين بالمحاربة ومجاهدة للمسلمين بالمخالفة الى ان أصبح بفلاة قفر مزنية صفر بعيدة المناط يقطع دونها النياط وكذلك يفعل الله بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ❊ وكتب من رسالة أخرى الى أهله وهو منهزم مع مروان أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها وشكاها مستزيدا لها وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فلح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين

فتيا فى اعراب قوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وان جماعة من أهل دمشق خبطوا فيها وما أجابوا بشئ ونسيت هل قال لى ان الشيخ تاج الدين الكندى أجاب أولا قلت ليست هذه المسئلة مما تخفى على مثل الشيخ تاج الدين مع جلالة قدره والذى ظهر لى من اعرابها ان لا حرف نهى والنهى يجزم وهنا غير جازم لان الجزم اعراب لانه اذا دخلت نون الاناث أو احدى نونى التوكيد على المضارع بنى كما تقدم وتتبعان فعل مضارع والالف ضمير الفاعلين ونون التثنية محذوفة وثبوتها دليل الاعراب وهذه الثانية ليست للتثنية وانما هى نون التأكيد الثقيلة على ان الشيخ تاج الدين الكندى كان ممتحنا بهذه السؤالات ورأيت بخط علاء الدين الكندى الوداعى ما معناه انه حضرت اليه فتيا من مصر فى قول القائل اللهم انى أسألك وخير ماسأل العبد به هل ينتصب ربه أو يرتفع فكتب الجواب ينتصب وكان الشيخ علم الدين السخاوى حاضرا فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بالخطا فقال يا مولانا تثبت فى ذلك وحقق الجواب فقال له الشيخ انه النصب فقال علام رفعت خير فقال على الابتداء فقال له أين الخبر ففطن للجواب فكتب يرتفع (رجع * أنضاء) منصوب على انه مفعول يقتلن والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى نساء الحى (حب) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (لا حراك) لا هذه لنفى الجنس وحراك اسمها وقد تقدم الكلام على لا واسمها فى قوله فلا صديق (بهم) جار ومجرور ولم يظهر الجر فى الضمير لانه مبنى والضمير راجع الى الانضاء والجملة من لا واسمها وما بعد ذلك فى موضع نصب صفة لانضاء كانه قال يقتلن انضاء حب غير متحركين (وينحرون) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها ينحرون فعل مضارع والواو ضمير الفاعلين يرجع الى رجال الحى والنون علامة الرفع للفعل لخلوه عن الناصب والجازم (كرام) منصوب على انه مفعول ينحرون و(الخيل) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للجنس ولا بأس بالكلام هنا على أداة التعريف فأقول قال الشيخ جمال الدين بن مالك فى شرح التسهيل بعد ما رجح مذهب الخليل بن أحمد على مذهب سيبويه فان عهد مدلول مصحوبها بحضور حسى أو علمى فهى عهدية والا فجنسية ثم قال أشرت بالحضور الحسى الى حضور ما ذكر كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول والى حضور ما أبصر كقولك لمن سدد سهما القرطاس والله وبالحضور العلمى الى مثل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واذ هما فى الغار واذ ناداه ربه بالوادى المقدس واذ يبايعونك تحت الشجرة ثم قال وقولى والا فجنسية أى اذا لم يكن المدلول عليها بمصحوب الاداة معهودا بأحد الحضورين المبينين فالاداة جنسية فان خلفها كل دون تجوز فهى للشمول مطلقا ويستثنى من مصحوبها واذا أفرد فاعتبار لفظه فيما له من نعت وغيره أولى فان خلفها كل تجوزا فهى لشمول خصائص الجنس على سبيل المبالغة مثال التى يخلفها كل دون تجوز قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والمراد بكون الشمول مطلقا عموم الافراد والخصائص بخلاف التى يخلفها كل على سبيل التجوز كقولك زيد الرجل بمعنى الكامل فى الرجولية الجامع لخصائصها فان هذا تجوز لاجل المبالغة ويستعملون كلا بهذا المعنى تابعا وغير تابع فيقولون زيد كل الرجل وكل الرجل زيد وحكى الفراء عن العرب اطعمنا شاة كل شاة والشمول الحقيقى هو الاصل ولذلك استغنى عن قرينة ولم يستغن الثانى عنها ومثال الاستثناء

وأرحم الراحمين * ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة عند الكتاب * ومن شعره رحمه الله

ترحل ما ليس بالقافل
وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفى لذى خلف قادم
ولهفى على سالف راحل
سأبكى على ذا وأبكى لذا
بكاء مولهة ثاكل
فتبكى من ابن لها قاطع
وتبكى على ابن لها واصل

ومنه أيضا

كفى حزنا أنى أرى من أحبه
قريبا ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو أبصرتنا حين نلتقى
ونحن سكوت خلتنا نتكلم

(وسهل بن هرون مدون كلامك)
(هو سهل بن هرون بن راهبون) ويكنى أبا عمرو من أهل نيسابور نزل البصرة فنسب اليها ويقال انه كان شعوبيا والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس وانفرد سهل فى زمانه بالبلاغة والحكمة وصنف الكتب معارضا بها كتب الاوائل حتى قيل له بزرجمهر الاسلام وله اليد الطولى فى النظم والنثر وكان فى أول أمره خصيصا بالفضل بن سهل ثم قدمه الى المأمون فاعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس

من مصحوبها قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلولا أن أداة التعريف اقتضت شمول الحقيقة والاحاطة بافرادها لم يستثن الذين آمنوا من المعرف بها وهو الانسان والاكثر فى مصحوب الاحاطة وغيره موافقة اللفظ كقوله تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وموافقة المعنى دون اللفظ قليلة كقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وحكى الاخفش أهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض ومن موافقة المعنى دون اللفظ ماهو من الاحد أى من الناس وأنشدوا

وليس يظلمنى فى وصل غانية * الا كعمرو وما عمرو من الاحد

قال الجامى ولو قلت زيد ماهو من الانسان أصبت انتهى قلت واذا لم تخلف الالف واللام كل مثل قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى فهى لبيان الحقيقة ذكر ذلك ولده بدر الدين فى شرح الخلاصة ونبه عليه فى التسهيل والده جمال الدين ولم أقف عليه فى نسختى ولعله سقط منها النسيان الناسخ وقد تزاد الالف واللام فى معرف بدونها والزيادة تكون لازمة وعارضة فاللازمة نحو اللات والعزى ونحو الذين واللاتى فانهما معرفتان بالصلة والاداة زائدة فيهما والعارضة اما للضرورة كقوله

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

أراد بنات أوبر وهو ضرب ردىء من الكمأة واما للمح الصفة كالفضل والحارث والنعمان لان الاصل التجريد وانما ادخلوها للمح الصفة فيهما وقد تزاد فى الحال مثل أرسلها العراك أى معتركة وقراءة من قرأ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وضم الراء أى ذليلا وكقول بعض العرب أدخلوا الاول فالاول أى مترتبين وقد تزاد فى التمييز كقول الشاعر

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

أى وطبت نفسا وقد تزاد على مايصير علما أو تغلب عليه العلمية كالبيت لمكة والمدينة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبة لعقبة ايلة والكتاب لكتاب سيبويه والصعق لخويلد بن نفيل والنجم للثريا لان كلا من هذه قد اشتهر اشتهارا تاما فى أطلق لفظه فهم معناه وقد تخلف الميم اللام فى التعريف فيقال امرجل ومنه الحديث ليس من امبر امصيام فى امسفر أى ليس من البر الصيام فى السفر قال الشاعر

ذاك خليلى وذو يواصلنى * يرمى ورائى بامسهم وامسلمه

وهى لغة تميم وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فى المعين حيث قال

أرى لك وجها ان لعنتك جائزا * فأنت بتحقيق الكلام قمين
اذا كان معنى اللام والميم واحدا * برأى تميم فالمعين لعين

(رجع * والابل) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والابل مجرور لانه عطف على مجرور والمعطوف فى حكم المعطوف عليه فكانه قال وينحرون كرام الخيل وكرام الابل وأنث الضمير فى يقتلن وذكره فى ينحرون لانه فى الاول ضمير نساء الحى وفى الثانى ضمير رجاله كما قال منهن ومنهم فى البيت الاول (المعنى) ان هذا الحى نساؤه يقتلن العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم فمالهم حركة البتة ورجاله ينحرون للاضياف كرام الخيل وكرام الابل فمعناه معنى

وذلك ان المامون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليها أحد أبدا فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوى الرأى واستشارهم فى حمل الخزانة الى المأمون فكلهم أشار وا بعدم الموافقة الا مطرانا واحدا فانه قال الرأى أن نعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها فارسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هرون خازنا لها فتصفحها ونسج على منوال كتب منها وصنف كتاب عفراء وثعلة فى معارضة كتاب كليلة ودمنة وصنف كتابا فى مدح البخل ثم أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن قد مدحت ماذمه الله وحسنت ماقبحه الله وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيأ * وكان سهل من أبخل الناس وله فى البخل وغيره نوادر حسنة (حكى) الجاحظ قال لقى رجل سهل بن هرون فقال هب لى مالا ضرر به عليك فقال وما هو يا أخى قال درهم قال لقد هونت الدرهم وهو طابع الله

البيت الذى تقدم وهو بليغ لانه جمع فى البيت الواحد بين مدح النساء ومدح الرجال على ما تقدم أولا وقدم الخيل لانها أشرف من الابل وقد وصف أهل هذا الحى بما هو أعلى صفات المدح لان الحسن كلما كان بارعا زاد المحب هلاكا والكرم غايته أن ينحر المضيف الخيل والابل بخلاف من ينحر ما دون ذلك من الضأن والمعز وأما الضيف فقد أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه فقال ليلة الضيف حق واجب وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام وما زاد فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه وفى رواية حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شئ له يقربه به وفى رواية ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا وان لم يأمروا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم قال الشيخ محيى الدين النووى فى شرح مسلم هذه الاحاديث متظافرة على الامر بالضيافة والاهتمام بها وعظم موقعها وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الاسلام قال الشافعى ومالك وأبو حنيفة والجمهور هى سنة وليست بواجبة وقال الليث واحمد هى واجبة يوما وليلة على أهل البادية والقرى دون أهل المدن وتأول الجمهور هذه الاحاديث وأشباهها على الاستحباب كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم اى متأكد الاستحباب وقالوا معنى يؤثمه يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه فى الاثم لانه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به ما لا يجوز انتهى ويحكى عن الابرش الكلبى انه كان عنده ضيف فقام ليصلح المصباح فقال له صاحب المجلس مه انه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه وروى أنه قال لا تتخذوا الاخوان خولا وقال بعض السلف لابن عمر بن عبد العزيز ما رأيت رجلا أكرم من أبيك سهرت عنده ذات ليلة فخفق المصباح فقام اليه فاصلحه فقلت يا أمير المؤمنين هلا أمرت باصلاحه فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز * وأما استخدام الضيف فقد حكى أن بعضهم أضاف بعض الكسالى فلما أتى بالاطعم قال له قطع اللحم حتى أوقد النار فقال الضيف لا أحسن ذلك فقال له نق هذا الارز الى أن أشتغل أنا بامر الاطعم على النار فقال لا أحسن ذلك فلما استوى الطعام قال له مد الخوان فقال لا أحسن ذلك فقال له قم فكل فقال له والله لقد استحييت من كثرة خلافى لك وتقدم فاكل * وأما أثيم الضيف فقد حكى عن الفرزدق أنه قيل له ما أقرب عهدك بالذنوب قال ليلة الدير قيل له ما ليلة الدير قال نزلت على دير راهبة ضيفا فأكلت عندها طعاما بلحم خنزير وشربت نبيذها وزنيت بها وسرقت كساءها عند الانصراف وخرجت وأنشدت

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقيل للاوزاعى ما تقول فى رجل قدم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن فقال هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر والعرب قديما وحديثا ما كان لهم ما يفتخرون به الا الضيف والسيف والبلاغة فكانوا يحتفلون بالضيف ادامرهم ويهتمون به الاترى الى قول مرة بن محكان السعدى يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف

أقول والضيف مخشى ذمامته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا
ياربة البيت قومى غير صاغرة * ضمى اليك رجال الحى والقربا

فى أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم الاترى الى أين انتهى الدرهم الذى هونته وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت (وحكى) دعبل الخزاعى قال أقمنا يوما عند سهل بن هرون وأطلنا الحديث حتى أضر بنا الجوع فدعا بغدائه فأتى بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم وأخذ كسرة وتفقد ما فى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ثم قال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله انى لامقت من يرمى برجله فكيف برأسه والرأس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمسة ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بصفائها المثل ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم أر عظما قط أهش من رأسه فان كان بلغ من قبلك أن لا تأكله فعندنا من يأكله أما علمت انه خير من طرف الجناح والساق انظر أين رميته فقال والله ما أدرى قال لكنى أدرى انك رميته فى بطنك (وحكى) الجاحظ أن أبا الهذيل العلاف لا تكلم

في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

أندية هنا أراد به جمع ندى فهو شاذ عن القياس لأن القاعدة في جمع المقصور أن يكون على أفعال مثل حشى وأحشاء وقفا وأقفاء وطلا وأطلاء وفي الممدود أن يكون على أفعلة مثل غطاء وأغطية وهواء وأهوية لما في الجو ورشاء وأرشية فثبت أن ندى جمعه أندية وتأوله بعضهم فقال أندية جمع ناد وهو الجاسر يعني أنهم كانوا يجلسون في الأندية يصطلون وليس بشيء لأن سياق الكلام يدل على أنه أراد جمع ندى لا ناد ويظهر هذا لمن له ذوق * وذكرت بالأبيات هنا ما حكاه لي الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال اجتمع تاج الدين بن الأثير وفخر الدين بن لقمان في بعض البيا كبر في ليلة مظلمة على تل العجوز وكان لابن لقمان مملوك يدعى الطنب فجعل يدعوه باسمه والطنب يجيبه وهو لا يراه لشدة الظلمة فيكرر نداءه ويقول أين أنت يا طنب فإني لا أراك فقال تاج الدين بن الأثير

في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

وهذا من لطيف الاستشهاد وحسنه وقال ابن سناء الملك من قصيدة مدح بها القاضي الفاضل

وإذا سألت من الكريم فإنه * عبد الرحيم لأنه مولى الورى
يختار أن يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
يقري الضيوف شعاع تبر أحمر * فشعاع ذاك التبر نيران القرى

وتعنت ابن جبارة عليه في هذه الأبيات فما قال في هذا الثالث ألم أولا يقول ابن عمار

قدح زناد الحمد لا ينفك من * نار الوغى إلا إلى نار القرى

وزاحم فيه أبا الطيب في قوله

تركت دخان الرمث في أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا

وقوله * يقري الضيوف شعاع تبر أحمر * والتبر لا يكون إلا كذلك وإنما قصد المبالغة وشبه ذلك بشعاع النار التي توقد على اليفاع ليهتدي بها الحيران وتهتدي إلى موضعها الضيفان وقد جعله يدفع إلى الضيوف صلة الأنعام ويمنعهم من الطعام وكم من ضيف يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيبا وشينا (قلت) هذا تعنت زائد وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار ولا بقول أبي الطيب نعم لو قال نظر إلى قول أبي الطيب

وملأت بحر عشارها وأضافني * من ينحر البدر النضار لمن قرى

لكان فيه بعض سرقة وأما قوله التبر لا يكون إلا أحمر لا نسلم له هذه الدعوى لأن التبر ما كان من الذهب غير مضروب والشاعر هنا ما أراد إلا الذهب المضروب ولكنه قال تبرا مجازا والذهب منه ما يكون أحمر ومنه ما يكون أخضر ومنه ما يكون أصفر وهذا أمر يشاهده الحس ولولا أن ذلك لازم لما قيل في بعض المواطن الذهب الأحمر كما يقال الثلج الأبيض وما بقي له من النقد عليه إلا قوله إن الأضياف فيهم من لا يقبل الأنعام وهذا نقد حسن فإن الضيف قد يكون أكبر قدرا ممن أضافه وأجل نعمة وأشرف همة ولا كذلك العفاة فإنهم لا يكونون إلا دون من يسألونه ويستعطونه فلو قال يقري العفاة لزال الإيراد مع أن فيه نظرا من إثبات القرى ويمكن أن يجاب بأنه خص هذا القرى بالأضياف الذين يسألونه ويستعطونه وما

أحسن

سأله رقعة يكتب بها إلى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته فكتب رقعة وختمها ودفعها إليه فأوصلها إلى الحسن فلما رآها ضحك وأوقف عليها أبا الهذيل وإذا فيها مكتوب

إن الضمير إذا سألتك حاجة * لأبي الهذيل خلاف ما أبدي
فامنحه روح اليأس ثم امدد له * حبل الرجاء بخلاف الوعد
حتى إذا طالت شقاوة جده * وعنائه فاجبهه بالرد
وإن استطعت له المضرة فاجتهد * فيما يضر بأبلغ الجهد

ثم قال الحسن هذه صفته لا صفتنا وأمر لأبي الهذيل بمال فعاد إليه فعاتبه فقال سهل ترى أين عزب عنك الفهم أما سمعت قولي إن الضمير خلاف ما أبدي فلو لم يكن ضميري الخير ما فات هذا وهذه من مغالطات سهل وبلاغته وسيأتي في ترجمة الجاحظ حكاية مثل هذه * ومن محاسن تعريضات سهل أنه خاطب بعض الأمراء فقال له كذبت فقال أيها الأمير إن وجه الكذاب لا يقابلك يعني الأمير بذلك لأن وجه الإنسان لا يقابله وروي أن المأمون كان قد انحرف عن سهل إلى أن دخل عليه يوما فقال يا أمير المؤمنين إنك ظلمتني وظلمت فلانا الكاتب فقال ويلك

أحسن ما نقلته من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من نظمه

سلفتنا على العقول السلافه * فتقاضت ديونها بلطافه

ضيفتنا بالبشر والنشر واليسر ألا هكذا تكون الضيافه

قوله بالبشر بالباء يعني ابتسامها بالحباب وما أحلى قول صدر الدين بن الوكيل

وان أقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالي يحفظ الادب

وقول عز الدين بن أبي الحديد

لا تلقها الا ببشرك فالقطوب من الدنس

ما أنصف الكاسات من * ضحكت اليه وقد عبس

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ شرف الدين محمد بن موسى المقدسي

اليوم يوم سرور لا شرور به * فزوج ابن سحاب بابنة العنب

ما أنصف الكاس من أبدى القطوب لها * وثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

ومن هذه المادة قول ابن قلاقس

لا تقتلاها بالمزا * ج غداة أشربها اشتفاها

ما في المروءة أنها * تحيي السرور وتقتلاها

وقول محيي الدين بن قرناص

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس

تالله ما أنصفتها يا مالكي * تأتيك باسمة وأنت تعبس

وما أحسن قول ابن رشيق

أحب أخي وان أعرضت عنه * وقل على مسامعه كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام

ورب تقطب من غير بغض * وبغض كامن تحت ابتسام

وقول الشيخ صدر الدين *فعند بسط الموالي يحفظ الادب* ينظر الى قول أبي الطيب

ان يقبح الحسن الا عند طلعته * فالعبد يقبح الا عند سيده

وتكلم ابن جني على هذا البيت ومثله بقول الآخر

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

ولابد منه وأما قول محيي الدين بن عبد الظاهر بالنشر بالنون يعني به نكهتها كما قال أبو نواس

فتنفست في البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان في الانف

وقوله واليسر بالياء والسين يريد أن شاربها يروق همه وتبسط آماله قال بعض الاعراب

واذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير

واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير

وما أحسن قول النصير الحمامي

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالفرح

عندي خزائن ذهب * أكتاله بالقدح

وكيف قال رفعته فوق قدره ووضعتني دون قدري الا انك له في ذلك اشد ظلما قال كيف قال لانك اقمته مقام هزؤ واقمتني مقام رحمة فضحك المأمون وقال قاتلك الله ما اهيألك ورضي عنه وقد رويت هذه الحكاية لغيره (محكي) عن سهل بن هارون وقد تكلم المأمون عنه انه تكلم بكلام حسن في مجلس فقام سهل وقال ما لكم تسمعون ولا تعون ولا تعجبون اما والله انه ليقول و يفعل في اليوم القصير مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل

لا يخفى حسن هذا النظم ولطف هذا المعنى وقول ابن قلاقس

فضلت بالكاس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والماء من ورق

وما أحسن قول القاضي الفاضل

لها منن تسمو على الشرب أربع * وواحدة لولا سماحتها تكفي
سرور الى قلب وتبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا ياسمين حبابها * عددنا عن القطف قبل فم الرشف

وما أحسن ما قال ابن المعتز

شربت الراح في الحانات صرفا * لها أرج يجل عن الصفات
عجبت لعاصريها كيف ماتوا * وقد عصروا لنا ماء الحياة

*(يشفى لديغ العوالي في بيوتهم * بنهلة من غدير الخمر والعسل)*

(اللغة) لدغته العقرب تلدغه لدغا وتلداغا فهو ملدوغ ولديغ ويقال لدغه بكلمة أى نزعه بها فاللدغ للعقرب حقيقة وفى غيرها مجاز (العوالى) الرماح وقال صاحب الكفاية العامل ماتحت السنان الى مقدار ذراعين ثم العالية وجمعها عوال (بنهلة) النهلة الشربة الواحدة والمنهل المورد وهو الماء ترده الابل والشربة الثانية يقال لها العلل (الغدير) القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعيل بمعنى مفاعل من غادره أو مفعل من أغدره وقيل بمعنى فاعل لانه يغدر بأهله عند الحاجة اليه قال الكميت

ومن غدره نبز الاولون * بأن لقبوه الغدير الغديرا

(الخمر) معروف وهى ماخامر العقل وانما سميت خمرا لانها تركت فاختمرت أى تغير ريحها (والعسل) يذكر ويؤنث تقول منه عسلت الطعام أعسله وأعسله بالضم والكسر اذا عملته بالعسل والعسل مجاج النحل (الاعراب * يشفى) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام عليه فى قوله كالسيف عرى متناه ويكتب بالياء لانه من شفيت (لديغ) مرفوع على أنه مفعول لما لم يسم فاعله وهو هنا بمعنى مفعول وهو كثير فى كلامهم ومنه قتيل بمعنى مقتول وجريح وطريد ومدمج فى أحد الاقوال (العوالى) جمع عالية وهو فى موضع جر بالاضافة والجر فيه مقدر لانه منقوص لا يظهر فيه اعراب غير النصب تقول هذه عوال ومررت بعوال ورأيت عوالى (فى بيوتهم) جار ومجرور والضمير يعود الى رجال الحى وهو فى موضع جر بالاضافة وفى هنا للظرف المكانى وتتعلق بلديغ (بنهلة) الباء هنا للاستعانة والجار والمجرور متعلق بيشفى ويصح أن يكون حالا تقديره يشفى اللديغ فى بيوتهم ناهلا (من غدير) من هنا لبيان الجنس وتكون للتبعيض وغدير هنا بمعنى مفعول لانه يغادره السيل فى الاوديه و (الخمر) مجرور بالاضافة الى غدير والاضافة بمعنى اللام (والعسل) معطوف عليه والالف واللام هنا للجنس (المعنى) ان هؤلاء القوم من وصفهم أن لديغ العوالى الذى طعن يشفى بشربة واحدة من غدير الخمر والعسل وقوله بشربة من غدير الخمر والعسل كناية عن رشف رضاب الفتيات اللاتى تقدم ذكرهن فشبه ريقهن بالخمر والعسل والاولى حمل على حقيقته كذبه الحس لان الذى يطعن بالرمح لا يشفى شرب العسل ولا الخمر فابى الا رد ذلك بالتأويل الى ماذكرته *واعلم ان للشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفية وان كانت فى الاصل مجاز الكثرة

فاعجب المأمون قوله ورضى عنه * ومن كلامه يعزى التهنئة على آجل الثواب اولى من التعزية على عاجل المصيبة * وقال فى المعنى مصيبة فى غيرك لك ثوابها خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها وقال حق على كل ذى مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكتب الى صديق له أبلى من ضعف بلغنى خبر الفترة فى الماهها وانحسارها والشكاة فى حلولها وارتحالها فكاد يشغل القلب باولاه عن

دورها فى كلامهم وتعاطيهم استعمالها لانهم ألفوا ذلك من نداولها وتكرارها على مسامعهم من ذلك الغصن اذا أطلقوه فهم منه القوام والكثيب اذا أطلقوه فهم منه الردف والورد اذا أطلقوه فهم منه الوجنة والاقاح اذا أطلقوه فهم منه الثغر والراح اذا أطلقوه فهم منه الريق والنرجس اذا أطلقوه فهم منه العيون وكذلك السيف والسهم والسحر واذا أطلقوا الآس أو البنفسج أو الريحان فهم منه العذار فكل هذه الاشياء انتقلت عن وضعها الاصلى وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح الى هذه الاشياء قال أبو نواس

يا قمرا أبصرت فى مأتم * يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن المعتز فيما أظن

ومهفهف ألحاظه وعذاره * يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال ابن اسرائيل

وأسمر عسجدى اللون تحكى * معاطف قده سمر العوالى
يدير على الشقيق عذار آس * ويبسم بالعقيق عن اللآلى

قلت لو قال اثمار آس لكان أصنع وأحسن وقال الجلال الصفار

مابرحت يوم وداعى لها * تضمنى ضمة مستأنس
حتى تثنى الغصن فوق النقا * وانتثر الطل على النرجس

وقال آخر

وليلة بتها من غير حب * ومن كاسى الى فلق الصباح
أقبل أحمرا من شقيق * وألثم باسما من ثغر اقاح

وهو مأخوذ من قول المنوعى

ومعشوق الشمائل قام يسعى * وفى يده رحيق كالحريق
فأسقانى عقيقا حشو در * وقبلنى بدر فى عقيق

وقال ابن النبيه

رضابك راحى آس عذارك ريحانى * شقيق جنى خديك جيدك سوسانى
وبين النقا والرمل تهتز بانة * لها ثمر من جلنار ورمان

وذكر الطغرائى الشفاء بالخمر والعسل لوجهين * الاول ما جاء فى الخمر من قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال أصحاب التفسير ان العرب كانت اذا غلبت فى الميسر تتصدق بكل ما خرج لها على الفقراء والمحتاجين ويعيبون على من لا يفعل ذلك منهم ويسمونه البرم وما رأيت من تكلم على قداح الميسر وأسمائها وأحكامها مثل علم الدين السخاوى فى كتابه سفر السعادة * ومذهب الشافعى أن التداوى بالخمر لا يجوز تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها ولم يرخص الا للشرق اذا غص باللقمة فله أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد ماء فى الوقت وخاف الهلاك واذا كان التداوى بها عنده لا يجوز فمنع استعمالها للطرب واللذة بالطريق الاولى ولا فرق فى

السكون لآخره وتدخل الحمرة فى ابتدائه عن الحمرة فى انتهائه وكان تغيرى فى الحالين بتدرجهما ارتياعا للاولى وارتياحا للاخرى وكتب لآخر أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى ودضنين بك فى غير مقابلة لك ولا سلوة عنك بل استسلام للبلوى فى امرك واصرار بالعجز عن استعطافك الى أوان فيئتك أو يجعل الله لنا دولة من رمقك * وقال بعض الزجاج على الذهب فى رسالة الزجاج مجلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج

مذهبه بين قليلها وكثيرها وبين عصير العنب وغيره من المسكرات لانه قال كل شراب مسكر حرام * وقال أبو حنيفة الخمر عبارة عن عصير العنب المشتد الذي قذف بالزبد وحجة الشافعي ماروى أبو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل وقد روى أبو داود في سننه من هذا النوع جملة عن نافع عن ابن عمر وعن عائشة وعن جابر وعن القاسم وعن شهر ابن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنهم ولا شك أن ابن عمر رضي الله عنه كان عالما باللغة وبالمراد من الآية لما نزلت وقد قال نزل تحريم الخمر يوم نزل الخ وهو صريح في تناول الحرمة للانواع الخمسة وحجة أبي حنيفة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب الآية قال من الله تعالى باتخاذ السكر والرزق الحسن والمنة لا تكون الاعباح ورواية ابن عباس قال لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم السقاية عام حجة الوداع استند اليها وقال اسقوني فقال العباس ألا نسقيك مما ننبذه في بيوتنا فقال ماسقي الناس فجاءه بقدح من نبيذ فشمه وقطب وجهه ورده فقال العباس يارسول الله أفسدت على أهل مكة شرابهم فقال ردوا على القدح فردوه اليه فدعا بماء من زمزم فصب عليه وشرب وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة فاقطعوا متونها بالماء قال والتقطيب لا يكون الامن الشديد والجواب أن آية السكر والرزق الحسن نزلت قبل الآيات الدالة على الحرمة فهي اما منسوخة أو مخصصة وأما الحديث فلعل ذلك النبيذ كان ماء نبذت فيه تمرات يسيرة لتحلو طعمه وأما التقطيب فلانه صلى الله عليه وسلم كان في غاية اللطافة فلم يحتمل طبعه الكريم ذلك الطعم وكل فقهاء الكوفة أفتوا بشرب النبيذ وأما الخمر فلا وقد قال بعض أصحاب أبي حنيفة لان أقول في النبيذ مرارا كثيرة هو حلال خير من أن أقول فيه مرة واحدة هو حرام ولان أخر من السماء فتقطعني الرياح خير لي من أن أشرب منه قطرة (قلت) الاول قول عن أدى اليه اجتهاده والثاني تورع منه رضي الله عنه وقد ظرف من قال

لعمرك ماشربت الراح جهلا * ولكن بالادلة والفتاوى
فاني قد مرضت بداء هم * فاشربها حلالا للتداوي

والثاني ماجاء في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال مجاهد المراد بقوله فيه شفاء للناس القرآن والصحيح أن المراد به العسل لان الضمير يعود الى أقرب مذكور وهو الشراب وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يرده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله على قوله تعالى فيه شفاء للناس وقوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن أخيك على انه علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه فلما لم يظهر في الحال كان على بينة من شفائه فقال كذب بطن أخيك وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنه انه كان لايشكو شيأ الا تداوى بالعسل حتى انه كان يدهن به الدمل والقرحة ويقرأ فيه شفاء للناس فان قيل كيف يكون العسل فيه شفاء للناس وهو مضر بالصفراء مهيج للمرة

أحسن منه في كل معدن ولا يفقد معه وجه المديم ولا ينقل اليد ولا يرتفع في السرم واسم الذهب يتطير منه ومن أثومه يسرع عنه الى الاثام وهو قائن فاتك لمن صانه وهو أيضا من مصايد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لايحمل الوضر ولا يداخله الغمر ومتى غسل بالماء رجع عاد جديدا وهو أشبه شئ بالماء وصنعته عجيبة وصناعته أعجب من رسالة طويلة وكان سبب قوله لها أن شدادا الحارثي كان قد

(فالجواب) أنه تعالى لم يقل فيه شفاء لكل الناس بل قال شفاء للناس ويكفى فيه أن كل معجون مركب لم يكن تمامه الا بالعسل والاشربة المتخذة منه للامراض البلغمية عظيمة النفع فقد حصل فيه شفاء للناس وذهب قوم من أهل الجهالة الى أن المراد بهذه الآية أهل البيت وبنو هاشم وأنهم النحل وأن الشراب القرآن والحكمة وذكر هذا بعضهم فى مجالس ابى جعفر المنصور فقال رجل من الحاضرين جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فأضحك من فى المجالس * وأخبرنى الشيخ الامام الحافظ علاء الدين مغلطاى شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال جاء رجل الى الشيخ شهاب الدين الحنبلى صاحب التعبير فقال له رأيت فى منامى كأن قائلا يقول لى اشرب شراب الهكارى فقال له أيوجعك فؤادك قال نعم قال اذهب فاشرب عسلا تبرأ باذن الله تعالى فقيل له من أين لك هذا قال لانى فكرت فلم أعرف شرابا منسوبا الى الهكارى فرجعت الى الحروف فوجدتها شراب الهك أرى والارى هو العسل وتذكرت حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فعلمت أن فؤاده يوجعه فوصفت له العسل (قلت) وقد حكى لى غير واحد من الثقات عن الشيخ شهاب الدين المذكور غرائب كهذه المادة لم يسمع عن غيره من المعبرين الغابرين (رجع) وهذا المعنى الذى فى بيت الطغرائى اللطيف كأنه يقول ان الذى يطعن بالرماح متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه الفتيات اللائى فى الحى شفى وذهب عنه الالم اما بلذة يجدها فى رشف ريقهن واما بالخاصة التى فى العسل والمعنى الاول أغزل وأشعر وقد اشتهر تشبيه الريق عند الشعراء بالراح والعسل قال عرقلة

بابلى اللحاظ فى كل عضو * لى من قوس حاجبيه سهام
حرموا ريقه على ولكن * صدق الشرع ما تحل المدام

وقال أبو اسحق الصابى

بأبى مبسم اذا لاح أهدى * بردا يقمع الجوانح بردا
شهد اللثم صادقا وهو عدل * أن فى ثغرها رحيقا وشهدا

وقال حرملة بن مقاتل

وما ضرب فى رأس صعب ممرد * بثهلانة يستنزل العصم نيقها
بأطيب من فيها لمن ذاق طعمه * وقد جف بعد النوم للصب ريقها
اذا اعتلت الافواه واستمكن الكرى * وقد حان من نجم الثريا خفوقها
وما ذقت فاها غير حال رجوته * ألا رب راج شربة لا يذوقها

وأول من فتح الباب فى هذا المعنى النابغة الذبيانى حيث قال يصف المتجردة امرأة النعمان

تجلو بقادمتى حمامة ايكة * بردا أسف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى
زعم الهمام ولم أذقه بأنه * يشفى بريا ريقها العطش الصدى

وتزاحم الناس بعد النابغة على هذا الباب أفواجا ووردوه عذبا فراتا لا ملحا أجاجا وما أحسن قول بعضهم

وعندى من معاطفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام

وصف الذهب فاطنب وكان النظام قد ذم الزجاج * وقال تعلموا العلم ولا يذم الزمان لكم حجر من أن يذم بكم وقال يوما ثلاثة من الخائنين الغضبان والغيران والسكران فقال شخص من العوام مما تقول فى المنعظ فضحك حتى استلقى وأنشد يقول

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لا تصبحينا

ومن كلامه فى كتاب عفراء ولعله اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذى تجودون به من

وفى ألحاظها السكرى دليل * وماذقناها ولا زعم الهمام

وقال المتوكل الليثى

كأن مدامة صهباء صرفا * نزرق بين راووق ودن
تعل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال ابن صعترة البولانى

فما نطفة من حب مزن تقاذفت * به جنبتا الوادى والليل دامس
فلما أقر به الصباء تمفست * شمال لأعلى مائه فهو قارس
بأطيب من فيها وماذقت طعمه * ولكنى فيما ترى العين فارس

وقال امرؤ القيس

وثغرلها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظنى به * وما الظن يقضى على ماكم

وقال ابن الرومى من أبيات

وماذقته الابشم ابتسامها * وكم مخبر يبديه للعين منظر
بدالى وميض شاهد ان صوبه * عريض وماعندى سوى ذاك مخبر

ومما أورده صاحب الاغانى فى أخبار مجنون ليلى ثم قال انهما النصيب قوله

كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى من آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى أعلى السحابة بارق

وقال بشار بن برد

ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الاشهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * عودى ولا تجعليها بيضة الديك

وقال التهامى

وأقسم ما مشعشعة شمول * ثوت فى الدن عاما بعد عام
اذا ما شارب القوم احتساها * أحس لها دبيبا فى العظام
بأطيب من مجاجهن طعما * اذا استيقظن من سنة المنام
ولم أشهد لهن بذاك لكن * شهدن بذاك أعواد البشام

وقال ابن حمديس

وما قهوة خالطت مسكة * فبينهما للاريج اشتراك
بأطيب منها جنى نكهة * وقد ركز الليل رمح السماك
وماذقت فاها ولكننى * نقلت شهادة عود الاراك

وقال البهاء زهير

فتنت به حلوا مليحا فخذوا * بأعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندى بطيبه * ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

وقال ابن الساعاتى

وبى زائر تكبو المنى دون وصله * ويعثر جارى الدمع فى ليل صده

تفضلكم فان تقديم الماولة
مع الابطاء فى أداء الفرصة
شاهد على وهن العقيدة
وتقصير الروية ومضر بالتدبير
ومخل بالاختيار وليس فى
نفع تحمده عوض من
فساد المروءة ولزوم النقيصة

ومن شعره قوله

ان كنت أخطأت أو أسأت
ففى
عفوك مأوى للفضل والمنن
أتيت ما أستحق من خطا
فجد بما أستحق من حسن

ومنه

أعان طرفى على جسمى
وأعضائى
بنظرة وقفت جسمى على دائى

يخبر عن لثم السلاف لثامه * وتشهد أطراف الاراك بشهده

وقال أيضا

ضاهى مقبله فريد عقوده * في منعه وضيائه ونظامه
أبدا يشتت لوعتي تشتيته * ويزيد في ظما مدار مدامه
كالمسك نشرا والسلاف مذاقة * والقول مثل اراكه وبشامه

وقال أيضا

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال أيضا

حدت بجفنيها على رشف ريقها * ومن شرب الصهباء يلزم بالحد
فيا قلب صبرا عن شهي رضابها * فان وحي السم من ذلك الشهد

(قلت) في هذه المقاطيع الثلاث نظر أما قوله أبدا يشتت لوعتي تشتيته فانه حط لان اللوعة اذا تشتت تفرقت أجزاؤها ضعفت وليس هذا من شكوى المحبة في شيء وكان الائق أن يقول أبدا يجمع لوعتي أو يضم صبابتي ولكن الجناس أدهله وأما قوله فأباحني رضوانها المرجو شرب المسكر فهو أيضا خطأ لان خمور الجنة منزهة عن السكر بل هي لذة للشاربين وفسر قوله تعالى لا فيها غول بان معناه لا تغتال العقل بالسكر كخمور الدنيا وأما قوله حدت بجفنيها الى آخره ففيه عيبان الاول من جهة المعنى فان قوله حدت بجفنيها لا معنى له لانه ان كان قد أراد الحد الذي يقام على السكر فبعيد أن تستعار السياط للجفون ولم يستعر لها الا السيوف أو السهام ومن أين يفهم عدد الثمانين وما أحلى قول القائل

شربت من أكؤس خمر اللمى * فحدك الدهر ثمانينا

وان كان قد أراد الحد لغة وهو المنع فالنصف الثاني من البيت تعلق بالاول لانه قال ومن شرب الصهباء يلزم بالحد * فدل على انه يريد اقامة الحد والثاني انه لم يجزم جواب الشرط في يلزم وان كان قد جاء في الضرورة ولكن الافصح الجزم (وقلت) ابا في معنى قول النابغة

تبسم فارتحت من سكري * وقلت هذا القرقف المنتخب
وما ذقت فاه ولكنني * حكمت على ثغره بالحبب

وقال سعد الدين محمد بن عربي

سبا في ثغر منك كالدر نظمه * فبسام رأى درا يشبه بالدر
أشاهد ريقا منك كالشهد طعمه * وما ذقته يوما ولكنني أدري

وما أحلى قول ناصر الدين حسن بن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * بكسوه من لفظه طلاوه
حلو حديث فقلت من لي * لو أنه صادق الحلاوه

ونقله المولى جمال الدين محمد بن نباتة فقال

ان جادلي هاجري بوعد * كالشهد في الطيب والطلاوه
فلا تكذب حديث فيه * فانه صادق الحلاوه

وكنت غزالا تجني على يدي
لاعلم الى أن بعضى بعض
أعدائي

وقوله ايضا ورجلا
من كان يعمر ما شادت أوائله
فانت تهدم ما شادوا وما
سمكوا
ما كان في الحق أن ناتي فعالهم
وانت تحوى من الميراث
ما تركوا

وقوله
تكلفني هما ان قد كسفا بالي
وقد تركا قلبي محلة بلبالي
هما أجريا دمعي ولم تدرأ دمعي
ربيبة خدر ذات سمط
وخلخال

وقلت فى المعانى المتقدمة

علم الوشاة بأن ريق معذبى * راح تعيد الصب بعد هلاكه
اما انا لم يبده ذا من فى * لكن هذا من فضول سواكه

وقلت أيضا

بت من ورد خده * ولماه المعطر
بين ورد مفرح * وشراب مسكر

وقلت أيضا

يا آمرى بالصبر عن شغفى * سقما وفى فيه شفاء غليلى
من يستطيع الصبر أو يرضى به * عن مثل ذاك المرشف المعسول

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجى تغابل * معروف أهل الهوى عنكر
فلو رشفت ريق فيه * كنت يقينا يا صاح تسكر

وقلت أيضا

يا قلب ان زاد الظما * واقصد مراشفه الشهيه
انى لاعرف منهلا * يشفى الجوى خلف الثنيه

وقلت أيضا

وغزال غرا وزادى بسهم * وسنان من طرفه الوسنان
كم سقانى من ثغره كاس خمر * فرشفت السلاف من أقحوان

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله قول الطغرائى اعل المامة الخ)

ولكنما أبكى بعين سخينة
على خال تبكى له عين أمثالى
فراق خليل فقده بورث الاسى
وخل له خل لا يدوم لها بالى
وراحوا خذى متى أنا موجع
بفقد حبيب أو تعذر آمالى
وقوله
اذا امرؤ ضاق بى لم يضق خلقى
من أن يرانى عيا عنه باليأس
لا أطلب المال كى أغنى بفضلته
ما كان مطلبه فقرا الى الناس

(فهرست الجزء الثانى من شرح العلامة الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

(تمت)

(فهرست الجزء الثاني من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون)

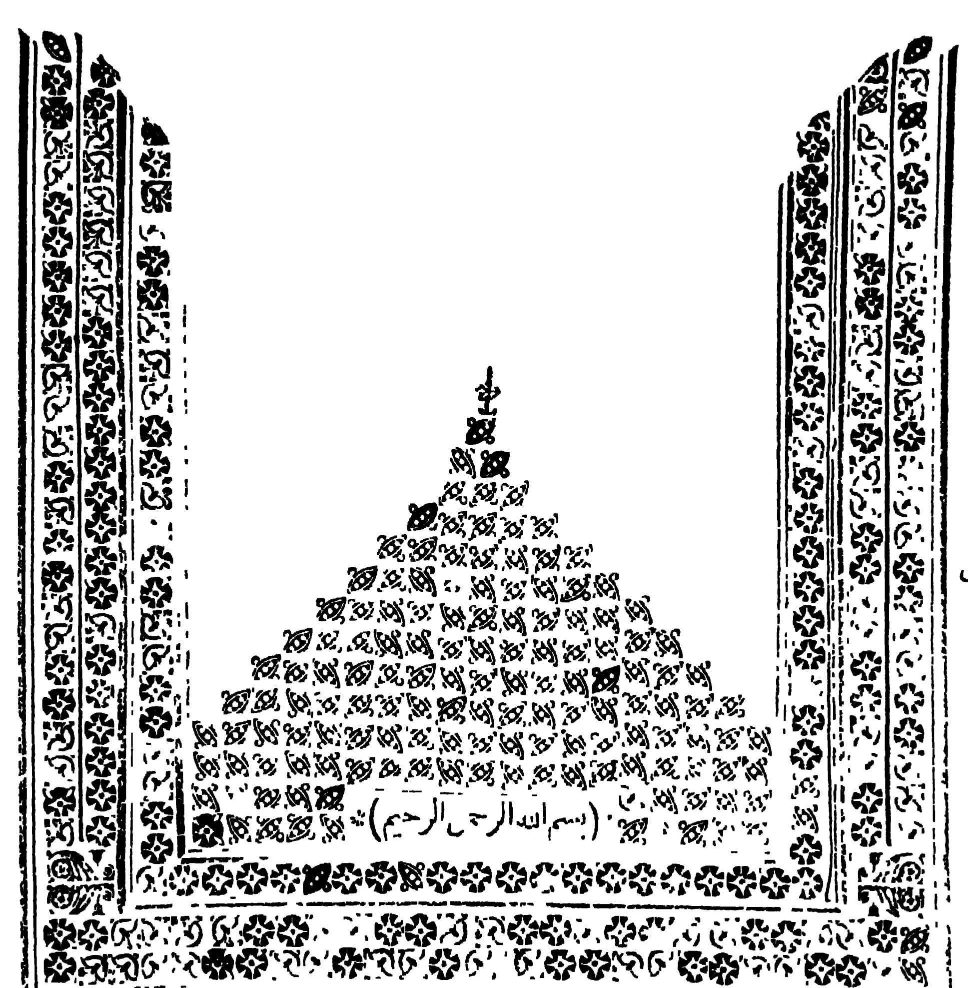
(تمت)

الجزء الثاني من كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدي الاديب الشاعر المنشي
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال في كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين أبي اسماعيل الحسين بن علي المعروف بالكاتب العميد الطغرائي المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٥ في وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ شرحا أوله الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم في شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مجلدا وبالغ في الجد والهزل وأحسن ما جمع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ ذكر فيه ان الصفدي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا ظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبي بكر بن عمر المالكي الدماميني المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوي وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلي بن قاسم) الطبري وسماه حل المبهم والمعجم في شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي وسماه نشر العلم في شرح لامية العجم (وحسين الكفري) جمعه من الشروح كشرح الصفدي (والعاشي) جلال الدين المدني (وجلال الدين) خضر الحنفي الذي ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخمسها) عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الربيعي البغدادي (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسي وأجاد انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون للعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصري جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجري)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجريه)



(لعل إلمامة بالجزع ثانية * يدب منها نسيم البرء في عللي)

(اللغة) لعل كلمة ترج وسيأتي الكلام عليها في الإعراب وفيها لغات لعل وعل ولعن وعن ولأن بفتح الهمزة وأن ورعن ورغن بالغين المعجمة ولغن باللام والغين المعجمة والنون ولعلت بزيادة التاء في آخر لعل (الإلمام) النزول وقد ألم به أي نزل وغلام ملم قارب البلوغ وفي الحديث إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم أي يقرب من ذلك (الجزع) منعطف الوادي (دب) على الأرض يدب دبيبا وكل ماش على الأرض دابة ودبيب هذا وضع اللغة وقولهم أكذب من دب ودرج معناه أكذب الأحياء والأموات ودبت العقرب إذا سرحت من جحرها ليلا وما أحلى قول القائل

لم تدب كالعقرب الأذكم * قد قتلوه وقتله العقرب

قال علي بن بسام البغدادي كنت أعشق غلاما لأبي أحمد بن حمدون فبت ليلة عنده ودببت عليه فلسعتني عقرب فصحت آه فانتبه خالي وقال ما لك فقلت قمت لأبول فقال صدقت ولكن في است غلامي فخرجت لي أدب لك هذه الأبيات

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب

فإذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابي

لا بارك الرحمن فيها إنها * دبابة دبت على دباب

وقيل

(وعمرو بن بحر الجاحظ) هو عمرو بن بحر بن محبوب ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالجاحظ وبالحدقي والأول أشهر إمام الأدباء والمتكلمين الذي ملأت الآفاق أخباره وفوائده حتى قيل مما فضل الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها أن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه منها والحسن البصري تابعيها والجاحظ أديبها ولد بالبصرة ونشأ ببغداد واشتغل على أبي إسحاق النظام المتقدم ذكره بمذهب الاعتزال ومال إلى كتب الفلاسفة ومال إلى الطبيعيين منهم [illegible] ومن المتكلمين [illegible] وحسن عبارته ومما انفرد به القول بأن المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال إنها إنما تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعا

وقيل ان صاحب الغلام أنشد

وداري اذا نام سكانها * نقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن دينهم * فان عقارنا تضرب

وقال أبو نواس

اذا هجع النيام خفل عني * وعن كان ينام للدبيب
ألذ الليل ساكان اعتدابا * بسمع الحب أو ممع الرقيب

وقال أبو حكمة راشد بن عبد القدوس

ومنتبه بين الندامى رأيته * وقد دب فيه الدبيب على الساق
وأوثق فيه مثل أسود سالخ * عظيم من الحيات ليس له راقي
فلما انتحى فيه شرك واتكا * وأطرق عند الزهر أحسن اطراق
فقلت له لا تلقين مقدما * ولا تمد يدا في غير موضع اشفاق
أحدقت خصيه فاستكونه * سار تارتي صاب الى الثلث اق
فلولم يكن نقبان ماقام ايره * ولا التفت دائنيك ساداعلى ساق

وأخذه النور الاسعردي فقال

دببت وفي قلبي بأنك نائم * وما كنت الا اهتر الغرني تفاتا
والا فلم أبديت عنك بعد ماانا * تقلبت الى جنب وكان الذي كانا

وقال أيضا

وريم يريد غرامي به * وأعجاب دلسي به دائمه
بسفرلوجنته عذرا * تسطراته مهتى هائمه
وعاطيته خمرة مرة * تسام ربما صرقتى نائمه
دببت من الردف في روضة * فأسرتها بارزة ناعمه

وقد أدمج في أثناء هذه الابيات اسماء منارة في دمشق وهي مشهورة وقال أيضا

كنت مثل النسيم عند دبيبي * سحرا نحو تسل ردف حبيبي
فلهذا فتحت زهر ورد * بتقديب عند الهبوب رطيب

وقال أبو جعفر أحمد بن الابار

زارني خيفة الرقيب مريبا * تشتكي القضيب منها الكثيبا
رشأراش لي سهام المنايا * من جفون صمي بهن القلوبا
قال لي ماترى الرقيب مطلا * قلت ذره آتي الجناب ارحيبا
عاطها كؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما أن نام من نتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لا بد أن تدب عليه * قلت أبغي رشا وأخدع ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد ذكرت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا الى الرقيب دبيبا

وأنها وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه الى غير ذلك من آرائه التي تبعه لها أصحابه المعروفون بالجاحظية * فاما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جدا مشحونة بأنواع الفضائل وكان منقطعا الى الوزير محمد ابن عبد الملك بن الزيات ولما قبض عليه وعوقب في التنور هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت أن أكون ثاني اثنين اذهما في التنور يريد بذلك ما صنعوا بابن الزيات من ادخاله تنورا فيه مسامير محماة كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ثم أتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دواد قال والله ما علمتك الا كفورا للنعمة معددا للمساوي في كلام يقرعه به فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الامر علي خير من أن يكون لي عليك ولأن أسيء

فهل أبصرت أو سمعت بصب * بات محبوبه وبات الرقيبا

وما فتح هذا الباب الا أبو نواس حيث قال

تركنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا
فكان خبزا على * قبل الشواء أكلنا

ومما نظمته وفيه تضمين

أقول وقد نامت على حر وجهها * وقالى عليها في الظلام دبيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب

وما أحسن ما اعتذر به القائل عن ترك الدبيب في قوله

قالوا وقد بصروا بأنى نائما * عند الدبيب اليه رخو المفصل
ماذا تراه فقلت سارى ليله * عرف المحل فبات دون المنزل

وسأل بعضهم شيخا من أهل المشرق فقال كنت البارحة في مجلس قوم وفيهم أمرد مثل القمر فلما نام راحاولت الدبيب عليه فلم أصل اليه وأصبحا ولم يتفق لى نيكه فقال له الشيخ لك فيتك فقد حسدت لك شيخة ومن هذا قول النور الاسعردى

ولى صاحب قد قال لما اتى * عن هو دون الورى منيتى
فقلت أتى زائرا قال لا * ولكن جاءت ولى نيتى

وقيل ان بعضهم كان نائما في مجلس قوم فما شعر بنفسه الا وقد دخل فيه شئ كذراع البكر فقام اليه منكرا فقال الدباب يا أخى لك العذر فانه قد قام على ولم يكن الى جانبي غيرك قال له كنت اجلد عميرة فقال والله ما سمعت في هذا حتى قال أو بهذا الرب تدب وقد جمع آلات الدب على ما هو مشهور بين أهل المجون ابن دانيال في قوله

لما بت في السماعات الا * لقبونى باللا ئذ الدباب
ولعمرى قد كنت أشهر الدب وآلاته معى في جراب
مثل درج وابره وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

ومما اتفق لى نظمه أيضا

حضرت مجلس قوم * وفيه ظبي مهفهف
فاموا وقمنا ونمنا * منى وقالوا تعفف
دنوا وذبوا ودبوا * فلم يفتهم مصحف

وكنت قد نظمت قديما في سنة سبعمائة وثمان عشر معنى خطر لى في العذار وهو

وأهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا ودب عليه

فوقفت على المعنى بعينه للمولى جمال الدين محمد بن نباته وأنشدنيه من لفظه فيما بعد سنة تسع عشرة وسبعمائة

ومهفهف رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فنظمت أنا عندما وقفت عليهما سنة سبعمائة وعشرين

فيحسن أحسن في الاحدوثة عنك من أن أحسن فتسىء ولأن تعفو عنى في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام منى فقال ابن أبى دواد فضحك الله فوالله ما علمتك الا كثير رويق اللسان يا غلام سر به الى الحمام فأدخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب فاخرة ولبس ذلك وأتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه وقال هات الآن أحاديثك يا أبا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبدأ أمره الى ان مات سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن بلغ أكثر من تسعين سنة * وله أخبار ظريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف من أخباره ونوادره قال أتيت منزل صديق لى فطرقت الباب فخرجت الى جارية سندية فقلت قولى لسيدك الجاحظ بالباب فقالت أقول الجاحد بالباب على لغتها فقلت لا قولى الحدقى فقالت أقول الحالى فقلت لا تقولى شيأ ورجعت وقال ما أخجلنى أحد مثل امرأتين رأيت احداهما في العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت انزلى كلى معنا فقالت أصعد أنت حتى ترى الدنيا

عذارك والطرف بافاتلي * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(رجع) النسيم الريح اللينة يقال نسمت الريح نسيما ونسمانا ونسم الريح أولها حين تقبل لينة قبل أن تشتد وفي الحديث بعثت في نسم الساعة أي حين ابتدأت وأقبلت (البرء) مصدر برئت من المرض برأ بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وأصبح فلان بارئا من مرضه وأبرأه الله (العلل جمع) علة وهي المرض (الاعراب * لعل) من أخوات ان تنصب الاسم وترفع الخبر وقد تقدم الكلام على تعليل هذا العمل في قوله
اني اريد طروق الحي من اضم * الميت ومعناها الترجي ولا يترجى بها الا ما هو مشكوك فيه فلا تقول لعل الميت يعود ولكن تقول لعل المسافر يؤوب وقد تكون حرف جر في لغة بني عقيل قال الشاعر

لعل الله فضلكم علينا * بشئ أن أمكم شريم

كما تكون متى حرف جر في لغة بني هذيل يقولون أخرجها متى كمه (المسامة) منصوب على انه اسم لعل (بالجزع) الباء هنا للالصاق وهي متعلقة بالمسامة لانه مصدر (ثانية) صفة للمسامة (يدب) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم (منها) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية وقد تكون بمعنى الباء كقوله تعالى يحفظونه من أمر الله والارجح أن تكون على أصلها ويكون الجار والمجرور في موضع النصب على انه مفعول لاجله كما في قوله تعالى أطعمهم من جوع (نسيم) فاعل يدب والجملة في موضع رفع خبر لعل * ولا بأس بالكلام على الفاعل قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس الفاعل أصل المرفوعات وباديها محمول عليه خلافا لابن السراج وأبي علي ومن رأى رأيهما والدليل على ذلك أن المعنى الذي دخل الاعراب الكلام لاجله وهو رفع اللبس يوجد في الفاعل أكثر من المبتدا لان الفاعل لو لم يرفع لالتبس بالمفعول ولا كذلك المبتدا فكان الفاعل أصلا في الرفع وأصل هذا الخلاف مأخوذ من قول سيبويه وفعله فانه قال واعلم ان الاسم أول أحواله الابتدا فنص هنا على أن المبتدا قبل الفاعل وقدم في ترتيب أبواب كتابه باب الفاعل على باب المبتدا اه (قلت) وانما اختص الفاعل بالرفع لاوليته وقوته وقلته واختص المفعول بالنصب لتأخيره وضعفه وكثرته ولذلك قالوا رجل ضحكة بالتحريك للذي يضحك من غيره كثيرا وقالوا رجل ضحكة بالسكون للذي يضحك منه فحركوا الفاعل لقوته وسكنوا المفعول لضعفه واما دلالته لاوليته لانه الذي يوجد الفعل قبل أن يكون معمولا وانما قلت وقوته لانه الذي يصدر منه الفعل والمفعول يقع عليه الفعل وانما قلت وقلته لان الفاعل الواحد يريد مفاعيل كثيرة تقول ضرب زيد عمرا يوم الجمعة داخل داره ضربا شديدا تأديبا فزيد فاعل وعمرا مفعول به ويوم الجمعة ظرف زمان وداخل داره ظرف مكان وضربا شديدا مفعول مطلق وتأديبا مفعول لاجله ومن هذه الأدلة يظهر عكسها في النصب ووجه اختصاص الرفع بالفاعل أن الرفع أثقل الحركات لانه لا يتم الا بضم الشفتين وذلك لا يتم الا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين الى طرف الشفة والجر يكفي في تحصيله العضلة الواحدة الجاذبة والفتح يكفي فيه العمل الضعيف لتلك العضلة ولذلك أعطوا الاثقل للاقل وأعطوا الاخف للاكثر ولا شك في أن المرفوعات

وأما الاخرى فانها أتتني وأنا على باب داري فقالت لي اليك حاجة وأريد ان تمشي معي فقمت معها الى أن أتت بي الى صائغ يهودي فقالت له مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال انها أتت الي بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت يا ستي ما رأيت الشيطان فأتت بك وقالت ما سمعت وكان الجاحظ بشع المنظر الا أن بيانه كان يغطي عليه وقال دخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم وصفوا عمائمهم ووشوا طرزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى فاما الزبد فيذهب جفاء ظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقال وقفت يوما على قاض فأردت الوقوع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر الي وقال حسبك الله * وقال قلت يوما لعبيد الكلابي أيسرك أن تكون هجينا ولك ألف دينار فقال لا أحب اللؤم بشئ قلت فان أمير المؤمنين ابن أمة قالت أخزى الله من أطاعه قلت نبي الله محمد واسمعيل كانا ابني أمة قال لا يقول هذا

أقل من المنصوبات وقال بعض النحاة من أهل الكوفة ان الفاعل يقدم على فعله وضعا كما يقدم طبعا يقولون فى مثل زيد قام انه من باب الفعل والفاعل ولا يجعلونه من باب المبتدا والخبر وهو دليل لا بأس به والصحيح أن الفعل مقدم على الفاعل بمعنى ما ذكره ولان الفعل هو أثر الرفع فى الفاعل والمؤثر مقدم على المتأثر طبعا فليقدم وضعا فاذا وقع فى الكلام قبل فعله خرج من باب الفعل والفاعل الى باب المبتدا والخبر واعرب مبتدا وقام فعل ماض وفاعله ضمير يرجع الى المبتدا والجملة خبر والالزم القائل بتقديم الفاعل على الفعل أن لا يختلف الحال فى تقديمه وتأخيره وأن يقال الزيدان قام والزيدون قام ولما قيل الزيدان قاما والزيدون قاموا علم أن ذلك مبتدا وأن الضمير هو الفاعل وهذه المباحث ملخصة مما ذكرته فى التعليقة على الحاجبية (البرء) مجرور بالاضافة المقدرة باللام (فى علاتى) جار ومجرور ومضاف ففى حرف جر وهى ظرفية متعلقة بيدب وعلاتى مجرور بها والياء فى موضع جر بالاضافة (المعنى) أترجى المسامحة مكان الحى من الجزع يحصل لى بسببها دبيب نسيم البرء فى علاتى التى أكابدها من الاشواق وليس الترجى مما يجدى ولكنها اطماعة النفوس وطباعها ومكابرتها فى الباطل ونزاعها ولله در القائل

لعل وما تغنى لعل وانها ... علالة صب واستراحة هائم

وقال آخر

أمنى تلك الليالى المنيرا ... وجهد المحب أن يتمنى

وقال جمال الدين أبو الدر ياقوت الرومى

لله أيام تقضت بكم ... ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها ... شئ سوى أن نتمناها

ومثله قول الآخر

أحبتنا لم يبق من طيب وصلكم ... على البعد الا أننا نتمناه

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى

يا كاتم الشوق ان الدمع مبديه ... حتى بعيد زمان الوصل مبديه

أصبو الى البان لما بان ساكنه ... تعللا بليالى وصلنا فيه

عصر مضى وجلابيب الصبا قشب ... لم يبق من طيبه الا تمنيه

وقول الطغرائى فى غاية الحسن والرقة وهو مأخوذ من قول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم ... كتمشى البرء فى السقم

(وحكى) الاصمعى قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس قال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر قال قاتلك الله ولو فى الخمر فانشده

يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلى ولم أنم

حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر يا أبا سعيد الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت وأى معنى سرق قال قوله فتمشت فى مفاصلهم فقلت وأى شئ ذات فقال قلت

الافدرى قلت وما القدرى قال لا أدرى الا انه رجل سوء وقال أتانى بعض العقلاء فقال سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمنى منها فقلت نعم فقال اذا قال لى شخص يا زوج القحبة يا ثقيل الروح أى شئ أقول له قلت قل له صدقت وقال أنشدت أبا شعيب القلال شعر الابى نواس فقال هذا شعر لو نثر لطف فقلت ويلك ما تفارق البرار والحذف حيث كنت واشترى خصيا أسود فقيل له فى ذلك فقال أخذته اسود لئلا يموت لى وخصيا لئلا أتهم به واجتمع فى البصرة بالجماز فى مجلس فقال له الجماز كم نارا فى اللغة فقال نار الحرب ونار الشعر ونار الحباحب ونار المعدة والنار المعروفة قال تركت أبلغ النيران قال وما هى قال نار حرامك التى كانت تلقى فيها دوح سالهم خزنتها فقال الجاحظ أما نار حر أمى فقد نضجت ان لها حدا فما الشأن فى نار حرامك التى يقال لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد وسأله شخص كتابا الى بعض أصحابه بالوصية فكتب له رقعة وختمها فلما خرج الرجل من عنده فضها فاذا فيها كتابى اليك مع من لا أعرف ولا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك

غـراء في فرعها الـليل على قمـر * على قضيب على دعص النقا الدهس
أذكى من المسك أنفاسا وبهجتها * أرق ديباجـة من رقة النفس
كأن قلبي وشاحاها اذا خطرت * وقلبها قلبها في الصمت والخرس
تجـري محبتها في قلب وامقها * جري السلامة في أعضاء منتكس

فقلت وممن سرقت أنت هـذا المعنى قال لا أعلم اني أخذته من أحد فقلت بلى أخذته من عمرو بن أبي ربيعة حيث يقول

أما والراقصات بذات عرق * ورب الركن والبيت العتيق
وزمزم والطواف ومشعريها * ومشتاق يحن الى مشوق
لقد دب الهوى لك في فؤادي * دبيب دم الحياة الى العروق

فقال وممن سرق عمر بن أبي ربيعة هذا المعنى (قلت) من بعض العذريين حيث يقول

وأشرب قلبي حبها ومشى به * كمشي حميا الكاس في عقل شارب
ودب هواها في عظامي وحبها * كما دب في الملسوع سم العقارب

فقال لي وممن أخذ هذا العذري قلت لا أعلم قال من أسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها حمراء صافية * وغروبها صفراء كالورس
تجري على كبد السماء كما * يجري حمام الموت في النفس

انتهى ما حكاه الاصمعي (قلت) وقد أخذه أبو نواس برمته من بعض الهذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشي حيث يقول

فتمشي لا يحس به ... كتمشي النار في الفحم

قال بعض الرواة عن أبي نواس على هذا النص وهي أصح الروايات لانها آخر ما استقرت عليه الحال وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن أبي ربيعة بعينه فقال

أما وحرمة كاس * من المدام العتيق
وعقد نحر بنحر * ومزج ريق بريق
لقد جرى الحب مني * مجرى دمي في عروقي

وأخذه أبو الطيب فقال

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي * فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن هند

رب هم على الفؤاد جثوم * أزعجته عني بنات الكروم
فتمشت في قلبي المهموم * كتمشي الترياق في المسموم

وأتى عبد الله بن الحجاج بن محصن بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

وقد بت أسقاها سلافا مدامة * لها في عظام الشارب دبيب

وقال أبو الطيب في وصف الخيل

من بنات الخيل تمشي بنا في الشـيد مشي الايام في الآجال

وهو ماخوذ من قول مسلم بن الوليد

وان رددته لم أذمك فرجع اليه الرجل فقال الجاحظ كانك قد فضضت الورقة قال نعم قال لا يضرك ما فيها فانه علامة لي اذا أردت العناية بشخص فقال الرجل قطع الله يديك ورجليك ولعنك فقال ماهذا قال هذه علامة لي اذا أردت أن أشكر شخصا وقال نزلت على صديق لي فلم آكل عنده شيئا فعرضت له فقال اني لا أكثر من الطعام منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم فقلت يا أخي انما أراد البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يؤخر عن ذلك الطعام من ذلك اليوم (وحكى) أن أبا طاهر قال صرت الى الجاحظ ومعي جماعة وقد أسن واعتل في آخر عمره وهو في منظرة له وعنده ابن خاقان جاره فقرعنا الباب فلم يفتح لنا وأشرف من المنظرة فقال الا اني قد حوقلت وحملت رميح أبي سعد وسقت الغنم فما تصنعون بي سلموا سلام الوداع فسلمنا وانصرفنا قوله حوقلت أكثرت من قولي لا حول ولا قوة الا بالله لتتابع الاعراض وقوله رميح أبي سعد هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا وهو أول من فعل ذلك فقيل

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقال آخر

وفي الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو باعطاف كسلان الخطا ثمل

فاي مشي الورد من خذي بوجنته * مشي اللواحظ من عينيه في أجلي

وقول الطغرائي يشبه قول أبي الطيب

وربما صاحك الغيث فيه * زهر الشكر من رياض المعالي

نفحتنا منه الصبا بنسيم * رد روحا في ميت الآمال

وأما الاسترواح بأنفاس الديار وتلقي النسمات من أرض الحبيب فقد أكثر الشعراء فيه وطلبوا الحياة والشفاء بالقرب من أماكن المعشوق قال ابن الفارض

ياساكني البطحاء هل من عودة * أحيا بها ياساكني البطحاء

واذا أذى ألم ألم بمهجتي * فشذا أعيشاب الحجاز دوائي

*(لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل)*

(اللغة) كرهت الشيء أكرهه كراهة وكراهية فهو كريه ومكروه ومعناه المشقة وعدم الملاءمة (الطعنة) من طعنه بالرمح شككه وطعن في السن يطعن بالضم طعنا وطعن فيه بالقول يطعن أيضا طعنا وطعنانا وذكرت هنا لي بيتين وهما

أفديه من أهيف بدت لي * من حسنه المنتقى غرائب

أسمر كالرمح في اعتدال * لاطعن في قده لعائب

(النجلاء) الطعنة الواسعة ومنه العيون النجل وسنان منجل واسع الطعنة ويقال نجله أي شقه لما طعنه ونجلت الاهاب اذا شققته عن قوائمه جميعا ثم سلخته (شفعت) الشفع في اللغة الزوج والوتر الفرد تقول كان وترا فشفعته ومعناه هنا قد ثنيت (برشقة) الرشق الرمي وقد رشقته بالنبل ارشقه رشقا بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وما أحسن قول محيي الدين بن قرناص

أتى الحبيب مائسا * والردف قد أقلقه

برشق ثم يثني * لله ما أرشقه

(نبال) جمع نبل وهي السهام العربية اسم جمع لا واحد له من لفظه وهي مؤنثة وجمعت على نبال والنبال صاحب النبل والوجه أن يقال نابل مثل لابن وتامر والنابل الذي يعمل النبال والفعل النبالة النجل بالتحريك سعة شق العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل

(الاعراب * لا) حرف نفي (أكره) فعل مضارع من كره يكره وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره لا أكره أنا (الطعنة) مفعول به (النجلاء) صفة للطعنة فهي منصوبة (قد شفعت) تقدم الكلام على قد وشفع فعل ماض مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة التأنيث نائب الفاعل وهو ضمير مستتر فيه تقديره قد شفعت هي يرجع للطعنة والجملة في موضع النصب على الحال تقديره لا أكره الطعنة النجلاء مشفوعة (برشقة) الباء حرف جر ويجوز أن تكون للمصاحبة وأن تكون للاستعانة (من نبال) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (الاعين) مضاف الى نبال والاضافة معنوية بمعنى اللام (النجل) مجرور على أنه صفة للاعين تبعه في تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) لا أكره الطعنة

الكل من شانح أخذ رمحه أبي سعد وقوله سقت الغنم هو عند العرب كناية عن الهرم لان سائق الغنم يطأطئ رأسه * وكان سبب علة الجاحظ أنه حضر مائدة ابن أبي دواد وفي الطعام سمك ولبن وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان السمك ان كان مضادا للبن فاني اذا أكلتهما دفع كل منهما ضرر الآخر وان كانا متساويين فكأني أكلت شيأ واحدا فقال ابن بختيشوع أنا لا أحسن الكلام ولكن ان شئت أن تجرب فكل فأكل فأصابه فالج عظيم وبقي ترس حتى دخل عليه بعض أصحابه فقال له كيف حالك فقال اصطلحت على الاضداد لو خرج شقي الايمن ما حسست به من الفالج ولو مرت على شقي الايسر ذبابة أوجعتني وأشد ما أشكو الثمانون (وحكي) بعض أبناء البرامكة قال تقلدت السند وحصل لي ما شاء الله ثم صرفت عنها وكنت قد كسبت بها ثلاثين ألف دينار فصغتها عشرة آلاف اهليلجة وجاء للصارف فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل

العظيمة الواسعة التي تنالني وقد تثنت برشقة من سهام العيون المتسعة لان الالم اذا جاء في أثناء اللذة لا اعتبار به كأنه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحي لما أخذ يصفهم بالشجاعة والغيرة فهو يقول أنا لا أكره مع ظفري برؤية هذه الفتيات الحسان وقوع الطعنات لان ذلك رخيص اذا تهيأ لي ومن هذا قولهم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل وقول القائل

يغوص البحر من طلب اللآلي ❊ ومن رام العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا ❊ لقد أطمعت نفسك بالمحال

وقول أبي الطيب

تريدين ادراك المعالي رخيصة ❊ ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا ❊ ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر

وما زال المحبون يقتحمون الاخطار ويركبون الاهوال حتى ينال أحدهم لمحة أو اشارة سلام ويبذلون الجليل من نفوسهم في بلوغ القليل من المحبوب قال تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ❊ قال وهب اتخذت مائدة ودعت أربعين امرأة واعدت لهن أترجا وموزا وقال غيره أترجا وعسلا ولكن يقطعن بالسكين ويأكلن الاترج بالعسل فلما رأينه أكبرنه قال ابن عباس أي حضن من الفرح أو من الدهش قال مجاهد ما أحسسن الا بالدم وما وجدن لايديهن ألما قال وهب وبلغني أن نساء فتن به في ذلك المجلس وقلن حاش لله ما هذا بشرا قال محمد بن علي أردن ما هذا أهل لأن يدعى للمباشرة بل مثله ينزه عن الشهوة وقيل ان أهل مصر فتنوا به من النظر الى وجهه حتى كانوا اذا جاعوا اشتغلوا بالنظر اليه وقرئ ما هذا بشرى أي بكسر الباء والشين أي مملوك وأنكر الزجاج هذه القراءة لانها تخالف رسم المصحف لانه بالالف وأنكر تفسير أكبرنه بالحيض لانه عداه الى الضمير فهذا ما وقع في الحاضر من أمر النسوة لما رأين يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن وما شعرن بالالم بعد غوص السكاكين في أكفهن لذة بالنظر اليه وشغلا عن جراحتهن بما وجدنه من اللذة ولم يتقدم لهن به شغل قلب ولا فكر ولا وسواس بل رأينه بغتة فكيف بمن هو مشتغل برؤية محبوبه وقد أعمل المطي اليه وقطع القفار ليلا ونهارا كما قال الآخر

وما صبابة مشتاق الى أمل ❊ من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

ان لم أزر ربعكم سعيا على الحدق ❊ فان ودي منسوب الى الملق
تبت يدي ان تثنني عن زيارتكم ❊ بيض الصفاح ولو سدت بها طرقي

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال أنشدني لنفسه اجازة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الفزاري

ان لم أمت في هوى الاجفان والمقل ❊ فواحيائي من العشاق واخجلي
ما أطيب الموت في عشق الملاح كذا ❊ لا سيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي اذا امامت بينكما ❊ دون الشهيين ورد الخد والقبل

بالفالج وأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت الي خادمة صغرى فقلت رجل غريب أحب أن أنظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولي له ما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لا بد من النظر اليه فقال هذا رجل ورد البصرة وسمع بي ويريد أن يقول رأيت الجاحظ فاذن لي فدخلت وسلمت فرد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله أسلافك وآباءك السمحاء فلقد كانت أيامهم رياض الدهر ولقد دوأى بهم الخلق خيرا كثيرا فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت له أنشدني شيأ فقال

لئن قدمت قبلي رجال فطالما ❊ مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه ❊ فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال ان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث الي منه فقلت نعم وعجبت من وقوعه على خبري مع كتمي له وبعثت

فاستغفرا لي وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل
راش الفتور له سهما فأخطأه * حتى أتيح له سهم من الكحل
وللعيون اللواتي هن من أسد * الى القلوب سهام هن من ثعل
فالجرح منهن لذات بلا ألم * والطعن عند محبيهن كالقبل

وقال ابن الساعاتي

فاضح الظبي اذا الظبي رنا * مخجل البدر اذا البدر كمل
فارسي فاذا خاف سطا * نظرة لاذ بطرف من ثعل

وقال أبو دلف العجلي

كم في بني الروم من أعجوبة مثل * تبقى وفي العرب من ذي نجدة بطل
انا اسيافينا نعلوا أكابرهم * قهرا وتقتلنا الولدان بالمقل
اذا رجعنا باسرى من سراتهم * نالوا الثرات بلحظ الاعين النجل

وقال أبو فراس يصف نساء الصبي

وخريدة كرمت على آبائها * وعلى بوادر خلينا المتكرم
خطبت بحد السيف حتى زوجت * كرها وكان مذاقها كالعلقم
راحت وصاحبها بعرس حاضر * يرضي الاله وأهلها في مأتم

وقال ابن سناء الملك

فلم يبق الامن سبي الجيش منهم * وان كان يسبي الجيش بالحدق النجل

قال ابن جبارة أين هذا البيت من المسروق منه وهو قول أبي الطيب

فلم يبق الامن حماها من الظبي * لمى شفتيها والثدي النواهد

قلت لو استحضر ابن جبارة أبيات أبي دلف المتقدمة لما عدل عن الثالث منها اذ نسبة السرقة اليه أكمل لانها بالمعنى واللفظ وقد أولع الشعراء المتقدمون بالغزل في العيون النجل قال أبو الطيب

مثلت عينك في حشاي جراحة * فتشابها كلتاهما نجلاء

وقد قال ابن وكيع قوله فتشابها كان يجب أن يقول فتشابهتا ولكن العين تانيثها غير حقيقي ولو استعمل القياس على قوله لقال فكلاهما أنجل أو فتشابهتا فكلتاهما نجلاء وقد سلك أبو الطيب في وصف جراح الممدوح مسلكا غريبا فقال

اذا ما ضربت القرن ثم أجزتني * فكل ذهبا لي مرة منه بالكلم

وهذا معنى غريب لكنه غث الالفاظ والشاهد على الغزل في الاعين النجلاء كثير وما أحسن قول سيف الدين بن المشد

ان أنكرت نجل العيون جراحتي * فدليل قتلي انها نجلاء

وهذا من قول أبي الطيب ولكنه أسلس في تركيبه وقول الارجاني

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء

وأما المتأخرون فانهم تغزلوا في العيون الضيقة وهي عيون الاتراك وما ألطف قول القائل وقد أنشدنيه غير واحد لعلاء الدين الجويني صاحب الديوان وليس له

له منه شيأ * ومن كلامه في رسالة أبقاك الله بقاء أياديك ولا نقلنا عن ظلك ولا أضلنا عن سبلك فما صان وجه الاحرار سواك ولا أخذ الملهوف مظلمته في دهر الا بعدواك * وكتب الى قليب المغربي والله يا قليب لولا أن كبدي في هواك مقروحه وروحي بك مجروحه لساجلتك هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة وأرجو أن الله تعالى يديل صبري من جفائك فيردك الى ودي وأنف القلي راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء * وكتب الى ابن أبي داود يستعطفه ليس عندي أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذي لا يكون الامن نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة

أبادية الاعراب عنى فاننى * بحاضرة الاتراك نيطت علائقى
وأهلك بالنجلا العيون فاننى * فتنت بهذا الناظر المتضايق

أقول نعم فان فى الخمر معنى ليس فى العنب وما أحق المتأخرين بقول القائل كم ترك الاول للآخر وما أحسن قول ابن النبيه

يصد بطرفه التركى عنى * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال أيضا

بى ضيق العين وان أطنبوا * فى الحدق النجل وان أوسعوا

وقال أيضا

من بنى الترك لين العطف قاسى الـقلب سهل القياد صعب المراس
ضيق العين وهو من صفة البخـل فان جاد كان ضد القياس

ومن قول ابن النبيه الاول أخذ محيى الدين بن قرناص فقال

علقته تتريا * يشجى القلوب ببينه
لا يرتجى الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال شهاب الدين الشاغورى

تناسى صحبتى وذمام عهدى * وعند الترك ما يرعى الذمام
بضيق جفونه وسعت عذرى * فزال العزل عنى والملام

وما أحسن قول الارجانى

يا غلاما أضحى دليل وجود الـخصر منه وجود عقد القباء
كلما شد طعنة فى فؤادى * قال خذها نجلاء من حوصاء

وقال محمد بن أحمد الافريقى المتيم

قد أكثر الناس فى الصفات وقد * قالوا وزادوا فى الاعين النجل
وعين مولاى مثل موعده * ضيقة عن موارد الكحل

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

وخاطر عنت الاشواق يجبه * جآذر الترك لا زى الاعاريب
من كل أغيد ضاقت عينه فتى * يجود لى من تلاقيه بمطلوب

وأنشدنى من لفظه لنفسه أيضا

بهت العذول وقد رأى ألحاظها * تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى * هذى مضائق لست أدخل فيها

ونقل هذا المعنى الى غيره القاضى علم الدين سليمان بن ابراهيم متولى دمشق وأنشدنيه من لفظه

قالوا تخل عن النساء ومل الى * حب الشباب فذا بلطفك أجل
فاجبتهم شاورت ايرى قال لا * هذى مضائق لست فيها أدخل

(رجع) وأنشدنى اجازة لنفسه المولى صفى الدين بن عبد العزيز الحلى ومن خطه نقلت

لم تترك الاتراك بعد جمالها * حسنا لمخلوق سواها يعشق

ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد أخذ حقه وانما الاجر فى الآخرة وطيب الذكر فى الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو أن لا أضيع وأهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تتكاولون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بملا من بنى اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفاء ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال كل امرئ ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا فى أوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذى فيه ينضح * ومن كلامه فى المعنى زينك الله بالتقوى وكفاك ما أهمك من الآخرة والاولى من عاقب أبقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى فى الظلم ومن

جذبوا القسى الى قسى حواجب * من تحتها نبل اللواحظ ترشق
نشروا الشعور فكل قد منهم * لدن عليه من الذؤابة صنجق
لى منهم رشاء اذا قابلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقانى بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

ونقلت من خط القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر

مفزع للقلوب ينهبها * فهو لعمرى البطال ذا البطل
من فتية خالفوا المقول فكم * ضاقت عيون لهم وما بخلوا

وقلت أنا

اترك هوى الاتراك ان شئت أن * لا تبتلى فيهم بهم وضير
ولا ترج الجود من وصلهم * ما ضاقت الاعين منهم لخير

وقلت أيضا

أحببت من ترك الخطا ذا فاقة * نفحت غصون البان لما أن خطا
اياكم وجفونه فأنا الذى * سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقلت أيضا

يا طالب لا تقدم على * سحر العيون اذا سطا
ومن العجائب أنه * أضحى يصح مع الخطا

وقلت أيضا

غزال من الاتراك ماضاق لحظه * لخلّى الا كى تضيق مذاهبى
كان الحشا طير وكاسر جفنه * تصيده من هدبه بمخالب

وقلت أيضا

ياشادنا أبدا أرى نفسى له * دون البرية لا تفارق شيقه
والله ما اتسعت همومى فى الدجى * حتى بليت بمقلتيك الضيقه

*(ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى * باللمح من خلل الاستار والكلل)*

(اللغة) أهاب أخاف تهيبت الشئ وتهيبنى أى تخوفنى وتخوفته والهيبة والمهابة الاجلال والخوف الصفاح جمع صفيحة وهى السيف العريض لانها صفحت تسعدنى الاسعاد الاعانة باللمح لمحه وألمحه لمحا اذا أبصره بنظر خفيف والاسم اللمحة خلل الخلل الفرجة بين الشيئين والجمع الخلال مثل جبل وجبال وقرئ فترى الودق يخرج من خلاله وخلله الاستار جمع ستر والسترة ما يستتر به كائنا ما كان وكذا الستارة الكلل جمع كلة وهى الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البق (الاعراب ولا) الواو عاطفة لا حرف نفى (أهاب) فعل مضارع تقول هابه يهابه والأمر هب الاصل هاب سقطت الالف لاجتماع الساكنين واذا أخبرت عن نفسك قلت هبت وأصله هيبت فلما سكنت الياء سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت كسرتها الى ما قبلها او ذكرت بالجمع بين ساكنين قول محمد بن شرف القيروانى فى رجل عجز عن افتضاض عرسه

كم ذكر الورى وأنثى * أولى من اثنين بالتقى

لم يفرق بين الاسافل والاعالى والادانى والاقاصى فقد قصر والله لقد كنت أكره سرف الرضا مخافة أن يؤدى الى سرف الهوى فاظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش عجول خاش ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء وأنت روح كما أنت جسم وكذلك جنسك ونوعك الا أن الاثر فى الرقاق أسرع وضده فى الغلاظ الجفاة أكمل ولذلك اشتد جزعى عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا أردت أن تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر فى علته وفى سبب اخراجه الى معدنه الذى منه نجم وعشه الذى منه درج والى جهة صاحبه فى التسرع والثبات والى حلمه عند التعرض وفطنته عند التوبة فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الغيض فى المقادير أو من طريق الانفة وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله انه مقصر به فى حقه مؤخر عن رتبته أو كان مبلغا عنه مكذوبا عليه أو كان ذلك جائزا فيه غير ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ولا

أرى الليالى أنت بلحن * تجمعها بين ساكنين

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

بكيت وما يجدى البكاء عن العانى * وألف تشتت الاحبة أشجانى

كأن زمانى خاف لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين باوطانى

وقول الآخر

زمانى ساكن وسكنت قالوا * تحرك لالتقاء الساكنين

فقلت هنالك التحريك كسر * وقبل كسرت أكسر مرتين

وقول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى

لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

قلت هذا المعنى فيه نقص لان القلب ظرف لاجتماع الساكنين فيه وحينئذ يكون الساكنان غير القلب والكسر انما وقع على القلب لا على أحد الساكنين ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجها وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين وما رأيت فيهم من تنبه له ويقارب هذا الاشكال ما دار بينى وبين المولى جمال الدين محمد بن نباتة فى الجامع الاموى بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فانه أنشدنى قول ابن الرومى فيما أظن

ومن العجائب أن عضوا واحدا * هو منك سهم وهو منى مقتل

فقلت له هذا ليس بعجيب اذا ترك ما ظاهره اللهم الا ان فتحنا باب التأويل وأحضرنا المجاز فقال لأى شئ قلت لان عين العاشق فى الهوى غير عين المعشوق يقينا أما انهما من جنس واحد فسلم وهذا مثل قولك يا عجبا من انسان يقتل انسانا أو من فرس يعلو فرسا وليس هذا من العجيب فى شئ وأما اذا كان على ما يتبادر الى ذهنك من أن العضو الواحد هو سهم ومقتل معا فى حالة واحدة فنعم وليس كذلك بل عين العاشق غير عين المعشوق بدليل اضافة كل منهما الى شخص معين على حدته فأخذ فى التصميم على ذلك فقلت له سلمت لك أن العضو الواحد منهما هو سهم ومقتل معا من أين لك أن العين مقتل وانما المقتل القلب على عادة الشعراء المألوفة فى ذلك قال الارجانى

أعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال الآخر

عوقب قلبى وجنى ناظرى * وربما عوقب من لا جنى

وقال أبو الطيب

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

فانظر الى أبى الطيب كيف ادعى أن العين هى السبب فى اجتلاب المنية فالذنب عند الشعراء كلهم للعين لكونها سببا بنظرها الى هلاك الفؤاد والدواوين ملأى بهذا المعنى وهو أشهر من أن يزاد له بينة من الشواهد عليه فقال أليس أنها السبب فى القتل قلت له قد تقدم انه لابد من تأويل فى البيت وتقدير المجاز فيه كأنه قال ومن العجائب أن عضوا واحدا هو منك سهم وهو منى سبب مقتلى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهو كثير انتهى والمليح فى

ينظر فيها حليم واسع الشيمة بكثرة معروفه كريما حتى يكون عقله غامرا لعلمه وعلمه غالبا على طباعه كما لا اسمه يكف العقاب حكيما حتى يكون عارفا بمقدار ما أخذ وترك ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له الا البغض المحض والنفار الغالب فلو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذرك كثير من العقلاء وقد رأيت عالما من الاشراف والاناة أقرب من الجد وأبعد من الذم وأنأى من خوف العجلة وقد قال الاول عليك بالاناة فانك على ايقاع ما لم توقعه أقدر منك على رد ما قد أوقعته وليس يصارع الغضب أيام شبابه شئ الا صرعه ولا ينازعه قبل انتهائه الا قهره وانما يحتال له قبل هيجه فى تمكن واستفحل وأذكى ناره وأشعل ثم لا تنى من صاحبه قدرة ومن أعوانه سمعا وطاعة فلو استبطنته بالتوراة وأوجرته بالانجيل ولددته بالزبور وأفرغت على رأسه القرآن افراغا وأتيته بآدم شفيعا لما قصر دون أقصى قوته وان يسكن غضب العبد الا كره غضب الرب فلا نقف حفظك الله بعد مضيك فى عتابى التماسا

هذا المعنى قول ابن سهل المغربي في أول موشحه

بالحظات للفتن * في كرها أوفي نصيب
ترمي وكلي مقتل * وكلها سهم مصيب

وقول ابن سناء الملك

مالحظها سهم وقلبي مقتل * بل كلها سهم وكلي مقتل

وسألت الشيخ الامام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبعمائة وثمانية عشر أو سنه سبعمائة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى وأخر متشابهات فقلت المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف الا بما يوصف به المفرد من الوصف فقال كذا هو فقلت ما مفرد متشابهات فقال متشابهة فقلت كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة وانما يقع التشابه بين الاثنين وكذا قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه فعدل بي من الجواب الى الشكر وقال هذا ذهن جيد ولو لازمتني سنة لانتفعت وسألته في ذلك المجلس قبل هذا السؤال مسئلة في الواجب والممكن وذكرت له اشكالا كان على ذهني في تعريفهما عند المتكلمين فأزاله وقرر ما قالوه وسألته أيضا عن تفسير قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله فتعالى الله عما يشركون فاجاب بما قاله المفسرون في الجواب وهو وآدم وحواء وان حواء لما أثقلت بالحمل أتاها ابليس في صورة رجل وقال أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلبا فلم تزل في هم حتى أتاها ثانيا وقال سألت الله أن يجعله بشرا سويا وان كان كذلك فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له هذا فاسد من وجوه الاول انه تعالى قال في الآية الثانية فتعالى الله عما يشركون فهذا يدل على أن القصة في حق جماعة الثاني انه ليس لابليس في الكلام ذكر الثالث أن الله تعالى علم آدم الاسماء كلها فلا بد وانه كان يعلم أن الحرث اسم لابليس الرابع أنه تعالى قال أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وهذا يدل على أن المراد به الاصنام لان ما لا يعقل ولو كان ابليس لقال من التي هي لمن يعقل فقال الشيخ تقي الدين قد ذهب بعض المفسرين الى أن المراد بهذا قصي لانه سمى أولاده الاربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون له ولاعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الاسماء وأمثالها فقلت وهذا أيضا فاسد لانه تعالى قال خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وليس كذلك الا آدم لان الله تعالى خلق حواء من ضلعه فقال المراد بهذا أن زوجته من جنسه قرشية عربية فما رأيت التطويل معه وأما الجواب عن متشابهات فهو أن العرب نطقت بهذه الصيغة أشياء ولم ترد بها المفاعلة كقولهم طابقت النعل وعاقبت اللص وخامرت الحب وان قلت ان الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب ان التشابه لا يكون الا بين اثنين فما فوقهما واذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فلما لم يصح التشابه الا في حالة الاجتماع وصف الجمع بالجمع لان كل واحد من مفرداته يشابه الآخر وعلى ذكر خلق حواء من ضلع آدم قد نقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته وعن شريح انه تقدمت اليه امرأة فقالت أيها

للعفو عني ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بي ولكن نف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم أن للكرام أعداء ويمسك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ولا يبرئ الهوى من الخطا ولا تنكر لنفسك أن تزل ولا عقلك أن يهفو فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست أسألك الا ريثما تسكن نفسك وبرتد اليك ذهنك وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد أردت أن أفديك بنفسي في مكاتباتي وكنت عددنفسي في عداد الموتى وفي حيز الهالكي فرأيت أن من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك أن أفديك بنفس ميتة وأن أريك أني قد جعلت لك أنفس ذخر والذخر معدوم وأنا أقول كما قال أخو ثقيف مودة الاخ التالد وان أخلق خير من مودة الاخ الطارف وان ظهرت مساعيه وراقت جدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك * ومن فصوله القصار قال البخل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب

القاضي اني جئتك مخاصمة فقال ابن خصمك قالت أنت فأخلى لها المجلس وقال تكلمي
فقالت أيها امرأة لها احاليل وفرج فقال قد كان في هذا الامير المؤمنين قضية وورث من حيث
جاء البول وكان شريح قاضي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت انه يجيء منهما جميعا فقال
لها من أين سبق البول فقالت ليس شيء منهما يسبق به بل يخرجانه في وقت ويقطعانه في
وقت فقال انك لتخبريني بعجيب فقالت أقول أعجب من ذلك تزوجني ابن عم لي واخدمني
خادما فوطئتها فأولدتها واني جئتك لما أولدتها فقام شريح من مجلس القضاء ودخل على علي
رضي الله عنه وأخبره بما قالت المرأة فأمر بها علي فادخلت وسألها عما قال القاضي فقالت يا أمير
المؤمنين هو الذي قال فأحضر زوجها فقال هذه زوجتك وابنة عمك قال نعم يا أمير المؤمنين قال
أفعلمت ما كان قال نعم أخدمتها خادما فوطئتها فأولدتها ووطئتها بعد ذلك قال له علي
لانت أجرأ من الاسد جيئوني بدينار الخادم وكان معدلا وامرأتين فقال خذوا هذه المرأة
وأدخلوها الى بيت فجردوها من ثيابها وألبسوها ثيابا وعدوا اضلاع جنبيها ففعلوا ذلك ثم
خرجوا اليه فقالوا يا أمير المؤمنين عدد اضلاع الجانب الايمن ثمانية عشر ضلعا وعدد أضلاع
الجانب الايسر سبعة عشر ضلعا فدعا الحجام وأخذ شعرها وأعطاها حذاء ورداء وألحقها بالرجال
فقال الرجل يا أمير المؤمنين امرأتي وابنة عمي ألحقتها بالرجال ممن أخذت هذه القضية فقال له
علي اني ورثتها من أبي آدم ان حواء أما خلقت من آدم فاضلاع الرجال أقل من اضلاع
النساء وعدد أضلاعها أضلاع رجل فأخرجوا انتهى (قلت) قال الامام فخر الدين في مفاتح
الغيب الذي يقول ان عدد أضلاع الجانب الايسر من الذكر أنقص من أضلاع الجانب
الايمن منه بواحدة مشى على خلاف الحس والتشريح بقي أن يقال اذا لم نقل بذلك فما المراد
من كلمة من في قوله تعالى وخلق منها زوجها فنقول قد ذكرنا أن الاشارة الى الشيء تارة تكون
بحسب شخصه وأخرى بحسب نوعه قال عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء هذا اليوم الذي
أظهر الله فيه موسى عليه السلام على فرعون والمراد النوع لا الشخص وقال تعالى في قصة
آدم عليه السلام ولا تقربا هذه الشجرة والمراد النوع لا الشخص فكذا هنا قوله تعالى وخلق
منها زوجها أي من نوع الانسان زوج آدم عليه السلام والمقصود منه التنبيه على انه تعالى
جعل زوج آدم عليه السلام انسانا مثله انتهى (قلت) قد ورد التفسير بذلك عن ابن عباس
وهو حبر الامة الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس وكان يسمى البحر لعلومه والذي قاله الامام
متوجه فما بقي الا أن يقال ان ذلك كان خاصا بآدم عليه السلام ولم يطرد ذلك في الذرية
وأيضا فلفظ ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن فيه تصريح بان ذلك مطرد في جميع الرجال من
ذريته وانما قال وخلق منها زوجها وهي حواء خلقها الله سبحانه وتعالى من ضلع آدم من غير
أذى فليس في هذا دلالة على انه كان عليه السلام ناقصا بل قال من ضلعه فلعل ذلك من جزء
يسير منه لان من للتبعيض ولهذا قال من غير أذى ولكن هذا قد استفاض وانتشر والتحقيق
ما ذكرته في ذلك من التاويل والله أعلم بالصواب (رجع الصفاح) مفعول به لاهاب والالف
واللام هنا للجنس (البيض) منصوب على الصفة للصفاح (تسعدني) فعل مضارع من أسعد
وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهي في موضع

في تدبيره وظن أن رحمته
فوق رحمة الله جل ثناؤه
والناس لا يصلحون الا على
الثواب والعقاب وقال من
رسالة من العدل المحض أن
تحط عن الحاسد نصف عقابه
لان ألم حسده لك قد كفاك
شر مؤنة غيظه عليك وقال
لما مسخ الانسان قردا أنزل
فيه مشابه من الانسان ولما
مسخ زماننا لم ينزل فيه مشابه
من الازمان * ومن شعره
يقول

يطيب العيش ان تلقى حكيما
غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل
جهل
وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء
وداء الجهل ليس له طبيب

ومنه

ان حال لون الرأس عن حاله
ففي خضاب المرء مستمتع
هب أن من شاب له حيلة
فما الذي تحنى له الاضلاع

ومنه

وكم كان من أصدقاء له
وأعداء تفانوا فأخلدوا
تساقوا جميعا كؤس الردى
فمات الصديق ومات العدو

وله من أبيات يمتدح بها
بدى حين أثرى باخوانه
يفلل عنهم شباة العدم
وذكره الحال صرف الزمان
فبادر قبل انتقال النعم

نصب والفاعل ضمير مستتر يرجع الى الصفاح (باللمع) الباء هنا للاستعانة وهي متعلقة بتسعدني (من خلل) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية (الاستار) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للعهد الذهني أي أستار تلك الفتيات الحسان اللاتي تقدم ذكرهن (والكال) الواو عاطفة والكال مجرور بالعطف على الاستار وجملة تسعدني وما بعدها في موضع الحال كأنه قال ولا أهاب الصفاح البيض في حال اسعادها اياي باللمع من خلال الاستار وموضعها النصب (المعنى) هذا البيت كالبيت الذي تقدم ومعناه انى لا اخاف السيوف البيض اذا كانت تساعدني بالتماحها من خلال الاستار وما ارق قول ابن ميادة

فنظرن من خلل الحجال بأعين * مرضى يخالطها السقام صحاح

وأرشن حين أردن أن يرمينني * نبلا بلا ريش ولا بقداح

وقول الارجاني

وفي الحي كل كحيل اللحاظ * يطاعننا من خصاص الكلل

يذيب الفؤاد بتعذيبه * وأيسر أمر الهوى ما قتل

هذا قول أبي الطيب بعينه أحيي وأيسر ما لاقيت ما قتلا وبعضهم رواه أحيي وأيسر بضم همزة أحيي كأنه يستفهم عن حياته وأيسر ما فاته الذي قتل والذي فتح الهمزة أراد أفعل التفضيل معناه أفضل حياة وأيسر شئ فاته الذي قتل وفي بيت الطغرائي من البديع الاستخدام وهو أن يكون للكلمة معنيان فيؤتى بعدها بكلمتين أو يكتنفانها فيستخدم في كل واحدة منهما معنى من ذلك المعنيين ومثل أرباب البديع في هذا بقول أبي الطيب

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه * عدوك قيسي وأنت يماني

فيماني له معنيان أحدهما السيف والآخر ضد قيس ولم يزل العداوة بين قيس وأهل اليمن ويقول الآخر

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء في الانعام

وأشياء أخر غير هذا قال الشيخ بدر الدين بن النحوي في أسفار الصباح له والتمثيل بجميع ذلك غلط لانه من باب التورية لا من باب الاستخدام اما ما وقع به الكلمتان فكقول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحي وضلوعي

فاستخدم في قوله والساكنيه أحد مفهوميه وفي قوله شبوه مفهومه الآخر لان الاول أراد به المكان والثاني أراد به الحطب وأما ما اكتنفه كلمتان فهو كقول الآخر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

اذ السماء تستعمل للمطر والنبات فاستخدم في قوله نزل المطر واستخدم في قوله رعيناه النبات وهذا وان كان حقيقة ومجازا لا انه كثر استعمال مجازه حتى صار حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك ومن هذا قول الطغرائي لانه ذكر الصفاح وهي هنا مشتركة بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازا وقد غلب العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك فقال ولا أهاب الصفاح البيض فهو الى هنا في الحقيقة اللغوية والسامع يظنه

فتى خصه الله بالمكرمات

فمازج منه الحيا بالكرم

ومما أورد له الشريف المرتضى والعهدة عليه فان هذا الشعر أرفع طبقة من شعره يذكر فيه الخضاب

رب فتاة من بني هلال

قد عجلت الى بالسؤال

مالي أراك فاني السبال

كانما كرعت في جريال

نعم عن فكري وعن خيالي

(ومالك بن أنس مستقيمك)

(هو مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر التميمي) وكنيته أبو عبد الله امام دار الهجرة ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه أقام في بطن أمه ثلاث سنين * وكان يقول قد يكون الحمل ثلاث سنين وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعني نفسه وكان طويلا شديد البياض مائلا الى الشقرة مهيبا سوى اللباس والمجالس وهو أول من صنف في الفقه كتابا وهو الموطأ كذا قال العسكري في الاوائل ولعله أراد بالمدينة * وكان مالك اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له اخفض صوتك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فمن رفع صوته

فى ذكرها ثم ترك المفهوم الاول وأخذ فى المفهوم الآخر فقال تسعدنى باللمع من خلل الاستار والكلل فاستعمل الصفاح فى العيون وهى الحقيقة العرفية وهذا فى غاية الغزل لانه يقول أنا لا أهاب السيوف ووقعها اذا كانت تسعدنى على جراحى باللمع من فروج الاستار أى ما السيوف غيرها وما أحسن قول ابن التعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاكلة ✲ من أجلها قيل للاغماد أجفان

وان كان أخذه من أبى الطيب فى قوله

ولذا اسم أغطية العيون جفونها ✲ من أنها عمل السيوف عوامل

فانه تناوله خبث حديد واعاده قلادة جيد ولم يكف أبا الطيب بشاعة اللفظ فى قوله أغطية العيون حتى هجنه بتقديم ترتيبه وتأخيره والتقدير من انها عوامل عمل السيوف وأبلغ ما سمعت فى التورية والاستخدام ما أنشدنى من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدنى من لفظه لنفسه القاضى زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردى وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتا له يجمع استخدامين فاستخدم هو أربعة فقال

ورب غزالة طلعت ✲ بقلبى وهو مرعاها

نصبت لها شباكا من ✲ نضار ثم صدناها

وقالت لى وقد صرنا ✲ الى عين قصدناها

بذلت العين فاكحلها ✲ بطلعتها ومجراها

قلت معنى الاستخدامات الاربعة بذلت الذهب فاكحل عينك بطلعة عين الشمس ومجرى العين الجارية من الماء لانه وطأ لهذه المعانى فى الابيات المتقدمة وأتى بالبيت الرابع فتنزل جملة على ما تفصل وهذا يدل على الفكر الصحيح والتخيل التام وما أعرف لغيره هذه العدة فى هذا الوزن القصير وأنشدت لرشيد الدين الفارقى

ان فى عينيك معنى ✲ حدث النرجس عنه

ليت لى من غضه سهـ✲ـما فى قلبى منه

وهذا أيضا فيه أربعة ولكن نعود الى شيئين لان قوله من غضه فيه معنيان أحدهما غض الطرف وهو كسره الى أسفل والثانى من الغضاضة وهى الطراوة فالاول للعين والثانى للنرجس وقوله سهما فيه معنيان أحدهما النصيب وهو الذى نعناه والثانى الذى يرشق به من النبل وهو واحد السهام الذى فى قلبه منه وهذا وان كان بديعا الا انه أربعة لاثنين والاول أربعة لواحد وهو لفظة العين فكان أكمل وقد وضعت كتيبا وسميته فض الختام عن التورية والاستخدام أوضحت فيه هذين النوعين فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظره لعله يظفر منه ببعض مراده وأما قول الطغرائى فى هذا البيت واخراجه الحماسة فى صورة الغزل فهو من قول أبى الطيب اذ ليس لاحد معه فى هذا الباب دخول لانه يصف الحروب ويظهرها مظاهر الغزل وهذا من القدرة فى التخيل ألا ترى قوله

تعود أن لا تقضم الحب خيله ✲ اذا الهام لم ترفع جيوب العلائق

ولا ترد الغدران الا وماؤها ✲ من الدم كالريحان تحت الشقائق

وأخذه ابن عنين فقال

عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته وقال زيد بن داود رأيت فى المنام كأن القبر انفرج واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد والناس مصفوفون فصاح صائح أين مالك بن أنس فجاء مالك حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه شيأ فقال فرقه على الناس فاذا هو مسك وقال الشافعى رحمه الله تعالى قال لى محمد ابن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا رضى الله تعالى عنهما فقلت على الانصاف قال نعم فقلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بالسنة قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بأقاويل الصحابة قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى أى شئ تقيس وقال وهب سمعت مناديا ينادى ألا لا يفتى الناس الا مالك بن أنس وابن أبى ذويب وقال محمد بن جعفر لما دعى مالك وأشار وقبل منه حسده الناس وبغوه بكل شئ فلما ولى جعفر بن سليمان سعوا به اليه وقالوا انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشئ وهو يأخذ بحديث رواه الاحنف فى طلاق المكره أنه

وتعاف خيلهم الورود بمنهل * مالم يكن بدم الوقائع أحمرا

وقول أبي الطيب

ان كوتبوا أولقوا أوحوربوا وجدوا * في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

كأن ألسنهم في النطق قد جعلت * على رماحهم في الطعن خرصانا

كأنهم يردون الموت من ظمأ * وينشقون من الخطي ريحانا

وقوله أيضا

انك من معشر اذا وهبوا * مادون أعمارهم فقد بخلوا

قلوبهم في مضاء ما امتشقوا * قاماتهم في تمام ما اعتقلوا

وقوله أيضا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له في قتله أربا

وقوله أيضا

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن الا في فؤاد

وقد عد علماء الشعر سرقته هذا المعنى من عدة أماكن منها قول منصور النميري

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أونعاس الهاجع

ومنها قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها * نوما أناخ بجفن العين يغفيها

بلهذم من هموم النفس صبغته * فليس ينفك يجري في مجاريها

ومنها قول ابن المعتز

أين الرماح التي غذيتها مهجا * مذمت ماوردت قلبا ولا كبدا

ومنها قول الآخر

كأن سنان زابله ضمير * فليس عن القلوب له ذهاب

ومنها قول أبي تمام

كأنه كان ترب الحب مذزمن * فليس يعجزه قلب ولا كبد

وهذا جملة ما أوعدوه في ذلك (قلت) وليس في جميعه ما يقال له طيب غير قول أبي الطيب * وأين فضل الطل من الوابل الصيب * وقد أخذه بعد ذلك الشريف الرضي فقال

كأن سيفك ضيف الشيب ليس له * اذا أتى عن ورود الرأس منصرف

والارجاني فقال

كأن سيوف الهند فيها كواكب * مع الصبح في هام الكماة تغود

وهذا أيضا من قول ابن المعتز

مترديا نصلا اذا * لاقى المنية لم يراقب

فكأنه في الحرب شمس والرؤس له مغارب

وقال ابن الساعاتي

أمن الهجر سيفه فهو لاينـ * فك مذ كان قاطعا بتارا

لا يجوز فدعا جعفر بمالك وقد غضب فاحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى خلعت يداه وكتفاه فوالله مازال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس وعلو من قدره واعظام من الناس له حتى كأنما كانت تلك السياط التي ضرب بها حليا حلي به وقيل انما ضرب مالك لانه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية الاموي الداخل الى الاندلس والمتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت أن الله زين حرمنا بمثله فنقم عليه بنو العباس هذا القول وبلغ عبد الرحمن فسر بقوله وحمل أهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة على مذهبه * وتوفي رضي الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة * ومن أخباره ماحكى الشافعي رضي الله عنه قال رأيت على باب مالك رضي الله عنه كراعا من أفراس خراسان وبغال مصر فلما رأيت مثله فقلت لمالك ما أحسنه قال هو هدية مني اليك فقلت يا أبا عبد الله دع لنفسك منها ما تركبه فقال أنا أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه

أم من الحب رمحه فهو لا يأ ❊ لف الا القلوب والافكارا

وقال أيضا

من معشر يجل قدر علائه ❊ عن أن يقال لمثله من معشر

بيض الوجوه كأن زرق رماحهم ❊ سمر تحل سواد قلب العسكر

والاول من الاول والثانى من الثانى بديعان خصوصا قوله قلب العسكر وقال ابن عبدون

كأن عداه فى الهيجا ذنوب ❊ وصارمه دعاء مستجاب

وقال القاضى الفاضل

يبش من هون لاقدارهم ❊ والسيف فى الروع يرى هشا

كأنما أسيافه فى الوغى ❊ طير ترى الهام لها عشا

ولم أر لاحد من الشعراء غزلا فى وعظ مثل قول أبى الطيب

زودينا من حسن وجهك ما دا ❊ م فحسن الوجوه حال تحول

وصلينا نصلك فى هذه الدنـ ❊ ـيا فان المقام فيها قليل

وأخذه ابن سناء الملك فقال

صلينى وهذا الحسن باق فربما ❊ يعزل بيت الحسن منه ويكنس

(رجع) الى ذكر الحماسة فى صورة الغزل قال البحترى

تسرع حتى قال من شهد الوغى ❊ لقاء أعاد أم لقاء حبائب

وقال أبو تمام

يستعذبون مناياهم كأنهم ❊ لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقال ابن قلاقس

تخاله واهتزاز الرمح فى يده ❊ ليثا يلاعب عنه ثعبان

هل الرماح غصون بات يغرسها ❊ من الصدور طعانا فوق كثبان

وقال ابن الساعاتى فى فتح القدس يمدح صلاح الدين بن أيوب من أبيات

فقد أصبحت تحل العيون بأرضها ❊ مخافة هندا لظبى تنكر السقما

وأصبح ذاك الثغر جذلان باسما ❊ وألسنة الاغماد توسعه لثما

وكانت سيوف الهندسر غمودها ❊ فهاهى سر لا تطيق له كتما

ينم على فتكاته زهر القنا ❊ كذا الحديث الزهر يحلو اذا نما

ويخلو مع الخطى من كلف به ❊ ويحسبه قدا فيوسعه ضما

وهذا مأخوذ من قول عنترة

فوددت تقبيل السيوف لانها ❊ لمعت كبارق ثغرك المتبسم

و من قول أبى الحسن بن القبطرية البطليوسى

ذكرت سليمى وحر الوغى ❊ بقلبى كساعة فارقتها

وأبصرت بين القنا قدها ❊ وقد ملن نحوى فعانقتها

وقال ابن الساعاتى

يهوى قوام الرمح وهو مهفهف ❊ والسيف فى وجناته توريد

وسلم بحافر دابة ❊ ووجه الرشيد الى مالك رضى الله تعالى عنه ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يأتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام فجلس بين يديه فحدثه فبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فأتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به ❊ وحكى أن أبا يوسف القاضى حضر مجلس مالك فقال أبو يوسف من جملة كلام الانسان تارة يخطى وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك ان أبا يوسف قال كذا ولعله متعمد وأجبت كذا فخجل مالك ودعا على أبى يوسف أن لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية (وحكى) ابن حمدون فى تذكرته أن حسن بن نعمان قال كنت بالمدينة فخلا لى الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى فى شعر ذى يزن وأقول

ما بال قومك بارباب

حذرا كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية

فكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

وقال أبو بحر صفوان المرسى

يرى اعتناق العوالى فى الوغى غزلا * لأن خرصانها من فوقها مقل

وقال أبو عبد الله بن عثمان الحداد الاندلسى

انى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون

أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين

وكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

وقال المعتمد بن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر

حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سماء من العنبر

وقال أبو بكر الرصافى

لو كنت شاهده وقد غشى الوغى * يختال فى درع الحديد المسبل

لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وجمع معنى هذين المقطوعين المولى شهاب الدين أحمد بن مهاجر فيما أنشدنى من لفظه بحلب سنة ثلاثة وعشرين وسبعمائة

مالاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر

الاحسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

ومن قول الرصافى قول ابن سناء الملك

وقام من الدرع فى منهل * ويمناه بالسيف فى جدول

وقال ابن خفاجة

يعللنى منه عود درشفه * خيال له يغرى بمطل وليان

شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من أسنة مران

وقال آخر

كثير نجوم البيض ليل قتامه * طويل وجفن السيف فيه مسهد

وأضحوا وكل بات من سكرة الردى * يقبل خد الارض وهو مورد

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

ونحن معاشر نأبى الدنايا * ونلبس من صوان العرض سردا

نعانق من رماح الخط بانا * ونشق من سيوف الهند وردا

وقلت أنا

وسيوف اذامضت فى جراح * قلت هذا بنفسج فى شقيق

ينشد الجسم روحه من ظباها * ودماه بين النقا والعقيق

*(ولا أخل بغزلان أغازلها * ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل)*

(اللغة) أخل يقال أخل الرجل بمركزه اذا تركه واختل الى الشئ احتاج اليه الغزلان جمع غزال ويجمع على غزلة مثل غلمان وغلمة ويقال للشادن غزال حين يتحرك وقد أغزلت

جراءة فقال يافاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع مثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء فقال نشأت وأنا غلام فأعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يابنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله بى الى ماترى فقلت أعد الصوت جعلت فداك فقال لاولا كرامة تريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس واذا به مالك رضى الله تعالى عنه *ومن كلامه اذا ترك العالم قول لاأدرى أصيبت مقاتله * وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله فى القلب وسأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معقول والكيف مجهول وما أظنك الا رجل سوء

(وأنت الذى أقام البراهين ووضع القوانين)

البرهان فى اللغة بيان الحجة وظهورها وهو مصدر بره يبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان أوكد الادلة وهو الذى يقتضى

الظبية أغازلها أحادثها مغازلة ومغازلة النساء محادثتهن وقد تقدم في قوله حلو الفكاهة
دهتني دهته الداهية أصابته ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبه أسود تقدم
الكلام عليها في قوله فالحب حيث العدى والاسد رابضة الغيل الاجمة وهو موضع الاسد
والغيل مثل خيس لا يدخلها الهاء والجمع غيول وقال الاصمعي الغيل الشجر الملتف يقال
منه تغيل الشجر بالغيل الغوائل الدواهي وفلان قليل الغائلة أي الشر (الاعراب ولا)
الواو حرف عطف لا حرف نفي (أخل) فعل مضارع مرفوع لخلوه من ناصب وجازم وفاعله ضمير
مستتر فيه تقديره ولا أخل أنا (بغزلان) جار ومجرور والباء هنا للتعدية (أغازلها) فعل مضارع
مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم والهاء والالف ضمير الغزلان وهو في موضع نصب بالمفعولية
والجملة في موضع جر صفة لغزلان تقديره مغازلة لي (ولو) قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك
رحمه الله لو في الكلام على ضربين مصدرية وشرطية أما المصدرية فهي التي يحسن في موضعها
أن وأكثر ما تقع بعد ود أو ما في معناها كقوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وأما
الشرطية فهي للتعليق في الماضي كما أن ان في المستقبل ومن ضرورة كون التعليق في الماضي
أن يكون شرطها منفي الوقوع لانه لو كان ثابتا لكان الجواب كذلك ولم يكن تعليق في البين
بل ايجاب لا ايجاب لكن لو للتعليق لا للايجاب فلابد من كون شرطها منفيا وأما جوابها فان
كان مساويا للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا فلابد
من انتفائه أيضا وان كان أعم من الشرط كما في قولك لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء
موجودا فلابد من انتفاء القدر المساوي منه للشرط ولذلك تسمع النحاة يقولون لو حرف يمتنع به
الشئ لامتناع غيره أي يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ولا يرون أنها تدل على امتناع
الجواب مطلقا لتخلفه في نحو لو ترك العبد سؤال ربه لاعطاه وانما يريدون أنها تدل على انتفاء
المساوي من جوابها للشرط والاولى أن يقال لو حرف شرط يقتضي نفي ما يلزم من ثبوته ثبوت
غيره فينبه على أنها تقتضي لزوم شئ لشئ وكون الملزوم منفيا ولا يتعرض لنفي اللازم مطلقا
ولا لثبوته لانه غير لازم من معناها انتهى *(مسئلة)* قوله تعالى ولو أن ما في الارض من
شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال الشيخ شهاب الدين أحمد
ابن ادريس القرافي قاعدة لو أنها اذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين وعلى نفيين كانا ثبوتين
وعلى نفي وثبوت فالنفي ثبوت والثبوت نفي تقول لو جاءني لاكرمته فهما ثبوتان وما جاءك ولا
أكرمته ولو لم يستدن لم يطالب فهما نفيان وقد استدان وطولب ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير
انه آمن ولم يرق دمه وبالعكس لو آمن لم يقتل واذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلمات
الله قد نفدت وليس كذلك لان لو دخلت على ثبوت أولا ونفي آخرا فيكون الاول نفيا وهو
كذلك فان الشجرة ليست أقلاما ويلزم أن يكون النفي الاخير ثبوتا فتكون نفدت وليس
كذلك ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذا
يقتضي أنه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذما لكن الحديث سيق في المدح
وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثيرا أما الآية فقليل من يتفطن لها وقد ذكروا في الحديث
وجوها وأما الآية فلم أر لاحد فيها شيئا ويمكن تخريجها على ما قالوه في الحديث غير انه ظهر لي
جواب عن الحديث والآية جميعا وسأذكره بعد وقال ابن عصفور لو في الحديث بمعنى ان لمطلق

الصدق أبدا الا محالة ودلالة
تقتضي الكذب أبدا ودلالة
الى الصدق أقرب ودلالة
الى الكذب أقرب ودلالة
هي اليهما سواء وقال بعض
الحكماء مبادي البرهان
خمس الاوليات والمشاهدات
والمتواترات والمجربات
والحدسيات وقال آخر البرهان
حجة تنتج يقينا وينقسم الى
برهان اني وبرهان لمي وأمثلته
معروفة وقد ذكرت ان أول
من حرر كتب المنطق ارسطا
ليس وقد تقدم ذكره
(والقوانين) واحدها قانون
وهو لفظ رومي ومعناه عند
المنطقيين صورة كلية تتعرف
منها أحكام جزئياتها المطابقة
لها

(وحد الماهية وبين الكيفية والكمية)
ماهية الشئ تصوره في الفكر
ومعرفة ماهو وأوجز حدوده
في المنطق قولهم ماهية الشئ
ما يحصل في الذهن من صورة
كلية مطابقة له بعد حذف
المشخصات عنه ان كان جزئيا
وهي أحد حدود العلم عند
الحكماء فان العلم
ينقسم الى ثلاثة أقسام علم
ماهو وعلم كيف وعلم كم فالعلم
الذي يطلب منه ماهيات
الاشياء هو العلم الالهي والذي
يطلب منه كيفيات
الاشياء هو الطبيعي والذي

الربط وأن لا يكون نفيها ثبوتا ولا ثبوتها نفيا فيندفع الاشكال وقال الشيخ شمس الدين الخمير
وشاهي ان لو في أصل اللغة لمطلق الربط وانما اشتهرت في العرف بانقلاب ثبوتها نفيا وبالعكس
والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة وقال الشيخ ابن عبد السلام الشئ الواحد قد يكون له
سبب واحد فينتفي عند انتفائه وقد يكون له سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لان السبب
الثاني يخلف الاول كقولنا في زوج هو ابن عم لو لم يكن زوجا لورث أي بالتعصيب فانهما
سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدم الآخر وكذلك ههنا الناس في الغالب انما لم يعصوا
لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم فأخبر صلى الله عليه وسلم أن
صهيبا رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية وهذا مدح جليل وكلام حسن
وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه الله ويدل على ذلك قوله لم
يعصه وهذه الاجوبة تتأتى في الآية غير الثالث فان عدم نفود كلمات الله تعالى وانها غير
متناهية أمر ثابت لها لذاتها وما بالذات لا يعلل بالاسباب فتأمل ذلك هذا كلام الفضلاء
الذى اتصل بي والذى ظهر لي أن لو أصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقدم ثم انها
أيضا تستعمل لقطع الربط فتكون جوابا لسؤال محقق ومتوهم وقع فيه ربط فتقطعه انت
لاعتقادك بطلان ذلك الربط كما لو قال القائل لو لم يكن ذلك زوجا لم يرث فتقول أنت لو لم يكن
زوجا لم يحرم تريد أن ما ذكرته من الربط بين عدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فمقصودك
قطع ربط كلامه لا ربط كلامه وتقول لو لم يكن زيد عالما لاكرم أي لشجاعته جوابا لسؤال
سائل يتوهمه أو سمعته يقول انه اذا لم يكن عالما لم يكرم فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام
فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والاكرام لان ذلك غير
مناسب ولا من أغراض العقلاء ولا يتجه كلامك الا على عدم الربط فكذلك الحديث لما
كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى وان ذلك في الاوهام قطع
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الربط وقال لو لم يخف الله لم يعصه وكذلك لما كان
الغالب على الاوهام ان الاشجار كلها اذا صارت أقلاما والبحر الملح مع غيره يكتب به الجميع
والوهم يقول ما يكتب بهذا شئ الا نفد وما عساه أن يكون قطع الله هذا الربط وقال ما نفدت
الخ وهذا الجواب أصلح من الاجوبة المتقدمة لوجهين أحدهما شموله لهذين الموضعين
وبعضها لم يشمل كما تقدم وثانيهما أن لو بمعنى خلاف الظاهر وما ذكرته من الجواب ليس
مخالفا لعرف أهل اللغة فانهم يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غيره في تلك الموارد ونعم هذا
الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب
رضي الله عنه انتهى كلام شهاب الدين (رجع دهتني) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث
الفاعل والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهو المتكلم (أسود) جمع أسد وهو مرفوع
على انه فاعل دهت (الغيل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام والالف واللام للجنس
(بالغيل) جار ومجرور والباء للاستعانة أو التعدية وهو متعلق بدهتني (المعنى) الكلام في هذا
البيت كالكلام في قوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب ومعناه لو دهتني أسود الغيل
بالغيل ما أخللت بغزلان أغازلها فكيف وما دهتني فعدم اخلالي بالطريق الاولى فالاخلال
مرتبط بدهاء الاسود له وتخريجه على ما قاله القرافي ان الغالب على الاوهام أن الانسان يخل

نظام منه كميات الاشياء هو
الرياضي والكمية والكيفية
النسبة الى كم وكيف
وكم عبارة عن العدد ومن
النحاة من يجعله اسما ناقصا
مبنيا على السكون والنسبة
اليها الكمية بالتخفيف ومنهم
من يجعله اسما تاما فيشدد
آخره ويصرفه فقال أكثرت
من الكم والنسبة اليه
الكمية بالتشديد وهو عند
المنطقيين قسم من أقسام
العرض وهو نوعان منفصل
ومتصل فان لم يكن بين أجزائه
حد مشترك فهو الكم المتصل
وان كان بين أجزائه حد
مشترك فهو الكم المنفصل
وهو وان كان قار الذات فهو
المقدار وان لم يكن قار الذات
فهو الزمان وكيف اسم مبهم
غير متمكن وانما حرك آخره
لالتقاء الساكنين وبني على
الفتح دون الكسر لمكان
الياء قال الراغب يسأل به
عما يصح أن يقال شبيه وغير
شبيه كالاسود والابيض
والصحيح والسقيم ولهذا
لا يصح أن يقال في الله عز
وجل كيف وقال بعض
الحكماء هو كل هيئة قارة في
جسم لا تقتضي قسمة ولا
نسبة فقولنا قارة يخرج
الزمان وقسمة يخرج الكم
ونسبة تخرج المقولات في
العرض والله تعالى بكل شئ

بعادته من يحادثه اذادهته الاسود باغتيالها فقطع الشاعر هذا الربط وقال ما أحسن بعادته هذه الغزلان مع وجود دهاء الاسود لى واغتيالها اياى وهذه مبالغة عظيمة فى الاشتغال بالمحبوب والانس به عن كل مايذهل النفوس ويشغل القلوب التى ترتاع وتنفر من حصوله ولقد بالغ أبو الحسن على بن رشيق فى قوله

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو بهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى غارة * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى ألذ تناجى

والاصل فى هذا المعنى قول عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال الارجانى

وانى لأرعاكم على القرب والنوى * وأذكركم بين القنا والقنابل

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

الا من يبلغ المحبوب انى * وقفت وللظبا حولى صليل
وانى جلت فى جيش الاعادى * برمحى وهو فى فكرى يجول

وقال الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح

أرسلتها والعوالى فى الطلا ترد * فى موقف فيه ينسى الوالد الولد
وما نسيتك والارواح سائلة * على السيوف ونار الحرب تتقد

قلت ليس فى نسيان الولد لوالده كبير أمر ولا مبالغة ولو عكس كان أبلغ فان اشفاق الوالد على الولد أكثر وحنوه أكبر قيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب اولادنا وما يحبونا فقال لانهم منا ولسنا منهم وقيل لآخر ذلك فقال لان آدم لم يكن له أب قال الشاعر

وانما اولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

فاذا ذهل الولد عن الوالد ما خرج عن العادة المألوفة وانظر الى البلاغة فى قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت كيف جاءت المبالغة فى المرضع دون الوالدة لان المرضع أشد اشفاقا وأكثر تطلعا على ولدها الرضيع من الوالدة على الولد الذى خرج عن الرضاعة وترعرع وقال ابن مطروح

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو ففى الحشا * شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبا وهلم جرا شيمتى * حفظ الوداد فكيف عنه أرجع

وقال الشريف البياضى

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه حديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما لقيت وانه * لتضيق منه برحبها الاقطار

عليم وناظر فى الجوهر والعرض وميزان الصحة من المرض قال بعض الادباء الكلام فى الجوهر والعرض على رأى الحكماء طويل غامض وانما أنقل نبذة من أقرب ما سمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك والعرض الحال هو الوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر لان الذين أثبتوا جواهر ليست باجسام كالعقل والنفس والجزء الذى لا يتجزأ ليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة أنواع المادة والصورة والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر انه ان كان حالا فى محل فهو الصورة وان كان محلا للحال فهو المادة وان كان مركبا منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم بالتدبير فهو النفس والا فهو العقل والعرض عند أكثرهم احد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلاثة

وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهى الحياة والقدرة والشهوة والقوة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم واحد عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهى الكون وتشتمل على اربعة اشياء الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرائحة والطعم والاثنان اللذان زادهما بعضهم هما البقاء والموت * والصحة هى وجود الاعتدال الخالص بالانسان وتستعار لغيره والمرض الخروج عن الاعتدال والتمييز الفصل بين الشيئين والمعنى انك الذى حررت صناعة الطب وذكر الطب عقب الجوهر والعرض لان الجميع من العلوم العقليات وقد يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقائق والشكوك والفضائل والرذائل وانما شبهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونها مانعة عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك التصرف الكامل وعلى كلا الوجهين فالمراد انك أنت الحكيم الذى نظر فى هذه العلوم واظهرها

ونقلت من خط ابن القيسرانى له

ذكرتك فى حسينة والروابى * ملفعة المناكب بالرياض
وعن الكثب مخضر الحوانى * على الغدران مترعة الحياض
وقد سئمت من السير المطايا * وملّ قتودها حنق العضاض
وضاقت ساحة الاخلاق حتى * نبا الخلق الكريم عن التغاضى
وعندك انى مع ما الاقى * نسيتك لا واعينك المراض

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن من شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل فى رداء مذهب
سامى السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مسترقا رماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطرى * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى صفى الدين عبد العزيز الحلى

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه * مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل فى جندل * منا وبين معفر فى مغفر
فظننت أنى فى صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما * فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

وأنشدنى أيضا له اجازة

ولقد ذكرتك والسيوف مواطر * كالسحب من وبل النجيع وطله
فوجدت انسا عند ذكرك كاملا * فى موقف يخشى الفتى من ظله

وأنشدنى لنفسه اجازة أيضا

ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير
والهام فى أفق العجاجة حوم * فكأنها فوق النسور نسور
فاعتارنى من طيب ذكرك نشوة * وبدت على بشاشة وسرور
وظننت انى فى مجالس لذتى * والراح تجلى والكؤوس تدور

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين

لقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * أمواجه والورى منه على سفر
فى ليلة أسدلت جلباب ظلمتها * وغاب كوكبها عن أعين البشر
والماء تحت وفوق المزن واكفة * والبرق يستل أسيافا من الشرر
والفلك فى وسط الماء بين تحسبها * عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدرى فيالك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك فى خلدى * وفى فؤادى وفى سمعى وفى بصرى

وكانت أمامى سنة سبعمائة وعشرين نظم شئ فى هذه المادة وقلت

ولقد ذكرتكم وحرب يتقى * عن بأسها الليث الهزبر الاغلب

والصافنات بركضها قد أنشأت * ليلا وكل سنا سنان كوكب
والبيض تنثر كلما نظم القنا * والنبل يشكل والعجاج يترب
وحشاشة الابطال قد تلفت ظما * ودم الفوارس منهل صيب
والنفس قد سالت على حد الظبا * وأنا بذكركم وأميل وأطرب

وقلت أيضا في هذه المادة على غير هذا النحو

ذكرتكمو وكاسات الندامى * تدور على بدور مثل شمس
واضواء الشموع نجوم أفق * نضت بالانس فيه لكل نفس
وأصوات المثالث والمثاني * علت ولها خفضنا كل حس
وقد رق النسيم وراق حتى * يكاد يفوت لطفا كل لمس
وقد رمت الجفون بهام سحر * يلاقيها المحب بغير ترس
وقد غنى النديم عن الحميا * بكأس مراشف كالشهد لعس
فنغص كل ما لاقيت ذكرى * لكم فقضى السرور وغاب أنسي

وكل هذه الحالات يمكن فيها ذكر المحبوب وأما ما روي عن ابراهيم عليه السلام فلا يقع ذلك الا من مثله صلوات الله وسلامه عليه فانه لما رماه نمرود من المنجنيق التي رماه منها في النار المضرمة وصار في الهواء اعترضه جبريل عليه السلام وقال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما قصة ليلى الاخيلية مع توبة بن الحمير فهي مشهورة بين أهل الادب وهي أنها مارت مع زوجها بقبر توبة فال لها هذا قبر الكذاب الذي يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليك الا ما دنوت منه وسلمت عليه فأبت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هنالك فنفر منه جمل ليلى فوقعت من أعلاه فاندق عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وقد أفرط توبة في استحضار ذكرها وبالغ الى أن خرج عن حد الامكان لان الحالات المتقدمة تحتمل ذكر المحبوب اذا كان الانسان ممكنا من ذكره اذا أراده عرضت عليه ما في خزانتها وأما من بعدها جملة وتغيب الذاكر فيدخل في العدم فهذا غير ممكن وقال عثمان بن ابراهيم حججت أنا وأصحابي فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن ابي ربيعة قد نسك وترك الغزل وقول الشعر فقال بعضنا لبعض هل لكم فيه فملنا اليه فسلمنا عليه وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا فقال له بعضنا أيعجبك قول الفزاري يا أبا الخطاب

سرت لعينك سعدى بعد مغفاها * فبت مستلهيا من بعد مسراها

حتى أتى على آخر الابيات فلم يهش لذلك فقال آخر أيعجبك قول العذري

لو جز بالسيف رأسي في مودتها * لمر يهوي سريعا نحوها راسي
ولو بلي تحت أطباق الثرى جسدي * لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي
أو يقبض الله روحي صار ذكركمو * روحا أعيش به ما دمت في الناس

فتحرك وقال ويحه أبعد ما يجز رأسه يميل اليها ثم انثني يحدثنا

(وفك المعمى)
عمي الامر اذا التبس وعميت معنى البيت من الشعر اذا أخفيته ومنه المعمى اللغز والمراد هنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ويسمى الآن المترجم ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها وأول من وضعها الخليل واضع العروض ولا بأس بايراد نبذة من أخباره وفوائده وكذلك أفعل عند كل بيت أو لفظة يمثل بها ابن زيدون في هذه الرسالة فما أحفظه من ألفاظ المتقدمين فاني أذكر قائلها وشيئا من نوادره اذ لابد في ذلك من فائدة وتركهم الكلام عليها أولى من التكلف عنها * والخليل هو أحمد بن عمر الفراهيدي الازدي ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب الشواهد وأجودها العروض وهو أول من وضعه فجاء من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس واستخرج من بحر المتقارب بحر مخبون الاجزاء وسمى الخبب ووصل الامر الى ابي نصر الجوهري

*(حب السلامة يثني هم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل)*

(اللغة) الحب العشق وقد تقدم الكلام عليه في قوله يقتلن انضاء حب البت السلامة الرفاهية والنجاة من الخوف يثني يعطف ويكف ثنيت الشئ عطفته وكففته وثنيته بالتشديد جعلته اثنين هم الهم العزم والارادة هممت بالشئ أهم هما وهو المراد ها والهم أيضا الحزن المعالي تقدم الكلام عليها الاغراء أن تولع الانسان بشئ وتهجه وتحثه عليه والقصيدة المغربية التي أولها

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوغه المقدور ما وهبا

مشهورة لا فائدة في سردها المرء الرجل تقول هذا مرؤ ورأيت مرأ ومررت بمرئ وضم الميم لغة وهما مرآن ولا يجمع على لفظه وبعضهم يقول هذه مرأة صالحة ومرة بترك الهمزة وفتح الراء فان جئت بالف الوصل كان فيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاه الفراء وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ ولا جمع له من لفظه وهذه امرأة مفتوحة الراء على كل حال فان صغرت أسقطت ألف الوصل فقلت مرئ ومرئية الكسل التثاقل عن الامر وقد كسل بالكسر فهو كسلان وقوم كسالى وكسالى بالضم في الكاف والفتح وان شئت كسرت اللام كما في الصحاح وامرأة مكسال لا تكاد تخرج عن محلها وهذا مدح مثل نؤوم الضحى قال امرؤ القيس نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل وما سمع في الكسل أبلغ من قول القائل

دعوت الله يجمعني بسلمى * ويطرحها ويلقيني عليها
وارزق من يحركني بلطف * وينزلني اذا انزلت فيها
ويأتي بعد ذلك سحاب غيث * يطهرني ولا أسعى اليها

(الاعراب حب) مبتدأ (السلامة) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام لتعريف الحقيقة (يثني) فعل مضارع من ثنى يثني فهو ثلاثي وهو مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الياء لانه معتل بالياء تقول هو يثني ولن يثني ولم يثن وهو في موضع رفع لانه خبر المبتدا (هم) منصوب على أنه مفعول يثني (صاحبه) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام والهاء في موضع جر بالاضافة وهي راجعة الى حب (عن المعالي) جار ومجرور وعن معناها التجاوز والجار والمجرور يتعلق بيثني (ويغري) الواو عطفت الفعل على الفعل يغري فعل مضارع مرفوع كما قلت في يثني وهو خبر ثان للمبتدا (المرء) منصوب على أنه مفعول والفاعل ضمير تحمله يغري وهو يرجع الى حب والالف واللام للجنس (بالكسل) الباء هنا للتعدية والجار والمجرور متعلق بيغري (المعنى) يقول لصاحبه حب السلامة يعطف عزم صاحبه عن اكتساب المعالي ويغري الانسان بالكسل كأنه لما عرض على صاحبه المرافقة الى الحي الذي وصفه وجده متثاقلا عن مرافقته غير قابل للتوجه معه الى ذلك الحي والمشاركة له في المشاق والاخطار فاخذ يعظه بمثل هذا الكلام هذا ان قلت ان الكلام لصاحبه وان قلت انه قد قطع الكلام عنه وأخذ يخاطب نفسه فهذا الذي يسميه ارباب البلاغة التجريد وهو أن يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه كأن الانسان يجرد من نفسه مخاطبا اقامة للمواجهة بالقول وأحسن ما جاء فيه قول الصمة بن عبد

الله

فاوضحه اعني العروض واختصره أحسن اختصار وأول ما خالفه فيه أن الخليل جعل الاحرف التي يوزن بها الشعر ثمانية اثنان خماسيان فعولن وفاعلن وستة سباعية مفاعلن فاعلاتن مستفعلن مفاعيلن مفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على انه مقول في مستفعلن مفروق الوتد لان مفعولات مركب من سببين خفيفين ووتد مفروق مؤخر وزعم أن مفعولات لو كان جزأ صحيحا لركب من مفرده بحر كما ركب من سائر الاجزاء يريد انه ليس في الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا يكرر في قسم منه ثم استخرج المعمى وهو أيضا أول من نظر فيه وذلك ان بعض اليونان كتب بلغتهم كتابا الى الخليل فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له في ذلك فقال علمت انه لا بد وأن يفتتح باسم الله تعالى فبنيت على ذلك وقست وجعلته أصلا ففتحته ثم وضعت كتاب المعمى وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشئ قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب وكان أعلم الناس باستخراج المعمى

الله القشيري من الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعباكما معا

الابيات ولعمري ان السلامة في الخمول خير من العطب في المعالي فما ابقي الوصل بالصدود
قال الشاعر

ان مدحت الخمول نبهت قوما * غفلا عنه سابقوني اليه
هو قد دلني على لذة العيـ * ـش فما لي أدل غيري عليه

وقال أبو العلاء المعري

ولو جرت النباهة في طريق الـ * ـخمول الى لاخترت الخمولا

قد رضي بالخمول جماعة من الرؤساء الاكابر المتقدمين في العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم وأخلوا الدسوت من تصديرهم منهم مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الاثير صاحب جامع الاصول والنهاية في غريب الحديث وغيرهما فانه اتصل بعد خدم كثيرة بخدمة عز الدين بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله الى أن مات ثم خدم نور الدين ارسلان شاه وحظي عنده وتوفرت حرمته لديه فلم يزل الى أن عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا فانقطع في منزله وكان الاكابر يغشونه ويترددون اليه فحضر اليه من الزم بعلاجه وافاقته من مرضه فلما طبه وقارب البرء وأشرف على الصحة دفع اليه ذهبا وقال امض الى سبيلك فلاموه على ذلك فقال لخواصه متى عوفيت طلبت وألزمت بالخدمة وذا أحب الي فاني توفرت على نفسي ومطالعة ما أختاره من العلم وأنا مرعي الجانب عندهم لا اشاركهم في سلطانهم ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لابد منه فاختار العطلة مع عطلة جسمه على المنصب وفي هذه الحالة جمع جامع الاصول وغيره وابن طلحة كان وزير الملك الناصر الصغير وله عمل كتاب العقد وهو كتاب مفيد وله الدائرة المعروفة به بين أرباب هذا الشان ترك منصب الوزارة وخرج فقيرا وهذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال لمعاوية ان علي دينا فأوفوه عني وأنتم في حل من الخلافة فأوفوا دينه وترك لهم الخلافة وقد فعل ذلك جماعة من الاعيان وقال بعض العارفين آخر ما ينزع الله من رؤس الصديقين حب الرياسة وقال أبو اسحق ابراهيم الغزي

الجد سهل والطريـ * ـق اليه بالاجماع وعر

وقال ابن وكيع

لقد رضيت همتي بالخمول * ولم ترض بالرتب العاليه
وما جهلت طيب طعم العلى * ولكنها تطلب العافيه

وقال آخر

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه
وكن في مكان اذا ما وقعت * تقوم ورجلاك في عافيه

وهذا يشبه قول ابن رشيق

تنازعني النفس أعلا الامور * وليس من العجز لا أنشط
ولكن بمقدار قرب المكان * تكون سلامة من يسقط

وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمى والجاحظ تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون وغاية ما بلغ الكلام اليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة وصور الزوائد اثنا عشر على عدد البروج وأربعة عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التي يسيرها تحت الارض وأربعة عشر فوقها ثم وضع في الشطرنج جملين في طرفي الرقعة لعب بها زمانا ثم تركت ثم أراد ان يخترع شيأ في الحساب فقال أريد أن أقرب نوعا من الحساب تمضي الجارية بدرهم الى البياع فلا يمكنه ظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها فكره فانقلب على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائة وكان من العقلاء الزهاد واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف

وقال الارجاني

أنا صائن عرضي وان صفرت يدي * كم من أغر ولا يكون محجلا
أناعلى غض الزمان لمعشر * من دون ماء وجوهنا ماء الطلا

وقال شهاب الدين بن مسعود السنبلي

لذ خمولي وحلا مره * اذ صانني عن كل مخلوق
نفسي معشوقي ولي غيرة * تمنعني عن بذل معشوقي

وعلى الجملة فالزهد أمر تمسك العقلاء بعروته الوثقى ولهذا أفتى الفقهاء بأنه لو أوصى بثلث ماله لاعقل الناس انصرف الى الزهاد والسلامة كنز مفتاحه الزهد وكل ما تراه عينك رهن الزوال ومقدمات نتيجتها العدم ولله در ابن الشبلي البغدادي اذ يقول

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نقتدي نموت ونحيا * أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب * كرعت منه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فهما * يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلما تمر به الأيـ * ـام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يكون في عالم الكو * ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا ما تصحب المهجة الجسـ * ـم ففيم الشقا وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ * ـد فايجادنا علينا بلاء

وهي طويلة وقال الآخر

هذه الدنيا وهذا شأنها * أتعب الناس بها أعواها
وذوو الاحلام قالوا انها * حلم يفضي بها يقظانها

وما أحسن قوله وذو الأحلام هنا ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى أرسل اليه بعض الخلفاء فأتاه الرسول وهو يبل كسرة يابسة ويأكل منها فقال له أجب أمير المؤمنين فقال مالي اليه حاجة فقال انه يغنيك قال مادمت أجد هذين فاني لا أحتاج اليه وقال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل في خص من خصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الاموال وأخبار الزهاد في اعراضهم عن الدنيا مشهورة وهذا الذي تقدم كله يخالف مراد الطغرائي في البيت فان رأيه السعي والكد والجد والكدح والانتصاب لتلقي الأهوال في تحصيل المعالي والترقي الى منازل العز وكسب المجد بالحركة والنقلة والاقدام على ركوب الاخطار لنيل الاماني وبلوغ الاوطار وقال بعضهم

فما قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه
وغاية المفرط في سلمه * كغاية المفرط في حربه

ومن الكلام البوالغ صعود الآكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان وقال بعض الشعراء

رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه وكان كذلك أدى الخليل عقله الى أن مات زاهدا وابن المقفع الى أن مات قتيلا بسبب كتاب كتبه وحكي أن سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بألف دينار ليتجهز بها ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يبل كسرة يابسة ويأكلها فرد الالف دينار وقال للرسول مادمت أجد هذه فلا حاجة لي الى سليمان وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيأ وأتعبه فقال له الخليل قطع هذا البيت

اذا لم تستطع شيأ فدعه

وجاوزه الى ما تستطيع

ففهم الرجل التعريض ولم يعد ودخل يوما الى مريض يعوده فقال أخو المريض أفتح عينك فان أبو عبد الرحمن حضر فقال الخليل ماداء أخيك الامن كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء معمى يحله فاذا هو بيت من الشعر يقول فيه

أنا ان لم آلك أهوا
ك فرأسي في حرامي

فكتب الخليل تحته وان هويت أيضا ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال من

أماترى بنى على شأن العلاء لأعشباه العناجو لاداثم النصب
فما استوى شرف الاعلى كاتف * ولاصفا ذهب الاعلى لهب

وقال ابن نباتة السعدى

لحى الله ملاآن الفؤاد من المنى * اذا أمكنته فرصة لايثمر
يـلاحظها حتى يفوت طلابها * و يصبح فى ادبارها يتدبر

وقال أيضا

ومن طلب النجوم أطال صبرا * على بعد المسافة والمنال
وتمم رجاحة المحتاج نجحا * اذا ما كان فيها ذا احتيال

ومما ينسب الى على بن أبى طالب رضى الله عنه

كدكد العبد ان أ * ثرت أن تصبح حرا
لاتقل ذا مكسب يز * رى سؤال الناس ازرى

وقد ظرف السراج الوراق فى قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحة

وما أحسن ما استخدم الراحة هنا فى معنييها الاول الراحة من الاستراحة والثانى الراحة من اليد وكذا فعل أبو الحسين الجزار فى قول أبى نواس لما ضمنه فى مقاله يوم نيروز وكتبه الى بعض أصحابه

كتبت بها فى يوم لهو وهامتى * عمارس من ابطاله ما عمارس
وعندى رجال للمجون ترجلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس
مساحب من جر الرفاق على القفا * وأضغاث انطاع جنى ويابس

فانظر الى هذا الرجل كيف تلاعب بالكلام ونقل المعنى بحسن التوطئة له من وصف الكأس المصورة فى الابيات السينية المشهورة حتى كأن هذا البيت لم يقله أبو نواس الا فى وصف الصفاع يوم النيروز فنقل الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهى اليد وقد ذكرت لهذا نظائر فى كتابى المسمى بفض الختام (عن التورية والاستخدام فمن أراد الوقوف على ما يهز عطفه ويخلب لبه فليقف عليه هنالك ومن هذا النوع ما كتبته على مجلد قديم مضمنا

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره يتخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

فنقلته من التجلد الى التجليد وقلت مضمنا

قل للرقيب يستريح من رصدى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

نقلت الحد من الغاية فى الأصل الى حد السيف وانتهى من النهاية والكمال الى الانتهاء والارعواء

*(فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل)*

استعمل الحزم فى وقت الاستغناء عنه يغنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة اليه وقال بحسب امرئ من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يتحول المرء من ذنب الى غير توبة منه وقال من الابواب ما لو شئنا شرحناه حتى يستوى فى علم القوى والضعيف كفعلنا ولكنا نحب أن يكون للعالم مؤنة * ومن محاسن شعره ما أورده أبو حيان التوحيدى

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لابد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يماثله
من منزل حاضر ان شئت أو باد
تلقى سفائنه والعيس سائرة
والنون والضب والملاح والحاد

ومنه ما قاله فى سليمان بن المهلب

ان الذى شق فمى ضامن
للرزق حتى يتوفانى
أحرمتنى خيرا قليلا فما
زادك فى مالك حرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه برا
بازلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا

(اللغة) جنح يجنح جنوحا بفتح النون ويجنح بكسرها أيضا اذا مال واجتنح مثله وأجنحه غيره نفقا النفق سرب فى الأرض له مخلص الى مكان وفى المثل ضل دريص نفقه أى جحره والنفقة احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج والجمع النوافق السلم الذى يرتقى عليه وجمعه سلاليم والجوّ ما بين السماء والارض فاعتزل اطلب العزلة اعتزاله وتعزله بمعنى والمعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله تعالى وأفعال الشر من الانسان وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد وأن القرآن مخلوق محدث وليس بقديم وأن الله تعالى غير مرئى يوم القيامة وأن المؤمن اذا ارتكب ذنبا مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا كافر وأن اعجاز القرآن فى الصرفة عنه لا أنه فى نفسه معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وأن المعدوم شئ وأن الحسن والقبيح يثبتان بالعقل وأن الله تعالى حى بذاته عالم بذاته قادر بذاته لا بحياة ولا علم ولا قدرة وأن من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكبى الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو فى منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولاتباعهما معتزلة وهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويسمون الاشاعرة مجبرة وليس الامر كما ادعوه لان الاشاعرة لا يعتقدون الجبر بل يقولون ما قاله على بن أبى طالب كرم الله وجهه الامر بين أمرين لا جبر ولا تفويض وانما الاشاعرة يبحثون مع المعتزلة فى خلق الافعال الى أن يلزموا بالجبر فاذا ثبت الجبر نقلوا البحث مع الجبر من الجبر الى مذهب الاشاعرة وهو أن للعبد مشيئة ما وكسبا ما وذلك أن الاشعرى يقول للمعتزلى أنت توافق على انه اذا حصلت القدرة والداعى تعين وجود الفعل وأنا أقول ان القدرة هى سلامة الاعضاء والداعى ان كان من الانسان احتاج الى داع آخر يبعثه ويحركه فاما أن يدور أو يتسلسل وكلاهما محال فبطل القول بأن الداعى من العبد فلم يبق الا أن الداعى أمر يوقعه الله فى نفس العبد يبعثه على وجود الفعل مع سلامة الاعضاء يتعين بهما ايجاد الفعل وايقاعه فيضطر المعتزلى الى الاعتراف بذلك اذ لا محيد له عنه حتى قال أبو الحسين البصرى منهم لولا مسئلة الداعى والقدرة تم دست الاعتزال فاذا تقرر أن سلامة الاعضاء من الله تعالى والداعى من الله تعالى كان الفعل كله مخلوقا لله تعالى وهذا هو الاجبار ويحتاج الاشعرى من هنا أن يبحث مع المجبرة على أن الاجبار ليس بصحيح فيقول ان الاجبار هو مثل حركة المرتعش الذى لا يجد محيصا ولا محيدا عن حركة يده كالسعفة فى الريح أو الريش الطافى على وجه النهر فهذا هو الجبر فى الحركة وأما الانسان فقادر على مد يده الى الكأس أو الى السبحة وعلى أن تكون الحركة الى المسجد أو الى اخافة السبيل والحانة فلكون العبد متمكنا من نفسه فى كل حركة علم أنه غير مجبر وله مشيئة ما فى الفعل وكسب ما وعلى تلك الدقيقة حسن الثواب والعقاب وخلصنا من شناع المعتزلى فى انه اذا كان الفعل مخلوقا لله تعالى ففيم العقاب والثواب

والذم

لا تعجبن لرفد زل من يده
فالكوكب النحس يسقى
الارض أحيانا

وقال أيضا

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة
وفى غنى غير أنى لست ذا مال
شحا بنفسى انى لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت فى علم النجوم
فهمت منه على ما الزمنى تركه
فقلت منشدا اذ ذاك

بالغاعنى المنجم أنى
كافر بالذى قضته الكواكب
عالم ان ما يكون وما كا
ن قضاء من المهيمن واجب

(وفصل بين الاسم والمسمى)

الاسم ما يعرف به ذات الاصل وأصله من السمو وهو الذى ذكر به المعرف ويقال اسم وسم وسما واختلف فى تقدير أصله والمسمى هو المعنى الذى وضع له الاسم وللقدماء مباحث طويلة فى معنى الاسم والمسمى فمنها قول بعضهم وعليه الجمهور الاسم غير المسمى وهو الذى يراد به التسمية كقولك للرجل عرفنى ما اسمك لست تسأله أن يعلمك بذاته وانما تلتمس منه العبارة المعبر بها عنه واستشهد بقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ولو كان

والذم والمدح ومع ذلك فلا بد لمشيئة العبد أن تقارن مشيئة الله تعالى قال الله تعالى وما
تشاؤون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما فأثبت الله تعالى للعبد مشيئة ولهذا قال
الامام الشافعي

ماشئت كان وان لم أشأ * وماشئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن

وبلغني أن الامام فخر الدين شرح هذه الابيات في مجلدة ولم أرها الى الآن وهذه المسئلة من
أعظم مسائلهم قال الامام فخر الدين اذا ناظرت المعتزلي في خلق الافعال فلا تنس مسئلة
الداعي والقدرة ولم يزل مذهب الاعتزال يدو شيأ فشيأ الى أيام الرشيد وظهور بشر المريسي
واحضار الشافعي مكبلا في الحديد وقال بشر ابقوله ماتقول يا قرشي في القرآن فقال اياي
تعني قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وواقعته بين يدي الرشيد مشهورة ولما أحس الشافعي رضي
الله عنه بالشر وأن الفتنة ستشتد في اظهار القول بخلق القرآن هرب من بغداد الى مصر ولم يقل
الرشيد رحمه الله تعالى بخلق القرآن وكان الامر بين الاخذ والترك الى أن ولي المأمون فقال
بخلق القرآن وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في دعوة الناس الى ذلك الى أن قوي عزمه في
السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق أنه توفي فبقي
أحمد رضي الله عنه محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فأحضر الى بغداد وعقد له مجالس
المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام
فذكر بعضهم قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال أفيكون غير مخلوق فقال أحمد
قال الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولام وذكر
بعضهم حديث عمران بن حصين ان الله خلق الذكر فقال هذا خطأ حدثنا غير واحد أن الله
كتب الذكر وذكر بعضهم حديث ابن مسعود ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض
أعظم من آية الكرسي فقال انما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والارض ولم يقع على
القرآن ولم يزل في جدال معهم الى بعد ثلاثة أيام فأمر به فضرب بالسياط الى أن أغمي عليه
ونخسه عجيف بالسيف ورمي على الارض وديس عليه وهو مغشي عليه ثم حمل الى منزله ولم
يقل بخلق القرآن وكان مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة بعد
ذلك والجماعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال
لاحمد بن حنبل لا تجمعن اليك أحدا ولا تساكني في بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد وصار
لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم
يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل عليهم جارية الى أن
مات المتوكل وفي أيام المتوكل ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وبسط
أهلها ونصرهم وتكلم في مجلسه بالسنة فلم يزالوا أعني المعتزلة في قوة ونماء الى أيام المتوكل
فخمدوا ولم يكن في هذه الملة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم والمعتزلة جنس يطلق على فرق
منهم الواصلية والهذلية والنظامية والحائطية والمعمرية والمزدارية والثمامية

الاسم ههنا هو المسمى لكان
الله تعالى تسعة وتسعين
شيأ وهذا كفر وقول عائشة
رضي الله تعالى عنها والله
يارسول الله ما أهجر الا اسمك
وقال آخرون الاسم هو المسمى
لا بمعنى أن العبارة عين المعبر
عنه وأن اللفظ هو الشخص
فان ذلك محال ولكن الاسم
هو المسمى على معان ثلاثة
الاول انما وضعت الاسماء
ليتصور بها المسميات في
نفوس السامعين وتقوم عند
الغيبة مقامها والشاهد دونها
فلما ناب الاسم من هذا مناب
المسمى في التصوير جاز أن
يقال ان الاسم هو المسمى
الثاني ان أكثر ما تبين في
الاسماء التي تشتق للمسمى
من معان موجودة فيه قائمة
به كقولنا لمن وجدت فيه
الحياة حي فالاسم من هذا
النوع لازم للمسمى يرتفع
بارتفاعه ويوجد بوجوده ألا
ترى أن الحياة اذا بطل
وجودها من الجسم بطل أن
يقال له حي واذا بطل أن
يقال له حي بطل أن يكون به
حياة فيجوز من هذا أن
يقال ان الاسم عين المسمى
أن يوجد بوجوده ويرتفع
بارتفاعه الثالث ان العرب
قد تذهب بالاسم الى المعنى
الواقع تحت التسمية فتقول
هذا مسمى زيد أي هذا المسمى

والشامية والجاحظية والبشرية والخاطية والجبائية وهم البهشمية ومن مشاهيرهم الفضلاء الأعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وأحمد ابن حائط و بشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمى وأبو موسى عيسى الملقب بالمزدار ويلقب براهب المعتزلة وثمامة بن أشرس وهشام بن عمرو الغوطى وأبو الحسين بن أبى عمرو الخياط أستاذ الكعبى وأبو على الجبائى أستاذ الشيخ أبى الحسن الأشعرى أولا وابنه أبو هاشم عبد السلام وهؤلاء رؤساء مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق وبينهم خلاف فى مسائل معروفة بين أصحاب الكلام ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصرى والكعبى والقاضى عبد الجبار والرمانى النحوى وأبو على الفارسى وأقضى القضاة الماوردى الشافعى وهذا غريب فان الغالب فى الشافعية أشاعرة والغالب فى الحنفية معتزلة والغالب فى المالكية قدرية والغالب فى الحنابلة حشوية ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى صاحب الكشاف والفراء النحوى والسيرافى وما أظرف قول ابن سناء الملك

رب علق قال لى عاتبا * ياهاجرى ظلما ولم أهجر
معتزلى صرت فقلت انثنى * واعتب على مذهب الاشعرى (ى)

ولغيره

قالت وقد لج فى معاتبتى * وظن أن الملال من قبلى
حسنك مازال شافعى أبدا * ياما لكى كيف صرت معتزلى
خدك ذا الاشعرى حنفنى * وكان من أحمد المذاهب لى

(الاعراب فان) ان حرف شرط اذا دخلت فى الكلام اقتضت جملتين تسمى الاولى شرطا والثانية جزاء وجوابا أيضا وحق الجملتين أن تكونا فعليتين ويجب ذلك فى الشرط دون الجزاء لان الجزاء قد يكون جملة فعلية وقد يكون اسمية واذا كان الشرط والجزاء فعلين جاز أن يكون فعلاهما مضارعين وهو الأصل وان يكونا ماضيين لفظا وان يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا وبالعكس فالمضارعان نحو وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله والماضيان نحو وان عدتم عدنا والماضى والمضارع نحو من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها والمضارع والماضى نحو قول الشاعر

ان تصرمونا وصلنا كم وان تصلوا * ملأتم انفس الاعداء ارهابا

قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأكثر النحاة يخصون هذا النوع بالضرورة وليس بصحيح بدليل مارواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقول عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك رق انتهى وانما اقتضت الجزم فى عملها لانها دخلت على جملتين فطول ما اقتضته ناسب أن يكون جزما لانه أقل من الحركات فناسب الاختصار لمقابل الطول * (فائدة) نص النحاة والاصوليون على أن ان لا يعلق عليها الا مشكوك فيه فلا تقول ان غربت الشمس آتك بل اذا غربت آتك وان اذا يعلق عليها المشكوك والمعلوم وقد جاء فى القرآن الكريم عدة مواضع كقوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا والشك على الله تعالى محال والجواب أن الخصائص الالهية لا تدخل فى أوضاع العربية بل هى مبنية

بهذه اللفظة التى هى الزاى والياء والدال و يقولون فى هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب ظريف من كلام العرب يحتاج الى فضل نظر ويجىء فى كلامهم على ضربين الاول ما صرح فيه بلفظ الاسم حتى بان لمتأمله مثل قول ذى الرمة يصف بذلك خشفا

مايرفع الطرف الا ما تخونه
داع يناديه باسم الماء مبغوم

يعنى ان هذا الخشف لايصيبه من النعاس الا اذا تفقدته امه للرضاع فصاحت به ماء ماء وكان ابو عبيدة يذهب فى تأويل هذا اللفظ الى ان الاسم زائد والتقدير يناديه بالماء وابو على الفارسى يحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير يناديه باسم معنى والثانى مالم يصرح فيه بذكر معنى الاسم الا انه موجود من طريق المعنى مثل قولهم كتبت اسم زيد فليس المراد انه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشئ الواحد مسمى من جهة وتسمية من أخرى فان قولنا اسم لفظة تحوى الجنس والنوع لانه يوقع تحتها الالفاظ التى يعبر بها عن المعانى كجوهر وعرض ورجل

على خصائص الخلق وهـذا منزل منزلة كلامهم فيما بينهم كانه قيل ان العادة بين الناس الشك فى امر الاله والرسول والمعاد وليس ذلك مما وقع القطع به فى الذهن الا بعد النظر وقيام الادلة فلهذا ورد القرآن العظيم على العادة فيما بينهم لانه خطاب لهم وعكس هذا الايراد قولنا ان كان الواحد نصف العشرة فالعشرة اثنان وهذا مما لا شك فيه والتعليق جائز ولا يرده راد فقد علق عليها امر قطعى والجواب ان هذه امور مفروضة فى الذهن دون غيره والفروض والتقديرات يحتمل ان تقع وان لا تقع فصار هذا من قبيل المشكوك فيه فلهذا حسن تعليقه بان وذكرت بالتعليق هنا ما حدث به قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة بدمشق فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وستمائة من انه وقع ببغداد فتيا صورتها فى رجل قال لزوجته ان ثم وقف عند ان فانت طالق فقرأها جميع من افتى فيها ان تم وقف عند ان وكتبوا تحتها ان تم وقف الشخص المذكور طلقت فلما وقف القاضى ابن البيضاوى عليها علم ان التصحيف قد وقع على المفتين فيها وان بعضهم قلد البعض فى قراءتها فقال الصحيح انها فى رجل قال لزوجته ان ثم وقف عند ان ثم انه كشف عن ذلك من صاحب المسئلة فوجد كما قال ابن البيضاوى رحمه الله واما المسئلة السريجية المنسوبة الى ابن سريج رحمه الله فى الطلاق فهى اذا قال الرجل لزوجته ان طلقتك فانت طالق قبله ثلاثا فطلقها وقع المنجز على الراجح ولا يقع معه المعلق للدور لانه لو وقع المعلق وهو الطلاق الثلاث لم يقع المنجز لانه زائد على عدد الطلاق واذا لم يقع المنجز لم يقع المعلق فادى وقوعه الى عدم وقوعه وقيل لا يقع شئ لان وقوع المنجز يقتضى وقوع المعلق ووقوع المعلق يقتضى عدم وقوع المنجز وجرى عليه كثير لكن الاول هو الصحيح وقال بعضهم لا يجوز فى ذلك التقليد لما قيل من ان ابن سريج برئ مما نسب اليه فيها (رجع جنحت) فعل ماض ومعناه الاستقبال وهو فى موضع جزم بالشرط والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (اليه) جار ومجرور وقد تقدم الكلام على الى فى شرح قوله فسر بنا فى ذمام الليل البيت (فاتخذ) الفاء جواب الشرط اتخذ فعل امر والفاعل مستتر فيه تقديره انت * قاعدة جميع افعال الامر فاعلها يجب استتاره فيها ولا وجه لابرازه الا ان قصد التوكيد او العطف على الفاعل كقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وعلى هذا فيرد على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ومن تابعه فى قولهم الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد فان ضمير الفاعل المستتر فى الامر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به واجيب بان المراد باللفظ ما كان بالقوة او بالفعل فالضمائر المستترة فى الاوامر كلها لفظ بالقوة اى فى قوة المنطوق به ولهذا قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك فى التسهيل الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا او تقديرا او منوى معه كذلك وقال ولده محمد بدر الدين الكلمة لفظ بالقوة او الفعل مستقل دال بجملته على معنى بالوضع (رجع نفقا) منصوب على انه مفعول به (فى الارض) جار ومجرور والالف واللام لتعريف الحقيقة (او سلما) او حرف عطف وتكون لمعان منها التخيير نحو خذ هذا او ذاك والاباحة نحو جالس الحسن او ابن سيرين والفرق بين التخيير والاباحة ان الاباحة لا تنافى الجمع والتخيير ياباه والتقسيم كقولك العدد زوج او فرد والابهام كقولك انت فى هدى او ضلال وشك المتكلم كقولك قام زيد او عمرو والاضراب نحو قولك انا اخرج ثم يبدو لك فتقول او اقيم وانشد الشيخ جمال الدين بن مالك على مجيئها للاضراب قول جرير

وفرس وزيد وعمرو فكل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافته الى الاسم الذى فوقه مسمى ويكون باضافته الى المعنى الذى تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد وانسان وحى فانك تجد الانسان الذى هو الواسطة بين زيد والحى مسمى اذا كان يقال على الحى واسما اذا كان يقال على زيد وتجد زيدا والانسان وان كان احدهما مسمى والآخر اسما قد تساويا فى انهما مسميان للحى اذا كان الحى يقال على كل واحد منهما وتجد الحى الذى هو اسم الانسان والانسان الذى هو مسمى قد تساويا فى انهما اسمان لزيد وقد طال هذا الفصل عن الغرض فى هذا الكتاب وانما ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف حشو كثير

(وصرف وقسم وعدل وقوم) لم اتحقق المعنى المراد بهاتين السجعتين فسالت عنهما بعض علماء الاسلام فقال الصرف نوع من المعاوضة وهو ما كان العوضان فيه من النقدين اعنى الذهب والفضة وقوله وقسم كانه يريد به تقسيم الاموال المشتركة ووجه مناسبة الصرف ان المال

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم * لم أحص عدتهم الا بعداد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

(وحكى) الفراء اذهب الى زيد أو دع ذلك فلا تبرح اليوم وقد تجيء بمعنى الواو كقول امرئ القيس

فظل طهاة القوم ما بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

وقول الآخر

قوم اذا سمعوا الصريخ رأيتهم * ما بين ملجم مهره أو سافع

(مسئلة) قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ذهب كثير الى انها بمعنى الواو وقال قوم بل هي بمعنى بل لان الشك في كلام الله تعالى محال قال المبرد في كتاب الازمنة قول المتكلمين للتفسير بغير معرفة ان معنى أو يزيدون بل يزيدون يقال لهم بل للاضراب والاضراب اما للغلط أو للنسيان ولكن يجوز أن يكون ذلك النبي صلوات الله عليه افترض عليه ربه والزمه الرسالة الى مائة ألف وأباحه ما بعد ذلك فيكون الى مائة ألف معدودين معلومين عنده لابد منهم أو يزيدون ان شاء ذلك النبي وهذا كلام بين صحيح ويجوز أن يكون أرسله الى عالم يقع عليهم عدد عاد الا الذي خلقهم فقال الى مائة ألف أو يزيدون عندكم هذا ملخص كلام المبرد وأو في البيت للتخيير وسلما منصوب على انه مفعول اتخذ (في الجو) في هنا للظرف والجو مجرور بفي والالف واللام لتعريف الحقيقة والجار والمجرور متعلق باتخذ (فاعتزل) الفاء للعطف وهي مرتبة واعتزل فعل أمر والامر مبني على السكون وانما حرك للضرورة في القافية على ما تقدم (المعنى) فان ملت الى حب السلامة فادخر في نفق في الارض أو اصعد في سلم في الجو لان السلامة متعذرة عليك ما دمت بين الناس ولا سبيل الى النزول في النفق ولا الى الصعود في سلم في الجو فاذا لابد لك من الناس والسلامة منهم عزيزة وفي هذا تحريض على الحركة والسعي والاجتهاد في احراز المعالي لان السلامة ممتنعة فالاولى بالانسان الحركة والطلب وقد قال أبو العلاء المعري في وصف النوع الانساني بالاذى وانه لا يسلم من أذاه حيوان بحري ولا حيوان جوي

أتعبتم السابح في لجة * ورعتم في الجوذات الجناح
هذا وأنتم عرض للردى * فكيف لو خلدتم يا قباح

وطلب السلامة بالتحرز والتوقي ممنوع لان القضاء والقدر لا محيص عن وقوعه كما قال ابن الرومي فيما أظن

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وأخذه أبو اسحق الغزي فقال

كل يفر من الردى ليفوته * وله الى ما فر منه مصير

وقال آخر

يوشك من فر من منيته * في بعض غراته يوافقها

ويحسن أن ينشد في هذه المادة قول جميل

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

المشترك اذا كان ذهبا قليلا فقد يتعذر قسمه بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم يقسم وقوله وعدل وقوم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال المشترك اذا كانت أجزاؤه مختلفة في الصورة والقيمة كالدور والساتين فاذا أريد قسمتها فلا بد فتعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان بين ثلاثة بالسوية تقوم البستان في الاول ثم تعدل الاجزاء باعتبار ذلك فتجعل الثلاثة أجزاء متساوية ثم تقسم بالاقراع أو بتعيين الحاكم كل هذا داخل في أبواب الفقه وقد قيل ان مالكا أول من صنف فيه وقد تقدم ذكره

(وصنف الاسماء والافعال) (الاسماء والافعال) هنا ما اصطلح عليه النحويون في أقوالهم ودونوه في كتبهم الموجودة والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان ويعرف بدخول الجر عليه ويصلح فيه نعني وضربي ويدخل عليه أيضا الالف واللام وهو أصل والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما وهي معرب ومبني وظاهر ومكني ومعرفة ونكرة ومعين ومبهم وعربي وأعجمي وذكر وأنثى ومقصور

وقول أبي العتاهية ومن الاول أخذ

كأن بعيني في حيثما * نظرت من الارض تمثالها

وأخذه العباس بن الاحنف أيضا فقال

وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها * فانظر الامثلت حيث أنظر

وحكي أن كثيرا أتى الفرزدق فقال الفرزدق يا أبا صخر أنت أنسب العرب حيث تقول اريد لانسى ذكرها البيت فقال كثير وأنت أفخر العرب حيث تقول

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

والبيتان لجميل وكان كثير سرق الاول والفرزدق سرق الثاني فقال له ما أشبه شعرك بشعري أو كانت أمك أتت الى البصرة فقال لا ولكن كان كثيرا ما تزورها أبي وينزل في بني دارم الجواب لكثير وبيت الطغرائي يسميه أرباب البديع التلميح وبعضهم يسميه الاقتباس وهو نوع من التضمين ولكن التضمين هو أن يأتي لفظ الآية أو الحديث أو البيت كاملا وان لم يأت كاملا فهو الاقتباس والطغرائي اقتبس كلامه هنا من قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء وما أحسن ما استعمل القاضي الفاضل النفق والسلم في قوله وكذلك فتوحات هذه الايام مفتاحها سنجقها وسمة مهابتها عليقها ودم الاعداء مدادها واعلام النصر ورقها ولا يعادي سيفها من الاعداء الا عنقها واذا سيقت الى أرض كادت الارض بالعجاج تسبقها وان ابتغت الاعداء نفقا في الارض أو سلما في السماء فالجزع سلمها والقبر نفقها انتهى

وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

وكم قلعة فوق السماء أساسها * وعامرها أسلاف عاد وجرهم

رقى سلما للعزم أوصله لها * فقد نال أسباب السماء بسلم

واتفق لي استعمال السلم والنفق فقلت

كن في الخمول آمنا * واخش المعالي واتق

كم راقي في سلم * وسالم في نفق

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي

ولا تقف بطلول الكتب تسألها * فلست تحظى بغير الهم والحزن

وكن اذا التقت الارماح سافلة * فربما اندق صدر العامل اليزني

وقال ابن التعاويذي

وقالوا الغنى عرض للخطوب * فكيف تعرض للعدم

وقالوا السلامة تحت الخمول * فمالي خملت ولم أسلم

ودخل القاضي المنازي على أبي العلاء المعري فأخذ أبو العلاء يشكو اليه طعن الناس فيه وثلبهم لعرضه وأذاهم له وقال يا قاضي أيفعلون بي هذا كله وقد تركت لهم دنياهم فقال القاضي المنازي والله واخراهم فقال يا قاضي وأنت تقول مثل هذا وجعل يكرر هذا القول

(ودع غمار العلى للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالبلل)

(اللغة) دع معناه اترك أو ذر وقد جاء في كلام العرب فعلان لا ماضي لهما ولا مصدر ولا اسم

ومحدود وعامل وغير عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد وناقص ومنصرف وغير منصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر وشرح ذلك موجود في كتبهم والفعل ما تصرف بالزمن كقولك ضرب ويضرب وقال السيرافي وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والالف وهو الحال قال التوحيدي وسمعت أبا حفص الاشعري يقول لا معنى للحال انما هو الماضي والمستقبل وتحصيل الحال محال وتوهم باطل لانك لا تفرغ من الماضي الا الى المستقبل ومتى فرضت بينهما واسطة كنت فيها واهما فقيل له ان الذي يوضح الحال أنك اذا أتيت بالسين في سيصلي لم يكن المعنى الا الاستقبال فلولا أن الغرض قد كان كامنا في قولنا يصلي لم توضحه السين فكان الشبهة أن يصلي دال على الحال متضمن معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما ينصب دالا على الغرض الواضح فكان يكابر عند هذا البيان ويقول لو صح هذا صح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيئين أي ما يكون مشتركا بين شيئين كأنه مركب من بدئهما فقيل

فاعل ولا اسم مفعول وانما استعمل منهما فعل الامر والمضارع خاصة وهما دع وذر فلا يقال
ودعه الا ماجاء في ضرورة الشعر كقوله

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الحب حتى ودعه

وقرئ في الشاذ ما ودعك ربك وما قلى بتخفيف الدال ولا يقال وادع بل تارك وكذا ذر وما
تصرف منه يقال برك فهو تارك غمار يقال بحر غمر وبحار غمار والغمرة الشدة
والزحمة في الماء والناس والجمع غمار ودخلت في غمار الناس بكسر الغين وضمها وفتحها
العلى تقدم الكلام عليه في شرح قوله أريد بسطة كف البيت المقدمين اسم فاعل من أقدم
يقدم فهو مقدم وهم مقدمون والاقدام الشجاعة والدخول في الاخطار من غير تروّ ولا فكر
اقنع افتعل أمر بالقناعة البلل النداوة اليسيرة وما أحسن قول أبي الطيب

الهجر أقتل لي مما أراقبه * أنا الغريق فما خوفي من البلل

وتضمين الآخر أحسن منه حيث قال

عاتبت في نيكه أيري وقلت له * يا أير خفف سحله وادخل على مهل
فقال يوسعه رهزا ويشد ني * أنا الغريق فما خوفي من البلل

(الاعراب ودع) الواو للعطف عطفت هذا الامر على قوله فاعتزل ودع فعل أمر وقد تقدم
الكلام عليه في اللغة وذكرت هنا قوله تعالى أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قالوا
ما الحكمة في العدول عن أن يقول أتدعون بعلا وتدعون الى ما أتى به لفظ القرآن مع أن
المعنى واحد فان يدع مثل يذر ويكون في اللفظ زيادة الجناس وهو من أنواع البديع الذي هو
احد أثافي البلاغة وأجيب بانه لو أتى على هذه الصفة لاحتمل التحريف في اللفظ و يقال
بالعكس أي أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين بتحريك الدال من الاول وسكونها من
الثاني هذا الذي ذكروه قلت هذا الجواب ليس بشئ لان سياق الكلام وقرينة اللفظ والحال
يمنعان من هذا الوهم ويبطلان هذا التحريف لانه انكار على من دعا الصنم وترك الله وقوله
أحسن الخالقين قرينة توجه الانكار على دعاء الصنم وترك أحسن الخالقين والجواب
أن لفظ القرآن الكريم أعذب في السمع وأخف على اللسان فان تكرار الحروف على الا ان
بالثقل والخفة أعقد و يحتاج الى احضار الذهن لئلا يقع التحريف وينطق بالاول كالثاني
وعكسه فان قلت هذا يرد على باب الجناس كله وهو معدود من البديع قلت الجناس وان
كان من أنواع البديع لكن بعض صوره مستثقل كقول ابن الفارض من قصيدة

أمالك عن صد أمالك عن صد * لظلمك ظلما منك ميل لعطفة

ومنها فرحن بحزن جازعات بعيدما * فرحن بحزن الجزع بي لشيبتي

فانظر الى استثقال البيت الاول لما فيه من جناس التحريف في صد وصد الاول من الصدود
والثاني صدى أي عطشان وفي ظلم وظلم الاول الظلم بالفتح وهو الريق والثاني بالضم وهو الجور
مع التقديم والتأخير الذي يحتاج الى اقليدس حتى يستخرج ترتيبه على خط مستقيم والتقدير
فيه أمالك ميل لعطفة عن صد أمالك ظلما منك عن صد لظلمك فأمالك الاولى مركبة من
همزة الاستفهام وما النافية ولام الجر وكاف الخطاب وأمالك الثانية مركبة من فعل ماض
من الامالة وكاف الخطاب وأما البيت الثاني ففيه فرحن مرتين الاولى الفاء فاء العطف

له أيضا هذا كما قاله من
خالفته وأنت في ذلك أجهل
من هرة فانها تمشي على حافة
الجدار غير متمكنة من سمته
وتربع مع ذلك مكانا آخر
للفضل الذي يلوح لها وهي
لا تمسك نفسها ولا ترسلها اذا
خلتك يا أبا حفص بشبهة
تكشفها هرة * والافعال
تنقسم أيضا الى أقسام كثيرة
كالماضي والمضارع والامر
والمتعدي الى واحد واثنين
وثلاثة وغير المتعدي والتام
والناقص وما سمي فاعله وما
لم يسم فاعله وأفعال القلوب
وغيرها * وأفعال المقاربة
وأفعال التعجب وغيرها
وأفعال المدح والذم وغيرها
وأول من وضع علم النحو أبو
الاسود الديلي واسمه ظالم
ابن عمرو بن سفيان وكان من
فقهاء البصرة وعلمائهم
وفصحائهم وشيعة أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه وولاه البصرة
وسبب وضعه لذلك انه
دخل على ابنته بالبصرة
فقالت له يا أبت ما
أشد الحر فقال شهر
ادار فقالت يا أبت انما
أخبرتك ولم أسألك وكان
مرادها التعجب فأتى أمير
المؤمنين علي ابن أبي طالب
كرم الله وجهه فقال يا أمير
المؤمنين ذهبت لغة العرب

وترحن فعل ماض من الرواح لجماعة الاناث والثانية فعل ماض من الفرح لجماعة الاناث أيضا والراء فى الاولى مضمومة وفى الثانية مكسورة وفيه الحزن مرتين الاولى بضم الحاء ضد الفرح والثانية بفتح الحاء من الارض ضد السهل ولهذه الالفاظ التى عقدها عقد الميزان لأجل الجناس صار كلامه وحشيا من العوام بل من بعض الخواص الذين لم يتبحروا فى الادب وقل ان تجد لديوانه نسخة صحيحة وأكثر ما ساعد الافاضل على تصحيح ألفاظه وزن الشعر كما فى قوله صدّ وصد الاولى مشددة والثانية مخففة وكما فى قوله

واذا أذى ألم ألمّ بمهجتى * فشذا أعيشاب الحجاز دوائى

فانظر الى هذا لم يستقم الكلام الا بمراعاة الوزن فانه يضطر الواقف عليه الى أن يجعل الاوّل من الألم والثانى من الالمام ولهذا جاء جناس العماد الكاتب فى الشعر أخف منه فى النثر لان الوزن يضع كل كلمة فى مكانها ومن الجناس المستقل جناس التصحيف كقوله أيضا

وما احترت حتى اخترت حبيك مذهبا * فواحيرتى ان لم تكن فيك خبرتى

ومنها وجذ بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

فان فى البيت الاوّل احترت من الحيرة واخترت الثانية من الاختيار وفى الثانى تجد الاول من الجود والثانية من الوجدان وهذه الاشياء لا يخفى على ذى الذوق السليم مافيها من الاستثقال ولم أقل هذا الكلام جهلا بمقدار الشيخ شرف الدين بن الفارض رحمه الله وانه لم يكن من الفصحاء الاترى قصائده التى أخلاها من الجناس مثل الميمتين والجيمية واللامية والمهموزة وغيرها فما أرقها واحلاها والجناس اذا كثر فى الكلام ملّ اللهم الا أن يكون سهل التركيب ليس على المتكلم فيه كلفة كما حكى عن بعض جوارى المعتمد بن عباد أنها قالت له وهما فى سجن اغمات يا مولاى لقد هنا هنا فقال المعتمد

قالت لقد هنا هنا * مولاى أين جاهنا

قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

وكما حكى عن جارية من جوارى القاضى الفاضل انها قالت له وقد تعبت فى بعض مرضاته والله ياسيدى مالنا قدرة على مرضاتك فى مرضاتك وكقول القائل

دهرنا أمسى ضنينا * باللقا حتى ضنينا

ياليالى الوصل عودى * واجمعينا أجمعينا

وهما للشيخ زين الدين عمر بن الوردى أنشدنيهما لنفسه اجازة ومن خطه نقلت (رجع غار) منصوب على أنه مفعول به (العلى) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام ولم يظهر فيه الجر لانه مقصور (للقدمين) جار ومجرور وعلامة الجر الياء لانه جمع مذكر سالم صفة لعاقلين ومتى اجتمعت هذه الشروط أعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر ونون مفتوحة فى الاحوال الثلاث وضم ماقبل الواو فى الرفع وكسر ماقبل الياء فى النصب والجر الا أن يكون جمع مقصور مثل أعلى ومصطفى فان ماقبل حرف الاعراب يكون مفتوحا قال الله تعالى وأنتم الاعلون وقال تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وقد تكسر نون الجمع على لغة . قال

ماذا تبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين

لما خالطت الاعاجم وبوشك أن تضمحل وأخبره خبر ابنته فامره فاشترى صحفا فاملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم قال له انح هذا النحو فسمى النحو ثم رسم رسوم النحو كلها وقيل كان سبب وضع النحو أن معاوية أرسل الى زياد يطلب ابنه فادخل عليه فسمعه يلحن فارسل الى أبيه يلومه فارسل زياد الى أبى الاسود أن يضع فى النحو شيأ وكان ابو الاسود من افصح الناس ويقول انى لاجد للحن غمرا كغمر اللحم فابى ابو الاسود وكره اجابة زياد فوجه زياد رجلا وقال له اقعد فى طريق ابى الاسود فاذا مر بك فاقرا شيأ من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به ابو الاسود قرا ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ابو الاسود ذلك وعاد الى زياد فقال قد أجبتك ثم وضع مختصره فى أصول النحو واول ما وضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم أبو عمرو بن العلاء وغيرهما الى ان وصل الى سيبويه فاخذ الغاية على من قبله وبعده * وكانت وفاة ابى الاسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال وقد أرسل اليه مبلغ احد وأربعين درهما

عتبت ابن الفلاني وشك ظني * فأعتبني وعاد الى اليقين
وقال نواله هيهات يشكو * ذوو الاشعار من عهد المتين
وماذا تبتغي الشعراء مني * وقد جاوزت حد الاربعين

كما ان نون التثنية تفتح على لغة من قال

على احوذيين استقلت عشية * فما هي الا لمحة وتغيب

وحرف الاعراب هنا بدل من الحركة في اعراب المفرد والنون بدل من التنوين ولهذا تحذف النون عند الاضافة كما يسقط التنوين في المفرد عند الاضافة تقول ضاربو زيد كما تقول ضارب زيد ولقد أحسن أبو الفتح البستي حيث قال

حذفت وغيري مثبت في مكانه * كأني نون الجمع حين تضاف

وقد يتصف مالا يعقل بصفات من يعقل فيعرب بالحروف قال الله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين والكواكب والسماء والارض مما لا يعقل خلافا للحكماء فانهم يعتقدون ان لكل فلك عقلا وأن الكواكب أحياء ناطقة والعلة أنها لما اتصفت بالسجود وبالقول وهما من صفات من يعقل أعطيت هذا الاعراب وانما كان اعراب الجمع المذكر بالحروف دون الحركات لان الحركات أصل في الاعراب والحروف فرع عليها والمفرد أصل والجمع فرع عليه فأعطي الاصل الاصل والفرع الفرع طلبا للمناسبة فان قلت فلأي شئ ما أتبعوا الالف في النصب قلت لانه كان يشتبه المنصوب في الجمع بالمرفوع في المثنى (فان قلت) فلأي شئ كان المثنى يرفع بالالف (قلت) لان الالف أتم حروف المد وهي أصل لاختيها الواو والياء ولهذا لم تقبل الحركة والرفع هو أصل الاعراب فأعطي الاصل الاصل طلبا للمناسبة ولان الالف من ضمائر الرفع كقولك قاما وقعدا فلما كانت ضميرا مرفوعا ناسب أن تقع علامة للرفع في اعراب المثنى (فان قلت) فلأي شئ ما راعوا هذه المناسبة في الجمع وأعربوه بالالف (قلت) لان التثنية قبل الجمع فاختص المثنى بهذا وسبق اليه فلم يبق للجمع الا هذه الصورة (رجع على ركوبها) على حرف جر وقد تقدم الكلام عليها وركوب مجرور بعلى والهاء والالف في موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والضمير يرجع الى العلى لانها مؤنثة أو الى غمار لانها جمع غمرة أو غمر والجار والمجرور متعلق بالمقدمين (واقتنع) الواو عاطفة عطفت فعل أمر على مثله وهو دع (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية ومن لبيان الجنس وهو متعلق باقتنع والضمير يعود على الغمار (بالبلل) الباء هنا للاستعانة أو للتعدية تقول قنعت بكذا (المعنى) واترك لجج المعالي للذين أقدموا على مشاق ركوبها وصبروا على أهوالها وكابدوا شدائدها واقتنع من اللجج بالبلل وكنى بالبلل عن الشئ النزر من العيش كانه قال ارض من اللجة بالبلالة اذا لم تكن تقدم على الاهوال فاذا الازال في ظمأ لانك ما ركبت اللجة والامر كما ذكره الطغرائي فانه لم يحظ بالدر من لم يغص عليه ولم يدع الشهد من لم يصبر على ابره ولم يظفر بالسلب من لم يهون ألم الجراح

ولم

وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عاما شاعرا اذا رأى الا انه كان شديد البخل جدا والتشيع فمن اخباره ما حدث ابو عمرو قال كان ابو الاسود نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا نحن ما نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطأني وقال لهم يوما يا بني قشير ما احب الى طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته وقال له رجل انت والله ظرف علم وحلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسأله رجل فمنعه فقال يا ابا الاسود أما أصبحت حاتما فقال بلى قد أصبحت حاتما من حيث لا تدري أليس حاتم يقول

اماوي اما مانع فبين * واما عطاء لا ينهنهه الزجر

وحكي ان اعرابيا مر به وهو يأكل رطبا على باب داره فقال السلام عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال أأدخل قال وراءك اوسع لك قال انا ابن الحمامة قال انصرف وكن ابن اي طائر شئت قال سألتك بالله الا

ولم يتمتع بالحسناء من لم يجد بالمهر الغالي فمن لم يغص قنع بالصدف ومن لم يصبر على السم لم يذق
الحلاوة ومن لم يهون ألم الجراحة سلب ما عليه ومن لم يسمح بالمال في المهر عاد بالخيبة فاقتحم
لجج الطلب والدأب واصبر على مضض السهر والفكر تعد من أعيان العلماء وتتكلم على
رؤس الاشهاد وترتقي ذرى المنابر وتصدر في المجالس ويشار اليك بالأنامل وتعقد عليك
الخناصر ومن الكلام البديع قرب ابن قريب بأصبعيه لا بأصبعه والا لم يشر اليه الرشيد
بأصبعه ابن قريب هو الاصمعي وهو منسوب الى جده اصمع والاصمعان القلب الذكي
والرأي الحازم وأما القناعة بالنزر القليل والرضى بالدون من العيش فهو أمر يوجب السلامة
ويؤمن الخطر ومن كلام البديع الهمذاني الثناء منجح أنى سلك والسعي جوده ما ملك
وان لم تكن غرة لائحة فلمعة دالة وان لم يكن خمر فخل فان لم يصبها وابل فطل وبذل
الموجود غاية الجود وما قل خير من عدم ما جل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب
وجهد المقل خير من عذر المخل وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وما كان أجود
من لو كان وعصفور في الكف خير من كركي في الجو ولأن تقطف خير من أن تقف ومن
لم يجد الجميم رعى الهشيم ومن لم يحس صهيلا نهق ومن لم يجد ماء تيمم وقيل لاعرابي لم
لا تضرب في البلاد قال يمنعني من ذلك طفل بارك ولص سافل ودهر فاتك ثم اني لست
مع ذلك بالواثق بنجح طلبتي ولا بقضاء حاجتي ولا بالعفاف على من دوني لاني أقدم على قوم
قد أطغاهم السلطان واستمالهم الشيطان وساعدهم الزمان واسكرتهم حداثة الاسنان وفي
معنى قول الطغرائي ما قاله أبو اسحق الغزي

لا تحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الا من الوشل
وانزل اذا لم تجد للرتقى سببا * فما سقى العرد بر جو نازل السبل

ولو كان لي في بيت الطغرائي حكم لقلت ودع غمار العلى للمقدمين على اخطارها أو أهوالها لان
المقام هنا مقام تهويل وهذا اللفظ ادهى به في السمع بخلاف ركوبها الاترى كيف استعار
اللجة للمعالي لان اللجة مخوفة قل من يقدم على هولها أو يركب ظهرها وأنشدني من لفظه
الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدني من لفظه لنفسه
بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمندار سنة تسع وثمانين وستمائة

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تضبح في العجاج الأكدر
وبها الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد اطلخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتري
لرأيت سدا من حديد مائرا * فوق الفرات وفوقه نار ترى
حتى سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر
ظفرت وقد منع الفوارس مدها * تجري ولولا خيلنا لم تظفر
لم يفتحوا للرمي منهم أعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر
ما كان أجرى خيلنا في اثرهم * لو أنها برؤسهم لم تعثر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
كم قد فلقنا صخرة من صخرة * ولكم ملأنا محجرا من محجر

اطعمتني مما تاكل فالقى اليه
ثلاث رطبات فوقعت
احداهن في التراب فاخذها
فمسحها بثوبه فقال دعها فان
الذي تمسحها منه أنظف من
الذي تمسحها به فقال انما
كرهت ان ادعها للشيطان
فقال لا والله ولا لجبريل
وميكائيل تدعها وجلس
يوما الى معاوية يتحدثان في
خلوة ثم تحرك فضرط فقال
لمعاوية استرها علي قال نعم
فلما خرج حدث بها معاوية
عمرو بن العاص ومروان ابن
الحكم فلما غدا اليه ابو
الاسود قال له عمرو ما فعلت
ضرطتك يا ابا الاسود فقال
ذهبت مع الريح كما تذهب من
شيخ ألان الدهر اعضاءه
عن امساكها وكل اجوف
ضروط وان امرأ ضعفت
امانته عن كتمان ضرطة
لحقيق ان لا يؤمن على المسلمين
* واسر يوما الى معاوية بشئ
وكان ابخر فاصغى اليه معاوية
ماسكا أنفه فنحى أبو الاسود
يده عن أنفه وقال لا والله
لا تسود حتى تصبر على سرار
البخر ومن شعره يقول
وكنت متى لم ترع سرك منشرا
نوازعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه
ولا كل مؤت نصحه بلبيب
وكتب الى معاوية وقد وعده
فأبطأ عليه يقول

فانظر الى هذه الالفاظ المفخمة التى أتى بها هذا الشاعر البليغ فى وصف هذا المقام المهول وأظن أن هذه الابيات نظمها مهندار العرب فى واقعة الملك الظاهر رحمه الله لما ألقى روحه فى الفرات ورمى الجيش نفوسهم خلفه وفيها يقول القاضى محيى الدين عبدالله بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلبا
وجاؤا الى شاطئ الفرات وما دروا * بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله فى العدد التى * تميس بها الابطال يوم الوغى عجبا
فعمنا بسد من حديد سباحة * اليهم فما اسطاع العدو له نقبا

ويقول الموفق عبدالله بن عمر الانصارى

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالمال وبالأهل
اقتحم الماء ليطفى به * حرارة النار من الغل

ويقول ناصر الدين حسن بن النقيب

ولما ترامينا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقرى والقوائم
وأوقفت التيار عن جريانه * الى حيث عدنا بالنعى والغنائم

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله قصيدة نظمها فى هذه الواقعة التى خاض الظاهر فيها الفرات منها

لما تراقصت الرؤس وحركت * من مطربات قسيك الاوتار
خضت الفرات سابح أقصى منى * هوج الصبا من نعله الآثار
حملتك أمواج الفرات ومن رأى * بحرا سواك تقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يك طودها * اذ ذاك الا جيشك الجرار

ومنها

رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش السعيد غبار

ومنها وقد قرأتها عليه وهو يسمع

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والاطيار
هذى منعت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذى الايثار

(رجع الى ما يتعلق بتفخيم الالفاظ) ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

كم معرك اشبه غدت أبطاله * كالاسد نزأر فى عرين صعاده
ضاق المجال بخيلهم فتخيلهم * يقضى وعكث فوق ظهر جواده

وخبر أبى زبيد الطائى عن الاسد ووصفه له فى مجلس عثمان رضى الله عنه مشهور فانه أتى فيه بألفاظ مفخمة جدا روى صاحب الاغانى ان بعض الحاضرين حنق فى أثناء سماعه الوصف فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه أسكت رض الله فاك فقد رعبت قلوب المسلمين وأبيات بشر بن أبى عوانة فى وصف الاسد وأبيات البحترى وأبيات أبى الطيب الجميع مشهورة فلا فائدة فى التطويل بذكر ذلك

(رضى الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز عند رسيم الاينق الذلل)

(اللغة) الرضى والرضوان بكسر الراء وضمها فى الثانى وهما من القرا آت السبع والمرضاة جميع ذلك واحد ورضيت الشئ وارتضيته فهو مرضى وقد قالوا امرضو فجاؤا به على الاصل

لا يمذن برقا لك برقا خلبا
ان خير البرق ما الغيث معه
لا تهنى بعد أن أكرمتنى
فشديد عادة منتزعه
وقال يخاطب ولده كان لا يطلب الرزق
وما طلب المعيشة بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجىء بملئها طورا وطورا
تجىء بحمأة وقليل ماء
وقال أيضا
يقول الارذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا
بنو عم النبى وأقربوه
أحب الناس كلهم اليا
أحبهم كحب الله حتى
أجىء اذا بعثت على هويا
فان يكن حبهم رشدا أصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا
ويروى أن بنى قشير قالوا له قد شككت يا أبا الاسود فقال كلا ما شككت أما سمعتم قول الله تعالى وانا أو ايا كم لعلى هدى أو فى ضلال مبين أفترون أن الله تعالى شك وقوله هو يا بلغة هذيل قال أبو ذؤيب
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع
(وبوب الظرف والحال)
(الظرف) فى النحو يقال للزمان والمكان اذا جعل محلا للامور تقع فيه كقولك أعجبنى الخروج اليوم فاليوم محل للخروج الذى أسندت

ورضيت عنه رضى مقصور مصدر والرضاء ممدود اسم المصدر عن الاخفش وعيشة راضية بمعنى مرضية الذليل ضد العز رجل ذليل بين الذل والذلة والمذلة من قوم أذلاء وأذلة والذل بكسر الذال اللين الخفض الدعة يقال عيش خافض وهم في خفض من العيش والخفض في الصوت غضه وخفض عليك الامر هونه العيش الحياة وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا كل منهما يصلح أن يكون مصدرا وأن يكون اسما مثل معاب ومعيب ومميل ومميل وأعاشه الله عيشة راضية مسكنة المسكنة مصدر تمسكن والمسكين الفقير العاجز عن الاكتساب وقد يكون بمعنى الذلة والضعف وهو المراد هنا يقال تمسكن الرجل كما قالوا تمدرع وتمندل في المدرعة والمنديل على تمفعل وهو شاذ وقياسه تسكن وتدرع وتندل مثل تشجع وتحلم وفي الحديث ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان بل المسكين الذي لا يسأل ولا يفطن له فيعطى العز ضد الذل الرسيم ضرب من سير الابل وهو فوق الذميل قال أبو عبيدة اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم والعنق سير مسبطر وقد رسم يرسم بالكسر ولا يقال أرسم الاينق جمع الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك وقد جمعت في القلة على أنوق مثل أسهم ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق حكاه يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار الا أن الواو صارت ياء لانكسار ما قبلها الذلل دابة ذلول بينة الذل اذا كانت طائعة سهلة القياد ودواب ذلل ومنه قولهم بعض الذل أبقى للاهل والمال (الاعراب رضى) مبتدأ واتما لم يظهر فيه الرفع لانه مقصور والمقصور يقدر اعرابه في أحواله الثلاث (الذليل) مجرور بالاضافة اليه وهي اضافة معنوية بمعنى اللام (بخفض) الباء هنا للتعدية أو هي للاستعانة (العيش) مجرور بالاضافة الى خفض وهي اضافة معنوية بمعنى اللام (مسكنة) مرفوع على انه خبر المبتدا الذي تقدم (والعز) الواو للابتداء والعز مرفوع على انه مبتدا والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الذهني (عند) ظرف مكان وفيها لغات كسر العين وفتحها وفتح النون مع فتح العين تقول عند قال الشاعر

وكل شيء قد يحب ولده * حتى الحبارى ويطير عنده

قال الحريري في درة الغواص ويقولون ذهبت الى عنده فيخطئون فيه لان عند لا يدخل عليه من أدوات الجر الا من وحدها ولا يقع في تصاريف الكلام مجرورا الا بها كما قال سبحانه وتعالى قل كل من عند الله وانما خصت من بذلك لانها أم الباب ولام كل باب اختصاص تمتاز به وتنفرد بمزيته كما خصت ان المكسورة بدخول اللام في خبرها وخصت كان بجواز ايقاع الفعل الماضي خبرا لها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر وأما قول الشاعر

كل عند لك عندي * لا يساوي نصف عند

فانه من ضرورات الشعر كما أجرى بعضهم ليت وسوف وهما حرفان مجرى الاسماء المتمكنة فأعربهما في قوله ليت شعري وأين مني ليت * ان ليتا وان سوفا عناء

وقد تستعمل عند لعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندي زيد وبمعنى الملك كقولك

اليه الحديث فاذا قلت أعجبني اليوم لم يسم ظرفا لانك انما تحدث عنه لا عن شيء وقع فيه فمن خاصة الظرف أن لا يكون محدثا عنه وأن يصلح فيه تقدير في وكان الخليل يقول أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لما يحل فيها (والحال) ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول في حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيد راكبا وضربت اللص قائما فالركوب هيئة زيد في وقت مجيئه والقيام هيئة اللص في وقت ضربه والحال اما أن يكون نكرة أو في حكمها وبعد كلام تام أو حكمه وبعد اسم معرفة أو حكمها ولها أقسام مثل المصحبة والبادئة والمحكية والموطئة والمؤكدة وغير ذلك

(وبني وأعرب ونفي وتعجب) المبني ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه * والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة أو حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع * واشار بالنفي والتعجب الى أن الكلمة الواحدة قد يراد بها النفي وقد يراد بها التعجب فمن لا يدري النحو لا يميز بين محليهما كما في قولهم ما أحسن

عندى مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندى أفضل من عمرو أى فى حكمى و بمعنى الفضل والاحسان كما قال سبحانه وتعالى اخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام فان أتممت عشرا فمن عندك أى من فضلك (رجع رسيم) مجرور بالاضافة الى عند (الاينق) مجرور بالاضافة اليه لان رسيم أضيف الى الاينق وتقدم الكلام فى اللغة على تصريف أينق (الدالل) مجرور على انه صفة للاينق تبعه فى أربعة من عشرة وهى التعريف والجمع والتأنيث والجر وأما الخبر الذى يطلبه المبتدا وهو العز فانه محذوف وهو ما تعلق به الظرف الذى سد مسده وتقديره والعز مستقر أو مطلوب أو كائن عند رسيم الاينق (المعنى) يقول رضى الذليل بالعيش ودعته مع وجود الذل مسكنة عند صاحب النفس الابية وانما العز موجود عند سير النوق المذللة فى الاسفار وهذا حث على الحركة والتنقل على مواطن الذل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق ومن الكلام النوابغ الحر لا يدعو على العصاب ولا يذل وان منى بالصعاب العصاب الحبل الذى يعصب به فخذ الناقة ومنها كم لأيدى الركاب من أياد فى الرقاب الأيدى جمع اليد التى هى الجارحة والايادى جمع اليد وهى النعمة هذا هو الصحيح وقد أخرجه ماعوام العلماء باللغة عن أصل وضعهما فاستعملوا الايادى فى جمع اليد الجارحة وتجد أكثر الناس يكتب الى صاحبه المملوك يقبل الايادى الكريمة وهو لحن وانما الصواب الايدى الكريمة قال أبو العلاء المعرى

واضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

فجمع اليد الجارحة على أيد وقال أبو الطيب

أقامت فى الرقاب له أياد * هى الاطواق والناس الحمام

ولقد جرى لى محاورة مع بعض أهل العصر ممن عانى الادب وهو انى أنشدت يوما بحضرته هذا البيت وأخذت فى استحسانه فأخذ يرد على فى ذلك ويقول الا انه صفع الناس كلهم فى هذا البيت بجمعه بين الرقاب والايادى فبينت له مكان غلطه وقلت له ليس هذا البيت من هذا الباب ولو أوردت هذا فى قول الشاعر

اذا الحمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

لمشى لك الذى تريد فلم يحر جوابا وذكرت هنا قول القائل

ماذا يفيد المعنى * من الجوى المتتابع

بعصر ذات الايادى * ونيلها ذى الاصابع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

وفت أصابع نيلنا * وطفت وطافت فى البلاد

وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وهذان المقطوعان يغتفر فيهما اللحن الخفى لرشاقة نظمهما وعلى ذكر النيل فما أحسن قول القائل

النيل قال وقوله * اذ قال مل ء مسامعى

فى غيظ من طلب الفلا * عم البلاد منافعى

وعيونهم بعد الوفا * مقلعتها بأصابعى

وأنشدت

زيد وما أحسن زيدا فانها فى الاول للنفى ولهذا ارتفع زيد لانها نفت المسند الى زيد وفى الثانى للتعجب ولهذا انتصب زيد لان فاعل أحسن هو ضمير مستكن فيه يعود على ما فان معناها فى الاصل شئ أحسن زيدا وبسبب هذه المسئلة وضع علم النحوى كما تقدم فى ذكر أبى الاسود الدؤلى مع ابنته (ووصل وقطع وثنى وجمع) أشار الى معرفة مواقع همزة الوصل من مواقع همزة القطع وقد أنشد البيت المشهور فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وجهين وهو

فشق له من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا محمد

فقيل شق له من اسمه باثبات الهمزة وسلامة النظم من الزحاف وقيل شق له من اسمه باستعمال الوصل ويكون ذلك مع دخول القبض فى الجزء الثانى من الطويل وهو مفاعيلن بحذف الياء فيصير مفاعلن وهو زحاف مستعمل فى هذا البحر تقع المعاقبة بينه وبين الكف وهو أخف منه وأكثر استعمالا (والتثنية) زيادة ألف أو ياء مفتوح ماقبلها فى آخر الكلمة مع نون مكسورة كقولهم الرجلان والرجلين (والجمع) ضربان أحدهما

وأنشدت لخليل الهمذاني الكفتي

مولاي ان البحر لما زرته * حياك وهو أخو الوفا بالاصبع
فانظر لبسطته فرؤيتك التي * هي مشتهاه وروضة المتمتع
أرخى عليه الستر لما جئته * خجلا ومد تضرعا بالاذرع

وما أحسن قول علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت

روّبصر وبسكانها * شوقي وجدد عهدي الخالي
وصف لي القرط وشنفبه * سمعي وما العاطل كالحالي
وارولنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال
فهو مرادي لا زيد ولا * ثور وان رقاو رافالي

ومن كتاب أنشأه القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر السعدي رحمه الله في بشارة النيل ولما تكامل ايابه وصح في ديوان الفلاح والفلاحة حسابه أظهر ما عنده من ذخائر اليسر وودائعه واقط عموده جل ذلك على أصابعه وكتب ابن سناء الملك الى القاضي الفاضل رحمه الله يخبره بعدم وفاء النيل وأما النيل فانه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وما أحسن قول ابن عماتي

ولقد عهدت النيل سنيا يرى * عمراويتبع رأيه تسديدا
والآن أضحى في الورى متشيعا * متوقفا ما ان يحب يزيدا

وكتبت أنا في البشارة بالنيل كتابا جاء منه فلو خاصم النيل مياه الارض لقال عندي قبالة كل عين اصبع ولو فاخرها لقال أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق اطبع والنيل له الآيات الكبر وفيه العجائب والعبر منها وجود الوفاء عند عدم الصفاء وبلوغ الهرم اذا احتد واضطرم وأمن كل فريق اذا قطع الطريق وفرح قطان الاوطان اذا كسروا الماء كما يقال سلطان الى غير ذلك من خصائصه وبراءته مع الزيادة من نقائصه وهو أنه في هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه وعمها بخنادقه التي لا تراع من تراعه وحصنها بسواري الصواري تحت قلوعه وما هي الاعمد تحت قلاعه وراعى الادب بين أيدينا الشريفة بعطا اعتنا في كل يوم بخبر قاعه في رفاعه حتى اذا أكمل الستة عشر ذراعا وأقبلت سوابق الخيرات سراعا وفتح أبواب الرحمة بتغليقه وجد في طلب تخليقه تصرع عدد راعيه الينا وسلم عند الوفاء باصابعه علينا ونشر علم سيره وطلب الكرم طباعه جبر العالم بكسره فرسمنا بان يخلق ويعلم تاريخ هنائه ويعلق فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوج موجه ويهيل كثيب سده هول هيجه ودخل يدوس زرابي الدور المبثوثه ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خبايا موروثه ومرق كالسهم من قسي قناطره المنكوسه وعلا ازيد حركته ولولاه لقهرت في باطنه من بدور أناسه أشعتها المعكوسه وبشر بركة الفيل ببركة الفال وجعل الجنونة من تياره المنحدر في السلاسل والاغلال وازدحمت في عبارة شكره أفواج الافواه وملأ كف الرجاء باموال الامواه وأعلم الاقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد وهنأت طلائعه بالطلائع التي نزلت بركاتها من الله تعالى على العباد وقلت في زيادته سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

جمع التصحيح وهو ما سلم فيه بناء مفرده وهو قسمان جمع المذكر ويكون بزيادة واو أو ياء مكسور ما قبلها في آخر الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث ويكون بزيادة ألف وتاء في آخر الاسم كتمرات ومسلمات في جمع تمرة ومسلمة والضرب الثاني جمع التكسير وهو ما لم يسلم فيه بناء مفرده كرجال وأصحاب في جمع رجل وصاحب

(وأظهر وأضمر واستفهم وأخبر)

(الاضمار) أن يؤتى في الكلمة بلفظ مضمر وهو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب كانا وأنت وهو مأخوذ من الضمر وهو الخفاء (والاظهار) أن يؤتى باللفظ المظهر وهو ما عدا المضمر مأخوذ من ظهر الشئ اذا كان على ظاهر الارض واضحا (والاستفهام) طلب الاخبار بشئ واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ما الانسان ومن زيد وكيف أنت ومتى تقوم واما حرف وهو الهمزة في نحو قولك أقام زيد وهل في هل قام زيد (والاخبار) الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولك قام زيد وما أشبه ذلك

(وأهمل وقيد وأرسل وأسند وبحث ونظر) اما أن يكون أراد الحروف المهملة التى هى غير المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما أن يكون أراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه للموازنة قوله فى السجعة الثانية أرسل وأسند والمطلق مالم يقيد (والمقيد) ماضمن وصفا كقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وأمهات نسائكم فأطلق وقال فى الربائب وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقيد (والمرسل والمسند) مااصطلح عليه فى علم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعى الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا فهذا مرسل عندهم باتفاق وأما قول التابعى الصغير كالزهرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعا لان أكثر رواياتهم عن التابعى وأما المسند فهو مااتصل سنده من روايه الى منتهاه وفيه أقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف فالصحيح مااتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة

قالوا علا نيل مصر فى زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هذا عجيب فى بلادكم * أن ابن ست وعشر يبلغ الهرما

وقلت فيه أيضا
قد زاد هذا النيل فى عامنا * فأغرق الارض بانعامه
وكاد ان يعطف من مائه * عرى على أزرار اهرامه

وقلت مضمنا
يقول لنا المقياس والنيل هابط * لنقطع آمال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

وقلت أيضا
لم لا أهيم بمصر * وأرتضيها واعشق
وماترى العين أحلى * من مائها ان تملق

(رجع ومن الكلام النوابغ) ان لم تكن داعرنين أشم كنت لربح الدل أشم وقال بعض الاعراب
سأعمل نص العيس حتى يكفنى * عن المال يوما أو عن الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها * على المرء بالاقلال وسم هوان

وقيل ظلم اعرابى من بنى بكر بن وائل فقتل ظالمه فعنف فقال ما أساء من قتل ظالمه فقيل له أتحب أن تلقى الله ظالما أم مظلوما فقال بل ظالما ماعذرى غدا عند الله تعالى اذا قال خلقتك مثل الغير ثم تجيء تشكو لى قال الجرباذى كان لابن أبى عتيق صديق من الاعراب فغاب عنه حينا ثم رآه يوما يحمل فى المدينة مقيدا بالحديد فقال له ويحك ماهذا قال لطت حوضى فثلمه بعض جيرانى فخطرت بيدى خطرة فأصابت صدره فأتى عليه أجله فقال له ولم فعلت ذلك فأنشد

فأى امرئ فى الناس يهدم حوضه * اذا كان ذارمح ولم يمانع

فقال ابن أبى عتيق أما والله كنت أصلحه بكف طين ولا يكون بى رجلى مافى رجلك وفى أمثال العرب رهبوت خير من رحموت معناه لأن ترهب خير من أن ترحم وقال المتلمس

ان الهوان حمار البيت يألفه * والحر ينكره والفيل والاسد
ولا يقيم بدار الدل يألفها * الا الذليلان غير السوء والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وتقول العرب فى أمثالها قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان الذى ورائى ماخلانى ورائى وقال أبو تمام الطائى

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وقال أبو الطيب
واطلب العز فى لظى وذر الذل * ولو كان فى جنان الخلود

وقال أيضا
انى أصاحب حلمى وهو بى كرم * ولا أصاحب حلمى وهو بى جبن
ولا أقيم على حال أذل به * ولا أسر بعاء رضى به درن

وقال أيضا
من يهن يسهل الهوان عليه * مالجرح بميت ايلام
ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش اخف منه الحمام

وقال أيضا
عش عزيزا أومت وأنت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال القرمطى الخارجى بالشام

أرى أن المنية بالمعالى * أحب الى من ذل القعود

وقال ديك الجن

حتى أصادف مالا أو يقال فتى * لاقى الردى بين أسياف وأرماح

وقال التهامى وإذا الفتى ألف الهوان فبينه * ما الفرق بين الكلب والانسان

موت الدليل كعيشة ويد الفتى * شلاء أو مقطوعة سيان

وقال الارجانى ولم أغترب الا لأكتسب الغنى * فأسقى منه كل ذى ظمأ سجلا

ويعلو الغمام الارض من أجل انه * يسوق اليها وهى لن تبرح الوبلا

اذا ما قضت نفسى من العز حاجة * فلست أبالى الدهر أملى لها أم لا

وقال آخر حاولت أن ألقى الزمان بطبعه * لولا الوفاء وشيمة لا تنتقل

فى الأرض متسع لنفس حرة * ان تنب منزلة وعاها منزل

وقال ابن عنين فاما مقاما يضرب الجد حوله * سرادقه أو باكيا لحمام

فان أنا لم أبلغ مقاما أرومه * فكم حسرات فى نفوس كرام

*(فادر أبها فى نحور البيد جافلة * معارضات مثانى اللجم بالجدل)*

(اللغة) ادرأ فعل أمر من الدرء وهو الدفع ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها أى تدافعتم ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات أى ادفعوا والنحور جمع نحر وهو موضع القلادة فى الحلق وهو هنا مجاز استعاره للبيد والبيد جمع بيداء وهى المفازة ومنه باد الشئ يبيد أى هلك وأبادهم الله تعالى أى أهلكهم جافلة جفل اذا أسرع والجافل المنزعج واجفلت الريح فهى مجفل أى أسرعت وجافلة أيضا وأجفلت الريح التراب فهى مجفل أى أذهبته وطيرته وأنشد الاصمعى *وهاب كجثمان الحمامة أجفلت * به ريح ترج والصبا كل مجفل والجفل القوم أى انقلبوا كلهم فمضوا ومعارضات تقول عارضته فى السير اذا سرت حياله وعارضته بمثل ما صنع أى أتيت اليه بمثل ما أتى وعارضت كتابى بكتابه أى قابلته وذكرت هنا ما نظمته فى مليح قابل معى كتابا وهو

جنيت خدك وردا * غضا وقدك ذابل

فها أنا كل وقت * أجنى وأنت تقابل

أجنى هنا من الجناية ومن الجنى وتقابل من مقابلة المذنب بالعقوبة على جنايته ومن مقابلة الكتاب بغيره طلبا لتصحيحه مثانى جمع مثنى من قولك جاء القوم مثنى مثنى أى اثنين اثنين ومثنى لا ينصرف لما فيه من العدل والصفة لانه عدل به عن اثنين اثنين فالعدل فيه تحقيقى قال الله تعالى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد تمسك بعض الرافضة بهذه الآية تجوز للرجل أن يتزوج بتسعة قال لان اثنين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة ولأن النبى صلى الله عليه وسلم مات عن تسع نسوة وهذا كلام من لم يطعم ثمرة العربية لانك اذا قلت جاء القوم مثنى وثلاث ورباع معناه انهم جاؤا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فتنصب ذلك على الحال والحال هى التى تبين هيئة الفاعل أو المفعول فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم أى لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه وتعالى أبان ما أباحه من النكاح بقوله

والشاذ ما رواه الثقة مما يكون مخالفا لما رواه الناس والمعلل ما فيه سبب قادح على نص ظاهره السلامة واما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذى فيه ضعف يحتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرهما (والبحث) الكشف عن الشئ والطلب يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا (والنظر) تقليب البصيرة لتأمل الامر مأخوذ من تقليب البصر لادراك الشئ

(وتصفح الاديان)

صفح الشئ عرضه كصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتأملت وجهه (والاديان) جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل فى الدين الطاعة واستعير للشريعة للانقياد اليها والطاعة والمراد النظر فى مذاهب أهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين أحدهما دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا والثانى فوق الايمان وهو أن يكون مع

فانكحوا ماطاب لكم الخ أي اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فلا يفهم من هذا الكلام الجمع بين المجموع وأما النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك من خواصه التي انفرد بها عن أمته ولم يشركوه فيها وذكر لي بعض الافاضل أن الشيخ نجم الدين بن الرفعة ذكر له تسعين خاصة وهذا تتبع كثير واطلاع مفرط وغالب خواصه صلى الله عليه وسلم في النكاح وأمر الزوجات ولهذا ترى الفقهاء يسردونها في كتاب النكاح واختلف أهل العربية هل هذا العدد من الواحد الى العشرة أو هو مانطق به القرآن الكريم فقط والصحيح أنه الى رباع حسب وقيل الى سداس وقيل الى عشار وأنشدوا في ذلك شعرا يتضمن العدد الى عشار وأورده الحريري في درة الغواص وغيره وهل يقال موحد ومثلث ومربع الى العشرة ضعيف الى الغاية وقال الحريري في هذا الكتاب بعدما أورد قول ابي الطيب

أحاد أم سداس في أحاد * لييلتنا المنوطة بالتناد

غلط أبو الطيب هنا في عدة مواضع من هذا البيت الاول انه قال أحاد وسداس ولم يسمع في الفصيح الا مثنى وثلاث ورباع والخلاف في خماس وما بعده الى عشار الثاني انه صغر ليلة على لييلة وانما تصغر على لييلية الثالث انه صغرها والتصغير دليل القلة فكأنها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شئ أطول منها حينئذ فناقض آخر كلامه أوله (قلت) ليس في هذا تناقض لان التصغير في كلام العرب على أربعة أنواع الاول تصغير التحقير كفليس ورجيل والثاني تصغير التقريب كفويق وبعيد وقبيل ودوين والثالث تصغير التحبيب كقولك ما أمليحه وما أحيسنه والرابع تصغير التعظيم كقولك انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

فأبو الطيب صغر الليلة هنا للتعظيم لانه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد وقال النور الاسعردي مضمنا

نديمي لاتهزأ بشمولة وان * بدالك منها بهجة وشمائل
وراقك فيها رقة في قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

وأنشدني المولى بدر الدين حسن بن علي الغزي من لفظه لنفسه في الخمر

وصفراء حال المزج يصبغ ضوءها * اكف الندامى وهو في الحال ناصل
وتهفو بألباب الرجال لانها * دويهية تصفر منها الانامل

(رجع اللجم) جمع لجام وهو فارسي معرب وهو للخيل بمثابة الزمام للنوق الجدل جمع الجديل وهو زمام الناقة المجدول من ادم تقول جدلت الحبل أجدله جدلا اذا أحكمت فتله وجارية مجدولة الخلق حسنة الجدل (الاعراب فادرأ) ادرأ فعل أمر من درأت وقد تقدم الكلام على أفعال الامر من الثلاثي فالهمزة هنا ساكنة (بها) جار ومجرور والضمير يرجع الى الاينق في البيت الذي قبله (في نحور) في حرف جر وهي ظرفية ونحور مجرور بها (البيد) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (جافلة) منصوب على الحال من الضمير الذي يعود على الاينق (معارضات) منصوب على انه حال ثانية وعلامة نصبه كونه مكسورا لانه جمع مؤنث سالم

الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى في كل ماقضى وقدر كقوله تعالى في قصة ابراهيم أسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والعرانية والقرائين والسامرية وما أشبه ذلك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أي رجعنا وتضرعنا وكان في الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرائعهم ذما لهم والنصارى وفرقهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية والارمن والروم والمارونية وغيرهم واسم النصارى مأخوذ من قول عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ثم صار ذما لهم بعد نسخ شريعتهم أيضا وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها نصران والمجوس وفرقهم من الكيومرثية والزرادشتية وما أشبه ذلك وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع في الملل والنحل

واحده معارضة وهذا الجمع اذا كان بالالف والتاء اعرب بالضم فى حالة الرفع وبالكسر فى حالتى النصب والجر تقول جاءنى معارضات ورأيت معارضات ومررت بمعارضات وانما اعربوه هذا الاعراب ليقابلوا به الجمع المذكر السالم لما كان يعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر وانما أعربوا هذا الجمع المؤنث بالحركات دون الحروف لانه تقدم فى اعراب الجمع المذكر السالم ان الاعراب بالحركات هو الاصل والاعراب بالحروف هو الفرع والافراد هو الاصل والجمع هو الفرع فاعطوا الاصل للاصل والفرع للفرع فصار اعراب الجمع بالحروف هو الاصل ولما استقر ذلك قاعدة جاؤا الى الجمع المؤنث السالم فوجدوه فرعا على الجمع المذكر فلم يعطوه اعراب الاصل فى الجمع الذى هو بالحروف فاعطوه الاعراب الفرعى بالنسبة الى الجمع وهو بالحركات لانهم مالهم اعراب بغير هذين ولا يعربون مما جمع بالالف والتاء هذا الاعراب المخصوص الا ماله مذكر يعرب بالحروف كقولك مسلمون ومسلمات وقائمون وقائمات وكما انهم ألحقوا بباب الجمع المذكر السالم ما ليس منه مثل عالمون وعليون وأرضون وسنون كذلك ألحقوا بهذا الباب ما ليس منه مثل عرفات واذرعات تقول هذه عرفات ورأيت عرفات ومررت بعرفات لانه لا يقال فى مذكره عرفون وهكذا أولات تقول جاءنى أولات حسن ورأيت أولات حسن ومررت بأولات حسن والاصل فى هذه التاء أن تكون أصلية للتأنيث فى المفرد مثل شجرة ومسلمة أما اذا كانت غير أصلية مثل رواة فانها تعرب على الاصل تقول هذه رواة ورأيت رواة ومررت برواة وان كانت لغير التأنيث أعربت على الاصل تقول هذه أبيات ورأيت أبياتا ومررت بأبيات لان التاء فى المفرد لغير التأنيث ولقد رأيت جماعة من الفضلاء يكتبون بخطهم وقد نظم المملوك أبياتا فاذا أنكرنا ذلك عليهم يقولون قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك رحمه الله تعالى

وما بتا والف قد جمعا ❊ يكسر فى الجر وفى النصب معا

فاقول لهم الشيخ قال ما جمع بالالف والتاء وهذا ليس منه لانها فى المفرد أصل فيقولون وكذلك مسلمة التاء فيه أصلية فاقول التاء الاصلية فى مسلمة حذفت فى الجمع وكان اصله مسلمتات فاستثقل الجمع بين علامتى تأنيث فحذفت الاولى وعلى كل تقدير فلا بد لهذا الجمع أن يكون جمع مؤنث سالما وأبيات جمع مذكر مكسر غير سالم فلا يهتدون لما أقول (رجع مثانى اللجم) مثانى منصوب بمعارضات لانه اسم فاعل يعمل عمل الفعل اذا كان غير مضاف تقول هذا مكرم زيدا وزيد مكرم عمرو فتنصب المفعول اذا نونت وتجره اذا أضفت ولم يظهر النصب فى مثانى لانه يجوز ذلك فى المقصور وهو من أحسن الضرورات ولكن الاصل فيه معارضات مثانى اللجم بفتح الياء والوزن اضطره الى سكونها (بالجدل) الباء حرف جر وهى المعدية الفعل تقول عارضت كذا بكذا والجار والمجرور فى موضع النصب على انه مفعول ثان لمعارضات (المعنى) فادفع بالاينق الذلل فى نحور المفاوز والقفار مسرعة غير ملتفتة وبجياد الخيل فعارض لجم تلك بازمة هذه وهذا حث منه على اعمال الركاب وأن يرمى بها فى نحور البيد مسرعة تبارى بازمتها لجم الخيل فى مسيرها وهذا البيت مأخوذ من قول أبى الطيب

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها ❊ قلبى من الحزن أو جسمى من السقم

طردت من مصر أيديها بارجلها ❊ حتى مرقن بها من جوش والعلم

(ورجع بين مذهبى مانى وغيلان)

(هو مانى بن ماش الثنوى) الذى تنسب اليه المانوية كان راهبا بنجران فادعى البنوة للمسيح معظما فى أساقفة النصارى محمود السيرة فيهم فزنى فسقطت مرتبته وكان له حسدة من بطارقة زمانه فوجدوا السبيل الى ما أرادوا منه فلما رأى حاله أخذ فى الرد على أصحابه وقال لم أزن ولكنهم حسدونى وأنكروا الحق لهم فى أصل دينهم اذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتى رسول الشيطان وكان مانى فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم فاحدث دينا ودعا اليه وظهر فى أيام سابور ابن اردشير وتبعه خلق عظيم من المجوس وادعى واله النبوة ونسبوه لها الى ان قتل فى زمان بهرام ابن سابور كما سيأتى ذكره حدث البرنختى وغيره قال زعم مانى وأصحابه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير ونفسه خيرة حليمة نفاعة منها الخير والسرور والصلاح وليس

تبري بهن نعام الدو مسرجة * تعارض الجدل المرخاة باللجم

وما أحسن قول أبي الطيب

وجردا مددنا بين آذانها القنا * فبتن خفافا يتبعن العواليا

تجاذب فرسان الصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهذا تشبيه حسن في العنان وفيه زيادة معنى لان الخيل تجاذب الفرسان الاعنة فهي تطلب أمام وفرسانها تجذب أعنتها الخفيف السير عنها وأخذه ابن القيسراني فقال ومن خطه نقلت

وأسرى نعاس عموا كعبة الندى * فهم سجد فوق المذاكي وركع

على كل نشوان العنان كأنما * جرى في وريديه الرحيق المشعشع

شكائمها معقودة بسياطها * تخال بايدينا أراقم تلسع

ولع هذا المعنى المولى صفي الدين بن عبد العزيز بن سرايا الحلي فانشدني لنفسه اجازة ومن خطه نقلت من أبيات

فقلت لاقال ولاسابق * مرفه السوط شقي العنان

فانظر اليه كيف نظر الى ذلك المعنى من طرف خفي واختلسه ثم زاده زيادة مليحة وهو انه مرفه السوط وما سمعت أحسن من هاتين الكنايتين في شقاوة العنان ورفاهية السوط وقد أخذ عبد الصمد بن بابك قول أبي الطيب في تشبيه العنان بالافعى وزاد عليه زيادة حسنة فقال في زمام الناقة

ولقد أتيت اليك تحمل بزتي * حرف يسكن طيشها الدالان

تنفي الزفير خطامها فكأنما * غار يحاول نقبه ثعبان

وقال أبو نواس في جذب الازمة

يثري لانقاض أضرها * جذب البرى لخدودها صعر

فكأنه مصغ ليسمعه * بعض الحديث باذنه وقر

وقال ابراهيم بن المهدي

اذا جذبت بها الانساع أصغت * كاصغاء النجي الى النجي

وقال ابو اسحق بن خفاجة

طاف الخيال به فأسرج ادهما * وسما السماك به فأشرع لهذما

وسرى يطير به عقاب كاسر * امسى يلاعب من عنان ارقما

وقال آخر

رجعة اسفار كأن زمامها * شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

(ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث ان العز في النقل)

(اللغة) العلى تقدم الكلام عليها الحديث الخبر يأتي على القليل والكثير العز ضد الذل النقل جمع نقلة وهي اسم للانتقال من موضع الى موضع (الاعراب ان) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وقد تقدم الكلام عليها في شرح قوله اني اريد طروق الحي البيت (العلى) اسم ان فهي منصوبة ولم يظهر النصب لانها مقصورة والالف واللام للعهد الذهني أو لما تقدم في اثناء القصيدة من ذكرها في مثل على قضاء حقوق للعلى قبلي (حدثتني) حدث فعل ماض والتاء علامة التأنيث وفاعله ضمير مستتر في حدثت عائد على العلى تقديره حدثت هي والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهي للمتكلم والجملة في موضع رفع لانها خبر ان (وهي) الواو

منها من الشر شيء وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه والنور مرتفع في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب وزعموا أن لكل واحد منهما أجناسا خمسة أربعة منها أبدان وخامسه الروح فابدان النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها النسيم المتحرك في هذه الابدان وابدان الظلمة أربعة الحريق والظلام والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة وأبدان الظلمة شياطين وبعضهم يقول أبدان النور تتولد ملائكة وابدان الظلمة تتولد شياطين وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها قال بعض المتكلمين والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيئان متضادان كما لا يكون في عنصر النار الحر والبرد وقد رد عليهم بعض العلماء في قولهم الصانع اثنان فقال لو كانا اثنين لم يخل من أن يكونا قادرين أو عاجزين أو أحدهما قادرا والآخر عاجزا لا جائز أن يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز ان يكون أحدهما عاجزا

واو الابتداء وهي ضمير مرفوع المحل على الابتداء راجع الى العلى (صادقة) خبرهي (فيما) في حرف جر وهي ظرفية تتعلق بحدثتني وما اسم ناقص بمعنى الذي لايتم الا بصلة وعائد وهو في موضع جر (تحدث) فعل مضارع وهو صلة ما التي تقدمت والعائد محذوف لانه فضلة تقديره فيما تحدثه (ان العز) ان واسمها وهي هنا مكسورة لانها محكية (في النقل) في حرف جر وهي للظرف معنى والنقل مجرور بها والجار والمجرور يتعلق بمحذوف هو خبر ان تقديره ان العز مستقر في النقل وقوله ان العز وما بعده في موضع النصب على انه مفعول حدثتني وهو مفعول ثان وقوله وهي صادقة جملة اعتراضية لامحل لها من الاعراب اعترضت بين قوله حدثتني وبين قوله فيما تحدث (المعنى) ان العلى حدثتني وهي صادقة فيما حدثت من الاخبار ان العز موجود في التنقل من مكان الى مكان والاغتراب من مكان نبا بساكنه الى مكان يلائمه ويوافقه وينال فيه المعالي وقد اكثر الشعراء في الحث على الانتقال والحركة قال ابو تمام

وطول مقام المرء في الحي مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

وقال ابو الغنائم محمد بن المعلم

سر طالبا غاياتها اما ترى * فوق الثريا او ترى تحت الثرى
لاتخلدن الى المقام فانما * سير الهلال قضى له ان يقمرا
لاتبك دارا فالفتى من ان دعا * دمعا عصاه وان دعاه دما جرى
اين الكناس من العرين واين غز * لان الاوى في الجد من اسد الشرى
لو يتبع الوطن العلى ما سار عن * غمدان سيد حمير مستنصرا
ولو استتم بمكة لمحمد * ما رام لم ينصب بيثرب منبرا
والليث لو وجد الفريسة رابضا * او ناهضا في خيسه ما اصحرا
لاعار في بيع النفوس على الردى * عندي اذا كان العلاء المشترى
حتام حظي في الوهاد وحظ أصحاب الدناءة في الشواهق والذرى
ما الجبن يحميني الحمام ولا أرى الاقدام يجاب لي سوى ما قدرا
لابد منها وثبة تعري الظبا * فيها وتكسو الجوفيها العثيرا
أشكو الى الايام ما ألقى لها * وجها على تلونها مستبشرا
ماعذر من لم يلق وجها أبيضا * منهن ان لم يلق يوما أحمرا

أثبت هذه الابيات على طولها وان كان بعضها ماله تعلق بهذا البيت على الخصوص لان لها علاقة بالقصيدة على العموم ومن كلام الحكمة ان الله لم يجمع منافع الدنيا في أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض وقيل المسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب وقيل الاسفار مما يزيد علما بقدرة الله وحكمته وتدعو الى شكر نعمته وقيل ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك وقال ابن الساعاتي

أهلك والليل مضي أجملك * شمر فخير البلاد ما حملك
لاخير في بقعة تروق من الارض اذا لم تنل بها أملك
حتام لاتعمل الجياد ولا * تعمل في أم غاية ابلك

فبقي ان يقال هما قادران فيتصور ان احدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر تسكينه فيها ومن المحال وجود ما يريدانه فان تم مراد احدهما ثبت عجز الآخر ورد عليهم آخر في قولهم ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر بانه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع في شر ومن ههنا أخذ المتنبي فقال

وكم لظلام الليل عندي من يد
تخبر ان المانوية تكذب

وقال الجاحظ المانوية تزعم أن العالم بما فيه مركب من عشرة أجزاء يعني أجناسا خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فمتى نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون يسأل المانوية عن مسئلة قريبة المأخذ قاطعة ناظر أحدهم فقال أسألك عن حرفين فقط هل ندم مسيء على اساءته قال بلى قد ندم كثير قال فخبرني عن الندم على الاساءة اساءة أم هو احسان قال احسان قال فالذي ندم هو الذي أساء قال نعم قال فاري

صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان الذى ينظر نظر الوعيد غير الذى ينظر نظر الرحمة قال فان الذى أزعم ان الذى أساء غير الذى ندم فقال فندم على شئ كان من غيره أو على شئ كان منه فقطعه بهذه الحجة ولمانى وأصحابه فى امتزاج النور والظلمة وحدوث الشمس والقمر والنجوم لاستصفاء النور من الظلمة الى أن لا يبقى شئ منه فى هذا العالم وتنطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله أقوال عجيبة الى غير ذلك من انه لا يرى المناكح يستعجل فناء العالم ويسرع بجمع الاشكال ولم تزل اتباعه تكثر وشوكته تعظم الى أن أحضره بهرام بن يزدجرد وقيل سابور وأراد قتله باتفاق الموابذة فامر أدريادموبذ موبذان بان يناظره فناظره فى مسئلة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال الموبذ أنت الذى تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب فقال مانى واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج فقال له أدرياد فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذى

لقد تربصت خيفة الاجل الـ ... ـشعتوم لو كان دافعا أجلك
وحبذا ذاك لو وجدت فتى * أفضل يوما عليك أو فضلك

وقال ابن قلاقس

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا
وبنقله الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

وأخذه بعضهم فقال

نقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور
لولا التنقل ما ارتقى * در البحور الى النحور
ما المقا كثون بأرضهم * الا كسكان القبور

وقال أيضا

شرفى جاوز العلى ومن العا * رض ما انحط عن رؤس الجبال
كيف لا أسرع التنقل والمشـ ... ـهور للبدر سرعة الانتقال

وقال أيضا

ان مقام المرء فى بيته * مثل مقام الميت فى لحده
فواصل الرحلة نحو الغنى * فالسيف لا يقطع فى غمده
والنار لا يحرق مشبوبها * الا اذا ما طار عن زنده

وقال آخر

اس ارتحالك نرتاد الغنى سفرا * بل المقام على خسف هو السفر

وقال أبو الفرج بن هندو

صح تحيك العلى الى الغايات * ما غنى الاسود فى الغابات
لا ترد الردى لزوم بيوت * لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدر جاءة فاذ اسا * فر حلى التيجان واللبات
اف للدهر ما ينى يتعس الفا * ضل فى بدئه وفى العقبات
يسكن المسك سرة الظبى بدأ * ثم تصليه جمرة الوقدات

وقال ابن قلاقس

والصغير الحقير يسمو به السيـ ... ـر فيعنو له الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى انـ ... ـحط عنه فى قيمة الدست فيل

وقال أبو الفضل التميمى

دعنى أسر فى البلاد ملتمسا * فضلة مال ان لم يفر زانا
فبيدق الرخ وهو أيسرما * فى الدست ان سار صار فرزانا

وذكرت هنا أبياتا لابن الرومى فيمن يلعب بالشطرنج غائبا وهى

غلط الناس لست تلعب بالشطـ ... ـرنج لكن بأنفس اللعباء
غير ما ناظر بعينيك فى الدسـ ... ـت ولا مقبل على الرسلاء

بل نراها وأنت مستدبر الظهـر بقلب مصور من ذكاء
ما رأينا خصما سواك يولي * وهو يردي فوارس الهيجاء

وقال أبو اسحق في المهذب في كتاب الشهادات ان سعيد بن جبير كان يلعب الشطرنج ذكره في فضل اللعب بالشطرنج وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصا متجندا يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوالي ويحطهم ويغلبهم وما راعى فيه الا انه يقعد ويتحدث وينشد لنا الاشعار ويحكي كل منا حكاية في شأنه وهو يشارك فيما نحن فيه ويدع اللعب ويقوم الى الخلاء ويحضر ولم يغب عنه شئ مما هو فيه وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج الا أناس قلائل ورأيت غير مرة أيضا بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة شخصا يعرف بالنظام العجمي وهو يلعب الشطرنج غائبا في مجلس الصاحب شمس الدين وأول ما رأيته لعب مع الشيخ أمين الدين سليمان رئيس الاطباء وكان طابقة فغلبه مستدبرا ولم يشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل ولم يره حتى التفت الينا وقال مات وحكى لي أنه كان يلعب غائبا على رقعتين وحكى لي عنه صاحبنا المولى بدر الدين حسن الغزي انه رآه يلعب على رقعتين غائبا وقدامه رقعة يلعب فيها حاضرا وغلب في الثلاث والعهدة في ذلك عليه اه وكان الصاحب شمس الدين يدعه في وسط الدست ويقول له عدلنا اقطعك وقطع غيرك فيسردها جميعا كأنه يراها بين يديه وأنشدنيه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله

لله في الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضر اجتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذي ناطقه

وبقوله أيضا

ولاعب يعرف شطرنجه * عن فهمه المتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * يا حبذا من حاكم غائب

قلت كذا رأيته ولو قال يا حسنه أو يا عجبا لسلم من حذف فاعل حب الذي هو بدل من ذا وهو غير جائز وأنشدني من لفظه لنفسه ملغزا في الشطرنج

وما صامت يمضي ويرجع مفكرا * ويقضي على أوصاله الوصل والصد
كأن الضنا آلى عليه ألية * فما فيه الا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمس ولكن شطره * ثلاثة أخماس الحروف التي تبدو

وقال بعضهم ملغزا فيه أيضا

وما اسم ثلاثة أخماسه * هو الشطر منه ومن غيره
وباقيه ان رمت معكوسه * قطعت رجاءك من خيره

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار ملغزا فيه أيضا

وما شئ له نفس ونفس * ويؤثر كل عظمه ويحك جلده
يود به الفتى ادراك سؤال * وقد يلقى به ما لا يوده
ويؤخذ منه أكثره بحق * ولكن عند آخره يرده

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع ماني فأمر بهرام بصلبه على الخشب فجعل يصيح ويقول أيها المعبود النوراني بلغت ما أمرتني به وهذه عادتهم في وفي أمثالي وأنت الحكيم وها أنا الآن مار اليك وما آذيت صامتا ولا ناطقا فتباركت أنت وعالمك النوراني الازلي فكان آخر قوله ثم ملأ جلده تبنا وكان بهرام في الاول قد أظهر متابعته حتى أحاط علما بمن تبعه فلما قتله أمر بقتل أصحابه ثم ظهر من يسلك مسلكهم في الاسلام بشر عظيم يسمون الزنادقة قتلهم المهدي وأبادهم * وأما غيلان فهو ابن يونس القدري الدمشقي كان أبوه مولى لعثمان بن عفان وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الاسلام وقيل أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر واخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي وروى ان مكحولا قال لغيلان ويلك يا غيلان ألم أجدك ترامي النساء بالتفاح في شهر رمضان ثم صرت حارثيا تخدم امرأة الحرث الكذاب وتزعم انها أم المؤمنين ثم

أشكوا السقام وتشكو مثله امرأتي * فنحن في الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم في نطع يجمعنا * كأنما نحن في التمثيل شطرنج

ولك في لفظ الشطرنج لغتان بالشين المعجمة وهو الافصح لانه مأخوذ من الشطر لان كل لاعب له شطر من القطع وبالسين المهملة لانه مأخوذ من تسطير الرقعة بيوتا وان ألحقته بأوزان العربية كسرت أوله فقلت شطرنج لان فعلال في العربية له نظير مثل قرطعب والصحيح ان هذه اللفظة أعجمية كذا جاءت وأصلها بالعجمية شش رنك معناه ستة ألوان وهي الشاه والفرز والفيل والفرس والرخ والبيدق يقال ان بعضهم سمع آخر يقول يا سجاع هات الشطرنج من تحت السجرة بالسين المهملة في الجميع فقال ضيعت على النحوي تسع نقط وكثير من الناس يغلط في الصولي وهو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ويزعم انه واضع الشطرنج لما ضرب به المثل فيه والصحيح ان واضعه صصه بن داهر الهندي كان أردشير بن بابك أول ملوك الفرس الاخير قد وضع النرد ولذلك قيل له نردشير جعله مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله اليك والبنج ويقابله الدو والجهار ويقابله السه وجعل ما يأتي به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى ويتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص وهذا هو مذهب الاشاعرة وأخبرني من أثق به أن الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله كان يقول اللاعب بالنرد خير من اللاعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لاعبه ينفي ذلك فهو أقرب الى الاعتزال أو كما قال وما أحسن قول الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال من قصيدته اللامية

وفي الفصوص لعبنا * منتقل كالمثل
تلوح في أكفنا * كالجوهر المفصل
تفعل فيما بيننا * فعل القضا في الدول

ولابي عبد الله محمد بن أحمد الخياط بدمشق قصيدة سينية يصف فيها النرد أبدع فيها فلما وضع أردشير ذلك افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله أن يتمنى عليه فتمنى عليه عدد تضعيفه فعدا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله به من طلب النزر القليل في ذلك المقام فقال ما أريد غير ذلك فأمر له به فلما حسبه أرباب الديوان قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فأعجبه الامر الثاني أكثر من الاول قال القاضي شمس الدين أحمد ابن خلكان رحمه الله تعالى ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شيء حتى اجتمع بي بعض حساب الاسكندرية وذكر لي طريقا بين صحة ما ذكروه وأحضر لي ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد

تحولات بعد ذلك قدريا زنديقا وروي أن غيلان وقف يوما على ربيعة فقال له أنت الذي تزعم أن الله يحب أن يعصى فقال له ربيعة أنت الذي تزعم أن الله يعصى قسرا وقيل لغيلان من كان أشد عليك قال عمر بن عبد العزيز كأنما كان يلقن من السماء وحكى ابن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلانا نطقا في القدر فأرسل اليهما وقال ما الامر الذي تنطقان به فقالا هو ما قال الله يا أمير المؤمنين قال وما قال الله فالا قال هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم قال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ثم سكتا فقال عمر اقرآ فقرآ حتى بلغا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله الى آخر السورة قال كيف تريان يا بني الاتانة تأخذان الفروع وتدعان الاصول قال ابن مهاجر ثم بلغ عمر بن عبد العزيز انهما أسرفا فأرسل اليهما وهو مغضب فقام عمر وكنت خلفه قائما حتى دخلا عليه وأنا مستقبلهما فقال لهما ألم يكن في سابق علم الله حين أمر الله ابليس بالسجود أن لا يسجد قالا نعم وأت اليهما

عبرتها فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه فى ذلك النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت
العشرين فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات الى الارادب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى
البيت الاربعين الى مائة ألف اردب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنين وستين
اردبا وثلثى اردب وهذا المقدار شونة ثم انه ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة
ألفا وأربعة وعشرين شونة وهذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف ذلك الى البيت الرابع والستين
وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال
تعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى قلت آخر ما اقتضاه تضعيف رقعة
الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ست مرات وأربعمائة وستة وأربعون ألفا خمس مرات
وسبعمائة وأربعة وأربعون ألفا أربع مرات وثلاثة وسبعون ألفا ثلاث مرات وسبعمائة
وتسعة آلاف ألف مرتين وخمسمائة واحد وخمسون ألفا وستمائة وخمسة عشر حبة عددا
وانشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد
الانصارى بيتا واحدا يضبط هذا العدد وهو هذا

ان رمت تضعيف شطرنج فجملته

هـا و ا هـ ط ع جز مـ د ز و د د حا

١٨٤٤٦٧٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥

وقال انه اذا جمع هذا العدد هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك
وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على
ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب ووزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة
وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح وكل بيت اذا ربعنا ما فيه
من العدد حصل من مربعه ما يجب أن يكون فى البيت الذى عدده كضعف ذلك البيت الا
واحدا فاذا ربعنا ما حصل فى الثالث مثلا حصل ما فى الخامس واذا ربعنا ما حصل فى الخامس
حصل ما فى التاسع فاذا ربعناه حصل ما فى السابع عشر فاذا ربعناه حصل ما فى الثالث
والثلاثين فاذا ربعناه حصل ما فى الخامس والستين فاذا انقصنا منه واحدا كان الباقى جملة
ما فى البيوت كلها الى البيت الرابع والستين وان نصفناه قبل أن ينقص منه واحد كان نصفه
حاصل البيت الرابع والستين وبهذا العمل يحصل تضعيف رقعة الشطرنج من خمس
ضربات اهـ كلامه وحكى لى من لفظه المولى رشيد الدين يوسف بن أبى البيان قال قال لى
الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى يا رشيد الدين قال ابن حزم أوّل كذبة كذبها
بنو اسرائيل انهم دخلوا مصر اثنين وسبعين نفسا فى زمن يوسف عليه السلام وخرجوا مع
موسى بن عمران عليه السلام ستمائة ألف قال فقلت له هذا ابن حزم من الصحابة قال لا قلت
ولا من التابعين قال لا قلت هذا ابن حزم ما كان يدرى ان اثنين واثنين أربعة فقال لاى شئ
قلت ما يعلم سيدنا ان رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتا فاذا ضعفناها من واحد انتهت
الاعداد الى كذا وكذا وذكر العدد الذى حصل هناك ومع ذلك فبنو اسرائيل انما عدوا
الرجال وأما النساء والصبيان والاشياخ الذين بلغوا الهرم فلم يذكروهم قال فسكت الشيخ
تقى الدين رحمه الله انتهى فقلت أنا له يا مولاى رشيد الدين قوم يخرجون فى عدة ألف ألف

برأسى أن قولا نعم والا فهو
الذبح فقالا نعم فقال أولم يكن
فى سابق علم الله حين نهى
آدم وحوّاء عن الشجرة أن
يأكلا منها فألهمهما أن
يأكلا منها فأومأت اليهما
برأسى فقالا نعم فأمر باخراجهما
وأمر بالكتاب الى سائر
الاعمال بخلاف ما يقولان
وأمسكا عن الكلام فلم
يلبثا الا يسيرا حتى مرض
عمر ومات ولم ينفذ الكتاب
وسال بعد ذلك منهما السيل
وكان غيلان قد تاب على يد
عمر بن عبد العزيز فقال
عمر اللهم ان كان كاذبا فلا تمته
حتى تذيقه حر السيف
فقطعت يداه ورجلاه وصلب
فى أيام هشام بن عبد الملك
حين قال يا غيلان ما هذه
المقالة التى بلغتنى عنك فى
القدر فقال يا أمير المؤمنين
هو ما بلغك فأحضر من
أحببت يحاجنى فان غلبنى
ضربت رقبتى فأحضر الاوزاعى
فقال له الاوزاعى يا غيلان
ان شئت ألقيت عليك سبعا
وان شئت خمسا وان شئت
ثلاثا فقال ألق ثلاثا فقال له
أقضى الله على عبد ما نهى
عنه قال ما أدرى ما تقول
قال فأمر الله بأمر حال دونه فقال
هذه اشد من الاولى قال فحرم
الله حراما ثم أحله قال ما أدرى
ما تقول قال فأمر به هشام

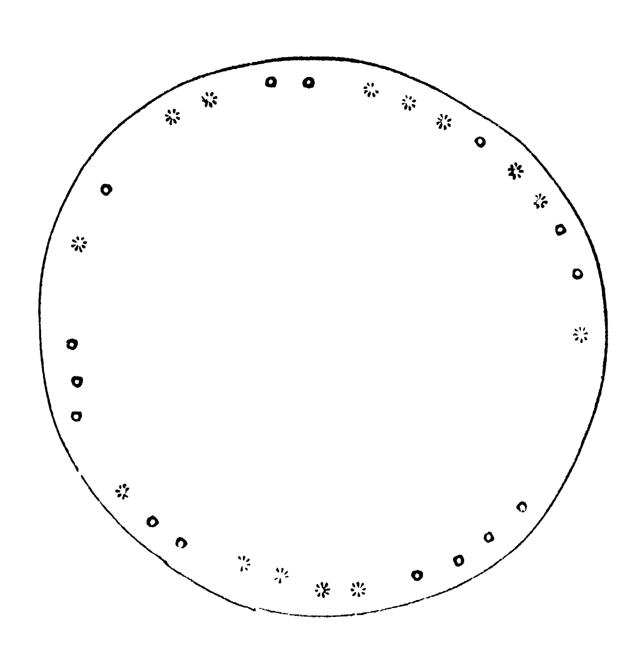
نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون على ماذا حملوا زادهم وأي ماء اذا نزلوا عليه يقوم بكفايتهم هذا بعيد من العادة فلم يحرجوا باقات له أنا أتبرع لك بالجواب وهو انهم كان معهم موسى عليه الصلاة والسلام وبيده العصا التي يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً وعناية الله بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون اليه من كل شيء وعلى الجملة فالذي استبعده ابن حزم لا ينكر لان هذا عدد كثير على ما يزعمون (رجع الى ذكر الشطرنج) وانما يذكر الصولي ويضرب به المثل لانه أجاد اللعب به وبلغ الغاية لا لانه واضعه حكى المسعودي في مروج الذهب ان الامام الراضي بالله أتى في بعض متنزهاته بستانا مونقاً وزهراً رائقاً فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه هل رأيتم منظراً احسن من هذا فكل أنشأ يصف محاسنه وانه لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا فقال الراضي لعب الصولي بالشطرنج احسن من هذا ومن كل ما تصفون وقيل انه لما دخل الصولي على الامام المكتفي في أول أمره كان عنده انسان يعرف بالماوردي قد ألفه المكتفي زماناً فلعبا بين يديه وأخذ المكتفي يزهر الماوردي ويشجعه ويبصره حتى دهش الصولي فلما اتصل اللعب بينهما ورأى اجادة الصولي قال للماوردي عاد ماؤورد بولاً وقال فضائل الهند ثلاثة سبقوا بها من سواهم من الناس كتاب كليلة ودمنة ولعبة الشطرنج والتسعة أحرف التي تجمع أنواع الحساب وما أحسن قول ابن القيسراني ومن خطه نقلت

وقد اختصرت لك الثناء وربما ✽ وافاك بالمقصود صدر ملطف

هذا الحساب يفوت أوهام الورى ✽ ويحوزه الهندي بتسعة أحرف

ورأيت أنا بعض الاصحاب يأخذ قطع الشطرنج يصفها رصاً مخصوصاً صورة دائرة ويدعي أن مركباً كان على ظهر البحر الاعظم في اللجة وفيه مسلمون وكفار فاشرفوا على الغرق وأرادوا أن يرموا بعضهم الى البحر ليخف المركب فنجو بعضهم ويسلم المركب فقالوا نقترع ومن وقعت القرعة عليه ألقيناه فنظر الريس اليهم وهم جالسون على هذه الصورة فقال ليس هذا حكماً مرضياً وانما الحكم أنا نعد الجماعة فكل من كان تاسعاً ألقيناه فارتضوا بذلك ولم يزل يعدهم ويلقي التاسع فالتاسع الى أن ألقى الكفار أجمعين وسلم المسلمون وهذه صورة ذلك

نقطعت يداه ورجلاه فمات وقيل صلب حياً على باب كيسان بدمشق ثم قال هشام للاوزاعي يا أبا عمرو فسر لما ما قلت قال قضى الله على عبد ما نهى عنه نهي آدم أن يأكل من الشجرة ثم قضى عليه فأكل منها وأمر ابليس أن يسجد لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن اضطر فأحلها بعد ما حرمها وممن كان يميل الى هذا المذهب أيضاً غيلان وهو ذو الرمة الشاعر قال اختصم ذو الرمة ورؤبة الراجز عند بلال بن أبي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصاً ولا تقرمص سبع قرموصاً الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيائل ضرائك فقال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين ✽ قوله عيائل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك وهو الفقير وعن اسحق بن سويد قال أنشدني ذو الرمة قوله وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما يفعل الخمر فقلت له فعولين خبر الكون



والمسلمون هم الحمر وابتداء العدد منهم أولا ويبتدئ من أول الاربعة الحمر الى جهة الشمال فينتهى التاسع الى آخر السود الخمسة ثم يبتدئ من الاحمرين بالعدد وهكذا الى أن تلقى السود بأجمعها ولقد ذكرتها لنور الدين على بن اسمعيل الصفدى وهو من الذكاء فى الغاية فأعجبته وأخذ يكررها مدة فيقول أربعة مسلمون ثم خمسة كفار ثم مسلمان ثم كافر وهكذا الى أن ينتهى العدد ثم يعود يريد بذلك حفظ ترتيبها فقلت له هذا تعب وقد يشذ عنك وقت الحاجة فقال كيف أصنع بحفظ هذا الترتيب فلما رأيت تشوقه لذلك قلت له الضابط فى هذه بيت واحد تجعل حروفه المعجمة للكفار والمهملة للمسلمين وهو

ولما وقفت بلحظه ✻ عذلت فاخفت من شامت

فلما امتحن ذلك وصح قال لى كشفت عنى غمة وبعضهم يحفظ له بيتا آخر وهو

الله يقضى بكل يسر ✻ ويرزق الضيف حيث كانا

ولك أن تقيد ذلك بحروف الجمل فتقول دهبا جا أبجا بدا

١٢٥٤ ١٣ ٢٢٢١ ١٢٢١

وذلك أربعة وخمسة واثنان وواحد وثلاثة وواحد وواحد واثنان واثنان وثلاثة وواحد واثنان واثنان وواحد ورأيت من يضع وفقا على عدد بيوت الرقعة ويضع فى أبياته اعدادا مخصوصة فيحصل من مجموعها وفق كيفما عددته من اليمين الى الشمال وبالعكس أومن فوق الى أسفل وبالعكس أومن قطريه تجده مائتين وستين عدد الاختلاف وفى أربعة أركانه أربعة أوفاق كل منها وفق بذاته على نقل الفرزان وهذه صورته

علامة المسلمين هذا الدائرة التى باطنها أبيض وماعداها علامة الكفار وذلك لعدم وجود الاحمر الذى نبه عليه المؤلف فى الصفحة التى تلى هذه اه

فقال لى لو سبحت ربحت انما قلت فعولان وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام عن القول بخلاف مذهبه والله تعالى أعلم بالصواب

✻(وأشار بذبح الجعد)✻

(أما الجعد) فهو ابن درهم مولى بنى الحكم كان يسكن دمشق ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية فنسب اليه وقيل مروان الجعدى وروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها وهو أول من تكلم بخلق القرآن من امة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد أخذ ذلك من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أعصم اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقا وهو أول من صنف لهم فى ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله القشيرى يوم الاضحى بالكوفة

١	٢	٦٢	٦١	٦٠	٥٩	٧	٨
٩	١٠	٥٤	٥٣	٥٢	٥١	١٥	١٦
٤٨	٤٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٤٢	٤١
٤٠	٣٩	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣٤	٣٣
٣٢	٣١	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٢٦	٢٥
٢٤	٢٣	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	١٨	١٧
٤٩	٥٠	١٤	١٣	١٢	١١	٥٥	٥٦
٥٧	٥٨	٦	٥	٤	٣	٦٣	٦٤

وقيل ان المأمون كان لايجيد اللعب بالشطرنج ويقول عجبا مني كيف أدبر ملك الارض ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين في ذراعين وقال النور الاسعردي

أعييت اذ لاعبت بالشطرنج من * أهوى فابدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب أرضه * بقطاعة لما انثني مجهودا
فطفقت أنشده هناك معرضا * وجوانحي فيه تذوب صدودا
رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا

وقال محمد بن شرف القيرواني في مدح الشطرنج حرب سجال وخيل عجال وفرسان ورجال قريبة الآجال سريعة عودة المجال تستغرق الفكره وتسلب اللب استلاب السكره وتترك اللسان وما أراد أساء أو أجاد الا انها ندني مجالس الصعلوك من أشراف الملوك حتى لا يكون بينهما في أقرب بقعه الا عرض الرقعه وربما التقت ثيابهما في بيت القطعه ولسانهما على بيت القطعه لعب أصولي وغريب صولي فرجاجي ولعب لجلاجي مظفر الفئه براها عن مائه بيوته حصينه وشاهه مصونه ودوابه مجتمعه وشاهه ممتنعه جيد النظر شديد الحذر لايبقي ولايذر عينه تغلي وفكرته تملي ويده تبلي وقال في ضد ذلك آخر الطبقة وأول الآبقه لعب كل يطرح له الكل رخه أبدا فيل وشاهه قتيل لعب برمدو بكمد لعب الغريب فيه غريب والصواب فيه لايصاب دفع مافيه نفع وقطع على نطع مافي دفعاتها أغراب ولا لوقعاتها اطراب طويل حد الرقعه كثير مس القطعه على طول امساك وثقل حراك قلت ويعجبني قول القائل

وهبك أتقنتها ماذا أتيت به * يازوج أكبر مافيها من القطع

(رجع الكلام الى قول الطغرائي) وقد استعار الحديث للعلى لان العلى أمور معنويه لا تتصف بالكلام ولكنه لما جرب وجود العز بالنقلة والحركة صارت التجربة عنده علما استفاده فصار كانه حدثته العلى بذلك فاسند ذلك الى العلى تعظيما للرواية في اسنادها الى العلى ليتلقاها السمع بالقبول وقوله وهي صادقة جملة اعتراضية اعترض بها وقد زاد الكلام

وكان واليا عليها أتى به في الوثاق فصلى وخطب ثم قال في آخر خطبته انصرفوا وضحوا بضحاياكم تقبل الله منا ومنكم فاني اريد اليوم أن أضحي بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول علوا كبيرا ثم نزل وحز راسه بالسكين بيده وطفئت نار نقمته الى أن نشأت في أيام ابن أبي داود * وأما خالد فهو ابن عبد الله بن يزيد بن أسد القشيري البجلي كان من أمراء الدولة الاموية ولي اليمن ومكة من قبل الوليد ابن عبد الملك وولاه هشام العراقين بعد عمر بن هبيرة وله مكايدات وأخبار فمن أعجبها ماحكى أن ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام وأمنه أرسل خالد مائة من الخيل في المضمار قد انتخبها وأمر السواس ان يعارضوا بها هشاما اذا ركب وكان هشام معجبا بالخيل لايشتهي ان يكون عند غيره من جيدها شيء فلما ركب هشام رأى خيلا راقته فسأل القوم عنها لمن هي فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضبا وقال واعجبي اختان ما اختان ثم قدم فوالله مارضيت عنه بعدوه ويوائمني

حسنا التأكيد الصدق عند المخاطب كما تقول حدثنى فلان وهو صدوق فيما يرويه طلبا للتأكيد فى قبول ما يأتى به من الرواية عمن يروى الحديث عنه وهذا أبلغ من قوله ان العلى حدثتنى فيما تحدث ان العز فى النقل ومن الجمل الاعتراضية قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فاعترض اعتراضين أحدهما أصل والثانى فرع الاول اعتراضه بقوله وانه لقسم بين قوله بمواقع وبين قوله انه لقرآن كريم الثانى انه اعترض بقوله لو تعلمون بين قوله وانه لقسم وبين قوله عظيم وقد رأيت ما أفادت هاتان الجملتان فى الاعتراض من الجزالة والبلاغة ومثل هذا الاعتراض يسميه المتأخرون حشو اللوزينج كقول عوف بن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان

فقوله وبلغتها حشو يتم المعنى بدونه ومن فوائد هذا الحشو تكميل الوزن وافادة اللفظ رونقا لو عدمه لم يكن وقد تتعدد فوائده كقول أبى بكر القهستانى

كأنى لما بى تحت الحشا * وحاشاك فوق شفا أو شفن

الشفن أخشن ما يكون من الجلود كالتمساح وغيره فقوله وحاشاك حشو يتم المعنى بدونه ولكنه أفاد هنا ثلاث فوائد اقامة الوزن والدعاء للمخاطب والجناس ومثل هذا قول أبى الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة من أبيات

ويهتز للجدوى اذا ما مدحته * كما اهتز حاشا وصفه شارب الخمر

وههنا افاد الحشو كمال الوزن وتنزيه الممدوح وهو الاحتراس والرونق الذى لولاه لم يكن فى البيت على ان ابا الحسين أخذه من ابن الساعاتى حيث يقول

يهزه المدح هز الجود سائله * اولا وحاشاه هز الشارب الثمل

وهذا من الاحتراس فى الادب مع الممدوح اذا خاطبه الشاعر أو الصغير اذا خاطب الكبير وما أحسن قول القاضى الفاضل

يد الجود عندى من يديك عظيمة * واعظم منها عندى الحمد والشكر

ومجلسك الاعلى المطهر مسجد * فما قلت خذها خفية انها الخمر

وكان المولى جمال الدين ابن نباتة قد امتدح الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن على الزملكانى رحمه الله بقصيدة تائية مطولة اولها

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

واستطرد فى اولها الى ذكر الخمر واوصافها ونعوتها وأطال فى ذلك فقال المولى شمس الدين محمد بن يوسف الخياط الدمشقى قصيدة تائية على وزنها ومدح الشيخ كمال الدين بها ولم يتغزل بالخمر ثم قال فى آخرها

ماشان مدحيك وصفى للسلاف ولا * انحت مساجد شعرى وهى حانات

والجماعة كلهم اخذوا لفظة حاشا من ابى الطيب حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وقد يفيد الحشو البيت حسن المناسبة ايضا كقول ابى الطيب

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لوجدت فيه جهنما

فى الخيل على يعمر فدعابه وهو يسير فى عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ما هذه الخيل فكأنه فطن لما صنع خالد فقال خيل أمير المؤمنين اخترتها وطلبتها من مظانها حتى جعلتها الك فى يقبضها فأعجبه ذلك ومات خالد عن أمرها وفسدت مكيدته ولم يزل ابن هبيرة يبغى به الغوائل الى ان عزل وأقام بالشام برهة ثم عذب الى أن مات سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة الوليد بن يزيد وكان جوادا ممدحا عظيم الهمة الا انه كان مارقا فى الدين فاما جوده فان حيص بيص الشاعر دخل عليه يوما فقال انى مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة آلاف درهم فاحضرها حتى أنشدهما فاحضر الدراهم ثم أنشد حيص بيص يقول

قد كان آدم قبل حين وفاته أوصاك وهو يجود بالحوباء ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وأمر ان يضرب اسواطا وينادى عليه هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره ثم قال له ان قيمتهما مائة ألف وروى انه دخل على خالد شيخ كبير فمثل بين يديه فقال شيخ جذبه اليك سنة أبدت العظام فان

فقوله ياجنتي حشو يتم المعنى بدونه ولكن افاد الوزن والمناسبة بين لفظة الجنة وجهنم ولو قال يامالكي لكان تورية ولكن جنتي الطف في اللفظ واغزل وقد يفيد التورية كما انشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لو ذقت برد ثناياه ومبسمه * ياحار ملت اعطافي التي ثملت

فقوله ياحار حشو يتم المعنى بدونه ولكن أفاد كمال الوزن والتورية في حارفانه ورى به أنه ينادي اسم حرث مرخم وهو يريد الحار الذي هو مرادف السخن بدليل قوله برد ثناياه وهذا مع ما فيه من النظر في حارني غاية الحسن وأخبرني انه أنشده للمولى الفاضل شرف الدين حسين ابن القاضي جمال الدين سليمان بن ريان فقال له وكذا لو قلت ياصاح بدل ياحارفانه يخدم معك في المعنيين لان صاح ترخيم صاحب وصاح اسم فاعل من الصحو وبرشحه للتورية ثملت وهذا في غاية الذوق اللطيف وقد أورد كثير من الناس في هذا الباب قول كثير عزة

ولو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

وأقول ان هذا ليس من الحشو في شيء لان من شرطه ان يكون المعنى تاما بدونه ولا تمام لهذا المعنى بدون موفق لانه لابد أن يقول عند حاكم أما كونه موفقا أو غير موفق فهذا من متممات البلاغة اذ قوله موفق مبالغة لاحتمال أن يظن بالحاكم أنه يميل في حكمه لامر ما فاذا كان موفقا ولا وغالب ورود هذا النوع اما بالنداء كقول المتنبي ياجنتي في البيت الذي تقدم وكقول ابن الساعاتي

تود نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤسا ذوابل مائده

ولو علمت الحكم الاهلة لم تكن * ويا لخمرها الا نعالا لجرده

وأما بالفقرة حاشا كقول القهستاني والجزار وقد تقدما وحكي ان ابن حيوس لما سمع قول ابن الخياط

لم يبق عندي ما يباع بدرهم * وكفاك شاهد منظري عن مخبري

الا بقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشتري

قال لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن قلت اشتهر هذا بين الناس واستحسنه أهل الادب وليس ذلك واردا على ابن الخياط فانه لكل مقام مقال وابن الخياط هنا ليس في مقام التعرض للاستماحة من أحد بل هو في مقام تشك وتظلم من الدهر وانه من الفقر في غاية ولم يبق ما يملكه غير ماء وجهه ولو باعه لعز وجود المشتري له لعدم الكرام ألا ترى كيف أكده بقوله أين ثانيا وما أحسن قول البارع

قد تعففت وارتضيت بتضييـ * ـع زماني وقلت اني وحدي

لا لاني أنفت مع ذامن الكد * يه أين الكرام حتى أكدي

ومن محاسن الاعتراض والحشو قول المضرب السعدي

فلو سألت سراة الحي سلمى * على أن قد تلون بي زماني

لخبرها بنو أحساب قومي * وأعدائي وكل قد بلاني

وقول كثير عزة

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

وقول

رأيت أن تجبره بفضل وتنعشه بجحل قال خالد على ان اقارعك فان قرعتك لم أعطك شيا وان قرعتني أعطيتك فقارعه خالد فقرعه فقال اقلني فاقاله ثم قارعه اخرى فقرعه أيضا فقال أقلني فاقاله ثانية ثم قارعه فقرع خالدا فقال اقلني فقال لخالد لا اقالني الله اذا قال أعطوه بدرة يدخلها في أمه فقال وأخرى أيها الامير أدخلها في استها فضحك وأمر له ببدرتين وكان يقول أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوها تنفر منه القلوب وقال له بعض أصحابه والله انا لنسالك امورا لاحاجة الينا بها فقال ولم قال لعلمنا بحبك فيمن سالك حاجة واما فصاحته فنها انه أقام على المنبر بواسط فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحد كم عند احد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن له جزاء وأجزل عليه عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقما وأفضل المال ما كسب أجرا وأورث ذكرا واجود الناس من اعطى من لا يرجوه ومن لم يطلب حرثه لم يزك نبته

وقول أبي تمام الطائي

وان الغنى لي لو لحظت مطالبي * من الشعر الا في مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان أحدهما بين اسم ان وخبرها والثاني ما استثنى به من قوله الا في مديحك بين ان الغنى أطوع من الشعر وبين لو لحظت مطالبي وتقديره هذا البيت وان الغنى لو لحظت مطالبي لي أطوع من الشعر الا في مديحك يعني فانه لا يتقدم مديحك شعر وقد عده جماعة في الحشو والاعتراض وأنا أرى أن أبا تمام قد أذهب حلاوة معناه بتقديم ألفاظه وتأخيرها وهو من باب التعاظل كقول الفرزدق وما مثله في الناس البيت وقلت أنا في هذا النوع

حسبي الذي ألقاه من ألم الهوى * وعلى الصحيح فبعض ذلك كفاني

فانظر الى قلبي اذا فابلته * يا غصن كيف يطير بالخفقان

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجي تقابل * معروف أهل الهوى بمنكر

فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا يا صاح تسكر

ووقفت على أبيات لجماعة تغزلوا في المشايخ فقلت رداعليهم

كم قد أقمنا على حب العذار لمن * يهواه عذرا اذا ما جاء يعتذر

وما لحينا على حب اللحى أحدا * قد هام فيها وقلنا الامر يغتفر

فكيف نقضي على حب الشيوخ وهل * يكون في الشيب حسن قط يا درر

فقولي هنا يا درر أفاد تمام الوزن والقافية والتورية في الشيب والدرة وقلت أيضا في مليحة في يدها سوار

تكون من برد زندها * وجمر السوار عليه ائتلاق

فلا ذا على ما علمت انطفا * ولا ذا وحاشاه من ذا احترق

فقولي وحاشاه الضمير يعود على الزند وهو حشو حسن هنا وظرف من قال مواليا

جازت تقاطعت قالت مد في حزك * خاب الذي أملوا في وصلنا خزك

شيخ مفلس وقد هد الكبر ازرك * نرى الطبيب وصف يا مندفه بزرك

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(اللغة) الشرف العلو والمكان العالي قال الشاعر

آتي الندى فلا يقرب مجلسي * وأقود للشرف الرفيع حماري

يقول خرفت فلا ينتفع برأيي ولا أستطيع أركب حماري الا من مكان عال وجبل مشرف أي عال واذن شرفاء أي طويلة وشرفة القصر واحدة الشرف التي تكون في أعاليه المأوى كل مكان يأوي اليه الشئ ليلا أو نهارا ومنه قوله تعالى سآوي الى جبل يعصمني من الماء ومأوى الابل بكسر الواو لغة في مأوى الابل خاصة وجنة المأوى أحد الجنات الثمانية وقد نطق بها القرآن الكريم وهي جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى وجنة عدن وجنة الخلد ودار المتقين ودار السلام ودار القرار والنار سبع وهي جهنم والجحيم وسقر ولظى والحطمة والسعير والهاوية بلوغ مصدر بلغت المكان اذا وصلت الى حده ومنه قوله تعالى

والاصول عن مغارسها تسمو وباصولها تسمو أقول قولي واستغفر الله لي ولكم ومنها انه صعد يوما المنبر فارتج عليه الكلام فقال أيها الناس ان الكلام يجيء أحيانا ويعزب احيانا ورب طالب فاني وكوبر فعصي والتأني لجيبه أيسر من التعاطي لابيه وقد يختلج في الجريء جنانه ويتعاصى على الذرب لسانه ثم لا يكابر القول اذا امتنع ولا يرداد اتسع وأولى الناس من عذر على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة من عرف ميدانه اشتهر احسانه وسأعود وأقول ثم نزل * وأما روقه من الدين واستهتاره فحكي انه حفر بئرا بمكة عذبة الماء ثم نصب طستا الى جانب زمزم ثم خطب فقال قد جئتكم بماء العاذبة لا تشبه ماء ام الخنافس يعني زمزم ثم قال ان نبي الله اسمعيل استسقى ربه فسقاه ملحا اجاجا وسقى أمير المؤمنين عذبا زلالا ابرانا يعني هذا البئر (وحكي) أن سفيان بن أبي عبد الله قال سمعت خالدا القسري على المنبر وكان بنو أمية أمروا بلعن علي على المنابر يقول اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب زوج فاطمة والي الحسن والحسين كيت وكيت وكان مع ذلك

فاذا بلغن أجلهن أي وصلن منى جمع منية وهي ما يتمناه الانسان لم تبرح يقال لا أبرح عن ذلك أي لا أزال أوله الشمس يأتي الكلام عليها فيما بعد دارة الحمل ما أعرف الدارة الا للقمر والشمس اللهم الا أن يكون أراد الدارة لغة وهي ما يدور حول الشئ والحمل أول برج من بروج الكواكب الاثني عشر وشرف الشمس في تسع عشرة درجة منه ويخص هذا البرج من الثمانية وعشرين منزلة منزلتان وثلث وهي السرطان وهما قرنا الحمل وتسمى هذه المنزلة النطح وما أحلى قول حسان بن المصيصي

ان النطاح من الورى خالق * حتى الكواكب بينها النطح

والمنزلة الثانية هي البطين وما أحلى قول بعضهم

وعلق تعلقته بعد ما * غدا وهو من سقطات المتاع
ولم يبق فيه على ما بنا * لشئ سوى أكلة والوداع
فاعجلته عن دخول الكنيف * بجهل مطاع وحلم مضاع
فغرقني منه نوء البطين * وغرق مني بنوء الذراع

وقول ابن المعاويذي من أبيات

حبت وباتت الى سائني * بعد المنازل فيها كلانا
تريني البطين ولكنني * أقارضها أرنها الزبانا

وبعض الثريا والثريا صورة الحمل عبارة الالية والحمل هو الكبش يقال ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج مع أي من كان تضارب معه فوقف ابعض الظرفاء فقال أنا ألعب معه والتزم انه لا يحصل بيننا تضارب فلما أتى اليه ولعبا وقال له في أثناء اللعب شاه اسنر فقال ملح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخي ما الذي قلت قال قلت استر وهي تصحيف اشتر وما يشتر الا الجمل والجمل تصحيف الحمل والحمل هو الكبش والكبش هو القرنان والقرنان هو الذي يقود فقال له يا أخي ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير وتسلسل غيرك قلت كذا حكاه لي جماعة وهو غلط لان اشتر لا يعرفه أهل اللغة والذي يعرفونه في كل ذي كرش انه يجتر بالجيم فاعرفه وكتب محيي الدين يوسف بن يوسف بن زبلاق الى بدر الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل صحبة حمل أهداه اليه

يا أيها المولى الذي * بيابه كل أمل
لو لم تكن بدر السما * أهدى لك الثور الحمل

وللصابي رسالة حسنة كتبها عن أبي العباس بن سابور المستخرج الى أبي الخير بن سبرة أطال فيها وأطاب منها ونكات ادمجه فيها من وظيفة للعيال واقيمه وطبا مقام قديد الغزال فانشدني وقد اضرمت النار وحدت الشفار وشمر الجزار

أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ما الفائدة في ذبحي وانا

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت

وللحمدوني في شاة أبي سعيد بن احمد عدة مقاطيع منها

أبا سعيد لنا في شاتك العبر * جاءت وما أن لها بول ولا بعر

يبرقوما من بني هاشم فحكى أن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان اتاه سمحته فلم يرمنه ما يحب فقال اما المنافع فللهاشميين واما نحن فما حبوتنا منه الا شتمه على منبره فبلغ خالدا ذلك فقال ان احب تناولنا له عثمان بشئ

(مقتل بشار بن برد)

هو بشار بن برد بن يرجوخ الشاعر المقدم من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبي المهلب ويدعي انه مولى بني عقيل وحدث عن نفسه قال لما دخلت على المهدي قال لي فيمن تعتد يا بشار فاجبته وقلت أما اللسان فعربي وأما الاصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين

ونبئت قوما بهم جنة
يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلي جاهلا
ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بنو عامر
فروعي وأصلي قريش العجم

وكان يتلون في ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة ينشد ويقول

أصبحت مولى ذي الجلال
وبعضهم
مولى العذيب فخذ بفضلك
واظهر
وارجع الى مولاك غير مدافع

وكيف

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الابيضان الشمس والقمر

لو أنها أبصرت في يومها علفا * غنت له ودموع العين تنحدر

يا مانعي لذة الدنيا بأجمعها * اني ليقنعني من وجهك النظر

وقد فعل الحمدوني في هذه الشاة كما فعل في طيلسان أحمد بن حرب المهلبي ولكن مقاطيع الطيلسان فوق الخمسين وكلها بديع وقال بعضهم

اطعمنا الشيخ رئيس الكفاه * فوق غداء من جدي شواه

فكان ما عمر في موته * اضعاف ما عمره في الحياه

ومما اشتهر بين الادباء قولهم أخف من دينار يحيى وهو يحيى بن علي بن مارة يلي بالعباس ابن الوليد المصيصي الخياط لما أعطاه دينارا خفيفا فقال فيه عدة مقاطيع منها

دينار يحيى زائد النقصان * فيه علامة سكة الرحمن

قد رق منظره ودق خياله * فكأنه روح بلا جثمان

اهداه مكتتما الى رقعة * فوجدته أخفى من الكتمان

وضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومي يعتذر له

قد اكثر الناس في وهب وضرطته * حتى اتهمه لما قالوا وقد بردا

لم تعل ضرطة هاجيه كضرطته * في الذاكرين ولم تحسد كما حسدا

يا وهب لا تكترث بالعائبين لها * فانما انت غيث وبها رعدا

وظرف ابن قلاقس في قوله في لحية بعضهم

هي فوق الصدر قد سد * ت ما بين شرق لغرب

لحية رديه في النا * س ولا ضرطة وهب

ولاحمد بن ابي طاهر مصنف في الاعتذار عن ضرطة وهب ويقال ان يعقوب ابن المهدي كان لا يقدر أن يمسك الفساء اذا جاءه فتخذ دايته مثلثة وطيبتها وتأنقت فيها فلما وضعتها تحته فسا وقال هذه المثلثة ليست بطيبة فقالت له دايته قد كانت طيبة وهي مثلثة فلما ربعتها فسدت وقيل ان بعضهم وقعت في رجله شوكة فلما حركتها زوجته بالابرة ضرط فقال لها ارأيتيها فقالت لا ولكني سمعت صوتها وقال النور الاسعردي يضمن قول المرضي

قالت اذنام من أحب وأيدي * ضرطة آذنت اشملي بجمع

فاتني أن أرى الديار بطرفي * فلعلي أرى الديار بسمعي

وقيل انه كان لمطيع بن اياس صديق من العرب يجالسه فضرط ذات يوم عنده فاستحى وغاب عن المجلس فتفقده مطيع حتى عرف السبب فكتب اليه

أظهرت منك لنا هجرا وقلية * وغبت عنا بلا بأس فغشانا

هون عليك فما في الناس ذو ابل * الا وأينقه يشردن احيانا

ودخل البديع الهمذاني على الصاحب بن عباد فرحب له واجلسه على السرير معه فسبق البديع حبقة وأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فقال يا مولانا هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صفير التخت فخرج خجلا وانقطع عن المثول بين يديه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيري لا تذهب على خجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود

سبحان مولاي العلي الأكبر

وكان يلعب بالمرعثات لرعاث كان في أذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى وكان يعد له اشد ما هجيت به قول الباهلي حيث يقول

وعبدي فعل أعميك في الرحم أيره * فخمت ولم تعلم لعينيك فاقتا

وكان يشبه الاشياء بالأشياء لا يقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل ابو عبيدة من اشعر عندك ابشار ام مروان بن ابي حفصة فقال ابن بشار احكم لنفسه بامر لم يعطها غيره وذلك انه قال لي اثنا عشر الف بيت جيد فقيل له كيف ذلك فقال لي اثنا عشر الف قصيدة ان لم يكن في كل قصيدة بيت جيد فلعنها الله ولعن قائلها وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله

الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بهذا البيت وجد واصل ابن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته المحذوفة الراء (وحكى) سعيد ابن مسلم قال كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام

فإنها الريح لا تستطيع تحبسها * اذ لست أنت سليمان بن داود

وقيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد في بعض المساجد فجعل يتكرب ويقلق ويقول يا ألله ضرطة وأقلق رفاقه فلما كان الصبح أشرف على الهلاك وعاين الموت فقال يا ألله الجنة فقال له بعض رفاقه ما رأيت أحمق منك أنت من المغرب الى الآن تسأله ضرطة ما فرحت بها وتسأله الجنة ومن الالغاز في ذلك

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك

يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وما أظرف قول شمس الدين محمد بن دانيال في ابن البعريني

أمسى الضياء منادمي وحشاه لي * محشوة بغرائب الاخلاط

عصفت على رياحه فوجدتها * أقوى هبوبا من رياح شباط

فدكنت انعس لانتشاق فسائه * غشيا فيوقظني بصوت ضراط

مازلت أنشق منه ريحا منتنا * حتى استحال الى الخراء مخاطي

يا أيها المقترق من أرياحه * هذى النصيحة فيك للغياط

وكان الامير علم الدين سنجر المروزى والى القاهرة يعرف بالخياط وقال ناصر الدين بن النقيب

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكاد منها يحمى العرق

فانبرقت في دون فاعلها * وما ظننت الضراط يابرق

ووقف بين يدى الحجاج أو غيره رجل من البادية فلما أخذ في الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما ان تتكلمي وأسكت واما ان تسكتي وأتكلم أمام الامير وقالت انا مضمنا في ضروط

عاتبت من سد سمعي صوت فقعته * ولم اجد ملجأ لي من مطاردها

فقال نوق ضراطي كلما سمعت * أنام ملء جفوني عن شواردها

وممن له شهرة بين المحدثين غسيل الملائكة وهو حنظلة بن أبي عامر الانصارى خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة وقتيل الجن وهو سعد بن عبادة ومصافح الملائكة وهو عمران بن الحصين وحمى الدبر وهو عاصم بن ثابت ابن أبي الافلح حمته النحل الى ان كان الليل فاحتمله السيل ولم يصل عداه الى حز رأسه وذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت الانصارى شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قضاء دين اليهود وذو العينين وهو قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وذو اليدين وهو عبد بن عبد عمرو الخزاعى كان يعمل بيديه معا وذو العمامة وهو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية كان اذا لبس عمامة لم يلبس قرشي عمامته حتى ينزعها وذو الثدية وكان باب الخوارج وكبيرهم وجد بين القتلى يوم النهروان كانت احدى يديه مخدجة كالثدى وعليها شعيرات وذو الثفنات وكان يقال ذلك لعلى بن الحسين بن على بن أبي طالب ولعلى بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السجدات منهما من شبه ثفنات البعير وذو السيفين وهو أبو الهيثم بن التيهان لتقلده في الحروب بسيفين وذات النطاقين وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما لانها شقت نطاقها للسفرة ليلة خرج أبوها والنبي

عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم ابن ابى العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعني جرير بن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الازدى ويختصرون عنده فاما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال واما عبد الكريم وصالح فصححا التنوية واما الازدى فمال الى السمنية وهو مذهب من مذاهب اهل الهند واما بشار فبقى متحيرا فقيل انه قال بعد مذهب التنوية وبعده تزندق قال احمد بن خالد كنت اكلم بشارا واورد عليه سوء مذهبه عيله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت او عاينه معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال لي ما أظن الامر يا أبا خالد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما في غير مخير هواى ولو خيرت كنت المهذبا

أريد فلا اعطى واعطى فلم أرد وغيب عني ان أنال المغيبا

واصرف عن علمي وعلمي مبصر فامسى وما اعقبت الا التعجبا

وروى المازنى قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما ادفع به شر هذه الظلمة ومثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير

صلى الله عليه وسلم مهاجرين الى المدينة وسيف الله وهو خالد بن الوليد وسيأتى الكلام عليه والذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين فر الناس عنه تسعة وهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه الفضل وربيعة بن الحرث واسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد وقتل يومئذ وبعض الناس يعد قثم بن العباس ولم يعد أبا سفيان ومما له شهرة بين ذوى الاخبار درة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الشعبى كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاب وقميص عثمان وهو الذى تضرج بدمه يوم قتل وفقه العبادلة وهم عبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وذكاء اياس بن معاويه القاضى وشجة عبد الحميد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان من أجمل أهل عصره أصابته شجة فى وجهه فلم تشنه وما أحسن قول محيى الدين ابن قرناص فى مليح مشتور

لم يشنه شتر الجفن ولا نقص حسنه * سيف ذاك اللحظ ماض * فلهذا شق جفنه

وشيبة الحمد وهو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وذلك انه لما ولد كان فى ذؤابته شعرة بيضاء وملاعب الاسنة وهو عامر بن الطفيل وازواد الراكب وهم ثلاثة من قريش مسافر بن أبى عمرو بن امية وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب بن عبد العزى بن قصى وأبو أمية المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم سموا بذلك لانهم لم يتزود معهم أحد فى سفر قط وعروة الصعاليك وهو عروة بن الورد كان اذا شكى اليه أحد أعطاه فرسا ورمحا وقال له ان لم تستغن بذلك فلا أغناك الله وسليك المقانب وهو سليك بن سلكة وكان أعدى الناس حتى أن الفرس لم تدركه وطفيل الاعراس وهو من غطفان وقيل من موالى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وكان يتتبع الاعراس فيأتى الولائم من غير دعوة واليه نسبة الطفيلى وأشج بنى أمية وهو عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه جاء الحديث فيه الاشج والناقص أعدلا بنى أمية والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان فيه تاله وسمى بالناقص لانه كان ناقص الوركين فى قول المدنى وقال غيره كان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم معتدل القامة أعرج وقيل لانه نقص الناس من عطائهم والاول أصح وجبار بنى العباس وهو هرون الرشيد لانه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا وأخذ منهم خمسة الاف دابة بسروجها القدية ولجمها وأغزى على بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وغزا هو بنفسه الروم فافتتح هرقلة وأخذ الجزيه من ملك الروم وقيافة بنى مدلج وعيافة بنى لهب وبنات طارق وهن بنات العلاء بن طارق بن أمية بن عبد شمس يضرب بهن المثل فى الحسن والشرف وبنات الحرث بن هشام يضرب بهن المثل فى الشرف وعلاء المهر وزرقاء اليمامة كانت تبصر الشئ من مسيرة ثلاثة أيام وبغلة أبى دلامة يضرب بها المثل فى جميع العيوب وعير أبى سيارة وهو رجل من عدوان كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة ويوسف هذه الامة قاله عمر رضى الله عنه فى جرير بن عبد الله البجلى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وكان بديع الجمال تام الحسن طويلا يصل الى سنام البعير ونعله ذراع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه مسحة ملك وفارس الاسلام وهو سعد بن أبى وقاص

المهدى حتى قتل (حكى) ابن نصر قال قدم بشار من البصرة الى بغداد وقد مدح المهدى بقصيدته الرائية ثم أنشده اياها فلم يحظ منه بشئ فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنا نكذب فى القول فنكذب فى الامل ثم مدح يعقوب ابن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيأ وأقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار طال الثواء على رسوم المنزل فقال يعقوب

فاذا تشاء ابا معاذ فارحل

فغضب بشار وقال يهجوه

بنى أمية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناى والعود

ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوى فقال ههنا من تحتشمه فقال لا فانشده هجاء فى المهدى وهجاء فى يعقوب فسعى به الى يعقوب وكان المهدى قد قدم البصرة فدخل عليه يعقوب وقال للمهدى ان بشارا زنديق وقد قامت عليه البينة وقد هجا امير المؤمنين فامر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة بأمره ثم

أحد العشرة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل وكان مجاب الدعوة وهو مقدم
الجيوش في فتح العراق وآخر من خرج من مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس
وكان ممن يشبه النبي صلى الله عليه وسلم وهم خمسة أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام
الحافظ فتح الدين محمد ابن محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

خمسة شبه المختار من مضر * يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
لجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبي سفيان والحسن

فأما جعفر فهو ابن أبي طالب وأما قثم فهو ابن العباس وأما السائب فهو ابن عبيد جد
الشافعي وأما أبو سفيان فهو ابن الحرث بن عبد المطلب وأما الحسن فهو ابن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم أجمعين وأول مولود ولد في الاسلام وفارس قريش هو عبد الله بن الزبير
وهو أحد السادات الطلس وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحد بمكة كبش من قريش
اسمه عبد الله فاتله عليه مثل نصف أوزار الناس ومن السادات الطلس القاضي شريح وهو
شاعر راجز فائف وأول من سمي في الاسلام عبد الملك هو عبد الملك بن مروان قال فيه ابن عمر
ولد الناس ابناء وولد مروان أبا والطلحات المعدودون في الجود طلحة بن عبيد الله أحد العشرة
وهو طلحة الفياض وطلحة الجود وهو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وطلحة الدراهم
وهو ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وطلحة الخير وهو ابن الحسن بن علي بن
أبي طالب ولم يعقب وطلحة الكندي وهو ابن عبد الله ابن عوف الزهري وطلحة الطلحات
وهو ابن عبيد الله بن خلف الخزاعي وأجواد الاسلام عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وسعيد بن العاص بن سعد بن العاص بن أمية وعبيد الله بن
عامر بن كريز وحمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وخالد بن
عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري وعتاب بن أبي ورقاء
احد بني رياح بن يربوع ابن حنظلة وأسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفزاري وعبيد الله بن
أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب النوادر ابن أبي عتيق وأشعب الطمع
وأبو الحرث جمين وأبو العيناء وأبو العبر وأبو العنبس وأبو الحصاص ومزيد المدني
وأغربة العرب ثلاثة عنترة العبسي وخفاف بن ندبة وسليك بن السلكة والقتلة عبد الرحمن
ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين ابن علي بن
أبي طالب وعمير بن جرموز قاتل الزبير بن العوام وأبو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب
وأصحاب العاهات من الملوك الاسكندر كان أخنف وأنوشروان كان أعور ويزدجرد كان
أعرج وجذيمة الوضاح كان أبرص والنعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر وعبد
الملك بن مروان كان أبخر ويزيد بن عبد الملك كان أفقم وهشام بن عبد الملك كان احول
ومروان الحمار كان اشقر ازرق وعبد الله بن الزبير كان كوسجا والهادي كان في شفته العليا
تقلص وكان ابوه المهدي قد رتب معه خادما لازمه متى غفل وفتح فاه يقول له موسى اطبق
وابراهيم بن المهدي كان اسود سمينا ملقب بالتنين واربعة من اهل البصرة لم يمت كل منهم حتى
رأى من ولده وولد ولده مائة انسان وهم انس بن مالك الانصاري وابو بكرة مولى النبي صلى
الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عمير الليثي وخليفة بن السعدي وخليفة سلم عليه وعمه وعم ابيه

وعم

ازف خروجهم فاخرجه ابن
نهيك معه في زورق فلما كانوا
بالبطيحة ذكره فارسل الى
ابن نهيك يأمره بضرب بشار
بالسياط ضرب التلف وبالقائه
بالبطيحة ففعل فألقي في صدر
السفينة وامر الجلادين ان
يضربوه ضربا [illegible] فجعل
يقول كلما وقع عليه السوط
حس وهي كلمة تقولها العرب
عند الالم فقال بعضهم
انظروا الى زندقته ما يقول
بحمد الله تعالى فقال بشار
ويلك اثريد هو احمد الله
عليه فلما تم سبعين سوطا
اشرف على الموت فالقي في
صدر السفينة فقال ليت
عين ابي الشمقمق تراني حين
يقول

ان بشار بن برد
تيس اعمى في سفينه

ثم مات من ساعته والقي في
[illegible]
الى البصرة [illegible]
ودفنوه (وحكي) ابن خلاد
قال لما ضرب بشار بعث
المهدي الى منزله من فتشه
على كتب الزندقة فوجدوا
طومارا فيه بسم الله الرحمن
الرحيم اني أريد هجاء آل
سليمان بن علي فذكرت
قرابتهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتركتهم اجلالا
له صلى الله عليه وسلم فلما
قرأه بكى وندم على قتله وقال

وعم جده يرون وهو هرون الرشيد عمه هو سليمان بن المنصور والعباس بن محمد هو عم ابيه
المهدى وعبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس هو عم جده المنصور وخليفة سلم عليه سبعة
كلهم ابن خليفة وهو المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق واحمد بن المعتصم وسليمان بن
المأمون وعبد الله بن محمد رأبو احمد بن الرشيد والعباس بن موسى ومنصور بن المهدى
واعرق الناس فى الخلافة هو المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور
واعرق الناس فى الوزارة ابو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب كان
ابو على وزير المقتدر وابوه القاسم وزير المعتضد وسليمان وزير المهتدى وبعده للمعتمد واخو أبى
على ابو جعفر وزير القاهر ولم يتقلد الخلافة من ابوه حى سوى الطائع لله وابى بكر الصديق
رضى الله عنه وكلاهما اسمه ابو بكر وليس لهم خليفة هاشمى من هاشمية غير الحسن بن على
رضى الله عنهما ومحمد الامين بن زبيدة ولم يل الخلافة من اسمه جعفر الا المقتدر والمتوكل
وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء قال الصولى الناس يرون أن كل
سادس يقوم بامر الناس منذ أول الاسلام لابد أن يخلع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
وعثمان وعلى والحسن خلع ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن
الزبير خلع وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع
ثم أتى الله بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين
خلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين خلع ثم المعتز بالله والمهتدى
والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر خلع فى فتنة ابن المعتز ثم رد الى هنا قول الصولى
قال صاحب رأس مال النديم ثم القاهر ثم الراضى ثم المتقى ثم المستكفى ثم المطيع ثم
الطائع خلع قلت ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع ثم المقتفى
والمستنجد والمستضئ والناصر والظاهر والمستنصر بالله قيل انه مات مسموما وكان الذى سمه
خلعه فخلع وقتل أيام قلاوون لما فتحت بغداد وكذلك العبيديون وهم الذين تسموا بالفاطميين
وأوّل من ملك الغرب المهدى عبيد الله والقائم بامر الله والمنصور صاحب افريقية والمعز
بانى القاهرة والعزيز والحاكم ثم قتلته أخته وولت ابنه الظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر
والحافظ والظافر فخلع وقتل وولى ابنه الفائز والعاضد وهو آخرهم وكذلك بنو أيوب فى ملك
مصر أوّلهم صلاح الدين وولده العزيز وأخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير أخو
صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير خلع قبض عليه أمراء دولته واحضروا أخاه
الصالح نجم الدين أيوب وكذلك دولة الاتراك أوّلهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر
وابنه السعيد واخوه العادل سلامش خلع وملك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون
وخرج عليه سنقر الاشقر بدمشق ثم فر الى حصن صهيون ثم ملك الاشرف خليل بن قلاوون
ثم أخوه الناصر محمد وتوجه الى الكرك فتولى كتبغا ثم تولى حسام الدين لاجين خلع وقتل ثم
طلب الناصر ثم رحل الى الكرك فتولى الجاشنكير بيبرس المظفر ثم عاد الناصر ومات فملك
المنصور أبو بكر وبعده الاشرف كجك ثم الناصر احمد فخلع وقتل ثم ولى الصالح اسمعيل ثم
الكامل شعبان ثم المظفر حاجى ثم الناصر حسن ثم الصالح صالح ثم عاد الناصر حسن أدام الله
أيامه وأما من اشتهر من الفقهاء فهم فقهاء المدينة السبعة وقد نظمهم بعض الشعراء فقال

لاجزى الله يعقوب خيرا فانه لما هجاه اتفق عليه شهودا على انه زنديق فقتله وندمت حين لا ينفع الندم * ومن مستظرف اخبار بشار قال له هلال بن عطية يوما يمازحه وكان صديقا له ان الله تعالى لم يذهب بصر احد الا عوّضه منه شيئا فما عوّضك قال الطويل العريض قال وما هو قال انى لا اراك ولا امثالك من الثقلاء ثم قال يا هلال اتطيعنى فى نصيحة انصحك بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض * ومرت به نسوة ... ان فقلن له ايسرك اننا بناتك يا ابا معاذ فقال اى والله والدين كسروى ويقال انه كفر بهذا اللفظ فانه اراد يسرنى ايضا ان الدين كسروى ودخل يوما الحمام وفيه بعض ولد قتيبة فقال يا بشار وددت انك تبصر فترانى فى الحمام وتعلم كذبك فى قولك حيث قلت

على استاه سادتهم كتاب
موالى عامر وسيم بنار

فقال بشار يا ابن اخى ذهب عنك الصواب انما قلت سادتهم ولست منهم وكان يوما فى مجلس المهدى ينشده قصيدة فى مدحه فدخل خال

الا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

فعبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى وعروة هو ابن الزبير بن العوام والقاسم هو ابن محمد بن أبى بكر الصديق وسليمان هو ابن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وسعيد هو ابن المسيب وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وخارجة هو ابن زيد بن ثابت الانصارى ورواة الاقوال القديمة عن الشافعى رضى الله عنه أربعة وهم أبو على الحسن الزعفرانى وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسى رواة الاقوال الجديدة عنه ستة وهم المزنى والربيع ابن سليمان الجيزى والربيع بن سليمان المرادى والبويطى وحرملة ويونس بن عبد الاعلى وأصحاب القفال كلهم أصحاب وجوه فى المذهب منهم أبو على السنجى والقاضى حسين والشيخ أبو محمد الجوينى والامام الحرمين والفورانى والمسعودى والصيدلانى وفى مقابلة القفال من العراقيين الشيخ أبو حامد الاسفراينى شيخ العراقيين فى وقته وأصحابه أصحاب وجوه فى المذهب ومن مشاهيرهم أقضى القضاة الماوردى صاحب الحاوى والقاضى أبو الطيب والمحاملى والبندنيجى (رجع) وقد أطلت فى سرد هذه الاشياء ولكن ما خلت من افادة ان شاء الله تعالى ولو لم يكن من فوائد التاريخ الا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودى لكفى وذلك أن بعض اليهود أظهر كتابا ادعى فيه انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم على بن ابى طالب رضى الله عنه وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ أبى بكر خطيب بغداد فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين لك هذا وقال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات سعد يوم بنى قريظة قبل خيبر بسنتين (الاعراب لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل غزلان تغار لى البيت (أن) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وفتحت أن ههنا لانها غير ما ذكر فى الشروط الستة التى توجب كسرها (فى شرف) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف هو خبر أن تقديره مستقر فالجار والمجرور هنا سد مسد الخبر وتقدم على اسم ان لان الخبر مجرور ومتعلق بنكرة (المأوى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لدخول الامالة فيه ولانه من أويت (بلوغ) منصوب على انه اسم أن والخبر تقدم الكلام عليه (منى) فى موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لان واحده منية (لم) حرف يجزم المضارع ومعناه النفى وقد تقدم الكلام عليه ٣ (تبرح) فعل مضارع مجزوم بلم وانما حركت الحاء لالتقاء الساكنين وهما الحاء ولام التعريف فى الشمس وتبرح من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهذه الجملة جواب الشرط الذى فى لو (الشمس) مرفوع على انه اسم تبرح والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الحسى أو الذهنى (يوما) منصوب على انه مفعول فيه فهو ظرف والعامل فيه تبرح (دارة) مفعول به ولا يكون خبر التبرح لانها هنا تامة اكتفت باسمها كقوله تعالى فلن ابرح الارض فان قلت لاى شئ جعلتها تامة ولم تجعل الشمس اسمها ودارة خبرها قلت لان المعنى حينئذ يفسد لان الخبر فى هذا الباب انما هو الخبر الذى كان خبرا فى أول الامر فى باب المبتدا والخبر والخبر صفة يحكم بها على المبتدا تقول زيد قائم فاذا أدخلت كان قلت كان زيد قائما

٣ (قوله) اسم تبرح الموافق لجعلها تامة كما سيذكره جعل المرفوع بعدها فاعلا اه فالقائم

المهدى وكان فيه غفلة فقال لبشار ما صناعتك فقال اثقب اللؤلؤ فضحك المهدى وكل من حضر * وجلس اليه رجل فاستثقله فضرط فظن الرجل انها انفلتت منه غضبا ثم ضرط اخرى ثم اخرى فقال له الرجل ما هذا الفعل فقال مه ارأيت ام سمعت فقال بل سمعت صوتا قبيحا قال فلا تصدق حتى ترى فقام الرجل من ساعته وتركه * ووقف عليه بعض المجان وهو ينشد شعر اله فقال يا بشار استر شعرك كما تستر عورتك فغضب بشار وصفق بيديه وتفل عن يمينه ويساره وكان يفعل ذلك اذا غضب واراد ان يقول هجاء ثم قال ويلك من انت فقال انا من باهلة واخوانى من باهلة واخوالى من سلول واصهارى من عك ومنزلى نهر بلال فضحك بشار وقال اذهب فانت عتيق لؤمك (وحكى) ابو عبيدة قال كان حماد عجرد يتهم بالزندقة وكان يعير بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه

والله ما الخنزير فى نتنه
بربعه فى النتن او خمسه
بل وجهه احسن من وجهه
ونفسه افضل من نفسه

فقال بشار ويلى على الزنديق لقد نفث بما فى صدره قيل وكيف قال ما اراد الزنديق

فالقائم هو زيد وزيد هو القائم فلو جعلت دارة خبرا الشمس لما حسن هذا لان الشمس لا تكون دارة للحمل ولا تتصف بذلك فتعين ان تكون تبرح تامة اكتفت باسمها عن الخبر قال الشيخ جمال الدين محمد ابن مالك جميع الباب يأتى تاما الاليس وفتئ وقال فى التسهيل ان أريد بتبرح تذهب سميت تامة اه ويحتمل أن تكون دارة منصوبة بنزع الخافض أى لم تبرح الشمس يوما من دارة الحمل ونزع الخافض كثير منه قوله تعالى واختار موسى قومه أى من قومه وقوله تعالى الامن سفه نفسه أى فى نفسه وقول الشاعر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أى أمرتك بالخير ويحتمل أن تكون تبرح بمعنى تفارق فيكون المعنى لم تفارق الشمس يوما دارة الحمل وهذا أحسن وأما قول أبى الطيب

٣ اذا كان شم الروح أدنى اليكم * فلا برحتنى روضة وقبول

فللناس فيه كلام طويل وعابوا على ابن جنى رحمه الله ما فسره به لانه جعل برح من أخوات كان التامة وأتى فيه بتأويل بعيد وأحسن ماقيل فيه قول المخزومى وهو وأن رحيلا واحدا بيننا فى الحياة وبعده رحيل ثان وهو الموت فلأن يكون رحيل واحد أقرب من أن يكون رحيلان فدعا النفسه بالحياة لانه مادام يشم الروح فهو أقرب منه اليهم اذا صار تحت التراب وهذا هو الصحيح وماسواه هدر ويكون برح هنا بمعنى فارق كما دعيته فى بيت الطغرائى (رجع الحمل) مجرور بالاضافة اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للعهد الصفة فيما غلب عليه الاستعمال فى العلمية (المعنى) لو أن المقام فى المكان الشريف يبلغ المنى ما برحت الشمس مقيمة فى دارة الحمل لانها فى هذا البرج تشرف فى تسع عشرة درجة منه وهبوطها فى برج الميزان وقد ظرف أبو الجوائز هبة الله الواسطى فى قوله

انى لتعجبنى الفتاة اذا رأت * أن المروءة فى الهوى سلطان
لا كالتى وصلت وأكبر همها * فى خدرها القصان والرجحان
وكذاك شمس الافق فى أبراجها * تعلو وبرج هبوطها الميزان

وهذا الذى مثله الطغرائى فى غاية الحسن وفيه حث على الحركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر واتصحوا واغزوا تستغنوا وفى حديث آخر سافروا تصحوا وتغنموا وفى التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا وقالت العرب من أجدب انتجع وقالوا الحركات بركات وقيل لاعرابى أين منزلك قال بحيث ينزل الغيث وما أحكم قول أبى الطيب

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقال البحترى

واذا الزمان كساك حلة معدم * فالبس له حلل النوى وتغرب

وقال ابن دراج القسطلى

دعى عزمات المستضام تسير * فتنجد فى عرض الفلا وتغور
ألم تعلمى أن الثواء هو التوى * وان بيوت العاجزين قبور

وقال أبو اسحق الغزى

ياخليلى حليا عاطل البيد بوجه النجيبة الشملال
زحل أكبر الكواكب لايحمل الامن قلة الانتقال

الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فاخرج الجود بها مخرج الهجاء وهذا خبيث شديد من بشار وتغاغل وقد وقع لبشار ايضا فى مثل هذه الواقعة حدث السرى بن الصباح قال دخلت على بشار بالبصرة فقال أما انى قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعنى حماد عجرد قلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولى هذا وانشد يقول

يا ابن نهيا رأس على ثقيل
واحتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيرى الى عبادة ربين فانى بواحد مشغول

فقلت له قد بلغ حماد هذا الشعر ولكنه يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت له يقول

فادع غيرى الى عبادة ربين فانى عن واحد مشغول

فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذا سئل عن هذين البيتين ليس هما لى * ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعده مع شعره من الخطباء المذكورين قوله لقد عشت فى زمان فادركت اقواما لو اخلقت الدنيا ما تجملت الابهم وانى لفى زمان ما أرى فيه عاقلا حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا ظريفا ولا

قلت قوله أكبر الكواكب ليس على ظاهره من أن مراده ان جرمه أكبر من أجرام الكواكب لان جرم الشمس أكبر منه على ما يأتي في شرح قوله وان علاني من دوني فلا عجب البيت والشعرى العبور أكبر جرما منه أيضا نعم هو أكبر من جرم القمر على ما تقرر في علم مساحات الافلاك والكواكب في الهيئة ولكن الغزى أراد بأكبر الكواكب أحد أمرين اما أنه في الفلك السابع وما سواه من الكواكب تحته واما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كأنه أراد فلك زحل ولذلك قال أبو العلاء المعرى

زحل أشرف الكواكب دارا ✲ من لقاء الردى على ميعاد

فلم يرد بشرفه الا أن فلك زحل أكبر أفلاك الكواكب السيارة وقوله لم يحمل الا من قلة الانتقال فيه ايهام انه ندبلبث في مكان دون مكان فيكون قليل الانتقال وليس كذلك انما زحل لا يقطع فلكه دون دورة كاملة الا بعد مضى ثلاثين سنة تقريبا لاتساع دائرة فلكه فهو لا يني ولا يفتر من الانتقال طرفة عين ولكن هو بالنسبة الى غيره من الافلاك كأنه قليل الانتقال ولاجل هذا من عانى الحركات والسكنات بالطالع انما يعول على حركات القمر لانه في كل شهر يقطع فلك البروج الاثنى عشر ولا يعرج على زحل في هذه الاشياء وهذا معنى قوله عند أصحاب المطالع وأغرب من هذا أنهم يقولون في فلك البروج انه فلك الثوابت وليس كذلك ولكن لما كان هذا الفلك انما يدور الدورة التامة على ما يزعمونه في كل ثلاثين ألف سنة مرة واحدة قالوا فلك الثوابت مبالغة في بطء حركته (رجع) قال ابن قلاقس

ان كنت تبغي وطنا ✲ من العلا فاغترب

فالسمر في غاباتها ✲ معدودة في القصب

والشمس لا ترقب في الـ ✲ ـمشرق لو لم تغرب

وقال ابن الساعاتي

وكن غانيا عن كل أرض بأختها ✲ وان حل مغناها كواعب عين

فلولا فراق الدر أصداف بحره ✲ لما نكره تاج وصدر جبين

وقال أيضا

ولا يصدك عن شئ ترفعه ✲ فربما صار وردا نازح السحب

لم يشرف الدر لولا هجره وطنه ✲ والبدر ما تم حتى جد في الطلب

وقال آخر

فالتبر كالترب ملقى في مواطنه ✲ والعود في أرضه نوع من الحطب

وهو مأخوذ من قول الآخر

أضيع في معشرى وكم بلد ✲ يعد عود الكباء من حطبه

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف في شعبان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة قال أنشدني أبو الحسين القشيري بقراءتي عليه قال أنشدني أبو الحسن على بن أحمد الصوفي المؤذن بسبتة قال أنشدني أبو الشكر حماد بن هبة الله ابن حماد بحران لنفسه

قالوا نراك كثير السير مجتهدا ✲ في الارض تنزل طورا وترتحل

من يساوى على الخبزة رغيفا ✲ وقال الاصمعي قلت لبشار ان الناس يعجبون من أبياتك في المشورة ويعني بذلك قوله

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ✲ فان الخوافي عدة للقوادم

فقال يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه ✲ ومات لبشار ولد فقيل له أجر قدمته وذخر أحرزته فقال بلى ولد دفنته وثكل عجلته وغيب وعدته فانتظرته وان لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد ✲ ومن محاسن شعره قوله

حرم الله أن ترى كابن سلم ✲ عقبة الخير مطعم الفقراء

مالكي تنشق عن وجهه الار ✲ ض كما انشقت السماء عن ذكاء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ✲ ف ولكن يلذ طعم العطاء

لا ولا أن يقال شيمته الجو ✲ د ولكن طبائع الآباء

وقوله من قصيدة في المهدى

تسلى عن الاحباب وصال خلة ✲ وصرام أخرى ما يقيم على أمر

وركاض أفراس الصبابة والهوى ✲ جرت حججا ثم استقلت كما أجرى

الى ملك من هاشم في نبوة ✲ ومن حمير في الملك والعدد الدثر

فقلت لو لم يكن في السير فائدة * ما كانت السبع في الابراج تنتقل

ونقلت من مسودات بخط القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته ومن الشعر المنسوب الى الشهاب السهروردي المقتول ما رواه عنه الجلال سليمان بن أبي القاسم بن داود الديلمي الخلخالي قال أنشدني الشهاب لنفسه بخلاط في سنة احدى وثمانين وخمسمائة

أقول لجارتي والدمع جاري * ولي عزم الرحيل من الديار
ذريني أن أسير ولا تلومي * فان الشهب أشرفها السواري

وقلت أنا

سافر تنل عزا فامسك الورى * الادم في سرة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى * بذؤابة خفقت وتاج سنان

وقلت أيضا

سافر تنل رتب المفاخر والعلى * كالدر سار فصار في التيجان
وكذا الهلال الافقي لو ترك السرى * ما فارقته معرة النقصان

وفي قول الطغرائي في هذا البيت من البديع الايضاح وارسال المثل أما ارسال المثل فانه واضح لان كل من سمعه وحفظه تمثل به فيما يليق من المواقع وأما الايضاح فانه أزال به اللبس من خفاء الحكم الذي ادعاه في البيت الذي تقدمه وهو ان العز في النقل فهذا حكم خاف عند المخاطب حتى يوضحه بقوله لو أن في شرف المأوى البيت فزول اللبس ويتضح الحكم

(أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا * والحظ عني بالجهال في شغل)

(اللغة) أهاب الراعي بغنمه اذا صاح بها لتقف أو لترجع وأهاب بالبعير وهاب زجر للخيل وهي زجر للفرس معناه توسعي وتباعدي الحظ النصيب والجد وجمع القلة أحظ والكثرة حظوظ وأحاظ على غير قياس كأنه جمع أحظ ولقد حظظت تحظ فأنت حظ وحظيظ ومحظوظ وأنت أحظ من فلان ناديت النداء الصياح مستمعا اسم فاعل من استمع الجهال جمع جاهل والجهل خلاف العلم تقول جهل جهلا وجهالة شغل فيه أربع لغات شغل بضم الشين وسكون الغين وبضمهما وشغل بفتح الشين وسكون الغين وشغل بفتحهما (الاعراب أهبت) فعل ماض من أهاب والتاء ضمير الفاعل (بالحظ) الباء هنا للتعدية والالف واللام للعهد الذهني والجار والمجرور في موضع النصب (لو) تقدم الكلام عليها في قوله ولا أخل بغزلان البيت (ناديت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (مستمعا) منصوب على أنه مفعول به لناديت (والحظ) الواو للابتداء الحظ مرفوع على الابتداء (عني) جار ومجرور والنون الثانية نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وهي في موضع جر بعن (بالجهال) جار ومجرور والباء تتعلق بشغل (في شغل) في هنا ظرفية وهي متعلقة بمحذوف تقديره مستقر في موضع الجار والمجرور رفع على انه خبر للمبتدا وهو الحظ وتقديره والحظ مستقر في شغل بالجهال عني وما أحلى قول من قال

ورقيع أراد أن يعرف النحو * ويزري الاحبار لا المستقي
قال لي لست تعرف النحو مثلي * قلت سلني عنه أجبك لوقتي
قال ما المبتدا وما الخبر المجرور * أخبر فقلت ذقنك في استي

من المشترين الحمد تندى من الندى
يداه ويندى عارضاه من العطر
فالزمت حبلي حبل من لا يعيبه
عفاه الندى من حيث يدري ولا يدري
وقوله في البائية المشهورة
اذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه
يقارف ذنبا مرة ويجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
ويقول فيها أيضا
ولما تولى الحر واعتصر الثرى
لدى القيظ من نجم توقد لاهبه
غدت عانة تشكو بابصارها الصدى
الى الجأب الا انها لا تخاطبه
ومنها يقول
اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
كأن مثار النقع فوق رؤسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
وقوله من قصيدة لخالد البرمكي ويقال ان خالدا كتب هذه الابيات في صدر مجلسه وهي
أخالد ان الحمد يبقى لاهله
جمالا ولا يبقى الكثير على الكد

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى القاضي شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني من لفظه لنفسه المولى زين الدين عمر بن الوردي وأنشدنيه فيما بعد اجازة ونقلته من خطه

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

(المعنى) صحت بالحظ وطلبت اقباله لو أني ناديت من يسمعني لأن الحظ اشتغل عني بالجهال، وهذا ينظر الى قول عبد الرحمن بن الحكم

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

والصحيح أن الحظوظ لا تعلل فما وجدانها وعدمها باستحقاق من الطرفين بل الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب قال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قلت نعم آمنت وصدقت انه لا ينفع ذا الجد منه الجد ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى اذ سبحانه وتعالى هو فعال لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم أن الحظوظ أمور يقدرها الله ويقضيها وقضاؤه وقدره لا يعللان على الصحيح لانه لو كان ما وجده معللا بعلة لكانت تلك العلة اما قديمة و يلزمها قدم الفعل اذ المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما وهو محال واما محدثة ويفتقر الامر في ذلك الى علة أخرى فاما يلزم الدور واما التسلسل وذلك محال وهذا هو المراد بقول مشايخ الاصول كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وهذه حجة كافية في هذا الموطن والا فالبحث في هذه المسئلة مجال متسع لانها من أمهات الاصول واذا كان الصحيح أن الله تعالى له أن يثيب العاصي ويعاقب الطائع في الدار الآخرة وهي دار القرار ونعيمها وجحيمها أبديان سرمديان فما ظنك بالحظ وهو نصيب هذه الدار الفانية التي لا بقاء لها والحظ فان في هذه الدنيا وثواب الآخرة وعقابها لا نهاية لهما ولا نسبة للمتناهي في جنب ما لا يتناهى البتة أفترى أن الله تعالى ليس له أن يهب الحظ لمن يشاء استحقه أو لم يستحقه في هذه الدنيا الفانية قل متاع الدنيا قليل وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وما أحسن قول أبي الفوارس سعد بن محمد ابن الصيفي

علي بسابقة المقدور الزمني * صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل
لو نيل بالقول مطلوب لما حرم الـ * ـرؤيا الكليم وكان الحظ للعجل
وحكمة العقل ان عزت وان شرفت * جهالة عند حكم الرزق والاجل

قلت قد فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا الرؤيا مصدر رأى للعلم والرؤية مصدر أرى للعين وغلطوا أبا الطيب في قوله

مضى الليل والفضل الذي لك لم يمض * ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

قالوا الرؤيا بالعلم قال الله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون فعلى هذا قد وهم هذا الشاعر في استعمال الرؤيا هنا في قوله لما حرم الرؤيا الكليم وانما حرم الرؤية وهذا الغلط قد وقع فيه كثير من الفضلاء وقريب من قول أبي الفوارس قول الآخر

فاطعم وكل من عارة مستردة
ولا تبقها ان العواري للرد

وقوله

دعتني حين شئت الى المعاصي
محاسن زائر كالريم غض
كأن كلامه يوم التقينا
رقى يأخذن في طولي وعرضي

وقوله

ربما اثقل الجليس وان كا
ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في الار
ض ثقيل اربى على كيوان
كيف لا تحمل الامانة ارض
حملت فوقها ابا مروان

وقوله

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما
على بعد ما من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله
كما جاد بالرمح سهيل بن سالم

وقوله

ارفق بعمرو واذا حركت نسبته
فانه عربي من قوارير

واما يعقوب الذي اشار بقتل بشار فهو ابن داود بن طهمان السلمي كان في الاصل هو واخوته كتابا لابراهيم بن عبد الله بن حسن المتغلب في ايام المنصور فلما قتل استخفوا فبحث عليهم المهدي واطلقهم وكانوا ادباء البلغاء فصحاء وكان المهدي يتطلب الحسن ابن ابراهيم بن عبد الله فضمن له يعقوب احضاره وتوسط

سلع المطامع لانفقت فان من * ترك المطامع كان أربح متجرا
نال الذى ترك المطامع خلفه * عين الحياة وفاتت الاسكندرا

قال العباس بن المأمون سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول قال لى على بن موسى الرضى ثلاثة موكل بها ثلاثة تحامل الايام على ذوى الادوات الكاملة واستيلاء الحرمان على المتقدم فى صنعته ومعاداة العوام لاهل المعرفة وقال أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور استاذن العقل على الحظ فحجبه قلت هذا من جوامع الكلم وهو أنه كلام قليل معناه شريف جزيل يعنى ان الحظ هو الأمير المخدوم المحجب المطاع والعقل هو المأمور الخادم المبذول الممتثل لانه أتى الى باب الحظ والآتى دون من أتى اليه وسعى الى بابه واستأذن عليه لما لم يصل اليه ومن طلب منه الاذن أشرف ممن طلب له فما أذن والمحجوب أقل من المحجب بدركات وذلك أكثر بدرجات لانه لم يكن أهلا للدخول

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

ولا ينكر هذا الكلام من أهل بيت النبوة لانهم أحق العالمين بميراث البلاغة والفصاحة والحكم وقال بعض الحكماء قال الحظ للعقل ان شئت سر أو أقم فانى مستغن عنك ومن الكلم النوابغ خيم النقص والجد طنبيه وسافر الفضل والجد جنبيه وقال بعضهم

كم من غبى غنى * ومن فقيه فقير

وقال الآخر

واذا استقام الدهر يوما للفتى * أغنت سعادته عن التنجيم

ومثله قول محمد بن شرف القيروانى

ونجوم كاساتى طوالع بالمنى * والسعد يستغنى عن التقويم

وحكى ابن أبى طى فى تاريخ حلب عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال الناس يتشاءمون بالتربيع وأنا وليت الوزارة يوم الاربعاء رابع ربيع الاول سنة اربعة وأربعين وخمسمائة فقال له ابن أبى الفضل ان تبركت أنت به فقد تشاءمنا نحن به وحكى أبو الفرج المعافى بن زكريا فى كتاب الجليس والأنيس قال بينا أبو اسحق مزيد ذات يوم جالس اذ جاءه أصحابه فقالوا يا أبا اسحق هل لك فى الخروج بنا الى العقيق والى قبا والى أحد ناحية قبور الشهداء فان هذا يوم كما ترى طيب فقال اليوم يوم الأربعاء ولست أبرح من منزلى فقالوا وما تكره من يوم الاربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى فقال بأبى وأمى صلى الله عليه وسلم فقد التقمه الحوت فقالوا يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فقال أجل ولكن بعد اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقال أبو عبادة البحترى

الا ليت المقادر لا تكون * ولم تكن الأحاظى والجدود
فيعلم أينا يغدو ويمسى * له هذى المراكب والعبيد

ومثله قول ابن مقلة

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * فى شاهق من عزه المتمنع
قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

ومن عدم تعليل الحظ قول أبى الطيب

الى ان احضر له الحسن من مكة بأمان المهدى ودخل فى الطاعة وتمكن يعقوب وولى وزارة المهدى وغلب على امره وسره ودانت له الدنيا الى ان طلبه المهدى يوما قال فدخلت عليه وهو فى مجلس مفروش فى غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رأيت أحسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله أمير المؤمنين لم أركاليوم فقال هو لك بما فيه والجارية ليتم سرورك فدعوت له ثم قال لى اليك حاجة فقلت الامر لك فقال ضع يدك على رأسى واحلف ففعلت فقال هذا فلان من ولد فاطمة أحب أن تريحنى منه فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب وعلم انه كانت لهم دولة لم يعش فيها وان المهدى لا ينظر الى ذلك لكثرة السعاة به اليه والحسدة له فقال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمى وكان المهدى معظما فى دولة وهو الذى أخرجه من سجن المنصور وترامى اليه يعقوب وأقبل يربض له الامور فسعوا فيه الى المهدى وقالوا ان البلاد فى يده وأصحابه وانما يكفيه ان يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحق بن الفضل فلأوا مسامع المهدى

هو الجد حتى تفضل العين أختها * وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

و يعجبني قول ابن قلاقس

ولست ترى في محكم الذكر سورة * تقوم مقام الحمد والكل قرآن

قلت انما يمشي على قول من قال ان الفاتحة لا بد منها في كل ركعة وهو مذهب الشافعي ومن تابعه مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة وانما سميت السبع المثاني لانها تثنى في كل صلاة فعلى هذا الرأي يحسن بيت ابن قلاقس لانها لم يقم مقامها في الصلاة غيرها فان قلت يحمل ذلك على الفضائل التي وردت فيها قلت قد ورد في آية الكرسي فضائل عدة وفي غيرها من السور والآيات ولم ينفرد من القرآن جميعه بهذه المزية غير الفاتحة على رأي الشافعي أما على رأي من جوز الصلاة بما تيسر من القرآن ولو آية مستدلا بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه حتى يكفيه في ذلك مدهامتان لانها آية وهو مذهب أبي حنيفة فلا مزية للحمد على غيرها وقد حكى ابن خلكان وغيره من أهل التاريخ ما جرى للقفال المروزي من صلاته بحضرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة فمن أراد الوقوف عليها فلينظرها في ترجمة يمين الدولة وقد حكاها امام الحرمين أيضا في كتابه مغيث الخلق في اختيار الأحق ولكن ما رأيت أن أذكرها أنا لما فيها من الشناعة (رجع) وقال أبو اسحق الغزي

والحسن والقبح قد تجمعهما صفة * شان البياض وزان الشعر والشنبا

ظبا المخارف أقلام مكسرة * رؤسهن وأقلام السعيد ظبا

والثاني مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقال أبو اسحق الغزي أيضا

لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه

فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدي جناداه عن على رجبه

وقلت أنا

لئن رحت مع فضلي من الحظ خاليا * وغيري على نقص به قد غدا حالي

فاني كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد في جيد شوال

وقال ابن قلاقس الاسكندري

لولا الجدود لما ارعت عساكر * كف الغني وتعلقت بعقيم

والحظ حتى في الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والترخيم

وقال أبو تمام الطائي

لزموا مركز الندى وذراه * وعدتنا عن مثل ذاك العوادي

غير أن الربى الى سبل الانـ * ـواء أدنى والحظ حظ الوهاد

وقال ابن جني في قول أبي الطيب

أين أزمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربى وأنت الغمام

فأمهله وقال الاثم تجنى عليه جنايات ووضعه في السجن الى ان عمي وأخرج في أيام الرشيد فلما احضر بين يديه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي قال لست به قال الهادي قال لست به قال الرشيد قال نعم فسلم ثم لحق بمكة المشرفة ومات في دولته

*(وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات) (الخرق) قطع الشيء وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق فان الخلق فعل الشيء بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات أي حكموا بذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل أخرق وامرأة خرقاء لا تعمل الامر باحكام ولا تدبير (والعادة) تكرر الفعل مأخوذ من أعاد الحديث اذا كرره فخرق العادات تغيير ما تكرر أفعاله من المخلوقات واستقر على مرور الايام والليالي وكذلك الامر في قوله (وخالفت المعهودات)

*(فاحلت البحار عذبه * وأعدت السلام رطبه) (البحر) كل مكان واسع جامع للماء الكثير ويقال في الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب للتغليب كما يقال العمران

انما خص الربى بالذكر لان نباتها أحسن وقال أبو زكريا الخطيب انما أتى بها للوزن وقال الشيخ تاج الدين الكندى وعندى أن نبت الربى أشد احتياجا للغمام من الوهاد لان الوهاد يمكن أن يسقى من غير الغمام قلت وهذا تأويل شعرى رقيق المأخذ حسن الى الغاية ومادله على ذلك الا قول أبى تمام وقول أبى العلاء أيضا

ولو أن السحاب همى بعقل * لما أروى مع النخل القتادا
ولو أعطى على قدر المعالى * سقى الهضبات واجتنب الوهادا

وقال الباخرزى

لاحبذا البخت أعيانا ومال الى * قوم بعدهم الارذال أعيانا
يدرع البصل المذموم أكسية * ويترك النرجس المحمود عريانا
وينبت الشوك فى أرض وجارتها * تجنى أكف بغاث الرزق عقبانا

وقال أبو بكر بن اللبانة

ان ضعت والشعر مما قد علمت به * وبال جودك أقوام وما شعروا
فالجود كالمزن قد يسقى بصيبه * شوك القتاد ولا يسقى به الزهر
ان لم أكن أهل نعمى أرتجيك لها * فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر

وقال مهيار الديلمى

لاتحسب الهمة العلياء موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لو كان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أو كان أسير ما فى الافق أسلمه * دام الهلال فلم يمحق ولم يغب

وقال الطغرائى

وأعظم ما بى اننى بفضائلى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
اذا لم يردنى موردى غير غلة * فلا صدرت بالواردين مشارع

وقال القاضى الفاضل

ما ضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقال شرف الدين بن عنين

كانى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو * ملغى اللحظ فيه كراء واصل

وقال أبو العلاء المعرى

ولا بد للحسناء من ذم حسنها * ولا ذم نفسى غير سيئ بختها

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يمنعنى باخل وسمح * وليس لى منهما نصير

واختلف فى عدد البحار فقيل انها سبعة أبحر ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسة وقيل أربعة والاول أصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر قال بعض العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام سبع وخلق الانسان من سبع يعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية ورزق من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية وذكر فى جغرافيا ان البحار مختلفة المقادير فمنها ماهو على هيئة الطيلسات ومنها ماهو على هيئة الشابورة ومنها ماهو على صورة التدوير وهو الغالب عليها وأشدها البحر الشرقى وهو لفارس والغربى وهو الروم يأخذان من البحر المحيط ويقال له قنطس والبحار تستمد منه وهى بالنسبة اليه كالخلجان ولا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش حيوان ويقال ان أطراف السماء عليه كالخيمة ولا يعلم ماوراءه * وأما البحر الشرقى فيأخذ من أقصى المغرب وينتهى الى أقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بأرض الحبشة ومنه

وغايتي ان ألوم حظي * وحظي الحائط القصير

وقال ابن سناء الملك

ورب مليح لا يحب وضده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم

وقال أيضا

ماثم الا الحظ فارقب له * ولا تقل عقلي ولا حزمي
كم نعمة في طيها نقمة * ويوجد الدرياق في السم

وقال أبو العلاء المعري

لك الخير أمواه البلاد كثيرة * عذاب وخصت بالملوحة زمزم
هو الحظ غير الوحش يستاق انفه الشخزامي وأنف القود بالعود يخزم

وكتب الشريف الرضي الى الساتي

ماقدر فضلك ما أصبحت ترزقه * ليس الحظوظ على الاقدار والمهن
قد كنت قبلك من دهري على حنق * فزاد مابك في غيظي على الزمن

وقال الامام الشافعي من أبيات

لو أن بالحيل الغني لوجدتني * بنجوم أفلاك السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
فاذا سمعت بأن محروما أتي * ماء ليشربه فغاض فصدق
أو أن محظوظا غدا في كفه * عود فاورق في يديه فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وقال عبد الجليل بن وهبون

يعز على العليا أني خامل * وان أبصرت مني نجود شبابي
وحيث نرى زند النجابة واريا * فثم نرى زند السعادة كابي

وقال آخر

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت ان تدري الذي هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ماجرت * به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وقال آخر

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وقال أبو اسحق الغزي

كم عالم لم يلج بالقرع باب منى * وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسي

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات تنوب
واذا انتهيت الى العلوم وجدتها * شيأ يعد بها عليك ذنوب

بحر فارس أوله من الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقال له رأس الجمجمة ومنه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كش وأما البحر الغربي فانه يأخذ من المحيط من المغرب في الخليج الذي بين المغرب والاندلس ويسمى زقاق سبتة حتى ينتهي الى الثغور الشامية وقدره في المسافة أربعة أشهر ومن القلزم الذي هو لسان بحر فارس ومن بحر الروم على سمت الفرما أربع مراحل وزعم بعض المفسرين في قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان انه هذا الموضع وزعموا أن بحر الروم متصل بالشرقي وانه وجد فيه شئ من النارجيل الذي يكون في البحر الشرقي وهذا بعيد لبعد ما بينهما من المفاوز والجبال * واختلف في مبادي البحار على أقوال أحدها انها من الاستقصات الاربع خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض والثاني انها بقية طوفان نوح عليه السلام والثالث انها من عرق الارض لما ينالها من حر الشمس والرابع انها من مياه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة والكل ملح وانما يتبعد منها للجو

وغضارة الايام تابى ان يرى * فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وهذا من قول أبى الطيب

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى * بأصعب من ان أجمع الجد والفهما

وهو ينظر من طرف قريب الى قول أبى تمام حبيب

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

وقال أبو الحسن على بن رشيق

أشقى لعقلك ان تكون أديبا * أو ان يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

وقال ابن الخياط الدمشقى

ومازال شؤم الحظ من كل طالب * كفيلا ببعد المطلب المتدانى
وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتوانى

ومنه قول الآخر

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المال عن ذى الحيلة الداهى

وقال ابن عنين

يعدو الرياض الحيا والارض مجدبة * رزقا وفى الحرز ذيل السحب مسحوب
فلا العجز تعدى ذاك وابله * ولا الحرص تقت تلك الشآبيب

وقال أبو الاسود الدؤلى

المرء يحمد سعيه من جده * حتى يزين بالذى لم يفعل
وترى الشقى اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وقال محمد بن شرف الدين القيروانى

اذا صحب الفتى جد وسعد * تجانبته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وأخذه ابن النقيب فقال ومن خطه نقلت

لو كان الموسر فى مجلس * لقيل عنه انه يضرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

يقال ان ابن بقية الوزير كان من أشد الناس لحنا فلما تولى الوزارة لم ير له لحن الا فى الشاذ ونقلت من خط السراج الوراق له

الباء والحاء من بخت قد اقترنا * بالباء والحاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * لت المسائل من أسباب حرمانى

ونقلت منه له أيضا

أراه يصدعنى وهو لاه * بضربى كامل الهجر والصد

فيلطفه ويحليه ثم يهبط الى الارض فمنه الانهار العذبة * ومراد ابن زيدون انك لو شئت فعلت مالا يمكن وهو تفسير قوله خرقت العادات ومثله (وأعدت السلام رطبه) العود الرجوع الى الشئ بعد الانصراف عنه والسلام الحجارة الصلبة واعادتنى باعادتها الى الرطبة ومازعم قوم ان الحجارة كانت فى الزمن الاول على عهد نوح لينة وعلى ذلك قول الراجز حيث يقول

انك لو عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل
كنت رهين هرم أو قتل

(ونقلت غدا فصار امسا وزدت فى العناصر فكانت خمسا) أصل الغد غدو فحذفوا الواو بلا عوض وفى هذا المعنى قال الشاعر

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

(وأمسا) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين واختلف فيه فاكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف واللام يقول مضى الامس وقال سيبويه جاء فى ضرورة الشعر كقوله

فان لم يرعني لبياض لوني * فيرعاني لحظي وهو أسود

ونقلت منه له أيضا

أولاد أولادي مامنهمو * من قال مثل الناس جدي السعيد

ومامرادي الحظ لكن أنا * ولو أردت الحظ رمت البعيد

ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب له

وقالوا عجاذا يكتب الخط كاتب * جهول بظلماء الجهالة خابط

فقلت بظاء فاكتبوا الخط قائما * سوى شؤم حظي وحده فهو ساقط

وأنشدني لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ياسيدي عطفا على متألم * يشكو من الايام حظا ساقطا

لرجاء يكتب حظه متحرزا * ماجاء ذلك الحظ الا ساقطا

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

هي الحظوظ فعش منها بما وهبت * ولا تغل عاليا حظي ولا دونا

تغني بذا دون هداعن عمائله * وقس على ماتراه الشين والسينا

وقال أبو الحسين الجزار

أشكو لعدلك جور دهر حائر * فضلت به فضلاء الجهال

منعت به عقلاؤه اذ قسمت * بالجور في انعامه الانذال

وقال ابن الساعاتي في وصف قصيدته

وكم لي فيك من عذراء زفت * لفهمك في غدو أو رواح

من الغيد الحسان بلا شبيه * فكيف يفوتها حظ القباح

وقال أبو بكر القهستاني

بالجد يسعى الفتى والا * فليس يغني أب وجد

وليس يجدي عليك كد * مادام بكدي عليك جد

وقال آخر

عضنا الدهر بنابه * ليت ماحل بنابه

لايوالي الدهر الا * خاملا ليس بنابه

وقال القاضي الفاضل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقال ابن نباتة السعدي

الافاخش مار جي وجدك هابط * ولاتخش مايخشي وجدك رافع

فلا نافع الامع النحس ضائر * ولا ضائر الامع السعد نافع

وقال أبو العلاء المعري

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل * ولو نظرت شزرا اليك القبائل

وان فوق الاعداء نحوك أسهما * ثنتها على أعقابهن المناصل

لقد رأيت عجبا مذ أمسا عجائزا مثل السعالي خمسا ولا يصغر أمس كما لا يصغر غدو المعنى انك لو شئت قلبت الاشياء اما قدرة واما تسمية تقتدي الناس بك فيها

(والعناصر) أصول الخلق وهي أربعة لاغير النار والهواء والماء والتراب ثنتان تذهبان صعدا وهما النار وطبيعتها حارة يابسة والهواء وطبيعته حارة رطبة وثنتان تذهبان سفلا وهما الماء وطبيعته باردة رطبة والتراب وطبيعته باردة يابسة وقيل في قول فيثاغورس والذي وهب لنا الينبوع الاربع أراد العناصر

(وانك المقول فيه كل الصيد في جوف الفرا) هذا مثال قديم يضرب في وصف الشئ المربي على غيره وأصله أن قوما خرجوا للصيد فصاد أحدهم ظبيا وآخر أرنبا وآخر فرا وهو الحمار الوحشي فقال لاصحابه كل الصيد في جوف الفرا يعني ان جميع صيدكم يسير في جنب ماصدته وزعم بعضهم أن الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود وأما قول الشاعر

وواد كجوف العير قفر قطعته

فليس من هذا وانما أراد الوادي المعروف بجوف حمار

وحكى أن بعض المطرب بين غنى فى جماعة عند بعض الامراء الاعاجم فلما أطربه قال لمملوكه هات قباء لهذا المغنى ولم يفهم المغنى ما يقوله الامير فقام الى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالقباء فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى وهو فى أثناء الطريق بعد ما أخرج ان الامير أمر لك بقباء ولم يلحقه فلما كان بعد أيام حضر عند ذلك الامير وغنى اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل البيت لكن بفتح التاء وضم الباء فانكروا عليه ذلك فقال لما بات فى ذلك اليوم فأتتنى السعادة من الامير فأوضحوا القضية للامير فاعجبه ذلك وأمر له به وقال عبد القدوس

وليس رزق الفتى من حسن حيلته * لكن جدود بارزاق وأقسام

كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد * يرمى فيرزقه من ليس بالرامى

وذكرت بالصيد هنا حكاية مطبوعة وهو أن الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت فى الليلة الماضية مضطجعا تكبسنى جاريتان عندى فتنا ومت عليهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك الشئ ولعبت به فانتصب قائما فوثبت اليه المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لانى حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيى أرضا ميتة فهى له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن قبضه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ثم قال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما بحكمك يا أمير المؤمنين وحملهما اليه وقال عيسى بن ابان كنت عند المأمون فاستأذنته فى الخروج الى البصرة الى عيالى فقال أنا أشوق منك الى عيالى ولكن وجه اليهم ليحملوا ثم قال للخادم على رأسه مرهم بالوصول واقبل غلام لا نبات بوجهه مخلق بالغالية فسلم فقال مرحبا فاجلسه على فخذه اليمنى وأقبل آخر فاقعده على فخذه اليسرى فجعلت أنظر اليهما والى حسنهما فقال يا عيسى عمن ترى ان أبدأ فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله فقد نزهه الله عن هذا وصانه فقال يا عيسى ليس هذا الذى ذهبت اليه انهما جاريتان اشتهيتهما فى زى الغلمان فقلت أمير المؤمنين أعلى عينا فقالت الاولى والله يا عيسى ما تحسن الحكومة ألم تسمع قول الله تعالى والسابقون الاولون قال فبقيت والله متحيرا وتمنيت انى كنت اهتديت الى ما قالت بجميع ملكى ثم قالت الاخرى والله ما تبصر من الحكومة شيأ ألم تسمع قول الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى فتركتهما معه وخرجت وقد ذكر ذلك صاحب كتاب المجالس والانس (رجع) قلت والزمان مولع بخمول الادباء وخمود نار الاذكياء كم أخنى على الفضلاء وجهل قدر العلماء هذا الملك الافضل نور الدين على بن السلطان صلاح الدين يوسف كان متأدبا حليما حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك بعد أبيه بل لبث مدة يسيرة بدمشق ثم حضر اليه عمه العادل أبو بكر وأخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه الى سميساط وفى ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على

وحمار اسم رجل قديم كان فى واد خصب فظلم عشيرته فأرسل الله تعالى عليه نارا فاحرقته واحرقت الوادى فخلا وسكنته الجن فقيل أخلى من جوف حمار وحجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم أذن له فقال يا رسول الله ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كل الصيد فى جوف الفرا (وليس الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد) هذا البيت لابى نواس من جملة أبيات يقولها فى الفضل ابن يحيى ويخاطب بها الرشيد وهى

قولا لهرون امام الهدى
عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة
فلست مثل الفضل بالواجد
وليس لله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

وأبو نواس هو الحسن بن هانئ ابن الجراح الحكمى البصرى وكنى نفسه بابى نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذى رعين وذى نواس فاكتنى بابى نواس وكان مولده بالاهواز سنة مائة وخمس واربعين ثم نشأ بالبصرة وتادب بها على أبى زيد وخالف

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي * من الاواخر مالاقى من الاول

وكتب اليه الامام الناصر الجواب

واني كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا علياً حقه اذ لم يكن * بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غداً عليه حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الناصر بل توفي فجأة في سميساط ومن شعره رحمه الله

أما آن للسعد الذي أنا طالب * لادراكه يوماً يرى وهو طالبي
نرى هل يريني الدهر أيدي شيعتي * تمكن يوماً من نواصي النواصب

ومن شعره رحمه الله على ماذكره ابن واصل في مفرج الكروب

يا من يسود شعره بخضابه * لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرة * ولك الامان بانه لا ينصل

ووجدتهما بخط القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان في بعض مسوداته لابن الكيزاني المصري ووجدت بخطه أيضاً ماصورته نقلت من خط كمال الدين بن العديم الحلبي من مسوداته التي علقها تاريخه من ترجمة الملك الافضل نور الدين وذكر البيتين اللذين أولهما مولاي ان أبا بكر وصاحبه ثم قال وبعض الناس يقول انهما من نظم أبي فراس بن أبي الفرج البزاعي ابن أخت الاديب حماد البزاعي ثم ذكر في الحاشية ان أبا طالب بن زيادة أجابه عن البيتين المذكورين بالابيات الثلاثة التي في آخرها الناصر وكذا الملك الناصر داود صاحب الكرك ابن المعظم لم يزل منكد الحال مشتتاً في البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة بن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسروشاهي وقد استصحب جواهر نفيسة وتحفاً طريفة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده في الملأ فما قدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التي أولها

ودان ألمت في الكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وحف تجول غياهبه
تقهقه في تلك الربوع رعوده * وتبكي على تلك الطلول سحائبه

ومنها

أيحسن في شرع المعالي ودينها * وأنت الذي تعزى اليه مذاهبه
باني أخوض الدو والدو مقفر * سباريته مغبرة وسباسبه
ويأتيك غيري من بلاد قريبة * له الامن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنواً منك لم ألق مثله * ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لألاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامي صاحبه
ولو كان يعلوني بنفس ورتبة * وصدق ولاء لست أصاقبه
لكنت أسلي النفس عما أرومه * وكنت أذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلي ولو قلت انني * أزيد عليهم لم يعب ذاك عائبه

يشير الناصر الى مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين كوجك فانه قدم الى الديوان وطلب الحضور فاذن له وبرز له الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته

الاجر ونظر في كتاب سيبويه وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو في المحدثين مثل امرئ القيس في المتقدمين وكان العتابي يقول لو أدرك الخبيث الجاهلية لم يفضل عليه أحد وسئل المرزباني أيهما أشعر أبو نواس أم الرقاشي فقال ضراط أبي نواس في جذم أشعر من تسبيح الرقاشي في الجنة ثم مدح الامين واختص به وصار من ندمائه بذلك وبذلك كان أخوه المأمون يشنع عليه ويقول كيف يصلح للخلافة وجليسه أبو نواس القائل في مجلسه كذا وكذا من الاشعار المحتوية على الفسق والكفر وكان أبو نواس قد انفرد في زمانه باتفاق الشعر وافراط المجون والهتك قال أبو العتاهية عاتبته مرة على المجون فانشد يقول

أتراني يا عتاهي
تاركاً تلك الملاهي
أتراني مفسداً با
لنسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه قال

لا ترجع الانفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت أن هذا البيت لي بجميع ما قلته وعلمت أنه لا يصغي الى عذل ولم يزل على حاله الى ان توفي ببغداد

لانها

لانها من النظم البديع فى غاية واستدعاه سرا بعد شطر من الليل واجتمع به فى خلوة وما تم له
ما ظفر به مظفر الدين المذكور وذكر المؤرخون فى سبب ذلك ان الخليفة راعى عمه الكامل
لانه قد كان تأذى على الناصر داود وما أرى السبب الا ما حواه من الادب وقد كان الناصر
من الشعراء المجيدين والادباء المفيدين يفوق بلطفه على النسمات اذا أرجه ويكتب خطا
يزرى بالحدائق المدبجه وكذا المعتمد على الله بن عباد واقعته مشهورة ومصيبته على جبهات
الايام مسطوره عبرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر فيها وتفكر وستأتى نبذة من خبره بعد ولكن
المعتمد ملك وصفت له الايام ودام ملكه ثلاثة وعشرين سنة كما ذكر ذلك فى قوله

أشرقت عشرون من انفسها * وثلاث نيرات تأتلق

لانه ولى سنة احدى وستين واربعمائة وجرت كائنته سنة اربع وثمانين واما الكائنة التى
جرت عليه وعلى ذريته الى ان مات فى اغمات وما توافق له وبعده فما اتفقت لغيرهم ولا جرى فى
خلع ملك ما جرى له رحمه الله تعالى وكذا عبد الله بن المعتز من خلفاء بنى العباس لم يزل منغصا
طول عمره ولما بويع له بالخلافة ظن ان الحظ قد نبهه له فلم يتم له الامر الا يوما واحدا ثم قبض
عليه وقتل رحمه الله على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم انهم لا يسفكون فى
واقعته دما فيقال ان والده لما خلع ترك فى مطمورة ملئت ريشا فى يوم صائف شديد الحر الى
أن مات ولما خلع هو ألقى فى صهريج ملئ ماء فى يوم شديد البرد الى ان مات وقيل ادخل حماما
حارا حتى عطش عطشا شديدا فجىء اليه بماء بارد بثلج فحين شرب مات رحمه الله أو بالعكس فى
امره وامر والده ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالتبيع لا تقط ولا تطفا وفى المعتز قيل

لله درك من ملك بمضيعة * ناهيك فى العلم والعلياء والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه * وانما ادركته حرفة الادب

وقال ابو تمام الطائى من ابيات

مازلت أرمى بآمالى مطالبها * لم يخل لى العرض من سوء منقلبى
اذا قصدت لشأو خلت انى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب

وقال ابن الساعاتى

عفت القريض فلا أسمو له أبدا * حتى لقد عفت ان أرويه فى الكتب
هجرت نظمى له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال ابن قلاقس

لا تقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث ان يأتى بلا طلب
عيون جاهك عنى غير نائمه * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وقد انصف الحسن بن أبى الحسن لما سئل لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة
مع الجهل حيث قال ليس الامر كما زعمتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو
قليل فى أهل العلم وهم قليلون ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اه
قلت هذا هو الانصاف لو عددنا العلماء السعداء لوجدناهم أضعاف المحارفين الجهلاء لانهم
أناس يمكن ضبطهم ومن العلماء السعداء غالب الخلفاء والملوك والامراء المتقدمين والوزراء
والقضاة وأرباب المناصب والولايات بل جمهورهم الا ما ندر ولكن الناس قد لهجوا بهذا

سنة مائتين هو ومعروف
الكرخى فى يوم واحد فخرج
مع جنازة معروف زهاء
ثلثمائة ألف ولم يخرج مع
جنازة أبى نواس غير رجل
واحد فلما دفن معروف قال
قائل أليس جمعنا أبا نواس
الاسلام ودعا الناس فصلوا
عليه فرىء فى المنام فقيل
له ما فعل الله بك فقال
غفر لى بصلاة الذين صلوا
على معروف وعلى وأوصى
ان يكتب على قبره هذا

وعظتك أجداث صمت
ونعتك أزمنة خفت
يا ذا المنى يا ذا المنى
عش ما بدا لك ثم مت

وأخبار أبى نواس وأشعاره
مجموعة ومنها الزائده والناقصه
فمن مستظرف أخباره قيل
تحاكم فى سؤال رافضى وسنى
فيمن أفضل الناس بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتيا أبا نواس فسألاه فقال
أفضلهم بعده يزيد بن الفضل
فقالا ومن يزيد بن الفضل
فقال رجل يعطينى كل سنة
ثلاثة آلاف درهم وسئل عن
الخمر فقال خمر الدنيا أجود
من خمر الآخرة وقد جعلها
الله تعالى لذة للشاربين فقيل
له كيف هى أجود فقال لانها
انموذج والانموذج خيار
الشئ وكان يوما جالسا وفى
يده كأس خمر وعن يمينه

الامر وصار مشهورا بينهم والرزق والاجل مقدران من لدن حكيم عليم وقد تقدم أن الحظوظ لا تنال والباحث عما لا يعلمه ضال فاصبر واحتسب واجهد على تكميل ذاتك واكتسب

قال بعضهم

خط ولا حظ وشعر ماله * سعر أأنثر فيهما أم أنظم
كم جهد ارفع قصتي ويحطها * حظي وأنصب والحوادث تجزم

قلت اراد أن يقول ويخفض حظي فما اتفق له فعدل الى يحطها وهو بمعناه ولكن الاول أكمل ولو اتفق له أن تكون القصة مرفوعة في اعرابها والحظ مكسورا لكان من البديع في غاية وما رأيت من استعمل هذا المعنى ولحظه وأتى به كاملا غير شهاب الدين التلعفري فقد أنشدني المولى شهاب الدين أبو العباس احمد بن غانم كاتب الانشاء السلطاني قال أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين التلعفري بحماه سنة سبعين وستمائة

واذا الثنية أشرقت وشممت من * أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثه الـ * ـمرفوع عن ذيل الصبا المجرور

فانظر كيف نصب الهضب ورفع الحديث وجر ذيل الصبا وهذا في غاية الحسن من البديع مع انسجام هذه الالفاظ وعدم التكلف في تراكيبها وقد نظم شهاب الدين التلعفري المذكور هذا المعنى أيضا ولكن قصر عن هذه الغاية فقال

قل للصبا سرا فان لها شذا * نفحي بما يفضي اليه مذيعا
يا ذيلها المجرور عن هضب الحمى الـ * ـمنصوب هات حديثها المرفوعا

ونقلت من خط الوداعي له

ولقد وقفت على الثنية سائلا * عما أشار به فتى شيبان
فروت أحاديث الحمى عن عامر * وحديث روض السفح عن ابان

وقلت أنا في الحظ

شكوت حظي الى دهري وبت * فضلي ولكنها لم ترضها حكمي
ما آرب عاقني عن نيلها قدر * جرى ولكنها لم تعل عن هممي

وقلت أيضا

تشفعت للبين المشت بكم عسى * يعود هزيم الوصل عودة منصور
على ان جاه الحظ أكرم شافع * ولولاه لم يحتج الى بنت منظور
وما هو الا الحظ يعترض المنى * ولولاه كان الدهر اطوع مأمور

وفي الثاني اشارة الى قول الفرزدق

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا

والواقعة مشهورة فلا فائدة في ذكرها

(لعله ان بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لي)

(اللغة) بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اذ ظهر وابديته أنا فضلي تقدم الكلام على الفضل في أول القصيدة ونقصهم النقص ضد الفضل لعينه تقدم الكلام على العين نام تقدم الكلام على النوم في قوله نام عيني تنبه نبهته على الشئ أوقفته عليه فتنبه هو عليه وهو الامر تنساه

عنقود وعن يساره زبيب فقيل له ما هذا فقال الاب والابن والروح القدس وقيل له أتشرب الخمر قال نعم اذا اشترى بثمن خنزير سرق حتى يكون حراما ثلاث مرات وحكى عن نفسه قال دخلت الى دمشق وخلوت بامرد ودفعت له دينارا فلما رأى متاعي استعظمه فقلت اما ان ترد الدينار واما ان تحتمله وأما ان تشم معاويه فاذعن فرضي بالوسط فلما دعته فيه سمعته يقول هذا في رضاك قليل يا أبا يزيد وقال له أمرد متى تعطيني درهما قال اذا جرى الماء في العود وكان أبو عبيدة يجلس الى اسطوانه في جامع البصرة فكتب أبو نواس في أعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ولم يعرف من كتبه فامر بعض تلامذته بحكه من السارية فلم يصل فطامن له أبو عبيدة وصعد على ظهره الى ان حكه فلما طال عليه الامر قال له أفرغت قال نعم حككت الكل الا حرفا قال وما هو قال كلمة لوط فقال لعد بقى الكل * ومن شعره قيل ان سليمان بن المنصور دخل على الامين فرفع اليه انه هجاه وانه زنديق وأشار عليه

ثم تتنبه له وأصله من الانتباه الذى هو اليقظة (الاعراب لعل) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر من أخوات أن ومعناه الترجى وقد تقدم الكلام عليه فى قوله لعل المامة بالجزع ثانية والهاء فى لعله ضمير يرجع الى الحظ وهو فى موضع نصب على انه اسم لعل (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فان جنحت اليه (بدا) فعل ماض حكى الحريرى فى درة الغواص أن أبا عمر الجرمى حين شخص الى بغداد ثقل موضعه على الاصمعى اشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنه ويصير الشوق له فاعمل الفكر فيما يغض عنه فلم ير الا أن يرهقه فيما يسأله عنه فاتاه فى حلقته وقال له كيف تنشد قول الشاعر

قد كن يخبأن الوجوه تسترا * فاليوم حين بدأن للنظار

أو حين بدين فقال له بدأن قال غلطت قال بدين قال غلطت انما هو بدون أى ظهرن فاسرها أبو عمر فى نفسه وفطن لما قصده به واستأنى به الى أن تصدر فى حلقته واحتف الجمع به فوقف عليه وقال له كيف تقول فى تصغير مختار قال مخيتير فقال أنفت لك من هذا القول أما تعلم أن اشتقاقه من الخير وان التاء فيه زائدة ولم يزل يندد بغلطه ويشنع عليه الى أن انفض الناس من حوله وقال الحريرى فيه مخير قلت وحكى ابن وكيع فى المنصف عن شيخه أبى الحسن المهلبى انه اجتمع بالمتنبى عند بعض الرؤساء فسأله عن تصغير مختار فقال لا يصغر فقال المهلبى ليهن مختارا وأم حنين العافية اهـ قلت ومن الاشياء التى لا تصغر الثريا والكميت لانهما تصغير ثروى وأكمت وذكرت هنا ما قاله الكسائى لمحمد بن الحسن فى مجلس الرشيد وهو أن الكسائى قال من تبحر فى علم اهتدى به الى جميع العلوم فقال محمد بن الحسن ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى قال الكسائى لا قال لماذا قال لان النحاة قالوا المصغر لا يصغر فقال له محمد بن الحسن ما تقول فى تعليق الطلاق بالملك قال لا يصح قال لم قال لان السيل لا يسبق المطر وعلى ذكر مختار قد نقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله فى الطواشى مختار البغدادى لما حمل طيور اصرعها الملك السعيد بن الملك الظاهر قوله

عزائم للطير كم قدرمت * وكم أتاها منه مصروع
وكيف لا يصرع شئ بدا * وهو من البندق متبوع

ومنها

ملك شديد البطش ذو عزمة * لباسها فى الفتك تنويع
مختار لم يحمل لها طائرا * الا اباتى منه مجموع

وما أحسن ما أنشدت للموفق الحكيم أظنه المعروف بالورل أو المعروف بنادرة الادب

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التفريق ما شعر
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

أتى بالجمع والاختيار والاختصار فى نصف بيت بل فى ثلثه مع ما فى الاول من التورية أيضا (رجع بدا من ذوات الواو كما تقدم (فضلى) فاعل بدا والرفع فيه بضمة مقدرة على اللام لانه مضاف الى الياء وهى فى موضع جر بالاضافة (ونقصهم) الواو عطفت الاسم المرفوع على الاسم قبله والهاء والميم ضمير الجهال فى البيت المتقدم والضمير فى موضع جر بالاضافة (لعينه) اللام

بقتله فقال يا عم كيف أقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد
ومن الثناء تكذب وتخرص
واذا بنو المنصور عد حصاهم
فمحمد ياقوتها المستخلص

فانقطع سليمان عن الركوب فامر الامين بحبس أبى نواس فكتب اليه من السجن يقول

تذكر أمين الله والعهد يذكر
مقامى وانشاديك والناس حضر
ونثرى عليك الدر يا در هاشم
فيا من رأى درا على الدر ينثر
ومن ذا الذى يرمى بسهمك فى العلا
وعبد مناف والداك وحمير
فان كنت لم أذنب ففيم تعقوبتى
وان كان لى ذنب فعفوك أكبر

فلما قرأ الابيات قال أخرجوه ولو غضب ولد المنصور كلهم ومن شعره قوله من قصيدة

يا كثير النوح فى الدمن
لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة
فاذا أحببت فاستنن
ضن بى من قد كلفت به
فهو يجفونى على الضنن

ومنها

تضحك الدنيا على ملك
قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فغدا
فكأن البخل لم يكن

وقوله أيضا يمدح الامين

هنا للتعدية وعينه مجرور باللام والهاء في موضع جر بالاضافة وهي تعود الى الحظ (نام) فعل ماض وهو جواب الشرط (عنهم) عن حرف جر ومعناه المجاوزة والضمير في موضع جر ولم يخص ابنائه وهو عائد على الجهال (أو) حرف عطف وهو هنا للتخيير وقد تقدم الكلام على أقسام او في قوله فان جنحت اليه البيت (تنبه) فعل ماض جواب ثان للشرط (لي) جار ومجرور واللام للتعدية والياء ضمير المتكلم وخبر لعل الجملة من الشرط والجزاء والتقدير لعل الحظ منتبه (المعنى) أترجى الحظ عساه اذا رأى فضلي و علم نقصهم أن ينام عنهم فيسلبهم ما هم فيه أو ينتبه لي فيوفيني ما استحقه هيهات ضاع عمره وفني زمانه وانتهت مدته وما نام عنهم ولا تنبه له نعم كان قد نام عنه ثم تنبه له فاورده على ظمأ به جدول الحسام وأعانت على قتله فضائله الجسام ولكن الامل خلق جبلت النفوس على ألفه وطبع يزداد بنقص الانسان ويقوى بضعفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيب الانسان وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن كلام الحكمة الامل ينتسم والاجل يبتسم وكيف يتنبه له الحظ والدهر كما قال التهامي

لبس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار

وفي معنى قول الطغرائي

عمرت أروض خطوب الزمان * لو ان جامحها يستقيد
وما كان أجدرني بالعلى * لو قد تنبه حظ رقود

وقال مهيار الديلمي

أبا سكر الزمان متى تفيق * ويا اوسع المطالب كم تضيق
ويا نيل الحظوظ أما اليها * بغير مذلة أبدا طريق
أ كل فضيلة كانت علينا * تعين هي التي عنها تعوق
قضاء ضل وجه الرأي فيه * وكاذب دونه الظن الصدوق
وعتب طال والايام صم * كما يشكو الى الموج الغريق

وهذا المعنى كقول أبي الطيب المتنبي

لا تشكون الى خلق فتشمته * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وذلك لان الغريق أعظم آفته وأكبر الاسباب في هلاكه تواتر الموج وكذلك الجريح ما عليه أضر من العقبان والرخم فلا تفيد الشكوى اليهما شيأ وما أحلى قول القائل

ياردفه رفقا على خصره * فانه حمل ما لا يطيق
يشكو الى أردافه خصره * لو تسمع الامواج شكوى الغريق

(رجع) ولابد للزمان من انتباهة للفضلاء بعد رقاده عنهم قال مؤيد الدين الطغرائي

لاتيأسن اذا ما كنت ذا أدب * على خمولك أن ترقى الى الفلك
بينا ترى الذهب الابريز مطرحا * في معدن اذ غدا تاجا على الملك

وذكر الحريري في درة الغواص عن أبي العباس المبرد أنه قال قصد بعض أهل الذمة أبا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه و بذل له مائة دينار فامتنع من ذلك وأصر على رده قال فقلت له جعلت فداك أترد مثل هذه المنفعة مع فاقتك وشدة ضيقك فقال ان هذا الكتاب

يشتمل

بحجزته
اذا الزمان على ابنائه كلحا
وكان بالدهر عينا غير غافلة
من جود كفك تأسو كل ما جرحا
وقوله ايضا
علقت بحبل من حبال محمد
امنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه
فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الايام ما اسمي مادرت
وأين مكاني ماعرفن مكاني
وقوله ايضا
ألم ترأني أفنيت عمري
بطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيأ اليها
يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان
فيجمعني واياها المسير
وقوله ايضا
أيها العاتب في الخمر
رمني كنت سفيها
لو تركناها العتب
لاطعنا الله فيها
وقوله
دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر
لها محبان لوطي وزناء

يشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى ان أملان منها ذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية في حضرة الواثق بقول العرجي

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه وجعله خبر ان والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما امثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال أي الموازن أمازن قيس أم مازن تميم أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمني بلغة قومي وقال با اسمك بالباء بدل الميم لانهم يقلبون الباء ميما والميم باء فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجب به ثم قال ما تقول في قول الشاعر أظلوم البيت أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قلت لان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ اليزيدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربي زيدا ظالم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل على ذلك أن الكلام معلق الى أن تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدتني قول الاعشى

أيا أبتا لا ترم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم
أرانا اذا أضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قال قلت قول جرير

ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرما قال أبو العباس فلما عاد الى البصرة قال لي كيف رأيت يا أبا العباس رددنا لله مائة فعوضنا ألفا قلت لم تكن هذه المسئلة مما يخفى على أبي محمد اليزيدي وهو الذي قال للكسائي يوما في بعض مناظراته كيف تقول ان من خير القوم أو خيرهم نيه زيدا أو زيد فقال الكسائي زيد بالرفع فقال أخطأت علام ترفعه قال انه خبر ان قال فأين اسمها قال فالتبك فقال له زيدا اسم ان والخبر في الجار والمجرور وهذا اليزيدي له مسائل عويصة سأل الكسائي عنها وأخطأ في الجواب منها أنه ساله بحضرة هرون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكي عن قول الشاعر

٣ ما رأينا خربا * ينقر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهرا * لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء فقال اليزيدي الشعر صواب لان الكلام تم عند قوله لا يكون الثانية وهي مؤكدة للاولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى انكتني بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن أدبه لاحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدي ان حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ قلت وأخطأ الكسائي أيضا في تسميته هذا أقواء لان الاقواء اختلاف حركة الروي بالرفع والجر كقول النابغة في قصيدته الدالية المجرورة وبذلك أخبرنا الغراب الاسود فاما اذا كان الاختلاف بالرفع والنصب فهو

ومنها

دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما يصيبهم الا بما شاؤا

ومنها يعني ابراهيم النظام

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة
حفظت شيأ وغابت عنك اشياء

لا تحظر العفو ان كنت امرأ فطنا
فان حظركه بالدين ازراء

وقوله أيضا

قالوا اظفرت بمن تهوى فقلت لهم
الآن أطول ما كانت صبابتي

لا عذر للصب أن تهدى جوارحه
وقد تطعم فوه بالمدارات

وقوله أيضا

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى
وأضغاث ريحان جني ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم
واني على أمثال تلك لحابس

ولم أدر منهم غير ما شهدت به
بشرقي ساباط الديار البسابس

٣ قوله فالتبك أي اختلط اه

٣ قوله خربا الخرب بفتحتين ذكر الحبارى وانما سكن كالقاف من ينقر للوزن اه

الاصراف والذى ذكره الحريرى من معارضة اليزيدى للمازنى بين يدى الواثق فيه تجوز لان أبا محمد اليزيدى كان يؤدب المأمون والكسائى كان يؤدب الامين وتوفى اليزيدى مع المأمون فى مرو او فى بغداد سنة مائتين واثنين والواثق تولى الامر بعد وفاة أبيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ولعل هذا اليزيدى المذكور هنا أحد أولاد أبى محمد اليزيدى لانه كان له خمسة أولاد كلهم علماء أدباء شعراء رواة للأخبار وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القاسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبيد الله وأبو يعقوب اسحق وكلهم ألف فى اللغة والعربية فان كان ذلك المذكور أحدا من هؤلاء فكان ينبغى أن يعينه ولا يطلق لفظ اليزيدى لانه لا يفهم منه الا أبو محمد يحيى اليزيدى (رجع) نقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان ما صورته نقلت من خط القاضى كمال الدين ابى العديم من مسودة تاريخه ان ابن الرقاق البلنسى الشاعر المشهور كان يسهر فى الليل ويشتغل بالأدب وكان ابوه فقيرا حدادا فلامه ابوه وقال نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق انه برع فى العلم وقال الشعر وعمل فى ابى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

ياشمس خدرما لها مغرب	أرامة دارك ام غرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما	مفضض الدمع به مذهب
ومنها ناشدتك الله نسيم الصبا	اين استقرت بعدنا زينب
لم تسر الا بشذا عرفها	اولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها	فمن عذاب النفس ما يعذب

فأمر له بثلثمائة دينار فجاء الى ابيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها واشتر بها زيتا واذ ذكرت بلنسية هاهنا حكاه صاحب الريحان والريعان قال حضر شاب ذكى فى بعض مجالس الأدب فقال بعضهم ما تصحيف تحت تحت فغننى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه بالجواب وكان فى المجلس شاعر من اهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسية وأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فخجل البلنسى يقول صدق ظنى فيك انك تدعى وتنتحل ما تقول ويحك والفتى يضحك ثم قال له الفتى اشعر فأنت شاعر فقال له واى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول هو ذاك فتنبه بعض الحاضرين بعد حين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ومضى الى الشاب معتذرا معترفا اه قلت وقال آخر لآخر ما تصحيف تحت فوضعت فجعل لا يهتدى الى تصحيفه فلما اعياه الامر قال له ما تصحيفه قال تصحيف صعب قال بالله قل لى ما تصحيفه قال تصحيف صعب ولم يزل كذلك هو يسأله وذاك يجيبه ولم يهتد الى أن ذلك هو الجواب وقال آخر لآخر ما تصحيف استنصح ثقة ففكر زمانا فلما أعياه قال له لم يظهر لى ايش تصحيفه فقال له قد أجبت ولم تعلم بأنك قد أجبت ومن التصحيف ما كتب به ابراهيم بن المهدى الى اسحق بن ابراهيم النديم أى شئ تصحيف لا ترج مثل الاسنة فكتب لا برث جميل الابنية فكتب اليه ابراهيم فما تصحيف هذا فكتب اليه وانه منك وحكى أن الامام الناصر قال لابن الدباهى وقد اشترى مملوكا اسمه بليه يا ابن الدباهى ثلثه ثلثه فقال يا أمير المؤمنين لا تعدو مثل هذا ما قاله لى بعض الاصحاب وقد رأى معى ملحا سلسله يعنى به نبيتك تتكه فقلت بقناديل أى

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا
ويوما له يوم الترحل خامس
تدور علينا الراح فى عسجدية
حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها
مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح مازررت عليه جيوبنا
وللماء مادارت عليه القلانس
كان الجاحظ يقول وجدنا الشعراء تجاذبوا المعانى الا قول عنترة فى وصف الذباب
هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الاجذم
وقول أبى نواس يصف الكاس يعنى فى هذه الابيات السينية فان أحدا من الشعراء لم يجسر التعرض لها وقوله
كيف الهوى عن الصبا والكاس
قس ذا الناياعاذلى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى
عن ان تجئ الى فى بالكاس
وقوله
يقولون فى الشيب الوقار لاهله
وشيبى بحمد الله غير وقار
اذا كنت لا انفك عن أريحية
الى رشا يسعى بكاس عقار
وقوله
ظللت حميا الكاس تبسطنا
حتى تهتك بيننا الستر
فى مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر

بقيادتك وأحسن تصحيف رأيته فى سلسله بث بلبتى له وهو احسن من قولهم نبتك تنبكه
وحكى أن ابن منقذ قال لابن الساعاتى الشاعر وكان مليحا فى حال صباه حسن الصورة والخلق
أجى وأحدثكم فاجابه فى الحال مرويك وحكى أن المتوكل قال لابن ماسويه بعت يدى بقصرين
فقال بطين آجرغدا كله قال الخليفة تعشيت فضرنى فقال الطبيب بطى اخرغدا كله ونقلت من
خط السراج الوراق له

أتيت أرجيه فى حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقتل فى ذقنه والنفوس * تعاف المقتلة البارده
وكبدى مقطعة دونها * ونيرانها لم تكن خامده
فقلت له خل تقتيلها * وصحف عنى خلافها فائده

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

مازلت مذ غبت عنك فى بلدى * حتى اذا ما أزحت علاتها
أقت أجراتها على عجل * وبعد هذا خزنت غلاتها

وقال آخر أيضا

وقد كان فيما مضى داية * تحن علينا وتبغى رضانا
فماتت فآلمنا فقدها * فنحن جميعا عليها حزانا

وقال ابو عبد الرحمن حمزة الاصفهانى فى كتاب التنبيه على حدوث التصحيف سمعت ابن دريد
يقول وجدت للجاحظ فى كتاب البيان تصحيفا شنيعا فى الموضع الذى يقول فيه حدثنى محمد بن
سلام الجمحى قال سمعت يونس يقول ماجاءنا عن احد من روائع الكلام ماجاءنا عن النبى
صلى الله عليه وسلم وانما هو البتى فأما النبى صلى الله عليه وسلم فلاشك عند المسلم والذمى
أنه أفصح الخلق اه كلام حمزة قلت وقد قلده جماعة من علماء الادب كالآبى وغيره وهذا فيه
بعد كبير على الجاحظ وهو ماهر فى الادب وغيره ولا يجوز أن يقع الجاحظ فى مثل ذلك لوجوه
الاول انه لا يخفى هذا على من هو دونه الثانى لعله قال البتى بالباء والتاء وانما الناسخ هو الذى
حرف ذلك وصحفه بالنبى بالنون والباء ومارأى ذكر النبى بدون ان يقول صلى الله عليه وسلم
على عادة النساخ الثالث أن الجاحظ قال سمعت يونس يقول فهو نقله عنه سماعا من لفظه
والسماع لا يقع فيه التصحيف ولئن كان الامر كذلك فينبغى أن يغلط يونس دون الجاحظ
قاعدة التحقيق يقتضى ان القاف والنون والياء آخر الحروف اذا وقعت أخيرة لا تصحف لان
القاف لا تشبه الفاء والنون لا تشبه الباء ولا التاء ولا الثاء وكذلك الياء أيضا ولا يصحف حبيى
بحسن لان الصورتين مختلفتان ولكن الناس تساهلوا فى ذلك والتحقيق ماذكرته لان محققى
الكتاب اذا وقعت هذه الحروف متطرفات لا ينقطوهن لعدم اللبس فاعرف ذلك

(اعلل النفس بالآمال أرقبها * ما اضيق الدهر لولا فسحة الأمل)

(اللغة) علله بالشئ ألهاه به كما يعلل الصبى بشئ من الطعام ويعلل نفسه بتعلة أى يلهى وعل
الشئ فهو معلول وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس
بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة مطولة

ياخالى القلب قلبى فى محبتهم * لك السلامة مشغوف ومشغول

واقد تجوب بى الفلاة اذا
صام النهار وقالت العفر
شدفيه رعت الحمى فاتت
ملء الجبال كأنها قصر
ومنها
يسعى اليك بها بنوامل
عتبوا فاعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
ذكر بعض العلماء فى قوله
وحلت الخمر أربعة أوجه
الاول أن طيب المكان
وتكامل السرور صار
مقتضيا لشرب الخمر وملجئا
الى تناولها ورافعا للحرج
فيها على مذهب الشعراء فى
المبالغة وفائدة وصفها بأنها
حلت المبالغة فى الوصف
بالحسن والجمال الثانى ان
يكون آلى على نفسه أن
لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع
بمحبوبه فكان الاجتماع به
مخرما من يمينه على عادة
العرب وعلى ذلك قول امرئ
القيس
حلت لى الخمر وكنت امرأ
عن شربها فى شغل شاغل
الثالث يريد حلت نزلت من
الحلول لا من الحلال كأنه
وصف بلوغ آرابه وانها
تكاملت بحضور الخمر الرابع
اننا استحللنا الخمر بسكرنا
وذهولنا والى ذلك أشار فى
المغنى بقوله

مضى بهم وعاض من نذكرهم * يعيده فهو معلول ومعلول

النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

نجا سالم والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا

أي بجفن سيف ومئزر والنفس لغة الدم يقال سالت نفسه وفي الحديث الا نفس له سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بني سحيم أدخلوا * أبياتهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم واما قولهم ثلاثة أنفس فانهم يريدون بذلك الانسان هذا قول أصحاب اللغة والفقهاء ووافقوهم على ذلك وأما ارباب المعقول فقد اختلفوا في حقيقة النفس ماهي اختلافا كثيرا الى الغاية وأما الحكماء فقالوا النفس عبارة عن هذه الأجزاء النارية السارية في هذا الهيكل لان النار خاصتها الاشراق والحركة ولهذا قال الاطباء ان مدبر الجسد هو الحار الغريزي وهذا رأي أفلاطون ومن تابعه ومنهم من قال هو عبارة عن هذا الهواء لانه متى كان النفس مترددا كانت الحياة باقية فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد في مخارق البدن ولانه لا لون له ويدخل في المنافس الضيقة وهذا رأي ديوجينس ومن تابعه ومنهم من قال النفس عبارة عن الماء لانه سبب لحصول النشو والنمو والنفس كذلك فكانت هي الماء وهذا رأي تاليس الملطي وهذه الاقوال فاسدة لان الاشتراك في بعض الصفات لا يوجب التساوي في تمام الماهية ومنهم من قال النفس عبارة عن مجموع الاخلاط الاربعة بشرط أن يكون كل واحد له قدر معين لانه مادامت هذه الاخلاط باقية على كمياتها المخصوصة وكيفياتها المنصوصة فالحياة باقية وهذا ضعيف أيضا لانه لا يثبت العلم بمجرد الدوران ومنهم من قال النفس عبارة عن الدم لانه أشرف اخلاط البدن ومتى نزف الدم عن الجسد فارقته الحياة وهذا رأي جالينوس ومن تابعه من الاطباء فوافقوا الفقهاء واهل اللغة وهذا ضعيف لان الجسد يعرض له عدم الحياة والدم فيه ولانه كان ينبغي ان تزيد النفس بزيادة الدم في البدن وان تقوى معلوماتها وادراكاتها وتضعف بقلته في البدن والقضية بالعكس فان الصائم والضعيف يقوى ادراكهما ومنهم من قال ان العناصر المركبة مختلفة في ماهياتها فاللطيف منها لا ينقلب كثيفا وبالعكس وكذا القول في الرطب واليابس والحار والبارد فثبت أن النفس أجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها وتلك الأجسام اذا شابكت هذا الهيكل المحسوس وسرت فيه سريان ماء الورد في الورد والدهن في السمسم صار هذا الهيكل حيا بتلك المشابكة ولا يتطرق الذوبان والانحلال الى هذا الهيكل دون تلك الأجسام اللطيفة الحية والاخلاط فيها قابلية لتلك الاجزاء فمتى ذهبت القابلية من الاعضاء والاخلاط انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة الحية وكان ذلك هو الموت وهذا القول مشكل لانه يلزم من هذا أنه اذا قطعت أطراف الانسان اما ان يذهب كل طرف بما فيه من النفس وهو باطل لانه يوجب ضعف النفس في تدبير البدن وضعف الادراك والعلم واما ان تتداخل تلك الاجسام في الجسد الذي بقي ويقوى تدبير النفس للبدن في الحركة وقوة الادراك لان تلك الاجزاء تقلصت واجتمعت في هذا الباقي وهذا فيه قول بتداخل الاجسام وهو محال ومنهم من قال النفس عبارة عن الاجسام اللطيفة المتكونة في البطن الأيسر من القلب النافذة في الشرايين النابتة منه الى كل اجزاء البدن ومنهم من قال النفس عبارة عن الارواح المتكونة في الدماغ الصالحة

لقبول

ذريني أكثر حاسديك برحلة
الى بلد فيه الخصيب امير
اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا
فأي فتى بعد الخصيب تزور
ومنها
فان تولني منك الجميل فأهله
والا فاني عاذر وشكور
وقوله ايضا من ابيات رويت منها هذين البيتين
لقد اتقيت الله حق تقاته
وجهدت نفسك فوق جهد المتقي
وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التي لم تخلق
احتج له في بعض العلماء في هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيأ خافه جميع وجوده فكأن الاعداء خافته ونطفها في ذلك الوقت دم يجري الخوف في الدم بجري الدم في الاخلاط واستحالات الى مني بعد الانعقاد والنضج التام فانعقد منه في الرحم فتكون انسان تخافه من هذا القبيل وهذا أمر غامض والامر فيه محتمل وقال آخر خافته ذرية آدم منذ أخذ الله تعالى عليها الميثاق وهي في ظهر أبينا آدم حين قال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فابت في ظهر آدم صلوات الله وسلامه عليه القول الاول أمكن عند الحكماء وأما الثاني فهو قريب من باب الاحتمال وقوله

لقبول قوة الحس والحركة والحفظ والفكر والذكر النافذة من الدماغ في شظايا الأعصاب النابتة منه الى أقاصي البدن ومنهم من قال أجزاء هذا البدن على قسمين بعضها أجزاء أصلية باقية من أول العمر الى آخره من غير أن يتطرق اليها شئ من التغيرات والاختلال والزيادة والنقصان وبعضها أجزاء عارضية تبعية تارة تزداد وتارة تنتقص فالنفس والشئ الذى يشير اليه كل أحد بقوله أنا هو القسم الاول قال الامام فخر الدين وهذا القول اختيار المحققين من المتكلمين وبهذا القول يظهر الجواب عن أكثر شبهات منكري البعث والنشور اه وقال بعض المحققين النفوس جواهر روحانية ليست بجسم ولا جسمانية لا داخلة البدن ولا خارجة عنه لا متصلة به ولا منفصلة عنه لها تعلق بالأجساد تشبه علاقة العاشق بالمعشوق وهذا القول ذهب اليه أبو حامد الغزالي في بعض كتبه ونقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ وما رأيت للنفس مثالا أحسن من هذا ويقال ان بعض المتكلمين سئل عن الروح والنفس فقال الروح هي الريح والنفس هي النفس فقال له السائل فعلى هذا اذا تنفس الانسان خرجت نفسه واذا ضرط خرجت روحه فانقلب المجلس ضحكا وهذه مسئلة عظيمة تجاذب الأدلة فيها وتعارض وتصح البراهين فيها وتتعارض وما أقول فيها الا ما نطق به القرآن الكريم من قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فقد اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا وتمسكوا فيه بأدلة تؤيد من كل مذهب ما ادعاه أربابه وجزم بأنه الحق قال الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن الزملكاني في مصنف له قال القاضي عياض ما معناه اختلف الناس في الروح اختلافا كثيرا لا يكاد ينحصر فقال كثير من أرباب المعاني وعلم الباطن والمتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه اه قلت ولله در أبي الطيب اذ يقول

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ※ الا على شجب والخلف في الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة ※ وقيل تشرك جسم المرء في العطب

ومن تفكر في الدنيا ومهجتها ※ أقامه الفكر بين العجز والتعب

والقاضي الفاضل حيث يقول

والشعر ثوب طلت عنه وربما ※ تتعثر الشعراء في أذياله

سهل على الأسماع لا الاطماع في ※ تقريب مطمعه وبعد مناله

كالروح تدركه العقول بفعله ※ ويصل عنه الفكر في تجواله

رجع الآمال جمع أمل وتقدم الكلام عليه أرقبها أرصدها الدهر تقدم الكلام عليه فسحة الأمل فسحة الشئ سعته ومكان فسيح ومجلس فسيح اذا كان واسعا (الاعراب أعلل) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنا (النفس) منصوب لانه مفعول به (بالآمال) الباء هنا للتعدية وهي متعلقة باعلل والجار والمجرور في موضع نصب (أرقبها) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضمير في موضع نصب لانه مفعول به وهو يعود الى الآمال والجملة في موضع نصب على الحال تقديره أعلل النفس بالآمال مرتقبا لها (ما) هنا هي التي للتعجب وقد تقدم الكلام على تقسيمها وهي هنا على مذهب سيبويه نكرة غير موصوفة فهي في موضع رفع على الابتداء وساغ الابتداء بها

ترنا والعيون ترمقه
تخرج منه مواضع القبل
أفرغ في قالب الجمال فما
يصلح الا لذلك العمل
وقوله أيضا وقد هجا بعضهم
فسمع منه ما لا يرضيه فقال
ما أنت بالحر فيلحى ولا
بالعبد يرجى نفعه بالعصا
فرحمة الله على آدم
رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدري أنه خارج
مثلك من احليله لاختصى
وأما قوله في أمر الزهد فأنشد
تو ماهذين البيتين يقول
ألا رب وجه في التراب عتيق
ويا رب حسن في التراب رقيق
اذا اختبر الدنيا لبيب
تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق
وقوله من أبيات رثى بها
الامين وكأنها مطولة والله
أعلم
طوى الدهر ما بيني وبين
محمد
وليس لما تطوي المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت
وحده
فلم يبق لي شئ عليه أحاذر
(والمعنى يقول أبي تمام
فلو صورت نفسك لم تردها
على ما فيك من شرف الطباع)
هذا البيت لابي تمام من
قصيدة مطولة ستأتي ان شاء
الله تعالى في آخر ترجمته وهو
حبيب بن أوس بن الحرث

لانها في تقدير التخصيص والمعنى شئ عظيم مثل شر أهر ذا ناب وجملة (أضيق) خبر المبتدأ
واختلف في أفعل التعجب فقال قوم انه فعل لانه تدخله نون الوقاية تقول ما أكرمني وهي مما
يدخل على الافعال وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون انه اسم لانه يصغر وأنشدوا
على ذلك

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا * من هؤلاء بين الضال والسمر

ومذهب البصريين أقوى لادلة ذكرت في مواطنها وللتعجب صيغتان وهما أفعل وأفعل
به تقول ما أكرمه وأكرم به وهاتان الصيغتان ممنوعتان من الصرف والبناء على غير هذه
الصيغة التي جعلت لهما ولا يبنيان من فعل زائد على الثلاثة وأجاز سيبويه بناءه من أفعل
كقولهم ما أعطاه للدرهم وما أولاه للمعروف ولا يبنيان من غير متصرف كنعم وبئس ولا من
فعل لا يقبل التفاوت نحو مات وفني لانه لا مزية فيه لفاعله بل فاعلوه متساوون فيه ولا من فعل
ملازم للنفي نحو ما عاج زيد بهذا الدواء أي ما انتفع به لانه لم يستعمل الا في النفي ولا من فعل
اسم فاعله على أفعل وهذا يجئ في الالوان والعاهات نحو سود فهو أسود وخضر الزرع فهو
أخضر وعرج فهو أعرج وحول فهو أحول لان فعل هذين أكثر ما يجئ بزيادة اللام على
وزن أفعل نحو احمر واخضر واعور واحول فان أردت التعجب منهما قلت ما أشد سواده
وبياضه وما أشد عرجه وحوله ولا يبنيان من فعل مبني للمفعول نحو ضرب لئلا يلتبس التعجب
منه بالتعجب من فعل الفاعل قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك ولو كان الالتباس مأمونا
مثل أن يكون الفعل لازما للبناء نحو وقص الرجل وسقط في يده لكان فعل التعجب منهما
خليقا بالجواز اه وقد دارت هذه المسئلة أعني ضرب زيد وبناء التعجب منه بين أبي جعفر
النحاس وبين أبي العباس بن ولاد وجرى بينهما بحث طويل نقض كل منهما كلام الآخر
وبعث كل منهما الى ابن بدر النحوي ببغداد فمال مع أبي العباس على أبي جعفر وكأنه ارتشى
وقال أبو القاسم الشاطبي وقد وقفت على هذه المسائل فأبو جعفر يسلك في كلامه طريق النحاة
وأبو العباس لذ كاه ذكر ذلك علم الدين السخاوي في سفر السعادة وفيما دار بينهما فوائد
جمة (رجع الدهر) منصوب على التعجب وهو فاعل في المعنى فعل الفعل المتعجب منه ولكن
دخلت عليه همزة النقل فصار الفاعل مفعولا كأنك قلت شئ عظيم ضيق الدهر (لولا)
حرف يمتنع به الشئ ٣ لامتناع غيره وهي هنا امتناعية وقد تكون تحضيضية كقوله تعالى
لولا أخرتني الى أجل قريب وحكى أبو جعفر النحاس أنها تكون نافية في مثل قوله تعالى فلولا
كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها أي فما كانت وهي عند الناس هنا للتحضيض وقيل انها
مركبة من لو ولا (فسحة الامل) فسحة مبتدأ ومنهم من قال يرتفع ما بعد لولا بفعل مضمر تقديره
لولا حضر أو وجد وليس بشئ ومنهم من قال ارتفع بلولا وليس بشئ أيضا لان لولا غير مختصة
والخبر هنا محذوف لان المبتدأ اذا وقع بعد لولا حذف خبره وتقديره لولا فسحة الامل موجودة
وانما يحذف الخبر بعد لولا للعلم به لانك تقول لولا زيد لزرتك أي لولا زيد مانع او موجود قال
الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى على ما قاله الجماعة يكون بيت المعري لحنا وعلى
ما قاله الرماني وهو الصحيح لا لحن فيه اه قلت أما بيت المعري فهو قوله

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

الطائي الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة أقول بأنه ولد في سنة تسعين ومائة ومات في سنة ست وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بقرية يقال لها جاسم وهي من أعمال حوران من بلاد دمشق وكان أبوه نصرانيا وكان اذ ذاك أبو تمام بمصر القاهرة في حداثته يسقي الماء بالمسجد الجامع ثم جالس الادباء وأخذ عنهم من النظم والنثر والادب والفضل ما لا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء وأصحاب الفضل ولم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره في العصر وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سر من رأى بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده بقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه حدث علي ابن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها فبينما أنا في جمعة من تلك الجمع

٣ (قوله لامتناع غيره) صوابه لوجود غيره اه

قال

قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قالوا حذف خبر المبتدا بعد لولا واجب لان ما فى لولا من معنى الوجود دل عليه وقال ان كان الخبر معلوما وجب حذفه كما قال النحاة وان كان مجهولا وجب ذكره فانا اذا قلنا لولا زيد لا كرمتك ان اردنا لولا زيد حاضر او موجود او غير ذلك مما يدل عليه قوة الكلام وجب الحذف كما ذكرتم للدلالة عليه وطول الكلام وان اردنا به لولا زيد يلبس كذا او يركب كذا او يفعل فعلا ليس فى اللفظ دلالة عليه وجب ذكره حينئذ والا كان فى حذفه تكليف السامع علم الغيب وانشد على ظهور الخبر قول الشاعر * فوالله لولا الله لا شئ غيره * وقوله ايضا * فوالله لولا الله تخشى عواقبه * وابياتا غير ذلك اه ما حكاه ابن النحاس وقال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك فى شرح التسهيل وجب حذف خبر لولا الامتناعية لانه معلوم بمقتضى لولا اذ هى دالة على امتناع لثبوت والمدلول على امتناعه هو الجواب والمدلول على ثبوته هو المبتدا ثم قال فما بعد والمراد بالثبوت هنا الكون المطلق فلو اريد كون مقيد لا دليل عليه لم يجز الحذف نحو لولا زيد سالمنا ما سلم ولولا عمرو عندنا لهلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديث عهد بكفر لاسست البيت على قواعد ابراهيم فلو اريد كون مقيد مدلول عليه جاز الاثبات والحذف نحو لولا انصار زيد حموه لم ينج فخموه خبر مفهوم المعنى فيجوز اثباته وحذفه ومن هذا القبيل قول المعرى وانشد البيت ثم قال وهذا الذى ذهب اليه الرمانى وابن الشجرى والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس ومن ذكر الخبر بعد لولا قول ابى عطاء السندى

لولا ابوك ولولا قبله عمر * القت اليك معد بالمقاليد

اه كلامه وفى حذف خبر لولا قال السراج الوراق ومن خطه نقلت

كم أناديك مفردا علما ار * فعه عالما بشرط المنادى

وجوابى يا لغى يحاكى للولا * خبر الوأتوا به ما افادا

وذكرت ببيت أبى العلاء المعرى قول ابن المعتز

يكاد يجرى من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

وقوله ايضا يصف فرسا

يكاد أن يخرج من اهابه * اذا تدلى السوط لولا اللبب

وقول أبى الشيص فى مثل هذا

لولا التمنطق والسوار معا * والحجل والدملوج فى العضد

لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

وأخذ أبو الطيب هذا ديباجا منقوشا وأعاده ساجا مخدوشا فقال

ترفع ثوبها الارداف عنها * فيبقى من وشاحيها اشسوعا

اذا ماست رأيت لها ارتجاجا * له لولا سواعدها نزوعا

وأخذه أيضا كمال الدين على بن النبيه تبرا وأعاده درا فقال

لها معصم لولا السوار يصده * اذا حسرت أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول الآخر

لها من الليل البهيم طرة * على جبين واضح نهاره

ودعبل وابن أبى الشيص وابن أبى فنن والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم بعضا أبصرت شابا فى أخريات الناس جالسا فى زى الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع انشاده التفت الشاب الينا وقد قال سمعت انشاد كم منذ اليوم فاسمعوا انشادى فقلنا هات فأنشد

* فحوالك عين على * نجوالك باندل *

ثم مر فيها منشدا حتى اتى الى قوله

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد ابو الشيص عند هذا البيت خنصره ثم مر فيها الشاب الى ان اتى على آخرها ثم انشد قصيدة اخرى فقلنا له ايها الشاب لمن هذا الشعر فقال لمن انشدكموه قلنا ماله ناشدناك الله من تكون فضحك وقال انا ابو تمام الطائى فرفعنا مجالسه حينئذ وعظمناه تعظيما كبيرا واشتد اعجابنا به لدماثة اخلاقه وفصاحة منطقه وجود شعره ثم انى ما عرفت عقد خنصر ابى الشيص هل كان اعجابا به مما سمع فى البيت من البديع المرقص او اخذا عليه فى اسكان الياء فى قوله حتى ظننت قوافيه اعنى من لفظة قوافيه وهى ضرورة

ومعصم يكاد يجرى رقة * وانما يعصمه سواره

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى شمس الدين محمد بن المحدث لوالده عز الدين بن عبد الرزاق

قالت وقد صرت كطيف الخيال * كيف ترى فعل الدمى بالرجال
وسددت سهما الى مقتلى * تقول هل فيك لدفع النصال
رقيقة الجسم فلولا الذى * يمسكه من قسوة القلب زال

(المنى) أمنى النفس وأعللها برقبة الآمال وانتظار بلوغها وادراكها فيتسع لها ما ضاق عليها من الدهر أو من العيش ثم قال ما أضيق الدهر لولا ان فسحة الامل توسعه وفى الآمال راحة للنفوس قال صلى الله عليه وسلم الامل رحمة لامتى لولا الامل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا ومن هنا قال الحسن لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته خربت الدنيا وقال ابن المعتز فيما أظن نعم الرفيق الامل ان لم يبلغك فقد آنسك واستمتعت به والاصل فى هذا قول ابن ميادة

أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظما بردا
منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وما أحسن قول القاضى الفاضل وقد وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلا منى وكل امرئ أمانيه تليق بعاليه قيل للامام أحمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لبعض الوراقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا اريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لى خالقى تمن * قلت له سائلا بصدق
اريد فى صبح كل يوم * فتوح خير يأتى برزق
كف حشيش ورطل لحم * ومن خبز ونيك علق

وقال آخر

لو قيل ما تتمنى قلت فى عجل * أخا صدوقا أنيسا غير خوان
اذا فعلت جميلا ظل يشكرنى * وان أسأت تلقانى بغفران

وقيل لبعض العشاق ما تتمنى فقال اعين الرقبا وألسنة الوشاة وأكباد الحساد واخذ هذا بعضهم ونظمه فقال

قال لى عودى غداة اتونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى
قلت مقلى فيه لسان وشاة * فطعوه فيه بصنع عجيب
واضيفت اليه كبد حسود * فتمت فوقها عيون رقيب

وقال آخر

عندى لكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
اشوى قلوب الحاسدين بها وألـ * ـسنة الوشاة وأعين الرقباء

وقيل لبعض الاعراب ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب وقال

جائزة عند الشعراء ثم ترقت حال ابى تمام وتموّل بالمال الجزيل حتى عاد الى بلده فضرب خياما واظهر نعمة واثاثا فخرجت امرأة من بعض احياء العرب ومعها اختها يستقيان فتأملته زمانا ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل قالت لا والله قالت بلى والله أنا أعرفه قالت ومن هو قالت انه والله أقيبرع جاسم فلما سمع ما قالت النسوة رحل من وقته وساعته وعاد الى الموصل فما زال بها الى أن مات رحمة الله تعالى عليه * وحكى البحترى قال دخلت على سعيد بن اسلم الطائى فانشدته قصيدتى فى مدحه التى أولها أفاق صب من هوى فافيقا والى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل على ذلك الشخص وقال أما تستحى ان تنتحل شعرى وتنشده بحضورى ثم مر فى القصيدة فانشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت الى وقال يا ابن أخى قد كان فى الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل انه أبو تمام الطائى فلما بعدت لحقنى الحاجب وأرنى بالعود واذا أبو تمام

الاصمعي سئل امرؤ القيس ما أطيب لذات الدنيا فقال بيضاء رعبوبه بالشحم مكروبه بالمسك مشبوبه وسئل الاعشى عن ذلك فقال صهباء صافيه تمزجها ساقيه من صوب غاديه وسئل طرفة عن ذلك فقال مركب وطي وثوب بهي ومطعم شهي قال العكوك فحدثت أبا دلف بذلك فقال

أطيب الطيبات قتل الاعادي * واختيالي على متون الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب * وحبيب يأتي بلا ميعاد

وحدثت بذلك حميد الطوسي فقال

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف مجنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

وحدثت بذلك الزبير بن عبد الله فقال ما أدري ما أقول ولكني أقول هكذا

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

اهـ قلت أخبرني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالديار المصرية سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال قرأت على أستاذنا العلامة أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الحافظ المؤرخ حفظا عن ظهر قلب الاشعار الستة ومنها ديوان طرفة ابن العبد فمن ذلك قوله فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى الأبيات الاربعة قال الشيخ أثير الدين قوله وجدك أي وسعدك والعواد الزائرون في المرض والعاذلات اللائمات والشربة هنا الخمر وكميت فيها حمرة وبياض وتعل تمزج وتزبد تصير عليها رغوة وكري عطفي والمضاف المستغيث ومجنبا فرسا قويا والسيد الذئب والغضا شجر والمتورد الذي صار لونه أحمر من دم الفرائس والدجن الغيم الذي فيه المطر والبهكنة الجارية الناعمة والمعمد الذي له العمد وأخبرني أيضا من لفظه قال أنشدنا شيخنا الشيخ الناقل النسابة حافظ المشرق والمغرب شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي يوم الاربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وثمانين بالقاهرة بقراءتي عليه قال أنشدنا الشيخ الامام العالم الصاحب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المعتزلي ببغداد ومولده بالمدائن يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة لنفسه

لولا ثلاث لم أخف صرعتي * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل في * كل مكان باذلا جهدي
وان أناجي الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وان أتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لا فتاة ولا * خمر ولا ذي ميعة نهد

وأخبرني من لفظه أيضا قال وجدت في كتاب طرف المجالسه وملح المؤانسه تأليف الكاتب الرئيس أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يحيي المرابط وقد رأيته بغرناطة مما أنشده

يضحك فاستدناني وقال ياسيدي الشعر لك وانما هذه عادتي في حفظ القصيدة من مرة واحدة ولقد نعيت الى نفسي فانه ما نبغ من قبله مجيد أو شريف الامات من كان قبله مثله أو ما سمعت قول الشاعر

اذا مقدم منا ذرا حد نابه
تخمط منا ناب آخر مقدم

فقلت بل يجعلني الله فداك ثم لزمته وكان محسنا الى الى ان مات وحكى أبو حيان قال كان لابي تمام صديق يسكر من قدحين فكتب اليه يستدعيه الى الشرب ان رأيت ان تنام عندنا الليلة فافعل * ومن محاسن شعره قوله

الى قطب الدنيا الذي لو بفضله
مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
تعود بسط الكف حتى لو انه
ثناها القبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله

وقوله ايضا

ومرحب بالزائرين وبشره
يغنيك عن أهل لديه ومرحب
يعطي عطاء المنعم المتفضل الندى
عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

وقوله ايضا

قوم اذا وعدوا اوواعدوا غمروا
صدقا وذوائب ما قالوا به فعلوا

للامام المحدث ضياء الدين أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي الظاهري وقد أخبرني عن ابن صابر الاستاذ أبو جعفر بن الزبير

لولا ثلاث هـن والله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل التوبة والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهل ود أسأل الله أن * يمتع بالبقا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت انى اتى * بل لم أكن التذ بالمحيا

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه

* أمانه لولا ثلاث أحبها * تمنيت انى لا أعد من الأحيا
فمنها رجائي ان أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وينجح لي سعيا
ومنهن صون النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشى الى بابه مشيا
ومنهن أخذي للحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أنترك نصا للرسول ونقتدى * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقلت أنا في هذه المادة على وزن أبيات ابن الحديد ورويه

لولا ثلاث هـن أقصى المنى * لم أهب الموت الذي يردي
تكميل ذاتي بالعلوم التي * تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في رد الحقوق التي * لصاحب نلت به قصدي
وان أرى الاعداء في صرعة * القيتها من جمعهم وحدي
فبعدها اليوم الذي حم لي * عندي استوى في القرب والبعد

وقد تمنى الناس كثيرا ولا مثل تمني كثير عزة في قوله

وددت وحق الله انك بكرة * واني هجان مصعب ثم نهرب
كلانا به عر فمن يرنا يقل * على حسنها جرباء تعدي وأجرب
نكون لذي مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فما ننفك نرمى ونضرب

روى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها استنشدته الابيات فلما أنشدها قالت له ويحك لقد أردت الشقاء بي أما وجدت امنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزاري حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت لراعتني وقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال آخر

تمنيت من حبي بثينة اننا * وئدنا جميعا ثم تحيى ولا أحيا
فترجع دنياها عليها وانني * بساعة ضمتها رضيت من الدنيا

يستعذبون مناياهم كأنهم
لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقوله ايضا

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري خبب الركاب ينصها
محيي القريض الى مميت المال

وقوله ايضا

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله ايضا

ليس الحجاب بمقص منك لي املا
ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله ايضا

توفيت الآمال بعد محمد
واصبح في شغل عن السفر السفر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته النصر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة
غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
كأن بني نبهان عند وفاته
نجوم سماء خر من بينها البدر
لئن ابعد الدهر الخؤون بفقده
لعهدي به ممن يحب له الدهر

وقوله ايضا

اذا فقد المفقود من آل مالك
تقطع قلبي رحمة للمكارم

وقلت

وقلت أنا

هل يكتسى المحبوب قبحا زائدا * بدلا من الحسن الذى غطاه
وأراه بالعين الذى أبصرته * كى لا أرى غيرى قتيل هواه

وقال أبو عثمان سعيد بن حميد

لا مت قبلك بل أحيا وأنت معا * ولا أعيش الى يوم تموتينا
لكن نعيش كما نهوى ونأمله * ويرغم الله فينا أنف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن موتتنا * وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصنى بانة ذبلا * من بعد ما نضرا واستسقيا حينا
فى مثل طرفة عين لا أذوق شجا * من الممات ولا أيضا تذوقينا
ثم السلام علينا فى مضاجعنا * حتى نقوم الى ميزان منشينا
فان نزل عفوه فالخلد يجمعنا * ان شاء أو فى لظى ان شاء يلقينا
اذا التظت بردتها بيننا قبل * وبرد ريق على اللوعات يشفينا
حتى يقول جميع الخالدين بها * ياليت أنا معا كنا محبينا

والاصل فى هذا قول بعضهم

وليت سلمى فى المعاد ضجيعتى * هنا أو هنا فى جنة أو جهنم

وأبان العباس بن الاحنف عن غلطة لم تعهد منه فى عشقه حيث قال

ألا ليتنا نعمى اذا حيل بيننا * وتنشأ لنا أبصارنا حين نلتقى
أضن على الدنيا بطرفى وطرفها * فهل بعد هذا من فعال لمشفق

ولم يرح مع محبوبه رأسا برأس حتى يدعى ان هذا غاية ما يكون من الاشفاق ومن البر ما يكون عقوقا وأما الدعاء على المحبوب فهو كثير ومن أحسن ما فى هذا الباب قول بعضهم

يا ذا الذى كل يوم * يزيد عقلى خبالا
ولهفتى فيه حتى * أعاد رشدى ضلالا
أدعو عليك وقلبى * يقول يارب لالا

وقول الآخر من موشحه

شكوت مالى اليه * فلم يرق لذلى
فقلت لامت حتى * أراك فى العشق مثلى
وقلت فى السر منه * يارب لا تستجب لى

وهو مأخوذ من قول الآخر

أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا أزال الله عمرى * أو يرينى بك ما بى
رب فاجعل له دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبى ان يرى قلبك فى مثل عذابى

وقول الآخر

ولا بد الى أنه غير زائرى * وان هواه ليس عنى بمنجلى

ألم تر بالايام كيف فجعننا
به ثم قد شاركننا فى المآتم
رواكد تقصى الكف من متناول
وفيها علال ترتقى بالسلالم
بنى مالك قد نبهت خامل الثرى
قبور لكم مستشرفات المعالم

وقوله ايضا

ورأت شحوبا رابها فى جسمه
ماذا يريبك من جواد مضمر
عفت به الايام حتى انها
لتكاد تفقؤه عيون المقدر

واكثر شعر ابى تمام مختار وهو فى الشهرة كابى الطيب فيكفى من شعره هذا القدر وما أذكر فى هذا الشرح من بعض هذه التراجم التى هى من باب لزوم ما لا يلزم الالما يتضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه وأما القصيدة التى منها البيت المذكور أبو تمام بسببه فهى هذه

خذى عبرات عينك عن سماعى
وصونى ما أزلت من القناع
أآلفة الحبيب كم افتراق
أجد فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا
لموقوف على ترح الوداع
ترجع ان رأت جسمى ضئيلا
كأن المجد يدرك بالصراع
فتى النكبات ان يأوى اذا ما
أطاف به الى خلق وساع
أبن مع السباع الماء حتى
لخالته السباع من السباع

عنيت أن يهوى و يجفى اعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

وقال ديك الجن

كيف الدعاء على من جار أو ظلما * وما الكى ظالم فى كل ما حكما

لا آخذ الله من أهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما

قلت ما احقه بقولهم صار فرعون مذ كرا ليس هو الذى قتل جاريته وغلامه اللذين كان يهواهما واحرق جسديهما واخذ رمادهما وخلطه بدمهما وصنع منه برنيتين للخمر فكان يضعهما فى مجلس شرابه يمينا وشمالا فاذا اشتاق اليهما قبل كل واحدة منهما قبلة وانشد أبياته فى الجارية ومنها

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها

رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها

ثم يقبل الاخرى و ينشد أبياته فى الغلام ومنها

فقتلته وبه على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد باسره

عهدى به ميتا كاحسن نائم * والحسن يسفح دمعتى فى نحره

وقال ابو الفضل احمد بن الخازن

يا ظالمى ان للظالم مقلة ليس تغفى

حملتنى ثقل حب * اليك يشكوه ضعفى

رفقا فديتك رفقا * فبعض ذلك يكفى

واحذر اذا الليل أرخى * ذيوله رفع كفى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم ما بى * وأنت بى لا تبالى

فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى

بل عشت فى طيب عيش * تقيك نفسى ومالى

دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدا لى

وقال أيضا

فهم غالط منى فهما * جاءنى يسأل عما علما

مقسم ما بلغته عاتى * كاذب والله فيما زعما

كيف لم يبلغه عنى سقمى * وهو المهدى الى السقما

رزق المظلوم منا رحمة * ثم لا أدعو على من ظلما

ولم ادر من السابق الى هذا المعنى أهو أم الذى قال

حججى عليك اذا خلوت كثيرة * فاذا حضرت فاننى مخصوم

لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

وقال ابن منقذ

يا ظالما يعرض عنى اذا * دعوت غضبانا على ظالم

أظنه أنت والا فلم * تخشى دعائى دون ذا العالم

قلب الحزم ان حاولت يوما بأن تستطيع غير المستطاع قال المرزوقى فى شرح هذا البيت يقول ان أردت أن تقدم على ما لا يقدر عليه فاجب حزمك وعزمك واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك يؤديك الى النجح وهذا على رأى من روى قلب الحزم من التلبية ونسب بعضهم هذا البيت الى المحال فقال الحزم فى ترك طلاب ما لا يطاق فكيف يعزم على ادراكه حتى يجيبه بالتلبية وقال المرزوقى وهذا من قائله بعيد اذ معنى البيت أجب الحزم وعليك به فيما تطلب من المهمات فان الحزم يعين على كل شئ حتى على ما لا يتأتى ولا يتسهل وهذا كما يقال كل ما لا يقدر عليه خلق فاستعن فيه بكذا وكذا يريد انه مبارك السعى و يراد بذلك المبالغة فى تأتيه وقال آخر أراد أن حاولت يوما لا يدخل تحت قدرتك فأجب الحزم فانه يدعوك الى ترك طلبه وروى أيضا قلبت الحزم ومن القصيدة أيضا فى المدح أطال يدى على الايام حتى وقيت صروفها صاعا بصاع جعلت الجود لألاء المساعى وهل شمس تكون بلا شعاع ورأيك مثل رأى السيف صحت مشورة حده عند المصاع

يارب لا تسمع دعائي وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال ابن سناء الملك

أسر لطول أسري في يديه * فتغضب اذ أسر لطول أسري
سألت الله أن يملي بعشق * فأصبح عاشقا لكن لهجري

وما أحسن دعاء نور الدين علي بن سعيد المغربي

كم جفاني فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لا شفى الله طرفه من سقام * وأراني عذاره وهو سائل

وأنشدني المولى القاضي شهاب الدين أحمد بن غانم لنفسه

والله ما أدعو على هاجري * الا بأن يمعن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم في حقي

وما أحلى قول القائل

قلت لمحبوبي وقد مر بي * محبوبه كالقمر الساري
هذا الذي يأخذ لي طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

ومن الدعاء الحسن قول بعضهم

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك أو للأكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة في المجالس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

وقول ابن أبي الحديد

لا عانقتك من البرية كلها * الا بدالمنى وبند قباك
كلا ولا رشفت رضابك بعدما * قد ذقته شفة سوى المسواك

ونقلت من خط شمس الدين محمد بن التلمساني

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الأعطاف فينا * وان جارت على قلبي الطعين

وقال أيضا

أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالي
وأسبغ ظل أغصان التداني * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال

(رجع) وقد أخذ العماد الكاتب قول الطغرائي فقال

وما هذه الأيام الا صحائف * نؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق
ولم أر شيأ مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر دواد

ولو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك من كرم الطباع

(والمراد بقول أبي الطيب ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها)

هذا البيت لأبي الطيب المتنبي وقد تقدم ذكره وانما أذكر ههنا محاسن القصيدة التي منها هذا البيت وهي قصيدة يمدح بها محمد بن أحمد بن عمران التي يقول في أولها

شرب محاسنه حرمت ذواتها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها
ثبت الجنان كأنني لم آتها
ومقانب غادرتها بمقانب
أقوات وحش كن من أقواتها

يعني كم جيش لقيته بجيش حتى اقتتلوا وصاروا قوتا للوحش بعدما كان الوحش قوتا لهم في الصيد وفي هذا المعنى خلل لان الوحش الذي يقتات القتلى لا تقتاته الفرسان في الصيد

أقبلتها غرر الجياد كأنما
أيدي بني عمران في جبهاتها

يعني وجهت الخيل قبل وجوه هذه المقانب وهي غر فكان بياض أيدي بني عمران الممدوحين في جبهاتها وان كان أراد ببياض أيديهم اللون فليس فيه كبير معنى وان كان أراد بالأيدي النعم فهو مدح وان كان من باب

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحي من زمن
وانما طرف آمالي به مرح * يجري بوعد الاماني مطلق الرسن

وقال ابن خفاجة الاندلسي

وليل اذا ماقلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا أن أضاحك ساعة * ثغور الاماني في وجوه المطالب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب * لاعتنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

فبت أراعي النجم حتى كأنما * بناصيتي حبل الى النجم موثق
وما طال ليلي غير أني بوعدها * أعلل نفسي بالاماني فتعلق

قلت الاول مأخوذ من قول أبي الطيب

بعيدة ما بين الجفون كأنما * عقدتم أعالي كل جفن بحاجب

وعكس ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال

فلا تجعلني كالذين رأيتهم * ومن يجعل الاقدام فوق الذوائب
اذا أبصروني نكسوا فكأنما * شواربهم معقودة بالحواجب

وقال الآخر في المعنى

في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض ما لا يكون

وقال أبو طالب المأموني

لي في ضمير الدهر سر كامن * لا بد أن تستله الاقدار

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت اني وما أراك أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني فيك باشراق ذا وبهجة ذاكا

ومن هنا أخذ الوليد بن زيدون قوله

أما مني قلبي فانت جميعه * يا ليتني أصبحت بعض مناكا
يدني مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فاكا

والحاجري أخذ من هنا قوله أيضا

يمثلك الشوق الشديد لناظري * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وما أحسن قول شهاب الدين أحمد بن الخيمي

لولا الرجاء بميعاد اللقاء وفي * قضيت قبل انقضاء يوم النوى أسفا
فالقيت سلوا بعد بعدهم * لولا مداواة قلبي بالمنى تلفا

وقال رزين من شعراء الذخيرة

لاسرحن لواحظي * في ذلك الروض النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال آخر

تشبيه العرض بالجوهر

العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها كان ينبغي أن يقول والراكب جدودهم أماتها وانما حمله الضرورة على وجه ضعيف في قولهم أكلوني البراغيث قال الواحدي والذي ذكره الناس في معنى هذا البيت أن هذه الخيل تعرفهم ويعرفونها لانها من نتائجهم تناسلت عندهم فجدود الممدوحين كانت تركب أمهات هذه الخيل وسياق الابيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لا خيل الممدوحين وهو قوله أقبلتها غرر الجياد واذا كان كذلك لم يستقم المعنى الا أن يدعي مدع انه قاتل على خيل الممدوحين وانهم يعطون الخيل للشعراء والذي يزيل الاشكال ان يقال الجياد اسم جنس ففي قوله غرر الجياد أراد خيل نفسه وفيما بعده أراد خيل الممدوحين والجياد يعم الخيلين جميعا ثم قال فكأنها نتجت قياما تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها ان الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها عجباله حفظ العنان بانمل ما حفظها الاشياء من عاداتها لو مر يركض في سطور كتابة أحصى بحافر مهره ميماتها

علليني بوعد * وامطلي ما حييت به
ودعيني أفوز منك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظى فينتبه

وما أحلى قول علم الدين ايدمر المحيوى

كم لديناه ما لينا * قد حوت محكم العمل
فارغات من الدنا * نير ملاى من الأمل

اخذ المعنى من الاول وعكسه وهو

وأن رجاء كامنا فى نواله * لكالمال فى الاكياس تحت الخواتم

وقال أبو اسحق الغزى

ذرانى وأوهام المطامع فاننى * تقوم نساياها مقام نقودها
ولو حصل الانجاز لم يبق مطمع * وجود اشتعال النار داعى خمودها

وقال صاحب كتاب الجليس والانيس كتب رجل الى الحسن بن وهب يستمنحه وكان مضيقا عليه فكتب اليه الحسن

الجود طبعى ولكن ليس لى مال * فكيف يصنع من بالقرض يحتال
وشهوتى فى العطايا وانبساط يدى * وليس ما اشتهى يأتى به الحال
فهاك خطى فذرنى ليس لى نشب * وحيث يمكن احسان فافضال

ومن الناس من يروى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب البيت الاول من هذه الابيات وبعده

فهاك خطى الى أيام ميسرتى * يشهد على فلى فى الغيب آمال

وما علم هؤلاء المكارم على هذه الصورة الاسعيد بن العاص فانه كان اذا سأله سائل ولم يكن له مال حاضر ولا عنده ما يعطيه قال اكتب على سجلا الى أيام ميسرتى وقال مؤيد الدين الطغرائى

فصبرا معين الملك ان عن حادث * فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسن من صنع ربك اننى * ضمين بان الله سوف يديل
ألم تر ان الليل بعد ظلامه * عليه لاسفار الصباح دليل
وان الهلال النضو يقمر بعدما * بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما * يمر به نفح الصبا فيميل
ولا تحسبن السيف يقصف كلما * تعاوده بعد المضاء فلول
فقد يعطف الدهر الأبى عنانه * فيشفى عليل أو يبل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما * تساقط ريش واستطار نسيل
ويستأنف الغصن السليب نضارة * فيورق مالم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللحظ من بعد الذهاب قفول

وكتب أبو اسحق الصابى الى الشريف الرضى

أبا حسن لى فى الرجال فراسة * تعودت منها أن تقول فتصدقا

يعنى أنه لفروسيته وحسن تصرفه فى الخيل فى الكر والفر لو ركض بفرسه فى طرس مكتوب وأراد أن يمحى بحافر مهره الميمات لفعل وخص الميمات لانها أشبه بالحوافر وأدق من العينات التى هى أيضا تشبه الحوافر وأكثر وجودا فى الحروف وخص المهر لانه أشغب من غيره

لاخلاق أسمع منك الاعارف بك راء نفسك لم يقل لاتهاتها راء مقلوب رأى ومثله ناء ونأى اعيا زوالك عن محل نلته لا تخرج الاقمار عن هالاتها ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها

(فكدمت فى غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت فى غير ضرم) (الكدم) العض (والمكدوم) موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيأ لا يتمكن منه وفى بعض النسخ كرمت بالراء وهو خطأ (والورم) الانتفاخ يقال ورم يرم (والسمن) ضد الهزال مأخوذ من قول المتنبى

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وكذلك قوله نفخت فى غير

وقد خبرتني عنك انك ماجد * سترقى من العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه * وقلت أطال الله للسيد البقا
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها * الى أن أرى اظهارها لى مطلقا
فان مت أو ان عشت فاذكر بشارتي * وأوجب بها حقا عليك محققا
وكن لى فى الاولاد والأهل حافظا * اذا ما اطمأن الجنب فى موضع اللقا

فأجابه الشريف بأبيات أولها

سننت لهذا الرمح عضبا مذلقا * وأجريت فى ذا الهندوانى رونقا
لئن برقت منى مخايل عارض * لعينك يقضى أن يجود و يغدقا
فليس بساق قبل ربعك ربعا * وليس براق قبل جوك مرتقى
فان راشنى دهرى أكن لك بازيا * يسرك محصورا و يرضيك مطلقا
أشاطرك العز الذى استفيده * بصفقة راض ان غنيت وأملقا
فتذهب بالشطر الذى كله غنى * وأذهب بالشطر الذى كله شقا
وتأخذ منه ما أنام وما حلا * وآخذ منه ما أمر وأرقا
فان فلف التعجيل قبل أوانه * أعضك به وجها من الود مونقا
وان تعطنى الاعظام قولا فاننى * سأعطيك فعلا منه أذكى وأعبقا
لعل الليالى أن يبلغن منية * ويقرعن بى بابا من الحظ مغلقا
نظار ولا تستبط عزمى فلن نرى * علوقا اذا ما لم تجد متعلقا

قلت واستمر الود بينهما وهما طرفا نقيض أبو اسحق صابئى يعبد الكواكب والرضى شريف نقيب الاشراف وكانت هذه الوظيفة ببغداد اذذاك تناهز رتبة الخلافة الا أن أبا اسحق كاتب الانشاء عند الخليفة عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ولما توفى الصابئى رثاه الشريف الرضى بتلك القصيدة الدالية المليحة التى أولها

أرأيت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادى

واعتبه الناس على رثائه فقال انما رثيت فضله وله فيه غير هذه القصيدة ويقال انه لما رأى قبره رجل له وأخذ ابن شمس الخلافة قول الصابئى وأضمرت منه لفظة لم أبح بها البيت فقال فى الصاحب صفى الدين بن شكر رحمهما الله تعالى

مدحتك ألسنة الأنام مخافة * وتقارضوا لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى * حتى أعيش الى انطلاق الألسن

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعرى ما العذر لولا قضاء الله في رزقه وفى حرمانى
ولقد كدت أن أهيم بحمل الشهم لولا تعللى بالأمانى

وقال أيضا

حسب الفتى حسن الأمانى انه * لا يعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى

لى حبيب لو قيل لى ما تمنى * ما تعديته ولو بالمنون

ضرمه وما أخوذ من قول عمرو بن معدى كرب حيث قال

ولو نار نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ فى رماد

وسيأتى ذكر عمرو فيما بعد والمعنى ان هذه المرأة احتالت ولم تتم على شئ من حيلها

(ولم تجد لريح مهزا ولا لشفرة محزا)

(الهز) التحريك الشديد كأنه قال لم تجد لريح كلامها يعنى المرأة المرسلة ما يهز ويستمال وكذلك الشفرة احتيالها ما يحز وما يقطع

(بل رضيت من الغنيمة بالاياب)

هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه فى مطلبه وهو من بيت لامرئ القيس ابن حجر بن الحرث من بنى آكل المرار وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب ابنى وائل وكان أبوه حجر ملكا من ملوك العرب بتهامة والحيرة وله أتاوة على بنى أسد وغطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر أنفة منه ثم قتل ونهض امرؤ القيس يطلب ثاره فى خبر طويل وقال ضيعنى صغيرا وحملنى عناءه كبيرا ثم قتل جماعة من بنى أسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر فاستنجده

أشتهي أن أحل في كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال آخر

أعلل بالمنى قلبي لعلي * أفرج بالأماني الهم عني

وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمني

وهذا الشاعر أسرحشوا في كلامه حتى جاء الآخر فحله وترجم وصرح بالمراد وما تكتم حيث قال

اذا ما عن ذكرك في ضميري * وقابلني محيالك الجميل

أصبر لفرط أشواقي أبورا * لعلي أن أنيكك مستحيل

وهذا يشبه ما أنشدنيه لنفسه اجازة المولى صفي الدين الحلي ومن خطه نقلت

اذا صد الحبيب بغير ذنب * وقاطعني وأعرض عن وصالي

أمثله وأنكحه عند صلحي * بأير الفكر في ثقب الخيال (ى)

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف الصوفي وقد مات للشيخ شمس الدين الدهان مملوك كان يحبه

لئن مات يادهان مملوكك الذي * بلغت به في الفسق ما كنت ترتجي

فمثله بالاصباع شكلا وقامة * وخصرا وردفا ثم عاينه وأصلج

ومن أبيات منحولة لأبي نواس

مازلت أدخله فيه وأخرجه * منه وأدخله فيه وأخرجه

وماتذكرت ذاك الليل من شبق * الا وأمسكت ايري ثم أصلجه

ومن ترقب الآمال ولع وانتظر وعد الاماني فنجح ومال به ميزان الدهر فرجح وملك البلاد وفتح وأسقى الأرواح بأشطان الرماح ومنح أبو مسلم الخراساني يقال انه قتل ستمائة ألف نفس وأبو عبد الله الشيعي القائم بدعوة الفاطميين وابن تومرت يقال انه رأى في حائط مسجد في بلاد الصعيد سب الصحابة رضي الله عنهم وهو مكتوب فقال ما هذه بلاد اسلام ونظم في الوقت فقال

ذرني وأشياء في نفسي مخبأة * لألبسن لها درعا وجلبابا

والله لو ظفرت نفسي ببغيتها * ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبى

حتى أطهر هذا الدين من دنس * وأوجب الحق للسادات اتجابا

وأملأ الأرض عدلا بعدما ملئت * جورا وأفتح للخيرات أبوابا

وان كانت الاماني حمدت فقد ذمت وكرهت قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التي رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كاني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح فقال له أنت رجل تكثر الاماني ويقال ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا وأشتري به كذا ثم أبيعه فأكسب فيه كذا فيكثر مالي ويحسن حالي وأخطب بنت الحجاج فأتزوجها فتلد لي ابنا وأدخل اليها يوما فتناصيني فاضربها برجلي هكذا ومد رجله فكسر البستوقة فقرع الحجاج الباب ففتحه وضربه خمسين سوطا وقال له أليس لو ضربت ابنتي هكذا لفعقتني فيها وقد سد ابن المعتز باب المنى وأغلقه وأعدم الحاوي بهجته ورونقه وقطع

ومات مسموما في طريقه في قصة معروفة وسمي الملك الضليل لانه أضل ملك أبيه وذا القروح لان قيصر أرسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات فأما شعره فهو الذي لا ينازع في تقديمه وهو امام المتقدمين حقيقة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

سما لك شوق بعدما كان أقصرا

وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

أشيم مصاب الحزن أين مصابه

ولا شئ يشفي منك يا ابنة عفزرا

من القاصرات الطرف لو دب محول

من الدر فوق الاتب منها لاثرا

يعني لو دب الصغير من الذر على ثوبها لاثر في جسدها ولم يرد بالمحول ما بلغ الحول وانما أراد ماهو لصغره بمنزلة الحولي في الابل

فدعها وسل الهم عنك بجسرة

ذمول اذا صام النهار وهجرا

كأن الحصى من خلفها وأمامها

اذا نجلته رجلها حذف أعسرا

خص الاعسر لاختلاف رميانه

نفس الضعيف عن لذتها وان كانت بحبال الشمس معلقة حيث قال

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

وقال آخر

من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الالف

وقال محمد بن شرف القيروانى

غالف تمنوا فى البيوت أمانيا * وجميع أعمار الانام أمانى

وقال آخر

ألا يا نفس ان ترضى بقوت * فانت عزيزة أبدا غنيه

دعى عنك المطامع والامانى * فكم أمنية جلبت منيه

وقال أبو الحسين الجزار

أنا فى راحة من الآمال * أين من همتى بلوغ المعالى

لى عجز أراح قلبى من الهم * ومن طول فكرتى فى المحال

ما لباس الحرير مما أرجيه * فيرجى ولا ركوب البغال

راحة السر فى التخلف عن كل * محل أضحى بعيد المنال

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى ومن خطه نقلت

عرفت الناس عن بالى * فحبل ودادهم بالى

وحبل الله معتصمى * به علقت آمالى

ومن يسل الورى طرا * فانى ذلك السالى

فلا وجهى لذى جاه * ولا ميلى لذى مال

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر

ولى من تمنى النفس دنيا عريضة * ومنتصح يغدو على فيطرق

فقدت المنى لا تخن نلهو اعن المنى * انجربة منا ولا هى تصدق

وقلت أنا

ألا فاطرح عنك التمنى ولا تبت * بكاساته نشوان غير مفيق

وان كان مما لا غنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقلت أيضا

كم أمل لما اقتضاه الفتى * أزرى وما شدله أزرا

ما حملت نفس جنين المنى * فى الحال الا وضعت قدرا

---

*(لم ارتض العيش والايام مقبلة * فكيف أرضى وقد ولت على عجل)*

(اللغة) تقدم الكلام على الرضى فى قوله رضى الذليل وكذلك العيش والايام جمع

على لاحب لا يهتدى بمناره * اذا سافه العود النباطى جرجرا

يصف قفرا لا أعلام فيه وقوله لا يهتدى بمناره يعنى ليس فيه منار يهتدى به لا أن فيه منارا الا انه لا يهدى والعود الجمل البالغ تمام سنه وسافه اذا شمه وجرجر اذا حن وعادة الابل أن تشم الارض التى لا تعرفها فتحن لعلمها ببعد المسافة ومنها قوله

ألا رب يوم صالح قد شهدته * بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

ولا مثل يوم فى قدار ان ظلته * كانى وأصحابى على قرن اعفرا

اختلف المفسرون فى هذا البيت فقال بعضهم وصف اليوم بالشدة ونفسه بالقلق والاضطراب فيه حتى كانه وأصحابه من عدم الاستقرار مقيمون على قرن ظبى وقال بعضهم بل وصف أمنا كان فيه وسرورا ونعما لانه قال قبل البيت ألا رب يوم صالح والمعنى انه كان على مكان مشرف عال فشبهه لارتفاعه بقرن الظبى وانما خص قرن الظبى لانه أعلى ما فى جسده وقصيدته اللامية التى أولها

الا عم صباحا أيها الطلل البالى

وأما القصيدة التى منها

يوم أصله ايوام فادغم مقبلة الاقبال ضد الادبار واقبل عليه بوجهه اذا التفت اليه وصرف نحوه بصره ولت أدبرت على عجل على سرعة قال تعالى أعجلتم أمر ربكم أى سبقتم وأما قوله تعالى خلق الانسان من عجل فقيل العجل الطين قال أبو عبيدة وهو بلغة حمير وأنشد

* والنخل ينبت بين الماء والعجل * وقال الاخفش من تعجيل ذى الامر وهو كقوله كن وعن الحسن من ضعف وقيل على القلب معناه خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار وقيل خلق الانسان عجولا وهو الصحيح لانه يدل على المبالغة كما يقال للذى هو حاد نار تشتعل والعرب تقول ماهو الا اقبال وادبار وماهو الا أكل ونوم للذى يكثر اقباله وادباره وأكله ونومه ويؤيد هذا القول قوله تعالى وكان الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل أى من شأنه العجلة كقوله تعالى خلقكم من ضعف وذكرت هنا قول شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه من أبيات

ان تدعنى خاليا من لوعتى فلقد * أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

(الاعراب لم) حرف يجزم الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على ذلك (ارتض) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء وابقاء ما يدل عليها وهو كسرة الضاد فان قلت لاى شئ حذفوا حرف العلة مع الجازم قلت لانه لو ترك لاشتبه المرفوع بالمجزوم فى مثل قولك هو يعطى فلما حذف حرف العلة ظهر الفرق فان قلت فما الفائدة فى هذا الفرق قلت لانه يحتاج الى ذلك فى مثل جواب الشرط اذا قلت زرنى أعطك الدراهم أو زرنى أعطيك فالاول يعلم انه جزاء والثانى يعلم أنه استئناف فقد أفاد حذف حرف العلة الفرق بين الجزاء والاستئناف وفاعل ارتض ضمير مستتر فيه تقديره انا العيش منصوب على انه مفعول به لارتض (والايام) الواو واو الابتداء والايام مرفوع على الابتداء (مقبلة) مرفوع على انه خبر والجملة من المبتدا والخبر فى محل نصب على الحال كأنه قال لم أرتض العيش فى حالة اقبال الايام (فكيف) الفاء للتعقيب وكيف اسم مبنى على الفتح والدليل على انه اسم أنه يدخله حرف الجر قالوا على كيف تبيع الاحمرين وانما بنى لانه شابه الحرف شبها معنويا لان معناه الاستفهام وأصل الاستفهام الهمزة وهى حرف وانما وضعت العرب هذه الاسماء مثل كيف وأين ومتى طلبا للاستغناء بكل منها عن تكرار الهمزة فانك لو أخذت تستفهم عن حال زيد بالهمزة لزمك أن تكررها وتقول أزيد بضعيف أزيد ناقه أزيد أرمد أزيد معافى أزيد كذا أزيد كذا والمخاطب يقول لك لا لا فلما رأوا هذا الامر يشق عليهم وضعوا كيف لهذا المعنى فمتى قلت كيف زيد لزم المخاطب أن يأتى بالجواب قولا واحدا فيقول طيب أو سقيم فلهذا بنيت هذه الاسماء التى تضمنت معنى الاستفهام وانما بنى كيف وأين على الفتح طلبا للخفة (أرضى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الالف فى آخره لانه معتل بالالف وانما كتب بالياء لانه من رضيت والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا والمفعول محذوف تقديره فكيف أرضاه والضمير يعود على العيش والمفعول كثيرا ما يحذف لانه فضلة ولانه معلوم من سياق الكلام (وقد) الواو للحال وقد تقدم الكلام عليها وقد للتحقيق وتقدم الكلام عليها أيضا (ولت) فعل ماض

نصف البيت المذكور من أجله فانه يقول فيها هذه الابيات

فبعض اللوم عاذلتى فانى
ستكفينى التجارب وانتسابى
الى عرق الثرى وشجت عروقى
وهذا الموت يسلبنى شبابى

يعنى أن مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسموت كلمات آباؤه واجداده الى آدم ثم قال

أرانا موضعين لختم غيب
ونسحر بالطعام وبالشراب
أبعد الحرث الملك ابن عمرو
وبعد الخير حجر ذى القباب
وبعد ملوك كندة قد تولوا
باكرم شيمة وأقل عاب
أرجى من طوال الدهر لينا
ولم يغفل عن الصم الصلاب
ألم أنض المطى بكل خرق
أمق الغول لماع السراب
وقد طوفت فى الافاق حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب
فارجعها فقد نقبت وكانت
لفرط الاين تركع للضراب
وأعلم أننى عما قليل
سانشب فى شبا ظفر وناب

(وتمنيت الرجوع بخفى حنين) اختلف فى حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بنى أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال يا أبا عمرو

ودخلته التاء علامة لتأنيث الفاعل لانه ضمير يعود على الايام (على عجل) يحتمل أن تكون على بمعنى في ولكنها للاستعلاء معنى وعجل مجرور بها والجار والمجرور في موضع نصب على الحال تقديره ولت الايام مستعجلة والجملة من قوله وقد الى آخر البيت في موضع النصب على الحال تقديره فكيف أرضى العيش والحالة هذه (المعنى) مارضيت بالعيش في صباى اذ كانت الايام مقبلة فكيف أرضى بالعيش وقد كبرت والايام قد ولت عنى والامر كذلك لان العيش في زمن الشبيبة أيامه في اقبال فهو غض نضر يانع فينان برده قشيب وغصنه رطيب ووصله حبيب وسهمه مصيب وله في كل لذة قسم وفي كل نعيم نصيب وما أحسن قول المعرى

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

والعيش في زمن الشيخوخة أيامه في ادبار وتوال وزوال فهو جاف ذاو ذابل مصوح هشيم ثوبه خلق وجوه غسق وأمنه فرق ويومه حرق ونومه أرق وغصنه عار من النضارة التي تكون قبل سقوط الزهر والثمر والورق ولله در منصور النميرى اذ يقول

ما كنت أوفى شبابي كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وبيت الطغرائى مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى

وما ازدهيت وأثواب الصبا جدد * فكيف أزهى بثوب من ضنى خلق

ومن قوله أيضا من رسالة له يخاطب الدنيا أسأتى غانيه فكيف بك عجوزا فانيه * أى ما انتفعت بك وأنا شاب فكيف انتفع وأنا هرم والدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها وهو حقيقة انها من أول وجود هذا النوع الانسانى الى أيام ابراهيم الخليل صلوات الله عليه تقريبا تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى أوان بعثة النبى صلى الله عليه وسلم تسمى مكتهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا والمعنى الثانى وهو مجاز أنها بالنسبة الى أول كل ملة تسمى شابة والى آخرها تسمى عجوزا بل بالنسبة الى أول كل دولة وآخرها بل بالنسبة الى كل شخص وعلى هذا يحتمل قول المعرى في مخاطبة الدنيا والا فالمعرى لم يعمر من أول وجود الدنيا وهى شابة الى أن رآها وهى عجوز حتى يقول لها أسأت الى وأنت شابة فكيف تحسنين الى وأنت عجوز فانية وانما استعمل هذا المعنى مجازا وما أحسن قول أبى الطيب

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

اراد أن يقول فساءنا ولكن الوزن ضايقه فترك ذلك اتكالا على فهم المعنى من سياق اللفظ وترتيب المعنى وقد ضمنت هذا البيت في معنى نظمته وذلك اننا كابدنا مشقة في ليلة سرنا فيها الى الاهرام من أمر التعدية صحبة المنصور السلطانى فقلت

أقول اذ نالنا في برمصر عنا * لما أتينا الى الاهرام في الظلم

أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

وقال أبو تمام

نظرت في السير اللاتى مضت فاذا * وجدتها أكلت باكورة الامم

وقال أبو العلاء المعرى

أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما أعرف فيك شمائله فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة وقال قوم كان حنين اسكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابى بخفين ولم يشترهما شيأ فغاظه ذلك فخرج وعاق أحد الخفين على شجرة في طريقه وتقدم قليلا وطرح الآخر وكمن فجاء الاعرابى فرأى احد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبه هذا الخف خفى حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ثم تقدم قليلا فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع الى أخذ الاول فخرج حنين من المكمن وأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابى الى حيه بخفى حنين وقيل كان حنين يهوديا بالخس بامرأة مسلمة حارا فقة مصر فصرعها فتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب اليس على هذا صالحنا هم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا فلما نصب على خشبته أتت امرأته وعليها خفان فقالت الان يموت فما تصنع بالخفين فأخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفى حنين لانى قلت * لقد هان من بالت عليه الثعالب) هذا نصف بيت لرجل

تمتع بأبكار الزمان بأسره * وجئنا بوهن بعدما خرف الدهر
فليت الفتى كالبدر جدد عمره * يعود هلالا كلما فنى الشهر

وقال أيضا

كأنما الخير ماء كان وارده * أهل العصور وما أبقوا سوى العكر

وقال ابن شماخ

صفا للأولى قبلي أتوا دردهرهم * ولم يصف لي مذ جئت بعدهم عبر
فجاؤا الى الدنيا وعصرهم ضحى * وجئت وعصرى من تأخره عصر

وقال ابن قاسم الحدث

لقى الناس قبلنا غرة الدهر ولم نلق منه الا الذنابى

وفى معنى قول الطغرائى قال ابن قلاقس

ما كنت أطمع فى زمان أول * فيروقنى هذا الزمان الآخر

وقال ابن الساعاتى

لم يبق فى هذه الدنيا لنا أرب * فقل سلام عليها غير محتشم
فليت ان زمانا فات دام لنا * وليت ان زمانا دام لم يدم

وقال المعرى

واذا البحر غاض عنى ولم أرو * فلا ريّ فى ادخار الثماد

وقال آخر

اذا المرء أعيته السيادة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

وقال التهامى

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * وأعجزه الفخار فلا اعتذار
اذا ما أول الخطى أخطا * فما يرجى لآخره انتصار

وما أحلى قول القائل

واذا الفتى من دهره كملت له * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
طلعت عليه المخزيات وقلن قد * أرضيتنا فكذاك كن لا تبرح
واذا رأى ابليس صورته بدت * حيي وقال فديت من لم يفلح

وقال التهامى

ذرينى أهب للجد شرخ شبيبتى * فان لم أبادرها استبدبها العمر

وقال ابن الخياط

والعجز أن أترك الاوطار مقبلة * حتى اذا أدبرت حاولتها طلبا

وعلى ذكر الشباب والمشيب فقد قيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم فقال ذهب منى الاطيبان الاكل والنكاح وبقى الارطبان السعال والضراط وقال المفضل حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور النميرى فانشده

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتنى بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع

من العرب يسمى غاوى بن ظالم السلمى وكان سبب قوله انه كان لبنى سليم صنم يعبدونه فى الجاهلية وكان غاوى سادنه فبينما هو ذات يوم جالس اذ أقبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله وبال على الصنم فقال يا بنى سليم والله ما يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع ثم أنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد هان من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم وفر فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوى بن ظالم فقال بل أنت راشد ابن عبد ربه وروى فى هذا البيت الثعلبان بكسر النون على التثنية وروى أيضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد وضرب به المثل فيمن يدعى العزو يراد به الذل

(وأنشدت
على انها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب)

هذا البيت لابى تمام المقدم ذكره فى أبيات يرثى بها غالب بن الشعرى وهى هذه

هو الدهر لا يشوى وهن المصائب

ما كنت أوفي شبابي كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

قال فتحرك الرشيد وقال أحسنت والله لايتهنأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وقال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله أنشدني لنفسه الاديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن التلعفري في رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة

ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت مني اللمة السوداء

لاتعجلن فـــو الذي جعل الدجى * من ليل طرفي البهيم ضياء

لو أنها يوم المعاد صحيفـــتي * ماسر قلـــبي كونها بيضاء

فقلت له قد أغرت على بيت نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي حتى انك أخذت معظم لفظه وجميع معناه في الوزن والروي وهو قوله

لو أن لحيته من يشيب صحيفة * لمعاده مااختارها بيضاء

اهـ وكتب الى المولى بهاء الدين أبو بكر بن غانم من طرابلس وأنا بدمشق بعد ما انقطعت عنه مكاتبتي

سبحان من غير أخلاق من * أحسن في حسن الوفا مذهبا

كان خليلا فغدا بعد ذا * لما انقضى ما بيننا طقصبا

وكان طقصب هذا صبيا حسن الوجه يحبه ويألفه وله عم يدعى خليلا ينغص الاوقات بحضوره ويقاسي منه شدة فذكرهما يعرض بهما وكتب هذين البيتين في ذيل ثلاثة اوصال ورق ولم يكتب غيرهما وختم ذلك بعنوان وجهزه الي فكتبت اليه الجواب عن ذلك

ياباعث العتب الى عبده * وما كفاه العتب اذ نديا

ومذكرى عيشا لسنا به * ثوب سرور بالهنا مذهبا

مرفلم يحل لما بعده * عيش ولم نلق الهوى طيبا

ماكل ذي ود خليلا ولا * كل مليح في الورى طقصبا

وينهي ورود المثال الكريم فقبل منه اليد البيضاء بل الديمة الوطفاء وتلقى منه طرة صبح ليس للدجى عليها أذيال وغرة نجح ما كدر صفاها خيبة الامال فلو كان كل وارد مثله لفضل المشيب على الشباب ونزع المتصابي عن التستر بالخطاب ورفض السواد ولو كان خالا على الوجنه وعد المسك اذا ذر على الكافور هجنه وأين سواد الدجى اذا سجى من بياض النهار اذا انهار وأين وجنات الكواعب النقية من الاصداغ المسودة بدخان العذار وأين نور الحق من ظلمة الباطل وأين العقد الذي كله درر من العقد الذي فيه السبج فواصل فياله من وارد تنزه عن وطء الاقدام المسوده وعلا قدره عن السطور التي لاتزال وجوهها بالمداد مربده حتى جاء يتلألأ بياضا ويتقد وأتى يتهادى في النور الذي تعتقد فيه المجوس ماتعتقد ولكن توهم المملوك ان صحف الود أمست مثله عفاء وظن بابيات العهود السالفة ان تكون لهذه المراسلة أمست من زقوم الود اخلاء

لو أنها يوم المعاد صحيفتي * ماسر قلبي كونها بيضاء

فلقد سودت حال المملوك بياضها وعدم من عدم الفوائد البهائية ما كان يغازله من صحاح الجفون مراضها وما أحق تلك الاوصال الوافدة بالافادة العائدة بزيارتها التي خلت من الجود

بالسلام

وأكثر آمال الرجال كواذب فياغالبا لاغالبا بالرزية بل الموت لاشك الذي هو غالب

وقلت أخي قالوا أخ ذو قرابة فقلت لهم ان الشكول أقارب

عجبت لصبري بعده وهو ميت وكنت امرأ أبكي دما وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

(ونخرت وبسرت وعبست وكفرت)

(النخير) صوت من الانف أكثر مايكون عند الغضب وسمي خرق الانف الذي يخرج منه النخير منخرا وفي المثل مافي الدار نخير ومنه نخرت الشجرة اي بليت فهب صوت الريح (والبسر) الاستعجال بالشئ قبل أوانه ويقال للبسر قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفي قوله تعالى عبس وبسر أي أظهر العبوس قبل أوانه (والتعبيس) قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس (والكفر) في اللغة ستر الشئ ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل في جاحد النعمة لستره اياها ولما كان يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود مطلقا

بالسلام وان لم يخل رونقها من الاجاده أن ينشدها المملوك قول البحترى أبى عباده

أخجلتنى بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالوصل حتى انني * متخوف أن لا يكون لقاء

وبقى زيادة وهذا القدر كاف

*(غالى بنفسى عرفانى بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل)*

(اللغة) غلا السعر غلاء اذا زاد عن قيمته المعهودة وغالى فاعل من المغالاة أى طلبت الغلاء فى قيمتها النفس تقدم الكلام عليها فى قوله أعالى النفس العرفان المعرفة وقولهم ما أعرف لاحد يصرعنى أى ما أعترف القيمة العوض وقيمة كل شئ ما يقابله من العوض الصون تقدم الكلام عليه فى اول القصيدة الرخيص ضد الغالى وقد رخص السعر وأرخصه الله فهو رخيص وارتخصت الشئ اشتريته رخيصا وارتخصه أى عده رخيصا القدر مبلغ الشئ مبتذل أى ممتهن والبذلة والمبذلة ما يمتهن من الثياب والتبذل ترك التصاون (الاعراب غالى) فاعل من المغالاة فهو فعل ماض والمفاعلة لا تكون الا بين اثنين كقاتل وضارب وخاصم ولكن قد تقع هذه الصيغة لغير تكافؤ كقوله تعالى يخادعون الله والخادعة ممنوعة فى جانب الله تعالى فهى فى جانب الخلق لا غير ويؤيد هذا من قرأ يخدعون الله بغير ألف وهو حمزة والكسائى وقيل فى القراءة الاولى ان ثم محذوفا تقديره يخادعون نبى الله فحذف المضاف وأبقى المضاف اليه مقامه وليس هذا بشئ لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يخادعون الناس (بنفسى) الباء للتعدية وهى متعلقة بغالى ونفسى مجرور بالباء والياء فى موضع جر بالاضافة لانها ضمير المتكلم وفتحها وسكونها لغتان فصيحتان قيل لابى عمرو بن العلاء لاى شئ قرأت وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد بسكون الياء وقرأت ومالى لا أعبد الذى فطرنى فاخترت تحريك الياء هنا وما ثم ضرورة الى تحريكها فقال لان السكون ضرب من الوقف فلو سكنت الياء هنا كنت كالذى ابتدأ وقال لا أعبد الذى فطرنى فاخترت حركة الياء هربا من ضرب من الوقف وهناك لا ضرورة تؤدى الى فساد المعنى فاخترت التسكين لانه أخف وهذا من أبى عمرو رحمه الله تعالى من دقة النظر فى المعانى اللطيفة وحكى صاحب الاغانى قال صلى الدلال يوما خلف الامام بمكة فقرأ الامام ومالى لا أعبد الذى فطرنى فقال الدلال ما أدرى والله فضحك الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالى صلاته دعابه وقال ويلك لا تدع المجون والسفه فقال له كنت عندى على انك تعبد الله عز وجل فاما سمعتك تستفهم ظننت انك قد شككت فى ربك فثبتك فقال له أنا أشك فى ربى وانت تثبتنى اذهب لعنك الله (رجع عرفانى) فاعل غالى ولم يظهر الرفع لانه مضاف الى ياء المتكلم والياء فى موضع جر بالاضافة (بقيمتها) الباء عدت عرفانى الى القيمة لانه مصدر وقيمة مجرور بالباء والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى النفس ومفعول غالى أو فاعله الآخر محذوف وهو أبلغ من اثباته لانه لو ذكره لوقف ذهن السامع عنده مع الغاية التى ذكرها فلما حذفه تلعبت به الظنون ورمت به فى كل واد فتارة تقول غالى الدهر وتارة تقول الناس وتارة تقول المفاخر له وتارة تقول الجادل وغير ذلك (فصنتها) الفاء للتعقيب وصنت فعل ماض وفاعل وهو التاء المضمومة والضمير فيما بعد ذلك يعود على النفس وهو فى موضع نصب على انه مفعول به

فيقال الكافر لمن جحد الوحدانية وما أشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل ما يذم عليه فيسمى كفرا وقد يعبر أيضا بالكفر عن التبرئ من الشئ كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى فى قول ابن زيدون انى غضبت الى أن فعلت ما فعلت وانى تبرأت منك

(وأبدأت وأعدت وأبرقت وأرعدت)

يعنى كررت ما يسيئك ذكره وأصل البرق لمعان السحاب والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال أرعد فلان وأبرق اذا هدد وكان الاصمعى ينكر قولهم فى ضرب المثل يعنى أبرق وأرعد قال مهلهل

أبرقوا ساعة الهياج وأرعد * نا كما ترعد الفحول الفحولا

(وهممت ولم أفعل وكدت وليتنى)

يعنى هممت بقتل هذه المرأة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا تقديره لكان هذا

(عن رخيص القدر) عن حرف جر وهى للمجاوزة ورخيص مجرور بها والقدر مجرور بالاضافة اليه (مبتذل) مجرور على أنه صفة لرخيص فان قلت رخيص مضاف فهو معرفة ومبتذل نكرة فكيف يجوز وصف المعرفة بالنكرة قلت هذه الاضافة لفظية وهى فى نية الانفصال كأنه قال رخيص قدره والاضافة اللفظية لا تخصص بل تترك المضاف على تنكيره وانما دخلت الاضافة طلبا للخفة فى التركيب والحلاوة فى الكلام (المعنى) ان عرفانى بنفسى يغالى الزمان أو الورى بقيمتها فهو يسوم العوض عنها وما يجد لها كفؤا فى القيمة من الناس فلهذا أصونها ولا أبذلها لرخيص القدر مبتذل ومن كانت نفسه مهذبة بالمعارف مكملة بالفضائل متسمة بالاخلاق الحميدة متصفة بالسجايا الكريمة والطباع الخيرية فحقيق على أن لا يكون لها قيمة وما سواها فهو مهين مبتذل يقصر عن كفاية أقل جزء منها ويصغر عن أحقر شئ يتعلق بها ولعمرى ان النفوس الخيرة الفاضلة الشريفة الابية الكاملة لو كانت تشترى بعوض ويكون فى مقابلتها نقد لانت على ما فى ايدى الناس من الجواهر والفضة والذهب ولكنها فيض ممن هو دائم الوجود ولا ينقص الانفاق ما فى خزائن ملكه لانه رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده اما ابو الطيب فانه قال

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
ابت الملوك على الاقدار معطية * فلم يكن لدنى عندها طمع

وقال أيضا

اذا لم تكن نفس النسيب كأصله * فماذا الذى يغنى كرام المناصب
وما قربت أشباه قوم أباعد * ولا بعدت أشباه قوم أقارب

وقال أيضا

من خص بالذم الفراق فاننى * من لا يرى فى الدهر شيأ يحمد

وقال ابن صردر

اذا اصطفتنى أكف اللئام * لطمت بهن خدود الرجا

وقال ابن سناء الملك من أبيات

توقد عزم يترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للانام لاننى * أرى كل عار من حلى سوددى سدى
وأظمأ أن ابدى لى الماء منة * ولو كان لى نهر المجرة موردا

وقال القاضى الفاضل

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهرى
وهب انه البحر الذى يخرج الغنى * فكل خرا فى الشط فى لحية البحر

وقال القاضى مذهب الدين بن الزبير من ابيات

انى لاعتنق العفاف لدى الدجى * واهب وهنا عن كريم المضجع
واذا بدا لى الهجر لم ارشحه * واذا يقال لى الخنا لم اسمع
ولوانه ناجى ضميرى فى الكرى * طيف الخيال بريبة لم أهجع

وقال الشريف ابو الحسن على العقيلى

القرآن وهو كثير فى كلام العرب وقد استعملوه حتى فى الحروف وقالوا درس المنايا يعنون به معنى المنازل وقالوا ورق الحمام يعنى الحمام وهذا لفظ شعر لضابئ بن الحرث بن ارطاة البرجمى كان رجلا بذيا كثير الشرور وكان صاحب صيد أوطأ دابته صبيا فقتله فرفع الى عثمان رضى الله تعالى عنه أيام خلافته فاعتذر بضعف بصره فخبسه ثم خاص وكان قد استعار كلبا للصيد من بنى نهشل فلم يرده فطلبوه منه وألحوا عليه فقال يهجوهم

وينهم امهم بالكلاب
وأمكم لا تتركوها وكلبكم
فان عقوق الامهات كبير
اذا اكتنفت من آخر الليل شخصه
يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فقال ويلك ما سمعت أحدا رمى امرأة بكلب غيرك والله انى أراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزل الله فيك قرآنا ثم حبسه وعرض يوما أهل السجن فوجده قد أعد حديدة ليقتل بها عثمان فاخذت منه وضرب وترك مهملا فى السجن فقال لا يعطين بعدى امرؤ ضيم حظه فرارا يقيه الموت والموت نائله هممت ولم أفعل وكدت وليتنى

صنت نفسي عما يليق بمثلي * وتحصنت بالجفاء الشديد
ما يساوي قضاء حق الموالي * ما تقاسي من سوء خلق العبيد

وما احسن ما كتب ابو الحسين الجزار على باب فخر الدين بن الشيخ

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمولي
وصرت اليك اروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول

وقال الضياء موسى الكاتب المصري وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول على بعض الرؤسا

يا من سما في المكرما * ت وفاق ارباب الممالك
أعجب لامر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

ومن ضرب المثل بكبره وتيهه عمارة بن حمزة فيقال أتيه من عمارة دخل يوما على المنصور فقعد في مجلسه وقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعة فقال المنصور قم يا عمارة مع خصمك فقال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس شرفني به امير المؤمنين وحكي عن ابي ثوابة انه دعا يوما اكارا وكلمه ولما فرغ دعا بماء وتمضمض استقذارا لمخاطبته وكان بعض القضاة لا يصلي الجمعة ويقول لا أرى مخالطة هؤلاء العوام وحكي عن الشافعي انه قال لو أن العوام لي غلمان ما ارتضيتهم وخطب عبد الملك بن مروان الى عقيل ابن علقمة ابنته على احد بنيه فقال اما ان كنت فاعلا فجنبني هجناءك وحدث الجاحظ قال أتيت الربيع الغنوي فقلت له ايسرك أن تكون ابنة يزيد بن المهلب تحتك قال لا والله قلت ولك الف دينار قال لا والله قلت ولك ألف الف دينار قال لا والله قلت وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قلت ولك الجنة قال على أن لا تلدمني ويقال ان بعض الاعراب لقيه الامير قتيبة بن مسلم الباهلي فقال له يا أخا العرب ايسرك أن يكون لك ألف دينار وأنت من باهلة قال لا والله قال ألف الف دينار قال لا والله قال وأنت أمير خراسان قال لا والله قال وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قال ولك الجنة قال بشرط أن لا يعلم احد انني من باهلة وقال الاصمعي رأيت رجلا يختال في أزر في يوم قر فقلت له ممن أنت قال انا ابن الوحيد أمشي الخيزلى ويدفئني حسبي وكان جذيمة بن الابرش لا ينادم أحدا تعاظما ويقول انما ينادمني الفرقدان ولهذا قال الشاعر * وكنا كندماني جذيمة حقبة * سمي ذا الفرقدين وليس كما يقولون ان المراد بهما مالك وعقيل لانه كان يجوز عليهما التفرق حكى صاحب الاغاني في أخبار العرجي عن الاصمعي قال مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا وهو يغني

اضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أما سداد الكنيف فانت ملي به واما الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم اقبل علي وأنشد

وأكرم نفسي انني ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له والله ما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأي شيء أكرمتها قال بلى والله ان من

تركت على عثمان تبكي حلائله
وقائلة لا يبعد الله ضابئا
اذا القرن لم يوجد له من ينازله
ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير على ضلع من أضلاعه فكسرها فقتله الحجاج بالكوفة

(ولولا ان للعوارذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذال الدمستق)

يعني لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت المتنبي في المعنى وذلك أن ملك الروم أرسل جيشا الى بلاد سيف الدولة وقدم عليه بطريقا يقال له الدمستق وقيل الدمستق لقب عندهم لكل مقدم على جيش فهزمه سيف الدولة وخرج موليا وعاد الى ملك الروم مهزوما مرعوبا ثم ان ملك الروم ارسل رسلا وكتابا الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق فيقول

وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه في قذال الدمستق

وهذه قصيدة تطوي على أبيات حسنة ويتعلق بها خبر ظريف قيل دخل السري الرفاء الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يا مولانا كم

الهوان لشر امماأنا فيه فقلت وما هو وقال الحاجة اليك والى أمثالك فانصرفت عنه أخزى الناس وذكرت بالكنيف هنا حديث ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر لما اجتازت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وهو جالس على باب داره وأمامه بركة تتولد من مراحيض واقذار وحوله جماعة من أصحابه فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر ❊ فتدفقا فكلاكما بحر

فلم يحر جوابا والبيت لابي نواس وهذه ولادة كان الوزير أبو عامر من جملة من يهواها و يكلف بعشرتها وكانت كثيرة العبث به وهي ذات أدب ولطف ونادرة وعشرة وبذل حجاب لمن يتعشقها لمجالس الا كابر وتحاضر الشعراء على ماهي فيه من الجمال البارع وكان ابن زيدون قد شغفه حبها وله فيها القصائد الطنانة وفي الوزير ابن عبدوس هذا انشأ ابن زيدون الرسالة التي جعلها على لسان ولادة اليه لما بلغه أنه يهواها وأولها أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله اني فيها بكل مثل وكل غريبة وكتبت ولادة يوما الى ابن زيدون وهي غضبى عليه تعرض بغلام له اسمه علي كان يدعي أنه معه على حالة هذين البيتين

ان ابن زيدون على فضله ❊ يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته ❊ كأنما جئت لاخصي علي

وهذا التعريض يشبه تعريض عنان بأبي نواس في قولها

عجبا من حلقي ❊ يدعي أصل اللواط
والذي يحضر يدري ❊ من يلي وجه البساط

وحكي أن بعضهم دخل بأمرد الى بيته وكان بينهما ما كان فلما خرج الامرد ادعى انه هو الفاعل فقيل له في ذلك فقال فسدت الامانات وحرم اللواط الا أن يكون بشاهدي عدل وقال بعض الشعراء

ان المذهب في اللوا ❊ طة ليس بعد له شريك
واذا خلا بغلامه ❊ فالله يدري من ينيك

وقال آخر

مر على بغلة فأعظمه الناس وقالوا فتى وأي فتى
فقلت من ذا فقيل لي رجل ❊ يلوط لكن يبوس ملتفتا

(وعادة النصل أن يزهى بجوهره ❊ وليس يعمل الا في يدي بطل)

(اللغة العادة) معروفة والجمع عاد وعادات تقول منه عاده واعاده وتعوده أي صار له عادة والعادة اليوم في عرف الكتاب والناس اذا قالوا ألف درهم عادة أو مائة فانها تكون ناقصة عن التسمية كل مائة تنقص درهمين فالالف تنقص عشرين وتكون تسعمائة وثمانين قال النصير الحمامي للسراج الوراق وقد امتدحت الصاحب بهاء الدين بقصيدة وهي الليلة تقرأ بين يديه وأشتهي منك أن تزهرها فلما انشدت بين يدي الصاحب بهاء الدين قال السراج بعد الفراغ منها

شاقني للنصير شعر بديع ❊ ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه ❊ قلت نعم المولى ونعم النصير

فامر الصاحب للنصير بشيء وللسراج بمائتي درهم وقال تكون صحيحة فقبل الارض وقال

تفضل علينا هذا الكندي يعني المتنبي ولو أمرتني ان أنظم على وزن أي قصيدة شئت من قصائده لنظمت ماهو أجود منها فقال سيف الدولة انظم على وزن قصيدته التي أولها

بعيديك ما يلقى الفؤاد وما لقي

فخرج السري من عنده على ذلك وفكر في القصيدة فلم يجدها من طنانات المتنبي وعلم ان سيف الدولة أراد أمرا له بتخصيصه هذه القصيدة في الاقتراح فنظر في أبياتها فاذا هو يقول فيها مادحا سيف الدولة ومفتخرا بنفسه

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق ❊ أراه غباري ثم قال له الحق

فعلم أن سيف الدولة أراده بهذا المعنى فكف عن النظم وفي هذه القصيدة يقول المتنبي

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ❊ ولكن من يبصر جفونك يعشق

سقى الله أيام الصبا ما يسرها ❊ ويفعل فعل البابلي المعتق

اذا ما لبست الدهر مستمتعا به ❊ تخرقت والملبوس لم يتخرق

هذا المعنى جيد ولكن استعمال التخريق للاجساد بشع ومن جملة هذه القصيدة ايضا

نودعهم والبين فينا كأنه ❊ قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

يامولانا الصاحب أشتهى أن تكون عادة فاعجبه ذلك وقال تكون له أبدا عادة اذا مدحنا بشئ من الشعر وقول السراج الوراق يشبه قول ابن قلاقس

أنا ان نظمت الشعر فيه ساحر * حقا ولكن فى سواه ساخر
فاذا وصفت علاه قال لى الورى * لله ممدوح ذكرت وشاعر

ولكن قول السراج فيه رونق التورية وقال السراج الوراق وقد عزاه الصاحب بهاء الدين فى زوجته وجهز له دراهم صنجة

أتتنى صنجة وأنت معاده * على عاداتها والخير عاده
وأنستنى مصيبة من تولت * فلا ولت عن المولى السعادة

(رجع) النصل السيف يزهى زهى الرجل أى تكبر فهو مزهو وقد نطقت العرب بأحرف لا يتكلم بها الا على سبيل المفعول وان كانت بمعنى الفاعل وذلك كقولهم زهى الرجل وعنى بالامر ونتجت الشاة ودهش الرجل وسقط فى يده فاذا أمرت قلت ليزه علينا يا رجل ولا يتعجب من هذه الافعال والزهو المنظر الحسن بجوهره الجوهر معروف وأما جوهر السيف فهو ما يرى فيه من الطرق المختلفة وهو وشيه الذى يشبه بدبيب النمل وسيأتى الكلام عليه يعمل أراد به هنا يفرى ويقطع البطل الشجاع والمرأة بطلة وقد بطل الرجل بالضم يبطل بطولة وبطالة أى صار شجاعا وجمعه أبطال (الاعراب وعادة) الواو واو الابتداء عادة مرفوع على أنه مبتدأ (النصل) مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (أن يزهى) أن حرف ينصب الفعل المضارع وتكون زائدة ومفسرة ومصدرية فالزائدة هى التى دخولها فى الكلام وخروجها سواء كما فى قوله تعالى فلما أن جاء البشير وقد ادعى ابن الاثير فى المثل السائر أن أن اذا دخلت فى الكلام دل على ان الكلام لم يكن على الفور ودل على أنه ثم تراخ ومهل وذكر الآية الكريمة وقال اذا نظر فى قصة يوسف مع اخوته منذ القوه فى الجب والى ان جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم تراخ وابطاء بعيد ولو لم يكن ثم أمد بعيد لما جىء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت الآية تكون فاما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا توجد عند النحاة لانها ليست من شأنهم قلت هذا من جناية اعجاب المرء بعقله الاترا كيف تصور الخطأ صوابا ثم أخذ يتبجح بانه ظفر بما لم يكن عند النحاة ولو انه نظر الى هذه الفاء عقيب ماذا وردت هل هى عقيب قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب والآيات المتعلقة بواقعة القائه فى الجب أو وردت عقيب قوله تعالى اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى باهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا لعلم ابن الاثير انه لا تراخى بين هذين البعدين ولا مدة مديدة لان المدة انما كانت بقدر المسافة التى توجه فيها البشير من مصر الى أن وصل الى أرض كنعان وهى مقام يعقوب عليه السلام وقدر مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوما وما حولها ولهذا قال النحاة انها هنا زائدة ولابن الاثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها فى كتاب نصرة الثائر على المثل السائر والمفسرة هى الداخلة على الجملة المبينة حكاية ما قبلها من لفظ دال على معنى القول بغير حروفه كالتى فى قوله تعالى فأوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا أى أوحينا اليه

هو ادلاملاك الجيوش كأنها
تخير أرواح الكماة وتنتقى
يقبرها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كان صحيحها
يبكى دماء من رحمة المتدفق
فلا تبلغاه ما أقول فانه
شجاع متى يذكر له الحرب يشتق
قوله فلا تبلغاه هذه من السماجات المعدودة لانه ينشده القصيدة وهو سماعا عفا الله تعالى عنه
كسائله من يسأل الغيث قطرة
وعاذله من قال للفلك أرفق
لقد جدت حتى جدت فى كل ملة
وحتى أتاك الحمد فى كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى
فقام مقام المجتدى المتملق
وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه فى قذال الدمستق
وما كمد الحساد شيأ قصدته
ولكنه من يزحم البحر يغرق
*(والنعل حاضرة ان عادت العقرب * والعقوبة ممكنة ان أصر المذنب)*
السجعة الاولى حل بيت للفضل اللهبى من جملة أبيات وهو مثل يهدد به من عوقب وهذا الفضل هو ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك وكان طويلا آدم اللون حكى ان الفرزدق مر به يوما وهو

هـذا القول والمصدرية هى التى مع الفـعل فى تأويل المصـدر كما فى هذا البيت تقديره وعادة النصل زهو بجوهره وتنقسم أن الى مخففة من ان وناصبة للمضارع فان كان العامل فيهما من أفعال العلم وجب ان تـكون مخففة وتعين فى المضارع بعدها الرفع الا ان يكون العـلم فى معنى غيره ولذلك أجاز سيبويه ماعلمت الا ان تقوم بالنصب قال لانه كلام خرج مخرج الاشارة فجرى مجرى قولك أشير عليك أن تفعل وان كان العامل فى أن من غير أفعال العلم والظن وجب ان تـكون غير المخففة وتعين فى المضارع بعدها النصب كقولك أريد ان تقوم وان كان العامل فيهما من أفعال الظن جاز فيها الامران وصح فى المضارع بعـدها الرفع والنصب الا ان النصب هو الاكثر ولذلك اتفقوا عليـه فى قوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا واختلفوا فى قوله تعالى وحسبوا أن لا تـكون فتنة فقرأ أبو عمرو والـكسائى وحمزة برفع تـكون وقرأ الباقون بنصبه ومن العرب من يجيز اهمال غـير المخففة حـلا على ما المصدرية فرفع المضارع بعـدها كقول الشاعر

أن تقرآن على أسماء ويحكما * منى السلام وأن لا تشعرا أحدا

فان الاولى والثانيـة مصدريتان غير مخففتين وقد أعـل احداهما وأهمل الاخرى ومن اهمالها قراءة بعضهم لمن اراد ان يتم الرضاعة وقول الشاعر

اذا مت فادفـنى الى جنب كرمـة * تروى عظامى فى الممات عروقها
ولا تدفـننى بالفـــلاة فاننـى * أخاف اذا مامت ان لا أذوقها

(رجع بزهى) فعـل مضارع منصوب بأن وعلامة نصـبه فتحة مقـدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما يكتب بالياء لان أصله زهيت والفـعل وأن هنا فى تأويل المصدر والجـملة فى موضع رفع على انها خبر المبتدا الذى تقـدم وهو (عادة بجوهره) الباء للمصاحبـة وهى التى عدت بزهى الى جوهر وجوهر مجرور بالباء والهاء فى موضع جر بالاضافـة وهى تعود على النصل (وليس) الواو عاطفة عطفت الفـعل على الفـعل وليس من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهى مختصة بمنع تقدم خبرها عليها خلافا لسيبويه ولابى على وابن برهان فانهـم قالوا بجوازه بدليـل تقدم معمول خـبرها عليها فى قوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم واسمها ضمير مستتر فيها تقديره هو عائد على النصل (يعمل) فعـل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمـير يعود الى النصل وجـملة الفـعل المضارع فى موضع نصب خبر ليس تقديره وليس النصـل عاملا (الا) حرف استثناء (فى يدى) فى حرف جر ومعناه الظرفيـة ويدى مجرور بفى وعـلامة جره الياء لانه مثنى والمثنى له اعراب يخصـه فيعرب بالالف فى حالة الرفع وفتح ما قبـل الالف وبالياء فى حالتى النصب والجر وفتح ما قبلها والنون مكسورة فى الاحوال الثلاثة وقد تفتح النون فى لغة كما قال الشاعر

على أحوذيين استقلت عشية * فما هى الا لمحة وتغيب

وانما أعرب المثنى بالحروف لان التثنية فرع عن الافراد فأخذ الاصل الاصل والفرع الفرع وقدمر فى ذكر اعراب جمع المذكر السالم التعليل فى كون اعراب المثنى بالالف والياء والنون من يدين حـذفت للاضافة لان الحروف فى المثنى وجمـع المذكر السـالم عوض عن الحركات فى اعراب المفرد والنون عوض عن التنوين فلهذا تسقط فى حال الاضافة كما يسقط التنوين

وقد

ينشد مفتخرا
وأنا الاخضر من يعرفنى
أخضر الجلدة من بين العرب
من يساجلنى يساجل ماجدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب
يعـنى بالخضرة آدم اللـون والعرب تفتخر بأنها سمر وسود وقيل عنى بالاخضر البحر وانه فى نفسه وكرمه كالبحر وعنى بالمساجـلة المفاخرة وأصـل المساجلة أن يملأ الشخصان بدلوين من بئر فأيهـما ملأ أكثر كان الغالب واستعمل فى المفاخرة وأصل المساجـلة كما ذكر فلما سمع الفرزدق قوله تشمر وقال أنا أساجلك فقال

برسول الله وابن عمه
وبعباس بن عبد المطلب
فرجع الفـرزدق وقال ما يساجلك الا مـن عض بيظر أمه * وحكى أبو عبيدة أن عمـر بن أبى ربيعة قال بينما أنا جالس فى المسجـد الحرام فى جماعة من قريش اذ دخـل علينا الفضـل بن العباس اللهبى فوافقنى وأنا أنشد

وأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الارض ليس بها هشام
فقال يا أخا بنى مخزوم ان بلدة تجمع بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقربها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر

وقد فرق النحاة بين التثنية والمثنى فقالوا التثنية ضم واحد الى مثله بشرط اتفاق اللفظين
والمعنيين أو المعنى الموجب للتثنية فعلى هذا تبين لحن الحريري في قوله

جاد بالعين حين أعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين

لان المعنيين في العين ما اتفقا في الذات ولذلك جوزوا القمرين تثنية الشمس والقمر لانهما وان
اختلفا في اللفظ فقد اتفقا في الذات لانهما كوكبان وكذلك العمرين تثنية أبي بكر وعمر
رضي الله عنهما لانهما اتفقا من وجوه كثيرة في الذات اذ كل منهما انسان وصحابي وخليفة
فان قلت لاي شئ قالوا القمران ولم يقولوا الشمسان ولاي شئ قالوا العمران ولم يثنوا ابابكر قلت
لان التذكير يغلب على التأنيث والشمس مؤنثة والقمر مذكر قال أبو الطيب

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ولان العمرين أخف على اللسان واعذب في السمع من الابي بكرين لانه مركب وعمر مفرد ولان
أبابكر كنية وعمر علم واذا تقرر هذا فقد غلط جماعة من الشعراء ولا سيما المتأخرون في تثنية
مالم يتفقا في المعنى الموجب للتثنية كقول الحريري المقدم وقد قال الشيخ بدر الدين محمد بن
مالك المثنى ما دل على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه اهـ قلت فاذا قلت
الزيدان فقد دل على اثنين بزيادة في آخره وهي الالف والنون ويصلح ان يجرد من هذه
الزيادة فيعود زيدا وعلى ان أحدهما عطف على مثله لان الاصل فيه زيد وزيد بدليل ان
الشاعر لما اضطره الوزن فك التثنية فقال

كان بين فكها والفك * فارة مسك ذبحت في شك

وفائدة هذا الحد ان تعلم ان العرب ألحقت بباب المثنى أشياء ليست بمثنيات حقيقة كما فعلوا بباب
جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم وهي كلا وكلتا بشرط الاضافة الى مضمر تقول جاءني
كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فلو اضيفتا الى مظهر لم يكن اعرابهما اعراب المثنى
فتقول جاءني كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين وكذلك اثنان واثنتان
فان هذه الالفاظ اعربت اعراب المثنى وليست من بابه على الحقيقة لان حد المثنى لا يتناولها
اذ ليس كل منهما في آخره زيادة صالحة للتجريد ولا عطف أحدهما على مثله لانه لا مفرد
لكلا ولا كلتا ولا اثنين ولا اثنتين فاعرف ذلك وذكرت هنا قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال الحريري وغيره أخبر عن التي بالمفرد فوحد ثم قال كلتاهما فثنى وما معنى كلتاهما حلب
العصير ولم يذكر الاخرى واحدة وأخبر عن كلتاهما بارخاهما والصحيح الاخبار عنهما بمفرد
لانهم لحنوا من قال كلا الرجلين قاما وكانت المرأتين حضرتا على اللغة الفصيحة ويدل على ذلك
قوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها وأيضا فالرواية صحت في المفصل انه بكسر الميم وفتح
الصاد وانما يقال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد وأجاب الحريري بان قال أما قوله ان التي ناولتني
فرددتها قتلت فانه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة
اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه انه فطن لما فعله ثم انه دعا عليه بقوله قتلت وقوله ارخاهما
للمفصل يعني به اللسان وسمي مفصلا لانه يفصل بين الحق والباطل وقال أبو بكر محمد بن القاسم

لهشام وان أشعر من هذا البيت قول الآخر

انما عبد مناف جوهر * زين الجوهر عبد المطلب

وأقبل على وقال يا أخا بني مخزوم ان أشعر من صاحبك الذي يقول هذين البيتين

هاشم بحر اذا سما وطما * أخمد حر الحريق واصطلما
فاعلم وخير المقال أصدقه * بأن من رام هاشما هشما

فاسودت الدنيا في عيني ولم أحر جوابا وقد أطال أبو عبيدة الحكاية الى أن ظهر عليها التوليد * ومن جيد شعر الفضل بن العباس قوله

يا مي أن تفقدي قوما ولدتهم * أو تخلسيهم فان الدهر خلاس
عمرو وعبد مناف والذي عهدت * ببطن مكة أبي الضيم عباس
ليث هزبر مدل عند خيسته * بالرقمتين له أجر واعراس

يستشهد النحاة بقوله أجر على جمع جرو والاصل أجرو فحذفت الواو لوقوعها طرفا مضموما ما قبلها وحكي عنه الجاحظ حكاية ظريفة قال شرب ليلة مع بعض ولد جعفر على سطح فلما سكر الجعفري رمى بنفسه الى أسفل وقال أنا ابن الطيار في الجنة فتكسر وتهشم فتشبث الفضل بالحائط

الانبارى اجتمع قوم على شراب فغناهم المغنى البيتين المتقدمين فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة القاضى عبيد الله ابن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال ان التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بنى شقرة وعبيد الله يصلى فلما أتم صلاته شرحوا اليه القصة وسألوه الجواب عن ذلك فقال لهم ان التى عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انتهى وقال النقيب الشجرى هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء أحدها أنه قال كلتاهما حلب العصير وكلتا موضوعة لمؤنثين والماء مذكر والتذكير أبدا يغلب على التأنيث كتغليب القمر على الشمس قال الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع وليس للماء اسم آخر مؤنث فيقال يحمل على المعنى كما قالوا أتته كتابى فاحتقرها لان الكتاب فى معنى الصحيفة وكما قال الشاعر

قامت تبكيه على قبره * من لى من بعدك يا عامر
تركتنى فى الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وكان الوجه أن يقول ذات غربة وانما ذكر لان المرأة انسان والثانى أنه قال ارخاهما للمفصل وأفعل هذا موضوع للمشتركين فى معنى واحد وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف كقولك زيد أفضل الرجلين فزيد والرجل المضاف اليه مشتركان فى الفضل الا أن الفضل لزيد يزيد على الرجل والماء لا يشارك الخمر فى ارخاء المفصل والثالث ان الخمر عصير العنب وقوله حلب العصير يمنع من هذا لانه اذا كان العصير الخمر والحلب هو الخمر فقد أضيفت الخمر الى نفسها والشئ لا يضاف الى نفسه والصواب انه أراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة اهـ وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النحو * م وبعده علم البيان
فاذا احتساها الشاربو * ن واوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمير * وبعده عقد اللسان

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أيها الساقى بجفن * وبجام خسروانى
لاتلمنى ان تلجلجت * ولم تفهم بيانى
سحر عينيك وسكرى * أحكما عقد لسانى

(المعنى) ان السيف عادته أن يكون زهوه بجوهره ولكن ما المراد منه الا القطع والمضاء فى الضريبة ولا يكون ذلك منه الا اذا كان فى يدى بطل يضرب به ويصيب الكلى والمفاصل يعنى انى فى ذاتى كالسيف المجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ولكن لا نفع لها لانها كامنة فلو باشرت أمرا وتوليت ولاية ظهرت محاسنى فى الخارج وبرز فى الظاهر نفع ما عندى وهذا تشبيه حسن وتمثيل جيد ومن كلام البديع الهمذانى من رسالة وقد حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة على أن سيوف الحق أربعة

وقال أنا ابن المقصوص فى النار * وأما البيت الذى ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان أمطل الناس فعامله الفضل وكان أشد الناس تقاضيا فلما حل المال قعد الفضل على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته فى المطل فلما أعياه ذلك قال يهجوه

قد تجرت عقرب فى سوقنا
لا مرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو كيده فى استه
فغير مخشى ولا ضائره
ان عادت العقرب عدنا لها
وكانت النعل لها حاضره

فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون ان أصر المذنب الاصرار العقد فى الذنب وأصله من صر الشئ

(وهبها لم تلاحظك بعين
كليلة عن عيوبك ملؤها
حبيبها حسن فيها من ترد)

يعنى هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما وصفتك به من الفضائل أليس منظرك كما نرى من الفتح والسماحة كما سيأتى ذكره وفى هذا الفصل ثلاثة أبيات لثلاثة من الشعراء ولكل منهما أخبار وأشعار تشتمل على محاسن * فالاول قول الهاشمى

وسائرها الناس سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وسيف أبى بكر رضى الله عنه فى المرتدين وسيف على رضى الله عنه فى الباغين وسيف القصاص بين المسلمين قلت وقولهم سيف الله هو خالد بن الوليد رضى الله عنه سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره فى الاسلام وشجاعته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر اليه والى عكرمة بن أبى جهل قرأ يخرج الحى من الميت لانهما كانا من خيار المسلمين وأبواهما اعدى عدو لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما اتهم خالد ابن الوليد بقتل مالك بن نويرة على اسلامه دعاه أبو بكر رضى الله عنه فقال له أقتلت مالكا لتنزو على حليلته وذلك لكونه تزوج امرأته بعده فقال له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمانى بسيف الله فقال اللهم بلى فقال أيقتل سيف الله المسلم فقال لا وصرفه الى حيث جاء وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مما نظمه فى أولاد ممدوحه وقد رأى له ولدا يسمى خالدا وهو

أولاد مولانا بهم * تزهى المحافل والمشاهد
مثل السيوف مهابة * لكن سيف الله خالد

وقولهم سيف الفرزدق يضربون به المثل للسيف الكليل فى يد الجبان وأصله ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس الى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غدا سيأمرك بضرب عنق أسير من الروم وقد علمت انك وان كنت تصف السيوف فتحسن انك لم تمارس بها وهذا سيفى يكفيك منه ضربة واحدة وأتاه بسيف كهام فقال له الفرزدق ومن أنت قال من أخوالك بنى ضبة فأخذ السيف ووثق به فلما كان من الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجىء بالاسرى فأمر سليمان واحدا منهم هائل المنظر أن يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده أن يطلقه ثم قال للفرزدق قم فاضرب عنقه فسل ذلك السيف فضربه فلم يؤثر فيه السيف شيأ وكاع الرومى فى وجهه فارتاع الفرزدق وضحك سليمان والقوم فقال جرير

بسيف ابى دعوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقال مجذب غير صارم

فاجابه الفرزدق

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومى جاعلة لكم * أبا كليب أو أخا مثل دارم

وقال أيضا

فان يك سيف خان أو قدر أتى * لمقدار يوم حتفه غير شاهد
كسيف بنى عبس وقد ضربوا به * نبا بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

ولما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذى يسمى الصمصامة الى موسى الهادى دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة فقال قولوا فى هذا السيف فبدر ابن يامين البصرى فقال أبياتا منها

ما يبالى من انتضاه اضرب * أشمال سطت به أم يمين

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان من فتيان بنى هاشم واجوادهم وشعرائهم على انه كان يتهم بالزندقة فى دينه لصحبة قوم عرفوا بذلك وأشهرهم رجل يقال له البقلى وانما سمى بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة واشتهر ذكره فى آخر أيام بنى أمية حكى المدائنى أن عبد الله بن معاوية قدم زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستمنحا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقى بن شيث بن ربعى فلما وقعت العصبية اخرجه أهل الكوفة على بنى أمية وقيل انما خرج فى أيام يزيد بن الوليد ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انما دعا الى نفسه ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه ما لم يجتمع عليه جميع أهل المصر وقالوا له ما بقى فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت واشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحى الشرق ففعل

يستطير الابصار كالقبس المشتعل ماتستقر فيه العيون

وكأن الفرند والجوهر الجا * رى فى صفحتيه ماء معين

فقال موسى أصاب مافى نفسى واستخفه الطرب فامر له بالسيف والمكتل فلما خرج قال للشعراء انما حرمتم من أجلى فدفع اليهم البدرة وأخذ السيف فاشترى منه بمال عظيم وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معدى كرب ان يريه سيفه المشهور فاحضره عمرو له فانتضاه عمر رضى الله عنه وضرب به فما أحاك أوحاك بغير ألف فطرحه من يده وقال ماهذا بشئ فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أنت طلبت منى السيف ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به فعاتبه وقيل انه ضربه وقرأت على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى مغازى تاريخه الكبير تاريخ الاسلام قال الاصمعى حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الزناد قال ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره فقده الى القربوس فقيل ما أجود سيفك فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف وذكر المؤرخون ان عليا رضى الله عنه قتل من الخوارج يوم النهروان الفى نفس وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثنى ويخرج ويقول لاتلومونى ولوموا هذا ويقومه بعد ذلك وقال بعض شعراء الاندلس

فما فرسيفك حتى انثنى * وعربد محلك حتى انكسر

وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

ومن ضربات على المشهور ضربته رضى الله عنه مرحبا فانه ضربه على البيضة ضربة فقدها وقده نصفين وما أحلى قول أبى الحسين الجزار يمدح على بن سيف الدين قليج

أقول لعقرى مرحبا التيقنى * بأن عليا بالمكارم قاتله

وضربته عمرو بن عبدود العامرى وكان جبارا عنيدا غليظا عتلا من الرجال فقطع فخذه من أصلها ونزل عمرو فاخذ فخذ نفسه فضرب بها عليا فتوارى عنها فوقعت فى قوائم بعير فكسرتها وقال شرف الدين بن الفارض

ذو الفقار اللحظ منها أبدا * والحشا منى عمرو وحيى

وذكر أسعد بن مماتى فى كتاب روائع الوقائع قال حدثنى بعض البغداديين انه كان ببغداد سياف يقال له أبو بكر السجان فامر بقتل قوم من القطاع فربط أربعة ظهر واحد الى آخر ثم ضرب بسيفه الرقاب الاربع فقطعها ويقال أكذب بيت قالته العرب قول الشاعر

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى

وقول الطغرائى يشبه قول ابن خفاجة

وما السيف لولا الحرب الاحديدة * وما الرمح الاخوطة تتأود

وقوله ايضا

والحر مفتقر الى عز الغنى * فقر الحسام الى يمين الفارس

وقوله ايضا

فما احتمى جانب لم يحمه ملك * ولا مضى صارم لم يمضه بطل

وقال أبو الطيب

ذلك وجمع جموعا من النواحى فخرج فغلب على مياه البصرة والكوفة وهمدان والرى وقم وأصفهان وأقام بأصفهان وكان الذى أخذ له البيعة محارب بن موسى اليشكرى فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون عليه فاخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما أحببتم وكرهتم وكتب الى الامصار يدعو الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرهما وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى ابن على ووجوه قريش من أمية وغيرهم فمن أراد عملا ولاه ومن أراد صلة وصله وأحسن اليه وكان سمح الكف كريم الاخلاق حكى ابن هرم قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على بعض ببابه فرآنى بعض خدمه فعرفنى أن عامتهم غرماء له أرباب ديون فقلت هذا شرلى ثم دخلت عليه فقلت لم أعلم والله بهذه الغرماء فقال لاعليك أنشدنى فاستحييت فانى الآن أنشده فأنشدته أبياتا حسنة منها

ترى الخير يجرى فى أسرة وجهه

كما لالاءت فى السيف بهجة رونق

فتى يملأ الافعال رأيا وحكمة * وبادرة أحيان يرضى ويغضب
اذا ضربت في الحرب بالسيف كفه * تبينت ان السيف بالكف يضرب

وأخذه بن سناء الملك غصبا وجردعليه في الاغارة عضبا فقال

فلا تحسبوا باالكف جردنصله * ولكنه قدجردالكف بالنصل

وقدجرت عادة الشعراء بان يشبهوا جوهر السيف بدب النمل قال امرؤ القيس

متوسدا عضبا مضاربه * في متنه كدبية النمل

وقال البحترى

وكأنما سود النمال وحمرها * دبت بايد في قراه وارجل

وقال أبو العلاء المعرى في السيف

سليل النار دق ورق حتى * كأن اباه أورثه السلالا
محلى البرد تحسبه تردى * نجوم الليل وانتعل الهلالا
مقيم النصل في طرفى نقيض * يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء * وتبصر فيه للنار اشتعالا
اذا بصر الامير وقد نضاه * بأعلى الجوّ ظن عليه آلا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نمالا

وقال ايضا

وكل أبيض هندى به شطب * مثل التكسر في جار بمنحدر
تغايرت فيه أرواح تموت به * من الضراغم والفرسان والجزر
روض المنايا على ان الدماء به * وان تخالفن ألوانا من الزهر
ما كنت أحسب جفنا قبل مسكنه * في الجفن يطوى على نار ولا نهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أوسعيا على السعر

وقد ضمنت آخر القطعة الاولى من شعر المعرى في وصف عذار أشقر وآخر القطعة الثانية ايضا في وصف العذار وأوردتهما من جملة ما أوردته لى من النظم في التضمين عند قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت وقال كشاجم

كأن غلا دارجا * صعد فيه وهبط
ماض ترى في متنه * ماء بنار مختلط
يقد ان أعملته * طولا وان عارض قط

يقال القد هو القطع طولا والقط هو القطع عرضا وقال الوزير أبو محمد بن عبد الغفور

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا * مماثلة الارواح في صورة الذر

وهو مأخوذ من قول المعرى فيما تقدم وأخذه الآخر فقال واجاد

جداول ماء ما تسوغ لوارد * ترى النمل غرقى فيه غير الاكارع

وقال الطغرائى من أبيات

وابيض طاغى الحد يرعد متنه * مخافة عزم منك أمضى من النصل
عليم باسرار المنون كأنما * على مضربيه انزلت سورة القتل

فامر لى بما كان عنده من المال لبعض الغرماء والله لا يملك غيره ثم لم يزل عبد الله مقيما بنواحى فارس التى غلب عليها حتى ولى مروان ابن محمد الجعدى فوجه اليه عامر بن ضبارة في جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب عبد الله أصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها وطمع في نصرته فاخذه أبو مسلم فحبسه عنده وجعل عليه عينا فرفع عنه انه يقول ليس في الارض أحمق منكم يا اهل خراسان في طاعتكم لهذا الرجل قبل أن تراجعوه في شئ وتسالوه عنه والله ما رضيت الملائكة بهذا عن الله عز وجل حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء حتى قال تعالى انى أعلم ما لا تعلمون فشدد عليه أبو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالته التى يقول فيها الى أبى مسلم من الاسير في يديه بغير خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ومولى صنائع وان الودائع مرعية والصنائع عارية

تفيض نفوس الصيد دون غراره * وتطفح عن متنيه في مدرج النمل

وقال البحتري

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

ومن هنا استمد ابن هانئ وما استبد فقال

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وابن سناء الملك أيضا من هنا أخذه واقتطعه وفلذه فقال

ظباه كمثل البقل لونا وانها * لترعى العدا رعي الظباء من البقل

وقال ابن خفاجة

ومرقرق الافرند يمضي في العدا * أبدا فيفتك ما يشاء وينسك
وكأنه والماء يجري فوقه * جذلان يبكي للسرور ويضحك

وقال أيضا

وأبيض عضب حالف النصر صاحبا * فكاد ولم يستل يمضي فيفتك
يبشره بالنصر ارهاف نصله * فيهتز في كف الكمي ويضحك

وما أحسن قول القائل

تدب المنايا الحمر في جنباته * على جامد في الكف في العين ذائب

وقال مهيار على طريق اللغز

وابن سرت به اذ قيل لي ذكر * فصنته وبصان الدر في الصدف
أخشى الرياح عليه أن تهب وما * تراه في غير حجري أو على كتفي
أغار عجبا عليه ان أقبله * يوما وتقبيله أدنى الى شرفي
يتيه من فوق كرسي وهبت له * من اللجين بقد قام كالالف

وانشدني من لفظه لنفسه المولى الحكيم شهاب الدين أحمد بن يوسف الصفدي بالقاهرة المحروسة سنة سبع وعشرين وسبعمائة ما يكتب على سيف

أنا أبيض كم جئت يوما أسودا * فاعدته بالنصر يوما أبيضا
ذكرا اذا ما استل يوم كريهة * جعل الذكور من الاعادي حيضا
اخيال ما بين المنايا والمنى * وأجول في وسط القضايا والقضا

(ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل)

(اللغة) أوثر أثرت فلانا على نفسي اخترته ورجل أثر على فعل بضم العين اذا كان يختار على أصحابه أفعالا ويستأثر بها من الاخلاق الحسنة وغيرها قيل ان شيخ الشيوخ صدر الدين قدم من بغداد رسولا الى السلطان صلاح الدين فحضر يوما عنده فلما قام قدم صلاح الدين مداسه فاراد الشيخ لبسها فقال القاضي الفاضل هذه النعل تشرفت وما بقيت تصلح الا للرؤس فقال الشيخ صدر الدين باسم الله أنا فقير ومذهبي الايثار فلم يحر القاضي الفاضل جوابا وحكى ان أبا نواس كان في يوم شديد البرد وعليه فروة فمر به بعض السؤال فطلب منه ما يلبسه فقال ما أملك غير هذه الفروة فقال السائل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو نواس هذه الآية أنزلها الله تعالى في الحجاز في شهر تموز فيما يوكل ولم ينزلها في شهر كانون في الرهى

فاطلب الخلاص والاذكر القصاص فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت وفقك الله لما ينجيك والهمك شكر ما خولك فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس في أيدينا فلو خرج وملك أمرنا لاهلكنا ثم أمضى تدبيره في قتله فدس اليه سما فمات ووجه برأسه الى ابن ميادة فحمله الى مروان ومن شعره ويتغنى به حكاية حكاها ابراهيم الموصلي قال بينما أنا عند الرشيد وعنده ابن جامع وعمرو الغزال وغيرنا من الندماء والمغنين اذ قال صاحب الستارة لابن جامع تغن من شعر عبد الله بن معاوية ولم يكن ابن جامع يغني في شيء من شعره ولا يعرفه وكنت قد تقدمت فيه فارتج على ابن جامع فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت لعبد الله

يهيم بجمل وما أن يرى
له من سبيل الى جمله
كأن لم يكن عاشق قبله
وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب أودى به
ومنهم من اشفى على قتله

فاذا بدر فعت الستارة ونظر الي وقال أحسنت والله أعده فأعدته فجاء فراش ببدرة فوضعها تحت فخذي ثم قال

فيما يلبس وسال بعض السؤال من آخر فقال يفتح الله فالح فى السؤال ولم يحصل منه شئ فقال أين الذين يؤثرون على أنفسهم فقال ذهبوا مع الذين لا يسالون الناس الحافا (رجع) يمتد مددت الشئ فامتد أى اتصل والمادة لغة الزيادة متصلة ومد الله فى عمره ومده فى غيه أى أمهله وطوّل له زمنى الزمان والزمن اسم لقليل الوقت وكثيره ويجمع على أزمنة وأزمان وأزمن دولة الدولة فى الحرب أن تدال احدى الفئتين على الاخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة والجمع الدول والدولة بالضم فى المال يقال صار المال دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولات ودول الاوغاد جمع وغد وهو الدنئ الذى يخدم بطعام بطنه والسفل جمع سفلة والسفلة سقاط الناس ولا تقل هو سفلة لانه جمع (الاعراب ما) حرف نفى وقد تقدم الكلام عليها (كنت) كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهى فعل وهو مذهب الاكثرين وقال بعضهم بل هى حرف لانها لا مصدر لها ولو كانت فعلا لدلت على المصدر ولما احتيج ان يعقد لها باب يخصها وليس ذلك بشئ قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس فى كان وأخواتها لم يختلف أحد فى فعلية شئ منها الا ليس فان أبا على ذكر فى المسائل الحلبيات ان ليس حرف وطول فى الاستدلال على ذلك وكذلك استدل أيضا على حرفيتها فى أول الايضاح الشعرى له وكذلك نقل عن ابن السراج أنه قال بفعلية ليس تقليدا وفى كلام سيبويه اشارة الى حرفيتها محتملة للتاويل وهو قوله فى باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام هذا بعض كلام الشيخ بهاء الدين وهى ناقصة اذا استوفت اسمها وخبرها كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وتامة اذا استوفت مرفوعها واستغنت به كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة وهى بمعنى وجد وزائدة فى مثل قول الشاعر

سراة بنى أبى بكر تسامى * على كان المطهمة الجياد

وقول الآخر

فكيف اذا مررت بدار قوم * وجيران لنا كانوا كرام

قلت قد مثل بهذا البيت جماعة من أهل العربية شاهدا على زيادتها وهو مشكل لانهم لم يقولوا بزيادتها أو زيادة اسمها فانها هنا مع اسمها أما فى البيت الاول فسلم انها زائدة لانها لم يصحبها اسمها وأما فى البيت الذى أوردوه فيحتمل ان تكون على بابها مع التقديم والتاخير والتقدير وجيران كرام كانوا لنا وهذا متجه ولم أر أحدا ذكره وتكون بمعنى صار كقول الشاعر

بتيهاء قفر والمطى كانها * قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

وقد تحمل ضمير الشأن والقصة فتكون الجملة خبرها كقول الشاعر

اذا مت كان الناس نصفان شامت * وآخر مثن بالذى كنت أصنع

أى كان الشأن أو الحديث أو القصة الناس نصفان وهذا البيت أخذ معناه مالك بن طوق فقال فى الابيات التى أنشدها لهرون الرشيد لما كان بين يديه فى نطع الدم على ماذكره المسعودى فى شرح المقامات أو تميم بن جميل فى واقعته مع المعتصم على ماذكره ابن عبد ربه فى فى العقد والواقعة مشهورة وهو

وكم قائل لا يبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

وقد ضمنته أنا فقلت أبياتا أرثى بها نفسى وهى

احملها لك ثم انقضى المجلس فلما كان المجلس الثانى قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغن من شعر ابن جعفر يعنى عبد الله بن معاوية فوقع فى مثل الذى وقع فيه بالامس فغنيت من شعر عبد الله

سلا ربة الخدر ما شأنها
ومن أيما شأننا يعجب
فلست باول من فاته
على أربه بعض ما يطلب
وأصبح صدع الذى بيننا
كصدع الزجاجة لا يشعب

فاومى صاحب الستارة ان أمسك وأشار بيده الى انه يبكى فامسكت ثم قال تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحد فقال لو كان فى ابن جعفر خير لطار مع أبيه ولم يقبل على قول الشعر فسمعنا ضحك الرشيد ثم أرسل الى ببدرة والى ابن جامع مثلها * واما الشعر الذى ذكر سببه فانه كان صديقا للحسين بن عبد الله ابن العباس ثم وقع بينهما أمر فتهاجرا فقال عبد الله

ان حسينا كان شيأ ملففا
فمحصه التكشيف حتى بدا ليا
وأنت أخى مالم تكن لى حاجة
فان عرضت أيقنت ان لا أخاليا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

وأما البيت الثانى فهو قول المجنون

كأني بهذا الجسم أصبح عاطلا * وشمل قواه بالممات مشتت
وقد عافه من كان يهوى لقاءه * وأنكره من طالما كان يثبت
وغاية من يأوي لمصرعه فتى * بفكر فيما قد عراه ويبهت
وان عطفته رحمة في انصرافه * غدا نحوه من حسرة يتلفت
وان كان يبكيه خليل بوده * ويفجأه الرزء الجليل ويبغت
فاذا الذي يجدي على ساكن الثرى * اذا كان يبدي الحزن أو يتثبت
قضى ومضى هيهات لو ينفع البكا * كأن لم يكن من قد غدا وهو ميت
وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر ذا لان يسر ويشمت

(رجع) ومن أمثلة كان التامة التي بمعنى وجد وحدث قول الشاعر

اذا كان الشتاء فادفئوني * فان الشيخ يهرمه الشتاء

وما أحلى قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يا ربيع العفاة لا اتقاضا * ك ولكن أقول جاء الشتاء
وأنا الشيخ والربيع الفزاري * قد عناني وفي الكريم ذكاء

مسئلة قوله تعالى كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال ابن الانباري في اسرار العربية كان هنا تامة وصبيا منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون كان ناقصة لانه لا اختصاص لعيسى عليه السلام في ذلك لان كلا كان في المهد صبيا ولا عجب في تكليم من كان فيما مضى في حال الصبا اه وقال أبو البقاء في اعرابه كان زائدة أي من هو في المهد وصبيا حال من الضمير في الجار والمجرور والضمير المنفصل المقدر كان متصلا بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلى هذا لا يحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هي كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل بمعنى صار وقيل تامة اه قلت تقدير كان في الآية الكريمة تامة بمعنى وجد أو حدث بعيد لان عيسى عليه السلام لم يخلق ابتداء في المهد وتقديرها زائدة أجود (رجع) كنت كان واسمها وهو تاء المتكلم فالضمير في موضع رفع على انه اسم كان (أوثر) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وهو في موضع نصب على انه خبر كان تقديره ما كنت موثرا (أن يمتد) ان حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام عليه ويمتد فعل مضارع منصوب بأن وان هنا مصدرية وما دخلت عليه في تأويل مصدر وتقديره ما كنت أوثر امتداد زماني (بي) الباء هنا للتعدية والياء مجرورة بالباء وهو متعلق بيمتد (زمني) فاعل يمتد وعلامة رفعه ضمة مقدرة على النون وانما لم تظهر الضمة لاضافته الى ياء المتكلم وعلى كل حال فان زمني فاعل ان قلت ان أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أو تركت الفعل على ظاهره فان المصدر يضاف الى الفاعل وتقديره ما كنت أوثر امتداد زمني (حتى) تقدم الكلام على حتى في قوله طال اغترابي البيت وهي هنا لانتهاء الغاية ومعنى الكلام الى أن (أرى) فعل مضارع منصوب باضمار أن ولم يظهر النصب لانه معتل الطرف بالالف فالنصب بفتحة مقدرة على الالف وانما كتب بالياء لانك تقول رأيت (دولة الاوغاد) دولة منصوب على أنه مفعول به والاوغاد مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (والسفل) مجرور بالعطف على الاوغاد

اهابك اجلالا ومابك قدرة
على ولكن مل ء عين حبيبها

وهو قيس بن الملوح بن مزاحم من بني عامر بن صعصعة شاعر غزل سكن البادية عمره وتوفي في آخر دولة بني أمية وهو المعروف بمجنون ليلى ويقال انه لم يكن مجنونا وانما الرواة وضعت ذلك عليه وحكى ابن داب قال قلت لرجل من بني عامر أترون من شعر المجنون شيأ فقال أو فرغنا من العقلاء حتى نروي للمجانين انهم لكثير فقلت انما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق فقال هيهات بنو عامر أغلظ أكبادا من ذلك انما يكون هذا في اليمانية الضعاف حلومها النغلة رؤسها فأما نزار فلا وقال الاصمعي الصحيح ان الاشعار والوجد لقيس ولكنه لم يكن مجنونا انما كانت فيه لوثة احدثها العشق وكان قد عشق جارية من قومه تسمى ليلى بنت سعد وعلق كل منهما بصاحبه وهما حينئذ صبيان يرعيان مواشي اهلهما فلم يزالا كذلك حتى كبر وحجبت عنه وفي ذلك يقول

تعشقت ليلى وهي ذات ذؤابة
ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

(المعنى) ما كنت أظن الزمان يمتد بى فى عمرى حتى تنقضى دولة الكرام وأرى فيما بعد دولة الاوغاد والسفل وهو يشبه قول أبى الطيب

ما كنت أحسبنى أبقى الى زمن * يسيء بى فيه كلب وهو محمود

وهذا قاله أبو الطيب فى بعض أهاجى كافور الاخشيدى وقد أجازه قبل قدومه عليه ويقال انه فى أول الامر أمر له بضيعة ابن خصيب اقطاعا فلم يرض ذلك وما كان يقصد الا الولايات على الاعمال والامرة ونظم فيه هذه القصيدة وهى من أخبث أهاجيه فيه فمنها

من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد

ومنها قوله

وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

ومن غرر مدائحه فيه قوله بعد وصف الخيل

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها ومآقيا

وما مدح أسود بابلغ من هذا ولا أحسن وعلى ذكر كافور أنشدنى من لفظه لنفسه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى من قصيدة يصف فى آخرها

فاستجل بكر قصيد لا صداق لها * سوى القبول وود غير مكفور

على أبى الطيب الكوفى مفخرها * اذ لم أضع مسكها فى مثل كافور

وهذا فى غاية الحسن ونقلت من خط القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر من نسخة جواب أجاب به تجربة للخاطر عن السلطان صلاح الدين يوسف لما ورد عليه الكتاب الصادر من الامام الناصر يتضمن الانكار عليه فى فصول متعددة فقال وترى من هم القائلون أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه أمثل الماضين اليه أم لا ولا مثل لهم فمن جاء أخبرا وقد علم كل منهم ما عاملوا به الخلافة تضييقا وتقتيرا او كونهم عوضوا عن الالوف برسم النفقات من فضة فدروها تقديرا ولا خفاء بمناقضة أحمد بن طولون لما كان بمصر أميرا والاخشيدية حين طافت على الدولة تسلطا بكأس كان مزاجها كافورا اه وأنشدنى من من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة فى خادم اسمه كافور

يالائمى فى خادم لى سيد * فيما لقد زدت السلو نفورا

ولقد أدرت على المسامع شربة * فى الحب كان مزاجها كافورا

(رجع) ومما يدخل فى بيت الطغرائى قول أبى اسحق ابراهيم الغزى

لئن حلينا صروف الدهر أشطرها * فكلنا بصروف الدهر جهال

فلا تغرنك الدنيا بمن رفعت * فلا حقيقة فيما يرفع الآل

الحمد لله أفضينا الى دول * تعلو وليس لنا فيهن آمال

وقال آخر

قد دفعنا الى زمان لئيم * لم ننل منه غير غل الصدور

وبلينا من الورى بأناس * تركتهم اعجازهم فى الصدور

ومثل هذا قول الآخر

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا
الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

حكى ابن عمارة المرى قال حضرت الى أرض بنى عامر لالقى المجنون فدللت على مجلسه فلقيت اباه شيخا كبيرا وحوله اخوة المجنون فسألته فقال انه كان والله عندى أبر من هؤلاء جميعا وانه عشق امرأة من قومه ما كان يطمع مثلها فى مثله فلما فشا امرهما كره ابوها ان يزوجه اياها بعد ما ظهر من امرهما فزوجها من غيره وأول ما ظهر من حبه لها انه طرقنا أضياف ذات ليلة ولم يكن عندنا أدم فبعثته الى ابى ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما تشاء فقال طرقنا أضياف ولا ادم لنا فارسلنى أبى اليك فقال ياليلى اخرجى ذلك النحى فاملئى له اناءه من السمن فاخرجته ومعه قعب فجعلت تصب السمن فى الاناء وهما يتحدثان فألهاهما الحديث وهى تصب السمن وقد امتلأ القعب وقد سال واستنقعت أرجلهما من السمن ولا يشعران به فرآهما أبوها على تلك الحال فامره بالانصراف وحجبها عنه فلما زوجها ازداد هيامه وكانا فى بعض الاوقات يتحدثان ففطن بها زوجها

قال الانام وقد رأوا * ممع الحداثة قد تصدر
من ذا المجاوز قدره * قلت المقدم بالمؤخر

ومن هذه المادة قول الآخر

ما ركب المهرة مسروحة * لولا ركوب المهر عريانا

وكان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير قد عزل من الوزارة ثم أعيد اليها بسبب مصاهرته لنظام الملك الوزير حين زوجه نظام الملك ابنته فقال الشريف بن الهبارية في ذلك

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تكبر واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حرا صيرت مولانا الوزير به

وقد صنف بعض المتأخرين مجلدا سماه الأنس في ذكر من رأس بالكس رجع وقال شريف ابن الهبارية أيضا

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما في البرية كلها انسان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنت * فالرأي أن يتبيدق الفرزان

وقال محمد بن شرف القيرواني

قالوا تصاهلت الحمير * فقلت من عدم السوابق
خلت الدسوت من الرخا * خ ففرزنت فيها البيادق

وقال آخر

تبا لدهر قد أتى بعجاب * ومحا فنون العلم والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدي * فيهم رددتهم الى الكتاب

وقالوا آخر

قالوا فلان قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب ليس يدور الا بالبقر

وقال آخر

لو ان أشياخنا كانت لهم همم * تبغي رياستنا لم ترأس البقر
لكنهم وقضاء الله محتمل * ليسوا من الناس الا انهم بشر

وقال آخر

هون عليك فقد مضى من يعقل * والدس من الاخلاق ما هو أفضل
فلقلما تأتي اليك مسرة * الا اتتابع بعدها ما يشكل
واذا خبرت الناس لم تلق امرأ * ذا حالة ترضيك لا تتحول
لكنهم نكبت بهم أحوالهم * كل يعيب ولا يرى ما يفعل
فساتر ضعفت قوى آرائه * ومجاهر يرمي ولا يتأمل
ومقلد متعقل متأدب * فاذا اختبرت فباقل وهو أعقل

وقال ابن الساعاتي

والخل من ناس في الخطوب بضبعيك ومن سد رتقه خللك
ما أنزل العلية الكرام وما * أكثر يا دهر بيننا سفلك

فتدلّه وجن جنونه وهام مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد المياه ولا يجده من يطلبه الا قليلا فعجبت من أمره ويئست من لقائه وانصرفت * وحكى بعض بني عامر قال مررت بالمجنون وهو على تل رمل قد خط باصابعه خطوطا فدنوت منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضا عنه فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط باصابعه فقلت احسن والله القائل

واني لمفن دمع عيني بالبكا * حذار الذي قد كان او هو كائن

فلما سمعني بكى حتى ابتل الرمل الذي بين يديه ثم قال انا والله اشعر منه حيث اقول

وادنيتني حتى اذا ما ملكتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث لا لي حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم سنحت له ظبية فقام يعدو معها وعدت اطلبه اياما الى ان وجدته في واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فاتيت اهله فاعلمتهم فاحتملوه ودفنوه ولم يبق فتاة من بنات الحي من بني جعدة وبني الحريش الا خرجت حاسرة ولم ير باكيا احد مثل

وما

وما أحلى قول شرف الدين المنادى

ولا خير فى عيش الفتى بين معشر * تعالوا على اخوانهم فتسافلوا

ومن هذه المادة ما نقلته من خط السراج الوراق له

ظننت بكم خيرا ولم أر ياءه * ووجه رجائى فيكم قد تصفرا
ومالكم ذنب ولكن لغالط * تفرس خيرا فيكم فتحمرا
وأنتم سمنتم ولم تجملوا * فلم نرمنا أدميا ولا برى

ونقلت منه له أيضا

اذا لم نرتفع عن سفل قوم * علوا وعلت مراتبهم علينا
صبرنا والزمان يرى علينا * تعاظمهم فينزلهم الينا

ونقلت منه له أيضا

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غدا شاكيا من لحن أيامه خفضا
ومستفل يدعى رئيسا لقومه * كذاك الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر له

وكم قيل قوم فى المجالس خوطبوا * وذاك دواجيها لهم فى التنافس
فقلت لهم ماذاك بدع * وانه لعند الدوا يدعى الخرا بالخالس

قلت كذا نقلته من خطه ولو قال ايدعى الخرا عند الدوا بالخالس لكان أتم معنى واحسن

ونقلت منه له يعرض بذكر الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاوون

كنا وكانوا ان اتت سفرة * وسلفونا جملة ساتحوا
واليوم صاروا يستعيدونها * فقلت مر السلف الصالح

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان فيما أظن قال أنشدنى ناصر الدين حسن بن النقيب اجازة لنفسه

ابلم قلدوه أمر الرعايا * وهو من حلية الوزارة عطل
فهو بالبوق فى الوزارة طبل * وهو فى الدست حين يجلس سطل

ولابن النقيب ايضا

اذا صرصر البازى فلا ديك صارخ * ولا فاخت فى أيكة يترنم
وما الموت الاطيب طعمه اذا * تدايك فروج وزبب حصرم

وقال ابن سناء الملك

الموت اولى بالفتى * من عيشة فى الذل غبرا
واذا تملكت اللئا * م فان موت الحر احرى

ومن مادة قول محيى الدين بن عبد الظاهر المتقدم قول الآخر

مرض الزمان وقد تمسك طبعه * من شرقه ولنح به تمغس
حقنته آراء الملوك بجاه * اهل المناصب كل شخص مجاس

(تقدمتنى اناس كان شوطهم * وراء خطوى لوامشى على مهل)

(اللغة) تقدمتنى صارت امامى اناس هو الاصل فى الناس خفف ولم يجعلوا الالف واللام

ذلك اليوم * ومن محاسن ماروى من شعره

أبى القلب الا حبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وينبت من أطرافها الورق الخضر

(وقوله)

فوالله ما أدرى علام صرمتنى * ولا اى امرى فيك بالليل اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه * أم أشرب ريقا منكم ليس يشرب
ولو تلتقى اصداؤنا بعد موتنا * ومن فوق رمسينا صفيح منصب
لظل صدى رمسى وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(وقوله)

أقول لاصحابى هى الشمس ضوءها * قريب ولكن فى تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتى * ولا مثل جدى فى الشقاء لكم جد
وما بى الا العظم والجلد عاريا * ولا عظم لى ان دام هذا ولا جلد

(وقوله)

فيه عوضا عن الهمزة المحذوفة لانه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه في قول الشاعر

ان المنايا يطلعـن على الاناس الآمنينا

وقد يكون الناس من الانس ومن الجن واختلفوا في اشتقاقه فقيل مأخوذ من ناس ينوس اذا تحرك وسمى الحسن بن هانئ ابا نواس لانه كانت له ذؤابتان تنوسان في احد القولين قلت وهذا باطل لانه يصدق الانسان بهذا على الملك والانسان والشيطان بل على الحيوان والملك لان الجميع متحرك وقيل بل من الانس وهو السكون والالف وقيل من النسيان قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقال ابو تمام الطائى

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسى

وقال ابو الفتح البستى

يا أكثر الناس احسانا الى الناس * وأكرم الناس اغضاء عن الناسى

نسيت وعدك والنسيان مغتفر * فاغفر فأول ناس أول الناس

وقال بن سناء الملك من مرثية

فلئن سلوتك ناسيا لا عامدا * فالذنب للنسيان لا السلوان

وعوائد النسيان فينا خلة * موروثة من ذلك الانسان

ونقلت من خط علاء الدين على بن مظفر الكندى الوداعى ما صورته وحدثنى بعض المشايخ عن الشيخ يوسف الفقاعى انه كان يقول مسكين الانسان ماذكره الله تعالى فى القرآن الا فى مكان ذم أو شر مثل قوله قتل الانسان ما أكفره وكان الانسان عجولا ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فأعجبنى هذا المعنى فنظمته بقولى

يا أيها الانسان لا * تفخر بغير تقى وعلم

وانظر فأكثر ما أتى الـ * ـقرآن باسمك عند ذم

(رجع) شوطهم الشوط الطلق وطاف بالبيت سبعة أشواط من الحجر الى الحجر شوط واحد وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى أمام قال الله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى أمامهم وقال تعالى وانى خفت الموالى من ورائى أى من بين يدى وقال الشاعر

ذاك خليلى وذو يواصلنى * يرمى ورائى بامسهم وأمسلمه

ويمكن التأويل فى ذلك كله ويرد الى الاصل خطوى الخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوات بضم الطاء وفتحها وسكونها وجمع الكثرة خطا والخطوة بالفتح المرة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطاء مثل ركوة وركاء مهل المهل بالتحريك التؤدة والتأنى (الاعراب تقدمنى) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهى فى موضع نصب (أناس) مرفوع على انه فاعل تقدم الكلام عليها (شوطهم) مرفوع على انه اسم كان والهاء والميم فى موضع جر بالاضافة (وراء) ظرف والعامل فيه النصب خبر كان المحذوف تقديره كان شوطهم مستقرا وراء (خطوى) مخفوض بالظرف والياء فى موضع جر بالاضافة (لو) تقدم الكلام عليها (أمشى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضم فيه مقدر على الياء لانه معتل الطرف بالياء (على مهل) على حرف جر ومعناه الاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال تقديره أمشى متمهلا

أردد عنك النفس والنفس صبة
بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظنة
وأكرمكم أن يستريب مريب
ولو أن ما بى بالحصا فلق الحصا
وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو اننى أستغفر الله كلما
ذكرتك لم تكتب على ذنوب

(وقوله)

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا
سوى أن يقولوا اننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق
كأن على أنيابها الخمر شجها
بماء سحاب آخر الليل غابق
وماذقته الا بعينى تفرسا
كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واما الابيات التى ذكر من أجلها فهى قوله عفا الله تعالى عنه وسامحه

دعا المحرمون الله يستغفرونه
بمكة يوما أن تمحى ذنوبها
وناديت يا رباه أول سؤلتى
لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعص ليلى فى حياتى لم يتب
الى الله عبد توبة لا أتوبها
أهابك اجلالا وما بك قدرة
على ولكن ملء عين حبيبها

وموضع كان وما دخلت عليه الرفع على انه صفة لاناس تقديره أناس كأن شوطهم وبعضهم رواه وراء خطوى اذا أمشى على مهل وفى هذه الرواية فائدة ليست فى الاولى لان اذ ظرف لما مضى من الزمان وهذا يدل على انه كان قد تقدم له رفعة وعلو وأولئك كانوا متأخرين عنه وعلى الرواية الاولى يفهم من لو الشرطية فيكون معناه لو حصل لى مشى على مهل فى الرفعة لكان شوطهم وراء خطوى والاولى اشعر فى حق الطغرائى (المعنى) صار أمامى وعلا نى وتقدمنى قوم كان جريهم خلف خطوى اذا مشيت متمهلا وهذا مبالغة فى سوء الحال واخناء الزمان عليه بان تعوقه الايام والليالى عن السعى حتى يتقدمه الذين كانت نهايات أشواطهم اذا بلغوها وراء خطوه المتمهل نعم

ان المقادير اذا ما مضت * ألحقت العاجز بالحازم

ولكن من رمى بهذا السهم الصائب من المصائب ومنى من الزمن الخائن بهذه النوائب حقيق بان يتظلم ويتشكى ويتألم ويتكلف لأن يقول له حيث لم يتكلم

اذا لم يكن للفضل ثم مزية * على النقص فالويل الطويل من الغبن

وقوله كان شوطهم وراء خطوى البيت يشبه قول هشام الرقاشى

تقدمنى اناس ما يكون لهم * فى الحق أن يلجوا الابواب من دونى

وقول موسى بن الطائف من قصيدة

يامبصر اعميت نواظر فهمه * عن كنه عرضى فى البديع وطولى

لو كنت تعقل ما جهلت مقاومى * من ضاق فرسخه بخطوة ميل

الفرسخ ثلاثة أميال والميل ألف باع والباع أربعة أذرع والذراع أربعة وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات توضع بطن هذه لظهر هذه والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل والبريد أربعة فراسخ وقال مجير الدين محمد بن تميم

ياقوم قد بلغ قول الخنا * عنى الى الحب بلا علم

من خنجرى أطول من سيفه * ورمحه أقصر من سهمى

والطغرائى زاد على هشام الرقاشى بمبالغتين وهما ان شوط أولئك وراء خطوه وان خطوه كان مع ذلك متمهلا وعلى موسى بن الطائف بمبالغة واحدة وهى المهل والدعوى فى المبالغة منحصرة فى ثلاثة أقسام الغلو والتبليغ والاغراق ودليل الحصر أن الدعوى اما أن تكون ممكنة أولا فان لم تكن ممكنة كانت غلوا وان كانت ممكنة فاما أن يصح وقوع ذلك عادة أولا فان صح كان تبليغا وان لم يصح كان اغراقا فالغلو كقول مهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وما أظرف قول القائل

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير

فقلت هو المهذب غير أنى * أراه كثير ارخاء الستور

وأكثر ما يغنيه فتاه * حسين حين يخلو بالسرور

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

ويقال انه كان بين حجر وموضع الوقعة عشرة أيام ولهذا قيل فيه انه أكذب بيت قالته العرب ومن هذا الباب أبيات أبى الطيب

وما هجرتك النفس ياليل انها
قليل ولكن قل منك نصيبها

وأما البيت الثالث فهو قول ابن أبى ربيعة

فتضاحكن وقد قلن لها
حسن فى كل عين من تود

وهو عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى القرشى ويكنى أبا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره فى الغزل ولا يمتدح أحدا ولذلك قال له سليمان ابن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انما أمدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها الا فى الشعر حتى كان ابن أبى ربيعة فأقرت لها فى الشعر أيضا ولم تنازعها شيأ * ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقال اى حق رفع واى باطل وضع يعنون كثرة معاشرته للنساء وتغزله بهن ومات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انه فتك أربعين ونسك أربعين ودخل عليه أخوه عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر أحسبك تجزع لما تظنه بى والله ما أعلم أنى ارتكبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الا من ذلك وحكى الجرمى أن عمر بن أبى ربيعة كان مشتهرا بحب

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه * الابيات وهو كثير فى كلامه والتبليغ كقول امرئ القيس

عـدا لى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

لان هذا ممكن فى حق الفرس أن يدرك الثور والنعجة ولم يعرق كى لا يحتاج الى أن يغسل
وما أظرف قول شرف الدين بن عنين

ولما رأينا المغرى بخدمة الـ * ـمؤيد مثل الراهب المتبتل
سألناه هل فى ظله لك مربع * وهل عند رسم دارس من معول
فقال أنا المسدى اليه تفضلى * وكم من يد لى عنده وتطول
أسد اذا استدبرته منه فرجة * بجرد قيد الاوابد هيكل
واشفى غليل الامنه عز شفاؤه * بضاف فويق الارض ليس باعزل
ولكننى ان رمت اتيان عرسه * تمتعت من لهو بها غير معجل
وكم ليلة قدبت جذلان بينه * و بين هضيم الكشح ريا المخلخل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
عـدا لى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

والاغراق كقول امرئ القيس أيضا

تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فان هذا غير ممكن عادة من أن يكون انسان باذرعات ويشاهد نارا بيثرب وقد بالغ الناس فى ضرب المثل بزرقاء اليمامة فقالوا انها كانت تنظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وحكاياتها مشهورة والنفوس تنفر من تصديق هذه الدعوى فى حقها فكيف تقبل دعوى من رأى من بلاد حوران بالشام نارا بيثرب فى الحجاز وبينهما على القليل مسيرة شهر وحكى الامام فخر الدين الرازى فى أول السر المكتوم أنه قال قال ثابت بن قرة ذكر بعض الحكماء كحلا يقوى البصر الى حيث يرى ما بعد عنه كأنه بين يديه وقال فعله بعض أهل بابل فحكى انه رأى جميع الكواكب السيارة والثابتة فى مواضعها وكان ينفذ نور بصره فى الاجسام الكثيفة فكان يرى ماوراءها فامتحنته أنا وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتا وكتبنا كتابا فكان يقرأه علينا ويعرفنا أول سطر من الكتاب وآخره كأنه معنا وكنا نأخذ القرطاس ونكتب وبيننا وبينه جدار وثيق فأخذ قرطاسا ونسخ ما كنا نكتبه كانه ينظر فيما نكتب وسأله قسطا بن لوقا عن أخ له ببعلبك فنظر ثم أخبر انه عليل وأنه ولد له مولود وطالعه ثلاثة أجزاء من الثور ففحصنا عنه فكان كما قال اه والله أعلم وقيل ان الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى حضر ذات يوم عند القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب فجرى ذكر زرقاء اليمامة فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من أمرها فقال الشيخ موفق الدين ان كانت الزرقاء ترى الشئ من مسيرة ثلاثة أيام فانا أرى الشئ من مسيرة شهرين قال فتعجب الكل وما أمكنهم يقولون للشيخ شيأ فقال له القاضى كيف هذا يا موفق الدين قال لانى أرى الهلال فقال له كنت تقول من مسيرة كذا وكذا سنة فقال لو قلت كذلك لعرف الحاضرون غرضى فقصدت الابهام عليهم قلت لو قال الشيخ موفق الدين لانى أنظر الشئ من مسيرة شهرين وأكثر لكان أحسن ابهاما ويقال ان هذه الزرقاء نظرت الى حمام يطير فى

الثريا بنت عبد الله بن امية الاصغر وكانت حرية بذلك جمالا وتماما وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو كل غداة من مكة يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار فلقى يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم فقال ما استطرفنا خبرا الا انى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش اسمها نجم فى السماء فذهب عنى اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبل ذلك انها عليلة فوجه فرسه الى نحو الطائف يركضه مل فروجه ويسلك طريقا كل أوهى وأخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتتشوق فوجدها سليمة ومعها أختها فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لاختبر ما عندك ولذلك يقول قصيدته يشكى الكميت الجرى اذ أجهدته

ويبين لو يستطيع أن يتكلما

وحكى انها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى ذكرته فصادفت أخاه الحرث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول

الجو فقالت

يا ليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه ليه
الى قطاة أهلنا * اذن لنا قطا ميه

وذكر أبو حاتم أنها قالت

ليت الحمام ليه * ونصفه قديه
الى حمامتيه * تم الحمام ميه

فالحمام اذا ستة وستون ونصفه ثلاثة وثلاثون فالجملة تسعة وتسعون يضاف الى هذه الجملة حمامتها فتكمل المائة و يقال انها وقعت فى شبكة صياد فعرف عددها وأرى من المستحيل أن يتفق هذا الاحد مع التساهل فى تجوز الرؤية وسرعتها على أن احصاء هذا العدد والحمام فى طيرانه كيف يتهيأ وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل و بعضه يستعلى وأغرب من هذا ما قاله النابغة فى قصيدته وهو

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما حسبت * ستا وستين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

يريد بجانبي النيق حافتي الجبل واذا كان الحمام بين جبلين ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضا متراكما فيكون أبعد لاحصاء عدده بخلاف ما اذا كان منبسطا فى الجو وذكرت هنا ما يمتحن به الاذهان فى الحساب قالوا صفان من الحمام قال الاعلى للاسفل كم عدد كم فقالوا اذا طاع منا اليكم واحد كنتم مثلينا واذا نزل منكم الينا واحد تساوينا فكم عدة كل صف الجواب الصف الاعلى سبعة والصف الاسفل خمسة مسئلة أخرى مسلمون ونصارى ويهود عدتهم عشرون دخلوا حماما وزنوا عشرين درهما المسلم وزن نصفا والنصرانى درهمين واليهودى ثلاثة كم كان عدد كل واحد منهم الجواب المسلمون أربعة عشر والنصارى خمسة واليهود واحد مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الاخر ثلاثة أرغفة فقعدا يأكلان فربهما آخر فأكل معهما وأكل كل منهم من الخبز على التساوى فلما فرغوا دفع اليهم ثمانية دراهم كيف يقسم ذلك بينهم الذى يبدو الى بادئ الرأى ان صاحب الخمسة له خمسة وصاحب الثلاثة له ثلاثة وليس كذلك والجواب ان صاحب الخمسة يستحق سبعة وصاحب الثلاثة يستحق واحدا والعلة فى ذلك ان كلا منهم أكل رغيفين وثلثى رغيف يخص كل ثلث درهم مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مشتركان فى ثمانية أرطال زيتا أرادا قسمته بينهما ولم يكن معهما الا وعاء يسع خمسة ووعاء يسع ثلاثة فكيف الحيلة فى قسمته الجواب أن يفرغ فى وعاء الثلاثة ملئه ثم يقلب ذلك فى وعاء الخمسة ويملأ وعاء الثلاثة مرة ثانية ويفرغ منه فى وعاء الخمسة تكملة وسعه وهو رطلان ويبقى فى وعاء الثلاثة رطل واحد فيفرغ ما فى وعاء الخمسة فى وعاء الاصل ويقلب الرطل الذى بقى فى وعاء الخمسة ثم يملأ وعاء الثلاثة مرة ثالثة من الاصل ويضاف للرطل الذى فى وعاء الخمسة فيجتمع فيه أربعة أرطال مسئلة أخرى بركة تمتلئ من نهر فى

أعز بى فلست بالفاسق أخزاك كما الله فلما علمت بالقضية انصرفت ورجع عمر فأخبره الحرث فاغتم لما فاته وقال له اما والله لا تمسك النار ابدا وقد القت نفسها عليك فقال الحرث عليك وعليها لعنة الله * وقال عمر ما اخجلنى الا ليلى بنت عمر ولقيتها وهى تسير على بغلة لها وكنت اشبب بها فقلت لها جعلت فداك قفى واسمعى بعض ما قلت فيك فقالت أوفعلت فقلت نعم فوقفت فأنشدتها

الا يا ليل ان شفاء نفسى
نوالك لو علمت فنولينا
وقد ازف الرحيل وحان منا
فراقك فانظرى ما تأمرينا

فقالت آمرك بتقوى الله وايثار طاعته وترك ما انت عليه ثم انصرفت * وحكى انه كان يوما يساير عروة بن الزبير فقال عمر واين زين المواكب يعنى محمد بن عروة وكان يسمى بذلك لجماله فقال عروة هو امامك فركض يطلبه فقال له عروة يا ابا الخطاب اولسنا اكفاء لمحادثتك ومؤانستك فقال بلى ولكنى مغرى بهذا الجمال اتبعه حيث كان ثم انشد يقول

انى امرؤ مغرم بالحسن أتبعه
لاحظ لى فيه الالذة النظر

ثم مضى حتى لحقه وجعل

يومين ومن نهر في ثلاثة أيام ومن نهر في أربعة أيام فتحت الانهار الثلاثة دفعة واحدة في كم تمتلئ الجواب في اثني عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانك تاخذ مخرج النصف والثلث والربع وهو اثنا عشر وتقسمه على مجموع الاجزاء وهي ثلاثة عشر جزأ الخارج اثنا عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانه ينصب اليها من النهر الاعظم ستة أجزاء من ثلاثة عشر ومن الاوسط أربعة اجزاء ومن الاصغر ثلاثة اجزاء وذلك مجموعها (رجع) وقول الطغرائي داخل في الغلو باعتبار وفي الاعراق باعتبار حكى صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال دخل أشعب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق فقيل له ما تريد قال استفتي في مسئلة فبينما هو كذلك اذ مر برجل من ولد الزبير وهو مستند الى سارية وبين يديه رجل علوي فخرج أشعب يعدو فقال له الذي ساله عن طوافه وجدت من أفتاك في مسئلتك قال لا ولكن علمت ما هو خير لي قال وما ذاك قال وجدت المدينة كما قال الحرث بن خالد

قد بدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

ورأيت رجلا من آل الزبير جالسا في الصدر ورجلا من ولد علي رضى الله عنه جالسا بين يديه فكفاني هذا عجبا فانصرفت به وحكى صاحب زهر الآداب وغيره ان مزيد المدني دخل على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ورجل من ولد أبي بكر الصديق رضى الله عنه وآخر من ولد عمر رضى الله عنه جالسان بين يديه على الارض فلما رأى المولى مزيدا تجهمه وقال يا مزيد ما اكثر سؤالك أجئت تسألني شيأ قال لا ولكن أردت ان اسألك عن معنى قول الحرث بن خالد

اني وما نحروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العقل

قد بدلت البيت فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذي قال فقال اعزب في غير حفظ الله وضحك جميع أهل المجلس وما أحسن ما قال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة ويصف خيمة ضربت له

ولو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

وقد ضمنت هذا البيت فقلت فيمن أحب أسود والمحب حسن الوجه

أيا من تكلف حب العبيد * وذلك في العقل لا يجمل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

ومما ينخرط في سلك قول الطغرائي ما قاله الارجاني

ومن العجائب ان لي * صبرا على هذي العجائب
ومن النوائب انني * في مثل هذا الشغل نائب

وقال التهامي

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
زمن كأم الكلب ترأم جروها * وتصد عن شبل الهزبر الضاري

وهذا المعنى الذي تخيله التهامي معنى حسن ولكنه لم تساعده الالفاظ عليه فجاء ناقصا لانه يريد أن الزمن يشتمل على الكلاب ويصد عن الاسود وهذا مليح ولكن ما يفهم من البيت هكذا لمن تامله لان الكلبة اذا أرضعت جروها واعرضت عن شبل الاسد لا يستغرب منها هذا

الفعل

عروة يضحك منه * وروى انه شبب بزينب بنت موسى الجمحي وكان ابن ابي عتيق ذكرها له فاطنب في وصفها فصنع فيها قصيدته التي يقول فيها

يا خليلي من ملام دعاني
والماء المعداة بالأظعان

وبلغ ذلك ابن ابي عتيق فلامه في ذكرها فقال

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي
ان عندي عتيق ما قد كفاني
لا تلمني فأنت زينتها لي

فبدره ابن ابي عتيق فقال

انت مثل الشيطان للانسان

فقال عمر هكذا والله قلته فقال ابن ابي عتيق اما علمت ان شيطانك ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه كما يجد عندك من طاعته * ومثل هذا ما حكي انه انشد عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قصيدته الدالية فلما قال

تشط غدا دار جيراننا

فبدره ابن عباس فقال

وللدار بعد غد ابعد

قال هكذا والله قلت فقال ابن عباس انه لا يكون الا هكذا * وروى ان عبد الملك بن مروان جمع بينه وبين جميل و كثير عزة وقال لينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فأيكم كان اغزل فله هذه الناقة وما عليها وكان قد احضر ناقة موقورة دراهم

الفعل وكان ينبغى ان يزيده بيانا بان يقول الزمان كاب فلا غرو اذا حنا على أولاد الكلاب وقسا على الاشبال وقال أيضا

يخفى الزمان فضائلى فكأننى * وكأنها فى قلبه اضمار
لم اخف الالالله لو انما * تخطى السها العلوه الابصار

وهو ماخوذ من قول أبى العلاء المعرى

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

وقال الغزى

انى لاهضم نفسى بعد معرفتى * ان الجمانة لا تصفو مع الزبد
وربما عفت حمل السيف معتصما * بحمله لاشتراك الناس فى العدد

وقال ايضا

غيرى له المجد والايام تقسم بى * وهى الجديرة بالضيزى من القسم
اظنها أقسمت باسمى لتخفضنى * ولم يكن غير خفض لى احرف القسم

وقال ايضا

فالوازنات فقلت الدهر اقسم بى * لا وجه للرفع فى المجرور بالقسم

وقال ابن نباتة السعدى

أبى الله ان أهوى من الناس واحدا * وكلهم عندى اقل من القل
أبيت اعزى النفس باليأس منهم * ولو شئت كانت فى خدودهم نعلى

والابيات التى طمت وعمت هى قول المعرى

ولما رايت الجهل فى الناس فاشيا * تجاهلت حتى قيل انى جاهل
فواعجبا كم يدعى الفضل جاهل * وواأسفا كم يظهر النقص فاضل
اذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زران الحياة ذميمة * ويا نفس جدى ان دهرك هازل

وما أحسن ما انشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يضمن اعجاز هذه الابيات

تطاولت الاغصان تحكى قوامه * وعند التناهى يقصر المتطاول
وفصلت الجوزا على البدر وجهه * وقال السهى ياشمس لونك حائل
واعيا فصيح اللفظ نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل
ولما مشى فوق البسيطة زانها * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
واعرض عنى حين لا لى ناصر * وهل ناصر فى الحب والظبى خاذل
فيا موت زران الحياة كريهة * ويا نفس جدى ان دهرك هازل

وقوله واعيا فصيح اللفظ البيت سبقه الى هذا المعنى شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

فابتدر جيل فى الاول وقال
ولو ان راقى الموت يرقى جنازتى
بمنطقها فى الناطقين حييت

وقال كثير
وسعى الى بعيب عزة نسوة
جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن ابى ربيعة
فليت الثريا فى المنام ضجيعتى
لدى الجنة الخضراء اوفى جهنم

فقال عبد الملك خذها ياصاحب جهنم * ومن محاسن شعر عمر قوله فى قصيدته الرائية

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع
ولا الحبل موصول ولا انت مقصر
اشارت بمدراها وقالت لتربها
اهذا المغيرى الذى كان يذكر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا
عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشى فيخصر
اخا سفر جواب ارض تقاذفت
به فلوات فهو اشعث اغبر
وليلة ذى دوران جشمنى السرى
وقد يجشم الهول المحب المغرر
وبت رقيبا للرفاق على شفا
ولى مجلس لولا اللبانة اوعر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت
مصابيح شبت للعشاء وانور

*(هذا جزاء امرئ اقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل)*

(اللغة) الجزاء تقول جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى ويقال جازيته فجزيته أى غلبته مثل باكيته وبكيته اى كنت ابكى منه وهو أحد الاقوال فى قول الشاعر

الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

اى تباكى عليك نجوم الليل والقمر فتبكيهم ومعناه على كل حال مشكل لان الشمس اذا كانت طالعة غير كاسفة فكيف تكون باكية فكان ينبغى انها غربت و كسفت وبكت هذا الذى يليق بالرثاء والتأبين وقال اهل العلم بالادب فيه اقوال منها ان فيه تقديما وتاخيرا وان نجوم الليل والقمر منصوبان بكاسفة لا بقوله تبكى وتقديره ليست بكاسفة نجوم الليل ولا القمر تبكى عليك واذا كانت غير كاسفة لغيرها من الكواكب كانت غير مضيئة فهى سوداء مظلمة والزمان كله ليل وهذا فى غاية ما يكون من المبالغات فى المراثى وهذا أجود ما قيل فيه وأظن هذا البيت مما رثى به عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب وقبله فيما أظن

حملت أمرا عظيما فاضطلعت به * وقمت فينا بأمر الله يا عمرا

ونصب عمر مشكل لانه علم مفرد فكان ينبغى أن يبنى على الضم وما أحسن قول السراج الوراق فى شخص ينعت بالعلم

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى

وكتب الى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ملغزا فى المأذنة فقال

يا أماما له ضياء ذكاء * يتلالا شيء له ضياء ذكاء

ما مسمى بالرفع يعرب والنصب وان كان مستقر البناء

علم مفرد فان رفعوه * رفعوه قصد الاجل النداء

انثوه ومنه قد عرف التذ * كير فانظر تناقض الاشياء

وهو ظرف فاين من فيه ظرف * ليجلى عن هذه العمياء

وكنت قد وقفت على لغز أنشأه المولى الفاضل شرف الدين حسين بن ريان فى المأذنة وهو نثر اتى فيه باشياء مليحة وكلفت الجواب عنه فاجبت عن ذلك ومن جملة الجواب

شهادته مارءها غير كافر * ويقضى بها من كان بالحق قاضيا

يقول معانى الطب باعجابه * يصح وقد ضمت حشاه المراقيا

وهذا اللغز والجواب أثبتهما فى الجزء الرابع عشر من التذكرة التى جمعتها (رجع) الى اعراب قوله يا عمرا فالوا فيه وجوه منها أنه أراد يا عمر بن الخطاب والمنادى المضاف يكون منصوبا ثم قطع الاضافة لانتهاء الوزن ومنها أنه أراد واعمراه على الندبة وحذف الهاء كما فى قوله تعالى يا أسفا على يوسف وقيل غير ذلك (رجع) امرئ تقدم الكلام عليه فى قوله حب السلام البيت أقرانه القران جمع قرين وهو المصاحب من قبله قبل نقيض بعد فتمنى تمنيت تفعلت من المنية فسحة تقدم الكلام عليها فى قوله أعلل النفس الاجل مدة الشئ وغاية العمر وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال حكماء الاسلام ان للانسان أجلين اخترامى وهو الذى يحصل بالاسباب الخارجية كالغرق والحريق ولسع الحشرات والتردى من الاماكن العالية والقتل وما أشبه ذلك وطبيعى وهو الذى يحصل بفناء الرطوبة

ونفضت عنى النوم اقبلت مشبه الحباب وركنى خيفة القوم ازور

فحييت اذ فاجأتها فتولهت وكادت بمهجور التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتنى وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

اريتك ان هنا عليك ألم تخف رقيبا وحولى من عدوك حضر

فلما تقضى الليل الا اقله وكادت توالى نجمه تتغور

اشارت لاختيها اعينا على فتى اتى زائرا والامر للامر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا اقلى عليك اللوم فالخطب ايسر

يقوم فيمشى دوننا متنكرا فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجنى دون من كنت اتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

هنيئا لبعل العامرية نشرها اللذيذ ورياها الذى اتذكر

اطلت لى ذكر هذه القصيدة لما رايت فيها من اللفظ المطبوع والانسجام الذى لا يتهيأ لغيره من الشعراء ومن محاسن شعره قوله

وعدم الحمار الغر بزى وذلك غاية الهرم ونهايته مائة وعشرون سنة لان التجربة دلت على ان غاية سن النمو ثلاثون سنة وغاية سن الوقوف عشر فهذه أربعون و يجب ان يكون غاية سن النقصان ان ضعف الاربعين المتقدمة وذلك ثمانون سنة وانما صار زمان الفساد ضعف زمان النمو اما من السبب المادى لان فى زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على البدن فتمسك بالقوة واما من السبب الفاعلى لان الطبيعة تتأدى الى الافضل وتتحامى عن الانقص وتمسكوا فى القول بالاجلين بهذه الآية الكريمة والآية الاخرى تكذبهم وهى قوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وأما الآية المتقدمة فقال المفسرون فيها أقوال منها ان الاجل الاول آجال الماضين والاجل الثانى آجال الباقين لان الاول علمت والثوانى لم تعلم ومنها أن الاجل الاول الموت والثانى أجل القيامة والبعث والنشور ومنها أن الاجل الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت والثانى هو النوم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ومنها ان الاجل الاول هو ما انقضى من عمر كل واحد والثانى مقدار ما بقى من عمره وانما قال تعالى فى الاجل الثانى أنه مسمى عنده لانه اما يوم القيامة واما ما بقى من عمر الباقين وكل ذلك غيب لا يعلمه الا الله تعالى وقوله تعالى عنده هذا كما تقول عندى فى هذه المسئلة كذا و كذا أعنى اعتقادى وقولى والذى أراه او قضى به أن ذلك مذكور فى اللوح المحفوظ فان قيل النكرة لا يجوز الابتداء بها خصوصا اذا كان الخبر ظرفا فانه يجب تقديمه فالجواب أنه لما تخصصت بالصفة المعروفة ساغ الابتداء بها كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ونقلت من خط السراج الوراق له

أراني بطيئا اذا ما كتبت * وقد خلقت طينتي من عجل
كأني خالفت نص الكتاب * فعندى لكل كتاب أجل

(الاعراب هذا) اسم اشارة فى موضع رفع بالابتداء والاشارة الى الحالة التى ذكرها فى الابيات المتقدمة من تقدم من دونه عليه ومن فقره وضره وغربته وانفراده (جزاء) مرفوع على انه خبر المبتدا (امرئ) مجرور بالاضافة (أقرانه) مرفوع على الابتداء والهاء فى موضع جر بالاضافة (درجوا) فعل ماض والواو ضمير الفاعلين يعود على الاقران وموضعه الرفع (من قبله) من حرف جر وهى ظرفية أو زائدة وقيل ظرف زمان ومتى قطع عن الاضافة بنى على الضم لوقوعه موقع الغايات كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد واذا أضيف تمكن من الاسمية فيعرب والهاء فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى امرئ (فتمنى) الفاء للتعقيب تمنى فعل ماض وكتب بالياء لانه من تمنيت وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى امرئ (فسحة) منصوب على انه مفعول به لتمنى (الاجل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة بمعنى اللام وقوله أقرانه درجوا الخ فى موضع جر صفة لامرئ (المعنى) هذا الذى أنا فيه من الغربة والفقر والعطلة والانفراد وتقدم الاراذل على ولاية الاوغاد والسفل جزاء انسان درجت أقرانه واخوانه فتمنى الحياة بعدهم وبعض هذا ينظر الى قول لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

قال صاحب الاغانى حدثنى محمد بن جرير الطبرى أنبأنا أبو السائب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تنشد بيت لبيد ذهب الذين البيت فتقول

أألحق ان دار الرباب تباعدت
او انبت حبل الوصل قلبك طائر
أفق قد أفاق الواجدون وفارقوا
هوى واستمرت بالرجال المرائر
أمت حبها واجمل رجاءوصالها
وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وهبها كشئ لم يكن أو كنازح
به الدار أو من غيبته المقابر
هذا البيت من أحسن ما ذكره أرباب البديع وفيه نوع من أنواع التقسيم وقوله أيضا
بينما ينعتننى أبصرتنى
مثل قيد الميل يعدو بى الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى
قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها
قد عرفناه وهل يخفى القمر
يقال انه رتب كلامهن على قدر عقولهن فالكبرى تجاهلت عن معرفته والوسطى أظهرت معرفته والصغرى أظهرت معرفته ووصفه وقوله معارضا القصيدة جميل
جرى ناصح بالود بينى وبينها
فقربنى يوم الخضاب الى قتلى
فلما توافقنا عرفت الذى بها
كما عرفت بى حذوك النعل بالنعل
وسلمت فاستأنست خيفة أن يرى
عدوى مكانى أو يرى كاشح فعلى
فقالت وأرخت جانب الستر انما
معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى

رحم الله ابيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال عروة رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم فقال هشام رحم الله عروة فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال وكيع رحم الله هشاما فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو السائب رحم الله وكيعا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو جعفر رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ونحن نقول والله المستعان فالقصة أعظم من ان توصف بحال اه ولله در القائل

زماننا هذا خرا * وأهله كما ترى
ومشيهم جميعهم * الى ورا الى ورا

وقلت أنا زيادة عليه

الى ورا بحيث لم * تلق لخير خبرا

وحكى الاصمعي عن عيسى بن عمر قال وفد أبو الجهم بن حذيفة على معاوية فقال له معاوية والله ان لك لشرفا وحقا وقرابة يا أبا الجهم وانه لزمتاه ون عشية وهذه مائة ألف فخذها واعذر قال أبو الجهم فقبضتها على مضض وقلت في نفسي ما عسى ان أقول له وهو رجل ناء عن بلاد قومه وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الجفاة الاغفال فقبلتها على انه قد قصر بي فلما توفي معاوية واستخلف يزيد سرت اليه وافدا وأقمت أياما فقال لي يا أبا الجهم اني بحقك وقرابتك وشرفك لعارف وان مع حقك لخوفا ومؤنا ولا نستطيع دفعها وأنت أولى من عذر ابن أخيك وهذه خمسون الفا فقبضها اليك واعذر فقلت في نفسي غلام حدث نشأ مع غير قومه وسكن غير بلده وهو مع هذا ابن كلبية فأي خير يرجى منه ثم اني أخذتها منه على أنه قصر بي وانصرفت فلما استخلف عبد الله بن الزبير قلت في نفسي هذا بقية قريش البطاح فأتيته وافدا وأقمت عنده أياما ثم قال لي يا أبا الجهم مهما جهلت فلن أجهل شرفك وقرابتك وحقك غير أن على مؤنا وغرما وحمالات وأمورا يطول شرحها ولكن مع ذلك فاني غير مخيب لسفرك هذه ألف درهم خذها واستعن بها على أمورك فقبضتها فرحا ثم مثلت بين يديه فقلت يا أمير المؤمنين مد الله لقريش في بقائك ودافع ولا امتحنها بفقدك فوالله لازالت بخير ما بقيت لها فقال ابن الزبير جزاك الله عن الرحم خيرا فوالله ما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مائة ألف ولا قلته ليزيد وقد أعطاك خمسين ألفا وقلته لنا وانما أعطيناك ألف درهم فقلت نعم يا أمير المؤمنين من أجل ذلك قلت لاني خفت ان أنت هلكت لا يلي أمر الناس الا الخنازير وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهندار العرب

كنا اذا جئنا المـن قبلكم * أنصف في الترحيب بعد القيام
والآن صرنا حين نأتيكم * نقنع منكم بلطيف الكلام
لا غير الله بكم خشية * من أن يجي من لا يرد السلام

وقال المتوكل يوما لجلسائه أتعلمون أول ما عتب المسلمون على عثمان رضي الله عنه فقال أحدهم نعم يا أمير المؤمنين انه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضي الله عنه دون مقام أبي بكر رضي الله عنه بمرقاة فلما ولي عثمان رضي الله عنه صعد ذروة المنبر فأنكر المسلمون ذلك عليه

فقلت لها ما لي لهم من ترقب
ولكن سري ليس يحمله مثلي

يقال ان هذا البيت أحسن ما قيل في وصف السر وقوله أيضا

أيها الرائح المجد ابتكارا
قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليما
ففؤادي بالخيف أضحى معار
ليت ذا الدهر كان حتما علينا
كل يوم من حجة واعتمارا

يروى أن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططا عظيما وان الله لارحم بهم من أن يبلغه أمنيته وأما الشعر الذي ذكر من أجله فقوله في هند بنت الحرث بن عوف المرية

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لاتراب لها
ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني
عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها
حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها
وقديما كان في الناس الحسد

(وكانت انما حلتك بحلالك ووسمتك بسمالك)
ولم تعرك شهادة ولا تكافت لك زيادة)

وأرادوا أن ينزل دون مقام عمر بمرقاة فقال عبادة يا أمير المؤمنين ما أحد أعظم منة عليك من
عثمان قال وكيف ذلك ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن مقام
من تقدمه مرقاة كنت أنت تخطب علينا في بئر وقال يوسف بن يعقوب اشترى بعض التجار
دارا في الانصار فيها كروبجب مكسور وقالوا هذا جب سعيد بن جبير فاقرضنا عليه مائة
درهم فرد الجب وأعطاهم الدراهم وانتقل فقالوا له لم انتقلت قال أخاف أن تباكروني
بقصعة عبادة ابن الصامت وحكي ان بعض الارقاء كان عند مالك يأكل الخاص ويطعمه
الخشكار فانف الرقيق من ذلك فطلب البيع فباعه واشتراه من يأكل الخشكار ويطعمه
النخالة فطلب البيع فباعه واشتراه من لا يأكل شيأ وحلق رأسه وكان في الليل يجلسه ويضع
السراج على رأسه بدلا من المنارة فاقام عنده ولم يطلب البيع فقال له النخاس لاي شئ رضيت
بهذه الحالة عند هذا المالك فقال أخاف ان يشتريني في هذه المرة من يضع الفتيلة في عيني
عوضا من السراج ويقال ان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان جميلا وكان أمد الناس قامة
وكان رأسه الى منكب أبيه علي وكان رأس علي الى منكب عبد الله بن عباس وكان رأس
عبد الله الى منكب العباس وعلى ذكر الجرب في قول لبيد نقلت من خط السراج الوراق له

زعموا لبيدا قال في عصر له * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وأراه اعدى خلفه من خلفه * جربا واعيا الداء كل مجرب
وتضاعف الجرب الذي عدواه لا * تنفك عن ماض ولا متعقب
وتفاقم الداء العضال فخلفنا * بلغ الجذام وعصرنا عصر وبي

ومن كلام القاضي الفاضل وأشكو بعد قلبي جسمي فقد ضعفت قوته وقوي ضعفه ونسجت
عليه همومي ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الجرب الذي عادى بيني وبيني وانتقم
بيدي من جسمي واستخدمها الحرث أرضه وان لم يكن لارضه عاج فلي عجيج وان لم يكن لي بذر
فلي من الحب ثمار وان لم يكن لي سنبلة فلي أنملة وان لم يكن لي في كل سنبلة مائة حبة آكلها
فلي في كل أنملة مائة حبة تأكلني وقد كنت مسالما لاعضائي الا سنا أقرعها فلم يخل زمن من
مندماني أو أصبعا أعضها فما أكثر ما تأتي به الايام من غائظاتي والآن فقد زدت على الظالم
الذي يعض على يديه فانا أقرع جميع أعضائي وكلها ثنيات وأعض على جوارحي وكلها
أنامل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والجرب هم الاجسام والهم جرب القلوب والفكر
للقلب حك والحك للجسم فكر وبالله ندفع ما لا نطيق يا واهب العمر خلصه من الكدر
ويقال ان الذي يعدي ثلاث جيمات الجذام والجرب والجدري وثلاث سينات السعال
والسل والسبل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان الشؤم في شئ رواه مسلم عن ابن عمر
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان يكن من الشؤم
شئ حق ففي الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان كان الشؤم في شئ وفي حديث جابر ان كان
الشؤم في شئ ففي الربع والخادم والفرس قال ابن الجوزي ولقائل أن يقول كيف يجمع بين
هذا وبين قوله لا عدوى والجواب ان عائشة رضي الله عنها قد غلطت من روى هذا الحديث
وقالت انما كان أهل الجاهلية يقولون ذلك وهذا رد منها لخبر رواته ثقات والصحيح ان معناه ان
خيف من شئ أو يكون شئ يخاف شره ويتشاءم به فهذه الاشياء لا على سبيل القطع التي يظنها

قوله (وكانت) عطف على
وهبها (والحلى) الاوصاف
التي يوصف بها الشخص
كأنها مأخوذة من الحلي وهو
الزينة (والسيما) العلامة
ومنه قوله تعالى من الملائكة
مسومين (والشهادة) العلم
بالشئ والاقرار به
(بل صدقت سن بكرها فيما
ذكرته عنك)
هذا مثل يضرب في الصدق
وأصله ان رجلا ساوم رجلا
في بعير فقال ما سنه فاخبره بانه
بكر فنفر عنه أي رأى سنه
واحد الاسنان فقال صدقني
سن بكره روي سن بكره بفتح
النون على انه مفعول وسن
بضمها على انه فاعل وكلاهما
صحيح المعنى
(ووضعت الهناء مواضع
النقب بما نسبته اليك)
(ولم تكن كاذبة
فيما أثنت به عليك)
هذا مثل يضرب لمن يضع
الامور في محالها وأصله ان
الهانئ وهو واضع القطران
على البعير الاجرب يتتبع
النقب التي في جسد البعير
وهي مبادي الجرب وهذا
المثل نصف بيت من الشعر
لدريد يقوله في الخنساء وهو
دريد بن الصمة بن الحرث
الجشمي من هوازن فارس
معروف من فرسان الجاهلية
وشعرائها مشهور بالرأي

الجاهلية من العدوى ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى ما روى عن عائشة رضى الله عنها قال هذا ساقط لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخبر عن الناس ما كانوا يعتقدونه وانما بعث ليعلم الناس ما يلزمهم ان يعلموه قال وفائدة هذا اللفظ حصر الشؤم فى الثلاثة المذكورة عادة لا خلقة قلت وقال بعض الافاضل انه لا تنافى بين قوله لا عدوى ولا طيرة وبين حديث ابن عمر فى الشؤم لان الراوى روى طرف الحديث لكونه لم يسمع أوله لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بال أقوام يقولون ان يكن من الشؤم الحديث لان الاعرابى لما سمعه عليه الصلاة والسلام يقول لا عدوى ولا طيرة قال فما بال الابل تكون كالظباء العفر فاذا دخلها البعير الاجرب أعداها فقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن أعدى الاول وقولهم أشأم من طويس هو طويس المغنى ولد يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم وفطم يوم توفى أبو بكر رضى الله عنه وبلغ الحلم يوم قتل عمر رضى الله عنه وتزوج يوم قتل عثمان رضى الله عنه وجاءه ولد يوم قتل على رضى الله عنه ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

تطيرت الوزارة من قريب * بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبه كعب مشوم * ولا سيما على الملك السعيد

وما احلى قول النصير الحمامى فيما اظن

أقول للكاس اذ تبدى * بكف أحوى أغن أحور
خربت بيتى وبيت غيرى * وأصل ذا كعبك المدور

وقول شمس الدين محمد بن دانيال ملغزا فى السرموزة

وجارية هيفاء ممشوقة القد * لها وجنة أبهى احمرارا من الورد
من العينيات التى حروجهها * يفوق صقال الاصفحة الصارم الهندى
وثيقة حبل الوصل منذ وطئتها * فلست أراه قط منتقض العهد
ولم أرزوجا فيرها كل ساعة * على الترب ألقيها معفرة الخد
ومن عجب انى اذا ما وطئتها * تئن أنينا دونه انة الوجد
مباركة عندى فلا برحت اذن * مدورة الكعبين شؤما على ضدى

وعلى ذكر شؤم الدار قال عبد الملك بن عمير الكوفى كنت عند عبد الملك ابن مروان بقصر الكوفة المعروف بدار الامارة حين جىء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآنى قد ارتعت فقال مالك فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما بين يديه بهذا المكان ثم كنت فيه مع المختار أبى عبيد الله الثقفى فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار بين يديه ثم هذا رأس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم الطاق الذى كنا فيه وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله حكى لى أبو المجد قاضى السويداء قال كان بالشام شاعران ابن منير الطرابلسى وابن القيسرانى وكان ابن منير كثيرا ما يبكت ابن القيسرانى بأنه ما صحب أحدا الا نكب فاتفق ان أتابك عماد الدين زنكى صاحب الشام غناه مغن على قلعة جعبر وهو يحاصرها قول الشاعر

والظفر وأمه ريحانة بنت معدى كرب أخت عمرو وقتل فى غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وكان قد أسن وعجز عن الحرب وانما حمل مع القوم لرأيه وتدبيره وهى الواقعة التى أشار فيها برأى ولم يسمع منه فقال ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع * وهزمت هوازن وقتل أكثرهم وقتله ربيعة بن رفيع السلمى فى خبر يطول وقال لما ضربته بسيفه وقع متكشفا فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل حكى الاصمعى أن أمه ريحانة قالت له بعد مقتل أخيه عبد الله بن الصمة يا بنى ان كنت عجزت عن ثار أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد فأرق لذلك وحلف لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثاره ثم وجد غرة من غطفان فغزاهم وقتل منهم قوما ثم أسر دواب بن أسماء وأتى به الى فناء أمه فقتله فاخذت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها الى أن انقطع منه شئ وهى لا تعلم من الفرح ثم قال فى ذلك

جزينا بنى عبس جزاء موفرا
بمقتل عبد الله يوم الذنائب

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل الـ ـواشي اليه حديثا كله زور
سـلمت فأزور يثني قوس حاجبـه * كأنني كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما زنكي وقال لمن هما فقيل لابن منير وهو بحلب فكتب الى والى حلب يسيره اليه سريعا فليلة وصل ابن منير الى حلب قتل أتابك زنكي ولما رجع ابن منير الى حلب قال له ابن القيسراني هذه بكل ما كنت تبكتني به اهـ ويقال ان قصيدة ابن زيدون التي منها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

ما حفظها أحد الامات غريبا ويقال في كتاب العقد لابن عبد ربه ما كمل في بيت الاخرب ويقال في البيت الاخضر الذي في بلد فرعون وهي مصر القديمة بالبدرشين انه ما دخله أحد الا ودخل الحبس (رجع) الى ذكر الجرب قال ابن سناء الملك يصف جربا أصابه

لقـد لقيت وصبا * وقـد شقيت نصبا
مـن جرب صرت به * مبغضا محببا *
الماء منـه قد جرى * والجمـر قـد تلهبا
والنار تذكى اذ أرى * بها عظامى حطبا
أناملى الـلى وان * أبصرت منها رطبا
يقول من أبصرني * ذا الافق قد تكوكبا
مـن الهـوان عاد كفى * ملكا محجبا
ألبس ثوبا ساذجا * ثم يعود مـذهبا
أصبحت ذا القروح لا * شعر ولكن كربا
يا جربا ان لم أقـل * مـن جربي يا حربا

وقال ابن سناء الملك أيضا

اللؤلؤ الرطب حب * في راحتي نفائس
فلؤلؤ الحب رطب * ولؤلؤ البحر يابس

وقال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي

تعشقتـه لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسـنه وجها الى محببا

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى بدر الدين حسن بن علي الغزي في المعنى

يا فم المحبوب سبحا * ن الذي زادك زينا
قـد تجليت بدر * فتحببت الينا

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

توهـم اذ رأى حبابا كى * عـلى شفتيـه در الى عقيـق
فقلت له وحقك ليس هذا * سوى حبب على كاس الرحيق

وقال بهاء الدين بن الصولي في الجرب

جرحـي وجرحـي أذابا * جسدي اذ جفاني الاحباب
تركاني كالماء والجمر لطفا * فلهـذا طفا عـلى الحباب

قتلنا بعبد الله خير لداته
دواب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال الاصمعي كان عبد الملك ابن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه أرباب البديع الاطراد لتوالي الاسماء منظومة * وحكى أبو عبيدة قال هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ وحياه وقال هل تعرفني يا دريد فقال لا قال فلم هجوتني قال ومن أنت ولم يكن رآه قال أنا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرأ كريما فاحببت أن أضع شعري موضعه فقال له عبد الله لئن كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان أعملتها
مسومة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقي امرأ
جواد الرضا وحليم الغضب
سبرت الانام فلما أرى
شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن شعر دريد يرثي أخاه
تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا
فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلى مكانه
فما كان وقافا ولا طاما من اليد

قلت تخيله الجدري كالحباب تخيل حسن ولكن هذا المقام مقام تشك وما يليق به ان يقول صرت كالماء والخمر لطفا نعم يليق بالحبيب المجدور أن يوصف باللطافة ولكن قد أخذت أنا هذا المعنى فنظمته بالقاهرة أول دخولى اليها وقد حصل لى ولمن أحبه جرب فقلت

ولما صفونا وامتزجنا محبة * علانا حباب الحب فى ساعة المزج
وما ضر من قد خاض بحر غرامه * وأصبح فى كفيه من لؤلؤ اللج

ثم انى وقفت بعد ذلك على هذا المعنى الثانى لمجير الدين محمد بن تميم وهو

لا تنكر جربا قد لاح فوق يدى * من الحبيب ومهما شئتم وقولوا
ماذا على اذا ما غصت بحر هوى * خرجت منه وكفى ماؤها لولو

وقال الباخرزى

لنا جرب بين البنان نحكه * رضينا به والكاشحون غضاب
وكنا معا كالماء والخمر رقة * علانا لطول الامتزاج حباب

وقال التهامى

جسمى نحيل بالحب والجرب * ذا من ربيبى وذاك من ربى
ناران نار بالطب ان ظهرت * تخفى ونار تخفى عن الطب
كأن كفى فى اشتباكهما * جيشان حفا بالطعن والضرب
وليس غير الاظفار بينهما * من أسمر ذابل ومن عضب

وقال ابن هندو

يهيج مسرتى جرب بكفى * اذا ما عد فى الكرب العظام
تجنبنى اللئام لذاك حتى * كفيت به مصافحة اللئام

وقال الواو الدمشقى

علة خصت وعمت * فى حبيب ومحب
دب فى كفيه ما من * حبه دب بقلبى
فهو يشكو جربا * وأنا أشكو جرب

(رجع) الى معنى قول الطغرائى فى التأسف على الماضين وما أحسن قول البحترى يذكر المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان

مضى جعفر والفتح بين موسد * وبين قتيل بالدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى

وكان البحترى حاضر الوقعة ليلة قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر وهو يشرب بالجعفرى ووزيره الفتح وجماعة من الندماء والمغنين وغيرهم وذلك ان المنتصر بن المتوكل قال لزراقة التركى الا تشيعنى ساعة أشكو اليك ما يجرى قال بلى وجعل يطاوله فغلق بغا الشرابى الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه فأول من ضربه باغر التركى ضربة قطع منها حبل عاتقه وأكب الفتح وزيره وقال لا والله يا أمير المؤمنين لا عشت بعدك فقتلا جميعا وأما عبادة المخنث فلما رأى قتله الخليفة والوزير قال الا أنا يا أمير المؤمنين ان لى بعدك مجالس أحضرها وكذا كانت أشربها وساعات لهو أقضيها فلم يلتفت اليه ونجا سالما وبويع لولده المنتصر فى تلك

صبور على وقع النوائب حافظ
من اليوم أعقاب الاحاديث فى غد
أعاذلى كل امرئ وابن أمه
متاع كزاد الراكب المتزود
(وقوله)
أيا فاقة من للخيل ان طردت
وأطردها الطعن فى وعب والجاف
يا فارسا سأبوا أوفى اذا اشتغلت
كلتا اليدين كرورا غير وقاف
قوله اشتغلت كلتا اليدين يعنى يمسك العنان بيد ويضرب بالاخرى ثم قال
عبر الفوارس معسر وفى بشكته
كاف اذا لم يكن من كربة كاف
يعنى ان الفوارس ترى منه ما يبكى أعينهم ويستعبرها
وقوله فى يزيد بن المدان حين سأله ردمال جاره
أمرتكمو تردوا مال جارى
وأسرى فى كبولهم الثقال
فانتم أهل عائدة وفضل
وأيد فى مواهبكم طوال
منى ما تمنعوا شيأ فليست
حبائل أخذه غير السؤال
وقوله أيضا
أبى القتل الا آل صمة انهم
أبوا غيره والقدر يجرى الى القدر

الساعة ونقل الرواة ان بغا الصغير لما عزم على قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر دعا باغر التركي بعدما ملأ عينيه بالصلاة وقال له أنت تعلم تقديمي لك ومكانك عندي واريد أن أسر اليك شيأ قال قل ماشئت قال ان ابني قد فسد على وصح عندي انه يريد سفك دمي وأريد اذا دخل على غدا وأنت حاضر اذا وضعت قلنسوتي عن رأسي الى الارض أن تقتله قال نعم فلما دخل من الغد عليه لم ينزع القلنسوة فظن باغر أنه نسي فغمزه بحاجبه فلم ير العلامة وانصرف ابنه فقال بغا يا باغر اني فكرت في انه حدث وولد وأريد أن أستصلحه ثم أمسك عنه مديده وقال له ان أخي قد نسد على وهم على أن يقتلني وينفرد بمكاني وأحب أن تبادر غدا اذا دخل على وتقتله وجعل له علامة فلما دخل عليه لم ير العلامة ووقف حتى خرج أخوه فقال له يا باغر هو أخي وعسى ان استصلحه وههنا أمر هو أكبر وأعظم من هذا كله فقال له باغر وما هو وقال المنتصر قد صح عندي أنه عزم على الايقاع بي وأريد قتله فكيف ترى نفسك ففكر ساعة ونكس رأسه طويلا ثم قال هذا لا يجئ منه شئ قال ولم قال تقتل الابن والاب باق اذن لا يستوى لكم شئ ويقتلكم كلكم أبوه قال فما الرأى قال نبدأ بالاب ويكون الصبي أيسر قال أو تفعل هذا ويحك قال نعم وأدخل أنا الى قتله وأنت خلفي فان لم أقتله والا اقتلني أنت وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا الصغير انه قاتله فتمكن له التدبير على المتوكل وحدث البحتري الشاعر قال كنا عند المتوكل مع الندماء فتذاكروا أمر السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير فامر المتوكل بالكتاب الى عامل البصرة يطلبه فاتفق أن اشترى بعشرة آلاف درهم فسر المتوكل بوجوده وانتضى فاستحسنه وقال للفتح اطلب لي غلاما تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسي كل يوم وما كنت جالسا قال فلم يستتم المتوكل الكلام حتى دخل باغر التركي المذكور فدعا به المتوكل ودفع اليه السيف وامره بما أراد وأمر أن يزد في مرتبه قال البحتري فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا أخرج من غمده منذ الوقت الذي دفعه اليه المتوكل الا في الليلة التي ضربه فيها باغر بذلك السيف وحكي ان سيفويه قال وهو على المنبر يقص في سلسلة ذرعها تسعون ذراعا فقال له الناس ما قال الله تعالى الا سبعون ذراعا فقال هذه أعدت لوصيف وباغر وبغا وأمثالهم وأما أنتم فالسبعون لكم وكان البحتري كثيرا ما يذكر الفتح بن خاقان والمتوكل في شعره ويرتاح لذكرهما أبدا قال من قصيدة

تداركني الاحسان منك وبالني * على فاقة ذاك الندى والتطول

ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى * لدفع الاذى عني ولا المتوكل

وعبادة المخنث في هذه الواقعة يخالف أباذكار الاعمى فان مسرورا الخادم حكي قال لما أمرني الرشيد بضرب عنق جعفر دخلت عليه وأبوذكار عنده يغنيه

فلا تبعد فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت والله في هذا أتيتك واخذت بيده وضربت عنقه فقال أبوذكار ناشدتك الله الا ما ألحقتني به فقلت وما رغبتك قال انه أغناني عمن سواه باحسانه فما أحب ان أبقى بعده فقلت له حتى أستأمر امير المؤمنين فلما اتيت الرشيد برأس جعفر اخبرته بقصة ابي ذكار فقال هذا رجل فيه مصطنع فانظر ما كان يجريه عليه فأتمه عليه قال حماد ابن اسحق غنى علوية يوما

يغار علينا واترين فيشتفي بنا ان أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي الا ونحن على شطر

وأما الشعر الذي ذكر بسببه فانه مر بالخنساء بنت عمرو ابن الشريد وسيأتي ذكرها وهي تهنأ بعيرا لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ودريد يراها وهي لا تشعر به فاعجبته وانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبي وقفوا فان وقوفكم حسبي
ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم هانئ أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها فردته لكبر سنه فهجاها فقيل لها الا تجيبينه فقالت ما كنت لاجمع عليه أن أرده وأهجوه

(فالمعيدى تسمع به خير من أن تراه)

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره وأول من قاله النعمان لشقة بن ضمرة في خبر طويل معناه انه كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى أن أمنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى

بحضرة ابى فلا تبعد فكل فتى سيأتى البيت فقال ابى مه هذا البيت لعرق فى العمى الشعر لبشار بن برد والغناء لابى ذكار واول الشعر لقد عميت امرى يقال ان العمى شائع فى بنى عوف اذا أسن الرجل منهم عمى وقل من يفلت من ذلك ولذلك قال ارطاة بن سهية يهجو شبيب بن البرصاء من جملة ابيات

فلو كنت عوفيا عميت واسهلت * كذاك ولكن المريب مريب

فقيل ان ارطاة لما قال هذا الهجو كان كل شيخ من بنى عوف يتمنى ان يعمى ثم ان ارطاة عمر ولم يعم فكان شبيب يعيره بذلك ثم مات شبيب وعمى ارطاة فكان يقول ليت شبيبا كان عاش ورآنى أعمى وستأتى جملة تتعلق بذكر العمى فى الكلام على قوله اعدى عدوك البيت (رجع) الى ذكر المتوكل قال ابراهيم بن احمد الاسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين ناى ومزهر ومدام

بين كاسين اورثاه جميعا * كأس لذاته وكاس الحمام

لم يذل نفسه رسول المنايا * بصنوف الاوجاع والاسقام

هابه معلنا فدب اليه * فى كسور الدجى بحد الحسام

ويحكى عن الناصر صاحب حلب انه كان اذا اخذ الجلاس انسه تناول الكاس وقال

قتل مثلى ياصاح شرب المدام * ليس قتلى بالهدم او حسام

ولكن ماتم له المراد فان هولاكو لما دخل البلاد أمسكه وجعله هدفا للسهام وقيل بل جمع له نخلتين وربطه بينهما ثم أطلقهما فراحت كل نخلة بشطر منه وقيل بل أودع عدلا ورفسه البغل بالموزات الى ان مات وأخذ قول ابراهيم بن أحمد الاسدى فى رثاء المتوكل عبد الكريم التميمى فقال يرثى صاحب خراج المغرب وقد كان تناول دواء فمات

ولما رأت شور المهابة دونها * عليك ولم تجد فيك مطمعا

ترقت باسباب لطاف ولم تكد * تواجه موفور الجلالة أروعا

فجاءتك فى شرب الدواء خفية * على حين لم تحذر لداء توقعا

وأخذه عبد المجيد بن عبدون فقال يرثى

ثارت اليه المنايا من مكامنها * سرا على غفلة الحراس والسمر

أولى لهن وأولى لو هممن به * والمنع ذو راحة والدفع ذو حذر

وسمع اعرابى وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ميتة كما مات أبو خارجة فقيل له كيف مات فقال أكل بذجا وشرب مشعلا ونام شامسا فأتته منيته شبعان ريان دفيان (رجع) الى التاسف على الماضين قال القاضى الفاضل من جملة رسالة ولا حول ولا قوة الا بالله قول من قعد وراء الاحباب يودع كل يوم حبيبا ويعيش بعدهم فى الدنيا غريبا كأنه النجم طلع عليه الصباح فغابوا وبقى منتظر المغيب وصحة ما دعاه من طلوع الصبح ما قد علاه من المشيب وقال ابن أسد الفارقى

قديما كان فى الدنيا اناس * بهم تحيا العلا والمكرمات

فلما غال فعل الخير دهر * به عاش الخنا والمكرماتو

وقال الارجانى

منظره فقال لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال أبيت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر وانما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه * ومعيد اسم قبيلة وفيها يقول الشاعر

ستعلم ما تغنى معيد ومعرض

والنعمان هذا هو ابن المنذر ابن النعمان ابن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله أخبار وأقوال ومن أغرب ما ذكر منها كلامه عند كسرى فى فضل العرب وذلك انه وفد على كسرى وعنده وفود الروم والهند وغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وافاض النعمان فى ذكر العرب وفضلهم على الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها فتمعر وجه كسرى وذكر كلاما ينتقص به العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان أصلح الله الملك أما امتك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقلها وحلمها وبسط حكمها وما أكرمها الله تعالى به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التى ذكرت فأى امة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب فقال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسها وسخائها وحسن وجوهها

ذهب الذين صحبتهم فوجدتهم * سحب المؤمل أنجم المتأمل
و بليت بعدهم بكل مذمم * لا مجمل طبعا ولا متجمل

وقال ابن الخياط الدمشقي

نزلت على حكم الردى في معاشر * ومن ذا على حكم الردى ليس ينزل
تبدلت بالماضين منهم نعلة * وأين من الماضين من أتبدل

وقال ابن الساعاتي

وتربة الجود من ناس منيت بهم * فان ذلك عندي غاية القسم
مالمت دهري على شئ غضبت له * من الحوادث حتى جار في القسم

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى السيد النسيب الحسيب شهاب الدين الحسين بن قاضي العسكر أحد كتاب الانشاء السلطاني من قصيدة كتب بها الى الشيخ الامام الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود وقد مات خاله القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر

فلم تنقطع كتبي لنقص مودة * ولكن دهاني صرف دهري فاذهلا
رماني عن قوس القساوة عامدا * باسهم أوصاب فصادفن مقتلا
وضيع حتى ثم أهمل جانبي * وماحق مثلي أن يضاع و يهملا
ففارقت مخدومي بالقسر لا الرضى * فهذا قضى نحباوهذا ترحلا

وأنشدني لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة من مرثية جار به له

شكرت زمانا جار بعد أحبتي * و بالغ في العدوى وبث الضغائن
فلوطاب طابت لي حياتي بعدهم * وكنت ألاقيهم بطلعة خائن

وما أرق قول القائل

باي وجه أتلقاهم * اذا رأوني بعدهم حيا
واخجلي منهم ومن قولهم * ماضرك البعد لنا شيا

ومن التأسف على الماضين وان كان فيه مجون قول القائل

ولقد قال لي صديقي لما * أن رآني أضر بي الافلاس
قم تسكع بذا القميص فهذا الا برجي بغسله وبراس
قلت قد كان ذا ولكن دهري * أهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الايـ * ـر على الراحتين ثم يباس
أين من كان عالما بقداد * ير الايور الكبار مات الناس

وحكى القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قديم فكتب تحتها من خلف مثلث مامات قلت هذا يشبه قول أبي الحسين الجزار وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآني * أمشي لاطلب رزقا
فقال لي صرت تمشي * وكل ماش ملقى
فقلت مات حماري * تعيش أنت وتبقى

وقال بعض أهل عصره

وحكم ألسنتها و وفائها واحسابها وأنسابها * فأما عزتها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة للملوك الذين دوخوا البلاد وقادوا الجنود ولم يطمع فيهم طامع حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرهم من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار * وأما سخاؤها فان أدنى رجل منهم يكون عنده البكرة أو الناب عليها بلاغه من حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتري بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر * وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المتحرقة والروم المقشرة والترك المشوهة * وأما ألسنتها فان الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الامثال ومعرفتهم بالاشارة وابلاغهم في الصفات ما ليس في ألسنة الاجناس * وأما وفاؤها فان أحدهم ليبلغه أن أحد الرجال استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات فيه ما فاتا
من مات فى عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ما ماتا

وقال شرف الدين الابوصيرى

فلا تأس يا أيها الاديب * عليه فللموت ما يولد
اذا أنت عشت لنا بعده * كفانا وجودك ما نفقد

ولابى الحسين الجزار قصيدة فى حماره رثاه بها أولها

ما كل حين تنجح الاسفار * نفق الحمار وبارت الاشعار
خرجى على كتفى وها أنا دائر * بين البيوت كأننى عطار

ومنها

لم أدر عيبا فيه الا انه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ويلين فى وقت المضيق ويلتوى * فكأنما بيديك منه سوار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كل ما تختار
فرعت لصاحبه عهودا قد مضت * لما علمن بأنه جزار

وحكى لى بعض الافاضل انه جمع فى مراثى حمار ابى الحسين الجزار مجلدة جيدة ولم أرها أنا وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يرثى بغلته

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وجدا حسن الجملة
فماله من متجر وافر * ما نفقت فيه سوى بغلتى

(رجع) الى التأسف على الماضين ذكر الاصمعى فى كتاب الحلى قال تزوجت أعرابية غلاما من الحى فكانت معه أياما ووقع بينهما فخرج فى نادى الحى وهو يقول يا واسعة يعيرها بذلك فقالت بديهة فى الغلام

انى تنقلت من بعد الخليل فتى * مرز أماله عقل ولاباه
ما غرنى فيه الا حسن نقبته * ومنطق لنساء الحى تياه
فقال لما خلا بى أنت واسعة * وذاك من خجل منى تغشاه
فقلت لما أعاد القول ثانية * أنت الفداء لمن قد كان يملاه

وحكى ابن عبد ربه فى الاجوبة المسكتة قال قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن صيفى لو أصبت ركوة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعا بها قال كنت أعرفها فى دور بنى النجار فان لم تكن لهم والا فهى لك ولكن أخبرنى الفريعة أكبر أم ثابت قال لا أدرى قال عطاء فلم تساب الناس وأنت لا تدرى الفريعة أكبر أم ثابت وقد تزوجها قبله أربعة كلهم يتلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى فقيل لها يا فريعة لم تطلقين وأنت جميلة حلوة فقالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم وقيل ان بعضهم اشترى جارية فسئل عنها بعد أيام فقال فيها خصلتان من الجنة وهما البرد والسعة ويقال ان كردية أخت بهرام سوبن كانت تحت أخيها فلما اقتتل معها تزوجها ابرويز وحظيت عنده وكانت فى غاية الجمال فقال لها ما يشينك شئ غير سعة حرك فقالت له انه ثقب بايور الرجال وقيل ان رجلا كان يدل بعظم آلته فقال يوما لامرأة واقعها وأعجبه ما معه هل خرج من حلقك فقالت أو قد أدخلته الى الآن وقال ابن رشيق كنت أوصى غلاما وضيئا كان يختلف الى واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه

او يصاب قبله لما أحفر من جواره وان أحدهم ليرفع عودا من الارض فيكون رهنا لا يغلق ولا تخفر ذمته وكذلك تمسكها بشريعتها وهو ان لهم أشهرا حرما وبيتا محجوجا ينسكون منه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثاره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه * وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت أصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أبا فأبا أحاطوا بذلك أحسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يدعى لغير أبيه * وأما قول الملك انهم يئدون أبناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج * وأما قوله ان أفضل طعامهم لحوم الابل فما تركوا ما دونها الا احتقارا فعمدوا الى أجلها قدرا وأغلاها ثمنا فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم لحوما وشحوما * وأما تحاربهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفا

فاوقع به فاخبرت بذلك فقلت

ياسوء ماجاءت به الحال * ان كان ماقالوا كما قالوا
ياأحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

قلت هذا بعينه هو قول القائل فى السقام

قد كان لى فيما مضى خاتم * واليوم لوشئت تمنطقت به

وقال بن صارة الشنتريني

من كان من نيلك حتى صار من سعة * كما تحل يد من عقد تسعينا

قال بن سناء الملك

ناكوه أوخرقوه * وجاء مثل طنين
وراح وهو كميم * وجاء وهو كعين

وقال بن الرومى من أبيات

أوسع من وقت العشاء الآخره * أولج فيه كالقناة الفائرة
كأن ايرى نقطة فى الدائره

قلت بن الرومى أساء الادب وأخطأ المعنى وقال بن سناء الملك

ان قلت ما أحسنه شادنا * فانما قصدى ما أخشنه
يظل ايرى ضائعا فى استه * كانه المغزل فى الروزنه

وبالغ من قال

أخشن من قنفذ ومن حسك * ومن عظام تكون فى السمك
ويدعى ضيقه وأسفله * يصلح طوقا لدارة الفلك

وقال آخر وهو أشبه بقول بن الرومى

لما انثنى وهو البسيط تبينت * لى منه دائرة كحلقة خاتم
ورأيت فى الشكل المدور نقطة * خلت مركزها بخط قائم

وقلت أنا

قالت لايرى وهو فيها ضائع * كالحبل وسط البئر اذ تلقيه
قد عشت فى كس كبير قلت ما * كذبت لان الكاف للتشبيه

وقلت أيضا

من منصفى من زمن جائر * أصبحت فيه غير مرزوق
أضاع فضلى فى أهله * ضياع ايرى فى است معشوقى

وحكى ان أبا الحسين الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب فى ورقة يقول

الناس قد دخلوا كالاير أجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

وأرسلها مع بعض الخدم فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد ياخصى ادخل فقال أبو الحسين هذا دليل على السعة ولمح أبو الحسين هذا المعنى من قول عمارة اليمنى

وتخوفت نهوض عدوها وانه انما يكون فى بيت الملك واحد يعرفون فضله فيلقون أمورهم اليه فأما العرب فان ذلك كثير منهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر وما أشبه ذلك فعجب كسرى من منطقه وكساه من كسوته ورده الى الحيرة * ومن ظريف أخبار النعمان انه كان قد حمى ظهر الكوفة وشقائقها ومن هناك يقال شقائق النعمان فانفرد يوما عن عسكره فاذا هو بشيخ يخصف نعلا فقال ما أنزلك ههنا فقال طرد النعمان الرعاء فأخذوا يمينا وشمالا فانتهيت الى هذه الوهدة فنتجت الابل وولدت الغنم والنعمان معتم لا يعرف فقال أو ماتخاف من النعمان قال وما أخاف منه ولربما سرت يدى هذه بين عانة أمه وسرتها فلما سمع النعمان قوله سفر عن وجهه فاذا خرزات الملك تلمع فلما رآه الشيخ قال أبيت اللعن لاترى انك ظفرت بشئ فقد علمت العرب انه ليس بينها شيخ أكذب منى فضحك النعمان وحلم عنه مع تجبره وعظمته * ومات النعمان بساباط المدائن طرحه كسرى تحت

فيما أظن

مصاحبتي ايا كالاعدمتما ❊ مصاحبة الخصيين للاير فاعلما

هما يحملان الاير حتى اذا بدت ❊ له فرصة خلاه ما وتقدما

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

على الباب المعظم عبد رق ❊ لعادات اللقا الماضي يعوز

يجوز الآن عن اذن شريف ❊ والا فهو شيء لا يجوز

وقال شمس الدين بن الحكيم بن دانيال

لمت ايرى لما أراد الزنا مني وقد لاط بالبدور الطوالع

قال دعني من الملام فاني ❊ است ما عشت للملام بسامع

كيف أرضى دين اليهود لواطا ❊ حيث لي بالنساء دين واسع

ولمع قول الجزار من قال

ولم أنس علقا نكته وهو واسع ❊ طويل عريض المنكبين نتيف

يقول الخصى للزب تقعد ههنا ❊ فقال اذ خلا ضيف الكرام يضيف

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

قل في استه من هجاء ما اشتهيت وزد ❊ فقد وجدت مكان القول ذا سعة

ونقلت من خط ناصر الدين بن النقيب له

قالوا رأينا العلق يسرف منفقا ❊ والعلق لا شيء لديه ولا معه

فأجبتهم انفاقه من سرمة ❊ قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

وقال النور الاسعردي

قال وقد قصرت في نيكه ❊ سد فضا مجرى الواسع

فقلت يا مولاي عذرا فقد ❊ اتسع الخرق على الراقع

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي ومن خطه نقلت

ولقد تعاطيت اللواط فلم أجد ❊ علقا لاقسام الصناعة يكمل

بل ضاع بينهما الصواب فواسع ❊ يجري على وضيق لا يدخل

وحكي ان بعض البغايا حصلت مع رجل في بيته فلما خلا بها لم ينعظ فلما أطال عليها أخذت تعنفه فلما زادت عليه في اللوم قال لها ويلك أنت تفتحين بيتا وأنا أشرميتا وان بينهما لفوتا

وما أحلى قول بن الحجاج

قالت وقد قلت اعشقي لي به ❊ يوما وقد قامت وقد ناما

لو أن اسرافيل في راحتي ❊ ينفخ في ايرك ما قاما

وقوله وهو من المعاني الغريبة

تقول لي وهي غضبى من تدللها ❊ وقد دعتني الى شيء فما كانا

ان لم تنكني نيك المرء زوجته ❊ فلا تلمني اذا أصبحت قرنانا

كأن ايرك من شمع رخاوته ❊ فكلما عركته راحتي لانا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أرجل الفيلة بخبطته حتى مات وذلك بتحيل عدي بن زيد كاتبه وذلك أن كسرى أرسل يخطب ابنة النعمان لنفسه فقال النعمان للرسول أما ما كان في عين السواد ما يكفي الملك فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه فسأل عنه عديا فقال انه أنف من مصاهرة الملك وقال يكفيه بقر العراق فغضب واستدعى النعمان وقتله

(هجين القذال

أرعن السبال)

(طويل العنق والعلاوة

مفرط الحمق والغباوة)

الهجين من الناس من في نسبه هجنة أي قبح وكذلك المقرف وهو أن يكون أحد أبويه قد دخل في العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام وتقول العرب فلان هجين القذال أي يتبين لؤم نسبه في قذاله والقذال جماع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذي يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلك كان اللؤم يتبين من قذاله وقيل لكثرة انهزامه في الحروب (والارعن) والراعن الاحمق مأخوذا من الرعن وهو الاسترخاء واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل المائل فكان الاحمق مائل

طوت الزيارة اذ رأت * عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهى تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستى استرحـ * ـنا لاسراج ولامناره

ونقلت منه أيضا

تقول اذ أخرجته سعلتها * وهو ذليل القفاء مطرود
ياعامل السعل اف من عمل * مخرج كله ومردود

ونقلت منه له أيضا

اذا يئس المرء من ايره * رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان فى سنه طاعنا * فقد عدم الطعن فى غيره

ونقلت منه له أيضا

ياقوم عالجت ايرى * بالحشو لما تكعك
ولم يصح ودادى * من عادة مذ توعك

ونقلت منه له أيضا

رب بكر أصبتها أول العمـ * ـر وقد حى من الشباب المعلى
طلبت ذلك النشاط فاجا * بت لها القول حين قصرت فعلا
كنت ترسا وكان رمحا فلما * صرت بئرا ياستنا صار حبلا

ونقلت منه له أيضا

قالت وقد هاجرتها * فى الصوم أف عليك بعلا
كانت عليك وظيفة * صيرتها فى اليوم نفلا
فاجبتها ذاك المذا * ل صار منكوسا مدلى

ونقلت منه له أيضا

قام فلما دنوت منها * نام وما مثل تلك خجله
وكل كفى لفرط ذنبى * له وما للعيان حيله
وأصبحى لاتزال جنبا * له ولا همة لسفله
فزرجنت وانثنت وقالت * قوموا انظروا عاشقا بوصله
فقلت هذا لفرط حبى * قالت دع الترهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت * لوقام ما احتجت للادله

نقلت منه له أيضا

أصبحت أعجز اذا قوم وشرما * وقعت عليه العين شيخ عاجن
واذا أردت أدق شيئا لم أجد * عندى يدا والبيت فيه الهاون

نقلت منه له أيضا

لابارك الله فى ايرى وبارك لى * فيه فذى وذى فيه سيان
له قيام معى فى واحد أبدا * وينثنى حين ما أدعوه للثانى

عن الصواب وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبى صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا من المراعاة أى احفظنا (والسبال) جمع سبلة وهى شعر الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المرأة تسمعنا عنك الاوصاف الجميلة فاذا نظرت واختبرت فأنت على هذه الاوصاف الذميمة (والعلاوة) الرأس مادام على العنق يقال ضربت علاوته ويقال فى الفراسة ان طول العنق والرأس من دلائل الحمق
(جافى الطبع سيئ الجبابة والسمع بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة) (ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب)
(الجفا) النبو والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا (والطبع السجية وهو نقش النفس بصورة ما وذلك اما من جهة الخلقة أو من حيث العادة مأخوذ من طبع الدرهم أى تصوره بصورة ما

يصير طاقين في كفي وحمرته * وحمرتي في السراويلات طاقان
والشيء في نظري شيئان أنظره * كذاك ايري تثنى فهو ايران

وقال شهاب الدين أبو جلنك

وعلق من بني الاتراك الى * له عينان وكلتا بهتكى
ظفرت به على غير الليالي * فلم يدخلوا كثر في التشكي
يقول عميرة ادفعني عليه * ولا تجزع وهان عليه صكي
فلم أدفع عليه فظل ايري * يقبل باب مفساه ويبكي

وقال آخر

ورب علق قال لي مرة * بريد تو بيخي على ظنه
ايرك هذا مات قلت انحني * كرامة الميت في دفنه

وعكس ذلك في لغز فيه

وصاحب مازلت دهري له * كل مليح أتمناه
يحب في الشيء فاختاره * لا يهدي علم الله
ان مات لا يمكنني دفنه * وان يعش يوما دفناه

وقال آخر

ولي ايرسوء كثير الخنا * يعامل باللؤم من يكرمه
اذا نمت قام وان قمت نام * فلا رحم الله من يرحمه

وقلت أنا مضمنا

لي ايرينام لؤما وشؤما * ان أنالت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت في البيت فردا * طلب الطعن وحده والنزالا

وقلت مضمنا أيضا

عهدي بايري وهو فيه تيقظ * كم قام منتصبا وما حركته
والآن كالطفل الصغير بعهده * ازداد نوما كلما نبهته

وأنشدني من لفظه المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني من لفظه لنفسه المولى القاضي زين الدين عمر بن الوردي

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام الى الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم * كأن النحس قد ولي الوزاره

وقال أيضا

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يسقطه الضعف

وقال ابن حجاج

أسفي عليه ممددا فوق الخصى * شبه العليل فديته من نائم
طمع الغواني في انتظار قيامه * طمع الروافض في انتظار القائم

وقوله في المجون

(وسيئ الجابة) يعني يسمع الشيء على غير حقيقته ويجيب كذلك اما من البله أو الطرش وهو مثل للعرب يقولون ساء سمعا أو أساء سمعا فاساء جابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد تزوج صفية بنت أبي جهل فولدت له أنس بن سهيل فخرج ذات يوم وهو معه فوجده الاخنس بن شريف فقال من هذا فقال ابني فقال الاخنس حياك الله يا فتى فقال لا والله ما أمي في البيت فقال أبوه أساء سمعا فاساء اجابة ولسهيل هذا حكاية في الكرم عجيبة وذلك انه كان أسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى ان حضر اليرموك واستشهد فقيل انه لما صرع مر به رجل وهو بآخر رمق فقال اسقني فاتاه بشربة من ماء فنظر الى الحرث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب اليه بالشربة فلما تناولها رأى عكرمة في حاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها الى الحرث فوجده ميتا فرجع بها الى سهيل فوجده ميتا ومات الثلاثة قبل أن يذوقوها (والهيئة) الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة كانت أو معقولة وهي في المحسوسة أكثر (والسخف)

لما رأته قائما صفقت * كذلك الناس مع القائم

وهو فى غاية الحكمة

(وان علانى من دونى فلا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل)

(اللغة) علا يعلو علوا فى المكان وهو المراد هنا وعلى فى الشرف بالكسر علاء ويقال أيضا على يعلى قال الشاعر * لما علا كعبك لى عليت * فجمع بين اللغتين وعلوت الرجل غلبته ودون نقيض فوق والدون الحقير الخسيس قال الشاعر

اذا ما علا المرء رام العلى * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا يشتق منه فعل وبعضهم يقول منه دان يدون دونا والعجب ما يتعجب الانسان منه وهو استغراب النفس الشئ الذى لم تألف وقوعه ولا علمت سببه والعجيب والعجاب بالضم والتخفيف والعجاب بالتشديد أكثر منه وقولهم عجيب عاجب كقولهم ليل لائل توكيد اسوة بالضم واسوة بالكسر لغتان وهو ما يتأسى به الحزين ومنه قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة انحطاط مصدر انحط السعر وغيره اذا نقص ونزل عن الغاية التى كان فيها أول وقوله تعالى وقولوا حطة معناه حط عنا أوزارنا الشمس هى الكوكب النهارى وقد نطقت لها العرب باسماء منها ذكاء غير منصرف ولا يدخله أداة التعريف والجارية والجونة والغزالة وما أحسن قول القائل

غدوت مبكرا فى سر أفق * أرانا العلم من بعد الجهاله

فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفرته بالغزاله

وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قراءة منى عليه فى وصف العقاب حيث قال

ترى الوحش والطير فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

وقد غلط الحريرى فى قوله فلما ذر قرن الغزاله طمر طمور الغزاله وقالوا لم تقل العرب الغزالة الا للشمس فاذا أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية (رجع) والالاهة وهى مثل ذكاء لا يدخلها الالف واللام فى فصيح الكلام وربما أدخلوها قال الشاعر

* وأعجلنا الالاهة ان تؤوبا * كأنهم لما عظموها وعبدت سموها الالاهة والله أعلم والضحى والضح ويوح بالياء آخر الحروف وبعضهم يقول بوح بالباء الموحدة وليس بشئ وانما البوح من أسماء الذكر وسماها الله تعالى فى القرآن سراجا وزحل نجم من النجوم الخنس فى السماء السابعة ونوره ينقب ما دونه من الافلاك ويظهر لنا فى السماء الدنيا وبه فسر قوله تعالى النجم الثاقب لانه فى السماء الدنيا وهو قول الفراء قلت لو قال قائل لاى شئ ذهب صاحب هذا الرأى الى انه زحل ولو قال بانه الشعرى العبور أو الغميصاء أو احد النسرين أو أحد السماكين مما له شهرة وهو فى فلك البروج وهذا الفلك أعلى من الفلك السابع لكان أبلغ فى نفوذ الضوء الى سماء الدنيا فالجواب انه لما قال النجم الثاقب وأفرده وتلك شعرتان وكذا كان ونسران فكونه مفردا احسن القول به وقد ذهب جماعة الى أنه الثريا وهو عندى أرجح من ذلك لان العرب اذا أطلقت النجم فانما يريدون به الثريا دون سائر

رقة العقل وقد سخف سخافة فهو سخيف (والوسواس) الخطرات الرديئة من حديث النفس مأخوذ من وسواس الحلى وهو صوته الخفى ودخل الحسن بن سهل على المأمون وابراهيم ابن المهدى عنده فاقترح الحسن على ابراهيم أن يغنيه فغنى تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت يعرض بوسواس كان فى الحسن (والمثالب) النقائص مأخوذ من ثلب الرمح اذا تثلم (كلامك تمتمة وحديثك غمغمة و بيانك فهفهة وضحكك قهقهة) (التمتمة والغمغمة) من معايب النطق المعدودة قال الجاحظ التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ادارة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه بشئ اتصل وقيل العجمة فيه واللثغة أن يعدل من حرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها واللكنة أن يعترض الكلام حرف أعجمى والطمطمة أن يكون الكلام شبيها

الكواكب قال ابن دريد في وصف الفرس

كأنما الجوزاء في ارساغه * والنجم في غرته اذا بدا

لان الثريا تشبه الغرة السائلة وقال بعض المفسرين انه أراد جماعة النجوم لانها كلها طارقة بالليل كما قال تعالى ان الانسان لفي خسر والمراد جميع الاناسي (رجع) واشتقاق زحل من التزحل وهو التنحي والتباعد لما كان فوق الكواكب الستة المتحيرة وقيل من زحل فلان اذا أبطأ فكأنه لما كان فلكه بطيء السير على ما يظهر فيما بعد سمي زحل وقيل الزحل والزحيل الحقد وذلك في طبعه على ما زعمه المنجمون من نسبته الى أنه نحس أكبر كما قالوا في تسمية المشتري انه سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه وقيل في المريخ لما كان في لونه حمرة اشتقوا له ذلك من المرخ وهو الشجر الذي تحك غصونه فتوري النار وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمي به لا يستوي في ذهابه والمريخ فيه التواء في سيره لان له فلك تدوير وقيل في الشمس لما كانت واسطة الافلاك والواسطة في الحقيقة تسمى شمسة وفي هذا نظر وقيل في الزهرة انها مشتقة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شئ وقيل في عطارد انه النافذ في الامور وقيل انه لا يستمر على حال فكأنه أعطى وردد وقيل في القمر انه مأخوذ من القمرة وهي البياض ومن أسماء زحل كيوان كما أن من أسماء المشتري البرجيس وتير ومن أسماء المريخ بهرام وما أحسن قول ابن النبيه

بدر وكاس الراح شمس الضحى * يا قوم ما أسعد هذا القران

توقدت جمرة لألائها * كأنها بهرام أو بهرمان

ومن أسماء الشمس مهر ومن أسماء الزهرة أناهيد وبيداخت ومن أسماء عطارد هرمس ومن أسماء القمر الزبرقان والزمهرير وبه فسر قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والفاسق والوباص والمتسق والباهر والسنمار والطوس والحكم وأهل المغرب يسمون زحل المقاتل والمريخ الاحمر وعطارد الكاتب وقد جمع بعض الشعراء أسماء الكواكب الاعجمية فقال

لازلت ترقى وتبقى في العلى أبدا * ما دام للسبعة الافلاك أحكام

مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأناهيد وبهرام

وسيأتي الكلام على منع زحل من الصرف في الاعراب (الاعراب وان) حرف شرط وتقدم الكلام عليه في قوله فان جنحت اليها البيت (علاني) علا فعل ماض تقول علا يعلو علوا والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهذا الفعل هو الشرط (من) اسم ناقص بمعنى الذي وهو مبني لاحتياجه الى صلة وعائد فأشبه الحرف من حيث الاستعمال وهو لمن يعقل تحقيقا أو تشبيها كقوله * اعلى الى من قد هويت أطير * أو تغليبا كقوله تعالى ومنهم من يمشي على بطنه (و دوني) اسم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هو دوني وحذف صدر الصلة اذا لم تطل ضعيف ومنه قراءة بعضهم تماما على الذي أحسن برفع النون أي هو أحسن وقول الشاعر

من يعن بالحمد لم ينطق بما سفه * ولم يحد عن سبيل المجد والكرم

وانما جوزوا حذف صدر الصلة اذا طالت كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقولهم ما أنا بالذي قائل لك سوأ لان الصلة هنا طالت فجاز حذف صدرها وأما الصلة في

بالعجمي (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف قال أبو عبيدة كان رجل من المشركين يحد حربته عند فتح مكة فقالت له امرأته ما تصنع قال أحد الحربة لقتل محمد وأصحابه فلما هزمت المشركون قال منشدا هذه الابيات

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه

واذ علتنا بالسيوف المسلمه * ضربا فلا نسمع الا غمغمه

وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من أولئك قال قومي قال من أنت قال أنا رجل من جرم قوله كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا قال بعضهم هل لك أن تنفعيني وأنفعش وتدخلين اللذ معي في اللذ معش يعني وأنفعك واللذ معك وكسكسة بكر انهم

قوله ودوني اسم مرفوع الخ الظاهر ان دوني ظرف متعلق بمحذوف هو صلة من اهـ

قوله من دوني فانها لم تطل والمبتدا المقدر حذفه والخبر هنا صلة من لانها ناقصة تحتاج الى صلة وعائد وقد تقدم الكلام على الموصول في قوله وضح من لغب نضوى البيت (ولا) الفاء جواب الشرط الذي تقدم ذكره ولا النافية للجنس تقدم الكلام عليها في قوله فلا صديق اليه البيت (عجب) اسم لا وقد تقدم الكلام على مثل هذا عند ذكر لا (لى) جار ومجرور في موضع رفع لانه خبر مقدم (اسوة) مبتدا مؤخر (٢) وانما تأخر لانه نكرة وقد تقدم الكلام على الاسباب الموجبة لتأخر المبتدا (بانحطاط) الباء للتعدية وانحطاط مجرور بالباء (الشمس) الالف واللام لتعريف الحقيقة وقد تقدم الكلام على ذلك في قوله ونحن رون كرام الخيل والاضافة هنا معنوية بمعنى اللام فالشمس مجرورة بالاضافة (عن) تقدم الكلام عليها في أول القصيدة وهي هنا للمجاوزة و (زحل) اسم ممنوع من الصرف لان فيه العلمية والعدل التقديري أما العلمية فلانه علم على الكوكب السابع وأما العدل فلانه معدول عن زاحل مثل عمر معدول عن عامر وقثم معدول عن قاثم هذا ان قلنا انه عربي مشتق من الزحل وهو التنحي والبعد وان قلنا انه أعجمي فيكون فيه العلمية والعجمة فهو على كل حال ممنوع من الصرف وذكرت بالعدل والمعرفة هنا ما حكاه أبو الفتح بن جني في بعض مجاميعه ان الشريف الرضي أحضر الى السيرافي النحوي وهو طفل لم يبلغ عشر سنين فلقنه النحو وذاكره يوما في الحلقة على عادة التعليم فقال له اذا قلت رأيت عمر فما علامة النصب في عمر فقال الرضي بغض علي فعجب الشيخ والحاضرون من حدة خاطره قلت ومن هنا أخذ الخطيري الوارق قوله يهجو

يافتح يا أشهر كل الورى * باللؤم والخسة والكذب

كم تدعي شيعة آل الغني * اسمك ينبيني عن النصب

وهذا فيه تسامح لكنه يغتفر لحلاوة النظم اذ التحقيق ان الفتح من ألقاب البناء والنصب من ألقاب الاعراب وحركة الاعراب غير حركة البناء لان حركة البناء لا تتغير ولا تتأثر بالعوامل وحركة الاعراب معرضة للتغيير والتأثر بالعوامل وقد مر مما يتعلق بباب ما لا ينصرف من الملح عند قوله وقد حماه رماة من بني ثعل سافيه مقنع فليؤخذ من هناك (المعنى) أخذ يسلي نفسه ويتأسى بما ضربه من المثل في انحطاط الشمس عن زحل فقال وان علاني هؤلاء الذين ذممت دولتهم وأيامهم وهم دوني في كل شيء فان لي اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل وهو مثل حسن وفيه من البديع ارسال المثل والايضاح وقد تقدم الكلام على ذلك وهذا البيت قد أخذ بمجامع الحسن وفاق على المقاول اللسن لانه واسطة هذا العقد الفريد وليس بيتا كما يقال وانما هو قصر مشيد سكنه الحسن البديع وما ظعن عنه ولا ارتحل وفاق آفاق البلاغة لان تلك ان كان فيها النجوم فهذا مما فيه الشمس وزحل ودار به على قطب الفصاحة فلكه الدائر وسار في الاقطار مثله السائر وأضاءت به الشموس في أيام الطروس واسفرت به البدور في ليالي السطور وسعى قائله فأدرك المجد الأثيل وتمثل به من ظلمه الدهر وما أكثر من يتمثل والقصيدة ذات بدائع لمن بعدها وفرائد لمن ينضدها ومحاسن تتبرج للمتأمل خردها وزواهر يشرق في سماء البلاغة توقدها وهذا البيت

شمس ضحاها هلال ليلتها * در تقاصيرها زبرجدها

ولما تمثله بالشمس وزحل فهو مثل مطابق لمن يكون بحالته التي ذكرها وشرحها من ارتفاع

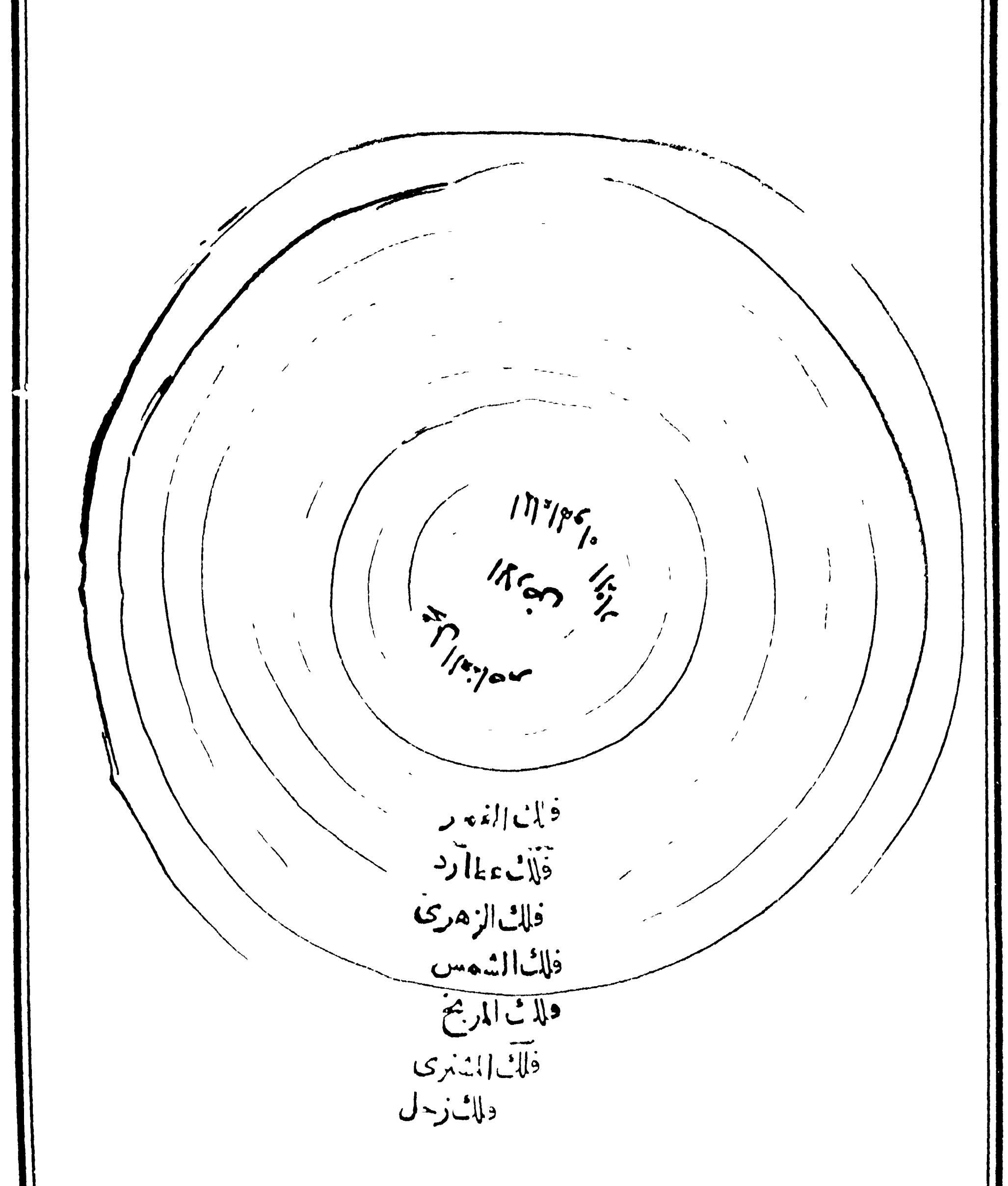
(١) قوله الفاء جواب الشرط الصواب ان جواب الشرط هو ما بعد الفاء وقوله لا لنفي الجنس الظاهر انها ملغاة أو عاملة عمل ليس ولم تتكرر للضرورة كقوله حياتك لا نفع وموتك فاجع اه

قوله وانما تأخر لانه نكرة الظاهر ان المسوغ هنا عمل اسوة فيما بعدها فهو كقوله ورغبة في الخير خير اه

يثبتون حركة كاف المؤنث ويزيدون عليها سينا يقولون تنفعكس واعطيتكس (والغمغمة) لقضاعة وقد ذكرت (والفهفهة) عي في المنطق (والقهقهة) صفة الضحك الشديد كأن الضاحك يقول قه قه وهي خصلة مذمومة في الانسان دالة على قلة العقل (ومشيك هرولة وغناك مسئلة ودينك زندقة وعلمك مخرقة) (الهرولة) ضرب من العدو وهو بين المشي والعدو وعدها هنا من المعايب لاقترانها بذكر المسئلة يعني انه سائل نهم سريع المشي للطلب والكدية * والزنادقة في الاصل الثنوية وذلك أن زردشت المجوسي لما ظهر

السفل وانحطاط الكرام لان الشمس فى الفلك الرابع وزحل فى السابع واغما حكموا بأن زحل فى السابع والشمس فى الرابع لان ذلك أمر يشاهده الحس ويحكم به العقل وهو أنهم وجدوا زحل يدور فلكه فى كل ثلاثين سنة دورة كاملة بالتقريب والمشترى يدور فلكه فى كل اثنتى عشرة سنة بالتقريب دورة واحدة والمريخ يدور فلكه فى كل سنتين الاشهرا واحدا بالتقريب دورة واحدة والشمس يدور فلكها فى كل سنة واحدة مرة واحدة والزهرة مثل الشمس ولكن مرة تسرع السير فتكون أمامها ومرة ترجع فتكون وراءها وذكر بعضهم ان الناس كانوا فى شك من فلك الزهرة هل هو فوق فلك الشمس أو تحته حتى أتى الرئيس أبو على بن سينا ورصدها حتى كسفت الشمس وغدت كالخال على الوجنة فعلم ان الزهرة تحت الشمس وعطارد زعموا ان سيره ودورانه مثل الزهرة وبعضهم يقول انه يقطع فلكه فى كل مائة وستة وعشرين يوما مرة واحدة فى فلك تدويره وعطارد والزهرة والشمس تتساوى مدد دورانها فى فلك البروج والقمر يقطع فلكه فى السنة اثنتى عشرة مرة فعلم ان الاقل حركة فلكه أوسع وهو ما ولما حركته أسرع وهذا رأى الطبيعيين الذين يعتمدون على برهان لم واما الرياضيون الذين يعتمدون على برهان ان وهو الاوفق والاليق بصناعتهم فبرهنوا على ذلك بكسوف الكواكب بعضها بعضا لان الادنى يكسف الاعلى ضرورة لانهم لما وجدوا القمر يكسف جميع الكواكب ولا يكسفه الاظل الارض حكموا بان فلكه اقرب الافلاك الينا ولما وجدوا عطارد يكسف الزهرة حكموا بان فلكه دونها والزهرة تكسف المريخ ففلكها دونه وكذلك المريخ يكسف المشترى ففلكه دونه والمشترى يكسف زحل وزحل يكسف ما يسامته من الثوابت فحصل بهذا الاعتبار حكم جازم بهذا الترتيب وبقى الشك فى الشمس بالنسبة الى الكواكب الخمسة والثوابت دون القمر لانه تبين انه تحتها واما الخمسة الاخر فان ما قرب منها يختفى من نورها فلا يظهر بينهما كسوف ووضع بطليموس فلكها رابعا تحت المريخ وفوق الزهرة تقليدا للقدماء ولما راى من لوازم يشترك فيها زحل والمشترى والمريخ فقط جعلها فوق وسماها علوية ولوازم تشترك فيها الزهرة وعطارد جعلها تحتها وسماها سفلية واما المتاخرون فانهم لم يقفوا فى امر الشمس عند هذا الاقناع بل اعتبروا لوازم القرب والبعد من اختلاف المنظر فظهر لهم انها فوق القمر خاصة كما بينه جابر بن افلح فى كتابه فى الهيئة وغيره من المتأخرين ورام النصير الطوسى الانتصار لبطليموس فذكر اشياء من جهة لوازم الاجرام والابعاد تعضد رأى بطليموس لكنها عند التحقيق لا تثبت على محك النظر والله أعلم والرصد والتسيير يشهدان بهذا كله فهو أمر مبرهن يشهد به الحس ويحكم به العقل وهذه صورة الافلاك والعناصر

بلاد المشرق ودعا الى عبادة النيران لما رأى فى تلك الاماكن من البرد والثلج ورغبة أهلها فى النار اتبعوه وكان صاحب حيل وسحر ويقال انه كان صحب شعيبا عليه السلام وكان يخبره بوقائع تقع ثم كفر ووضع كتابا زعم انه أنزل عليه مكتوبا بماء الذهب فصعبت عليهم قراءته فوضع له شرحا سماه الزند ثم لما ظهر مردك زاد فى شرحه فى اسم الكتاب فقال زندين فلما جاءت العرب قالت زنديق وسمى من مال الى هذا المذهب اوما قاربه من الخروج عن الشريعة زنديقا وأكثرهم فى الاسلام نوع من الجهمية أصل اعتقادهم انه ليس ينبغى لاحد أن يثبت لنفسه ربا لانه لا يمكنه الاثبات الا بالعين أو الادراك بالحواس وقالوا مالا يدرك ليس باله لانه مجهول وما لا يدرك فلا ينبغى أن يثبت وسلكوا على هذه الطريقة واباحوا اتيان المحرمات وترك العبادات لانكارهم البعث وجحودهم الشريعة وسبيلهم مذهب مردك فى اباحة النساء وان الناس كلهم سواء فيهن ولذلك قيل للمنهمك فى لذاته واللعب والبطالة يا زنديق أو قيل له أظرف من زنديق



وفلك البروج محيط بفلك زحل والفلك الاطلس محيط بفلك البروج والاطلس يدور بما فيه فى اليوم والليلة من المشرق الى المغرب مرة واحدة دورة كاملة فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الارجانى مشيرا الى علو زحل وانحطاط الشمس عنه

ودع التناهى فى طلابك للعلى * واقنع فلم ار مثل عز القانع
فبسابع الافلاك لم يحلل سوى * زحل ومجرى الشمس وسط الرابع

وهذا المعنى أخذه من الطغرائى لان الارجانى توفى سنة أربع واربعين وخمسمائة والطغرائى سنة خمس عشرة وخمسمائة ولكن بيت الطغرائى أبدع وأعذب واطرب وأهز للاعطاف واخلب للقلوب وان كان بيت الارجانى فيه زيادة ان الشمس فى الرابع وزحل فى السابع ففيه زيادة بيان

فى الصورة الواقعـه وبعد التفاوت بينهما فى المحل وبيت الطغرائى اعما يفهم منه علو زحـل لا غـير فقـد يظن أنه فى الخامس وقال بن الساعاتى يشـير الى أن الشمس فى الرابع ويريد به الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه

أتظن ياخـير الانام نقيصة ❊ والنقص للاطراف لا الاشراف

أوما ترى ان الكواكب سبعة ❊ والشمس رابعة بغـير خلاف

والشمس هى الكوكب النير الذى يمد سائر الكواكب بالنور على بعض الآراء والى ذلك أشار النهامى فى قوله يمدح الشريف الزيدى المامحبس بالقاهرة فى خزانة البنود

بث الفضائل خلفـه وامامـه ❊ فغناؤه مهجتـه كمثل خـلودها

كالشمس تودع فى الكواكب نورها ❊ فتنوب للسارين عن مقصودها

وبالاجماع من أرباب الهيئـة ان القمر يستمد النور من الشمس وزيادة النور فيـه ونقصانه بحسب البعـد والقرب منها لان جرم القمر كثيف حـديدى مستحصف قابل لانطباع النور فيه كالمرآة ولهذا قال الخطيرى

أعطيتنى نصف الذى أملتـه ❊ من كاغد ووعدتنى بسواه

ورجعت تأخذه البك تقاضيا ❊ منى وبالك الوعد است أراه

كالشمس تعطى البدر نور تمامه ❊ وتعود تأخذ منه ما يعطاه

وقال بن نباتة السعدى

ان جمعنـاهـما اضربنا الجمع وضاعت فيه ضـياع المحال

فهو كالشمس بعـدها يملأ البد ❊ ر وفى قـربها محاق الهـلال

قال بن الساعاتى

تعجبت من نحـولى وهى واصـلة ❊ توهـما أننى بالوصـل انتفـع

وما درت ان خـديها ومصـطبرى ❊ كجذوة النار منها قرب الشمع

والبدر يكمل حيث الشمس نائيـة ❊ عنه ويمحق اذ بالشمس يجتمع

وقال بن قلاقس يشير الى أن نور البدر عرضى

ما أنت والقمر المنير وان غدا ❊ مـلء العيون وراقهن سواء

للبدر بالعرض الضياء وأنت قد ❊ جمعت بجوهر ذاتك الاضواء

والشمس تمد القمر بالنور وهو يكسفها ولهذا قال الشعراء فى هذا المعنى فمنهم أبو الفتح البسـتى

لئن كسفونا بلاعـلة ❊ وفازت قداحهـم بالظفـر

فقـد يكسف المرء من دونه ❊ كما يكسف الشمس ضوء القمر

وقال بن رشيق يعرض بكاتب رد أمر محمد بن هرون

أرى بعض من أنت صيرته ❊ من الناس يعروك تعييره

تنافس أفعالك أفعاله ❊ وينقص جاهـك تأثيره

كما كسف الشمس بدر الدجى ❊ وان كان من نورها نوره

وقال أبو اسحق الغزى

كفاك الله أصغر من تناوى ❊ فان الشمس تكسف بالهلال

وسئل بعضهم عن الاضحى فقـال وباء يقع فى البقـورة والاغنام وقتل منهم المهدى خلقا كثيرا وذلك أنه رأى فى المنام كأن الكعبه قـد مالت فـدعمها هو وشخص حـتى قامت فلما انتبه سأل عـن صـفة ذلك الشخص الذى رآه فى المنام فأتى برنديق يقال له حمدون على الصفة فاستتابه فتاب فأمره يتتبـع الزنادقـة فانه كان يعرف عامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسـة فيهـم حتى أنه مر بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول فى أذانه أشهد أن محمدا رسول الله بفتح اللام فوقع فى ظنه أنه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض عليـه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفـة ويـبرز لاكثرهم خرقة مصورا فيها صورة مانى وهى صورة سمجة غليظة المشافـر فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ويختار القتـل دون ذلك فيقتـل وكان أكثرهم ثنـوية (والخرقة) نوع من التوصل الى حيل باطلها والخرق الذى هو ضد الرفق والتدبر ومنه يقال المخراق وهو شئ يلعب به كأنه يخرج لاظهار الشئ بخلافه

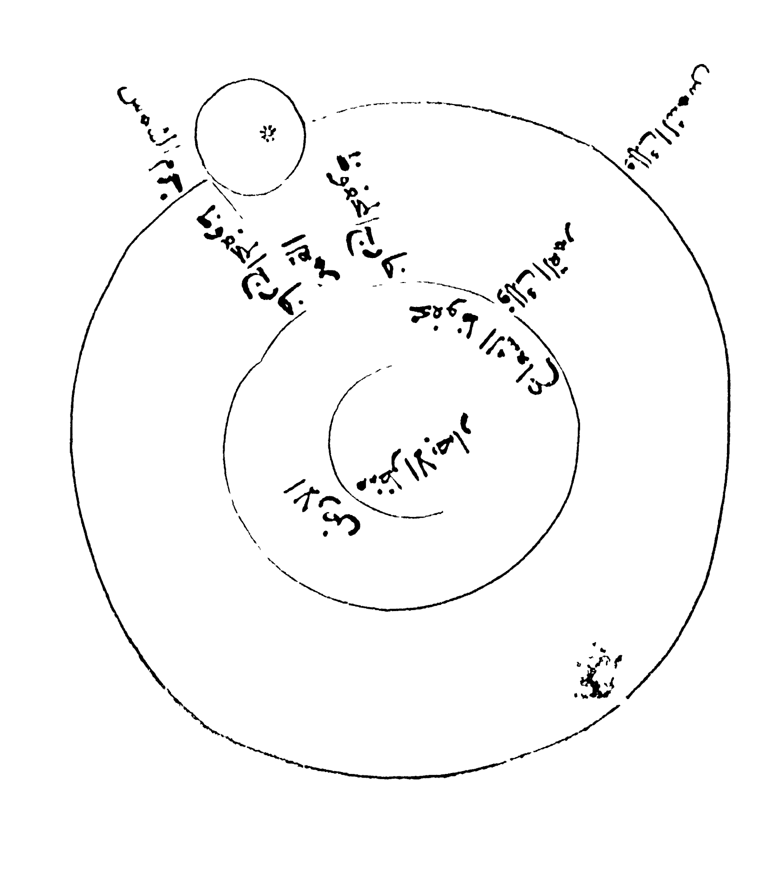
وقال أيضا

لست أنسى قول سلمى ذات يوم * ما لهذا المنحنى الظهر ومالى
أنا شمس فى الضحى وهو هلال * وكسوف الشمس من قرن الهلال

وقال ابن التلميذ

أشكو الى الله صاحبا شكسا * تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا * تكسبه النور وهو يكسفها

والسبب فى ذلك توسط القمر بينها وبين أبصارنا لان جرم القمر كما تقدم كدر مظلم فيحجب ماوراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك الشمس فاذا اجتمع معها فى درجة واحدة وكان على مسامتة احدى نقطتى الرأس أو الذنب أو قريبا منهما فانه يجوز تحت الشمس فيحول بينها وبين أبصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث أكثر من ساعتين مستويتين لان حركة القمر متصلة سريعة لضيق فلكه فاذا كان الكاسف ليس عارضا فى نفس الشمس بل هو سبب التوسط بينها وبين الابصار فيجوز أن يختلف وضع المتوسط وهذا هو سبب اختلافه فى الزمان والقدر فى بعض البلاد وانجلائها من طرفها الغربى اذ القمر متصل بها من ناحية المغرب وهذا الشكل يوضح لك ما ذكرته فتأمله وتدبر وضعه يظهر لك صورة كسوف الشمس



(مساولو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا الطلاق)
هذا البيت لابى تمام الطائى من أبيات يهجو بها الاعمش وهى هذه

دع ابن الاعمش المسكين يبكى
لداء ظل منه فى وثاق
لبئس الداء والداء استكفا
عليه من السماجة والخلاق
تكاملت بقبح صورته فأضحى
لها انسان عينى فى السياق
مساو لو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا الطلاق

يعنى ان صفاته لو تقسمت على الغوانى وهن النساء اللواتى غنين بأزواجهن لم يعطهن الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوى والقبائح

(حتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك)
يعنى باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال أعيى من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص وهو معه فقال بكم اشتريته ففتح كفه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر فهرب الظبى من كفه وضربوا به المثل فى العى قال حميد الارقط يهجو ضيفا له
أتانا وما داناه سحبان وائل

وسبب خسوف القمر توسط الارض بينه وبين نور الشمس فاذا كان القمر على مسامتة احد نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منهما توسطت الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع فى ظل الارض ويبقى على ظلامه الاصلى فيرى منخسفا وظل الارض أبدا يكون فى الجهة التى تقابل جرم الشمس وخسوفه لا يختلف باختلاف البلاد لان الكاسف عارض فى جرمه وهو وقوعه فى ظل الارض ولكن تختلف أوقات الخسوف باختلافها بان يكون فى بعض البلاد على مضى ساعة وفى بعضها على مضى نصف ساعة أو أقل أو أكثر وقد يطلع فى بعضها منخسفا ولا يرى فى بعضها لكونه تحت الارض اذ طلوعه فى البلاد الشرقية قبل طلوعه فى البلاد الغربية ويبدو خسوف القمر من طرفه الشرقى اذ هو الذاهب الى الاستقبال ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب وانجلاؤه يكون أيضا من الطرف الشرقى وأطول ما يكون زمانه بالتقريب أربع ساعات ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته تماما

فقد ظهر لك بهذا الشكل خسوف القمر وبالذى قبله خسوف الشمس وبعضهم يخص لفظة الكسوف بالشمس والخسوف بالقمر وقال الامام فخر الدين طعنت الملاحدة فى قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر قالوا خسوف القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس

بياناو علما بالذى هو قائل
فازال عنه اللقم حتى كأنه
من العى لما ان تكلم باقل
سحبان رجل من بنى وائل
يضرب به المثل فى البلاغة
واللقم بالفتح ثم السكون سد
الفم باللقم وقال أبو العلاء
المعرى فى لاميته
اذا وصف الطائى بالبخل مادر
وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية
وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء
سفاهة
وفاخرت الشهب الحصا
والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة
ويا نفس جدى ان دهرك
هازل
الطائى هو حاتم المشهور
بالكرم ومادر اسم رجل من
بنى هلال بن عامر بن صعصعة
يضرب به المثل فى البخل لانه
سقى ابله من حوض فبقى
فى أسفله قليل ماء فسلح فيه
ومدر به أى لطخه فى جوانب
الحوض بخلا أن يسقى غيره
فصار مثلا يضرب قال الشاعر
لقد جللت خزيا هلال بن عامر
بنى عامر طرا بسلحة مادر
وقس بن ساعدة الايادى
أسقف نجران وكان أحد
حكماء العرب وخطبائهم
يضرب به المثل فى الفصاحة
والفهاهة العى يقال رجل فه

الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفا سواء كانت الارض
متوسطة بينه وبين الشمس أو لم تكن والدليل عليه ان الاجسام متماثلة فصح على كل
واحد منها ما يصح على الآخر والله تعالى قادر على الممكنات فوجب ان يقدر على ازالة الضوء
عن القمر فى جميع الاحوال اه قلت وقال بعضهم هو كناية عن ذهاب الروح الى عالم الآخرة
كأن الآخرة كالشمس فانها تظهر فيها المغيبات وتبدو المبهمات وتتضح والروح كالقمر فكما ان
القمر يقبل النور من الشمس كذلك الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة وبهذا التأويل
يسقط طعن من ألحد فى هذه الآية الكريمة والله أعلم وقال الفراء وانما قال وجمع الشمس ولم يقل
وجمعت لان المراد انه جمع بينهما فى زوال النور وذهاب الضوء وقال الكسائى المعنى جمع
النوران وقال القمر شارك الشمس فى الجمع وهو مذكر فلاجرم غلب جانب التذكير فى اللفظ
(رجع القول الى فضيلة الشمس) والشمس هى التى يكون بواسطتها تكون المعادن ونحو
الحيوان والنبات باذن الله تعالى الذى خلق كل شئ ويسره فقد جعلها الله علة التركيبات
الطبيعية واعتدالها سبب النشئ الحيوانى والنباتى اذ لا بقاء لهذا النشئ الا فى هذه المواضع
التى لا تبعد عن مدار الشمس ولا تقرب منه جدا لانها ان بعدت عن ناحية الشمال اشتد البرد
وعصفت الرياح وتكاثفت الظلم فلا يمكن ان ينشأ حيوان ولا نبات وان قربت الى ناحية
الجنوب اشتد الحر وسخن الهواء وجفت الرطوبات فلا يمكن أن ينشأ حيوان ولا نبات فهى اذا
اعتدلت فى البعد والقرب أو قاربت أمكن نشئ النبات والحيوان واعتدلت الامزجة والطبائع
والاخلاق وقال ارسطو لو توارت الشمس عن الارض لمات حيها وأنتن طينها وجمد ماؤها لانها
فى الارض كالدم فى الجسد واعلم ان الشمس وسائر الافلاك والكواكب لا يقال فى شئ منها
انه حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس لانتفاء لوازم هذه الكيفيات بل هى طبائع خارجة عن
هذه الطبائع الاربع وكل واحد منها نوع منحصر فى شخصه وربما قيل فيها طبيعة خامسة تجوزا
والا فهى متغايرة الطبائع فى جواهرها وانما تأثير الشمس فى عالم الكون والفساد التسخين
العام بالاضاءة والاشراق واشتداده انما هو بانعكاس الشعاع على زوايا حادة جدا وناكصة
على أعقابها فتتراكم الاشعة فيحصل منها افراط التسخين كما يحصل الاحراق عن المرآة المحرقة
بواسطة انعكاس الشعاع والله أعلم بالصواب وذكر أرباب الهيئة ان مساحة جرمها على
ما تبرهن فى المجسطى كما ذهب اليه أبو الريحان قدر الارض مائة وسبعة وستين مرة وثلث مرة
وعلى ما صححه كوشيار مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة وزعموا أن مساحة كرة الشمس
مما يلى كرة الزهرة اثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وتسعة وستون الفا ومائة
وأربعة وثمانون ميلا ومساحة كرة الشمس مما يلى كرة المريخ اربعة وعشرون ألف ألف
وخمسمائة ألف وخمسة وتسعون ألفا ومائتان وتسعة عشر ميلا وأما دور قرص الشمس
فزعموا انه مائة ألف وثمانمائة وثمانون ميلا وقول كوشيار هو الصحيح وعليه العمل لان
بطلميوس بين اولا ان جرم الشمس أعظم من كرة الارض ثم حرر هذه النسبة وبين ان قطر
الارض كجزءين من أحد عشر جزأ من قطر الشمس وبين اقليدس ان نسبة الكرة الى الكرة
كنسبة القطر الى القطر مثلثة بالتكرير فاذا جعلنا قطر الارض الذى هو أصغر المقدارين
واحدا وضربناه فى نفسه كان الحاصل عنه واحدا ثم ضربناه مرة أخرى فى نفسه لم يحصل غير

وامرأة فهة قال بعضهم
ولم تلفنى فها ولم تلف حجتى
ملجلجة أبغى لها من يقيمها
والسها كوكب خفى فى
بنات نعش الكبرى والناس
يمتحنون به أبصارهم وفى
المثل أريها السها وتريني
القمر وقد ضمن هذا المثل
الشيخ شمس الدين النواجى
صاحب حلبة الكميت
حيث قال
مرضت فعادت وأبدت سنى
محيا روق لعينى النظر
وبت ولى جسد ناحل
أريها السها وترينى القمر
وضمنت أباعز بنت المعرى
فقالت
وأعيا فصيح الوقت نبت
عذاره
وعير قسا بالفهاهة باقل
(والبلاغة) بلوغ الدرجة
العالية فى النطق والمعنى
فى قوله أن باقلا بالنسبة
اليك يكون بليغا
(وهبنقة مستوجب لاسم
العقل اذا أضيف اليك)
يعنى يزيد بن ثروان أحد بنى
قيس بن ثعلبة الملقب
هبنقة والمكنى بابى الودعات
لانه نظم ودعا لنفسه فى سلك
وجعله فى عنقه علامة لنفسه
لئلا يضيع قيل ان أخاه
راقبه الى أن نام فاخذ العقد
من عنقه وجعله فى عنق نفسه
فلما انتبه هبنقة ورأى أخاه

واحد وهذا هو الحاصل من تكعيب قطر الارض وهو جرمها ثم نضرب قطر الشمس الذى هو خمسة أمثال هذا ونصف مثل فى نفسه فيبلغ ذلك ثلاثين جزأ وربع جزء فاذا ضربناه فى الاصل وهو خمسة ونصف بلغ مائة وستة وستين جزأ وربعا وثمنا وهو تكعيب قطر الشمس أعنى جرمها وقد بين الخواجة نصير الدين الطوسى فى كتابه التذكرة فى الهيئة فى الباب الرابع منه معرفة الاجرام والابعاد ان بعد الشمس عن مركز الارض فى بعدها الاوسط الف ومائتان وعشرة أمثال نصف قطر الارض ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف وستمائة وتسعة عشر ميلا فيكون البعد عن الشمس الى الارض بالاميال أربعة آلاف مرة واحدة ومائتين وثلاثة وعشرين ألف ميل او تسعمائة وتسعين ميلا ويكون بعد زحل الاوسط عن مركز الارض سبعة وسبعين ألف ألف مرتين ومائة ألف وستة واربعين ألفا وستمائة وسبعة وتسعين ميلا والبعد الابعد لزحل عن مركز الارض تسعة عشر ألفا وتسعمائة وثلاثة وستين مثلا بالاشياء المثلثة لنصف قطر الارض وجرم زحل مثل جرم الارض سبعة وسبعين مرة وزعم المنجمون ان الذهب معدن الشمس وان الاصفر من الالوان يخص الشمس وانها فى الفلك بمنزلة السلطان وقال بعضهم الحكمة فى كون الشمس فى الرابع لانها اذا كانت فيه كانت فى اوسط الافلاك فاضاءبها مافوقها وماتحتها وبعثت النور فى مجموع العالم وتكون بمنزلة الواسطة فى العقد وقال صاحب رسائل اخوان الصفا الشمس بين الكواكب كالملك وسائرها كالاعوان والجنود والقمر كالوزير وولى العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشترى كالقاضى وزحل صاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجوارى اه وعلى الجملة فمحاسن الشمس كثيرة وفضائلها عديدة وقد اقتضى الوضع الالهى ان تكون رابعة لما تقدم من انها كالواسطة بخلاف ما اذا كانت فى الاعلى او فى الاسفل وهذا دليل على الحكمة الربانية وما احسن قول التهامى

محاسن الاشياء فى تركيبها * طوق الحمامة حلية فى جيدها

وقد وصف الشعراء الشمس واطنبوا فيها فمن ذلك قول الوزير ابى محمد المهلبى

الشمس من مشرقها قد بدت * منيرة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت * يجول فيها ذهب ذائب

وظرف ظافر الحداد الاسكندرى فى قوله

انظر لقرن الشمس بازغة * فى الشرق تبدو ثم ترتفع
كسبيكة الزجاج ذائبة * حمراء تنفخها فتتسع

واخذه الآخر فقال واحسن

يا حسنها وقد دنا طلوعها * فاضحكت بقربها سماءها
كأنها عين بها جارية * وقد أفاضت فى السماء ماءها

وقال ابن المعتز فى الشمس والغيم وهو بديع

تظل الشمس ترمقنا بلحظ * مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر

وقال المهلبى

قال له أنت أنا فأنا ترى من هو أنا ولهذا يضرب به المثل فى الحمق وهو جاهلى ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل يختار المراعى للسمان وينحى المهازيل وقال لا أصلح ما أفسد الله * ومنها انه اختصم اليه بنو راسب وبنو طفاوة فى شخص يدعونه فقال هبنقة ارموه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة * ومنها انه رأى مع الناس جرادا قد أقبل فقال لايهولنكم ما ترون فان أكثرها موتى * واشترى أخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فأعجبه عدوها فالتفت الى أخيه وقال زدهم عنزا أخرى فضرب به المثل للمعطى بعض امضاء البيع ثم سار بها فرأى أرنبا تحت شجرة ففزع منها وركض البقرة وقال
الله نجانى ونجى البقرة
من جاحظ العينين تحت الشجرة
وروى أن مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس مازحا وهو يفتخر بالربيعية على المضرية لاحمق بكر بن وائل أشهر من سيد بنى تميم يعنى بالاحمق هبنقة القيسى فقال الاحنف لقيس بنى تميم أشهر من سيد بكر بن وائل يعنى قيس بنى حمان الذى يقال

والشمس حيرى خلف غيم عارض * فكأننا في ضوء ليل مقمر

وقال في طلوعها مبادرة القمر

أما ترى الشمس وهي طالعة * تمنع منا ادامة النظر
حمراء صفراء في تلونها * كأنها تشتكي من السهر
مثل عروس غداة ليلتها * تمسك مرآتها من القمر

وما أحسن قول ابن طباطبا

متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة في كف الحسود
يقابلها فيلزمها غشاء * بأنفاس تزايد في الصعود

وهذا يشبه قول أبي بكر محمد بن هاشم في السماء

وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هي فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء في المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وقال أبو حفص بن برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغواني فيه بالانفاس

وما أعدل قول المعوج

كأن شعاع الشمس في كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير في كف الاشل يضمها * لقبض فتهوي من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

والقى الشرق منها في ثيابي * دنانيرا تفر من البنان

ولكن زاده في المعنى كف الاشل لكثرة اضطرابها في حركتها وهو حسن واكن هذه الزيادة أخذها أيضا من قول ابن المعتز * والشمس كالمرآة في كف الاشل *
ومن هنا أخذ ابن قلاقس رحمه الله قوله

والرمل في حبك النسيم كأنما * أبدى غضون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع يشن بعطفي مقرور

بل أخذه من قول الآخر في الخمر

كانت سراج أناس يهتدون بها * في سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز في الكاس من ضعف ومن كبر * كأنها قبس في كف مقرور

وأخذه القاضي الفاضل أيضا فقال

والشمس من بين الارائك قد حكت * سيفا صقيلا في يد رعشاء

وقال ابن الرومي

كأن جنوح الشمس عند غروبها * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض
تخاوص عين مس أجفانها الكرى * ترنق فيها النوم وهي تغمض

وقال ابن قلاقس

والشمس في وقت الاصيل بهارة لفت بورد

وقال ابن خفاجة

فيه أعلم من قيس بني حسان يزعمون انه نزا على عنز بعد أن قرنت أوداجه

(وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك)

هو عيسى بن عبد الله مولى بني مخزوم وكنيته أبو عبد النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ويضرب به المثل في الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشي بالنميمة بين نساء الانصار * وله أخبار تدل على مكره وفطنته * قال كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له في عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود أسال كل شيء فقال عبد الله هل لكم في العقيق وهو منتزه أهل المدينة في الربيع والمطر فركبوا ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه

والنقع يكسر من سناشمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار

قلت قوله صدأ على دينار فيه نظر لان الذهب من جملة خواصه أنه لا يعلوه صدأ ولا يركبه ولا يبليه التراب نعم قالوا اذا علق في مكان تتصاعد اليه الرطوبات كما اذا علق في فضاء بئر أو ما أشبهه ربما تأكل وبلى وابن النبيه استعمل الصدأ فاحسن في قوله

والظل يسبح في الغدير كأنه * صدأ يلوح على حسام مرهف

وهو تشبيه وقع موقعه بخلاف قول ابن خفاجة وقد احسن ابن سناء الملك أيضا في قوله

كأن أصيل الجو في نهرها * سحالة العسجد في المبرد

وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى فقال والشمس في طفل الامساء تنظرمن * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفي

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به النوى فتراهم على شرف

ولابن الرومي من قصيدة في غروب الشمس

ولاحظت النوار وهي مريضة * وقد وضعت خدا على الارض أضرعا

وودعت الدنيا لتقضي نحبها * وشول باقي عمرها فتضعضعا

كما لاحظت عواده عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا

وما أحسن قول بعض الاعراب يصف أحوالها

مخبأة أما اذا الليل جنها * فتخفى وأما بالنهار فتظهر

اذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى * دجى الليل وانجاب الحجاب المستر

والبس عرض الارض لونا كأنه * على الافق الغربي ثوب معصفر

تجلب سريعا حين يبدو شعاعها * ولم يبد للعين البصيرة منظر

عليها كدرع الزعفران يشوبه * شعاع تلالا فهو أبيض أصفر

فلما انجلت وابيض منها اصفرارها * وجالت كما جال الوشاح المشهر

وجلت الآفاق نورا فأصعدت * يحير له صدر الشجي يتسعر

ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة * تراه اذا زالت على الارض ينشر

كما بدأت اذ أشرقت بطلوعها * تعود كما عاد الكبير المعمر

وتدنف حتى ما يكاد شعاعها * يبين اذا ولت لمن يتبصر

فافنت قرونا وهي اذ ذاك لم تزل * تموت وتحيا كل يوم وتنشر

وقال محمد بن شرف القيرواني ملغزا فيها

وبلقيسية في الملك ليست * ككن أو هي سليمان قواها

يراها كل ذي بصر فيعشو * ابهجتها الى أن لا يراها

اذا العليا يبالغ ناسبوها * عزوها في السمو الى علاها

وملك الارض من بر وبحر * فليس يرومه ملك سواها

نعوت كاهن غدت نعوتا * لعباد سوى نعت عداها

وذلك انها مهما أقامت * بارض أيبست منها ثراها

وعباد اذا ماحل أرضا * تفجر يبس تربتها مياها

وقال

ونحمد ثناؤ يضحك كنا فقال وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه ولم يره فقال عبد الرحمن ابن حسان جعلت فداك وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله لا تقل ذلك فانه خفيف لنا فيه انس فلما استوفى طويس الكلام تعجل الى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءك سيد الناس عبد الله ابن جعفر فما عندك قالت نذبح هذه العناق وكانت قد ربتها اللبن واختبز رقاقا فبادر بذبحها وعجنت هي وخرج وتلقاه مقبلا اليه فقال له طويس بأبي أنت وأمي هذا المطر هل لك في المنزل فتسكن به الى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض ياسيدي على بركة الله وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا الى أن أدرك الطعام فاستأذنه عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل القوم وأعجبه طعامه ثم قال بأبي أنت وأمي أما أغنيك قال بلى فاخذ الدف وغنى

يا خليلي نابني سهدي
لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل
أنس تلتذه كبدي

فطرب القوم وقالوا والله

وقال الشرف التيفاشي في ذمها

في خلقة الشمس وأخلاقها * شتى عيوب ستة تذكر
من صحبها النور لاسمائها * مغاير الأشكال لا يفتر
ومداء عشاء اذا أصبحت * عمياء عند الليل لا تبصر
ويغتدي البدر لها كاسفا * وجرمه من جرمها أصغر
حرورها في القيظ لا تتقي * ونورها في القر مستحقر
وخلقها خلق الملوك التي * تمكث في العهد ولا تصبر
ليست بحسناء وما حسن من * يقصر عنه اللفظ اذ يخبر

وأحسن من هذا قول ابن سناء الملك

لا كانت الشمس فكم أصدأت * صفحة خد كالحسام الصقيل
وكم وكم صدت بوادي الكرى * طيف خيال جاءني من خليل
وأعدمتني من نجوم الدجى * ومنه روضا بين ظل ظليل
تكذب في الوعد وبرهانه * ان سراب القفر منها سليل
وتحسب النهر حساما فتر * تاع وتحكي فيه قلب الذليل
ان صد الطرف فما صقله * الا التحلي بحيا جميل
وهي اذا أبصرها مبصر * حديد طرف عاد عنها كليل
يا غلة المهموم يا جلدة المحـ * ـموم يا زفرة صب نحيل
يا فرحة المشرق وقت الضحى * وسلحة المغرب عند الاصيل
أنت عجوز ولم تبرجت لي * وقد بدا منك لعاب يسيل
وأنت بالشيطان قرنانة * فكيف تهدينا سواء السبيل

انظر الى هذا المعنى الذي تكلفه لاظهار معايب الشمس ليعلم تفاوت الناس في البلاغة وأحسن ما في هذه القطعة قوله يا غلة المهموم البيت والذي بعده أحسن وكذلك الثالث أيضا وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

وفضل الشمس في الايام باق * وان مدت من الكبر اللعابا

وعلى قوله سلحة المغرب ذكرت ما أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني شهاب الدين أحمد بن زكريا بن أبي العشائر الماردينى قال أنشدني الزين الجوبان لنفسه

انظر الى الشمس وقد عممت * رؤس الهضاب الصلع بالاصفر
كأنها في الجو قلاعة * وما فلاح عليها خرى

وقال عبد الملك بن عمر في الشمس لما سئل عنها مظهرة للداء منقلة للريح مبلاة للثوب وقال فيها آخر تشحب اللون وتغير العرق وترخي البدن وتثير المراء ان احتجمت فيها أمرضتك وان أطلت النوم فيها أفلجتك وان قربت منها صرت زنجيا وان بعدت عنها صرت صقليا وقد تكلف ابن الرومي وعدد للقمر معايب وأبياته في ذلك مشهورة وهي

لو أراد الاديب أن يهجو البد * ر رماه بالخطة الشنعاء

أحسنت فقال يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا قال هذا الفارعة بنت حسان وهي تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومي وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو نقبت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن *ولطويس شعر ركيك لا فائدة في ذكره (واليمن) البركة وأيامن الطير ما كانت العرب تتفاءل به للسافر اذا أولاه الطير يمينه وهو خلاف الاشائم وفي الحديث اللهم لا طير الا طيرك

(فوجودك عدم
والاغتباط بك ندم)
(والخيبة منك ظفر
والجنة معك سقر)

قوله (وجودك عدم) هو مأخوذ من قول المتنبي

يا من يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شئ بعدكم عدم

(والغبطة) حسن الحال وفي الحديث اللهم غبطا لا هبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا (والاغتباط) تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها (والخيبة) فوت المطلوب (والظفر) الفوز به مأخوذ من ظفر أي انشب ظفره فيه (والجنة) كل بستان ستر الارض بشجره مأخوذ من

قال يابدر أنت تغدر بالسا ✻ رى وتغرى بزورة الحسناء
كالف فى بياض وجهك يحكى ✻ نمشافوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق فى كل شهر ✻ فترى كالقلامة الجناء

وقد عدوا فى القمر معايب كما عدوا فى الشمس قالوا انه يهدم العمر ويحل الدين ويوجب أجرة المنزل ويسخن الماء ويفسد اللحم ويشحب الالوان ويبلى الكتان وقال الشاعر فى ذلك وهو ابو المطاع فى مليح عليه أخلاق

ترى الثياب من الكتان يلمحها ✻ نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى غلائله ✻ والبدر فى كل وقت طالع فيها

وهو مأخوذ من قول ابن طباطبا العلوى

لا تعجبوا من بلى غلالته ✻ قد زر أزراره على القمر

والقمر يغرا السارى لانه يخفى الكواكب فيضله ويفضح العاشق وقال فيه الشاعر

ياسارق الانوار من شمس الضحى ✻ يامثكلى ثوب الكرى ومنغصى
لم يظفر التشبيه منك بطائل ✻ مستلحقا بهقا كجلد الابرص

ويعجبنى قول ابن سناء الملك

ليل الحمى بات بدرى فيك معتنقى ✻ وبات بدرك مرميا على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب ✻ وذاك بدرى وبدر صيغ من بهق

وقد حكى ان بعض العرب شردت راحلته فى الليل فاتبعها حتى أعيا ولما طلع القمر وجدها معلقة بخطامها ترعى من الشجر فرفع رأسه الى القمر وقال

ماذا أقول وقولى فيك ذو قصر ✻ وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا ✻ أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

وهذا البدوى كان أرق طباعا من هؤلاء الذين عابوا القمر وعلى ذكر شرود الراحلة حكى ان امرأة شردت لها ناقة فأضلتها فقيل لها لو وجهت لها من يطلبها فقالت قد أخذت عليها بمجامع الطرق فقيل لها وما مجامع الطرق قالت الدعاء فيقال ان الناقة أصبحت مربوطة ببعض أطناب بيتها وقال بعض الاعراب يصف دعوة المظلوم

وسائرة لم تسر فى الارض تبتغى ✻ محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ ✻ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب ✻ بجثمانه فيه سمير وهاجع
اذا وفدت لم يردد الله وفدها ✻ على أهلها والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها ✻ اذا قرع الابواب منهن قارع
وانى لأرجو الله حتى كأنما ✻ أرى بجميل الظن ما الله صانع

نقلت من خط ابن القيسرانى له يمدح نور الدين الشهيد

كلفت همتك السمو فخلقت ✻ فكأنما هى دعوة فى ظالم
وطنبت بأوطان النجوم فكم لها ✻ من مارد قذفت اليه براجم

ونقلت من خط السراج الوراق له

جن الشئ اذا ستره قال الراغب وسميت الجنة جنة اما تشبيها بما يرى فى الارض وان كان بينهما بون واما استتار النعم المشار اليها بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وسقر) اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضى التلويح قال الله تعالى وما أدراك ما سقر أى ان ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سقر الشمس المعلوم بينكم

(كيف رايت لؤمك الكرمى كفاء
وضعتك الشرف وفاء)

(اللؤم) الدناءة فى الاصل والاخلاق (والكرم) ضده (والاكفاء) الانظار ويستعمل فى المنا كحة والمحاربة (والضعة) مقابلة الرفعة مأخوذ من وضعت الشئ اذا حططته (والشرف) علو المقدار وهو مأخوذ من شرف المكان وهو أعلاه والمعنى كيف تكون كفؤالى على شرفى وضعتك

(وانى جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى أشكالها)

(والطير انما تقع على آلافها) يعنى كيف جهلت أنى انما أميل الى شكلى والفى ولست من أشكالى وآلافى والكلمة الاولى منظومة

توقّ من سؤته دعوة * تطلع حيث السهم لم يطلع

ما كبد القوس اذا أرسلت * فيها الذى فى كبد الموجع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة الارب ذى ظلم كنت لحربه * فاوقعه المقدور أى وقوع

وما كان لى الاسلاح تركع * وأدعية لا تتقى بدروع

وهيهات ان ينجو الظلوم وخلفه * سهام دعاء من قسى ركوع

مريشة بالهدب من جفن ساهر * منصلة أطرافها بنجيع

وقد كان ابن الرومى ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيذم الحسن ويمدح القبيح وهو القائل

فى زخرف القول ترجيح لقائله * والحق قد يعتريه بعض تغيير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قئ الزنابير

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

والحريرى انما فاق على من سواه بما أتى به فى مقاماته من مدح الشئ وذمه كما فعل فى المقامة الدينارية والتى فاضل فيها بين كتاب الانشاء والحساب والتى ذكر فيها البكر والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلعب بالكلام وصحة التخيل والذوق وقال ابن الرومى يهجو الورد

وقائل لم هجرت الورد قلت له * من شؤمه عند لقياه ومن سخطه

كانه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

وأين هذا التشبيه القبيح من قول الآخر فى الورد

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فانظر الى هذا وجنة حبيب ودينار والى ذاك سرم بغل وروث وشتان ما بين ذاك وهذا وقال ابن الرومى يفضل النرجس على الورد من أبيات

هذى النجوم هى التى ربيتها * بحيا السحاب كما ربى الوالد

فانظر الى الولدين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد

أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد

فصل القضية ان هذا طارد * زهر الرياض وان هذا قائد

فناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى ذلك فمنهم أحمد بن يونس الكاتب فقال

ان القياس لمن يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد

ان قلت ان كواكبا ربيتها * بحيا السحاب كما ربى الوالد

قلنا أحقهما بطبع أبيه فى الـ * ـجدوى هو الزاكى النجيب الراشد

زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع جمة وعوائد

وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل جمة وعوائد

ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد

فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

وقال سعيد بن هاشم الخالدى

فى قول المتنبى والكلمة الثانية منظومة فى قول بعض العرب وعلى آلافها الطير تقع قال الاصمعى كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غرابا تقع البقع منها مع البقع والسود مع السود الى ان رأيت غرابا أعرج قد سقط خلفه آخر مهيض الجناح فسقط عنده فعلمت أن المثل ما ضاع (وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان) وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان) وقلت الخبيث والطيب لا يستويان) (شعرت) أى علمت علما دقيقا مأخوذ من دقه الشعر والممع من السجعة الاولى قول على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما ازددت من احداهما قربا ازددت من الاخرى بعدا ومن السجعة الثانية قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أطيب من عمله والكافر أخبث من عمله ويدل على ذلك لفظ القرآن العظيم فى السجعة الثالثة فتأمله (وتمثلت * أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان) هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة المخزومى يقوله فى

أبحث النرجس لرقي ودي * ومالي باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوقي واني * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما في عسكر الانوار هذا * مقدمة تسير وذاك ساقه

وقال مسلم بن الوليد في تفضيل الورد

كم من يد للورد مشهورة * عندي وليست كيد النرجس
الورد يأتي ووجوه الربى * تضحك عن ذي برد أملس
وقد تحلت بعقود الندى * نابتة في الارض لم تغرس
ولن ترى النرجس حتى ترى * روض الخزامى زنة الملبس
وتخلق النكباء ما جددت * ايدي الغوادي في سنا السندس
هناك يأتيك غريبا على * شوق من الاعين والانفس

وقال ابو بكر الصنوبري

زعم الورد انه هو ازهى * من جميع الازهار والريحان
فاجابته اعين النرجس الغض بذل من قولها وهوان
ايما أحسن التورد ام مقلة ريم مريضة الاجفان
أم فماذا يرجو بحمرته الور * د اذا لم تكن له عينان
فزها الورد ثم قال مجيبا * بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من عين بها صفرة من اليرقان

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

من فضل النرجس وهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا جالسا * اذ قام في خدمته النرجس

يقال انهما أنشدا في حضرة الشيخ محيي الدين عبد الوهاب بن سحنون فاجاب من غير روية

ليس جلوس الورد في مجلس * قام به نرجسه بوكس
وانما الورد غدا باسطا * خد التمشي فوقه النرجس

وقد وضع بعضهم كتابا في المفاضلة بين الورد والنرجس لان الشعراء أولعوا بذلك فاطالوا وأطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة البخل والكرم ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجواري والمردان اذ كل ذلك يمكن فيه الاتيان بالحجة للجانبين وأما مفاخرة المسك والرماد فلا للعقل في ذلك مجال وما عسى البليغ أن يقول في الرماد اذا فاخر المسك وللجاحظ في ذلك رسالة بديعة ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

مذ لاحت المنثور طرف النرجس المزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك في سوادي فانه * عندي قبالة كل عين أصبع

وقال شهاب الدين بن جانك

أرى النرجس الغض الشهي مشمرا * على سوقه في خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف فوق رؤسه * عمائم فيها لليهود علائم

الثريا بنت عبد الله وقد تقدم ذكرهما وسبب قوله أن سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعني سألت الله عمرك أي يعمرك والعمر والعمر واحد وانما خص العمر بالقسم وأصل العمر من العمارة وهو عمارة البدن بالحياة

(وذكرت اني علق لا يباع ممن زاد
وطائر لا يصيده من راد)
وغرض لا يصيبه الامن أجاد

(ذكرت) عطف على قوله وهلا علمت (والعلق) الشيء النفيس الذي يتعلق به صاحبه ولا يبرح عنه واللفظ مأخوذ من شعر حريث بن قطان التميمي كانت له فرس يسميها سكاب فاراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق * نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا * تجاع لها العيال ولا تجاع

وقال آخر

أيا جاعلا النرجس الغض ميزة * على الورد قد أخطأت عن سنن القصد
بعيني رأيت النرجس الغض قائما * على ساقه بالامس في خدمة الورد

وما أحسن قول أمين الدين جوبان القواس

نفش غصن البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل في الروض مثلي وقد * تعزى الى قدي قدود الملاح
فحدق النرجس يهزو به * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ما هذه الاعين وقاح

وقال ابن الرومي في هجو والده

لو كان مثلك في زمان محمد * ما جاء في القرآن بر الوالد

وأين هذا من ابن سناء الملك وهو يمدح والده الرشيد بقصيدة بعد قصيدة من ذلك قوله

اني لارثي لدمعي في تزاحمه * كما رثيت لشملي في تشتته
انا الغوي بهمي والرشيد أبي * هو الرئيس على الدنيا بهمته
أحيي وأنشر ميت الجد مجتهدا * في لمته أو رمته
أصبحت اختال في حالي ونضرتها * به وأرفع في عيشي وخضرته
وأسعد الناس من لاقى بلا تعب * مبدا السعادة في مبدا شبيبته

وقوله فيه أيضا

يكفيك أني بك ياسيدي * قد طاب أصلي وزكا محتدي
جاوزت حد البر بي صاعدا * فقف فما أبقيت من مصعد

وقوله فيه أيضا من قصيدة

وبات نديمي ولا ليله * يطول ولا سر به يقصر
فلا يعجب الصبح من نوره * فوجه الرشيد أبي أنور

وقوله فيه من قصيدة أخرى

أبى لي النقص ان جدا أبي * سام كما ان قدره سابق
هو الرشيد الذي رياسته * سارت فلا راجز ولا سائق
يكني أبا الفضل وهو يعشق نفس الفضل والمرء لابنه عاشق

وقوله من قصيدة أخرى

ابي وحسبي نسبة عقدها * دروذاك الدر در ثمين
كأنه ازداد في بره * يعلم الآباء بر البنين

ولما مات أبوه رثاه بقصيدة رائية في غاية الحسن وقال أبو العيناء أنا أول من أظهر العقوق لوالده بالبصرة قال لي أبي ان الله تعالى قرن طاعته بطاعتي فقال اشكر لي ولوالديك فقلت يا أبت ان الله تعالى أمنني عليك ولم يأمنك علي قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم وممن هجا والده علي بن بسام حتى قال فيه ابن المعتز

سليلة سابقين تناجلاها
اذا نسبا بضمهما الكراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها
فدون منالها أمد شناع
(والغرض) الهدف المقصود بالرمي ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الانسان ادراكها
(ما أحسبك الا كنت قد تهيأت للتهنية
وترشحت للترفية)
يعني طمعت بحصول القصد فانتظرت الهناء به (والترشيح) الاستعداد للشيء مأخوذ من ترشيح الفصيل اذا قوي على المشي (والترفية) والرفاهية التنعيم والتوسع في العيش
(لولا ان جرح العجماء جبار للعبت من الكواعب ما لاقى يسار) (جرح العجماء جبار) لفظ الحديث والعجماء البهيمة سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم الهدر والمعنى عدم القصاص في جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (والكواعب) جمع كاعب وهي الجارية التي تكعب ثدياها تشبيها بالكعب (ويسار) اسم عبد وهذا مثل معروف وسببه ان يسارا هذا كان عبدا أسود دميما يقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فكان يظن انهن يضحكن من عجبهن به حتى نظرت اليه

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاه
لو أنه لابيـــه * ما كان يهجو أباه

وقال المرزباني في حق ابن بسام استفرغ شعره في هجاء والده وقال شرف الدين بن عنين

وجنبني ان أفعـل الخـيرو الد * قليـل اذا ما عد أهل المناسب
بعيد عن الحسـنى قريب من الخنا * وضيع مساعي الخير جم المعايب
اذا رمت أن اسمو صعودا الى العلى * غدا عرقـه نحو الدنيـة جاذبي

وهذا الثالث يشبه ما قيل في خالد بن عبد الله القسري

اذا نهته نخوة عربية * الى المجد فالت أرمنيته ثم

وما أكرم شاعرا قال

بنفسي أنت لا بأبي فاني * رأيت الجود بالاباء لؤما

وذكرت هنا ما حكاه لي المولى القاضي عماد الدين بن القيسراني قال كنا في الديوان بقلعة الجبل انا وأخي صحبة والدي وكان قد غاب في ذلك الوقت ولما عاد وجد قد جاءت اليه ورقة من بعض أصحابه وقد كتب أخي الجواب عنها وقال فيه ان مملوكه الوالد كان غائبا فأخذ الورقة وكشطها وكتب والد المملوك وقال المولى يقطع في كيسه ولا يقطع في كيسي وبالغ ابن الرومي في وصف جارية لأبي الفضل عبد الملك ابن صالح حيث وصفها وهي سوداء بتلك القصيدة الطنانة وهي طويلة بديعة في بابها وقد اشتهرت بين الادباء ومنها

أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وهي مشهورة بين الادباء فلا فائدة في ذكرها وعلى ذكر السودان فما أحسن قول القائل

يا أسودا يسبح في بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لخد الحسن خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

ومثله قول ابن خفاجه

وأسود يسبح في لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في شكلها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وذكرت هنا قول عبد الجليل بن وهبون للمعتمد بن عباد وقد جاوز البحر وهو في غاية الحسن من التشبيه

قسرت فوق دفاع البحر تهصره * براحة الدين والتقوى فينهصر
كأنما كان عينا أنت ناظرها * وكل شط بأشخاص الورى شفر

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي

وجارية من بنات الحبـو * ش ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابي فشبت * غراما ولم آلُ بالشيب راض
وكنت أعـيرها بالسواد * فصارت تعـيرني بالبياض

وقال ابن دفترخوان فاغرب

ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالا لها * في الارض فالسود نجوم النهار

امرأة مولاه فضحكت فظن انها خضعت له فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الابل قد والله عشقتني مولاتي فلأزورنها الليلة ولم يكن يفارق الابل فقال له صاحبه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فقال له يا صاحب أنا يسار الكواعب والله ما رأتني حرة الا عشقتني فلما أمسى قال لصاحبه احفظ على الابل حتى أنصرف وأعود اليك فنهاه فلم ينته حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها فقالت له مكانك ان للحرائر طيبا أشمك اياه ... هاتيه فأتته بطيب وموسى حذمة أي قاطعة فأشمته الطيب ثم أخذت بالموسى على أنفه فقطعته وقيل وضعت تحته بخورا وقطعت مذاكره فصاح فقالت صبرا على مجامر الكرام ثم خرج هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل وأيضا مما قيل ان اسم المرأة منشم وانها التي ضرب بها المثل بقولهم عطر منشم وهذا على أحد الاقوال في ذلك مما رويناه

(فاهم الا ببعض ما به هممت ولا تعرض الا لأيسر ما له تعرضت)

يعني ما طلب يسار من مولاته

وقال

وقال ابن رباح الملقب بالحجام

يا كعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب

يا من فؤادى فيها * متيما لا يزال
ان كان لليل بدر * فأنت للصبح خال

واحسن منه وأكمل قول جمال الدين ابراهيم الحنفى المعروف بابن امام الحرمين ولكن ليس فى أسود

وعاكس الليل وبدر الدجى * بخده والخال أهواه
فالبدر خال فى محيا الدجى * والليل خال فى محياه

وقال أبو اسحق الصابى

قد قال رشد وهو أسود للذى * ببياضه يعلو علو الحائن
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى * أن قد أفدت به مزيد محاسن
لو ان منى فيه خالا زانه * ولو ان منه فى خالا شانى

وقال آخر تضمينا

وسواده الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال شرف الدين بن عنين

وماذا عليهم ان كلفت باسود * محلته فى العين والقلب منهم
وقد عابنى قوم بتقبيل خده * وماذاك عيب أسود الركن يلثم
وما شانه لون السواد لانه * لغير الثنايا والخلائق معلم
لئن ضم جنح الليل أثناء برده * لقد شق عن مثل الصباح التبسم

وقال الوزير المغربى

يارب سوداء نمتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام

وقريب من هذا قول أبى الجهم

غصن من الآبنوس أبدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أظل فيه * للطيب لا أشتهى النهارا

وكلاهما مولد من قول الآخر * وانما الليل نهار الاديب * وقال أبو الحسن على بن رشيق

دعابك الحسن فاستجيبى * يا مسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك أسود لون * كمقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

واخذه ابن قلاقس فقال

وتعرض له الادون ما تعرضت اليه منى لانى أشرف من تلك وأنت أقل من ذاك (وهممت) بالشئ اذا جعلت طلبه هم نفسك (وتعرضت) للشئ اذا وقفت عرضا فى طريقه

أين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار

أما ثاب اليك قول الشاعر
بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع وتنكح فى أكفائها الحبطات

(ثاب اليك) أى رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق يقوله لرجل من بنى الحرث بن عمرو خطب الى بنى دارم (ودارم) هو مالك بن حنظلة التميمى وهو أبو مجاشع وبيته أكبر بيوت بنى تميم (وآل مسمع) بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهو من بنى قيس بن ثعلبة (والحبطات) بنو الحرث ابن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بنى دارم وانما نقص قدر الحبطات عندهم لقول الشاعر فيهم

وجدنا النيب من شر المطايا كما الحبطات شر بنى تميم

فلزمهم هذا القول وقيل انما سمى الحرث حبطا لانه كان فى سفر فأكل أكلا فانتفخ بطنه فمات فسمى حبطا وعيروا بذلك والحبط أن

ربّ سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك في اسمها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سواداً وانما هو نور

والاصل في هذا المعنى قول الوزير المهلبي

قسموه مع القرب غريبا * كنور العين سموه سوادا

ومن هذه المادة وان لم يكن في المعنى قول ابن التعاويذي في مليحة اسمها هاجر

فديت من نرحم عشاقها * وراحم العاشق مأجور
ليست على دين الغواني ترى * ان وصال الصب محظور
لا عجب ان سميت هاجرا * قد سمى الاسود كافور

وما أحسن قول ابن صريعة في سوداء

عقلتها حمامصقولة * سواد عيني صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

قلت انما كان التاريخ بالليالي دون الايام لان الهلال انما يبدو ليلا وهو أصل التاريخ

وقال آخر

يارب سوداء تجلى * بنورها الظلمات
كليلة الهجر تنسى * بوصلها السيئات
ماذا يعيبون منها * وكلها حسنات

وقال ابن بليطة في أسود أحدب يسقي

وكاس انس نذجلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
طاف بها أسود محدودب * أطرب من لهوبها مجلسه
نخلته من سبح ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

وذكرت بالاسود الساقي ماجرى لبعض الافاضل وقد حضر مجلسا والمغني يقول بيت ابن النبيه

ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره

ولكن لا يغنيه الا ويقول فاسود خداه وابيضت غدائره والفاضل يقول فابيض خداه واسودت غدائره وجعل يرده عليه مرارا وهو لا يقوله الا معكوسا وكان لبعضهم غلام شيخ أسود واقف يخدمهم فقال يا مولانا ما تعرف فيمن يغني من أمس الى الساعة قال لا قال في هذا العبد النحس أي هذا تغزل ابن النبيه فرجع وغناه مستقيما ومن معاني ابن الرومي التي ابتدعها قوله

توددت حتى لم أدع متوددا * أفنيت أقلامي عتابا مرددا
كاني أستدني بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وكرره أيضا فقال

وأيتك بينا أنت جار وصاحب * اذا بك قد وليتنا ثانيا عطفا
وانك اذ تحنو حنوك معقبا * بعاد المني بادلته الود وانعطفا
لكالقوس أحنى ما تكون اذا حنت * على السهم أدنى ما تكون له قذفا

وولد ابن بابك من هذا معنى آخر فقال

أصبحت في صولجانه كرة * يبعدها قربها من الضارب

تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها مافيها وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ومعنى قول الفرزدق أن بني دارم لا ينبغي أن يخطب اليهم الا بنو مسمع لانهم أكفاؤهم في الشرف فأما الحبطات فلا وذكر المبرد أن الرجل الخاطب أجاب الفرزدق فقال

أما كان عتاب كفيئا لدارم
بلى ولا بيات بها الحجرات

عتاب أحد آباء بني الحرث وقوله أبيات بها الحجرات يعني بني هاشم لقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات * والفرزدق هذا هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي الشاعر المشهور صاحب جرير ولقب الفرزدق لجهامة وجهه لان الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وكنيته أبو فراس وذكره الشريف المرتضى فقال كان الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا شريف الآباء كريم البيت وكان شيعيا مائلا لبني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في خلال ذلك منسلخا

وما أحسن قول ابن المفلس ملغزا فى الكرة

أراد دنوها حتى اذا ما * دنت منه بكد أى كد
قلاها ثم أتبعها بضرب * وبدل قربها منه ببعد

وأخذ المعنى الاول من ابن الرومى ناصح الدين الارجانى فقال

فلا تنكروا حق المشوق فاننا * لناو عليكم أنجم الليل تشهد
أراناسهاما فى الهوى ونراكم * حنايا فاتدنون الا لتبعدوا

وكرره فقال

قد قوس القد توديعا وقربنى * سهما فابعدنى من حيث أدنانى

وقال أيضا

والالف قد عانقنى للنوى * فالتف خداى وخداه
كأنه رام الى غاية * تناول السهم بيمناه
حتى اذا أدناه من صدره * أبعده من حيث أدناه

وأخذه كشاجم من قبله فقال

أرى وصالك لا يصفو لآمله * والهجر تتبعه ركضا على الاثر
كالقوس أقرب سهميها اذا عطفت * عليه أبعدها من منزع الوتر

وأخذه أيضا ابن قيم الجوزى بعد الارجانى فقال

فهو كالسهم كلما زادته منك دنوا بالنزع زادك بعدا

ومن معانى بن الرومى الغريبة قوله فى خباز رقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وهذا من التشبيهات العقم وحكى ان الاديب أبا عمرو النميرى أنشدت هذه الابيات فى حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن انه يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا برؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فجعلوا محوه أو فالعقوه طرى

وحكى ان الملك المعظم عيسى حضر الشعراء عنده وفيهم شرف الدين بن عنين فقال لهم لابد أن تهجونى فى وجهى فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ماذكرنا لامرئ قط * الا واشتهى أن لا يرانا

فقال السلطان صدقت فقال * شعر نامثل الخرا فقال السلطان صدقت فقال ذقت الخرا * فقال السلطان لا والله فضحك الله فقال صفع الله به أصل لحانا * ومن معانى ابن الرومى الغريبة قوله يهجو

لخالد شاعر نا زوجة * لهاحر يبلغ مثليها
قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

حدث ابن عمران قال جاء الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان أوثقنا بالله تعالى فقال له رجل ألك هذا الرجاء وهذا المذهب وأنت تفعل ما تفعل فقال أترونى لو أذنبت الى والدى أكانا يقذفانى فى تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كان يرحمانك فقال أنا والله برحمة الله أوثق منى برحمتهما وقيل انه كان يخرج من منزله فيرى بنى تميم وفى حجورهم المصاحف فيفرح بذلك ويقول ايه فدا لكم أبى وأمى هكذا والله كان أباؤكم واستدل الشريف على تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك أن هشاما حج فى خلافة أبيه فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن لازدحام الناس فجلس ينتظر خلوة فأقبل على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما وعليه ازار ورداء وهو من أحسن الناس وجها وبين عينيه سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكنى أنا أعرفه فقيل له من هو

وقوله أيضا

مرفوعة تحت الدجى رجلاها * كأنما تستغفران الله

وقال أبو محمد المصرى من شعراء الذخيرة من أبيات

ولا تتزوجن لهم ببنت * فللسودان عندهم مراح

بأرجلهن يستغفرن دأبا * فأرجلهن فى الدعوات راح

وما أحسن ما استعمل الآخر الاستغفار حيث قال

صل الراح بالرحات واغنم مسرة * بأقداحها واعكف على لذة الشرب

ولا تخش أوزارا فأوراق كرمها * أكف غدت تستغفر الله للذنب

وقلت أنا تضمينا فى ورق الكرم من قصيدة

وطل على ورد كخد غادة * به عرق من خجلة يتصبب

وأوراق كرم قد حكت كف سائل * لربات فى نعمائه يتقلب

وقد سبقت عليه بنت المهدى ابن الرومى الى هذا المعنى فقالت فى طغيان لما وشت بها الى رشا وكانت طغيان جارية أم جعفر زبيدة

لطغيان خف مذ ثلاثين حجة * جديد فما يبلى ولا يتخرق

وكيف بلى خف هو الدهر كله * على قدميها فى الهواء يعلق

فما خرقت خفا ولم تبل جوربا * وأما سراويلاتها فتمزق

وأنشد بعض الشعراء زبيدة شعرا قال فيه

ازبيدة ابنة جعفر * طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطى الأكف من الرقاب

فجعل عبيدها يقرعون رأسه فقالت دعوه انه أراد خيرا فأخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فأصاب سمع قولهم شمالك أندى من يمين فلان فظن انه من هذا الباب ويقال ان جحى دخل يوما الى دارهم فوجد أباه على أمه فرأته فلما خرج وعاد بعد فراغهما أرادت ان تذهب خجلتها فدفعت اليه درهمين وقالت اشترى لى بهما يا جحى سرموزة فمضى وعاد بسرموزة كاغد فقالت له كيف تتحمل هذه الوطا فقال لها ان مشيت بها كما كنت تمشين تحت أبى تلك الساعة فانها لا تنقب وعلى الجملة فابن الرومى كان من غرائب الوجود فى تقبيح الحسن وتحسين القبيح والقدرة على الاتيان بالمعانى الغريبة وقال الخالديان فى اختيار شعر مسلم بن الوليد وما رأينا أمرا أعجب من أمر ابن الرومى فانه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لغيره فاذا تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذى أخذه منه قلت والعلة فى هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق حسن التخيل فاذا طرق المعنى بكرا أتى به فى غاية الحسن فالذى يأتى بعده لم يجد فيه فضلة وأما هو فلا يرى ان يأخذ الا المعانى الجيدة من الفحول وأولئك قد سبقوه اليها فلا يكون له فيها فضلة والله أعلم وقد كان فى ابن الرومى عجائب منها انه كان شديد التطير فيلازم بيته ولا يخرج منه الا بعد استقراء القرائن الحسنة والالفاظ الخيرة فيما يسمعه ويتفاءل به من الكلمات الحسنة والوجوه المليحة فيقال ان بعض أصحابه أرادوا الخلوة به فى يوم أنس واختاروا له غلاما حسنا وقالوا له اذا طرقت الباب عليه وقال من فقل له أنا اقبال فلما فعل ذلك قال اقبال مقلوبه

فأنشد يقول

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

يكاد يمسكه عرفان راحته

ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان وفى ذلك يقول

أيحبسنى بين المدينة والتى

اليها رقاب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد

وعينا له حولاء باد عيوبها

وبعض الرواة يروى الابيات الميمية لابى الطمحان القينى والذى يرويها للفرزدق يستدل لها بحبسه وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق بالبادية سنة ١١٠ ومن أخباره المستظرفة دخل يوما على بلال بن أبى بردة وهو أمير على البصرة وعنده أصحابه فتنقصوا بنى تميم ورفعوا اليمن فقال الفرزدق لو لم يكن لليمن الا أبو موسى وما تولاه من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما أردت منها فقال حجامته اياه فقال صدقت قد فعل ذلك وما فعله بأحد قبله وما بعده فقال الفرزدق

لابقاء وهذا شئ أتطير منه فلا أخرج اليوم وجهزوا اليه فى بعض الايام غلاما وضيء الوجه حسن الاسم طيب الريح فلما طرق الباب عليه خرج اليه فشم طيبه وسمع اسمه ورأى وجهه المليح فقال حسن فى حسن فلما خرج رأى دكان خياط وقد صلب درابتى الباب وهو يأكل تمرا فقال ان الدرابتين مثنى لا والتمر تمر فالفال قال لا تمر فدخل وأغلق الباب وقال والله لا مررت معك وكان منهوما فى الاكل وكان به صلع لا يكاد يرفع عمامته عن رأسه أبدا وشعره جيد ومعانيه غريبة وكتب القاضى الفاضل الى الرشيد ابى ابن سناء الملك رحمهما الله تعالى كان القاضى السعيد لما وصل الى دمشق عائدا جعلت قراءة شعر ابن الرومى واختياره فاختار حرف الالف وتوجه قبل تمام الاختيار ووعد بانه يكمله فلم لا ينجز ميعاده ولم لا يجعل مرادى مراده وكان يبرز من الشعر محاسنه المغموره ويلفظ ابياته الخراب ويبقى ابياتها المعموره وكان ابن الرومى يشكره فى لحده ويستعير ألسنة الاحياء فى حمده فاجاب القاضى السعيد بن سناء الملك أما ما أمر المولى به فى شعر ابن الرومى فالمملوك من أهل اختياره ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره لان بحاره زخاره واسوده زآره ومعدن تبره مردوم بالحجاره وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل ألف ستاره يطمع ويؤيس وينفر ويؤنس وينير ويظلم ويصبح ويعتم شذرة وبعره ودرة وآجره وقبلة يجانبها السبه وحرة تجاورها قحبه ووردة حف بها الشوك وبراءة غطى عليها النوك لا يصل الاختيار الى الرطبة حتى يخرج بالسلى ولا يقول عاشقها هذا المليح قد أقبل حتى يقول قد ولى فالمملوك من جهابذته فكيف وقد تفلس فيه الوزير ولا من صيارفته ونقاده ولو اختاره جرير لاعياه تمييز الوشى من الحشى والوبر من الحرير والمملوك يكمل بمشيئة الله تعالى بقية قراءة حروفه ولكن بين يدى من قرئ بين يديه حرف الالف ليشاهد من مولاه معجز اختياره الذى يجعل المختلف فيه من الشعر المؤتلف اه قلت وقد اختاره الخالديان واختاره المولى جمال الدين محمد بن نباتة

(رجع القول الى ذكر الشمس وزحل) قد ذكرت مقدار الشمس وزحل وما فى الشمس من المحاسن والفوائد وبقى ذكر ما فى زحل والمنجمون يزعمون انه نحس أكبر وان له من المعادن الرصاص ومن الالوان الزرقة وهو فى الفلك بمنزلة الفلاح والاكار الذى يشبر الارض بالمساحى ويسقى بالدلو ولهم فى ذلك كلام طويل من هذه الاشياء التى تناقض محاسن الشمس وبعد هذا كله فاضره من ذلك شئ وزحل مع ذلك فى السابع والشمس لها تلك المحاسن وفيها تلك الفوائد وهى فى الرابع دونه بمكين وذلك صنع فعال لما يريد قادر على ما يشاء ويختار لا تعالل أفعاله لا اله غيره ولا فاعل فى الوجود سواه ولله در المتنبى حيث يقول

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وابن شرف القيروانى حيث يقول

بحيث يهون المرء يكرم ضده * وحيث هبوط الشمس يشرف كيوان

ولابن شرف القيروانى أيضا فى زحل وهو لغز

وشيخ له غرفة فخمة * علت وهو فيها جميع الغرف
يسير ويرجع طول الزمان * فكم مر من مرة وانصرف
ويفسد كل مكان حواه * على انه غاية فى الشرف

الشيخ كان أتقى لله من أن يقدم على نديه بغير حذق فيجرب عليه فأمسك بلال وعجب الناس من حذقه فى هذا التعريض ونظر يوما الى ابن هبيرة وعليه ثياب تتقعقع فقال ان ثيابه لتسبح أراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثيابا لزينة
تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجا الازد فلما قدم يزيد المهلب البصرة قال لابى الجعد وكان صديقا للفرزدق فقال له يوما ماذا يعد وذلك عن يزيد أعظم الناس عفوا وأسخاهم كفا فقال صدقت ولكنى أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم الى رجل منهم فيقول هذا الذى هجانا فيضرب عنقى فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى أهل بيتى بديتى فاذا يزيد قد صار أوفى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك لا والله لا أفعل فقال يزيد أما اذا فطن لها فدعه الى لعنة الله وقيل ان هذا كان مراده وسمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الفرزدق فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم لا ينبغى أن يكون هكذا

وأما بيت الطغرائي فأقول انه يصدع الفؤاد ويرض الاكباد لان الدهر مولع برفع الناقص وخفض الكامل وسعد الجاهل وشقاء الفاضل وبؤس الكريم ونعيم اللئيم وعز الشرير وذل الخير الخبير وراحة المتهور وتعب المتحذر

شيم مرت الليالي عليها * والليالي قليلة الانصاف

ومن الكلام النوابغ لاغرو أن يرتفع الجاهل وينحط العالم فقد يتدلى سهيل وتستعلى النعائم والطغرائي اختلس معنى بيته من قول أبي الطيب

ولولم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

لابل أخذه صريحا من أبي الفتح البستي حيث قال

لاتعجبن لدهر ظل في صبب * أشرافه وعلا في أوجه السفل
وانقد لاحكامه أني تقاديه * فالمشتري السعد يعلو فوقه زحل

وما أحسن قول ابن عمار الكوفي

لئن بسط الزمان يدي لئيم * فصبرا للذي فعل الزمان
فقد تعلو على الرأس الذنابي * كما يعلو على النار الدخان

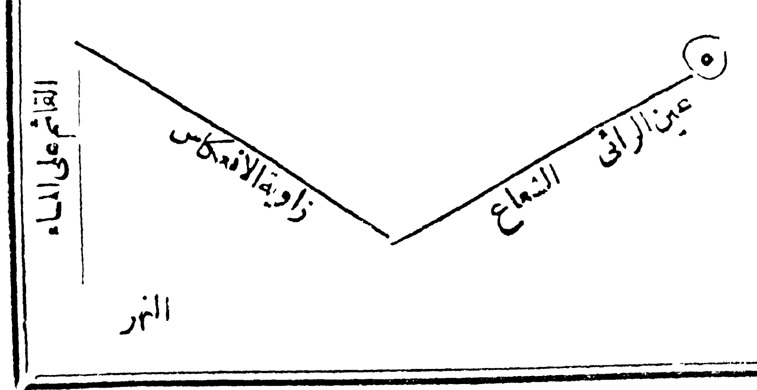
وقال الارجاني

هذا الزمان على ما فيه من كدر * حكى انقلاب لياليه بأهليه
غدير ماء تراءى في أسافله * خيال قوم تمشوا في نواحيه
فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

والارجاني أخذ هذا المعنى من البحتري وحوله ثم تحوله لان البحتري قال

قل للرئيس أبي محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء
من حول بركتك البهية سادة الشـ * ـعلماء والفضلاء والامراء
لوأن صفرك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها في الماء

يعني كانوا يقفون على رؤسهم وهو معنى حسن مسئلة ان قال قائل لم كانت الاشياء القائمة على الانهار يرى أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وترى السماء تحتها مع انها فوق فالجواب أن الشعاع الخارج من العين اذا اتصل بجسم صقيل وهو الماء أو غيره لم يثبت عليه لصقالته وزلق عنه الى الجهة المقابلة للرائي ان لم يكن الصقيل امامه بحيث تكون زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس في المساحة من غير زيادة ولا نقص مثاله هكذا



قيل انما قال والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغي أن يكون ثم اخذ نفسه بحفظ القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت

وجلا السيول عن الطلول كأنها * زبر تجد متونها اقلامها

فسجد فقيل له ما هذا فقال موضع سجدة في الشعر اعرفه كما تعرفون مواضع السجود في القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته التائية فلما قال

بها برص بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

وضع يده على عنفقته وأنشد * فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطانا في الشعر واحد ومر يوما بقوم فدعوه للنزول فقال لماذا قالوا النبيذ وجدي حنيذ وغناء لذيذ فقال وهل يأبى هذا الا ابن المراغة يعني جريرا ثم نزل واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فأمر غلامه أن يجعل في القعب خمرا ويحلب عليه لبنا ويسقيه فلما كرع جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب وقال بأبي أنت انك ممن تخفي الصدقات وتؤتيها الفقراء وقال ما أخفى أحد الانبطي من أهل تيري قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم

فهاتان الزاويتان فى السعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجرى فيه خياله الى الماء فينطبع فيه فكان القائم وقع على سطح الماء والقائم اذا وقع يصير أعلاه أسفله وأسفله أعلاه فلذلك رأينا السماء تحته وكل ماهو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم الماء واقفا كالمرآة رؤى على هيئته فالقائم فى القائم قائم والقائم فى المنبسط منعكس لان موضوع الانطباع أسفل والقائم أتى اليه فكأنه انطبع فيه وهو قائم فاخذه فى نفسه وانبطح والانطباع فى الحقيقة انما هو فى وجه الماء لافى عمقه وانما الحس لا يمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه فى جوفه فكأنه غرق فى الماء بعد الانبطاح على وجه الماء ولو غرقت الشجرة لكان رأسها أسفل ضرورة أن كل ماهو أعلى من السماء وغيرها يرى أسفل فاعرف ذلك (رجع) قال أبو تمام الطائى

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

وأخذه البحترى فقال

ولست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخذات من الرند

ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وأخذه أبو الوليد بن زيدون أيضا فقال

لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الامانى ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر

وقال شمس المعالى قابوس

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر

وفى السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

والاول مأخوذ من قول ابن الرومى

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتطفو فوقه جيفه

وقال أيضا

طار قوم بخفة الوزن حتى * لحقوا رفعة بقاب العقاب

ورسا الراجحون من جلة النا * س رسوّ الجبال ذات الهضاب

لا وماذاك للئام بفخر * لا ولا ذاك للكرام بعاب

هكذا الدر راسخ الوزن رأس * وكذا الدر شائل الوزن هاب

جيف أنتنت فاضحت على اللـ * ـجة والدر تحتها فى حجاب

وغثاء علا عبابا من اليـ * ـم وغاص المرجان تحت العباب

وأخذه ابن الساعاتى فقال

لا ترفعن علم العلوم بجهل * فعلو حظك أن تحال جهولا

وتعد عن دنيا الدنىء وان سما * نحو الشريف وان أصاب خمولا

فالسيف تكسبه الضرائب رفعة * اما تركنا بشفرتيه كلولا

والدر يرسب فى القرار وقد طفا * زبد البحار لا يعد جليلا

قال ان هجوتنى تموت زوجتى عيشونة قلت لا قال فتموت جارتى قلت لا قال فمن رجلى الى عنقى فى رحم امك قلت ويلك ثم تركت رأسك قال حتى أنظر ما تصنع وكان الفرزدق يقول لقد استراح النبطى من حيث تعب الكرام ومن محاسن شعره قوله

تصرم منى ود بكر بن وائل
وماخلت باقى ودها يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(وقوله)

ان الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول
بيت زرارة محتب بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أين الذين بهم تسامى دارم
ام من الى سلفى طهية تجعل
أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان أردت بناءنا
ثهلان ذا الهضبات لا يتحلحل
انى ارتفعت عليك كل ثنية
وسموت فوق بنى كليب من عل

(وقوله)

ومستنبح طاوى المصير كأنما
يساوره من شدة الجوع أولق
دعوت بحمراء الفروع كأنها
ذرى راية فى جانب الجو تخفق

وأخذه الغزي أيضا فقال

وترفع الاوباش فوقي جائز * أوليس در البحر تحت جفائه
بوقاحة السرحان هان وانما * زاد الهزبر مهابة بحيائه

وما أحسن قول ابن منير يصف النواعير

لنواعيرها على الماء ألحا * ن تهيج الشجى لقلب المشوق
فهي مثل الافلاك شكلا وفعلا * قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين عال خال ينكسه الدهر * ويعلو بسافل مرزوق

وقال أبو القاسم الباسليسي

لقد كدت سوق الفضائل كلها * وللهزل أحظى في الزمان من الجد
فلست أرى الاكرمان يفرمن * لئيم وحاشا تكى الضيم من عبد

وقال أبو العلاء بن أبي الندى

لاغرو أن كان من دوني يفوز بكم * وأنثني عنكم بالويل والحرب
يدني الاراك فيضحى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقى العود في اللهب

وقال أبو عبيد البكري

وما زال هذا الدهر يلحن في الورى * فيرفع مجرورا ويخفض مبتدا

وأنشدني من لفظه لنفسه عكس هذا المعنى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

زد كل يوم رفعة في العلى * وليصنع الحاسد ما يصنع
الدهر نحوى كما ينبغي * يدرى الذي يخفض أو يرفع

وقال ابن نقادة

الدهر يرفع مخفوضا ويخفض مر * فوعا من الناس عمدا فهو لحان
فالفضل ينحط والنقصان مرتفع * كأنما صرفه في الحكم ميزان

وما أحسن قوله صرفه مع ذكر الميزان والاصل في المعنى قول ابن الرومي

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل في الميزان من رجحا

وقال الآخر زائدا عليه

الدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض راجح المقدار
واذا انتحى الانصاف ساوى كونه * في الوزن بين حديدة ونضار

وقال التهامي

تأمل القدر المحتوم وارض به * فانما وزن الدنيا بميزان
فظل يزداد فيها كل منتقص * علا ويهبط فيها كل رجحان

وقال الخطيري الوراق

لاغرو أن أثرى الجهول على * نقص واعدم كل ذي فهم
ان اليد اليسرى وتفضلها الـ * يمنى تفوز بعلم الكم

ومن هذه المادة قول محمد بن شرف القيرواني في خدمة الحر أصحابه

خادمنا خيرنا وأفضلنا * نطرح أعباءنا ويحملها

وانى سفيه النار للمبتغى القرى
وانى حليم الكلب للضيف يطرق
اذا مت فابكيني بما أنا أهله
فكل جميل قلت في يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى
وقائلة مات الندى والفرزدق
كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب وقوله يرثي ابنيه
يذكرني ابني السما كان موهنا
اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم
وقد رزئ الاقوام قبلي بنيهم
واخوتهم فاقني حياء الكرائم
ومات أبي والمنذران كلاهما
وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم
وما ابناك الا من بني الناس فاعلم
فلم يرجع الموتى حنين المآتم
وقوله في الفائية التي أولها
عرفت بأعشاش وما كدت تعرف
وأنكرت من حدواء ما كنت تعرف
اذا اغبر آفاق السماء وكشفت
بيوتا وراء الحي نكباء حريف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه
على سروات النيب قطن مندف
هذا البيت يروى بالنيب والبيت والنبت وأفصح ذلك كله النيب

فنحن يسرى اليدين تخدمها * يمناهما الدهر وهى أفضلها

وقال النور الاسعردى فيمن ندم على مدحه

يمينا مامدحتك من ضلال * ولى فى ذاك عذر للمعالى
ولكنى أكمل منك نقصا * كما جعل الطراز على الشمال

وقال الحريرى

ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلى دون جميعها للخنصر

وقال الآخر

وان لم أكن أهلا لما قد سألته * فقد عطلوا اليمنى وقد حلوا اليسرى

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز

النذل مفروض له يسره * والحر بالاقتار مرفوض
كذلك المنقوص لم ينخفض * وأكمل الاسماء مخفوض

وقال الوراق الخطيرى

كن ناقصا تشرف ان الغنى * يحرمه الكامل فى فهمه
فالبدو يحوى من نجوم الدجى * فى النقص مايعدم فى تمه

وقال قوام الدين أبو طالب

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال
فلولا أن يكون الزيغ طبعا * لما مال الفؤاد الى الشمال

قلت ولهذا علل الطواف بالكعبة لما كان الطائف يجعل الكعبة المعظمة على يساره قالوا ليجتمع البيتان على جهة واحدة لان القلب بيت الرب والقلب فى الجانب الايسر وسألت الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى ما الحكمة فى ميل القلب الى الجانب الايسر فقال مقاومة حرارة الكبد التى فى الجانب الايمن بحرارة القلب التى فى الجانب الايسر ولو اجتمعا فى جانب واحد لافرطت الحرارة هنالك واستولى البرد على الجانب الذى يقابله فكان البدن مفلوجا بالطبع والحكمة تأبى ذلك قلت فهلا كان الامر بالعكس فيكون الكبد فى الجانب الايسر ويكون القلب فى الجانب الايمن فقال لو كان كذلك لاعتدل البدن فى حالة بالنسبة الى شقيه كما قلت ولكن الحركات تبتدى من جهة اليسار لان الكبد مبدأ توليد الدم الغاذى والارواح الحاملة للقوى فكنا نسميه يمينا لان اليمين جهة مبدأ الحركة ولذلك سمت الحكما جهة المشرق يمين الفلك لابتداء الحركة العظمى فيها قلت فلعل الاعسر انما كان كذلك لان كبده فى الجانب الايسر فقال لا يبعد ذلك فى القياس وقال أحمد بن الخازن

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الالف استقام ففاته * نقط وفاز به اعوجاج النون

وعكس المعنى أبو طالب يحيى بن زيادة فقال

ان كنت تسعى للزيادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

ترى جارنا فينا بخير وان جنا
فلا هو مما ينطف الجار ينطف
وكنا اذا نامت كلاب عن القرى
الى الضيف نمشى بالغبيط ونلحق

ومنها أيضا وهو أحسن ماقيل فى الفخر ويقال انه غصبه من جميل

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وانك اذ تسعى لتدرك شأونا
لانت المعنى ياجرير المكلف

(وقوله)

لاخير فى الحب لاترجى نوافله
فاستمطروا من قريش كل منخدع
تخال فيه اذا خادعته بلها
عن ماله وهو وافى العقل والورع

وقوله يرثى جارية له حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة
لو ان المنايا أنسأته لياليا

أرباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح للكناية عن الولد ويقولون انها كانت سوداء فانه أبدع فى التشبيه قوله

وتقول كيف تميل ميلك فى الصبا
وعليك من سمة الحليم وقار

كما عكس المعنى على الشعراء ابن قزل المشد فقال

ان ترقى الى المعالى أولوا الفضـ * ـل وساخت تحت الثرى السفهاء
فحباب المدام يعلو على الكا * س محلا وترسب الاقذاء

وقال آخر فى المعانى المتقدمة

لقد قعد الزمان بكل حر * وخص أخا الحماقة باليسار
كأن حاد الحساب على يمين * وآلاف الحساب على اليسار

وأخذه الشيخ صدر الدين محمد بن عثمان الوكيل فقال

عقود الحساب كيوم الحساب * فمن قل وقرا سما فى المعالى
كذاك اليمين لها ما يقل * وعقد الكثير نصيب الشمال

وقال ابن الخياط

فذا الدهر مطوى على البخل بذله * يعود عن المذق حين يصرح
يساوى لديه الفضل بالنقص جهله * وسيان للمكفوف ممسى ومصبح

وقال مجير الدين محمد بن تميم

الدهر عندى لا محالة أحول * واسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو اللحظ فاضلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وما أحلى قول ابن قلاقس

ان تأخرت فالمحرم عطل * من حلى العيد وهو فى شوال

وقال ابن اللبانة

لما تناهيت علما ظل ينقصنى * عند الكمال يصيب النير القمر
وفى الغراب اذا فكرت مغربة * من فرط ابصاره يعزى له العور

قلت هذا من عادة العرب فى التفاؤل يقولون الغراب أعور لانه الذى ينعق للفراق يريدون بذلك ضعف بصره لئلا يهتدى الى تفرق شملهم المنتظم كما عكسوا المعنى فى المهلكة فقالوا مفازة وفى اللديغ فقالوا سليما طلبا للتفاؤل وفى لغتهم أشياء المراد منها باطنا خلاف الظاهر من ذلك قولهم للشاعر المفلق قاتله الله وللرجل الفارس المجرب لا أب له قال الحريرى فى درة الغواص وعلى هذا فسر بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره فى النكاح عليك بذات الدين تربت يداك والى هذا المعنى أشار الشاعر فى قوله

أسب اذا أجدت القول ظلما * كذاك يقال للرجل المجيد

قلت وفسر بعضهم قوله تربت يداك أى صار مالها مثل التراب وقال آخرون بل المراد لحقت يداك بالتراب من الفقر ومنه أمثال العوام ضرب الارض طلع لوجهه الغبار وقد ضمنت عجز بيت الطغرائى فقلت

أفدى حبيبا له فى كل جارحة * منى جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وكافت تضمينه أيضا فيمن يعلوه عبد فقلت مرتجلا

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
صبح يصيح بجانبيه نهار

قوله يصيح يعنى يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كأنه ينادى على نفسه بالظهور

(وهلا عشيت ولم تغتر * وما أشك انك تكون وافد البراجم)

فى النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ ولا يصح به المعنى يقال عسيت أن أفعل فلا يصح أن يقول فاربت ان تغتر والكلام يقتضى انه قد اغتر وانما هى عشيت أى رفقت وعشيت الابل وعشيتها اذا أطعمتها عشيا وفى المثل عش ولا تغتر * وأما وافد البراجم فهو رجل من تميم والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم وذلك ان الملك عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بنى تميم لثار له عندهم وقد كان آلى ان يحرق منهم مائة فبينما هو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك اتخذ طعاما فعدل اليه فقيل له من أنت قال من البراجم فالقى فى النار وقيل ان الشقى وافد البراجم ومن هنالك عيرت بنو تميم بحب الطعام

وكيف يملوك عبد السوء قال نعم * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل)

(اللغة) محتال اسم فاعل من الحيلة اذا احتال وتعمد التحيل وضجر اسم فاعل من الضجر وهو القلق من الغم وقد ضجر فهو ضجر وضجرور رجل ضجور وأضجرنى فلان فهو مضجر وقوم مضاجر ومضاجير قال اوس

تناهقون اذا اخضرت نعالكم * وفى الحفيظة أبرام مضاجير

وضجر البعير كثر رغاؤه قال الشاعر

فان أهده يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

خفف ضجر ودبرت فى الافعال كما يخفف فخذ فى الاسماء والحادث والحدث والحدثى والحادثة والحدثان كل ذلك بمعنى ما يحدثه الدهر من الامور ويختص ذلك بالشر وذكرت هنا بيتين لى وهما

صبرى الذى اقتسمته غربة ونوى * كأنما لهما فى ذاك ميراث

وكل يوم على ما فيه من هرم * يأتى صروف الليالى وهى أحداث

احداث جمع حدث وهو الشاب ووريت بذلك عن الحوادث (ويغنى) الدهر تقدم الكلام عليه يغنى من الغنى والحيل جمع حيلة وهى الفكرة فى بلوغ القصد بطريق خفى على غيرك كأن الذى يفعل ذلك أفرغ حيلته وقوته فى اعتماده (الاعراب فاصبر) اصبر فعل أمر وقد تقدم الكلام على فعل الامر فى قوله فسر بنا فى ذمام الليل (لها) اللام هنا للتعدية وهى حرف جر والضمير يرجع الى معهود فى النفس لم يذكر وهى المقادير أو الايام أو الحوادث وثم أشياء تذكر مضمرة غير مظهرة كقوله تعالى كل من عليها فان يعنى الارض ولم يجر لها فى الالفاظ ذكر وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى أى الروح وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى على ظهر الارض وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر أى القرآن وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب أى الشمس وقوله تعالى فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا أى الوادى أو الموضع أو المكان وكذا قولهم ما عليها أكرم منى أى ما على الارض وقول أبى الطيب

وانك رمت الدهر فيها ورثيه * فان شك فليحدث بساحتها خطبا

يعنى بالارض (غير محتال) غير منصوب على الحال أى مسلما أمورك الى الله ومحتال مجرور بالاضافة وهى لفظية ما أفادت تعريفا وتقدم الكلام على غير فى قوله غير هياب ولا وكل (ولا ضجر) الواو عاطفة عطفت المنفى على المنفى ولا حرف نفى وضجر اسم فاعل من ضجر يضجر ضجرا فهو ضجر مثل فرح فهو فرح وحزن فهو حزن (فى حادث الدهر) فى هنا ظرفية وحادث مجرور بها والدهر مجرور بالاضافة وهى معنوية بمعنى اللام والجار والمجرور فى موضع رفع لانه خبر تقدم على المبتدا الذى يأتى فيما بعد وجواب الامر محذوف وهو الفاء كأنه قال اصبر ففى حادث الدهر ما يغنى وقد تحذف قال الشاعر

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

تقديره فالله يشكرها (ما يغنى) ما هذه نكرة موصوفة بما بعدها وقد تقدم الكلام على ما وتقسيمها كأنه قال شئ مغن ويغنى فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة

وستأتى قصة عمرو ابن هند فى أصل تسميته محرقا وما السبب فى ذلك

(أو ترجع بصحيفة المتلمس)

(صحيفة المتلمس) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع * والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بنى صعصعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة فنزلا منه فى خاصته حتى نادماه فبينما طرفة يوما يشرب معه وفى يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو فرآها طرفة وقيل انما رآها فى الاناء فقال الا بأبى الظبى الذى تبرق شفاه ولولا الملك القاعد الثمنى فاه فسمعها عمرو فاضغنها عليه وامسكها فى نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجاه فرمى عمرو حمارا وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل اليه فعالجه فاعياه فقال عمرو قد عرفك طرفة حيث يقول فيك

ولا خير فيه غير ان له غنى
وان له كشحا اذا قام اهضما

فقال له عبد عمرو وما هجاك به أشد قال وما هو قال قوله

فليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تخور

فهم بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وان يجتمع

رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف بالياء وهو فى موضع رفع لانه صفة للمبتدا الذى هو نكرة كأنه قال شئ مغن فى حادث الدهر (عن الحيل) عن للتجاوز والحيل مجرور بعن والجار والمجرور متعلق بيغنى والتقدير فاصبر للحوادث مسلما أمورك فنى حادث الدهر شئ يغنيك عن الحيل (المعنى) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان فى حادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك ولو لم يكن فى الصبر الاما جاء فى القرآن الكريم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان فى ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضى الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وافضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضى الله عنه اى شئ اقرب الى الكفر فقال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث ابن أسد المحاسبى لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم الصبر مر لا تجرعه الا حر وكان ابن المقفع يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان لك فيه حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع وما أحسن قوله تعجز وتجزع وهذا الذى يسمى قلب البعض وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس كقولك رقيب وقريب وقال بعض العارفين كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو وقال الطحاوى أخبرنا احمد بن أبى عمران أخبرنا أبو نصر احمد بن ابى حاتم حدثنا الاصمعى عن ابى عمرو بن العلاء قال استعمل الحجاج أبى على أعماله فنقم عليه فتواريت عنه فى بادية من قومه وأنا معه فبينا أنا معه فى سحر من الاسحار اذ مر راكب وهو يقول

صبر النفس عند كل ملم * ان فى الصبر حيلة المحتال

لا تضق فى الامور ذرعا فقد يكـ * ـشف عنها الردى بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

قال فقلت ماذا قال مات الحجاج قال فوالله ما أدرى بايها كنت أشد فرحا بقوله مات الحجاج أم بقوله فرجة اه وقد حكاها بعضهم بزيادة وهو أن الحجاج أنكر على من قرأ الامن اغترف غرفة فقال ان لم تأتنى على ذلك بدليل والا ضربت عنقك وأجله على ذلك أجلا فخرج يطوف فى احياء العرب حتى وقع على من أنشده الابيات (رجع) وفى كلام بعض الحكماء القواهر العلوية دائمة الفيض ممنوعة الحجب تقتص من الظالم للمظلوم وما أحسن قول ابن حجاج

دعها سماوية تجرى على قدر * لا تفسدنها برأى منك ارضى

وقال احمد بن حديس الصقلى

ما أغفل الفيلسوف عن طرق * ليست لاهل العقول مسلكه

من سلم الامر للاله نجا * ومن عدا القصد واقع الهلكه

وقال آخر

اذا دحا خطب وأيقنت من * ضعف بان الامر يانى عسير

ينعكس الامر ويأتى كما * شئت فسبحان اللطيف الخبير

عليه بكر بن وائل متى قتلهما ظاهرا فقال لهما بوما أظنكما قد اشتقتما الى الاهل فالانعم فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين وقال انى كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين فخرجا من عنده والكتابان فى أيديهما فرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفا يقضى حاجته وهو مع ذلك يأكل ويتفلى فقال أحدهما لصاحبه هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقاله فقال ما ترى من عجبى أخرج خبيثا وادخل طيبا واقتل عدوا وان أعجب منى من يحمل حتفه بيده وهو لا يدرى فاوجس المتلمس فى نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال له نعم ففض كتابه فقرأه فاذا فيه أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترى على قومى بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون أعز منه فالقى المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وقال

رميت بها لما رأيت مدادها
يجول به التيار فى كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

وقال آخر

الدهر لا ينفك عن حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
فدع الزمان فانه لم يعتمد * لجلاله أحدا ولا لهوانه
كالمزن لم يخصص بنافع صوبه * أفقا ولم يختر أذى طوفانه
لكن لباريه مواطن حكمة * فى ظاهر الاضداد من أكوانه

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

دع المنى ربما نيلت بلا طلب * وربما وقع الحرمان فى المهن

وقال التهامى

الدهر كالطيف بؤساه وأنعمه * من غير قصد فلا تمدح ولم تلم
لا تسأل الدهر فى غماء يكشفها * فلو سألت دوام البؤس لم يدم

وذكرت هنا قول أبى بكر الخوارزمى فى الصاحب بن عباد

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى أخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

وكان الصاحب قد تلقاه بالرحب والسعة وأكرم نزله فصنع هذين البيتين وتركهما فى مكان يجلس فيه الصاحب وسافر من وقته فلما وقف الصاحب عليهما قال

أقول لركب من خراسان اقبلوا * أمات خوارزميكم قيل لى نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وكان الخوارزمى مولعا بهذا المعنى يردده فى شعره فمن ذلك قوله

ما أثقل الدهر على من ركبه * حدثنى عنه لسان التجربه
لا تحمد الدهر لشئ سببه * فانه لم يتعمد بالهبه
وانما أخطأ فيك مذهبه * كالسيل اذ يسقى مكانا خربه
والسم يستشفى به من شربه

وهذا كله خلاف قول ابن المعتز

الدهر فيه مساءة ومسرة * فجزاء دهرك أن يذم ويحمدا

وقال أبو الطيب فى المعنى الاول

هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقال الغزى

لا تشكون من الخمول فربما * كان الخمول الى السلامة سلما
لولا كمون الدر فى أصدافه * ومشقة استخراجه ما فخما

وقال أيضا

لا تشك فالايام حبلى ربما * جاءتك من أعجوبة بجنين
فكذا تصاريف الزمان مشقة * فى راحة وخشونة فى لين
ما ضاع يونس بالعراء مجردا * فى ظل نابتة من اليقطين

أطريفة بن العبد انك حائن
أبساحة الملك الهمام تمرس
أاتى الصحيفة لا أبا لك انه
يخشى عليك من الحباء النقرس
ثم مضى طرفة بكتابه الى
صاحب البحرين فقتله فلما
سمع المتلمس ما جرى عليه قال
عصانى فما لاقى رشادا وانما
تبين من أمر الغوى عواقبه
فاصبح محمولا على آلة الردى
تمج نجيع الجوف منها ترائبه
فان لا تحللها يعالوك فوقها
وكيف التوقى ظهر ما أنت راكبه
ثم لحق بالشام وهجا عمرا
وبلغه أن عمرا يقول حرام
عليه حب العراق أن يطعمه
منه حبة ولان وجدته لاقتلنه
فقال
آليت حب العراق الدهر أطعمه
والحب يأكله فى القرية السوس
أغنيت شاتى فأغنوا اليوم تيسكم
واستحمقوا فى مراس الحرب أو كيسوا
قال أبو حاتم قرأت هذه
الابيات على الاصمعى فصحفت
على فقلت اغنيت شاتى
فأغنوا اليوم شاتكم فقال
الاصمعى قل فأغنوا اليوم تيسكم
ومن جيد شعر المتلمس قوله
من قصيدة

والاول مأخوذ من قول الاول

والليالى من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيب

وقال بن نباتة السعدى

تربص بيومك ما فى غد * فان العواقب قد تعقب
لعل غدا من أخيه جى * يلم لك الصدع أو يرأب

وقال الطغرائى رحمه الله

رويدك فالهموم لها رتاج * وعن كثب يكون لها انفراج
ألم تر أن طول الليل لما * تناهى حان للصبح انبلاج

وقال أبو فراس بن حمدان

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه
فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك أن تكفى الذى تخشاه

وقال آخر

أبى لى اغضاء الجفون على القذى * يقينى أن لا ضيق الا سيفرج
ألا ربما ضاق الفضاء باهله * وأمكن من بين الاسنة مخرج

والى هذا أشار بن سناء الملك فى قوله يمدح الملك العادل

يجر جيوشا يركد النقع بينها * فلم يلق من بين الاسنة مخرجا

وقال ابراهيم بن عباس الصولى

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال القاضى شمس الدين احمد بن خلكان فى وفيات الاعيان انه ما ردده ما من نزلت به نازلة الا فرج الله عنه

وقال آخر

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب امر مسخط * لك فى عواقبه الرضا

وقال المعتمد بن عباد

من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه * والشوك ينبت فيه الورد والآس
مرحينا وتحلو لى حوادثه * فقلما جرحت الا انثنت تاسو

قلت قد جرحته الليالى ولم تاسه وفقدت عند الشدة رهطه وناسه وواقعة المعتمد بن عباد صدعت الاكباد ودكت لها من القلوب اطواد فانه لم يجر على ملك ما جرى عليه ولا ذويه ولا اصيب احد بمصيبته فى ملكه وماله ونفسه وبنيه ومارعت الايام له حقوقه ولا أرت المعالى بعد غروبه شروقه ولا عدت ان عدت بنوه الاملاك فى السوقه حتى قال أبو بكر بن اللبانة وقد رأى ولده فخر الدولة بن المعتمد وهو فى دكان صائغ يعمل صناعة الصياغة

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

ألم تر أن المرء رهن منية
صريع لعافى الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتا بها حرا وجلدك املس

وقوله يصف البخل ويمدحه

لحفظ المال خير من بغاه
وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقوله)

الى كل قوم سلم يرتقى به
وليس الينا فى السلاليم مطلع
ويهرب منا كل وحش ويلتجى
الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع

وقوله وهو احسن ما ورد فى المستبحات

ومستنبح تستكشف الريح ثوبه
ليسقطعنه وهو بالثوب معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه
لينبح كلب أو ليوفظ نوم
فجاوبه مستسمع الصوت للندى
له عند اتيان المهيبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو اعجم

(أو افعل بك ما فعله عقيل ابن علفة بالجهنى اذ جاءه) (خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل)

هو عقيل بن علفة بن الحرث اليربوعى يكنى أبا العملس وأمه عمرة بنت الحرث بن عوف المرى وأمها بنت بدر ابن حصن بن حذيفة شاعر من

وعاد كونك في دكان قارعة * من بعدما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصياغ أنملة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلي منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيني اليك به * لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى
لح في العلى كوكبا ان لم تلح قمرا * أوقم بها ربوة ان لم تقم علما

وهذه جملة من القصيدة وقد تاخر منها بقية وعلى الجملة مارأى الناس ولا سمعوا اعظم منها ارزيه وقد ذكرت واقعته في كتب الادب والتاريخ وذكرها ابن خلكان وغيره وعمل أبو بكر بن اللبانة جزأ سماه نظم السلوك في وعظ الملوك قصره على واقعة المعتمد واشعاره في السجن واشعار أولاده وقال فيه ومن الغريب انه أخرج من سجن أغمات ونودي عليه الصلاة على الغريب ومن نظمه فيه قوله

لم تمت انما المكارم ماتت * لا سقى الله بعدك الارض قطرا

وله فيه قصيدة أولها

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى من منا ياهن غايات
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها العلوي قد كتمت * سريرة العالم السفلي أغمات

وله فيه قصيدة أخرى اولها

تنشق رياحين السلام فانما * أفض بها مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى فقد كنت منعما

ومنها قوله

ينجيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وله قصيدة أخرى دالية اولها

تبكي السماء بمزن رائح غادي * على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ * في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع والوادي
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص ارض بغداد

يريد بحمص هنا حمص المغرب وهي اشبيلية وله فيه من جملة امداحه قصيدة بائية اولها

بكت عند توديعي فما علم الركب * أذاك سقيط الطل ام لؤلؤ رطب
وتابعها سرب واني لمخطئ * نجوم الدياجي لا يقال لها سرب

شعراء الدولة الاموية وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف في قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى أن له كفؤا وكانت قريش ترغب في مصاهرته وتزوج اليه من حلفائها وأشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فاطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فجنبني هجناءك فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه على ضائقته وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو أمير المدينة فقال له عثمان زوجني بعض بناتك فقال أبكرة من ابلي تعني فقال له عثمان أمجنون أنت قال أي شئ قلت لي قال قلت لك زوجني ابنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلي فنعم فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

لحى الله دهرا دعدع المال كله
وسود أبناء الاماء الفوارك

وكان له جار جهني يخطب اليه ابنته فغضب عقيل وأخذ الجهني فكتفه ودهن استه بشحم أو بزيت وأدناه من قرية النمل فاكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال أيخطب الى عبد الملك بن

ومنها سألت اخاه البحر عنه فقال لي * شقيقي الا انه البارد العذب
لنا ديمتان ماء ومال فديمتي * تماسك احيانا وديمته سكب
اذا نشأت بريه فله الندى * وان نشأت بحرية فلي السحب

وكتب اليه يودعه وهو في سجن اغمات من ابيات

رويدك سوف توسعني سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلي رتب المعالي * غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وقال المعتمد وهو في سجن اغمات من ابيات

مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح عنه اليوم وهو نفور
برأي من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور

فاجابه ابن حمديس الصقلي بابيات منها

تجيء خلافا للأمور أمور * ويعدل دهر في الورى ويجور
أتيأس من يوم يناقض أمسه * وشهب الدراري في البروج تدور
وقد تنتحي الاملاك بعد نحوسها * ويخرج من بعد الخسوف بدور

وما أحسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله في أعطافها ألطاف

البيت الاول فيه اشارة الى قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الامام فخر الدين قال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وروى مقاتل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفي تقرير هذا المعنى وجهان قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك معهود سابق فيصرف الى الجنسية فيكون المراد بالعسر في اللفظين واحدا وأما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان أحدهما غير الآخر زيف الجرجاني هذا وقال اذا قال قائل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية الوجه الثاني أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما قرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكون المفرد في قولك جاءني زيد زيد والمراد يسر الدنيا وهو ما تيسر من افتتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالنزر القليل اه وبالجملة فالله تعالى قد أمر بالصبر وحث عليه ووعد بالعقبى لمن صبر والسنة ملأى من ذلك والعقلاء أجمعوا على ملازمته وهو شعار الانبياء والصديقين والشهداء ولكن فيه مشقة وألم وطول أمد قال الشاعر

مروان وارده وتجتري أنت علي أن تخطب الي * ومما حكي عنه انه خرج هو وابناه جثامة وعملس وأختهما المسماة بالحوراء حتى أتوا ابنة امرأة كانت في بني مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وطالما
على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال أجز يا جثامة فقال

وأصبحن بالموماة يحملن فتية
نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال أجز يا عملس فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة
تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال يا حوراء أجيزي فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية
تدب دبيبا في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ثم شد عليها بالسيف ليقتلها فقال أخوها ما ذنبها انما اجازت شعرا فشد عليه فخدشه أحدهم بسهم فوقع يتعلك في دمه ويقول

ان بني ضرجوني بالدم
من يلق أبطال الرجال يكلم

شنشنة أعرفها من أخزم

الشنشنة السجية وأخزم فحل منجب لرجل من العرب وقيل أخزم جد حاتم الطائي ثم توجه ولده الى الطريق

ما أحسن الصبر ولكنه * في ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضي الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة * وما ضمنوا تبليغ عاقبة الصبر
وفي الصبر ربح أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة في عمري

ونقلت من خط السراج الوراق له

وقائل قال لي لما رأى قلقي * لطول وعد وآمال تعنتنا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وقال أبو الحسين الجزار

عدم الصبر فهو يظهر ما يلقاه بعد الجحود والكتمان
وعناد الاقدار لا ينفع المر * ء ولكن ما الصبر في الامكان

وما أحسن قول ابن شرف القيرواني

وحسن صبري فلا يغررك عن ضرر * مثل الملاحة في أجفان ذي السبل

وقال أبو الوليد بن زيدون

أمقتولة الاجفان مالك والها * ألم ترك الايام نجما هوى قبلي
أقلي البكا اذ لست أول حرة * طوت بالاسى كشحا على مضض الثكل
وفي أم موسى عبرة اذ رمت به * الى اليم في التابوت فاعتبري واسلي
ولله فينا علم غيب وحسبنا * به عند جور الدهر من حكم عدل

وقال الحسين القاضي الاشرف أحمد بن القاضي الفاضل

تصبر للعواقب واحتسبها * فأنت من العواقب في اثنتين
تريحك بالمنى أو بالمنايا * فان الموت احدى الراحتين

ومن قال ابن رشيق

ما أنت يا دهر بالاهوال تفجعنا * الا كمن يقرع الجلمود بالخزف
ان كنت أنت لسيف الغدر منتضيا * فانني من جميل الصبر في زغف

وقال أبو المظفر محمد بن اسمعيل الابيوردي

تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وان الحادثات تهون
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

وقال أبو الفتح البستي

من جعل الصبر في مقاصده * وفي مراقيه سلما سلما
والصبر عون الفتى وناصره * وقل من عنده ندما ندما
كم صدمة للزمان منكرة * لما رأى الصبر صد ماصدما
فاصبر فان الزمان عن كثب * يأسو على الرغم كلما كلما

قلت وفي هذه الابيات الجناس الذي يسميه أرباب البديع جناس التحريف ونقلت من كتاب أجناس التجنيس تصنيف أبي الوفا صادق بن كامل وهو بخطه قصيدة له كانت غير منقوطة ولا مضبوطة وهي

فلما مروا ببني القين قالوا لهم هل لكم في جزور أنكسر قالوا نعم قالوا الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى عقيل فاحتملوه وعالجوه الى أن برئ ولحق بهم وقد تروى الحكاية على غير هذا الوجه وان المخدوش بعض ولده والذي عليه أكثر الرواة هذه وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عاتب رجلا من قريش أمه أخت عقيل ابن علفة فقال له قبحك الله لقد أشبهت خالك في الجفاء فبلغت عقيلا فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له أما وجدت لابن عمك شيأ تعيره به الا خؤلتي قبح الله شركما خالا فقال عمر انك لأعرابي جاف أما لو كنت تقدمت اليك لأدبتك والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيأ قال بلى اني لاقرأ ثم قرأ انا بعثنا نوحا فقال له عمر ألم أقل انك لم تقرأ فقال ألم أقرأ فقال ان الله تعالى قال انا ارسلنا نوحا فقال عقيل

خذوا بطن هرشى أو قفاها فانه
كلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون منه وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل

أدر أدر كاس السرور في الربى * حدائق للاحداق من زهر زهر
وعد وعد أيام التصابي فانها * كأضغاث أحلام ومن سفر سفر
ودر ودر كالحيا تديرها * ثغور بها يفتر عن بدر بدر
الى م الام اليوم في حبهم فقل * ودع أن ينال العقل من خمر خمر
أقل أقل ياقلب من لوعة الهوى * ففيه لقلب الصب من قر قر
وصل وصل واعتدوا عتد تسليا * فيغنيك في السلوان عن خبر خبر
ملاذ ملاذ المرء في الدهر أن يرى * له ثروة تغني ومن قدر قدر
فوات فوات القصد في العمر واقصد التقى * وقد وافاك من عمر عمر
يمين يمين الظن الا بوعدها * وخلق له ماخط من بشر بشر
وعرف وعرف في سناه وفي سنا * توالى بها منه على صدر صدر
كأن كان للدنيا وللدين سيفه * يحط به عن كل ذي وزر وزر
وعيد وعيد منه في السخط والرضى * ولامانع منه لدى حذر حذر
أكف أكف الشر في حومة الوغى * فليس لها في الحرب في ظفر ظفر
معين معين صارف متصرف * اليه بما في الدهر من فقر فقر
وقد وقد أعيى الردى الناس سيره * وجرعه منه جنى صبر صبر
أبى أبى الا الصفاح تكرما * بعلم وألهته عن السمر السمر
وجود وجود للأمانيا وللمنى * وجد ووجد فيه من ذكر ذكر

(رجع) قال الشاعر وهو أرق ما يكون

ومصبر للصب قلت له وهل * صبر لمن عنه الحبيب يغيب
والله ان الشهد بعد فراقهم * مالذ لي فالصبر كيف يطيب

وقال آخر

لاتخف للخطوب في كل وقت * لا ولاتخشها اذا هي جلت
فحقيق دوامها ليس يبقى * كثرت في الزمان أو هي قلت
وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

وقال آخر

اذا بلغ الحوادث منتهاها * فرج يقر بها الفرج المطلا
فكم خطب تولى اذا توالى * وكم كرب تجلى حين جلا

وقال آخر

اصبر اذا نائبة حلت * فهي سواء والتي ولت
واستنهض العزم فليس الظبا * تبري وتفري كالتي كلت

وقال القاضي الفاضل

لاتلن للخطوب واصاب فن لا * ن توالى عليه قرع الخطوب
ان ضرب الحديد ما كان الا * حين أبدى لينا لحر اللهيب

وقال آخر

يضرب برجليه وضحكوا منه فقال ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل عنده وكان أميرا على المدينة انهم يضحكون من خفيك وضربك برجليك وجفائك فقال لا ولكنهم يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفي وحكي أن يحيى ابن الحكم حين خطب ابنة عقيل بعث اليها جارية من عنده لتنظر اليها فغمزت الجارية عضدها فرفعت يدها فدقت أنف الجارية فرجعت الى يحيى وقالت بعثتني الى أعرابية مجنونة فصنعت بي ماترى فلما اتصلت بيحيى قال لها مالك مع الخادم فقالت أردت أن يكون نظرك الي قبل كل ناظر فان كان حسنا كنت أول من تراه وان كان قبيحا كنت أولى من واراه وبها تبين المحققين يستشهد في التجنيس لقولها أول وأولى ورآه وواراه ومن جيد شعر عقيل يرثي ولده علفة يقول لعمري لقد جاءت قوافل أخبرت

بأمر من الدنيا علي ثقيل
لتسع المنايا حيث شاءت فانها
محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة
فحل الموالي بعده بمسيل
كأن المنايا تنتقي من خيارنا
لها ترة أو تهتدي بدليل

اذا حل بك الامر * فكن بالصبر لواذا
والا فاتك الاجر * فلا هذا ولا هذا

وما أحسن قول بعضهم

كل آت آت وشيكا وذو الجهـ * ـل معنى والهم والحزن فضل

وقال مسلم بن الوليد

وقالت اتربيها سلاه أعاتب * فنعتبه أم صارم متجنب
واني لها بالوصل لاهي أيم * ولا أنا عن قصد المحجة أنكب
لعلك أن تمني بفرقة صاحب * وتستعتب الايام فيك فتعتب

وقال آخر في هذه المادة

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

وقال آخر أيضا

لي منية يا هند ارجو نيلها * في بعلك الوغد الدنيء الصاحب
اما طلاق بين او ميتة * تجتاحه فأكون أول خاطب

ويقال ان الرشيد أراد ان يبتاع عنانا جارية الناطفي من مولاها في حياته فاشتط عليه في الثمن وقال لا أبيعها الا بمائة ألف دينار فلما بيعت بعد موت الناطفي اشتراها الرشيد بخمسين ألف درهم فلما صارت اليه قال كيف رأيت ظفرنا بك وابتياعنا اياك ببعض ما قال مولاك فقالت يا أمير المؤمنين اذا كان الخليفة يتربص بشهواته المواريث بلغ ما يريد ببعض ما اشتراني فاخجلته وقال آخر

لا أقول الله يظلمني * كيف أشكو غير متهم
قنعت روحي بما رزقت * وتمطت في العلى هممي
ولبست الصبر سابغة * فهي من فرقي الى قدمي

قلت ما أحسن استعارة التمطي للهمم هنا وكذلك قول الشاعر في وصف مصلوب

كأنه عاشق قد مد ساعده * يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

وعلى ذكر المصلوبين فما أحسن قول ابن حمديس

ومرتفع في الجذع ان حط قدره * أساء اليه ظالم وهو محسن
كذي غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن
وتحسبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حور الارض اهن أعين

وقال عمر الخياط

انظر اليه كأنه متظلم * في جذعه لحظ السماء بطرفه
بسط اليدين كأنه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه

وقال بعضهم مر عمارة اليمني بمصلوب فقال يصفه

ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

وقوله أيضا يحرض قومه وذلك بسبب جار لهم

أما هلكت فلم آتكم
فابلغ أماثل سهم رسولا
أذل الحياة وذل الممات
وكلا أراه وخيما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما
فسيروا الى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة
كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز في نسبه فامتنع

لعمري لئن زوجت من أجل ماله
هجينا لقد حبت الي الدراهم
أبى لي ان أرضى الدنية انني
أمد عنانا لم تخنه الشكائم

(ومتى كثر تلاقينا واتصل ترائينا
فيدعوني اليك ما دعا ابنة الخس)
الى عبدها من طول السواد وقرب الوساد

(ابنة الخس) هذه هي هند بنت الخس والخص والخسف الايادي حكى ذلك الشريف الرضي قديمة في الجاهلية أدركت القلمس أحد حكام العرب الذي يقال انه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة وتحاكمت هي وأختها جمعة اليه في كلام لهما ومدحته بأبيات حسنة منها

قال فلم يمض ثلاثة أيام حتى رأيته مصلوبا مع جماعة بين القصرين وقال بعضهم عبرت بين القصرين وأنا عائد من دار السلطان صلاح الدين عشية النهار الذى صلب فيه عمارة فشاهدته مصلوبا فذكرت أبياتا عملها فى الصالح وهى

اذا قدرت على العلياء بالغلب * فلا تعرج على سعى ولا طلب
ولا ترق لى من كربة عظمت * فان قلبى مخلوق من الكرب
واستخبر الهول كم آنست وحشته * وكم وهبت له روحى ولم أهب

قلت هذا نجم الدين عمارة اليمنى كان فقيها أديبا شاعرا شافعى المذهب من أهل السنة المتعصبين لها فى دولة الفاطميين الى مصر وصاحبها يومئذ الفائز بن الظاهر والوزير الصالح ابن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ما بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن ثم عاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين رحمه الله ورثى أهل القصرين بقصيدته اللامية التى أولها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل * ورعته بعد حسن الحلى بالعطل

ومنها

قدمت مصر فأولتنى خلائفها * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * تمامها انها جاءت ولم أسل
يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة * لك الملامة أن قصرت فى عذلى
بالله زر ساحة القصرين وابك معى * عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * بنسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شئ غير قسمة ما * ملكتم بين حكم السبى والنفل

وهى طويلة فى غاية الحسن مثبتة فى الجزء السابع من التذكرة فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه وقيل انه استفتى عليه فى قوله فى قصيدته الميمية

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الامم

فأفتى العلماء بقتله قلت لان هذا الكلام هو رأى الفلاسفة فى النبوات وانها بالتكسب وهى احدى المسائل التى كفروا بها والصحيح ان الله يجتبى من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء صلوات الله عليهم عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبيا ولو كان كذلك ما أنكر النبى صلى الله عليه وسلم ورود الوحى عليه ولا حم وجاء الى أهله وقال زملونى زملونى وأرى أنا أن هذا مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه فى تلك القصيدة وأغروا به السلطان وقالوا هذا متعصب للقصريين ويريد اعادة الدولة لهم وضموه مع القاضى العويرس وأولئك السبعة الذين صلبوا وما يبعد أن القاضى الفاضل تمالأ عليه واختار هلاكه لانه لما استشاره صلاح الدين فى ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال الملوك اذا أرادوا شيئا فعلوه ونهض فأمر بصلبه مع الجماعة فلما أمسكوه قال مروا بى على باب القاضى الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل وأغلق الباب فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

وذكر القاضى جمال الدين بن واصل فى مفرج الكروب ان القاضى العويرس رأى فى منامه المسيح عليه السلام وهو مطل عليه من السماء فقال له الصلب حق قال نعم فقصه على العابر

اذا الله جازى محسنا بوفائه * فجازاك عنى يا قلمس بالكرم

وبعض الرواة يزعم انها أقامت فى زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق

وفيت بعهد كان منك تكرما * كما لابنة الخس الايادى وفت هند

وليس الامر كذلك وانما مراد الفرزدق أن هندا هى التى وفت لاختها جمعة ابنة الخس لانها هند ابنة النعمان وكانت ابنة الخس قد زنت بعبد لها فليمت وقيل لها ما حملك على الزنا فقالت قرب الوساد وطول السواد والسواد السرار يقال ساودته اذا ساررته وفى الحديث السواد من السحر والحق بعض الرواة فى قولها وحب السفاد لان أباها كان قد منعها من الزواج * ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل وكانت تحاجى الرجال الى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة فقال لها كاد فقالت كاد العروس يكون أميرا فقال كاد فقالت كاد المنتعل يكون راكبا فقال كاد فقالت كاد البخيل يكون كلبا وانصرف فقالت له أحاجيك فقال قولى فقالت عجبت فقال عجبت للسبخة لا يجف ثراها

فقال له أنت تصلب قال لاي معنى قال لان المسيح لم يصلب وقد قال وهو صادق انه حق فما بقى الصلب الا في حقك فصلب بعد أيام أو كما قال وأما القصيدة التي رثى بها أبو الحسن محمد بن يعقوب الانبارى الوزير ابن بقية فالاحدمثلها ولو لم يكن الا أولها لكفى به حسنا وهو

علوّ في الحياة وفي الممات * لحق انت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا * كمدهما اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة

وهي مشهورة فلا فائدة في اثباتها ويقال ان الشاعر كتب بها نسخا ورماها في شوارع بغداد الى أن تداولها الناس وبلغت عضد الدولة بن بويه فتمنى أنه المصلوب ولم يزل مصلوبا الى أن توفى عضد الدولة فانزل ودفن وقيل ان بعض المغفلين وقف على قاص وهو يذكر ضغطة القبر ويبالغ في هولها فقال يا قوم كم لنا في الصلب من الفرج العظيم ونحن لا ندري فقال مغفل آخر الى جنبه فانا اطلب الصلب منه (ذكر جماعة من أعيان المصلوبين) أول مصلوب صلب في الاسلام عقبة بن أبي معيط قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق الظبية منصرفه من بدر وأمر بصلبه ومنهم خبيب بن عدى وابن الدثنة الانصاريان أسرتهما هذيل يوم الرجيع ولهما حديث طويل فصلبوهما بالتنعيم وخبيب هذا أول من سن الركعتين قبل القتل وعقبة بن هيثم بن هلال النميرى صلبه خالد بن الوليد وهانئ بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل بن أبي طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوسا وقال لا أنزله حتى تشفع فيه أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه فلم تتكلم فيه فيقال انه بقى سنة حتى مرت به بعد ذلك فقالت أما آن لراكب هذه المطية أن ينزل فأنزل فيقال انه لما أتى اليها بأشلائه وضعتها في حجرها فحاضت وجرى اللبن في ثدييها فقالت حنت اليه مواضعه ودرت عليه مراضعه ومنهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة صلبه مسلمة ابن عبد الملك بجسر بابل وعلق معه خنزيرا وسمكة وزق خمر وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم صلبه يوسف بن عمر في خلافة هشام وبقى معلقا أربعة أعوام ثم أنزل وأحرق ولا حول ولا قوة الا بالله ويحيى بن زيد بن علي المذكور صلب في أيام الوليد بن يزيد بالجوزجان ولم يزل مصلوبا حتى جاء أبو مسلم الخراساني فأنزله وواراه وصلى عليه وأخذ كل من خرج الى قتاله بعد أن تصفح الديوان فقتل كل من كان في بعثه الا من أعجزه وسوّد أهل خراسان ثيابهم اذ ذاك فصار شعارا لبني العباس وأمر باقامة المأتم عليه ببلخ ومرو سبعة أيام وناح عليه النساء وكل من ولد في تلك السنة من أولاد الاعيان سموه يحيى وخالد بن عبد الله القسرى صلبه مروان الحمار على باب القواديس بدمشق وجعفر بن يحيى البرمكي صلبه هرون الرشيد وقطعه ثلاث قطع ثم أحرقه (رجع) الى ذكر التمطى وما ألطف ما استعمل ابن سناء الملك التمطى في قوله

يا هذه لا تستحى * مني قد انكشف المغطى
ان كان كسلك قد تثنى * عبان اري قد تمطى

ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وتركت المحاجاة * ومن أسجاعها قيل لها أي الخيل أحب اليك قالت ذو المعية الصنيع السليط التليع الاتيد الضليع الملهب السريع فقيل لها أي الغيوث أحب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الاضخم المؤتلق الصخب المندفق فقيل لها أي الانور أحب اليك فقالت الذى اذا حفز حفر واذا أخطأ قشر واذا خرج عقر وقيل لها ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن قالت قرية لا حمى لها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى من كانت له ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عارية الليل وخزى المجالس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان ترك ولى وقيل لها من أعظم الناس في عينك قالت من كانت لى اليه حاجة ومن شعرها

واستعارة التشاؤب والتمطى هنا من أحسن الاستعارات قال ابن جبارة أنشدنى ابن سناء الملك هذا وزاد فى الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزأ من البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى فوجدت فيه أن بغدادية قالت لاخرى أخرجت يوم العيد قالت لها نعم وحيانك قالت فما رأيت قالت أحراحا تتثاءب وايورا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عثرت على الكنز الذى انتهبته وحكيت له الحكاية فقال سيدنا يفتش عن أمرى ومما اتفق لى نظمه فى الصبر أن قلت

اذا أنشب الدهر ظفرا ونابا * وصال على الحر منا ونابا
صبرنا ولم نشك احداثه * لانا نعاف التشكى ونابى

وقلت أيضا

لو يعلم الدهر منى ان مصطبرى * يغتال صرف الليالى ثم يفترس
كانت جياد الرزايا كلما اطردت * تحوم حول ربوعى ثم تنعكس

وقلت أيضا

بالله لا تأس على فائت * مضى ولا تيأس من اللطف
فقد يجئ الدهر مع قسوة * فيه بوقت لين العطف

وقلت أيضا

ما أبصر الناس صبرى * على عنائى وكربى
الصمت دأب لسانى * وقد تكلم قلبى

وقلت أيضا

لزمت بيتى مثل ماقيل لى * ولم أعاند حادث الدهر
وليس لى درع يرد الردى * استغفر الله سوى صبرى
علما بأن البؤس رهن الرخا * وغاية العسر الى اليسر
فقد يسل السيف من غمده * ويخرج الدر من البحر
وتبرز الصهباء من دنها * ويرجع النور الى البدر

وقلت أيضا

قد أنزل الدهر حظى بالحضيض الى * أن اغتديت بما ألقاه منه لقا
يضوع عرف اصطبارى اذ يضيعنى * والعود يزداد طيبا كلما احترقا

(اعدى عدوك ادنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل)

(اللغة) أعدى افعل تفضيل من العداوة العدو ضد الولى وجمعه أعداء وهو عدو بين العداوة والمعاداة والانثى عدوة وفعول اذا كان فى تأويل فاعل كان مؤنثه بغير هاء نحو رجل صبور وامرأة صبور الاحرفا واحدا جاء نادرا قالوا هذه عدوة الله قال الفراء انما أدخلوا فيها الهاء تشبيها بصديقة لان الشئ قد يبنى على ضده أدنى هنا أقرب وثقت به بالكسر اذا ائتمنته والميثاق العهد صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها والموثق والميثاق والوثيق الشئ المحكم حاذر أمر من المحاذرة وهى التحرز ويقال الحذر ورجل حذر وحذرون وحذارى وأنشد سيبويه فى تعدية حذر

أثم كنصل السيف جعد مرجل
شغفت به لو كان شئ مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه
وبين أبى لاخترت أن لا أبا ليا

(وهل فقدت الاراقم فأنكح فى جنب)

(الاراقم) حى من تغلب (وجنب) حى من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر لمهلهل التغلبى وقد تقدم ذكره كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من أجل حرب البسوس فنزل فى طريقه على حى من اليمن فخطبوا اليه ابنته فابى فساقوا المهر وهو جلود من أدم وغصبوه على الزواج فقال

أعزز على تغلب بما لقيت
أخت بنى الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم من
جنب وكان الحباء من أدم
لو بابانين جاء خاطبها
رمل ما أنف خاطب بدم

(او عضلنى همام بن مرة فاقول زوج من عود خير من قعود)

(عضل) الولى المرأة اذا منعها من النكاح والعضل المنع الشديد مأخوذ من عضل اللحم (وزوج من عود خير من قعود) قول احدى بنات همام بن مرة ابن ثعلبة كان له أربع بنات وكن يخطبن اليه فيعرض ذلك عليهن

حذرا أمورا لا تخاف وآمن * ما ليس منجيه من الاقدار

وهو نادر لان النعت اذا جاء على فعل لا يتعدى واصحبهم أمر من المصاحبة وهي المعاشرة على دخل الدخل المكر والخديعة قال الله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم (الاعراب أعدى) أفعل تفضيل من العداوة وهذه الصيغة لا تبنى الا مما يجوز أن يبنى منه فعل التعجب وله شروط ذكرت هناك في شرح قوله أعالل النفس بالآمال البيت فلا يبنى أفعل تفضيل الا من ثلاثي ليس بلون ولا عاهة فلا تقل هذا أحمر من ذا ولا هذا أعور من ذا بل هذا أشد عورا وأحسن حمرة فان قلت قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وقول أبي الطيب

أبعد بعدت بياضا لا بياض له * لانت أسود في عيني من الظلم

قلت أجابوا عن الآية بأنه مأخوذ من عمى البصيرة لا عمى البصر فليس بعاهة وعن البيت بأن أسود فاعل وليس بأفعل تفضيل فهو أسود الذي مؤنثه سوداء ومن الظلم صفة له غير متصل به اتصال من في قولك زيد خير من عمرو وبقية الشروط المذكورة في أفعل التفضيل مذكورة في فعل التعجب في ذلك البيت المذكور قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأفعل التفضيل يأتي في الكلام على ثلاثة أضرب مضافا ومعرفا بالالف واللام ومجردا من الاضافة وأداة التعريف فان جرد منهما لزم اتصاله بمن جارة للمفضل عليه كقوله زيد أكرم من عمرو وقد يستغنى بتقدير من عن ذكرها ويكثر ذلك اذا كان أفعل التفضيل خبرا كقوله تعالى والآخرة خير وأبقى ويقل اذا كان صفة أو حالا كقول الراجز * تروحي أجدر ان تقيلي * أي تروحي وائتي مكانا أجدر أن تقيلي فيه من غيره وان كان أفعل مضافا فنحو زيد أفضل القوم أو معرفا فنحو زيد الافضل لم يجز اتصاله بمن فأما قوله

ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر

ففيه ثلاثة أوجه احدها ان من ليست لابتداء الغاية بل لبيان الجنس كما في قولهم أنت منهم الفارس الشجاع أي من بينهم الثاني انها متعلقة بمحذوف دل عليه المذكور الثالث ان الالف واللام زائدتان فلم يمنعا من وجود من كما لم يمنعا من الاضافة في قوله

تولي الضجيع اذا تنبه موهنا * كالاقحوان من الرشاش المستقى

قال أبو علي أراد رشاش المستقى اه قلت اذا تقرر هذا في أفعل التفضيل فقوله أعدى عدوك ليس مبنيا من ثلاثي اذ الفعل منه عاداه فهو رباعي لا يبنى منه أفعل التفضيل فلا يقال هو أعدى عدو ولا أصدق صديق من المصادقة أما من الصدق فنعم ولهذا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وما بقي فيه الا أن يقال هو على لغة من قال هو أعطاهم للدرهم وأولاهم للمعروف (رجع) اعدى مرفوع بالابتداء ولم يظهر الرفع لانه مقصور (عدوك) مجرور بالاضافة الى ما قبله والكاف ضمير المخاطب فهي في موضع جر بالاضافة أيضا الى عدو (أدنى) أفعل تفضيل آخر من الدنو وهو القرب من دنا يدنو فأصله ثلاثي بخلاف الاول وهو مرفوع لانه خبر المبتدا المتقدم ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور فالضمة مقدرة (من) هذه في موضع جر لانها مضافة الى أدنى وهي نكرة موصوفة والتقدير أدنى رجل أو أدنى صاحب موثوق به (وثقت) فعل ماض والتاء ضمير المخاطب فهي فاعلة الفعل وموضعها الرفع (به) جار ومجرور والباء للتعدية وهذه الجملة في موضع جر صفة لمن (تحاذر)

فيستحيين فلا يزوجهن وكانت أمهن تقول له زوجهن فلا يفعل فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى
حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كأنه
خليفة جان لا يبيت على وتر

فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك ثم قالت الثانية وهي الوسطى * ألا هل أراها مرة وضجيعها

أشم كنصل السيف غير مهند
لصوق بأكباد النساء ورهطه
اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقالت الثالثة

ألا ليته يملى الجفان بديهة
له جفنة يسقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة
تشين فلا الفاني ولا الضرع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا فقال وقال للرابعة وهي الصغرى تمني فقالت زوج من عود خير من قعود فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم اجتمعن عنده فقالت الكبرى يا أبت سل

الفاء للتعقيب وحاذر فعل أمر وهو للفاعلة من الحذر والامر مبني على السكون وانما تحركت هنا لالتقاء الساكنين وهما الراء واللام و(الناس) مفعول به والفاعل ضمير استتر في فعل الامر والتقدير فحاذر أنت الناس (واصحبهم) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر والهاء والميم ضمير يرجع الى الناس وهو في موضع نصب لانه مفعول به لاصحب (على دخل) جار ومجرور وعلى للاستعلاء والجار والمجرور في موضع نصب على الحال أي واصحبهم مخادعا (المعنى) اشد الناس عداوة لك أقرب رجل وثقت به فخذ حذرك من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه أشدك عداوة من كل عدو وقرأت على الشيخ الامام العلامة الحجة الحافظ القدوة جمال الدين ابى الحجاج يوسف المزنى بدمشق اخبرنا المشايخ الثلاثة فخر الدين ابو الحسن على بن البخارى وكمال الدين ابو محمد عبد الرحيم ابن عبد الملك المقدسيان بدمشق وكمال الدين أبو العباس احمد بن محمد بن عبد القاهر النصيبى بحلب قال المقدسيان اخبرنا ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندى وقال ابن النصيبى اخبرنا افتخار الدين الهاشمى بحلب سنة اثنتى عشرة وستمائة اخبرنا ابو شجاع عمر ابن محمد البسطامى وابو الفتح عبد الرشيد بن النعمان الولوالجى وابو حفص عمر بن على الكرابيسى وابو على الحسين بن بشير النقاش قالوا اخبرنا ابو القاسم احمد بن ابى منصور محمد ابن عبد الله الزيادى الخليلى قال حدثنا أبو القاسم على بن احمد بن محمد بن عبد الله الخزاعى البخارى المعروف بابن المراغى سنة ثمان واربعمائة قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى الاديب ببخارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الحافظ الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جميع بن عمرو بن عبد الرحمن العجلى قال اخبرنا رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة يكنى اباعبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال سألت خالى هند بن ابى هالة وكان وصافا عن حلية النبى صلى الله عليه وسلم وانا اشتهى ان يصف لى شيأ منها فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث بطوله قال الحسن فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه وفى الحديث طول اه وعن ربيعة بن ماجد قيل لمعاوية بن ابى سفيان ما بلغ من عقلك قال ما وثقت باحد قط قلت نعم الحزم سوء الظن بالناس وقيل

من احسن الظن باعدائه * تجرع الهم بلا كاس

ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت من احسن الظن باحبابه ولا اقول باعدائه ولله در القائل

جزى الله خيرا كل من ليس بيننا * ولا بينـــــه ودولا متعرف
فانانى ضيم ولامسنى اذى * من الناس الا من فتى كنت اعرف

ويقال ان رجلا كان على عهد كسرى يقول من يشترى ثلاث كلمات بالف دينار فطرنمنه الى أن اتصل بكسرى فاحضره وساله عنها فقال ليس فى الناس كلهم خير فقال صدقت ثم ماذا قال ولا بد منهم فقال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت

عنا قال يا بنية ما مالكم قالت الابل قال كيف تجدونها قالت خير مال نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضيفنا معا قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم خليله ويعطى الوسيله قال مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية ما مالكم قالت البقر قال كيف تجدونها قالت خير مال تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال حظيت ورضيت ثم قال للثالثة ما مالكم قالت المعز قال فكيف تجدونها قالت لا بأس بها نولدها فطما وتسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال جدوى مغنية قال فكيف تجدين زوجك قالت لاسمح بذورلا بخيل حكر ثم قال للرابعة يا بنية ما مالكم قالت الضأن قال فكيف تجدونها قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن قال فكيف تجدين زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرؤ بعض بزه وبعض الرواة يعزى هذه الحكاية الى ذى الاصبع العدوانى وبناته (ولعمرى لو بلغت هذا المبلغ

المال نخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت ان أرى من يشترى الحكمة بالمال وقال أبو الطيب

وصرت أشك فيمن اصطفيه * لعلمى انه بعض الانام
وآنف من أخى لأبى وامى * اذا لم أجده فى الكرام
أرى الاجداد يغلبها كثيرا * على الاخلاق أولاد اللئام

وقال ابن سناء الملك

أبى الدهر الا ضد ما انا طالب * فياليت منى مكن الله ضده
يعد التى اخوانه لزمانه * واعدى له من صرفه من أعده

وقال أبو العلاء المعرى

جربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

وقال أيضا

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى * لما طلعت مخافة ان تكادا
فأى الناس أجعله صديقا * وأى الارض أسلكه ارتيادا

وقال ابن نباتة السعدى

وخلى وبنى الدنيا فان لهم * يوما أصوغ له ليلا من المدر
لم يبق فيهم خفى لست أعرفه * وكيف لا أعرف الصافى من الكدر

وقال ابن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال الغزى

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم * بعدى عن الناس فى هذا الزمان حجا
لولا التباعد بين الحاجبين به * بان افتراقهما لم نعرف البلجا

وقال الارجانى

جربت دهرى وأهليه يبادرنى * من قبل أن تجرتنى فيهم الحنك
فلا حسائك فى صدرى على أحد * منهم ولا لهم فى مضجعى حسك
ولا أغر ببشر فى وجوههم * ورب غر بحر تحته شبك

وقال ابن قلاقس

اعلق بأطراف الوداد فانه * من دافع الامواج مات غريقا
واذا انتهى الاخلاص أوجب ضده * ان التجمع يورث التفريقا

وقال الارجانى

أسفت على عمر تصرم ضائعا * وجدت بدمع يستهل هتون
وآنسنى بعدى عن الناس جانبا * وانهم على أحداقهم حملونى
ولما غدا عبأ على جفن ناظرى * لقاء الورى من صاحب وخدين
ألفت القلى مستوطنا ظهر ناقتى * تلف سهولا دائما بحزون

لا ارتفعت عن هذه الحطة) ولا رضيت بهذه الخطة الحط انزال الشئ من العلو (والحطة) الحدرة من الارض وهو المكان المنخفض (والخطة) الامر والمقصد قال تأبط شرا

هما خطتا اما أسار ومنة * واما دم والقتل بالحر أجدر

أراد خطتان فحذف النون استخفافا والمعنى انه لو عضانى همام وفقدت الاراقم وكنت كابنة الخس لما رضيت لنفسى بك ولرفعت قدرى عنك ولست أعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك (فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها) هذه أمثال تضرب لمن يختار التلف على قبح الاحدوثة وجاء قولهم النار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب أى أختار النار والمنية وبالرفع أى النار والمنية أحب الى" وقال العسكرى فى قولهم الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها يعنون لا تكون الحرة ظئرا لقوم على جعل تأخذه منهم ويلحقها عيب وكان أهل بيت زرارة حضان الملوك وفى ذلك يقول حاجب *حضنا ابن ماء المزن وابنى محرق* فعابه الناس بذلك

وماسرت الا في الهواجر وحدها * كراهة ظلي ان يكون قريني

وقال عبيد بن أيوب العنبري أحد اللصوص

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليعة معشر

وخفت خليلي ذا الصفاء ورابني * وقيل فلان أو فلانة فاحذر

اذا قيل خير قلت هذي خديعة * وان قيل شر قلت حق فشمر

وقد بالغ بشار في الحذر حيث قال

يروعه السرار بكل شئ * مخافة ان يكون به السرار

وقيل له من أين أخذت هذا قال من أشعب الطماع وقد قيل له ما بلغ من طمعك قال ما كنت في جنازة فرأيت اثنين يتساران الا قلت هما يتحدثان في شئ أوصى لي به الميت وأخذه أبو نواس أيضا فقال

تركتني الوشاة نصب المشيرين وأحدوثة بكل مكان

ما أرى خاليين في الناس الا * قلت ما يخلوان الا لشاني

وأخذه بعده أبو الطيب فقال

لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لأغرته بفدائه

وأخذه منه ابن الخياط الدمشقي فقال

أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقد تقدم ما وأما نوادر أشعب فكثيرة مشهورة ومن أحسنها أنه قيل له ما بلغ من طمعك قال لمن قال له ذلك ما قلت لي هذا الكلام الا وقد خبأت لي شيأ تعطيني اياه وقيل له أيضا ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا بالمدينة تزف قط الا كنست بيتي ورششته طمعا في ان تزف الى ووقف على رجل خيزراني وهو يعمل طبقا فقال وسعه قليلا قال الخيزراني وما تريد بذلك كأنك تريد أن تشتريه قال لا ولكن يشتريه بعض الاشراف فيهدي لي شيأ فيه وقيل له هل رأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لي فنزلنا بعض الاديار فتلاحينا فقلت ايرهذا الراهب في حرام الكاذب فلم نشعر بالراهب الا وقد طلع وهو منعظ ويقول أيكم الكاذب وقيل له أيضا هل رأيت أحدا أطمع منك قال نعم كلب أم حومل يتبعني فرسخين وأنا أمضغ كندرا ويقال انه مر يوما فجعل الصبيان يعبثون به فقال لهم ويلكم سالم بن عبد الله يفرق تمرا من صدقة عمر فمر الصبيان يعدون الى دار سالم وعدا أشعب معهم وقال ما يدريني لعله يكون حقا ويقال ان بعضهم اجتاز بدار فسمع صاحبها يقول لزوجته ان لم احمل عليك ألف رجل فأنا برجل فجلس على الباب الى أن أعياه ثم قام وضرب الباب وقال تحمل على هذه القحبة أحدا والا فعض ومن الحكايات الموضوعة على ألسنة البهائم قالوا رأت الضبع ظبية على حمار فقالت أردفيني على حمارك فأردفتها فقالت لها ما أفره حمارك ثم سارت يسيرا فقالت ما أفره حمارنا فقالت لها الظبية انزلي قبل أن تقولي ما أفره حماري فما رأيت أطمع منك وأتى بعض الفقراء الى خياط في يوم برد ولم يكن عليه غير قميص واحد فنزعه ودفعه الى الخياط ليخيط فتقا كان فيه ووقف المسكين مقرفقا من البرد ينتظر فراغه فلما فرغ منه طواه ووجه له تحته وأطال في ذلك فقال أجير عنده أما تدفعه اليه فقال اسكت عساه ينساه ويروح وقيل ان بعضهم تمنى في

منزله ..

وقالوا ما رأينا من يفتخر بالمعاب غيره وذلك أن الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع والمثل للحرث بن سليل الازدي أتى علقمة الطائي يخطب ابنته ربا فقال لامها أبيني عمن في نفسها فقالت لها يا بنية أي الرجال احب اليك الكهل المباح أم الفتى الطماح قالت بل الفتى الوضاح قالت ان الشيخ يميرك والفتى يغيرك قالت يا أماه أخشى من الشيخ ان يبلي شبابي ويشمت اترابي فلم تزل امها بها حتى زوجتها من الحرث فرحل بها الى قومه فبينا هو جالس بفنائه وهي الى جانبه اذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون فتنفست صعداء فقال لها ما لك فقالت مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها الحقي باهلك فلا حاجة لي فيك قال العسكري وليس هذا الحديث موافقا للمثل وقال ابو عبيد أصله ولا تأكل ثدييها أي من الحسرة وليس هذا بموافق ايضا ولكنه حكى على ما قيل والله تعالى اعلم (فكيف وفي أبناء قومي منكح وفتيان هزان الطوال الغرانقة) يعني كيف أرضى بهذا وفي

منزله فقال ليت لنا لحما فنطبخ سكباجا فما لبث أن جاءه ابن جاره بجفنة وقال اغرفوا النافيها قليلا من المرق فقال الرجل جيراننا يشمون رائحة الامانى (رجع الى الحذو والبقظة) قال مسلم ابن الوليد من قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى

تراه فى الامن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وهذه القصيدة من القصائد المشهورة وفيها الابيات النادرة ويقال ان هرون الرشيد لما سمع البيت الاول فى ليلة من مغنية فى دار وسأل عنه وعمن قيل فيه فقيل له مسلم بن الوليد فى يزيد ابن مزيد الشيبانى وكان يزيد يقول والله يا أمير المؤمنين لأحرصن على أن لا أكذب شعراءى فيما يمدحوننى به فامر الرشيد باحضار يزيد على الحالة التى يصادف عليها فاحضروه وعليه ثياب خلوته ملونة ممصرة فلما نظر اليه الرشيد فى تلك الحالة قال أكذبت شاعرك يا يزيد قال فيم يا أمير المؤمنين قال فى قوله تراه فى الأمن البيت فقال يزيد لا والله يا أمير المؤمنين ما أكذبته وان الدرع على ما فارقتنى وكشف ثيابه واذا عليه درع مظاهرة فامر الرشيد بحمل خمسين ألف دينار ليزيد وخمسة آلاف دينار لمسلم وحكى الخالديان فى اختيار شعر مسلم عن مسلم من جملة خبره فى وصوله الى يزيد قال فلما صرت الى الرقة دخلت على يزيد بن مزيد وبين يديه وصيفة بيدها المرآة وهى ترية وجهه وبيده مشط يسرح به لحيته فقال ما الذى أبطأ بك عنى قلت أيها الامير ضيق اليد وقصور الحال قال انشدنى فانشدته أجررت حبل خليع فى الصبا غزل القصيدة فلما بلغت قولى لا يعبق الطيب خديه ومفرقه البيت وضع المرآة من يده ورد المشط وقال للجارية انصرفى فقد حرم مسلم علينا الطيب ويقال انه لما سمع هذا البيت قال منعتنى الطيب وأمرهتنى باقى عمرى فما رؤى بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكتحلا ويقال انه كان أعطر أهل زمانه وكان يقول الله بينى وبين مسلم حرم على أحب الاشياء الى قلت

ياليت شعرى أين كنت من الدنا * والناس ناس والزمان زمان

ففى مثل هذا الزمان كان الادب فى عنفوانه والشعر فى ابانه والمدح اذا أتى تلقاه الممدوح باحسانه لا كالزمان الذى قال فيه الآخر

وقالوا فى الهجاء عليك اثم * وليس الاثم الا فى المديح

لانى ان مدحت مدحت كذبا * وأهجو حين أهجو بالصحيح

(رجع) وقال مجير الدين محمد بن تميم

من كان يرغب فى حياة فؤاده * وصفائه فلينأ عن هذا الورى

فالماء يصفو ان نأى واذا دنا * منهم تغير لونه وتكدرا

وقال أبو العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقد أخذه من عمارة بن عقيل حيث قال

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وقال أبو الطيب

كلام أكثر من تلقى ومنظره * مما يشق على الآذان والحدق

قومى كثير من أكفائى (وهزان) اسم قبيلة (والغرانقة) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو اعشى بنى قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين وكان يقال أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء يقول الاعشى أشعر الاربعة فقيل له فاين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك انه ما من حامل لواء الا على رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى الامير وكان الاصمعى يقول ما مدح الاعشى أحدا الا رفعه ولا هجاه الا وضعه فمن ذلك انه مر بالیمامة على المحلق بن جشم الكلابى وكان خامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنده فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمرا فلما أصبح قال له الاعشى ألك حاجة قال تشيد ذكرى فلعلى أشهر فتخطب بناتى فنهض الاعشى الى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التى يمدح بها المحلق ويقول فيها

وقال أيضا

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدواً له ما من صداقته بد

وقيل ان أبا الطيب لما ادعى النبوة قيل له ما معجزتك قال قولي ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى البيت وأما أبو العلاء المعرى فقد سلى نفسه عن عماه بقوله

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدانكم يهون
والله ما في الوجود شئ * تأسى على فقده العيون

وما هذه النفس قويه وهمة عن أدناس الوجود عاليه على ان عدم رؤية الناس مما يخفف بعض الباس لان وقوع الناظر على ما يكره مما يجعل الجفن أمره

واحتمال الاذى ورؤية جانيه * غذاء تضوى به الاجسام

وعلى ذكر العمى فقد حضرني لابن قزل أبيات عملها في عمياء أشهى من الشفة اللمياء وهي

علقتها عمياء مثل المها * قد خان فيها الزمن الغادر
أذهب عينيها فانسانها * في ظلمة لا يهتدي حائر
تجرح قلبي وهي مكفوفة * وهكذا قد يفعل الباتر
ونرجس اللحظ غدا ذابلا * واحسرتا لو أنه ناضر

يكاد هذا الرابع يختم لنفسه على الحسن بطابع وما أرشق نظمه وأنفذ في القلوب سهمه ولقد أحسن من قال وان لم يكن من زنة ذلك المثقال

قالوا تعشقتها عمياء قلت لهم * ما شأنها ذاك في عيني ولا قدحا
بل زاد وجدي فيها انها أبدا * لا تعرف الشيب في فودي اذا وضحا
ان يجرح السيف مسلولا فلا عجب * وانما أعجب لسيف مغمد جرحا
كأنما هي بستان خلوت به * ونام ناطوره سكران قد طفحا
تفتح الورد فيه من كمائمه * والنرجس الغض فيه بعد ما انفتحا

ولابن سناء الملك مقاطيع في عمياء تروي غلة الكبد الظمياء منها

شمس بغير الليل لم تحتجب * وفي سوى العينين لم تكسف
مغمدة المرهف لكنها * تفتك في الغمد بلا مرهف
رأيت منها الخلد في جؤذر * وناظري يعقوب في يوسف

وهذا البيت الثالث ماله في الحسن وارث ولقد تلطف فيما تخيل واختلس رقة المعنى وتحيل وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ولكنه استعمل الخلد مورى ودخل الدار من دربه وغيره برا وان كان قد سرقه من ابن سناء الملك فقد استرقه وجعله بالزيادة حرا وهو

فديت أعمى مغمد اللحظ * لنزهتي في خده الوردي
تمكنت عيناي من وجهه * فقلت هذي جنة الخلد

وقلت أنا في ذلك

أيا حسن أعمى لم يجد حد طرفه * محب غدا سكران فيه وما صحا
اذا طار قلب بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

فما أتت على المحلق سنة حتى زوج البنات على مئين ألوف ومن ذلك أنه امتدح الاسود العنسي فأعطاه ذهبا وحللا فلما مر ببلاد عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن قال نعم قال ومن الموت قال لا فأتى عامر بن الطفيل فقال أجرني فقال أجرتك قال من الانس والجن والموت قال نعم قال كيف تجيرني من الموت قال ان مت في جواري بعثت الى اهلك بالدية قال الآن علمت انك أجرتني ثم مدح عامرا وهجا علقمة فكان علقمة يبكي اذا ذكر قوله

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ويدعو عليه ان كان كاذبا ويقول أنحن نفعل بجاراتنا هذا وما زال منكسر البال من هذا البيت وحكى ابن خلاد قال كان الاعشى كثير التطواف فاصبح ليلة بابيات علقمة بن علاثة فلما نظر قائده الى قباب الادم قال يا سوء صباحاه هذه والله أبيات علقمة فلما مثل بين

وقالت فيه أيضا

وربّ أعمى وجهه روضة * تنزهي فيها كثير الديون
في خده وردتنبسابه * من نرجس ما فتحته العيون

ولابن سناء الملك أيضا

فتنتني مكفوفة ناظراها * كتبالي من الجراح أمانا
فهي لم تسلل الجفون حساما * لاولم تحمل الفتور سنانا
وهي بكر العينين محصنة الاجـ * ـفان ما افتض ميلها الاجفانا
قصرت عشقها على فلم تعـ * ـشق فلانا اذلم تعاين فلانا
عميت من هواى وارتحل الانـ * ـسان من عينها وأخلى المكانا
علمت غيرتي عليها نخافت * ان يسمى غيرى لها انسانا

وله أيضا فيها

ان الكمال أصاب في محبوبتي * لما أصاب بعينه عينيها
زادت حلاوتها فصرت تخالها * وسنى وقد أسر الكرى جفنيها
وكما علمت وللدبيب حلاوة * فكأنني أبدا أدب عليها

وقد اختلس النور الاسعردي هذا المعنى ونقله الى غير هذا المبنى وأنزله في غير هذا المغنى فقال

ألذ نيك الملاح سرا * لاجل ذا أستعذب الدبيب
عجبت من نايك الانثى * عليها من وجهها رقيب

وعلى ذكر حلاوة الدبيب فلا بأس بايراد بعض رسالة كتبها الشريف أبو يعلى بن الهبارية الى الاستاذ الخطيري أبي منصور وهي أسعد الله سيدنا الاستاذ الخطيري الرئيس الاثير النفيس بهذا اليوم السعيد وعرفه بركات هذا الشهر الجديد نعم أسعده الله بهذا اليوم وعرفه بركات هذا الصوم وحشره في زمرة القوم وأعاذ جده السعيد وأمره الجديد من النوم فان من أصعب الامور نوم الايور لاسيما عند مغالطة الرقيب ومخالسته ومسامحة الحبيب ومساعدته في دهليز مظلم أو حمام معتم أو طريق لهو قل سائره أو مجلس أنس نام سامره أو ضرورة داعية الى الدبيب أو حاجة حاملة على خيانة الحبيب يقضى بها الوطر من غير علمه ويبلغ بها القصد منه على رغمه وقد اختلف في ذلك أئمة الظرف وحكماء اللطف فمنهم من أباحه تجوزا ومنهم من حظره تحرزا ومنهم من عده جناية وخساره ومنهم من رآه عيارة وجساره قال بعضهم

خوق سرا وبلا تهم * لا تنتظر حل التكك
وافتك بهم انى ظفر * ت من الشوارع والسكك

وقال الآخر

لا أبيح الدبيب الا اذا كا * ن حبيبي يمارو م بخيلا
فأحث الكؤس حتى اذا ما * جاء لاسكره اليه سبيلا
فاذا نام قمت بالرفق واللطـ * ـف وأدخلته قليلا قليلا

ومنهم من وصفه بالخلو عن اللذة المطلوبه والتجرد عن الشهوة المحبوبه فقال حد النيك ان

بديهة قال له أتدري لم أظفرني الله بك بغير دية ولا عقل قال لا قال لتقولك على الباطل من غير جرم قال الاعشى لا ولكن ليبلو الله قدر حلمك في فأطرق علقمة فاندفع الاعشى يقول

أعلقم قد صيرتني الامور * اليك وما كان لي منكص
فهب لي نفسي فدتك النفوس * ولا زلت تنمى ولا تنقص

فقال قد فعلت والله لو قلت في ما قلت في ابن عمي عامر لأغنيتك ولو قلت في عامر ما قلت في ما أذاقك برد الحياة (وحكى الاصمعي) قال وفد الاعشى على كسرى فأنشده من شعره فسأله عن معنى قوله أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق فقيل انه سهر وما به عشق ولا مرض فقال كسرى هذا لص فأخرجوه (ورحل) الاعشى آخر عمره الى النبي صلى الله عليه وسلم طالبا للاسلام وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها

فآليت لا أرثي لها من كلالة * ولا من رجى حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم * تراحي وتلقى من فواضله ندى
نبي يرى ما لاترون وذكره * أغار لعمري في البلاد وأنجدا

فبلغ قريشا خبره فقالوا هذا

يكون مفاعله أعني لامناغصة ولامبادله فان ذلك من شيم الوزراء وخلائق الكبراء فاما نحن معاشر الشحاذين وجيل عباس أجمعين فانما أدنى محلا من ان ندعي فيه حظا أونعد له لحظا أونختلط بأهله أوننسب الى حزبه وماكل من تعاطاه كان له أهلا ولاكل من داناه سومح بكونه له محلا وقال ابن البياضي في القاضي أبي محمد بن السماك

وقال قوم به ابنة * ومازلت أنقض ماشيدوا

ومن ذلك الكلام حتى يكو * ن له في البغا قدم أويد

والمصريون يتنافسون فيه ويتفاخرون به ويعدونه منقبة ساميه ومرتبة عاليه واذا ادعاه مدع وممن لايعتزي الى مجد شريف ولاينتمي الى منصب منيف دفعوه عنه وأنفوا له منه وقالوا بأي أبوة استحق هذه المنزلة أم بأي رياسة وصل الى هذه المرتبة واذا وصفوا انسانا برقة الحافر قالوا فلان يبوس ملتقتا فاخذه المتنبي وقال

ويغير في جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا

وانما قصدت بالمفاعلة ان تكون بين اثنين متفقي الشهوة متقاربي الرغبة متماثلي الحالة اذا ركزه هذا جزذاك واذا خضع هذا رسم راكبه وناك واختال اختيال الطرف براكبه وهملج هملجة الرهوان بجاذبه وكثير من اللاطة يعتذرون عن ميلهم الى الغلمان الصغار ورغبتهم في العلوج الكبار بانهم يعلمون مايرادمنهم وفي علمهم لذة عارضة وشهوة داخلة غير الطبيعية والشهوات تتغير بتغير الاسباب حتى ان منهم من يتمنى نيك الوزير وان كان شيخا ويعشق الامير وان كان كهلا ويتمنى امرأة الرئيس وان كانت عجوزا هرمة ويقال فلان يعشق لحشمته وفلان ينالك لنعمته وفلان يستجاد لرياسته وشرف بيته ولقد سمعت ان رجلا دب على أبي عمرو بن العلاء فلما شعر به قال ويلك ماحملك على هذا وأنا شيخ قال ولم لا أنيكك وأنا أوجع منك في شحم ولحم وعلم ضخم واست رجل ذي فهم ولقد كنا ليلة باصبهان في دار الوزارة في جماعة من الرؤساء وعصبة من الفضلاء وعد جماعة باسمائهم فلما هدأت العيون واستولى على الحركات السكون سمعنا صراخا عاليا وصوتا مرتفعا وولولة واستغاثة فقمنا واذا الشيخ الاديب أبو جعفر القصاص ينيك أبا علي الحسن بن جعفر البندنيجي الشاعر الضرير وذلك يستغيث ويقول اني شيخ أعمى فما يحملك على نيكي وذلك لايلتفت اليه الى ان أفرغ فيه وسل منه كذراع البكر وقام قائلا انني كنت أتمنى ان أنيك أبا العلاء المعري لكفره والحاده ففاتني ذلك فلما رأيتك شيخا أعمى فاضلا نكتك لاجله وقال

أنيك الشيوخ نيكة عاهر * مغيظ على أعمى المعرة أحمدا

فقال البندنيجي قصيدة يشكو ماجرى عليه فيها

وقد كنت دبابا على كل نائم * فها أنا مدبوب على أنالك

وقدمات شيطاني وايرى مقاص * ضعيف القوى لم يبق فيه حراك

وحدثني القاضي أبو الحسين الاسعاداني الحلمي قال حدثني أبو القاسم المغربي الوزير ببغداد أن غلاما نسيما استشعر به انه دب عليه في سكره فانتبه مغضبا وصدمعا تبا فقال الوزير في ذلك أبياتا يعتذر اليه فيها من جلتها

سيان عندي ميت في قبره * يجني عليه ونائم في سكره

صناجة العرب مامدح أحدا الا ارتفع فرصدوه على طريقه فقالوا له يا أبا بصير أين أردت قال صاحبكم لاسلم قالوا انه ينهى عن خلال كلها لك موافق قال وماهي قالوا الزنا قال لقد تركني الزنا وما تركته قالوا والقمار قال لعلي أصيب منه عوضا قالوا والخمر قال أوه أرجع الى صبابة لي في المهراس فأشربها ثم أرجع فعاد الى رحله فلبث أياما ثم رمى به بعيره فقتله وزعم بعض الرواة أن الذي أمره بالرجوع أبو جهل وهو غلط فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة بعد ان مضت بدر والصحيح أن القائل عامر بن الطفيل وأما قوله

أغار لعمري في البلاد وأنجدا

فقال المعري حكى الفراء وحده أغار في معنى غار اذا أتى الغور واذا صح هذا البيت عن الاعشى فلم يرد بالاغارة الاضد الانجاد وروى الاصمعي روايتين احداهما أن أغار في معنى عدا عدوا شديدا والاخرى انه كان يقدم ويؤخر فيقول لعمري أغار في البلاد وأنجد افيأتي به على زحاف القبض وكان ابن مسعدة يقول غار لعمري فيأتي به على استعمال الخرم في النصف الثاني ويروى أن الاعشى كان يؤمن

رزق الله وليه عقلا يعقله من هذه الحماقات وروعا يحجزه وهيهات فانه راد ان يعرق فأشأم وعزم أن ينحدفاتهم فافتتح كلامه بالدعاء الصالح ثم عقبه بكلام الماجن المازح لكنه رأى نوم الايور يورث فتره ويعقب حسره ويبقى خجله ويعير وجه له وحكي عن المبرد انه قال عشقت جارية من قصر المعتز بالله فلحقني بها ما اخذت عاقبته على نفسي وطال شوط مطالها وانا أقوت نفسي بترجي وصالها فلما رجحت عبدها وأنجزت وعدها وحضرتني زائرة نام ايري لشؤم طيري فاجتهدت ان يقوم فابى فتحيرت خجلا وتلذذت وجلا خوفا ان تظن تلك السيره ولا تعرف السريره فاخذت سكين الدواة فقالت ما تصنع فقلت أقطعه فقالت دعه تبول منه فكان ذلك أشد على من صفع اخدعي فانصرفت وأنا أقول

الشان في ايرٍ يقوم * فالتفتت الي وقالت مجيزة * وهوى بلا نيك يدوم

وقالت ايرى على مع الزما * ن فمن أذم ومن ألوم

وأنشدني الرئيس أبو الفضل محمد بن محمد بن عيسون المنجم الموصلي لبعضهم في مثل هذا الحال

لو نصر الله على ايرى * شددته الجنون في الدبر
ان قلت نم قام وان قلت قم * نام على فخذي كالسير
يبغي خلافي أبدا جاهدا * كأنما صاحبه غيري

اه ما اخترته من كلام ابن الهبارية وأما أبيات أبي العز الضرير فان الفرزدق يعدو في اثرها وهو جرير لانه اعتذر لعشقه وهو أعمى وأوضح دليله الذي صدق حسا ووهما وهي

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها * وتقول قد شغلتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما
فاجبت اني موسوى * العشق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

والذي سبق الى هذا سبق المطهمة الجرد الغاية وبشار بن برد حيث يقول

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وحيث يقول أيضا

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبي فاضحى به من حبها اثر
انى ولم ترها تهوى فقلت لهم * ان الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

وحيث يقول أيضا

يزهدني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

ان كنت لست معي فالذكر منك معي * يراك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتفقده * وناظر القلب لا يخلو من النظر

بالبعث والحساب ولذلك كان يقول

فما مثل بني على هيكل
بناه وصلب فيه وخارا
بأعظم منك يقى في الحساب
اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدليا وأنشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء أضل

وأنشد للاعشى

استأثر الله بالوفا وبالـ
ـعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
فترصد للامر الذي كان أرصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولو ان عز الناس في رأس صخرة
ململمة تعيي الأرح المخدما
لاعطاه رب الناس مفتاح بابها
ولو لم يكن باب لأعطاه سلما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

رب خرق من دونها يخرق السفـ
ـر وميل يفضي الى أميال

وقال فى هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى

ان تغيبوا عن العيان فانتم * فى قلوب حضوركم مستمر
مثلما تثبت الحقائق فى الذهـن وفى خارج لها مستقر

وابن حزم لم يرض بهذا المعنى بل قال

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى * فقلبى عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

وذكرت بالعمى هنا قول شهاب الدين أحمد بن جلنك

معكوس نصف مفرج * تصحيفه ضد القمى
جارت على عشاقه * عيناه طول الدهر ظلما
فغدا يعاقبه الزما * ن بأعور فى وسط أعمى

ويقال ان أبا العيناء لقى جده الاكبر على بن أبى طالب رضى الله عنه فاساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب وزعم المنجمون ان المولود اذا ولد وأحد النيرين فى الخسوف أو الكسوف فانه يولد أعمى والله أعلم وأشراف العميان شعيب النبى عليه السلام ويعقوب صلوات الله عليه قبل ان يجىء اليه قيص يوسف عليه السلام وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن كعب بن عبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب والحكم بن أبى العاص وأبو سفيان بن حرب والحرث بن عباس بن عبد المطلب ومطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وعتبة بن مسعود الهذلى وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة وابو أحمد بن جحش بن مسعود الاسدى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبد الله بن أرقم والبراء بن عازب وحسان بن ثابت الانصارى وابو أسيد الساعدى وقتادة بن دعامة ودريد بن الصمة الجشمى ومخرمة بن نوفل الزهرى والفاكه بن المغيرة المخزومى وخزيمة بن حازم النهشلى وأبو العباس الشاعر وعلى ابن زيد بن جدعان والمغيرة بن مقسم الضبى والترمذى الحافظ الكبير والفقيه منصور الشاعر المصرى وابن سيده اللغوى وأبو العلاء المعرى وبشار بن برد وأبو البقاء العكبرى وأبو العيناء وهشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفى صاحب الكسائى له عدة تصانيف والسهيلى صاحب الروض الانف والشاطبى والصرصرى وأبو الحسن على بن عبد الغنى الحصرى وأبو عبد الله بن خلصة المغربى النحوى وأبو عبد الله بن الخياط وقال بعضهم لبشار بن برد ما أذهب الله كريمتى مؤمن الاعوضه خيرا منهما فيم عوضك قال بعدم رؤية الثقلاء مثلك وسمع بن مكرم رجلا يقول من كف بصره قلت حيلته فقال ما أغفلك عن أبى العيناء وخاصم أبو العيناء أو احد العميان رجلا وفخر عليه فقال ذلك الرجل ماذا أقول فيك وموضع الحياء منك خراب ونظمه ابن البناء فى أبى العباس الاندلسى فقال

كيف يرجو الحياء منك صديق * ومكان الحياء منك خراب

وما أحسن ما أنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى ظهير الدين ابراهيم البارزى الحموى لنفسه

تعجبت والدنيا كثير عجيبها * لشخص تلاقى عنده الخبث والريا

وقليب أجن كأن من الريش بارجائه سقوط نصال
لا تشكى الى وانتجى الاسود أهل الندى وأهل الفعال
أو يحيى صلت يظل له القو م ركودا قيامهم للهلال
فرع تبع يهتز فى غصن المجد غزير اللها عظيم الجمال
عندك الحزم والتقى وأسا الصدع وحمل المغرم الاثقال
وهوان النفس العزيزة للذكر اذا ما التقت صدور العوالى
فاذا من عنالك أصبح محروما وكعب الذى يطيعك عال
وقوله يمدح الحاقان
اذا حاجة ولتك لا تستطيعها فخذ طرفا من غيرها حين تسبق
فذلك أدنى أن تنال جسيمها وللقصد أبقى فى الامور وأرفق
أبا مالك سار الذى قد صنعتم وأنجد أقوام لذاك وأعرقوا
وان عتاق العيس سوف تزوركم * ثناء على اعجازهن معلق * يعنى ان لحداة تحدوا الابل بثناء الممدوحين فكأنه معلق على اعجازها ومنها أيضا

بدا سبل فى عينه وهو مخصب * ولم أرها يوما ألم بها حيا

ويقال ان جائزة الرشيد كانت تأخرت عن أبى نواس فقال

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع عقد على خالصه

فاتصل ذلك بخالصة وكانت أحظى جواريه عنده وأعزهن فاحضره وقال ما حملك يا فاسق على هذا فقال الغلط من الراوى ظن ان الهمزة عينا فاظهر الرضا مخدعاله طالبا للتكرم ويقال ان بعض الادباء ذكر البيت والواقعة بحضرة القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فقال للفور هذا بيت قلعت عيناه فابصر وهذا من محاسن ما اتفق له وقد عكس هذا الذى قال

كأن بالاناظر بصيرا * فصار بالناظر أعمى

ويقال انه كان بحرم الخليل عليه السلام شخصان أعميان أحدهما ناظر الحرم والآخر شيخه فرام الناظر عزل الخطيب فعارضه الشيخ ومنعه فقال له الناظر كأنك قد شاركتنى فى النظر فقال لا بل فى العمى فاستحى واستمر الخطيب وقال بعضهم أكثر أهل هيت عور فرأيت رجلا منهم صحيح العينين فقلت ان هذا الغريب فقال لى يا سيدى ان لى اخا أعمى قد أخذ نصيبى ونصيبه فضحكت منه ويقال ان رجلا أعمى تزوج امرأة قبيحة فقالت له زفقت أحسن الناس وأنت لا تدرى فقال يا بظراء أين كان البصراء عنك قبلى وقال بعضهم نزلت بعض القرى وخرجت فى الليل لحاجة فاذا أنا باعمى على عاتقه جرة ومعه سراج فقلت له يا هذا أنت أعمى والليل والنهار عندك واحد فما معنى السراج فقال يا فضولى حملته معى لاعمى البصيرة مثلك يستضىء به ولا يعثر بى فى الظلمة فأقع أنا وتنكسر الجرة ويقال ان المؤمل بن أميل لما قال

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

رأى فى منامه كأن رجلا أدخل أصبعيه فى عينيه وقال هذا ما تمنيت فاصبح أعمى وقال الخزيمى

فان تك عينى خبا نورها * فكم قبلها نور عين خبا

فلم يعم قلبى ولكنما * أرى نور عينى لقلبى سعى

ومثله قول بن العلاء المعرى

سوادا العين زار سواد قلبى * ليتفقا على فهم الامور

وقال بعض القدماء لوان العين كلها تكون نظر النقص ابصارها وانما أبصرت باجتماعها سوادا فى انسان الانسان

*(فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل)*

(اللغة) الرجل خلاف المرأة والجمع رجال ورجالات مثل جمل وجمال وجمالات وأراجل أيضا ويقال للمرأة رجلة قال الشاعر

مزقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا حرمة الرجله

الدنيا هى هذه الدار التى نحن فيها وسميت الدنيا لدنوها والجمع دنا مثل كبرى وكبر والنسبة اليها دنياوى ودنيوى ودنيى وواحدها الواحد أول العدد والمراد به هنا الفرد الذى لا ثانى له فى الرجال والوحدة الانفراد يقال فلان واحد دهره أى لا نظير له ولا يقال للانثى وحدى وزعم بعضهم ان أحدا لا يكون الا من يعقل يعول عوّلت عليه أدللت عليه دالة وحملت عليه ويقال

وكم دون ليلى من عدوّ وبلدة
وسهب به مستوضح الآل يبرق
وان امرأ أسرى اليك ودونه
سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبى لصوته
وان تعلمى ان المعان موفق
يعنى ان الموفق معان وهذا الغالب المستعمل فى كلام العرب مثل قول الآخر
أو بلغت سوآتهم هجر وعلى ذلك قد فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل أى خلق العجل من الانسان ومنها
لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا
باسحم داج عوض لا يتفرق
يعنى ان المحلق والندى حليفان لا يتفرقان كأنهما تحالفا على ذلك عند النار وكذا كانت العرب من عادتها تحلف عند النار وفى قوله أسحم داج سبعة أقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون أيديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الثدى وقيل دماء الذبائح

عول على "بما شئت أى استعن بى كأنه يقول اجل على " ما شئت (الاعراب فانما) الفاء للاتباع وانما كلمة تقتضى الحصر وقال قوم انها وضعت كذا وقال قوم هى مركبة من ان وما فاذا قلت انما قام زيد كانك قلت ما قام الا زيد فى الكلام نفى واثبات والصحيح انها للحصر وقال بعضهم ليست له واحتج بقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالاجماع انه من لم يكن كذلك فانه مؤمن والجواب أن هذا محمول على المبالغة وقال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى فى قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اذا ثبت انها للحصر فتارة تقتضى الحصر المطلق وتارة تقتضى حصرا مخصوصا ويفهم ذلك بالقرائن والسياق كقوله تعالى انما أنت منذر وذلك ظاهر الحصر للرسول فى النذارة والرسول لا ينحصر فى ذلك بل له أوصاف جميلة كالبشارة وغيرها لكن مفهوم الكلام يقتضى حصره فى النذارة لمن لا يؤمن ونفى كونه قادرا على انزال ما يشاء على الكافر من الآيات وكذلك حديث انما أنا بشر وانكم تختصمون الى معنى حصره فى البشرية بالنسبة الى الاطلاع على بواطن الخصوم لا بالنسبة الى كل شئ فان للرسول أوصافا أخر كثيرة وكذلك قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو يقتضى والله أعلم الحصر باعتبار من آثرها وأما بالنسبة الى ما فى نفس الامر فقد تكون سببا للخيرات ويكون ذلك من باب تغليب الاكثر فى الحكم على الاقل فاذا وردت لفظة انما فاعتبرها فان ذلك السياق والمقصود من الكلام على الحصر فى شئ مخصوص فقل به وان لم يدل على الحصر فى شئ مخصوص فاحمل الحصر على الاطلاق اه قلت ومن الدليل على انها للحصر أن ان تقتضى الاثبات وما تقتضى النفى فعند تركبهما وجب أن يبقى كل واحد على الاصل لان الاصل عدم التغير فاما ان تقول كلمة ان تقتضى ثبوت غير المذكور وكلمة ما تقتضى نفى المذكور وهو باطل أو تقول كلمة ان تقتضى ثبوت المذكور وما تقتضى نفى غير المذكور وهذا هو الحصر وهى ههنا للحصر كأنه قال ما رجل الدنيا وواحدها الا الذى لا يعول على أحد وفى انما مباحث أخر أضربت عنها خوف الاطالة وحاصل الامر انك اذا أردت قصر الموصوف على الصفة قلت انما زيد كاتب لمن يعتقده كاتبا وشاعرا واذا أردت قصر الصفة على الموصوف قلت انما الكاتب زيد لمن يعتقد الكاتب زيدا وعمرا وغيرهما (رجع رجل الدنيا) مرفوع على انه مبتدا والدنيا مجرور على الاضافة ولم يظهر الجر لانه مقصور فهو بكسرة مقدرة على الالف (وواحدها) الواو عاطفة وواحد مرفوع لانه معطوف على المبتدا والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو يرجع الى الدنيا (من) اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد وموضعه الرفع لانه خبر للمبتدا الذى تقدم وان أردت فاجعله نكرة موصوفة بما بعدها تقديره رجل غير معول على أحد والمحصور هنا من (لا يعول) لا حرف نفى يعول فعل مضارع من عول يعول وهو مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والفاعل ضمير يرجع الى من والجملة فى موضع رفع صفة لمن (فى الدنيا) فى هنا للظرف والدنيا مجرور بفى ولم يظهر الجر لانه مقصور وموضع الجار والمجرور النصب لانه مفعول فيه (على رجل) على للاستعلاء ورجل مجرور به وموضعهما النصب على المفعولية به ليعول (المعنى) ما أرى رجل الدنيا وواحدها الذى تفرد فيها بالحزم ولم يكن له فيها ثان الا رجلا ساء ظنه بالناس وتجنبهم فلم يعول فى دنياه على رجل يريد أن الرجولية لا تحصر الا فيمن اتصف بهذه الصفة واضاف الرجل الى الدنيا بمعنى انه اذا كان كذلك لم يكن للدنيا رجل غيره فهو

للاصنام وقيل الرحم وقوله رضيعى لبان ثدى أم واحدة مبالغة فى الوصف بالكرم وعوض اسم صنم لبكر بن وائل وقيل من أسماء الدهر وأصله أن يكون ظرفا تقول لا أفعله عوض العائضين ودهر الداهرين ثم كبروه حتى أحلوه محل ما يقسم به ومن جعل عوض اسم صنم كانه قال عوض قسمنا الذى نقسم به ومنها

ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه
كما زان ضوء الهندوانى رونق
نفى الذم عن آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقى تدهق

يروى جابية الشيخ العراقى يعنى ان العراقى الذى يعود الحضر ويسلك البادية يكون حريصا على مائه لانه لا يعرف مواقع المياه فتكون جابيته التى هى من أوانى الماء ملآنة أبدا ويروى السيح بالسين والحاء المهملتين تعنى الماء السائح من العراق ومنها

كذلك فافعل ما حييت اذا شتوا
وأقدم اذا ما أعين الناس تفرق

واما الشعر الذى ذكر بسببه فيحكى انه تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها فطلقها وقال

أحق بالاضافة اليها من كل من عداه ومن كلام ابن سناء الملك اياك أن تغتر بخلب لسان أو تثق بقلب انسان أو تركن الى صداقة صديق أو تأمن من شقاق شقيق أو يروقك ملق ملق أو بشر بشر أو تشيم صفو سحائب الاخلاء فانها تهمى بكدر أو تخدع بنسيم انفاس الأعداء فانها ترمى بشرر وعليك بالاحتراز من أبناء جنسك والاحتراس حتى من نفسك

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدهر بالدهر الذى كنت تعرف

اه وقيل ان انسانا صدم ابا العيناء فقال ماهذا فقال ابن آدم فضمه أبو العيناء اليه وقال تعالى تعالى لا اله الا الله ماظننت أنه بقى أحد من هذا النوع وقال أبو الطيب

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودهم الا خداعا * ولم أر دينهم الا نفاقا

فعطف قوله وذاقا على قوله جربهم واعترض بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله فانى قد أكلتهم والمعنى مليح لانه يقول اذا ما جرب الناس لبيب وذاقهم فانى قد أكلتهم ومن أتى على الشئ أكلا عرفه أكثر من جربه ذواقا وقال أيضا

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس روى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

وقال السميسر الالبيرى

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا

وميز عن زمانك كل حين * ونافر اهله تسد العبادا

وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا

أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا افرادى

وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال أبو فراس بن حمدان

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على اجسادهن ثياب

وقال ابن حمديس الصقلى

من سالم الضعفاء راموا حربه * فالبس لكل الناس شوك مجرب

كل لأشراكك التحيل ناصب * فاخاب بنى دنياك ان لم تغلب

لا يكذب الانسان رائد عقله * فامرتع وكن عذوبا تشرب

*(وحسن ظنك بالأيام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل)*

(اللغة) الظن عدم الجزم بالامر هل هو كذا أو كذا وقد يأتى بمعنى العلم قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

أى استيقنوا وانما يخوف عدوه باليقين لا بالشك وما أحسن قول أبى البركات بن بنت العصار يرثى المعظم عيسى

أظن قدمات الندى بعده * والظن قد يأتى بمعنى اليقين

معجزة مثل مبخلة ومجبنة ومحمدة مصدر من العجز والعجز ضد القدرة الوجل الخوف تقول

بديهة * ياجارتى بينى فانك طالقه

كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وبينى حصان الفرج غير ذميمة

وموموقة فينا كذاك ووامقه

وبينى فان البين خير من العصى

والا ترى فوق رأسك بارقه

وذوقى فتى قوم فانى ذائق

فتاة أناس مثل ما انت ذائقه

وكيف وفى ابناء قومك منكح

وفتيان هزان الطوال الغرانقه

وبهذه الابيات استدل قوم على أن الطلاق فى الجاهلية كان ثلاثا لانه كرر قوله بينى فى ثلاثة أبيات وتمثل ابن زيدون فى هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك بجعلها قومى

(ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد

ولا امتطى الثور بعد الجواد) يعنى ما كنت لأدع الفتيان من قومى لارغب اليك وأنت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله أشار بذلك الى رسالة لابى عثمان الجاحظ فى ذكر الرماد والمسك وأما قوله أمتطى الثور بعد الجواد فهو قول المتنبى فى قصيدة من قصائده يقول فيها

وما لاقنى بلد بعد كم

وما اعتضت من رب نعماى رب

وجل يوجل وياجل وييجل بكسر الياء فمن قال ياجل جعل الواو ألفا لفتحة ما قبلها ومن قال ييجل بكسر الياء فعلى لغة بنى أسد فانهم يقولون انا ايجل ونحن نيجل وانت تيجل ومن قال ييجل بناه على هذه اللغة ولكنه فتح الياء مثل قولهم يعلم والامر منه ايجل صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها وتقول انى لاوجل ولا يقال للمؤنث وجلاء (الاعراب وحسن) مرفوع على الابتداء وهو مصدر وسيأتى الكلام على اعرابه بعد الفراغ من مفردات الكلام (ظنك) مجرور بالاضافة الى حسن وظن مصدر ظن يظن ظنا وظن واخواتها من نواسخ الابتداء تدخل على المبتدا والخبر فتنصبهما مفعولين والكاف فى موضع جر بالاضافة (بالايام) جار ومجرور متعلق بظنك والباء للتعدية أو للالصاق ٣ والايام مفعول أول الظن والمفعول الثانى محذوف دل عليه حسن كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وسيأتى الكلام على حذف أحد مفعولى ظننت فى قوله فظن شرا (معجزة) مرفوع على انه خبر المبتدا وهذه الصيغة صيغة اسم المصدر قال الشيخ بدر الدين بن مالك اعلم ان اسم المعنى الصادر عن الفاعل كالضرب او القائم بذاته كالعلم ينقسم الى مصدر والى اسم مصدر فان كان أوله ميم مزيدة لغير مفاعلة كالمضربة والمحمدة أو كان لغير ثلاثى كالغسل والوضوء فهو اسم المصدر والا فهو المصدر اه قلت فمعجزة اوله ميم مزيدة لغير المفاعلة لان أصله العجز وليس فيه ميم وهى لغير المفاعلة فتعين ان يكون اسم المصدر الذى هو العجز (فظن) الفاء للتعقيب وظن فعل أمر من الظن ولك فى مثل هذا ضم آخره وفتحه وجره فان ضممت كنت قد تبعته حركة ما قبله لان أوله مضموم وان فتحت كنت قد طلبت الاخف وان جررت كنت على قاعدة الساكن اذا احرك (شرا) هذا منصوب على انه مفعول ثان الظن والاول محذوف تقديره ظن بالايام شرا وقد منع النحاة من مثل هذا وقالوا اما أن يحذف مفعولا ظن واما أن يثبتا قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله الاصل أن لا يقتصر على أحد المفعولين فى هذا الباب لانهما مخبر عنه ومخبر به فلو حذف الاول بقى الخبر دون مخبر عنه ولو حذف الثانى بقى المخبر عنه دون خبر فان دل دليل على المحذوف منهما جاز الحذف كقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم أى لا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون هو خيرا لهم وحذف المفعولين أسهل من حذف أحدهما لكن بشرط الفائدة فلو قال القائل دون تقدم كلام ولا ما يقوم مقامه ظننت مقتصرا لم يجز لعدم الفائدة نص على ذلك سيبويه اذ لا يخلو أحد من ظن فلو قارنه سبب يقتضى تجدد مظنون جاز ذلك لحصول الفائدة كقوله تعالى ان هم الا يظنون وكقول بعض العرب من يسمع يخل اه قلت وهنا دل على المفعول الاول دليل فجاز حذفه لانه مفهوم من سياق الكلام اذ هو قد قال أولا وحسن ظنك بالايام معجزة فاذا قال فيما بعد فظن شرا علم انه أراد فظن بها شرا أى بالايام وكذا فى قوله وحسن ظنك بالايام حذف المفعول الثانى كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وقد تقدم (وكن) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر وكن فعل أمر من كان فهى ترفع الاسم وتنصب الخبر واسمها مستتر فيها تقديره أنت (منها) من هنا لبيان الجنس والضمير يرجع الى الايام وهو فى موضع جر ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والجار متعلق بوجل (على وجل) على للاستعلاء معنى ووجل مجرور به والجار والمجرور متعلق بخبر كان المقدر تقديره وكن أنت مستقرا على وجل منها واما قوله فى أول البيت وحسن ظنك بالايام معجزة فحسن مصدر

ومن ركب الثور بعد الجوا
د أنكر أظلافه والعبب
(فانما يتيمم من لم يجد ماء ويرعى الهشيم من عدم الجميم ويركب الصعب من لا ذلول له)
الهشيم من النبات اليابس المتكسر والجميم النبت المقتبل الذى طال ولم يبلغ النهاية والصعب ما لا يطيع والذلول ضده ومثلت بهذا القول عدم حاجتها اليه واستغنائها عنه بمن هو خير منه
(ولعلك اغا غرك من علمت صبوتى اليه وشهدت مساعفتى له من أقار العصر)
وريحان المصر الذين هم الكواكب علوهم والرياض طيب شيم العصر الدهر والمصر وكل بلد ممصور أى محدود والمراد بالاقمار هنا والريحان وصف قوم بحسن الوجوه والاخلاق ومرادها بهذه الصفات

٣ قوله والايام مفعول أول الخ الظاهر ان مفعولى المصدر هنا وهو قوله ظنك محذوفان وتقديرهما وفاءها حاصلا مثلا وكذلك مفعولا فعل الامر الآتى وهو ظن أيضا وتقديرهما غدرها حاصلا مثلا وأما قوله بالايام فمتعلق بظنك المذكور وقوله شرا فمفعول مطلق لفعل الامر المذكور أيضا اه

أضيف الى فاعله وهو ظنك والمفعول الاول للمصدر وهو ظن ابناه والايام والثانى ما قدرته من خبر المفهوم من سياق الكلام فهنا مصدر أول يحتاج الى فاعل وهو حسن وفاعله ظنك المضاف اليه ومصدر ثان يحتاج الى فاعل ومفعولين وهو ظن فالكاف التى أضيف اليها فاعل أضيف الى مصدره والمفعولان هما الايام وخبرا المفهوم من سياق الكلام فتدبره (المعنى) حسن ظنك أن فى الايام خيرا عجز منك لانك لم تخبر الايام ولا أهلها ولا جربتهما التعلم ماهما عليه وهذا عجز ظاهر وهو أن يحف الانسان غيره مدة العمر وهو به جاهل والحزم انك تظن الشر بالايام وتكون منها على وجل فلا تأمن اليها وكن منها خائفا ولا تركن الى مسالمتها وسكونها فى وقت ما وما أحسن قول ابن عبدون فى قصيدته المشهورة وهى التى رثى بها بنى المظفر

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالى أقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
تسر بالشئ لكن كى تغر به * كالايم ثار الى الجانى من الزهر

قيل ان الرشيد كان اذا ذكر قول جعفر بن يحيى البرمكى

فاغتبق واصطبح فقد صانى الله * اذا صنتنى من الحدثان

قال ما صانه الله بى من الحدثان ولقد كنت له كون الافعى فى أصول الريحان حتى اذا جاءه بالشم تلقاه بالسم وحديث قيصر بن الطرطيس لما خطب قيلا قطرة اليونانية ودخل اليها ووضعت الحية التى تقتل بالنظر بين الرياحين له ودخوله هو عليها وعبثه بالريحان مشهور فلا فائدة فى ذكره وقصيدة ابن عبدون هذه من أحسن القصائد لانها اشتملت على تواريخ جماعة من اعيان الاسلام وغيرهم من الطوائف ومن أحسن ما فيها قوله

وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحى من عمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بما شاءت من البشر

وقد شرح هذه القصيدة ابن بدرون وغيره من الفضلاء وقصيدة عدى بن زيد الرائية مشهورة وقد عدد فيها جماعة من الملوك الاول وندب فيها من درج من الامم وهى مليحة ووعظ فيها الزهاد والملوك واستعمل الكتاب ابياتها فى رسائلهم تضمينا وتداولها الناس واستشهدوا بابياتها كثيرا ومنها

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان ام اين قبله سابور

ومنها

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * ـروم لم يبق منهم مذكور
ثم أضحوا كأنهم ورق جـ * ـف فألوت به الصبا والدبور

ويحكى ان المامون أو الرشيد قال لو وصفت الدنيا نفسها ما زادت على ما قال أبو نواس شيأ وهو قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال أبو الطيب

فذى الدار أخدع من مومس * وأمكر من كفة الحابل

التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله ممن تعجبهم ونكاية المكتوب اليه بمدحهم ومدحه بهذه الالفاظ والتهكم عليه

*(من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى)* يعنى هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب يسمى العرندس ويقال انه أحد بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين وكان أبو عبيدة اذا أنشدوها يقول هذا والله محال كلابى يمدح غنويا يعنى عداوة الحيين وهى هذه

هينون لينون أيسارا ذوو كرم * سوّاس مكرمة أبناء ايسار
ان يسألوا الخير اعطوه وان صبروا * فى الجهد أدرك منهم طيب أخبار
وان توددتهم لانوا وان شهموا * كشفت أذمار شر أى أذمار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا * ولا يعد نثا خزى ولا عار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكبار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

تقاني الرجال على حبها * وما يحصلون على طائل

وقال أيضا

وما يسع الازمان على بأمرها * وما تحسن الايام تكتب ما أملى

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقد لمح هذا المعنى أبو العلاء المعري فقال

بنت من الدنيا ولا بنت لي * فيها ولا عرس ولا أخت

ويقال انه كتب على قبره هذا البيت

هذا جناه أبي علي * وما جنيت على احد

قال علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت زرت قبره بالمعرة رحمه الله تعالى في ربيع الاول سنة تسع وسبعين وستمائة ولم أر عليه شيئا من ذلك وقد دثر ولصق بالارض وعملت هذين البيتين

قد زرت قبر أبي العلاء المرتضى * لما أتيت معرة النعمان

وسألت من غفر الخطايا انه * يهدي اليه رسالة الغفران

وبالغ أبو العلاء المعري في ذم الاولاد فمن ذلك قوله

أرى ولد الفتى عبأ عليه * لقد سعد الذي أضحى عقيما

فاما أن يربيه عدوا * واما أن يخلفه يتيما

واما أن يصادفه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

وقال الامير أبو الفتح بن أبي حصينة

وفي الدار خلفي صبية قد تركتهم * يطلون اطلال الفراخ من الوكر

جنيت على روحي بروحي جناية * فاثقلت ظهري بالذي خف من ظهري

وقال الباخرزي

القبر أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وقال صالح بن صالح التشبريني

تحاذر احداث الليالي وقلما * خلا من توقيهن قلب لبيب

وترتاب بالايام عند سكونها * وما ارتاب بالايام غير أريب

وما الدهر في حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وعلى ذكر فساد الزمان فلله در البديع الهمداني حيث يقول في رسالة أجاب بها استاذه أبا الحسين بن فارس صاحب المجمل في اللغة عن رسالة كتبها اليه في ذم الزمان نعم أطال الله بقاء الشيخ أنه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس لآدم وان كان العهد قد تقادم فالاستاذ يقول فسد الزمان ولا يقول متى كان صالحا في الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم في الدولة المروانية وفي أخبارها لا تكسع الشول باغبارها أم في السنين الحربية والسيف يغمد في الطلا والرمح يركز في الكلا والحرتان وكربلا أم البيعة الهاشمية والعشرة براس من بني فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والبعوث على الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد الطلوع الا النزول أم في الخلافة التيمية وهو

(نحن قدح ليس منها ما أنت وهم وانى تقع منهم)

قوله نحن قدح مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال نحن قدحا على التمييز وقدح على انه الفاعل والقدح أحد قداح الميسر وهي السهام التي توضع في خريطة ويقترع بها فاذا كان أحد القداح من غير جوهر اخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر رضي الله عنه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبي عمرو بن أمية يوم بدر فقال أبو عمرو واقتل من بين قريش صبرا فقال عمر رضي الله عنه حن قدح ليس منها يعني انك لست من قريش ويروى ان أبا عمرو كان عبدا وكان أمية قد عمي وكان يقوده فتبناه قلت كذا روي (وهل أنت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة في العظم بينهم) يعني انك مستلحق بهم ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه وليست منه وأول من أفاد هذا المعنى أبو نواس في أشجع السلمي

أيها المدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليمى كواو * ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

يقول طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانه فقد ذهبت الامانه أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك واخو عاد يقول

بلاد بها كنا ونحن من أهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ما فسد الناس وانما اطرد القياس ولا أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا عن صلاح ويمسى المرء الا عن صباح انتهى قلت استدل بعضهم بهذه الآية الكريمة على انه كان قبل خلق آدم خلق آخر فى الارض وانهم أفسدوا فيها واهلكهم الله تعالى لان الملائكة قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وقال آخرون لم يسكن الارض قبل آدم خلق آخر غيره وانما الملائكة علموا ان ذرية آدم يفسدون فى الارض من قوله تعالى خليفة قالوا الخليفة الذى يحكم بين الخصوم والخصم اما ان يكون ظالما او مظلوما ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد فى الارض فلهذا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (رجع) قال أبو اسحق الغزى فى حسن الظن

دع ما تناسب فى الابصار ظاهره * ولا تقل بقياس غير مطرد

فهيئة المتنافى لا اعتداد بها * شتان ما بين مهتز ومرتعد

وقال أبو العلاء المعرى

قد يبعد الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء فى الزرق

وقال أبو الطيب وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول المعرى فيما أظن

الناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر

والايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

فاقت بسيوفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك فى نشر لها أرج

فان يشاركه فى اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومن الكلام النوابغ الناس أجناس وأكثرهم أنجاس وقال ابن اللبانة

وقد يسمى سماء كل مرتفع * وانما الفضل حيث الشمس والقمر

ونقلت من خط السراج الوراق له

قد تشبه الحالة الاخرى وبينهما * اذا تأملت فرق عن سواك خفى

فرب ما صفق المسرور من طرب * ورب ما صفق المحزون من أسف

وقال ابن سراج انما تكون أصوات الحمام على قضية ما فى نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماه غناء واذا سمعها من يحزن سماه بكاء وقال ابن قاضى ميلة

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا

ورأى انسان فى النوم كأنه يكتب على ظفره ووقص رؤياه على معبر فقال رائى هذا المنام دعى فى نسبه وأنشد هذا الشعر من قول أبى فراس وكالوشيظة وهى قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة فى قومه أى هو حشو فيهم وتمثل به الحسن بن على صلوات الله عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه أليس من وهن الدين واماتة السنة أن يكون معاوية رئيسا وهو الطليق ابن الطليق ويكون مثلك لى خصما وأنت شانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وغلت فى قريش وانما أنت منها كالوشيظة فى العظم (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت اردانك وجررت هميانك واختلت فى مشيتك وحذفت فضول لحيتك)

يعنى لازمت منزلك وأظهرت الغنى والقرى بما تستفضله من قوتك وعطرت أكمام ثيابك وجررت هميانك وأسرو الك وما أشبه ذلك قال الشاعر

يشد هميانه على عدم

وذلك من حمقة ومن تيهه والهميان غير عربى واختلت

زهاقلب الخالي فقال غني * وبرح بالشجي فقال ناحا

وقال ابن المعتز

بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعدما انتصفا

مذكرا بالصبوح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا

صفق اما ارتياحة لسنا الصبح واما على الدجى أسفا

وقال العماد الكاتب

وأترجة صفراء لم أدر لونها * أمن فرق السكين أم فرقة السكن

يحق عراها صفرة بعد خضرة * فمن شجر بانت وصارت الى شجن

وقال غيره أمسيت أرحم أترجا وأحسبه * في صفرة اللون من بعض المساكين

عجبت منه فما أدري أصفرته * من فرقة الغصن أم خوف السكاكين

وقال الغزي كالشمع يبكي ولا يدري أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

(غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت * مسافة الخلف بين القول والعمل)

(اللغة) غاض الماء يغيض غيضا أي قل ونضب وغيض الماء فعل به ذلك وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وأغاضه الله وغاض ثمن السلعة أي نقص الوفاء ضد الغدر يقال وفى بعهده وأوفى بمعنى ووفى الشيء وفيا على فعول أي تم وفاض الخبر والحديث واستفاض أي شاع وهو مستفيض ولا يقال مستفاض وفاض الماء أي كثر حتى سال على جانب الوادي الغدر ضد الوفاء انفرجت الفرجة في الحائط طاقة تفتح ويقال رجل أفرج للذي لا تلتقي اليتاه والمراد بالانفراج ههنا التباعد فيما بين الطرفين مسافة المسافة البعد وأصلها من الشم لان الدليل اذا كان في فلاة أخذ التراب فاستافه أي شمه ليعلم أين هو من بقاع الارض الخلف بالضم الاسم من الاخلاف وهو في المستقبل كالكذب في الماضي (الاعراب غاض) فعل ماض و(الوفاء) فاعله (وفاض) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وفاض فعل ماض أيضا (الغدر) فاعله (وانفرجت) الواو عاطفة انفرجت فعل ماض فهو انفعل من الفرجة وهو من افعال المطاوعة كما تقول كسرته فانكسر وفرجته فانفرج والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتي (مسافة) فاعل انفرجت (الخلف) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام (بين) منصوب على انه ظرف مكان فهو مفعول فيه فعل فيه الانفراج ولفظة بين تقتضي الاشتراك فلا تدخل الا على مثنى أو مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة قال الحريري في درة الغواص فاما قوله تعالى مذبذبين بين ذلك فان لفظة ذلك تؤدي عن شيئين ألا ترى انك تقول ظننت ذلك فتقيم ذلك مقام مفعولي ظننت وكان تقدير الكلام في الآية مذبذبين بين الفريقين وكشف هذا بقوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ونظيره لا نفرق بين أحد من رسله وذلك ان لفظة أحد في قوله تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع بعضد ذلك قوله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء وكذلك اذا قلت ما جاءني من أحد فقد شمل هذا النفي استغراق الجنس فان اعترض معترض بقول امرئ القيس بين الدخول فحومل فالجواب ان الدخول اسم واقع على عدة امكنة فلهذا جاز أن يعقب بالفاء كما تقول المال بين الاخوة فزيد ومثله قوله تعالى يزجي سحابا ثم يؤلف بينه اه ما اخترته من كلامه في هذا

أي أظهرت الخيلاء والكبر وقصصت ما استطال من لحيتك معتمدا على الوضاءة والنظافة

وأصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك واستأنفت عقد ازارك رجاء الاكتنان فيهم وطمعا في الاعتداد منهم

فظننت عجزا)

المط المد كأنه اذا تخايل مدهما والازار الطيلسان وما أشبهه والمعنى انك ان كنت تصنع هذه الاشياء لتعد من هؤلاء القوم وتكن بهم والاكتنان ستر الشيء بثوب أو غيره فقد خبت وظننت ظنا عاجزا وهذا اللفظ منظوم من قول الخنساء حيث تقول

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا

واسم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي كانت من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم حكى الاصمعي قال كان النابغة الجعدي يجلس في الموسم بعكاظ وتتحاكم اليه الشعراء فدخلت اليه الخنساء فأنشدته من قولها في أخيها

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال أنت أشعر من كل ذات ثديين فقالت ومن كل ذي

الفصل (القول) مخفوض بالاضافة الى الظرف المكانى (العمل) معطوف عليه (المعنى) ان الوفاء نقص أو غاب أو ذهب من بين الناس والغدر اشتهر وزاد وشاع واتسعت مسافة ما بين القول والعمل فى الوعود أخذ بوضح الدلالة على عدم حسن الظن بالايام وتحقيق ما ادعاه من الحزم فى ذلك وان الانسان لا يعول على أحد لان الوفاء ذهب والغدر ظهر والخلف فى الوعد زاد وهذه موجبات تقتضى التأدب بها وعظوا الاخذ بها أمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان وفى رواية يعرف به وفى رواية لكل غادر لواء عند رأسه يوم القيامة وفى رواية لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير وهذه عادة العرب كانت تنصب الالوية فى الاسواق الحفلة بغدرة الغادر لتشهيره بذلك قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى هذه الاحاديث بيان تغليظ تحريم الغدر لا سيما من صاحب الالوية العامة لان غدره يتعدى ضرره الى خلق كثير اه ويقال ان أعرق الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة غدر عبد الرحمن بالحجاج بن يوسف وغدر محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان زياد بن أبيه ولاه اياها فصالحهم وعقد لهم ثم غدر بهم وغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكرة وفضحوه وغدر الاشعث ببنى الحرث بن كعب وغزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتى قلوص أعطاهم مائة وبقى مائة فلم يؤدها حتى جاء الاسلام فهدم ما كان فى الجاهلية وغدر معدى كرب بمهرة وكان بينهم عقد فغزاهم غادرا فقتلوه وشقوا بطنه وملؤه حصى وكان بين قيس بن معدى كرب وبين مراد ولث عهد الى أجل معلوم فغزاهم فى آخر يوم من الاجل وكان ذلك يوم الجمعة فقالوا له انه بقى من الاجل يوم وكان يهوديا فقال انه لا يحل لى القتال غدا فقاتلهم وقاتلوه وهزموا جيشه وأما الوافون فكثيرون منهم أوفى بن مطر المازنى كان جاوره رجل ومعه امرأة له فأعجبت أخا أوفى وكان لا يصل اليها مع زوجها فوثب عليه فقتله فبلغ ذلك أوفى فقتل أخاه وقال

سعيت على قيس بذمة جاره * لأمنع عرضى ان عرضى ممنع

والحرث ابن عباد أسر عدى بن ربيعة وهو مهلهل وكان طلبته وهو لا يعرفه فقال له ان دللتك عليه فأنا آمن فأعطاه ذلك فقال أنا هو وعدى ابن ربيعة فخلى سبيله والسموءل بن عادياء اليهودى ذبح ابنه وهو ينظر اليه من الحصن ولم يدفع لقاتله دروع امرئ القيس التى عنده وقصته مشهورة وعوف ابن محلم الشيبانى كان من وفائه ان مروان بن زنباع العبسى قد وتر عمرو بن هند اللخمى فجعل على نفسه ان لا يؤمنه حتى يضع يده فى يده ثم ان مروان غزا بكر بن وائل فأسره رجل من بنى تيم الله ولم يكن منيعا فخاف مروان ان يبلغ عمرو بن هند مكانه فبعث اليه من يأخذه فسمع أم آسره وهى تقول لابنها انك أسرت مروان فقال مروان وما تأملين فى مروان فقالت مائة بعير قال فأنا مروان وهى لك ان أديتنى الى عوف بن محلم قالت ومن لى بالوفاء فأخذ مروان عودا من الارض وقال هذا لك بالوفاء فحمله ابنها الى قبة عوف فلم يجده فاجازته ابنته جاعة وبلغ عمرو بن هند مكانه فبعث يطلبه فأبى ان يسلمه الآن يؤمنه فقال قد آليت ان لا أومنه حتى يضع يده فى يدى فقال عوف انى أبر قسمك على ان أجعل يدى بين يديك ويده ففعل وأمن مروان ثم ان مروان وفى بوعده للعجوز مائة ناقة وتشبه هذه القصة

خصيتين وقال بشار لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وأكثر شعرها فى مراثى أخويها معاوية وصخر وأدركت الخنساء الاسلام وأسلمت حكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نظر اليها وفى وجهها ندوب فقال ماهذا يا خنساء فقالت من طول البكاء على أخوى قال لها أخواك فى النار قالت ذاك أطول لحزنى انى كنت أبكى لهما من الثار وانا اليوم أبكى لهما من النار ورأت عائشة رضى الله عنها على جسد الخنساء صدارا من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قالت لم أعلم بنهيه وله سبب فقالت وما هو قالت زوجنى ابى رجلا متلافا لماله فاسرع فيه حتى نفد فقال لى الى أين تذهبين يا خنساء فقلت الى أخى صخر فلقيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته اما كفاك ان تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا امنحها شرارها
وهى حصان قد كفتنى عارها

قصة حاجب بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم كان قد تدبر هو وأهله أرض العراق فانكر ذلك والي الحيرة وكتب الى كسرى بذلك فكتب اليه كسرى ان أرادوا ان يرعوا بأرضنا فليقدم علينا وفدهم ويعطونا رهائن منهم فقدم عليه حاجب بن زرارة فلما وافقه على ما يريده طلب منه الرهائن فقال حاجب ليس معي سوى قوسي هذه فخذها فضحك منه أصحاب كسرى فقال لهم الملك خذوها منه فانه لن يسلمها وذهب فوفى بما وعد فصار ذلك بعد ودا في مآثر بني تميم ولذلك قال أبو تمام الطائي يمدح ابا دلف من قصيدة

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

معناه ان بني عجل كانوا في ذي قار مع بني شيبان ويرون ان العرب كانت تزعم ان الفرس لا يموتون وان حنظلة العجلي حمل على رجل منهم فطعنه فقتله فقال لاصحابه ويلكم انهم يموتون فحملوا عليهم فكان سبب ظفرهم وما أحسن مانقلت من خط بعض الفضلاء في مليح قرندلي

بدا لي في حلاق الحواجب فتنة * فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب

حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي

وعدت بوصلي العاشقين تعطفا * فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبي

وامرأة هدبة بن خشرم العذري فانه لما قدم ليقاد رفع رأسه اليها وقال

لا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا

ضروبا باليديه على زور صدره * اذا القوم هشوا للفعال تقنعا

فسألت المرأة ان يمهلوه قليلا ثم أتت جزارا فاخذت مديه وجدعت أنفها ثم أتته قبل ان يقتل مجدوعة ليعلم انها لا تتزوج بعده وهذه بخلاف ما يحكى عن بعض الزوجات ان زوجها وقع في السياق وكان يحبها وأهله حوله وهو في كرب الموت فاشار اليها ان تدنو منه فلما فعلت قال لها سرا أسألك بالله لا تتزوجي بعدي أحدا فقال لها أهله ما الذي قال لك قالت انه من حلاوة الروح يخلط وحكي ان عبد الحميد الكاتب قال له مروان حين أيقن بزوال ملكهم قد احتجت ان تكون مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم بآدابك وحاجتهم الى كتابتك يحوجهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أشرت اليه أنفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله أو أقتل معك وأنشد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرا

ويقال انه كان هو وابن المقفع في بيت لما هجم عليهم العباسيون وهم وابقتل عبد الحميد قال لهم ابن المقفع أنا عبد الحميد فقالوا له أكذلك فقال اتقوا الله في دمه فليس هو بعبد الحميد وأمهلوا حتى تجدوا من يعرفنا فان كنت أنا عبد الحميد قتلتموني عن يقين ولا تقتلوه ظنا اهـ وما أمر ما وبخ به العتابي للمأمون في قوله

ماعلى ذا كنا افترقنا بيغد * ادولا هكذا عهدنا الاخاء

تطعن الناس بالمثقفة السمـ * ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

رجع الى عدم الوفاء والغدر قال أبو الطيب

ولو أموت مزقت خمارها

وجعلت من شعر صدارها

فجعلت هذا الصدار تصديقا لظنه فلا انزعه حتى اموت وحدث علقمة بن جرير قال استأذن الجماعة على معاوية وكنت فيهم فلما دخلنا عليه اجلسنا واكلنا ثم قال يا علقمة هل عندك طريفة تحدثنا بها قلت نعم اقبلت قبل مخرجي اليك أسوق شارفا لي اريد نحرها عند الحي فادركني الليل بين ابيات بني الشريد فاذا عمرة ابنة مرداس عروسا وامها الخنساء بنت عمرو فقلت لهم انحروا هذه الجزور واستعينوا بها وجلست معهم فلما هيئت اذن لنا فدخلنا فاذا هي جارية وضيئة يعني عمرة واذا امها الخنساء جالسة ملتفة بكساء احمر وقد هرمت واذا هي تلحظ الجارية لحظا شديدا فقال القوم بالله يا عمرة الا تحرشت بها فانها الآن تعرف بعض ما أنت فيه فقامت الجارية تريد شيأ فوطئت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت وهي مغيظة حسن اليك ياحمقاء والله لكأنما تطئين أمة ورهاء انا والله كنت اكرم منك عرسا واطيب ورسا وذلك زمان اذ كنت فتاة أعجب الفتيان لا أذيب الشحم ولا ارعى البهم كالمهرة

غاض الوفاء فما تلقاه من أحد * واعوز الصدق فى الاخبار والقسم

وأخذ ابن قلاقس قول الطغرائى فقال

غاض الوفاء وفاض ما * ء الغدر أنهارا وغدرا
وتطابق الاقوام فى * أقوالهم سرا وجهرا
فانظر بعينك هل ترى * عرفا وليس تراه نكرا

ومن كلام الحكماء اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقال محمد بن شرف القيروانى

ولقد يهون ان يخونك ذو هوى * كون الخيانة من أخ وخدين
لقى أخو يعقوب يعقوب الاذى * وهما جميعا فى ثياب جنين
ومضى على عن عقيل خاذلا * ورأى الامين جناية المأمون
فعلى الوفاء سلام غير معاين * شخصاله الاعيان ظنون

وقال ابن قلاقس

وبنوا الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما طووا لك باطنا ممذوقا
دوح تمرك الجنى أثماره * ولقد تمر به الرياح وريقا

وقال ابو فراس بن حمدان

مالى أعاتب دهرى أين يذهب بى * قد صرح الدهر لى بالمنع واليأس
أبغى الوفاء بدهر لا وفاء به * كأننى جاهل بالدهر والناس

قال أيضا

أين الخليل الذى يرضيك باطنه * مع الخطوب كما يرضيك ظاهره

وقال ابن الساعاتى

لا يغررنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال القاسم بن عمر بن منصور الواسطى

لا ترد من خيار دهرك خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب خباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

وقال آخر

لا تثق من آدمى * فى وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا * وهو من طين وماء

وهو كقول القائل

ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أمسيت فى كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

الصنيع لا مضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من ابنتها فضحك معاوية حتى استلقى وماتت الخنساء فى زمنه بالبادية ومن محاسن شعرها قولها فى رثاء اخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل
دراك ضيم وطلاب باوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب
مركبا فى نصاب غير خوار
فسوف ابكيك ما ناحت مطوقة
وما اضاءت نجوم الليل للسارى

شدوا المآزر حتى يستقاد لكم
وشمروا انها ايام تشمار
وابكوا فتى الحى لاقته منيته
وكل حى الى وقت ومقدار

وقولها من قصيدة

فاقسمت آسى على هالك
واسال نائحة مالها
ابعد ابن عمرو بن آل الشريد
حلت به الارض اثقالها

قولها حلت به الارض اثقالها يحتمل وجهين احدهما ان السيد الشجاع ثقيل على الارض لسودده وسطوته فاذا مات حل بموته ثقل عنها والثانى ان الارض حلت باموتاها من الحلية وسميت الموتى ثقلا للارض تشبيها للحمل والحمل يسمى ثقلا وفى قوله تعالى وأخرجت

وقلت أنا دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستغن واستغن بالله
أليس المرء من طين وماء * وأى صفا لهاتيك الجبله
وقال العباس بن الاحنف
ما أرانى الاساءهجر من ليس براني أقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن وفائى * ما أضر الوفاء بالانسان
وقال الارجانى ما يلتقى اثنان منصفان معا * اذا اختبرت الانام كلهم
تنصف ما دام يظلمونك أو تنصف ما دام يظلمون هم
وأخذه مجير الدين محمد بن تميم فقال
لك الخير كم صاحبت فى الناس صاحبا * فما نالنى منه سوى الهم والعنا
وجربت أبناء الزمان فلم أجد * فتى منهم عند المضيق ولا أنا
حكى عن بعض العارفين انه قال طفت زمانا على من ينصفنى فلما أنصفت خنت أنا وقال التهامى
ذهب التكرم والوفاء من الورى * وتصرما الامن الاشعار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ونقلت من خط السراج الوراق له
وكان الناس ان مدحوا أثابوا * وللكرماء بالمدح افتخار
وكان العذر فى وقت ووقت * فصرنا لا عطاء ولا اعتذار
ونقلت منه له رجعت عن التقاضى للتقاضى * ورب رضى بدا من غير راض
وقد غاضت بحار الجود عنا * وألجأنا الزمان الى الحياض
وخرية مادر فى كل حوض * فتظمأ كفى بالموت قاض
قلت فى المثل الائم من مادر وكان مادر هذا اذا أورد ابله وصدرت عن الحوض الذى شربت منه خرى فى الحوض وقد بقى ماء قليل ومدره به بخلا ان يشرب من فضله قال الشاعر
قد جللت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر
وقال آخر كان ميثاقهم ميثاق غانيه * يعطيك منها الرضى ما يسلب الضجر
فلا يغرك من قول طلاوته * فانما هو نوار ولا ثمر
لو ينفق الناس مما فى قلوبهم * فى سوق دعواهم للصدق ما اتجروا
وبالغ عبد المنعم بن عبد المحسن الصورى حيث قال
كيف ترجو الوفاء من نسل من لم * يقف لله فى الجنان بحبه
وعزيز فى العالمين أمين * خان عهدا أبوه فى الخلد ربه
نسال الله المغفرة لنا وله ولابى العلاء المعرى فى هذه المادة كثيرا ضربت عن اثبات شئ منه
ونقلت من خط السراج الوراق له
أما السماح فقد مضى وقد انقضى * فسل عنه ولا تسل عن خيره
واسكت اذا خاض الورق فى ذكره * حتى يخوضوا فى حديث غيره
وما أحسن قوله ومن خطه نقلت

الارض أثقالها قال بعض المفسرين أى موتاها وقال بعضهم كنوزها وقولها
لعمر أبيك انعم الفتى
تحك به الحرب أجذالها
وخيل تكدس مشى الوعو
ل نازلت بالسيف ابطالها
لدى مارق بينها ضيق
تجر المنية أذيالها
نهين النفوس وهون النفو
س يوم الكريهة أبقى لها
ومحصنة من بنات الملو
ك تعتعت بالليل خلخالها
وقافية مثل حد السنا
ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فأوضحتها
ولم تنطق الناس أمثالها
فان تك مرة أودت به
فقد كان يكثر تقيالها
وقولها أيضا
وان صخرا لمولانا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
مثل الردينى لم تدنس شبيبته
كأنه تحت طى البرد أسوار
وقولها أيضا
فما بلغت كف امرئ متناولا
من المجد الا والذى نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة
وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل

تنسيك عرقوبا مواعيده له * عن منهج القول الصحيح تنكبت
لا تبن آمالا عليها انها * واهية الاس وقد تعرقبت

وقلت أنا في مليح ساقي

كأني بساق كل وعد منه لي * مازال يخلفه على الاطلاق
حتى قطعت مطامعي من وعده * ونسيت عرقوبا بهذا الساق (ى)

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أنت حر مالم يكن منك وعد * فاذا ما وعدت صرت رقيقا
واذا شئت ان تكون عتيق الشرق من موعد فكن صديقا

وقد اشتهر قول القائل

وان حلفت لا ينقض النأي عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وأنشدت للشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله وان صح ذلك أنه له فهو روايتي عنه بالاجازة

حلفت بان لا تعلو الراح راحتي * لأعلم رشد المرء كيف يكون
وقد أيقظ الزهر الغمام وحليت * رياض بأكناف الحمى وغصون
فقلت لساقيها أدرها فقال لي * أمثلك من بعد اليمين يمين
فقلت له في فتية من شعاعها * على ان تركى لو عقلت جنون
ألست ترى منها البنان خضيبة * وليس لمخضوب البنان يمين

وكتبت أنا الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لوان قربك بالنفوس يكون * كان العزيز لمثل ذلك يهون
لكن دهري أنت تعلم انه * بنوى الحبيب موكل مقرون
هذا اذا عاهدته أن نلتقي * ينسى ولو أنصفت قلت يخون
دهر له في كل يوم حلفة * بأهيله ما عند ذلك يمين

وقيل ان بعضهم قال لآخر أشارككي على شرط أن لا تحلف قال اي والله قال قد حلفت قال لا والله قال له حلفت وحلفت انك لم تحلف وما اشتركا الى الآن وما أحلى قول ابن سناء الملك

ماذا لقيت من الصدود لانني * ألقي خشونته بقلب مترف
والقلب يحلف ان سيسلو ثم لا * لا يسلو ويحلف انه لم يحلف

وقال جمال الدين ابراهيم بن النجار

مالهذي العيون قاتلها الله تسمى لواحظا وهي نبل
ولهذا الذي يسمونه العشق مجازا وفي الحقيقة قتل
ولقلبي يقول أسلوفان قالت نعم قال لست والله أسلو

وأخبرني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان سماعا من كتابه المسمى مجاني العصر في ترجمة جمال الدين ابراهيم الوراق الكتبي عرف بالوطواط انه كان بينه وبين بعض القضاة مودة فلما تولى ذلك القاضي قضاء الديار المصرية توهم جمال الدين انه يحسن اليه ويبره فسأله فلم يجبه الى شئ من مقصوده فاستفتى عليه فضلاء الديار المصرية فكتبوا على فتياه

أخو الجود معروف له الفضل والندا
حليفان ما دامت تعار ويذبل
وقولها تمدح آخاها وأباها
جارى أباه فاقبلا وهما
يتعاوران ملاءة الحضر
حتى اذا بدت القلوب وقد
لزت هناك العذر بالعذر
برقت صحيفة وجه والده
ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى أن يساويه
لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا
صقران قد حطا الى وكر
يعني انه انما أفرج له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه وقيل لابي عبيد ان هذه الابيات ليست في مجموع شعر الخنساء فقال العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا ومن الشعر الذي ذكرت بسببه قولها هذه الابيات
تعرقني الدهر نهسا وحزا
وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا
فأصبح قلبي بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى
اذ الناس في ذاك من عزبزا
وخيل تكدس بالدارعين
وتحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح
فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصي فرسانها
وكانوا يظنون أن لا تجزا

باجوبة مختلفة وصير ذلك كتابا وسماه فتوى الفتوة ومرآة المروة وقد راحت به نسخة الى المغرب
قلت سألت أنا الشيخ أثير الدين أبا حيان عن ذلك القاضي فيما بيني وبينه فاخبرني أنه شهاب
الدين محمد الخولي وقد وقفت أنا على ذلك الكتاب ونقلته بخطي وهو في الجزء الثاني عشر
من التذكرة والفتيا نثر حسن وأجوبة الجماعة أهل عصره نثر ونظم ومعنى الفتيا أيجوز لمن
حسنت حاله وارتفعت منزلته أن لا يحسن الى صاحبه ولا يبقى له بشئ من دنياه

*(وشان صدقك عند الناس كذبهم * وهل يطابق معوج بمعتدل)*

(اللغة) شان الشين ضد الزين تقول شانه يشينه والمشاين المعايب الصدق خلاف الكذب
وهو الاخبار بما يطابق الواقع في نفس الامر وقد تقدم الكلام عليه كذبهم الكذب خلاف
الصدق وهو الاخبار بما يخالف الواقع في نفس الامر واستشكل بعضهم قوله تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
قال كيف يكونون كاذبين وقد شهدوا بالرسالة وصدقهم الله بقوله والله يعلم انك لرسوله
والجواب انه انما كذبهم في خبرهم لمخالفته اعتقادهم ولتوجيه الكذب الى ما تضمنته جملة
خبرهم من التوكيد بادخال ان على أحد جزئيها وبادخال اللام على الجزء الآخر وهما الثبوت
التوكيد وزيادته فحمل ذلك على انه ادعاء عن صميم القلب لكنه غير مطابق للواقع عندهم
في نفس الامر لان الواقع عندهم خلافه فتوجه التكذيب الى ما تضمنه نفس الادعاء لا الى
معنى الامر من حيث هو ولهذا وسط والله يعلم انك لرسوله بين جملة الادعاء وجملة التكذيب
دفعا لرجوع الذهن اذا توهم ان التكذيب عائد الى معنى الخبر فكان المعنى والله يشهد انهم
لكاذبون فيما ادعوه من مواطأة قلوبهم لألسنتهم أو ان التكذيب يرجع الى الشهادة لانه
اذا لم تواطئ القلوب فيه الألسنة لم تكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسمية ذلك شهادة
والمراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب
وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر والمنافقون هم الجلاس بن سويد بن الصامت وهو الذي
تخلف عن تبوك وأخوه الحرث بن سويد ومجاد بن عمرو بن عامر وعبد الله بن نغيل وهو الذي
كان ينقل حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقيس بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر وهو ممن بنى
مسجد الضرار وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله
الآية ومعتب القائل يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وهو القائل يوم الاحزاب
يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته الى الغائط ما يعدنا الله
ورسوله الا غرورا ورافع بن زيد وفيه وفي معتب بن قشير ونفر نزلت ألم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الآية وعباد
ابن حنيف بن راهب ممن بنى مسجد الضرار وقيس بن رفاعة الشاعر وقزمان حليف لبني
ظفر ومن الخزرج سعد بن زرارة وكان يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر
وعقبة بن كريم وزيد بن عمرو وقيس بن عمرو بن سهل جد يحيى بن سعيد الانصاري والحر
ابن قيس وعدي بن ربيعة وهو الذي رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذرة وابنه سويد بن
عدي وعبد الله بن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين ومالك بن أبي نوفل وسويد داعس من
يهود بني قينقاع (رجع) يطابق المطابقة الموافقة طابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو

ومن ظن ممن يلاقي الحروب
بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(وأخطأت استك الحفرة)

هذا مثل يضرب لمن يطلب
أمرا فيخطئه ولا يناله حكى أن
المختار بن أبي عبيد قال وهو
بالكوفة والله لأدخلن
البصرة ولا أرمي دونها بكتاب
ثم لأملكن الهند والسند
والبند أراد بالبند العلم أنا والله
صاحب الخضراء والبيضاء
والمسجد الذي ينبع منه الماء
فلما بلغ هذا الحجاج بن
يوسف قال أخطأت است
ابن أبي عبيد الحفرة أنا والله
صاحب ذلك كان الحجاج تمثل
بذلك

*(والله لو كساك محرق
البردين)*

(محرق) هو عمرو بن المنذر بن
ماء السماء وهو عمرو بن هند
وكان يعرف بامه هند بنت
الحرث بن حجر آكل المرار
الكندي وكان يقال لعمرو
مضرط الحجارة لشدة بأسه
وسمي محرقا القصة استوفى
أبو الفرج شرحها في كتاب
الأغاني فقال كان قد عاقد
حيا طيء على أن لا يتنازعوا
ولا يتفاخروا ولا يغزوا ثم انه
غزا اليمامة ورجع مغتبطا
ومر بطي فقال له زرارة بن
عدس التميمي وكان من
خواصه أبيت اللعن اصب
من هذا الحي شيأ فقال ويلك

واحدو أصقتهما ومطابقة الفرس فى جريه وضع رجليه مكان يديه معوج أعوج الشئ اعوجاجا وعصا معوّجة ولا يقال معوَجة فالشدة على الجيم لا على الواو بمعتدل اعتدل الشئ اذا استقام فالمعتدل المستقيم (الاعراب وشان) الواو عاطفة عطفت شان على قوله وانفرجت فى البيت الذى تقدم شان فعل ماض (صدقك) منصوب على انه مفعول والكاف فى موضع جر بالاضافة (عند) منصوب بالظرفية والعامل فيه شان (الناس) مخفوض باضافته الى الظرف (كذبهم) مرفوع على انه فاعل شان (١) وانما أخر عن المفعول به للضرورة فى الوزن والهاء والميم ضمير جمع عاقل يرجع الى الناس وهو فى موضع جر بالاضافة (وهل) الواو للابتداء وهل تقدم الكلام عليها فى قوله فهل تعين على غى البيت وهى هنا للاستفهام (يطابق) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة فى قوله ناء عن الاهل البيت وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم (معوج) مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله (بمعتدل) الباء حرف جر وهى للاستعانة ومعتدل مجرور بها (المعنى) وشان كذب الناس صدقك عندهم لانك تلبست بعالم يتلبسوا به وخالفتهم فى حالهم لانك واياهم فى طرفى نقيض كان المعوج والمعتدل طرفا نقيض فلا تلمهم اذا باعدوك وهجروك ونفروا منك لانك است منهم فى شئ ثم أخذ يستفهمه فقال وهل يطابق المعوج بالمعتدل والمعوج الناس والمعتدل أنت ضرب له بذلك مثالا ليعترف له ويقول لا ما يحصل بينهما تطابق وهذا عند أهل البديع يسمى حسن التعليل لانه علل شين صدقه عند الناس وكذبهم بأن قال وهل يطابق المعوج وهو الكذب بالمعتدل وهو الصدق ومن حسن التعليل قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى فى وجهه أثر الترب

وقول أبى هفان

ولولم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدرى علة للتيمم

أخذه الآخر فقال

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقال أبو تمام الطائى

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقال آخر

لولم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وقال مسلم بن الوليد

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

وقال الآخر

ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة * وعلو مرتبة وعزمكان
فالنار يعلوها الدخان وربما * يعلو الغبار عمائم الفرسان

وقال ابن الساعاتى

أن لهم عقدا فقال وان كان لهم فلم يزل به حتى أصاب نسوة واذوادا فقال فى ذلك قيس ابن وجرة الطائى

أراك ابن هند لم تعقك أمانة
وما المرء الا عهده ومواثقه
فاقسمت جهدى بالاباطح من منى
وما خب فى بطحائهن درادقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلته
لانتحين للعظم ذو انت عارقه

سمى عارقا بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند فقال له زرارة بن عدس أبيت اللعن أيتوعدك فقال عمرو لرميلة ابن شعار الطائى أيهجونى ابن عمك ويتوعدنى قال لا والله ماهجاك ولكنه قال والله لو كان ابن جفنة جاركم ماأكسا كم ضيعة وهوانا وأراد رميلة أن يسل سخيمته فقال والله لاقتلنه فبلغ ذلك عارقا فقال منشدا

أيوعدنى والرمل بينى وبينه
تبين رويدا ما امامة من هند
غدرت بعهد كنت أنت أخذتنا
عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

(١) قوله وانما تاخر الخ الصواب ان تاخير الفاعل هنا لكونه متصلا بضمير يعود على ما يتعلق بالمفعول فلو قدم لادى الى اعادة الضمير على متاخر لفظا ورتبة وذلك لا يجوز فى فصيح الكلام اه

لاتعجـبن لطالب بلغ المنى * كلا وأخفق فى الشباب المقبل
فالخمر تحـكم فى العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

وما أحسن عصرها فى هذا الموضع وقال التهامى

لولم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وقال محمد بن هانئ

قد طيب الافواه طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقال آخر

قد قلت اذ أبصرتها حاسرا * عن ساقها فاضل سربالها
لولم يكن من برد ساقها * لاحترقت من نار خلخالها

وقال ابن قاضى ميلة

وكيف لاتدركه نشوة * واللحظ راح وجنى الريق راح
لولم تكن ريقته خمرة * لما انثنى عطفه وهو صاح

وقال ابن سناء الملك

علمتنى بهجرها الصبر عنها * فهى مشكورة على التقبيح

وقال آخر

اعتقنى سوء ما صنعت من الرق فيا بردها على كبدى
فصرت عبدا للسوء منك وما * أحسن سوء قبلى الى أحد

(رجع) الى قول الطغرائى أقول سبحان الله العظيم ولا أنت يا مؤيد الدين ماطابقت بين المعوج والمعتدل لان المعوج انما يطابقه المستقيم والمعتدل يطابقه المائل وقد اتفق له ما اتفق لابى الطيب فى قوله

نظرت الى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وحكى ان أبا الطيب قيل له هذا الايراد فى مجلس سيف الدولة وان المحال لا يطابق الاستقامة ولكن القافية ألجأتك الى ذلك ولكن لو فرض أنك قلت كأنك مستقيم فى اعوجاج كيف كنت تصنع فى البيت الثانى فقال ولم يتوقف * فان البيض بعض دم الدجاج * فاستحسن هذا من بديهته قلت انما يستحسن هذا فى سرعة البديهة والا أين قوله فان المسك بعض دم الغزال من قوله فان البيض بعض دم الدجاج وكذا حكاية خلف الاحمر مع أصحابه فى قول النمر بن تولب العكلى وتقدما فى مقدمة هذا الكتاب

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ماتشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

فقال لهم لو قال أم حفص فى البيت الاول ما كنتم تقولون فى الثانى فسكتوا فقال وحوارى بلمص واللمص الفالوذج قلت ولكن أين لفظ السمن وعذوبته من اللمص وقول أبى الطيب هذا فى سيف الدولة يشبه قوله فى عضد الدولة أيضا

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هراء كالكلام بلا معانى

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه
اذا هو أمسى جله من دم الفصد

فبلغ عمرو بن هند قوله فغزا طيأ فاسر أسرى من بنى عدى ابن أخزم رهط حاتم فوفد حاتم عليه وساله فى الاسرى فاطلقهم له وكان المنذر بن ماء السماء ابو عمرو قد وضع ابناله صغيرا يقال له مالك عند زرارة بن عدس وان مالكا خرج يوما يتصيد فاخفق ولم يجد شيأ فرجع فمر بابل لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سويد وكان عند سويد ابنة زرارة فولدت له سبعة غلمة فامر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد عليه مالك بعصى فضربه فأمته فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وكانت طى تطلب عثرة ابن زرارة وبنى أبيه حتى بلغهم ماصنعوا باخى الملك فقال ثعلبة ابن عمرو الطائى

من مبلغ عمروا بان المرء لم يخلق صباره
وهوادن الايام لا تبقى لها الا الحجارة
ان ابن عمرو أمته بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشحيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا أرى فى القوم أوفى من زراره

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن

وقول يحيى بن بقي مما تصطفيه وتنتقي وهو

هل يستوي الناس قالوا كلنا بشر * فالمندل الرطب والطرفاء أعواد

وبيت الحصري أحق بالتقدم وأولى بالترنم وهو

أبا بكران أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالي بعضها ليلة القدر

وصاحب الذوق لا يمترى في أن هذا من قول البحتري

فان قصرت أكفاؤه عن محله * فان يمين المرء فوق شماله

ما أثقل قول الغزي في هذا المعنى وأوهى وأوهن ما شاد في هذا المبنى وهو

ولا غرو أن كنت بعض الورى * فان اليلنجوج بعض الحطب

ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله وأسره بتقصيري عن مداه فما كان هذا عهدي بوده فقال أرسل نفسك على سجيتها وأسرف في التمسك على دجوجيتها وتعرض لنفحات صديقك فما يبخل عليك بيلنجوجيتها فقلت نعم على تنبيهك كما في النسبة الى اليلنجوج وعلى كون حروفها أطول في هجائها من عوج وقال في المعنى الاول عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك الفاخرون فاحجموا * وخيل المعالي غير خيل المراكب

فان زعم الاملاك انك منهم * فخارا فان الشمس بعض الكواكب

وقال خلف بن عبد العزيز الجزوري النحوي

ما أنت بعض الناس الامثلما * بعض الحصى الياقوتة الحمراء

وقلت أنا في هذه المادة

مولى تفرع عن كرام وجوههم * وبنانهم للمعتلي والمجتني

فاقوا الانام علاوهم من جنسهم * ومن الحجارة اثمد في الاعين

وأما عدم المطابقة في شعر أبي الطيب فكثير جدا من ذلك قوله

ولكل عين قرة في قربه * حتى كأن مغيبه الاقذاء

القرة ضدها السخنة والقذاء ضد الجلاء وقوله أيضا

ولم يعظم لنقص كان فيه * ولم يزل الامير ولن يزالا

العظم ضد الحقارة والنقص ضد الكمال فلو قال ولم يكمل لنقص كان فيه لكان أصنع وكذا قوله وان لم يكن من هذا الباب

لم نفتقد بك من مزن سوى لثق * ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره * ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

كان الذي ينبغي له أن يقول ولا من البحر غير الجزر والغرق لانهما من معايب البحر والريح والسفن من محاسنه وكذا قوله

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

وليس المجرم ضد المحب ولا السرور ضد الاساءة وانما المجرم ضد المحسن والمحب ضد المبغض والسرور ضد الحزن والاساءة ضد الاحسان وكذا قوله

وانه المشير عليك في بضده * فالحر ممتحن بأولاد الزنا

والحر ضد اللئيم وقوله

هند بكى وفاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهي حبلى فقال أذكر في بطنك أم انثى قالت لا علم لي بذلك فبقر بطنها فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخا الملك فأته فأصدقه الخبر فأتاه فتنصل اليه فقال على بسويد فقال انه لحق بمكة قال فعلي ببنيه فأتاه ببنيه السبعة وأمهم بنت زرارة علمه بعضهم فوق بعض فأمر بقتلهم فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يا بعضي أرسل بعضي فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو بن هند اليه ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد أنذروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين بخسهم ولحقه ابن هند فضربت رقبته وأمر لهم بأخدود ثم أضرم فيه نارا فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاحترقوا فاقبل راكب من البراجم وهم بطن من بني حنظلة لا يدري بشيء مما كان يصنع بغيره فأخذوا ألقي في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا فقيل له لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة

كم قتيل كما قتلت شهيد * بياض الطلى وورد الخدود

وكان ينبغي أن يقول ببياض الطلى وحمرة الخدود (رجع) حكى المفضل ان رجلا من العرب كان له عبد لم يكذب قط فبايعه رجل ليكذبه وجعل الخطر بينهما أهلهما ومالهما فقال الرجل لسيد العبد دعه يبيت الليلة عندي ففعل فأطعمه الرجل لحم حوار وسقاه لبنا حليبا كان في في انا خاذر فلما أصبحوا تحملوا وقالوا للعبد الحق بأهلك فلما توارى عنهم نزلوا فأتى العبد سيده فقال أطعموني لحما لا غثا ولا سمينا وسقوني لبنا لا محيضا ولا حقينا وتركتهم وقد ظعنوا واستقلوا فلا أدري أساروا بعدي أو حلوا وفي النوى يكذبك الصادق فأرسلها مثلا وحاز مولاه مال الذي بايعه وأهله وقال بعضهم أنا لا أكذب ولو أعطيت ألف درهم فقال صاحبه هذه واحدة بألف درهم وقال آخر ما كذبت عمري فقال صاحبه هذه واحدة وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

أمستوفي قليوب * الى كم هكذا تكذب
من الصبح الى الظهر * الى العصر الى المغرب

(ان كان ينجع شئ في ثباتهم * على العهود فسبق السيف للعدل)

(اللغة) ينجع ينجع في فلان الوعظ أي دخل وأثر ونجع الدواء اذا أفاد ثباتهم الثبات ضد الزوال العهود جمع عهد وهو اليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية السبق المبادرة والوصول الى الغاية قبل شئ آخر العذل بالسكون الملام وبالتحريك الاسم وهذا أصله مثل من أمثال العرب وصيغته سبق السيف العذل يضرب في الأمر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد وكان ضبة اذا رأى شخصا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسايره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث ذو شجون ثم ضربه به فعذل فقال سبق السيف العذل وقال جرير

يكلفني رد الغرائب بعدما * سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

وقال رؤبة بن العجاج

والصادق السابق يوم العذل * كسبق صمصامة زجر المهل

(الاعراب ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها في قوله فان جنحت اليه البيت (كان) تقدم الكلام على كان وعملها وهي فعل الشرط هنا (ينجع) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن ناصب وجازم وهو في موضع نصب لانه خبر كان ولكنه تقدم على الاسم تقديره ان كان شئ ناجعا والأصل تأخير الخبر ولكنه يجوز تقدمه في باب كان وأخواتها وتوسط الخبر جائز في جميع الباب كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقول الشاعر

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

وقال الآخر

لا طيب للعيش ما دامت منغصة * لذاته باذكار الموت والهرم

وأما تقديم الخبر على كان وبابها فجائز أيضا الا مع دام وزال وبرح وفتئ وانفك فان الخبر

وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها من أنت قالت الحمراء بنت ضمرة فقال اني لأظنك أعجمية فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم اني لبنت ضمرة بن جابر

سادا معدا كابرا عن كابر

فقال عمرو أما والله لولا مخافتي أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما والذي أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ما تقتل الا نساء أعاليها ندى وأسفلها اعلا قال اقذفوها في النار فالتفتت وقالت ألا فتى يكون مكان عجوز فلما انطوى عليها قالت هيهات صار الفتيان حمما وسمي من ذلك اليوم محرقا ومن ملوك جفنة أيضا المحرق لكنه غير صاحب البردين فأما امرؤ البردين فحكي ان الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يبلو الوفود وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فاتزر بالواحد وارتدى بالاخرى فقال له انت أعز العرب قبيلة قال العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة فمن انكر هذا فليناقرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف انت في نفسك

لا يتقدم عليهن لان كلا منها الا يستعمل الابحرف النفي والنفي له صدر الكلام وكذا اذا اقترنت كان واخواتها بحرف مصدري لا يجوز ان يتقدم الخبر كقولك أريد ان تكون فاضلا وأما ليس فقد تقدم الكلام عليها (شئ) مرفوع على أنه اسم كان (في ثباتهم) في حرف جر معناه الظرفية هنا وهو متعلق بقوله يجمع ثباتهم مجرور بفي والضمير يرجع الى الناس وهو في موضع جر بالاضافة (على العهود) على للاستعلاء معنى والعهود مجرور به والالف واللام للجنس والجار والمجرور متعلق بثبات لانه مصدر وهو يعمل عمل الفعل وقد أضيف الى فاعله وهو الهاء والميم وعلى العهود مفعوله فهو في موضع نصب (فسبق) ١ الفاء جواب الشرط وسبق مرفوع على انه مبتدأ (السيف) مجرور بالاضافة (للعذل) اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف تقديره فسبق السيف مستقر للعذل (المعنى) ان كان شئ من الاشياء نافعا في ثبات الناس على العهود وذلك الشئ مثل اللوم والعذل أو التعنيف على ما ارتكبوه من نقض الوفاء واظهار الغدر فان السيف سبق العذل في ذلك يعني ان هذا الامر فات وما بقي يفيد فيهم العذل شيئا كما أن السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت في كفه بعد ما يمضي ومن وضع المثل في الاصل يظهر هذا وخلاصة الحال أن زعيم للعهود وثباتهم عليها أمر فرغ الله منه فلا تطمع في عوده كما ان المقتول لا يطمع في حياته وهيهات ما لجرح بميت ايلام لقد أسمعت لو ناديت حيا وأقول ان العذل مما يغري واللوم مما يحرض والعتاب مما يزيد في الاعراض والتعنيف مما يحسن المنهي عنه وأما رعي العهود فأمر حض الله عليه ومدح من تلبس به فقال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقد روى مسلم في صحيحه بسنده الى حذيفة بن اليمان قال خرجت أنا وأبو حسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا انكم تريدون محمدا فقلنا ما نريد الا المدينة فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال انصرفا اليهم بعهدهم ونستعين الله عليهم فأمرهما صلى الله عليه وسلم بوفاء عهدهم الكفار حضا منه صلى الله عليه وسلم على الاتصاف بالاخلاق الحميدة لانه كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال مالك رحمه الله يلزم الاسير الوفاء بالعهد وقال الشافعي وأبو حنيفة والكوفيون رحمهم الله تعالى في الاسير يعاهد الكفار لا يهرب منهم لا يلزمه الوفاء بذلك ومتى أمكنه الهرب هرب منهم واتفقوا على انهم لو أكرهوه وحلف لا يهرب فله ان يهرب ولا يمين عليه وأما العذل فما يفيد الا الاغراء قال ابن سناء الملك رحمه الله تعالى من رسالة وما أتعب معاتب الايام فانه يضرب في حديد بارد وما ألأم ظفر الهموم فانها كثيرة تتساعد على قلب واحد وما ألطف قول القائل

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وانشدني جمال الدين محمود بن علي المعروف بالحافي قال انشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه من أبيات

ولي على عاذلي حقوق هوى * عليه شكري ببعضها يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه أنا السبب

---

١ قوله الفاء جواب الشرط تقدم له رحمه الله تعالى نظيره وسبق بالهامش أن الصواب جعل الفاء رابطة للجواب وأن الجملة بعدها هي الجواب اه وقوله فيما بعد اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف الظاهر جعل اللام للتقوية وهي متعلقة بسبق وسبق اما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر لمبتدأ محذوف والدال عليه في الصورتين الكلام السابق والتقدير ان كان شئ نافعا في ثباتهم على العهود فسبق السيف لعذلهم نافع أو فالنافع سبق السيف لعذلهم اه

واهل بيتك قال انا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها انا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه احد وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وببرديه

* (وحلتك مارية بالقرطين) * القرط نوع مما تحلى به المرأة اذنها ومارية هي ابنة ظالم ابن وهب الكندي زوجة الحرث الاكبر الغساني احد ملوك العرب بالشام وهي ام الحرث الاصغر وامها هند

وما أرق قول قرهب بن جابر الخزاعي

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو درى * أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وقال ابن وكيع

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لي لو هويت هذا * مالامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شمس الدين محمد بن التلمساني

أسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في لومك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

ومنه قول آخر

قد قسم اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زور الكلام بمينه
وقال اسل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وما أحسن قول القائل

وما عذولي ناهيا عنكم * لكنه بالصبر أمار
قال أسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

أعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي
مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على ولي

وقال شيخ الشيوخ أيضا

من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت مانصحك الا اذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال أيضا

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

وقال أيضا

زعموا أنني هويت سواكم * كذبوا ماعرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال شهاب الدين بن الخيمي

وعذول رابني في نصحه * كلما زادت ابا زاد لجاجا
ماعذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل وداجا

وأخذت أنا هذا المعنى فقلت

تداهى عذولي في الغرام ولم تكن * مقاصده تخفى على عاشق مثلي
أحب فلما غارمني وخاف أن * أفاتحه في ذاك سابق بالعذل

الهنود امراة آكل المرار وكان في قرطيها اللؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتها الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما ولي عمر الخلافة قال لها ان احببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولي يزيد ابن عبد الملك ارسل اليها يقول خذي القرطين والحلي من بيت مال المسلمين فقالت لا والله ما اوافقه في حال حياته واخالفه بعد وفاته وروى الميداني ان مارية اهدت قرطيها الى الكعبة وهما درتان كبيضتي الحمام لم ير في عصرهما ولا قبله مثلهما هكذا روى الميداني والله اعلم بحقيقتهما

(وفلك عمرو الصمصامة) هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي وكنيته ابو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة في الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة قال عمرو وقدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى عليه وسلم قافلا من تبوك فاردت أن أدنو اليه فنعني من حوله

وقلت

وقلت يا لقومي سالتكم خبروني * هكذا كل من أحب حبيبه
سقم زائد ودمع وسهد * ويحيى عاذلي تمام المصيبه
وقلت ياحسرة فيه على سلوة * ليستريح القلب من عاذلي
فان عمري بين ذل الهوى * وعذله قد ضاع في الباطل
وقلت تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا اعما
فان كان عذالي عموا عن جماله * فلي اذن عن كل ما نقلوا صما
وقلت ألح عذولي في هواه وزادني * ملامي فقلت احتمل على غير مسمعي
فلم يدر من فرط الولوع بذكره * مصيبته حتى تعشقه معي
وقلت لي غزال لما أطعت هواه * أخذ القلب والتصبر غصبا
ما أفاق العذول من سكرة العذ * ل عليه حتى غدا فيه صبا
والعلم المشهور في هذا كله قول أبي نواس
دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء
وقال محمد بن شرف القيرواني
قل للعذول لو أطلعت على الذي * عاينته لعناك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك لي ولا لك ديني
وحكي ان المفضل الضبي قال له الرشيد دلني على بيت أوله أكثم بن صيفي في اصالة الرأى وجودة الموعظة وآخره بقراط في معرفة الدواء فقال يا أمير المؤمنين لقد هولت على فقال هذا قول أبي نواس دع عنك لومي البيت وذكرت ههنا ما ذكره صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح ابن حسان يوما ما نصف بيت كأنه اعرابي في شملة والآخر كأنه مخنث يتفكك قلت لا أدري قال أجلتك حولا قلت لو أجلتني عشرا ما عرفته فقال أف لك قد كنت أحسبك أجود ذهنا من هذا قلت فما هو قال قول جميل
ألا أيها النوام ويحكموا هبوا * هذا الكلام اعرابي
ثم قال نسائلكم هل يقتل الرجل الحب * كأنه والله من مخنثي العقيق
قلت علم الله لولا ايراد النادرة لاستحييت ان أكتب النصف الثاني لانه محلول الى الغاية والناس ينظرون به قول الآخر
مات الخليفة أيها الثقلان * فكأنما افطرت في رمضان
و يقولون في الاول عزى الثقلين ثم انه حل في الثاني وأقول انه ليس بينهما نسبة في الانحلال وقول جميل انما يحسن من مثل فريدة جارية الواثق فانها صنعت فيه لحنا وغنت به وكانت بارعة الجمال فاذا سمع منها كان مناسبا والى بيت جميل أشار ابن نقادة في قوله
أهجر وصدوا غتراب وفرقة * وبين فبالله كم يحمل الصب
فقل لجميل نبها الركب سائلا * ونام نعم قد يقتل الرجل الحب
ويقال اغنج بيت قالته العرب قول الاعشى
قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلي عليك وويلي منك يا رجل

فقال دعوه فدنوت منه فقلت أنعم صباحا أبيت اللعن فقال يا عمرو أسلم تسلم ويؤمنك الله من الفزع الاكبر فاسلمت وعاش عمرو الى أيام عثمان وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك خرج له علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له اسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو ابن معدي كرب وحدث ابن أبي حاتم قال مررنا يوم القادسية بعمرو بن معدي كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول أيها الناس كونوا أشداء ما شأن هذا الرجل من الاعاجم اذا ألقى مزراقا فانما هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سيئة قوس كان متنكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا كسر

وقيل ان عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه تعلمون ان النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أما سمعتم قوله

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

والله لا يعرف هذه الاشارة الا مخنث قلت لو كان أحد من الجلساء انتصر للنابغة لقال فمن أين ظهر لولا نا أمير المؤمنين هذا ومعرفته بذلك مما يريب ولكن حرمة الخلافة ومهابتها منعان المعارضة وذكر صاحب الاغانى أن المأمون قال لمن حضر من جلسائه أنشدونى بيتا لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله انه ملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل اعرابية حل أهلها * جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما فى هذا ما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ثم قال الشعر الذى يدل على أن قائله ملك قول الوليد بن يزيد

اسقنى من سلاف ريق سلمى * واسق هذا النديم كأسا عقارا

أما ترى الى اشارته وقوله هذا النديم فانها اشارة ملك ومثل هذا قوله

لى المحض من ودهم * ويغمرهم نائلى

وهذا قول من يقدر بالمال على طويات الرجال يبذل المعروف فيهم ويمكنه استخلاصها لنفسه وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان الاندلسى للسلطان أبى عبد الله محمد بن السلطان الغالب بأمر الله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجى يعرف بابن الاحمر ملك الاندلس قال رأيته مرارا بغرناطة وأنشدته شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر وكان رجلا جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين

أيا ربة القرط التى حسنت هتكى * على أى حال كان لا بد لى منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

انتهى وقلت أنا راداعليه

تمسك بذل فهو أليق بالهوى * لتنظم مع أهل المحبة فى سلك
متى لاق بالعشاق عز وسطوة * كأنك من ذل المحبة فى شك

وممن قال الشعر فى محبوبه من الخلفاء والملوك هرون الرشيد فانه قال فى هذه المادة

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه غلبن أعز من سلطانى

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموى أحد خلفاء المغرب

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن الصدود الى الصبى * فقضى بسلطان على سلطانى
فأبحن من قلبى الحمى وتركننى * فى عزملكى كالاسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثان

عنقه ثم أمر الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنطقته وألقاه وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع وحكى أبو عبيدة قال لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبى وقاص الخمس ثم قسم البقية فأصاب الفارس ستة آلاف وبقى مال دثر فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه أن رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه كذلك فكتب اليه أن أعط ما بقى حملة القرآن فأتاه عمرو بن معدى كرب فقال ما معك من حفظ القرآن قال انى أسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن وقيل أتاه بشر بن ربيعة فقال له ما معك من حفظ القرآن قال معى بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم فقال سعد مالك فى هذا المال من شئ ولا من نصيب فقال عمرو منشدا

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير
تعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبياتا فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه أعطهما على بلائهما فأعطاهما

ماضرأني عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبداني

وقال الملك تميم بن المعز بن باديس

بالله جدلي بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني أظل أشكو * مثل محياك ليس يشكى

وقال القائم بأمر الله العباسي

جمعت علي من الغرام عجائب * خلفن قلبي في أسار وموحش
خل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذي ونمام يشي

وقال ابن منقذ

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من * كفي غلهما غيظا الى عنقي
واستعير اذا عاتبته حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وقال الظاهر غازي في مملوكه أيبك الجدار

أنا مالك مملوك ظبي أغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وأنا الغني وانني من وصله * بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفي عنوة * ودمي بسيف لحاظه مسفوك

(رجع الى العذل) أخذ ابن قلاقس قول أبي نواس فقال

فدعي الملامة في التصابي واعلمي * أن الملامة ربما تغريني

وما أحسن قول ابن سناء الملك

وصفتك واللاحي يعاند بالعذل * فكنت أباذر وكان أبا جهل
له شاهد ازور من النهى والنهى * عليك ومن عينيك لي شاهدا عدل

وقال شرف الدين علي بن جبارة هذا البيت نادرة قصيدته وعين خريدته وقد أخذه أخذا وفلذه فلذا من قول شاعر متقدم

ولي عاذل يعزي الى الجهل لم يخل * بأني في دعوى الغرام أبو ذر

قلت لكنه أخذه وقف عاج وأعاده درة تاج ألا ترى الى انه قابل فيه بين أبي ذر وبين أبي جهل فزاده حسنا وكان فيه ليلي نضم اليها البني وكرر ابن سناء الملك هذا في شعره فقال

أياعاذلي فيه لما رآه * لئن كنت أعمى فاني أصم
وهبك أباذر هذا الملام * فاني أبو جهل هذا الصنم

ومن أبيات المعاني

وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان أني رجب

قلت العرب كانت تسمي المحرم المؤتمر وصفر ناجرا وربيعا الاول خوانا وربيعا الآخر بصانا وجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخرة الرنى ورجب الاصم وشعبان العاذل ورمضان الناتق وشوالا الوعل وذا القعدة رنة وذا الحجة بركا وأبو العلاء المعري ممن أكثر من هذا النوع فقال

هزت اليك من القداين ذي يزن * ولاحظتك بهاروت على عجل
أرتك عم رسول الله منتقبا * أبا حذيفة يحكي أو أبا جهل

أربعة آلاف درهم وحكى المدائني قال كان عمرو بن معدي كرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل فرعمرو على فرس له فقال سلمان هذا هجين فقال عمرو وعتيق قال فأمر به فعطش ثم دعا بترس فقلبت فيه ماء فدعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين فقال له ألا ترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغني ماقلت لاميرك وبلغني أن لك سيفا تسميه الصمصامة وعندي سيف مصمم بالله لئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به شراسيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ويروى أن عمر رضي الله عنه سأله يوما فقال ما تقول في الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن ضعف تلف قال فما تقول في الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال عبدك ثكلتك أمك قال عمر بل أمك فقال الحمى أصرعتني فاغلظ له عمر في الكلام فقال

ابن ذي يزن هو سيف ملك مشهور وهاروت ملك ساحر والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة وحمل هما ابنا بدر وقال أيضا

نهارهم ابن يعفر في ضحاه * وليلة جارهم بنت الخلاق

ابن يعفر هو الاسود وبنت الخلاق هي ليلى أي ليلة مظلمة وقال آخر

على أبوابه في كل وقت * لسائله أخو عمرو بن أد
أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد
وقد ألقى كساء أبي عبيد * عليك فصرت أكسى أهل نجد
أراد أبوك أمك حين زفت * فلم يوجد لامك بنت سعد
أراني الله عينك في الجعبا * وعينك مثل بشار بن برد

أخو عمرو ضبة وأخو لخم جذام وأبو عبيد الابرص وبنت سعد عذرة وبشار بن برد أعمى وقال محمد بن عبدون يصف خمرا عادت خلا

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت
أتت بنت بسطام بن قيس عشية * وراحة كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام هي صهباء وجسم الشنفرى عني به قوله

فاسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي من بعد خالي لخل

وذكرت هنا ما اتفق للشريف أبي الحسن علي بن اسمعيل الزيدي لانه عمد الى شراب اعتصره في جرتين فوجد احداهما خلا فقال

رب أختين أمستا طوع ملكي * نجل أم تصبو اليها الرجال
هذه حسنها مقيم وهذي * غيرت حسن حالها الاحوال
فافتضاض الحسناء سهل حرام * وافتضاض السوآء صعب حلال

قال ابن رشيق أخذ البيت الاخير من قول ابن هرمة وقد توعده الحسن بن زيد في شرب الخمر

أرى طيب الحلال علي خبثا * وطيب النفس في خبث الحرام

قلت ومن هنا ولد ابن حجاج فيما أظن قوله

كيف لا أشرب من صالحها * وعلى فاسدها فطر الصيام

واما ابن هرمة فكان منهوما في الشراب لا يصبر عنه فقال مرة للمنصور فيما أظن يا أمير المؤمنين اكتب الى عامل المدينة ان لا يحدني في الخمر اذا أتي بي اليه فقال ويحك هذا حد كيف أكتب باسقاطه عنك قال يا أمير المؤمنين تحيل لي في ذلك قال فكتب الى عامل المدينة اذا أتي اليك بابن هرمة وهو سكران فحده ثمانين واجلد من جلبه مائة فكان العسس يمرون به وهو ملقى على الطريق فلا يتعرضون له ويقول أحدهم من يشتري ثمانين بمائة وسئل بعضهم عن معشوق له فقال هو أبو سفيان فقيل له استعن عليه ببنت بسطام أراد انه صخر والآخر أراد ان يسقيه صهباء فنظم ذلك بعض الشعراء فقال

ولم أنسه اذ زار بعد ازوراره * فبت نديم البدر في ليلة البدر
وكان أبو سفيان حتى تولعت * به بنت بسطام فبتنا الى الفجر
خليفة بغداد الموفي ثلاثة * وعشرين والموفي الثلاثة في مصر

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك * يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص مني قال بل أعفو يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها منك لحللتك بالسيف أخذ منك أم ترك قال وما هي قال سمعتك تقرأ أنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والله لو علمت اني اذا دخلتها مت لفعلت وحكي أن عيينة بن حصن لما قدم الكوفة أقام أياما ثم قال والله مالي بأبي ثور عهد ثم ركب فرسا وسأل عن محله بني زبيد فأرشد اليها وسأل عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا أبا ثور أخرج الينا فخرج مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال له أنعم صباحا أبا مالك فقال أو ليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندي كبشا سمينا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطبخه وجلس يتحدث الى ان أدرك فثرد في جفنة عظيمة وألقى القدر عليها وقعدا فأكلا منها ثم قال أي الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية فقال أو ليس حرمها الله تعالى في الاسلام

أراد المطيع والحاكم وقال أبو الحسين الجزار

يا أخا مالك ويا من له الخنـ ـساء أخت ويا أبا المعاذ

أراد متمما وصخرا وجبلا (رجع) وأما هذا المثل أعني سبق السيف العذل فقد استعمله الشعراء كثيرا وأحسن ما فيه ما نقلته من خط السراج الوراق له

قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الاجل
يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

وقول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

يا غصنا قد طاب لي منه الجنى * ويا غزالا ذل فيه الغزل
طرفك قبل العذل قد أبادني * فما احتيالي سبق السيف العذل

وقال أبو الطيب

ترابه في كلاب كحل أعينها * وسيفه في جناب يسبق العذلا

قال ابن وكيع لو قال

احسانه في كلاب غيث مجدبها * وسيفه في جناب يسبق العذلا

لصح التقسيم اذ ليس التراب ضد السيف وقال ابن الحاجب القديم

وحاولت بالعذل ان ترشدني * فقلت مهلا سبق السيف العذل

وقال ابن نباتة السعدي

يا أهل بابل عزمي قبله فكري * في النائبات وسيفي يسبق العذلا

(يا واردا سؤر عيش كله كدر * أنفقت صفوك في أيامك الاول)

(اللغة) الوارد الذي يرد الماء ليشربه سؤر السؤر البقية يقال اذا شربت فاسئر أي أبق شيئا من الشراب في قعر الاناء والنعت سائر على غير قياس لان قياسه مسئر ونظيره أجبر فهو جبار وبهذا استدل على ان سائرا بمعنى الباقي وليس هو بمعنى الجميع وقد تقدم الكلام في هذا عيش العيش تقدم الكلام عليه كله بمعنى جميعه وكل لا يدخله الالف واللام في كلام العرب لانه وضع في الاصل للشيوع ولكن أرباب المعقول غيروا هذا الاصل فقالوا الكل والجزء وكل لا يؤكد به الا ما يبعض فتقول ذهب المال كله ولا تقول جاء زيد كله وتقول اشتريت العبد كله ويؤتى باجمع بعد كل في التأكيد قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون قال الشيخ الامام جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى وأغفل أكثر النحويين جميعا ونبه سيبويه على انها بمنزلة كل معنى واستعمالا ولم يذكر شاهدا من كلام العرب وقد ظفرت له بشاهد وهو قول امرأة من العرب ترقص ابنها

فداك حي خولان * جميعهم وهمدان
وكل آل قحطان * والاكرمون عدنان

والكليات الخمس عند أرباب المنطق هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس كالحيوانية والنوع كالانسانية والفصل كالناطقية ولا يريدون بالناطقية ما يفهمه عوام الناس من أنه النطق بالكلام لانه ينتقض بالدرة وهي الببغاء اذا حاكت شيئا من ألفاظ الناس يلزم ان تكون انسانا لانها بهذا الاعتبار حيوان ناطق وينتقض بالاخرس والطفل الذي

فقال انت أقدم اسلاما أم أنا قال انت قال فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريما الا انه قال فهل أنتم منتهون فقلت الاثم جاء بنبيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران ايام الجاهلية حتى أمسيا فلما اراد عيينة الانصراف قال عمرو ان انصرف ابو مالك بغير حبائها لوصمة فأمر له بناقة ارحبية وحمله عليها ثم اتى بمزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه فقال اما المال فوالله لا آخذه ولا امسه فانصرف وهو يقول

جزيت أبا ثور جزاء كرامة
فنعم الفتى أنت المزور المضيف

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة الا الكذب حكى أبو عمرو بن العلاء قال وقف عمرو يوما بالمربد يتحدث على عادتهم فقال غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مستنفرين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فاخذت رأسه وكان خالد بن الصقعب حاضرا فقال بعض الجماعة مه لا أبا ثور قتيلك يسمع كلامك واشار اليه فقال اسكت انما أنت محدث فاسمع أو قم ثم التفت الى خالد وقال انما نرهب هذه

لا يتكلم انهما ليسا من الاناسي لانهما غير ناطقين وانما يريدون بالناطقية القوة المفكرة فعلى هذا دخل الاخرس والطفل فى حد الانسان وخرج عنه الببغاء والناطق هو فصل الانسان عن سائر الحيوان والخاصة كالكتابة لانها تختص ببعض النوع ولم تعمه والعرض العام كالضاحكية لانها عامة لجميع النوع ولهذا كان التعريف فى الحدود بالجنس القريب والفصل مطردا منعكسا والتعريف بالجنس القريب والخاصة مطردا غير منعكس ولقد فات هذا الجماعة فلم يعرفوه حتى مثلته بأمثلة كثيرة منها قول النحاة فى الاسم انه كلمة تدل على معنى غير مقترنة بأحد الازمنة الثلاثة وقولهم فى الاسم أيضا انه كلمة تدخلها حروف الجر أو الالف واللام أو التنوين فالتعريف الاول بالجنس القريب والفصل لاجرم أنه مطرد منعكس حيث وجد الحد وجد المحدود وحيث وجد المحدود صدق الحد لان كل اسم هو كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان وكل كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان فهى اسم والتعريف الثانى بالجنس والخاصة لاجرم أنه مطرد غير منعكس لان كل كلمة دخلها الجر أو الالف واللام أو التنوين فهى اسم وليس كل اسم يدخلها الجر كباب ما لا ينصرف والمبنيات وما لا يدخله الالف واللام مثل كل وغير وذكاء ودجلة وغير ذلك ولا التنوين مثل الاسماء المؤنثة المقصورة كحبلى ودنيا وبابهما فأنت ترى كيف اطرد وما انعكس بخلاف الاول فتنبه لهذه القاعدة فانها فائدة جليلة (رجع) كدر الكدر ضد الصفاء قال أصحاب التجارب ان الخيل لا تشرب الماء اذا كان صافيا ولهذا تضربه بأيديها حتى يتعكر وقال بعضهم هذا بأن الخيل ترى خيالها فى الماء الصافى فلهذا تكدره وهذا تعليل عليل لا يشفى به غليل وذكرت بالعكر هنا قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر لما كانوا فى حصن عكار وهو

حصن عكار ما صفا * قط يوما من الكدر
كيف يصفو الذى ثلا * ثة أرباعه عكر

وقال لما فتح ومن خطه نقلت

يا مليك الارض بشرا * ك فقد نلت الاراده
ان عكار يقينا * هى عكار زياده

ومن هذه المادة قوله ومن خطه نقلت

قولهم عنى صبيغ * لى فى ذاك اراده
ليس الا ليقولوا * ذا صبى وزياده

وذكرت بالاول ما حكى عن القاضى الفاضل رحمه الله وقد ركب القاضى المكين بن حيوس ولم يكن معه مقرعة فأعطاه القاضى الفاضل مقرعة فرماها ثم رد فى طلبها علا فما وجدها فعاد بسكينة لخيبته فأنشدها الفاضل رحمه الله تعالى

يا غاديا شبه السفيه وعائدا مثل الحليم
ضيعت مقرعة وعد * ت شبيهها من غير ميم

وما أحسن قوله وقد ورد نعى الملك الناصر من الشرق ولم يصح ذلك

نعى زاد فيه الدهر ميما * فأصبح بعد بؤساه نعيما
وما صدق النذير به لانى * رأيت الشمس والنجوما

المعدية بهذه الأخبار ومضى فى حديثه فلم يقطعه فقال له رجل انك لشجاع فى الحرب والكذب فقال انى كذلك وحكى أبو عمرو بن العلاء قال جاء رجل الى عمرو وهو واقف بالمربد على فرس له وقد أسن فقال لانظرن ما بقى من قوة أبى ثور فادخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن عمرو لذلك فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه صاح به فقال يا ابن أخى مالك قال يدى تحت ساقك فخلى عنه وقال ان فى عمك بقية بعد ومن كلامه حكى أنه أتى مجاشع ابن مسعود فقال أسألك حملان مثلى وسلاح مثلى فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فمر ببنى حنظلة فقالوا يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك فقال لله بنو مجاشع ما أشد فى الحروب لقاءها وأجزل فى اللزبات عطاءها وأحسن فى المكرمات بناءها والله لقد قاتلتها فما أجبنتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زورا كأنها
جداول ماء أرسلت فاسبطرت

ويقال ان ابن عمار دخل يوما الى مجلس فيه ابن اللبانة الدانى ولم يكن ابن عمار يومئذ قد رأس فقال له اجلس يا ابن عمار بغير ميم فقال له نعم يا دانى بغير ألف وقال أبو تمام الطائى

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أخذه ابن الرقاق فنقله الى وصف قوس فقال

أفديك من نبعية زوراء * مشغوفة بمقاتل الاعداء
ألفت حمام الايك وهى نضيرة * والآن يألفها بكسر الحاء

ولكنه نقص المعنى الذى حاوله بزيادة الايك لان الحمام بكسر الحاء لا يضاف الى الايك ولو قال ألفت الحمام وسكت لكان أحسن وأتم وقال ابن وضاح المرسى فى ذلك

عجبى من القوس الكريمة انها * لم ترع حق حمائم الاغصان
أضحت لها حتفا وكانت مألفا * وكذلك حكم تصرف الازمان

وقال الحصرى المكفوف فى موت المعتضد وولاية ابنه المعتمد

مات عباد ولكن * بقى الفرع الكريم
فكأن الميت حى * غير أن الضاد ميم

وقال ابن سناء الملك

لم أنس اذ زرانى كالبدر مكتملا * بالحسن مشتملا بالسحر مكتحلا
رنا الى بعينيه فقلت طلا * حتى اذا كسر الاجفان قلت طلا

وحكى لى ان أبا الحسين الجزار أو السراج الوراق شكا فى طريق الحجاز اسهالا فوصف له بعض الاطباء سفوفا فلما تناوله أفرط به الاسهال فقال

وتحت على بابا بالسفوف * وصلت به الى الامر المخوف
ولكن الحكيم أراد خيرا * فجاء بغير ياء فى الحروف

ونقلت من خط السراج الوراق له

قلت له مسليا * عن حالة ماشاءها
لعل فيها خيرة * فقال أخر ياءها

ونقلت منه أيضا له

قالوا وقد سمعوا مدحى له ورأوا * حالا بأعقاب ذاك المدح مجهوده
ما كان رأيك محمودا بمدحته * فقلت كلا ولكن كان محموده
ووجهه شاهد ينبيك عن خبرى * والباء فى خبرى ليست بموجوده

وقال بعضهم

من طين طوبى خلقت فذا * فأنت فى ذا الورى غريب
بدلت النون فيك باء * فالناس طين وأنت طيب

وقال أبو الحسين الجزار

ولحية خالفت النفس من * عنفها فيها ومن لامها
قد صح عندى انها حلية * وانما هم قدموا لامها

وقال ابن دانيال فى الفخر الصائغ

قد كنت بالفخر ذا ضلال * اذ جئته مخلص الوفاء

وجاشت الى النفس أول فكرة
فردت على مكروهها فاستقرت
ظللت كأنى للرماح دريئة
أقاتل عن احساب جرم وفرت
ولو أن قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

قوله أقاتل عن احساب جرم من الهجاء المحض وذلك أنه ذكر أن قومه فروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غضبا لهم وعصبة وقوله ولو أن قومى أنطقتنى يعنى لو قاتلوا وطاعنوا نطقت بمدحهم ولكنهم فروا فاسكتونى عن المدح والاصل فى الاجرار أن الفصيل اذا أرادوا فطامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضاع وقوله فى القصيدة التى أولها

أمن ريحانة الداعى السميع
وقد عجبت امامة ان رأتنى
تفرع لمتى شيب فظيع
أشاب الراس أيام طوال
وهم ما تبلغه الضلوع
وزحف كتيبة للقاء أخرى
كأن زهاءها رأس صليع
واسناد الاسنة نحو نحرى
وهز المشرفية والوقوع
فان تذنب النوائب آل عصم
تجد حكماءهم فيها ردوع
اذا لم تستطع شيأ فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالتروع فكل شئ
سماك أو سموت له نزوع

حققتــه اذدعواه خـرا * فكان خرابغيرفاء

وقال أيضا

عوّادناعلى الفصيح امرؤ * ينبح أى قدصارهجاء

كأنه اذسقطت داله * فأصبح العـوادعواء

(رجع) أنفقت أذهبت صفوك الصفوضد الكدر الاول جمع أولى مثل كبرى وكبر (الاعراب يا) حرف نداء وحروف النداء خمسة وهى الهمزة وأى ويا وأيا وهيا اما الهمزة فانها للقريب مثل الذى يليك وأى لابعدمنه كالذى تراه قريبا وبالبعيد قليلا وأيا لا بعدمنه وهيا للبعيد الذى يحتاج الى مدالصوت ويا تستعمل للجميع وقد ينزل البعيد قريبا والقريب بعيدا لفوائد يعرفها أرباب المعانى وقداعترض على النحاة أجمع فى قولهم الكلام لايتركب من اسم وحرف بمثل يازيد فانه بالاجماع منهم كلام وقدتركب من اسم وحرف والجواب ان هذه أسماء أفعال لان يا بمعنى أقبل كما ان صه بمعنى اسكت ومن قال انها أسماء أفعال خلص من هذا الايراد ولكن تعكر عليه الهمزة فانه مالهم اسم فعل من حرف واحد ومن قال انها حروف أجاب عن هذا الايراد بأن التقدير فى يافلان أدعو فلانا وأوردعليه ان يازيد صيغة انشاء ومتى قدر أدعو زيدا انقلب من الانشاء الى الاخبار واحتمل الصدق والكذب وهذا باطل فان من قال يازيد لايقال له صدقت ولا كذبت والجواب ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار لان المتكلم اذاقال بعت فهذا مشترك بين الانشاء والاخبار اذيحتمل ان يكون قد أخبر بأنه وقع منه بيع فى زمن ماض فيقال له كذبت ماوقع منك بيع أوصدقت وقع منك ذلك ومايصرف هذه الصيغة الى الانشاء أوالى الاخبار الا القرينة مثل مااذا كان انسان قد ساومه آخر وطلب منه البيع فيقول بعت فههنا تعينت الصيغة بالقرينة الى الانشاء قالوا سلمنا ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار ولكن قولنا يازيد خطاب مع زيد ومتى قدر أدعو زيدا انقلب الخطاب لغيره وهذا مشكل وقد استوفيت البحث فيه فى أول التعليقة على الحاجبية (رجع) المنادى منصوب الموضع واللفظ اما اذا كان علما مفردا مثل ياآدم بنى على الضم أومفردا ويراد بالافراد ههنا أن لايكون مضافا فان المنادى المضاف منصوب مثل ياعبدالله والا فالمجموع والتثنية غير مفرد وهو مرفوع تقول يازيدون ويازيدان فهذا منصوب الموضع وأما اذا كان غير مفرد أوعلم فانه منصوب اللفظ وانما بنى المفرد على الضم لانه أشبه المضمر والمضمر مبنى ووجه الشبه انه مفرد كما انه مفرد وانه مخاطب كالكاف فى أدعوك وأناديك وانه معرفة كما انه معرفة ولانه صار مع حرف النداء كالاصوات نحو حوب وهيد وهلا وعدس وانما بنى على حركة اشعارا بطروّ الحركة وتمييزاله على مالم يدخله الاعراب نحو ومن وكم واذ والاما بعدم الثبوت فى بنائه وانما كانت رفعا لانه لوكسر أشبه المضاف الى ياء المتكلم ولوفتح لأشبه المضاف اذانودى فى ياغلام زيد ولانه أعطى أقوى الحركات جبراله لما أخذ منه الاعراب فالمنادى ان كان معرفة بنى على الضم نحو ياالله يامحمد ياآدم وما أحلى قول ابن عنين

مال ابن مادة دونه لعفاته * خرط القتادة أومنال الفرقد

مال لزوم الجمع يمنع صرفه * فى راحة مثل المنادى المفرد

وان كان مضافا نصبت فقلت ياعبدالله ياغلام زيد فأما اذالم يكن معرفة ولا مفردا وهو نكرة

وقوله أيضا

ياأيها المغتابنا

جهلا بناوولدت عبدا

ليس الجمال بمئزر

فاعلم وان رديت بردا

ان الجمال معادن

ومناقب أورثن مجدا

أعددت للحدثان سا

بغة وعداء علندى

وحسام ذاشطب يقد

البيض والابدان قدا

كل امرئ يجرى الى

يوم الهياج بما استعدا

لما رأيت نساءنا

يفحصن بالمعزاء شدا

وبدت محاسنها التى

تخفى وعاد الامر جدا

نازلت كبشهم ولم

أرمن نزال الكبش بدا

كم ينذرون دمى وانذر

ان لقيت بأن أشدا

كم من أخ لى صالح

بوأته بيدى لحدا

ذهب الذين أحبهم

وبقيت مثل السيف فردا

قلت لولم يكن له الاهذه

القصيدة لاستحق بها

التقدم على بشر كثير وأما

الصمصامة فهى سيفه المشهور

قال عبدالملك بن عمير أهدت

بلقيس الى سليمان عليه

السلام خمسة أسياف وهى

ذوالفقار وذو النون

ومجذوب ورسوب والصمصامة

فأما ذوالفقار فكان لرسول

لم يقصد لها معين كقول الاعمى يارجلا خذ بيدى فانه ينصب وينون فتقول يارا كبا ياساهيا يانائما (رجع الى اعراب البيت واردا) نكرة غير مقصودة فلهذا نصب وهو اسم فاعل من ورد فهو وارد (سؤر) منصوب على انه مفعول به لاسم الفاعل (عيش) مجرور بالاضافة بمعنى اللام (كله) مرفوع على انه مبتدا والهاء فى موضع جر بالاضافة (كدر) مرفوع على انه خبر والجملة فى موضع نصب لانه صفة لسؤر وان شئت فى موضع جر لانه صفة لعيش وهو أحسن (أنفقت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (صفوك) منصوب على انه مفعول به لانفقت والكاف فى موضع جر بالاضافة (فى أيامك) فى هنا ظرفية متعلقة بانفق أيامك مجرور بفى والكاف فى موضع جر بالاضافة (الاول) مجرور لانه صفة لايام وقد تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) يامن ورد بقية عيش كله كدر لاى شئ ترد هذا الكدر والصفو قد انفقته وأفنيته فى ايامك السالفة وهذا الذى يسميه أرباب البلاغة التجريد وهو أن يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يستريح بمعاتبته وتعنيفه وتوبيخه وهذه عادة جارية لكل من آخذ نفسه فاخذ بوبخها ويعاتبها فيقول من قال لك تفعلين هذا ولم كنت اعتمدت هذا الامر الفاسد وأمثال ذلك (وقد) استعمل الشعراء ذلك كثيرا كقول الحيص بيص

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر
حكمت تصيب الشعر علما وحكمة * ببعضهما ينقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الـ * ـمعالى ومحيى الدارسات الغوابر
فانك أعييت المسامع والنهى * بقولك عما فى بطون الدفاتر

ومنهم من لا يقصر اسم التجريد على مخاطبة المتكلم غيره مريدا نفسه ولكن يجريه فى كل ما يصح ان يشتق له بان يكون قد جرد فيه شئ من آخر كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد أى الجنة والجنة هى دار الخلد ولكنه جرد من الدار دارا وقوله تعالى وهى قراءة على كرم الله وجهه يرثنى وارث وهو الوارث نفسه ولكنه جرد من الوارث وارثا وقول الشاعر

وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى * بمستلئم مثل البعير المرحل

يريد ويعنى من نفسى بمستلئم تجرد من نفسه مستلئما جعله مصاحبا له (رجع الكلام الى الصفو فى أيام الشباب) نعم ان الصفاء والعذوبة والهناء انما هى معصوبة بالشباب ومنهل الصبى رائق العيش هنى المورد عذب المذاق لذيذ المطعم فاذا أتى زمن المشيب كدر منهل العيش وغصص وارده بكره مذاقه وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ومنكم من يرد الى أرذل العمر وقال تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وقرئ ننكسه بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الكاف قال الشاعر

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

أخذه ابن شرف القيروانى فقال

ومن يطل عمره يفقد أحبته * حتى الجوارح والصبر الذى عيلا

وقال الآخر

ومن يعمر يلق فى نفسه * ما يتمناه لأعدائه

وقال الآخر

طول حياة مابها طائل * نغص عندى كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل فى مهده * تشابه المبدأ والمنتهى

الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومجذوب ورسوب للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب وحكى ان عمر ابن الخطاب قال لعمرو ابعث لى الصمصامة فبعث به اليه فلم يره كما بلغه فقال له فى ذلك فقال انى بعثت اليك الصمصامة ولم أبعث لك باليد التى تضرب به وحكى ابو عبيدة ان الصمصامة انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا بنى زبيد وكان خالد بن سعيد من جملة أمرائه اوقع بهم واسر ريحانة اخت عمرو ابن معدى كرب ففداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى ان صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط ارسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه فى السبيل محبسا فقال خمسون سيفا قاطعا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا واخذه فلما صار الى الهادى احضره وامر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من أبيات حاز صمصامة الزبيدى عمرو من جميع الانام موسى الامين

فلا تلم سعي اذا خانني * ان الثمانين وبلغتها

وقال ابن واصلة من شاب قدمات وهو حي * يمشي على الارض وهو هالك

لو كان عمر الفتى حسابا * كان له شيبه فذالك

وقال أبو العلاء المعري

وأطربني الشباب غداة ولى * فليت سنيه صوت يستعاد

وقال التهامي وطري من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطاري

وقال الارجاني

ارى بين أيامي وشعري قد بدا * لتعجيل اتلافي خلافا مجدد

فقد أصبحت سودا وشعري أبيضا * وعهدي بها بيضا وشعري أسود

وقال ابن افلح يعتذر عن الانحناء

قالوا انحنى كبرا فقلت سفاهة * لمقال من لم ينشد في قيله

سكن الحبيب شغاف قلبي ثاويا * فحنوت منعطفا على تقبيله

وقال الآخر يعتذر عن اللهو في المشيب

وقالوا انتبه من رقدة اللهو والصبي * فقد لاح صبح في دجاك عجيب

فقلت اخلائي دعوني ولذتي * فان الكرى عند الصباح يطيب

وقال ابن المعتز يعتذر عن المشيب

صدت سرير وازمعت هجري * وصفت ضمائرها الى الغدر

قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر

وقال أبو تمام الطائي

رأت تبسمه فاهتاج هائجها * وقال لاعجها للعبرة انسكبي

فلا يروقك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الرأي والادب

وما أحسن قول ابي تمام الملقب بالحجام

ليالي كان العيس غضا يظلني * نضيرا وماء الوعد غير مشوب

وعيني قد نامت بليل شبيبتي * ولم تنتبه الا بصبح مشيبي

وقال ابن سناء الملك يعتذر عن شيب الحبيب

ما شاب من كبر ولكن شيبه * من هاء ورد الريق او مسك اللما

لا يستوي شيبي وشيب معذبي * هذاك عن ري وهذا عن ظما

وقال أيضا في شيب الحبيب

جاء في غير وقته ذلك الشيب فعفاه ثوب اثمي بذيلي

ولقد زاده جمالا وحسنا * زادوحي من الغرام وويلي

ولقد طفل المشيب وقلنا * حسن الطفل ذا المشيب الطفيلي

وقال ايضا لقد شيبتني في الزمان خطوبة * ولا عجب ان شاب من شابه الخطب

ونور شيب في عذار معذبي * ولا عجب ان نور الغصن الرطب

وقال ايضا قالوا لقد شاب الحبيب * وشاب منه كل عزم

ما يبالي من انتضاء اضرب اشمال سطت به ام يمين ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى غلامه باغز التركي فقتله به ومن عند باغز انقطع خبره (وجملك الحرث على النعامة) فرس الحرث بن عباد التغلبي اكبر سادات بني وائل وهو الذي اعتزل حرب البسوس وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فلما قتل ولده نهض حينئذ وقال قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال يعني هذا الفرس ويكرر قوله قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة في هذه القصيدة وقد تقدم شيء من ذكره ويقال ان هذه الفرس كانت لحزز بن لوذان وهي التي يقول فيها يخاطب زوجته

ان الرجال لهم اليك وسيلة * أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

وأنا امرؤ ان يأخذوني عنوة * أقرن الى سنن الركاب وأجنب

ويكون مركبك القعود وحدجه * وابن النعامة يوم ذلك مركبي

يعني انك ان أسرت كانت لك وسيلة عند الرجال من كحلك وخضابك وأنا ان أسرت جنبت الى جانب فرسي فاكون راكب ظلها قال أبو عبادة النعامة عرق في باطن القدم ولذلك يقال

فاجبت من شرهى عليه أذوقه * فى كل طعم

وقال ايضا

يا عجبا منى ومن صبوتى * فى أول العمر بشيخ هرم

وحبه والله فى مهجتى * كالشيب فى لحيته مضطرم

وقال آخر

هذا الذى أعشقه شائبا * يمنى من قبل ما عذرا

هويته مذ لاح لى ورده * حتى غدا ريحانه مزهرا

وقال النور الاسعردى

لام العواذل اذ عشقت فتى له * سبعون عاما غير عام واحد

لا تعذلونى فى هواه فاننى * عاينت فيه لحة من والدى

وقيل لبعض أهل المجون علام لا تميل الى النسوان قال أذكر بها أمى فاستحى فقيل له هلا تذكر بذكره أباك وهذا الشاعر أخذ هذا المعنى فعكسه وانشدنى بعض اشياخى لنفسه وقال لى لا تروها عنى

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد

أخو العقل يدرى ما يراد من الذى * أمنت عليه من رقيب ومن صد

ألا اننى لو كنت أصبو لأمرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد

وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فرحت الى اصيابا بيضها وحدى

وانشدنى الشيخ الامام العلامة بهاء الدين محمد بن سيد الناس اجازة قال انشدنى الامام العلامة بهاء الدين بن النحاس لنفسه

قالوا حبيبك قد تبدى شيبه * فالام قلبك فى هواه يهيم

قلت اقصروا فالآن تم جماله * وبدا اشقا فتى عليه يلوم

الصبح غرته وشعر عذاره * ليل ونبت الشيب فيه نجوم

وما سمعت فى هذه المادة احسن من قول الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل رحمه الله تعالى

شب وجدى بشائب * من سنا البدر أوجه

كلما شاب يختفى * بيض الله وجهه

وقلت أنا

عشقت شيخا بديع حسن * لام على حبه العذول

كأن ياقوت وجنتيه * للشيب فيها حبال لولو

وقال ابن حريق البلنسى فى محبوبته

ان ماء كان فى وجنتها * شربته السن حتى نشفا

وذوى العناب من أغلها * فاعادته الليالى حشفا

وقلت أنا فى مليحة أسنت

قالوا اسلها قد ذوى عناب راحتها * وأنت رهن صبابات وتضليل

فقلت انت بسال حبها أبدا * وكلما كرنش العناب يحلولى

وقال أبو نواس فى معاجلة الشيب

واذا عددت سنى كم هى لم أجد * للشيب عذرا فى النزول براسى

وقال أبو فراس الحمدانى

عذيرى من طوالع فى عذارى * ومن رد الشبيب المستعار

للبيت شالت نعامته أى ارتفعت رجلاه وقولهم ان فرس الحرث بن عباد هى فرس خرز فيه نظر فقد قيل ان خرز بعد الحرث بزمان

* (ماشكت نفسك ولا سترت اباك ولا كنت الاذاك)

يعنى لو تجملت بهذه الذخائر لما تدلس على أمرك ولا خفى عنى نسبك الذى أعرفه قبل الآن

(وهبك ساميتهم فى ذروة المجد والحسب)

(وجاريتهم فى غاية الظرف والادب)

المساماة المماثلة فى السمو والذروة أعلى الشئ ومنه ذروة السنام والمجد التوسع فى الكرم والجلالة واصل المجد من قولهم مجدت الابل اذا حصلت فى مرعى كبير واسع وامجدها الراعى والحسب ما يعده الانسان من مفاخره ويحسبه من مفاخر آبائه قال ابن الاعرابى الحسب والكرم يكونان فى المرء وان لم يكن له آباء لهم شرف والظرف الكيس والادب جمع أنواع من المحاسن مأخوذ من المأدبة وهى الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمى الادب الجامع لفنون كثيرة كالنظم والنثر والعلم والادب

وما زادت على العشرين سنى * فاعذر المشيب الى عذارى

وما أحسن قول مهيار الديلمى

واذا عددت سنى لم آلك صاعدا * عدد الانابيب التى فى صعدتى
والام فيك مع المشيب على الصبى * يا جور لائمتى عليك ولمتى

وما أحسن قول القائل

ألا يا ساريا فى بطن قفر * ليقطع فى الفلا وعرا وسهلا
قطعت نقا المشيب وبنت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال ابن نقادة

ان كان قد أضحى المشيب ظالمى لا عجبا
أترب رأسى فعلمت أن طيى اقتربا
كذا الكتاب عاجلا * يطوى اذا ما أتربا

(رجع) الى ما يناسب قول الطغرائى قال ابن النبيه

فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مجت أواخره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره

وهو مأخوذ من قول الصابى

والعمر مثل الكاس ير * سب فى أواخرها القذى

ولما سمع ابن التعاويذى هذا قال

فمن شبه العمر كاسا يقر * رقذاه ويرسب فى أسفله
فانى رأيت القذى طافيا * على صفحة الكاس من أوله

وقال القاضى الفاضل

اليك بعد انقضاء اللهو واللعب * عنى فلم أرب ما يقتضى أربى
والعمر كالكاس والايام تمزجه * والشيب فيه قذى فى موضع الحبب
أقول اذ غاض منى فيض فضته * يا وحشتا لشباب ذاهب الذهب

وقال أبو عثمان الخالدى

لقد فرحت بما عاينت من عدم * خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الاعمى بحالته * لانه قد نجا من طيرة العور
ولست أبكى على شئ منيت به * يبكى على الشيب من يأسى على العمر
وما شكرت زمانى وهو يصعدنى * فكيف أشكره فى حال منحدر

قلت قوله لانه قد نجا من طيرة العور يشبه قول القائل

لم يكفنى فى الرزء خيبة مطلبى * حتى حرمت لذاذة الايناس
كالاعور المسكين أعدم عينه * واعتاض منها بغضه فى الناس

وما أحسن قول الآخر

والاعور الممقوت مع قبحه * خير من الاعمى على كل حال

ويشبه هذا قول أبى الطيب

والتفنن فى كل مقولة

(ألست تأوى الى بيت قعيدته لكاع اذ كاهم عزب خالى الذراع)

القعيدة امرأة الرجل كأنها مقاعدته ولكاع اللئيمة النفس مبنى على الكسر والعزب البعيد عن الزوجة مأخوذ من العازب فى طلب الكلا وهو المتباعد وخالى الذراع مثل خالى اليد كناية عن الفراغ والمعنى انك جامع للمحاسن لست مزوجا وكل من شئت من هؤلاء القوم الذين يختارون صحبتى عزب فكيف أفضلك عليهم وقوله الى بيت قعيدته لكاع هو نصف بيت من شعر الحطيئة وهو قوله

أطوف ما أطوف ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع

واسم الحطيئة جرول بن أويس بن مالك العبسى والحطيئة لقب وقع عليه قيل لقصره من الارض وقيل لانه ضرط يوما فقيل له ما هذا فقال انما حطأت حطيئة وكان من اكبر شعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام والغالب على شعره الهجاء وكان دنى النفس والهمة قدم المدينة فمشى اشرافها بعضهم الى بعض وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر

ان

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا * منها رضاك ومن للعور بالحول

ونقلت من خط محيي الدين بن عبد القاهر له

وأعور العين ظل يكشفها * بلا حياء منه ولا خيفه
وكيف يلقى الحياء عند فتى * عورته لا تزال مكشوفه

وقال أبو علي بن رشيق وكان أحول في نفسه وفي الطوسي الاعمى الشاعر وفي محمد بن شرف الاعور

لا بد في العور من تيه ومن صلف * لانهم يبصرون الناس أنصافا
وكل أحول يلقى ذا مكارمة * لانهم ينظرون الناس أضعافا
والعمى أولى بحال العور لو عرفوا * على القياس ولكن خاف من خافا

وما أحسن قول القائل

شمس الضحى يعشي العيون ضياؤها * الا اذا رمقت بعين واحده
فلذاك تاه العور واحتقروا الورى * فاعرف فضيلتهم وخذها فائده
نقصان جارحة أعانت أختها * فكأنما قويت بعين زائده

وقال محمد بن شرف يهجو حماما

كأنما حمامنا فقحة * النتن والظلمة والضيق
كأننا في وسطها فسوة * ألوطها والعرق الريق

فقال ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

وقد طرف القاضي الفاضل في قوله

ما كان يكمل حز الحمام حتى ازداد قبه
فكأنني فيه خرو * فشوا ومن فوقي مكبه

وما أظن القاضي الفاضل الا قصد هذا التشبيه والسبق اليه دون غيره لئلا يتخيله غيره وينظمه لانه كان أحدب قصيرا أوقص كما كان البهاء زهير يقصد مثل هذه الاشياء لما كان أسود قصيرا شنجا فيندب على نفسه ولا يدع أحدا يسبقه الى مثل ذلك وحكاياته في ذلك مشهورة وحكى القاضي السعيد أبو المكارم أسعد بن خطير بن مماتي قال دخلت يوما على القاضي الفاضل رحمه الله تعالى فوجدت بين يديه أترجة كبيرة مفرطة في الضخامة وهي من الاترج الشمعي فلما جلست حدقت اليها واتفق فكر وذهول فأخذ رحمه الله يتبادر على نفسه وقال يا مولاي الاسعد ما هذه الفكرة الطويلة ما أنت مفكر الا في خلق هذه الاترجة وما فيها من التكتيل والتعوج وتعجب من المناسبة لها وكيف اتفق الجمع بيننا وبينها فدهشت وانخلع قلبي مني خوفا ثم رجع الى خاطري فقلت لا والله بل أفكر في معنى وقع لي فيها ويسر الله أن نظمت فيها

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

قال فأعجباه واستحسنهما وانقطع الحديث قلت ولو صحف الفاضل رحمه الله تعالى قوله هيبة بهيئة بالياء آخر الحروف لتم له الذي أراده من ابن مماتي وتمت له الحجة التي قصد تركيبها

والشاعر يظن فيحقق فيأتي الرجل منكم فان اعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فاجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيأ من بينهم فجمعوا له أربعمائة دينار وأتوه وقالوا هذه صلة آل فلان وآل فلان وآل فلان فاخذها وظنوا انهم كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم وحكى أبو عبيدة قال مضى الحطيئة الى عبيد بن النهاس فسأله فقال ما انا على عمل فأعطيك ولا في مالي فضلة عن قومي فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا اخبث هجاء قال ردوه فردوه اليه فقال كتمتنا نفسك كأنك تريد العلل علينا اجلس ولنا عندك ما يسرك فجلس فقال له من أشعر الناس فقال الذي يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال عبيد هذا والله من مقدمات أفاعيك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فلا يطلب شيأ الا اشتريته فجعل يعرض عليه الخز والرقيق من الثياب فلا يريدها

وهذا من غريب الاتفاق وقال جبلة بن الايهم فى واقعته المشهورة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيها الحاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور

قال أبو الحسن بن سيده فى المحكم اراد العوراء فوضع المصدر موضع الصفة ولو أراد العور الذى هو العرض لقابل الصحيحة وهو جوهر بالعور وهو عرض وهذا قبيح فى الصنعة وقد يريد العين الصحيحة بذات العور فحذف وكل هذا يقابل الجوهر بالجوهر لان مقابلة الشئ بنظيره اذهب فى الصنعة وأشرف فى الوضع وما أحسن قول بعض المغاربة فى مليح أعور

بركات يحكى البدر عند تمامه * حاشاه بل بدر السما يحكيه
لم تذو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك بدائع التشبيه
فكأنه رام يغمض طرفه * ليصيب بالسهم الذى يرميه

ومن نظم أبى الفتح بن جنى وكان أعور رحمه الله تعالى

صدودك عنى ولا ذنب لى * دليل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيت * خشيت على عينى الواحده
ولولا مخافة ان لا أرا * ك لما كان فى تركها فائده

وقال بعضهم وكان أعور من اليمنى فمشى الى جانبه أعور من اليسرى

الم ترنا اذ اسرنا جميعا * الى الحاجات ليس لنا نظير
أسايره على يمنى يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

وقال الباخرزى

ولا تحسبوا ابليس علمنى الخنا * فانى منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناى لى وهو أعور

(فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل)

(اللغة) فيم تقدم الكلام عليها فى قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت اقتحامك قحم الامر قحوما رمى بنفسه من غير رؤية والمقحمة بالضم المهلكة واقتحم افتعل منه اقتحاما اللج معظم الماء وكذلك اللجة تركبه أى تعلوه يكفيك كفاه يكفيه كفاية أغناه واكتفيت به واستكفيته الشئ فكفانيه مصة مصصت الشئ أمصه مصا وكذلك امتصصته وهو فعل بالشفتين على مهل وفى الحديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا الوشل بالتحريك الماء القليل وفى المثل وهل فى الرمل أوشال (الاعراب فيم) أصله فيما وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فيم الاقامة البيت (اقتحامك) مصدر اقتحم وهو مرفوع على أنه مبتدأ والخبر تقدم فى الجار والمجرور لانه تضمن الاستفهام وله صدر الكلام والكاف فى موضع جر بالاضافة فى اللفظ وهى فى موضع الرفع بالمعنى لانه فاعل المصدر الذى أضيف اليه (لج) منصوب على انه مفعول به للمصدر (البحر) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (تركبه) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والهاء ضمير يعود الى البحر أو الى اللج وهو فى موضع نصب لتركبه والفاعل ضمير يرجع الى المخاطب والجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع نصب على الحال تقديره فيم

فيعرض الاكسية الغلاظ والكرابيس فيشترى بها ثم مضى فلما جلس عيينة فى نادى قومه أقبل الحطيئة وقال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا
فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ثم ركض فرسه وولى وحكى ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات قومه فورد فى سنة مجدبة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليؤدى ما اجتمع من الصدقة فلقى الحطيئة ومعه زوجته وبناته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة اين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وما تصنع قال وددت ان اصادف بها رجلا يكفينى مؤنة عيالى واصفيه مدحى ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك فى من يوسعك لبنا وسمنا ويجاورك أحسن جوار فقال الحطيئة هكذا وأبيك العيش فقال قد أصبته قال عند من قال عندى قال من أنت قال الزبرقان ابن بدر قال فاين محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسأل عن القمر يريد الزبرقان فانه من أسماء القمر وسمى به لحسنه وسر الى أم هند بنت صعصعة يعنى زوجته ففعل وأكرمته المرأة فبلغ ذلك بغيض بن

اقتحام لج البحر راكباله (وأنت) الواو للابتداء وأنت ضمير مرفوع بالابتداء (يكفيك) فعل مضارع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف لا يظهر فيه غير النصب والكاف في موضع نصب على المفعولية ليكفي وهو ضمير المخاطب والجملة في موضع رفع على انها خبر لأنت تقديره وأنت كافيك (منه) من هنا للتبعيض وهي متعلقة بيكفي والهاء مجرورة بها وهذا الضمير يرجع الى البحر فان قلت هل يجوز أن يعود الضمير الى اللج كما قلته في تركيبه قلت لا يجوز ذلك لان اللج داخل البحر فلابد من اقتحام اللج وركوب البحر حتى يصل الى اللج فيناقض هذا الاعراب المراد من البيت وهو يريد الانكار عليه في اقتحامه اللج لان القليل من البحر يكفيه منه المصة وهذا موجود في أقل جزء منه في الساحل (مصة) مرفوع على انه فاعل يكفي (الوشل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام وقوله وأنت يكفيك منه مصة الى آخره جملة حالية (المعنى) لأى شئ تقتحم البحر وتركب لجته وتصبر على أهوالها والغرض في الشاطئ لان المقصود شربة تمصها من الماء القليل لتسد عطشك وتروى ظمأك وهذا موجود في أي نغبة تمصها من أي نهر كان يعني ما المراد من الدنيا الا قيام الصورة لا غير وهو ما يقوم بهذا الجدمن المأكل والمشرب والملبس وهذا سهل يحصل بادنى تحصيل وأخف تكسب ولا يضطر مع هذا الى ركوب الاخطار ومكابدة الاهوال ومقاساة المشاق ومعاناة المتاعب

ومراد النفوس أحقر من ان * يتعادى له وان يتعانى

قيل ان الخليل بن أحمد رحمه الله أتى اليه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزا يابسا في ماء فاذا انتقع أكله فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له مادمت أجد هذين فاني لا احتاج اليه وقد أخذ الطغرائي يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد أن كان قد ثار واحتدم واحتد واضطرم وهذا هو الصحيح لان الامر أقل من هذا العناء كله وما أحق هذا المقام أن ينشد فيه قول القائل

ما الجزع أهل ان تردد نظرة * فيه وتعطف نحوه الاعناق

ومن كلام ابن سناء الملك رحمه الله تعالى سئمت من معانقة الآمال ومضاجعة الاماني وبرمت بمعاناة من عناني وأعياني ومللت صحبة الانتظار الذي أظماني وأضناني ورثيت لعيني من رؤية من يراني وكأنه ما يراني وعزمت على ان أتخلى واستريح وأسير وأسيح وأسكن الى كل راحة وأقلع بكل ريح وأضع يدي في يد الزمان وأطلب منه الامان وأتوب اليه من التحذلق عليه فانه سبب الحرمان فالامور مقدره والدنيا مكدره والاشياء لها غايات وللحاجات أوقات ويعجبني قوله نظما

تدعى العقل وهو أشرف ما فيك ولم صار داخلا تحت حسك
وكذا حبك الحياة وقد أصبحت لا تشتهي سوى طول حبسك
طالق النفس فهي أخون عرسيك ألست هي المشير بعرسك
واذا اختال فوق أرضك منك العطف فاذكر هوانه تحت رمسك
لا تغالط فما تنال رضى الله تعالى الا باغضاب نفسك
ما أهان الورى ولا ملك الدنيا ولا حازها سوى المتنسك

عامر بن شماس وكانوا يناسبون الزبرقان فأرادوه على جوارهم فأبى فدسوا الى امرأة الزبرقان أنه يريد أن يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت في حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى بني شماس فضربوا له قبة وضربوا له أثاثا وربطوا له بكل طنب حلة واراحوا عليه ابلهم وكسوه ثم ورد الزبرقان فقال ردوا على جاري فابوا وكاد يكون بينهم حرب فقال اهل الراى منهم خيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضا فصار يمدحهم وهم يطلبون منه هجاء الزبرقان فيمتنع الى أن ارسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضا فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا
في آل لاى بن شماس با كياس
لما بدالى منكم غش أنفسكم
ولم يكن لجراحي منكم آسى
ازمعت يأسا مبينا من نوالكم
ولن ترى طاردا للحر كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوائزه
لن يذهب العرف عند الله والناس

قلت ما أحلى ما أتى بالمتنسك هنا قافية فسقى الله ضريحه وروّح روحه وماكان ألطف ذوقه وأشب عمره الذى جعل الهلال طوقه وهذه القافية لايجيزها العروضيون ويحتجون بان الكاف أصلية وليست ضميرا كأخواتها وأنا وغيرى من أئمة الادب الذين لطف ذوقهم يرون ان هذه القافية بين نجوم القوافى كالشمس وهى التى فيها خفة الروح وماعداها فيه ثقل الرمس لانها قليلة الوقوع فى الكلام بخيلة بالزيارة وورد السلام قل أن يظفر الناظم من هذا النوع بقافية ويجد لها ثانية والاستقراء أمامك فاطلب لها أخوات واسلك من أرض اللغة عوجا وأمتا فان وجدت فبعد جهد وتعب فى النظم والنثر يؤديانك الى الزهد بخلاف أخواتها البواقى لانك تجد أمثالهن فى مطالع اللغة رواتى يعرف هذا القول أربابه ومن بينى وبينه نسبة أو تشابه وقال أبو العز مظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لى أجز هذا النصف
قد بلغ الشوق منتهاه

فقلت *وما درى العاشقون ماهو*
فقال *وانما غرّهم دخولى*
فقلت *فيه فهاموا به وتاهوا*
فقال *ولى حبيب يرى هوانى*
فقلت *وما تغيرت عن هواه*
فقال *رياضة النفس فى احتمالى*
فقلت *وروضة الحسن فى حلاه*
فقال *أسمر لدن القوام ألمى*
فقلت *يعشقه كل من يراه*
فقال *ريقته كلها مدام*
فقلت *ختامها المسك من لماه*
فقال *ليلته كلها رقاد*
فقلت *وليلتى كلها انتباه*

ثم ان مظفرا أكملها مديحا فيه وقد أوردت هذا الشعر لان فيه قافيتين لايجوزان على رأى أرباب العروض وهما أحسن مافى هذه القوافى الاولى ماهو والثانية انتباه انظرهما تجدهما أحسن القوافى ولو تركنا والعقل لكان ينبغى ان لاتعد القوافى الا اذا كانت غير متصلات بضمير مخاطب أو غائب أو متكلم لان فى ذلك شيأ من الايطاء وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

خذ الحديث عن المدا * مع فهى تروى عن قتاده
انى بديهى الدمو * ع وان دمعى لا يباده

وقول ابن بابك من أبيات

هو الربيع يخرس ان شمته * وان سمته خبرا خبرك
فلا ترعدنك دواعى الهوى * فطود المهابة قد وقرك
كأن لسانى قد ساقه * الى الجد أخذك ماقدترك

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر للزبرقان ما أرى هجوا ولكن معاتبة فقال الزبرقان أما تبلغ مروءتى الا أن آكل وألبس فقال عمر رضى الله عنه على بحسان فجىء به فسأله أهجاه قال لا بل سلح عليه بعد ان أكل الشبرم فأمر عمر بقطع لسان الحطيئة ليرهبه فقال ياأمير المؤمنين والله لقد هجوت أبى وأمى وزوجتى ونفسى فضحك عمر وقال ما قلت قال قلت فى أبى وأمى

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى
وأبا بنيك فساءنى فى المجلس

وقلت فى زوجتى

أطوف ما أطوف ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع

وقلت فى نفسى

أرى لى وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

فأمر به عمر فحبس فى بئر وغطاه فقال

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
حمر الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله ياعمر

فأخرجه ثم قال اياك وهجاء الناس قال اذا تموت عيالى جوعا فقال اياك والمقذع قال وما هو قال ان تخاير بين الناس قال أنت والله أهجى منى فسلمه الى

غبار تصدع عن فارس * يقطر من قسطل المعترك

نقلت هذه الابيات من ديوان بخط ابن خروف النحوى والقصيدة مثبتة فى حرف الراء وجدت ابن خروف قد كتب على الهامش هذا البيت فى قافية الكاف والذى بعده وترك والمعترك فى قافية الراء وهو غير جائز و يجوز الكل فى قافية الكاف وما احسن قول محاسن الشواء

فضلت الورى فى الحلم والعلم يافعا * و يظهر حسن الشئ مع قبح ضده

فكم من معان مشكلات شرحتها * تلجلج نطق المصقع المتبده

وقال ابن نباتة السعدى

لأسكنن الثرى للعدم معتنقا * وما وجهى به أصفى من المقل

بذلته لنيوت الاسد تأكله * كيما أعيش بعرض غير مبتذل

وقال أبو فراس بن حمدان

ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو انه عارى المناكب حافى

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافى

وقال ناصر الدين بن النقيب

ليس من بات معتقا لامانيه * كمن بات للامانى رقا

ان للمرء فى الحياة على الله * أن يموت قوتا ورزقا

خلنى من حديث كدوسعى * واضطراب فى الارض غربا وشرقا

ما الذى أقتنيه من عرض يفنى * اذا كان جوهرى ليس يبقى

وقال الشريف أبو الحسن العقيلى

وقائل ما الملك قلت الغنى * فقال لا بل راحة القلب

وصون ماء الوجه عن بذله * فى نيل ما ينفد عن قرب

(ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول)

(اللغة) القناعة الرضى بالقسم وقد تقدم الكلام عليه فى قوله والدهر يعكس آمالى البيت يخشى يخاف عليه يحتاج يضطر و يفتقر الانصار الذين ينصرون و يساعدون على الاهوال والانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة شرفهما الله تعالى وآووه وحاربوا معه أعداءه وآووه الذين هاجروا معه اليهم وآخوهم والمهاجرون الذين هاجروا معه صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وهم الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأولادهم واهلهم وأموالهم وتغربوا معه وهم بلاشك أفضل والانصار يلونهم فى الفضيلة لانهم تلقوه بالرحب والسعة والبشر والقبول ونصروه وأعانوه على بلوغ ما رامه من ابلاغ الرسالة واظهار الدين القيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى فالانصار لقب يقع على قبيلة الاوس والخزرج ابنى حرثة بن ثعلبة العنقاء لقب بذلك لطول عنقه ابن عمرو مز يقيا لقب بذلك لانه كان يمزق عنه كل حلة لئلا يلبسها أحد بعده ابن عامر بن ماء السماء لقب بذلك لسماحته و بذله كأنه ناب مناب المطر ابن حرثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق لقب بذلك لانه أول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رجعيم بن سليمان بن داود بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ

الزبرقان فشد فى عنقه حبلا فعارضته غطفان وسالته أن يهبه لهم ففعل ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى ان توفى فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما حضرته الوفاة قالوا له يا أبا مليكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فقالوا له أوص يرحمك الله قال أبلغوا أهل امرئ القيس أن صاحبهم أشعر الناس بقوله فيا لك من ليل فقالوا له أوص فقال

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه

قالوا ألك حاجة قال لا ولكن أخشى على المدح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا توصى للفقراء بشئ فقال بالالحاح فى المسئلة فانها تجارة لن تبور وااست المسؤل أضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه
على خير ما يجزى الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم
وصادف منا فى البلاد عريضا

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستغنى أن يكثر مادحيه وانه لو منع أو أساء اساءة واحدة لكانت له فى البلاد حسنات كثيرة

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وأنشدني بعض الافاضل لقاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى الثعلبي أبياتا منها

وما لي أنصار سوى فيض أدمعي * اذا بات من أهواه وهو مهاجر

و يعجبني قول ابن سناء الملك رحمه الله تعالى

أنا جد أنصار النبي لانني * يا أشهل العينين عبد الاشهل

(رجع) الخول خول الرجل حشمه الواحد خائل وقد يكون الخول واحدا وهو اسم يقع على العبد والامة قال الفراء جمع خائل وهو الراعي وقال غيره مأخوذ من التخويل وهو التمليك (الاعراب ملك) مرفوع على انه مبتدأ (القناعة) مجرور بالاضافة (لا) حرف نفي وهو وما دخل عليه في موضع الرفع لانه خبر المبتدا تقديره ملك القناعة غير مخشي عليه (يخشى) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم ورفعه ضمة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من خشيت وهو مغير لما لم يسم فاعله (عليه) على للاستعلاء معنى والهاء مجرور به وهو في موضع رفع لانه سد مسد مفعول ما لم يسم فاعله (ولا) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها لا حرف نفي (يحتاج) فعل مغير لما لم يسم فاعله والكلام فيه كالكلام في يخشى (فيه) في للظرف والضمير مجرور به وهو راجع الى الملك والجار والمجرور متعلق بالى والكلام في قوله فيه كالكلام في عليه (الى) حرف جر وهو لانتهاء الغاية (الانصار) مجرور بالى (والخول) معطوف على الانصار (المعنى) ان القناعة صاحبها ملك لانه في غنى عن الناس وفي ملكها مزية على ملك ما سواها من أمور الدنيا وهي انها غير محتاجة الى خدم ولا انصار ولا عساكر يحفظونها ولا يخشى عليها من زوال ولا اغتصاب لان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة والحفظ والاحتراز على نفوسهم من الاعداء والى العساكر ليحفظوا ثغور البلاد وحدود الممالك من العدو الذين يتغلبون عليها ويضطرون الى أموال ينفقونها في العساكر ليمونوهم بذلك ثم هم مع ذلك الهم والفكرة في تحصيل الاموال وتدبير الرعايا في خوف وخشية من زوال الملك اما بغلبة العدو واما بخروج أحد من الرعايا عن الطاعة واما بوثوب أحد من حشمهم وخدمهم وأقاربهم عليهم أو اطعامهم السم الى غير ذلك من الآفات والمخافات وحكي ان خالد بن برمك جد البرامكة لما طلبه السفاح أو المنصور ليقلده الوزارة دخل عليه فلما وقع نظره عليه قال أخرجوه وغضب عليه وكان كثير التطلع الى رؤيته فعجب الحاضرون من ذلك ورعا انه أمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين علام تقتلني قال لانك دخلت علي ومعك السم فقال يا أمير المؤمنين حاش لله وانما نحن معتادون بخدم الملوك ونخشى بادرتهم في وقت غضب فيمسك أحدنا ويعذب ونخاف طول العذاب فنضع لاجل ذلك تحت فص الخاتم سما فاذا رأينا ذلك امتص أحدنا ذلك ليموت خوفا من تطويل العذاب فعفا عنه وقلده الوزارة ثم قال له يا أمير المؤمنين من أين علمت ان السم معي قال انه في ساعدي دملجان اذا حصل في المكان الذي أنا فيه سم انتطحا في ساعدي فمن هناك علمت ذلك قلت كذلك وجدتها مسطورة بهذا المعنى وفي انتطاح الدملجين بعد كثير من العقل ولكن قال أصحاب الخواص ان قرن الحية اذا قارب الطعام المسموم عرق والله أعلم (رجع) وملك القناعة منزه عن هذه المشاق المتعددة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا في سربه

تكفيه ولا يصدق هاجيه

ومن محاسن شعره قوله

فتى غير مفراح اذا الخير مسه
ومن نكبات الدهر غير جزوع
كثير الندى ان تأته بصنيعة
الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في أبي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع
أرض العدو بؤس بعد انعام
من كل اجرد كالسرحان أبرزه
مسح الاكف وسقي بعد اطعام
مستحقبات رواياها جحافلها
يسمو بها أشعري طرفه سامي

الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع جحافلها على اعجاز الابل فكأن الحقائب لطولها فكأنها مستحقبة لها وكان الحطيئة قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش فقال تمت العدة فمدحه بهذه القصيدة فكتبه فبلغ عمر فلامه على ذلك فقال اشتريت عرضي منه فقال أحسنت وقوله

وفتيان صدق من عدي عليهم
صفائح أخرى علقت بالعواتق
اذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم
ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

(وقوله)

سيري أمام فان المال يجمعه
سيب الاله واقبالي وادباري

معافى بدنه معه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن أورع الناس ومن كلام ابن المعتز الزهد فى الدنيا الراحة العظمى ومنه طلاق الدنيا مهر الجنة وكان أبو حاتم يقول انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما أمس فلا يجدون لذته وأنا واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون هذا اليوم وأخذ هذا الكلام أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب الايام للحين

وقال أبو الفتح البستى وفيه جناس

قد مر أمس ولم يعبأ به أحد * من التواء وبوس مر أم رغد
وعندى اليوم قوت استعف به * وان بقيت غدا أصلحت أمر غد

وقال ابن عنين

الرزق يأتى وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وذكرت هنا ما ذكره ابن مسدى فى معجمه فى ترجمة أبى طالب محمد بن على بن على بن الخيمى الكاتب قال سمعته يقول وليت حوران فى قديم الزمان وكنت كثير الجوار لقبور بنى أيوب فأصابنى ضيق فرأيت فى النوم كأن فى قبورهم قبر شمس الدولة فقصدت اليه فوجدت قبرا عظيما مفتوح الباب وهو فيه مسجى بكفنه ومعى قصيدة امتدحه بها فأنشدته اياها فلما فرغت من انشادى استترعنى فى زاوية القبر وأخذ كفنه فرمى به الى فرأى فى وجهى أثر الندم والانكسار فعرف ذلك منى فأنشدنى

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا وأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودى شابه بخل * من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى * من كل ما ملكت كفى سوى كفنى

(رجع) قال ابن الساعاتى

كفى بملوك الارض جهلا حذارهم * وان ملكوا أن يسلب الملك عنهم
وهب جعلوا ما فى المعادن جملة * رهائن أكياس تشد وتختم
فلم يبق دينار سوى الشمس لم ينل * ولم يبق غير البدر فى الناس درهم
أليس أخو الطمرين فى العيش فوقهم * اذا بات لا يخشى ولا يتوهم

وهو مأخوذ من قول محمد بن غالب من رصافة بلنسية

صون الفتى وجهه أبقى لهمته * فما ازالتها الموقف الزارى
قنعت فامتد مالى فالسماء يدى * وبدرها درهمى والشمس دينارى

وأخذه شمس الدين بن الآمدى فعكس أصل المعنى وقال

وما يستوى من راح فى الناس ساريا * وآخر فى قطع من الليل مظلم
ولم يستقم للمرء يوما وليلة * بلا شمس دينار ولا بدر درهم

تسرى الى ضوء أحسابهم أضا لها
كما أضاءت نجوم الليل للسارى

(وقوله)

أتت آل شماس بن لأى وانما
أتاهم بها الاحلام والحسب العد
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم
من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جهل حادث
من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
شياطين فى الهيجاء مكاشيف للدجى
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلنى أبناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذى علمت سعد

(واين من انفرد به ممن لا غاب الاعلى الاقل الاخس منه) هذا تفسير لما تقدم من الكلام بان الذى تنفرد به العزب والذى يغلب على الاقل منه المتزوج والغالب الاستيلاء على الشئ كانها لا تستولى الاعلى فضل

وقال أبو اسحق الغزى

لاتحسبن لمن يهوى ويصعدفى * دنياه فالناس فى أرجوحة القدر
واقنع بعاقل فالاوشال صافية * ولجة البحر لاتخلو من الكدر

وقال أيضا

ياطالب الرزق فى الدنيا بحيلته * ان القناعة أضحت حلية الجمل
لاتحقرن طفيف الرزق وارض به * ماالغمر مجتمع الامن الوشل

وقال الحريرى اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وقال بعض الشعراء

اقنع بأيسر شئ أنت نائله * واصبر ولا تتعرض للولايات
فما صفا النيل الا وهو منتقص * ولا تكدر الا فى الزيادات

وقال بن طباطبا العلوى

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عمر القنوع المكتفى
ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند الشرف
كسراج دهنه قوت له * فاذا أغرقته فيه طفى

وقال آخر وهو أحسن لاختصاره وجناسه

خذ من العيش ما كفى * فهو ان زاد أتلفا
كسراج منور * ان طفا دهنه انطفا

وقال أمين الملك بن أبى حفص المنشى

لعمرك ان فضول المعاش * بذموم اعقابها لايفى
فان تك قد نلت قدر الكفاف * وصرت بميسوره تكتفى
فلا يحسدنك الا الملوك * لان القناعة ملك خفى

وقال عبد الحميد بن عبدون

يادهر أن توسع الاحرار مظلمة * فاستثننى ان غيلى غير مغروب
ولاتخل انى القاك منفردا * ان القناعة جيش غير مغلوب

وقال مؤيد الدين الطغرائى

لاتلتمس فضل الغنى انه * متلفة يشقى بها الحر
أماترى المرء له عبرة * فى صدف أهلكه الدر

قال ابن النحوى لما قدم أبو تمام قال له أبى ما أفدت فى سفرتك هذه قال أربعمائة الف درهم وأربعة أبيات أحب الى من المال قال أنشدنى اياها قال أنشدنى أبو نواس الحسن بن هانئ لنفسه

انى وما جمعت من صفد * وحويت من سبد ومن لبد
همم تصرفت الخطوب بها * فنزعن من بلد الى بلد
ياويح من حسمت قناعته * سبب المطامع عن غد فغد

ما بقى من زوجته
(وكم بين من يعتمدنى بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة الى واللذة الموقوفة على) كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المحبب للنساء حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال لما فتحنا بلد كذا من الروم سبيت امرأة منهم فواقعتها فى ليلة سبع مرات فقالت أكل العرب تفعل هذا قلت نعم قالت صدقت بهذا العمل نصروا علينا
(وبين آخر قد نضب غديره ونزحت بيره وذهب نشاطه ولم يبق الا ضراطه) الكلام معطوف على ماقبله وهذه الالفاظ كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من قول بعض العرب وقد أسن وسئل عن حاله فقال والله لقد ذهب منى الاطيبان وهم الجماع والنوم وبقى فى الارطبان وهما السعال والضراط
(وهل يجتمع لى فيك الا الحشف وسوء الكيلة) يعنى لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل للعرب يضرب فى الخلتين السيئتين يجتمعان ويقال انه لعمرو بن

لولم يكن لله متهما * لم يمس محتاجا الى أحد

وبروى عن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما

أغن عن المخلوق بالخالق * تغن عن الكاذب والصادق

واسترزق الرحمن من فضله * فليس غير الله بالرازق

من ظن ان الناس يغنونه * فليس من مولاه بالواثق

أوظن ان المال من كسبه * زلت به النعلان من حالق

وقال ابن أبى الصقر الواسطى

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق

وأنا قائل واستغفر الله * مقال المجاز لا التحقيق

لست أرضى من فعل ابليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق

وحكى ان أبا تمام لما دخل الى الحضرة وأقام بها مدة عزم على الانحدار الى البصرة وقيل الى واسط فورد عليه كتاب عبد الصمد بن المعذل وفيه

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال

لست تنفك راغبا فى وصال * من حبيب أو طالبا لنوال

أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فكر راجعا وقال لا أدخل بلدا فيها مثل هذا الشاعر على أن هذه الابيات اختلف الرواة فى قائلها وفى أسبابها وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم الاسعردى وان لم يكن من هذا الباب ومن خطه نقلت

أنت بين اثنتين بالجل يعقو * ب وكلتاهما مقر السياده

لست تنفك راكبا وعبد * مسبطر الأوحام لاخف غاده

أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

وقال قاضى القضاة نجم الدين بن العديم رحمه الله تعالى رأيت فى نومى كأنى داخل الى بلدة صغيرة فقيل لى ان نجم الدين محمد بن اسرائيل كاتب عندوالبها فعملت فى النوم ارتجالا

الى كم ذا تغربك الليالى * وتبدى منك حالا بعد حال

فطورا شيخ زاوية وفقر * وطورا كاتبا فى باب وال

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

مالى اذل وللقناعة عزة * أنجو بها من ذلة وهوان

وأصون وجهى أن يذل لاوجه * منحوتة من عالم الصوان

والقوم كالاصنام والاسلام * نزهنى عن الاصنام والاوثان

وقال أبو عبد الله الحسين المنعوت بالبارع وقد تقدم

قد تعففت واقتنعت بتدفيع * زمانى وقلت انى وحدى

لا لانى أنفت مع ذا من الكد * ية أين الكرام حتى أكدى

ومن هذه المادة قول عمارة اليمنى

وأحق الانام بالذم جيل * بين أبنائه كريم يهان

معدى كرب والحشف أردى التمر والكيلة فعلة من الكيل وهى تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة فليعلم ذلك * (ويقترن على بك الا الغدة والموت فى بيت سلوليه) * هذا مثل آخر فى معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفنى عامرا بما شئت فظهر فى رقبته غدة مات منها فى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلوليه وقد تقدم خبره * (تعالى الله ياسلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال) * هذا البيت لابى العتاهيه واسمه اسمعيل بن القاسم ابن سويد مولى عنزة ومنشاه

أصبح الجود قصة عند قوم * مستحيل في حقها الامكان
كذبوني بواحد يهب الالـ * ـف واني من السماع العيان

قلت هذا على أنه القائل في رثاء أهل القصر في قصيدته اللامية أتيت مصر فأواني خلائفها البيتين وقد تقدم وقال أبو الرضى الفضل بن منصور الظريف

يا قالة الشعر قد نصحتكم * ولست أدهى الامن النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي * ذاك أمور طويلة الشرح
صونوا القوافي فما أرى أحدا * يعثر فيه الرجاء بالنجح
وان شككتم فيما أقول لكم * فكذبوني بواحد سمح

وحكى صاحب الاغاني عن مخارق قال لقيت أبا العتاهية على الجسر فقلت له يا أبا اسحق أنشدني قولك في تبخيل الناس كلهم فضحك وقال هنا قلت نعم فأنشدني

ان كنت متخذا خليلا * فاستنق واتخذ الخليلا

وساق الابيات صاحب الاغاني ومنها

فاضرب بطرفك حيث شئـ * ـت فهل ترى الا بخيلا

فقلت له افرطت يا أبا اسحق فقال فديتك فأكذبني بجواد واحد فأحببت موافقته والتفت عيناه وشمالا فقلت ما أجد أحدا فقبل بين عيني وقال فديتك يا بني لقد رققت حتى كدت تشرب انتهى ويقال ان بعض السؤال اجتاز بقوم يأكلون فقال السلام عليكم يا بخلاء فقالوا له أتقول انا بخلاء فقال كذبوني بكسرة (رجع) ومما قلت أنا في القناعة

يقول الزمان ولم يستمع * لمن طالب الرزق أوامله
أنا حرب من جد في كسبه * ومن يقتنع تعصبت له

وقلت أيضا

اذا ملك الانسان ثوب قناعة * ترشف كاس العز في الناس سائغه
ولم يخش من فقر رمته سهامه * لان عليه نعمة الصبر سابغه

وقلت أيضا

لا تسأل الناس فاني امرؤ * ما طاب لي عرف من العرف
واقنع ولا تجمع حطاما فكم * في الدهر للدينار من صرف

وقلت أيضا

هو الرزق ان وافاك سعيا فهين * وان تأته في غيضه فعويص
على ان من الغاه نال منال من * يغور على تحصيله ويغوص

وقلت أيضا

تطلبت رزقي بالقناعة في الورى * ولم ابتذل من أجل قوتي قوتي
وما خفت ضيق السبل في طلب الغنى * رتعت بأمن في مروط مروتي

وقلت أيضا

لا يعرف الدهر احياء وأمواتا * أخانهم أمل في النفس أم واتى
فنزه النفس عن مال وعن أمل * قد أتعباها ولا تجزع لما فاتا

الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع شعرهم لكثرته بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف تقول الشعر قال ما أردته قط الا تمثل لي فآخذ منه ما أريد وأترك ما لا أريد وكان أبو نواس يقول ما رأيته قط الا تمثل لي انه سماوي واني أرضي وأكثر شعر أبي العتاهية في الزهد وكان قد تنسك وتزهد الى أن مات قال أحمد بن الحرث كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعالى خلق جوهرين متضادين لا من شئ ثم ان الله تعالى بنى

فالمـــن تتقاضاه منيته * الا الى ذلك الميقات ميقاتا

وقلت فى القناعة غزلا

ان غاب من أحبتـه عن مجلسى * ليذوب قلب الصب من حسراته
احضرت لى وردا وكأس مدامة * وشربت ريقته عـــلى وجناته

وأبلغ من هذا قول أبى نواس

ألم ترانى أفنيت عـــرى * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجـــد شيئا اليها * يقربنى وأعيتنى الامور
حججت وقلت قد حجت عنان * فيجمعنى واياها المسير

وهو مأخوذ من قول بعضهم

أليس الليل يجمع أم عمرو * وايانا فذاك بنا تدان
وتنظر للهلال كما أراه * ويعلوها النهـار كما علانى

وقال ابن المعتز

ألست أرى النجم الذى هـو طالع * عليـك فهـــذا للمحبين نافـع
عسى يلتقى فى الافق لحظى ولحظها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

وقال آخر

يقابل نجم الافق طرفى لعله * يرى طرف محبوبى فيلتقيان
وأطمع قلبى أن يفوز بقربه * ألست تراه دائم الخفقان

وحكى أن بعضهم رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت الطاقة الى أن أعيى وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحفة وقال دعى سيدتك تبول فى هـذه الصحفة فبالت له فيها وقالت للجـارية اتبعيه وانظرى مايصـنع بذلك فلم يزل الى أن دخـل الى بعض الخرابات فوضـع ايره فى ذلك البول وقال يامشئوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرقة فصار ذلك مثلا وقال ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء روينا ان هدهـدا قال لسليمان أريد أن تكون فى ضـيافتى فقـال له سليمـان أنا وحـدى فقال لا بل مع العسـكر كله فى جزيرة كذا فى يوم كذا فضى سليمـان وجنوده الى هنـاك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بهـا فى البحر وقال يانبى الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمـان وجنوده من ذلك حولا كاملا انتهـى قلت وقـد نظم بعضهـم هذا المعنى فقـال

وكن قنوعا فقد جرى مثـلا * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

وقال بعض أرباب المجون السحق والبدال والجلد من القناعة وقال الشاعر

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفا * فعـزاء يامعشر الفساق

فأجاب الآخر

اذا اجتزأ المرد بالبدال * وساحقت ربة الحجـال
وضعت كفى على قدى * أصلحـه ثم لا أبالى

العالم هذه البنية منهـما وان العالم حديث العين والصفة لا يحدث له الا الله وكان يزعم ان الله سـيعيد كل شئ الى الجوهر بن المتصـل ابن قبـل ان تفنى الاعيان جميعا وكان يقول بالوعيـد وتحـريم المكاسب وكان يتشيـع على مذهب الزيدية ولا ينتقص أحدا ولا يرى الخروج على السلطان وكان مجبرا حدث الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة بن أشرس بين يدى المأمون وكان كثيرا ما يعارضه بقوله فى الاخبار أسالك عن مسـئلة فقال له المأمون عليك بشعرك فقال ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى مسئلتى ويأمره بأجابتى فقال أجبـه اذا سال قال أنا

وقال محاسن الشواء

يارب لاتخرس حماة فاهلها * دون البلاد أرامل عزبان

أخذ البغاء رجالها فتساحقت * نسوانها وتبادل المردان

وقال الآخر

لاعدمنا عميرة ابنة كف * انها تسعف المحب الشجيا

نقدها الريق ثم لامهر الا * دلوماء ان لم تكن دهريا

وقال الآخر

جلدت يوما عميرة عبشا * وكان فى ذاك منية النفس

فصنت مالى وماشممت خراجشر ولاخضت فى دم الكس

وقال النور الاسعردى

أرى النحوى زيدا اذا اجتهاد * جزى الرحمن بالخيرات غيره

تراه ضاربا عمرا نهارا * ويجلد ان خلا ليلا عميره

وقال آخر مضمنا

عاقبت ايرى الذى أشوقه * بكل خير غدا يرتجيه

فكلما قام قمت أجلده * وذاك ذنب عقابه فيه

وقال الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال

لى عدو يقوم منى بلارجل مقام المحير المرتاب

باكيا كالمصاب أبكى عليه * وعناء صلاح عقل المصاب

كل يوم أنكيه جلدا الى أن * قد غدا قائما بغير اهاب

جلده هين ولا أجلد الحد لى تلكم الامور الصعاب

وكانت بعض الجوارى قد اكتفت بالنساء بدلا من الرجال فراودها رجل عن نفسها فقالت أنا ما أختار الصحابى على النبى تريد بذلك قول الشاعر

وليس على فى هذا ملام * اذا اخترت النبى على الصحابى

فالنبى اسحق والصحابى الزبير وقيل لاخرى ارجعى الى الحق فقالت ان الحق بعض مرادى تعنى ان السحق بعضه الحق وقال بعض الشعراء

مغرمة بالنساء بهلا * تحنو عليهن كل حين

ما أتقنت فى الفنون الا * تضيف اسحق فى حسين

(ى)

وقال آخر

أما والله لو يلقاك ايرى * قبيل الصبح فى ظلماء بيت

لما فارقته حتى كأنى * أرى شفريك فى معصار زيت

وكنت ترين ان السحق شؤم * وان الشأن فى هذا الكميت

ويقال ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحق وقد اجهدتا أنفسهما فجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال بأبى وأمى انتما هذا عمل يريد الرجال والجبال وما أحلى قول القائل

أقول ما يفعله العباد من خير وشر فهو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك فمن حرك يدى هذه وجعل أبو العتاهية يحركها فقال له ثمامة حركها من أمه زانية فقال شتمنى والله يا أمير المؤمنين فقال ثمامة ناقض الماص بظر أمه فضحك المأمون وقال ألم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة فلقينى فقال لى يا أبا معن أما أغناك الجواب عن السفه فقلت ان أتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ وانتصر من الجاهل وحدث أبو شعيب صاحب ابن أبى دواد قال قلت لابى العتاهية القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق قال

جرح يريد القتيله * ايش تنفع اللزقات

وقال بعضهم

رجلي وكفي لاعدمت كليهما * بهما أصول على الزمان وأعتدي
أمشي على هذي وأنكح هذه * فطيتي رجلي وجاريتي يدي

وكتب الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنا برحبة مالك بن طوق كتابا ومنه وما حال مولانا مع من استجده من صاحب وخدين وأهل رفاء وبنين وسا هذه المداعبة لاخباره التي لايزال فعل وعدها يستصحب السنين فكتبت اليه في الجواب وأما سؤال مولانا عما استجده المملوك من صاحب وخدين وأهل رفاء وبنين فوالله ما رأيت في الرحبة الى الآن قرينة الا من السجع ولا جارية الا من الدمع والفراش عاطل والامكان مماطل ومطيتي رجلي وجاريتي يدي كما قيل

مقل من الاهلين يسر واسرة * كفي حزنا بين شت واقلال
(ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل)

(اللغة) الرجاء ممدود الامل رجوت رجوا ورجاء ورجاوة وترجية وارتجيته وترجيته كله بمعنى رجوته وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون عظمة الله تعالى البقاء بقي الشيء يبقى بقاء وكذلك بقي الرجل زمانا طويلا وبقي من الشر بقية والباقية توضع موضع المصدر قال الله تعالى فهل ترى لهم من باقية بدار الدار مؤنثة وقوله تعالى ولنعم دار المتقين ذكر على معنى المثوى والموضع كما قال تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فأنث على المعنى أي وحسنت الجنة مرتفقا كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا أي ساءت النار مرتفقا وأدنى العدد أدؤر فالهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة ولك أن لا تهمز والكثير ديار مثل جبل وأجبل وجبال ودور أيضا مثل أسد وأسد والدارة أخص من الدار قال امية بن الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادي

ويقال ما بها دوري وما بها ديار أي واحد وهو فيعال من درت وأصله ديوار والواو اذا وقعت بعد ياء ساكنة قبلها فتحة قلبت ياء مثل أيام وقيام ودار الشيء يدور دورا ودورانا لا ثبات لها أي لا بقاء لها الظل لغة الفيء وهو ما أظلك من سحاب ونحوه وظل الليل سواده يقال أتانا في ظل الليل قال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهول معسفه * في ظل أخضر يدعو هامة البوم

وهو استعارة لان الظل في الحقيقة انما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل وقال اصحاب العلم الطبيعي الظل مطلقا هو الضوء الثاني ومعنى ذلك ان النير اذا ارتفع عن الافق استضاء الهواء باثبات الشعاع فيه فهذا هو الضوء الاول فاذا حجب هذا الضوء حاجب كان ما وراء ذلك الحاجب ضوأ ثانيا بالنسبة الى الضوء الاول لانه مستفاد منه وهذا الضوء الثاني هو الظل ومنه مبسوط ويقال مستو أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة القائمة على سطح الارض كظل الشخص الماشي من اشخاص البشر وغيرهم أو الشخص الواقف كالنخل وغيرها من الاشجار ومنه منكوس ويقال معكوس أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة

سألتني عن الله أو عن غير الله قلت عن غير الله فامسك واعدت عليه فاجابني هذا الجواب حتى فعل ذلك مرارا فقلت مالك لا تجيبني قال قد اجبت ولكنك حمار وحدث ثمامة بن أشرس قال كان أبو العتاهية شديد البخل فأنشدني ذات يوم أبياتا له في ذم البخل يقول فيها
ألا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه
فقلت له من أين أخذت هذا القول قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فامضيت فقلت له أتؤمن بهذا القول انه حق قال نعم قلت فلم تحبس عندك أكثر من

الواقعة فى سطح الافق كظل الشخص القائم على السطح القائم على بسيط الافق كوتد خارج
من حائط منه مايعبر عنه بالمستعمل وهو وماعداهذين كوتد قائم على سطح مائل عن الافق
أو على سطح كرة او اسطوانة أو مخروط أوما أشبه ذلك وذكرت هنا مانظمته فى مليح يشتغل
بعلم الوقت وهو هذان البيتان

أهواه مشتغلا بعلم الوقت ذا * حسن بديع فى الانام نفيس
وكأن شمس جبينه لما استوت * جاء العذار بظلها المنكوس

والعرب تزعم ان ظل القناة أطول الظلال تقول يوم أطول من ظل القناة ويزعمون ان ظل
الوتد أقصر الظلال فيقولون أقصر من ظل الوتد ولهذا قال الشاعر

فهذا طويل كظل القناة * وهذا قصير كظل الوتد

ويرون ان ابهام القطاة أقصر الاشياء كما قال ويوم كابهام القطاة وقال الآخر

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقال عبد المحسن الصورى ملغزا فى الظل

لى صاحب لا أستطيع فراقه * مالى بسىء وماله احسان
بيناتراه وقد تقاصر طوله * حتى يطول كأنه شيطان

(رجو) غير تقدم الكلام عليه منتقل متحول (الاعراب) ترجو فعل مضارع مرفوع وعلامة
رفعه ضمة مقدرة على آخره لكونه معتل الطرف بالواو وأصله أترجو فحذفت همزة الاستفهام
وهو جائز كقول عمرو ابن أبى ربيعة المخزومى

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع وهو كثير فى الشعر ومن الذهول فى المحبة وشغل القلب قول المجنون

فوالله ما أدرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

وكثير من الناس يمر على سمعه هذا البيت ويظنه من باب المغالاة فى شغل القلب بالحب
والذهول عن شأن المحب وعدم الالتفات الى ماسوى الفكرة فى المحبوب وليس كذلك بل
الشك الذى تردد بين الثنتين والثمانية لسبب يختص بهما دون ماعداهما من الاعداد
الممكنة وذلك انه كان يعلم من نفسه كثرة السهو بسبب اشتغال فكرته لغيبة لبه فكان يثنى
أصابعه لعدد الركعات ثم انه مع ذلك يذهل فلا يدرى هل الاصابع التى ثناها هى التى صلاها
أو الاصابع المفتوحة فاذا وجد أصبعين قد ثنيتا كان ذلك محتملا لان يكون قد صلى ركعتين
بعددهما أو بعدد الاصابع المفتوحة وهى ثمانية وما أحسن قول القائل

أفرط نسيانى الى غاية * لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة * مهمة ضمنتها طرسا
وصرت أنسى الطرس فى راحتى * وصرت أنسى أننى أنسى

وذكر أصحاب الخواص والتجارب أشياء تورث النسيان وقد نظمها الشيخ علم الدين السخاوى
رحمه الله تعالى فقال

توق خصالا خوف نسيان مامضى * قراءة ألواح القبور تديمها
واكلك للتفاح ان كان حامضا * وكزبرة خضراء فيها سمومها

عشرين بدرة لانا كل منها
ولا ننفقها ولا نقدمها ذخر
اليوم فاقتك فقال يا أبا معن
والله ان ما تقول هو الحق
ولكنى أخشى الفقر والحاجة
الى الناس قال وبم تزيد حال
من افتقر على حالك وأنت
دائم الحرص والجمع والشح
على نفسك لا تشترى اللحم
الا من عيد الى عيد فترك جواب
كلامى كله ثم قال والله لقد
اشتريت فى يوم عاشوراء لحما
وتوابله وما يتبعه باربعة
دراهم فلما قال هذا القول
أضحكنى وأذهلنى وعلمت
انه ليس ممن شرح الله صدره
للاسلام وتوفى سنة ثلاث
عشرة ومائتين ببغداد هو
وابراهيم الموصلى وأبو عمرو
الشيبانى فى يوم واحد وقيل

كذا

كذا المشى ما بين القطار وجمل الشقفاء ومنها الهم وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء فى الماء راكدا * كذلك نبذ القمل حين تميطها
ولا تنظر المصلوب والماء راكدا * وأكلك سؤر الفار وهو تمممها

قال حماد بن الزبرقان حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كنت لا أحفظ القرآن فانفت أن أجىء لمن يعلمنى فحفظته من المصحف فى شهر واحد ثم قبضت يوما على لحيتى لأقص ما فضل عن قبضتى فنسيت وقصصت من أعلاها ما فوق قبضتى فاحتجت ان أجلس فى البيت سنة الى أن استوت وقد روى هذه الواقعة الخطيب فى تاريخه أنها وقعت لأبى المنذر هشام بن الكلبى النسابة فقال قال كان لى عم يعاتبنى على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام ونظرت يوما فى المرآة الحكاية ذكر ذلك ابن خلكان فى وفيات الاعيان ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم فى ما يج ينسى كثيرا

بروحى الذى نسيانه صار عادة * وأفرط حتى كاد يعدمه الحسا
فلو أنه بالهجر أضحى مهددى * لما ساءنى علما نه أنه ينسى

وعلى ذكر قص اللحية فقد ذكرت الحكاية المشهورة عن بعض المغفلين قال نظر بعضهم فى كتاب الفراسة فوجد أن من كان طويل اللحية صغير الرأس طويل اللحية فانه يكون قليل العقل فاخذ المرآة وقال أما رأسى فصغير ولا حيلة لى فى كبره وأما قدى فطويل ولا حيلة لى فى قصره وأما اللحية فيمكن تقصيرها فقبض على لحيته وقرب السراج الى فضل ما زاد عن قبضته ليحرق ذلك فلما وصلت النار الى يده نزعها من لحيته هربا من النار فأتت النار على لحيته جميعها وعاد كالا فكتب على ذلك الكلام باب صحيح مجرب وقال المأمون ما طالت لحية رجل الا وقد تكوسج عقله (رجع) والفاعل لترجو ضمير مستتر فيه تقديره أنت و(البقاء) منصوب على انه مفعول به لترجو (بدار) جار ومجرور والباء هنا ظرفية معناه البقاء فى دار (لا) هذه هى لا التى لنفى الجنس وقد تقدم الكلام عليها فى قوله فلا صديق البيت (ثبات) مبنى على الفتح لانه اسم لا (لها) جار ومجرور متعلق بالخبر المحذوف وتقديره لا ثبات موجود لها والضمير يعود الى الدار (فهل) الفاء للتعقيب وهل حرف استفهام (سمعت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (بظل) الباء للتعدية وهى متعلقة بسمعت (١ غير) صفة لظل فهو مجرور لذلك فان قلت غير مضاف والمضاف معرفة وظل نكرة فكيف توصف النكرة بالمعرفة قلت غير لا تتعرف بالاضافة لانها وضعت مبهمة وقد تقدم الكلام على مثل هذا (منتقل) مجرور بالاضافة الى غير (المعنى) أترجو الخلود والبقاء بدار هى فى نفسها لا بقاء لها وهى أشبه شئ بالظل فى كونها وسادها بينا هى كائنة اذا هى فاسدة تفصيلا فى الحوادث الكائنة وجملة بخراب هذه الدار وحصول القيامة وأخذ يضرب له مثلا فى الخارج فقال له مستفهما هل سمعت بظل غير منتقل وهذا الزام له لانه يضطره الى ان يقول لا ما رأيت لان الظل مستفاد من حركة الشمس وهذه الحركة لا وقفة لها فالظل فى انتقال أبدا منتسخ لا يستقر على حالة بين طول وقصر واخذ فى التنقل قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا فهو اما ان يريد بالدار كناية عن حياة كل فرد من أفراد هذا النوع واما ان يريد به فناء هذا العالم واياما كان فلا ثبات له ولا بقاء فالخلود متعذر

له عند موته أى شئ تشتهى قال ان يأتى مخارق ويضع فمه على أذنى ويغنينى قولى
ستعرض عن ذكرى وتنسى مودتى
ويحدث بعدى للخليل خليل
اذا ما انقضت عنى من الدهر مدتى
فان غناء الباكيات قليل

ومن محاسن شعره قوله
جزى البخل عنى صالحة عنى لخفته على فكرى
ما فاتنى خير امرئ جاءت منى يداه مؤنة الشكر
(وقوله)
عذيرى من الانسان لا ان جفوته صفا لى ولا ان كنت طوع يديه
وانى لمحتاج الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

(١) قوله فان قلت الخ غير هنا مضافة الى نكرة فلا يرد هذا السؤال

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

وأما خراب هذه الدار فقد نطق القرآن الكريم به في عدة مواضع من ذلك قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الآية وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض الا أنها تغيرت في صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتفجر أنهارها وتستوي فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن مسعود تبدل بارض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة قال الامام فخر الدين رحمه الله اعلم ان التبديل يحتمل وجهين أحدهما ان تكون الارض باقية وتبدل صفتها بصفة أخرى والثاني أن تفنى الذات وتحدث ذات ثانية والدليل على أن اطلاق لفظ التبديل لارادة التغيير في الصفة جائز أنه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا أنت سويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويقال بدلت قميصي جبة أي نقلت العين من صفة الى صفة أخرى ويقال تبدل زيد اذا تغيرت أحواله وأما ذكر التبديل عند وقوع التبديل في الذات فكقولك تبدلت الدراهم دنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين فاذا عرفت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين ففي الآية قولان الاول المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات وذكر قول ابن عباس ورواية أبي هريرة رضي الله عنهم وقوله والسموات اي وتبدل السموات بانتثار كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وكورها فتارة تكون كالمهل وتارة كالدهان القول الثاني ان المراد تبديل الذات وذكر قول ابن مسعود رضي الله عنه فهذا شرح هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول قال لان قوله يوم تبدل الارض غير الارض المراد هذه الارض فالتبديل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة يكون الموصوف موجودا فلما كان الموصوف بالتبديل هو هذه الارض وجب كون الارض باقية عند حصول ذلك التبديل ولا يمكن ان تكون هذه الارض باقية وذلك لأن التبدل مع صفاتها وجب ان يكون الباقي هو الذات لان هذه الآية تقتضي كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون عند قيام القيامة لا يعدم الله الذات والاجسام وانما يعدل الصفات وأحوالها والله اعلم بمراده واعلم انه لا يبعد أن يقال ان المراد من تبديل الارض والسموات هو أن الله سبحانه وتعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين والله أعلم اه كلام الامام رحمه الله تعالى قلت اذا تركنا وظاهر الآية دلنا على ان الارض تبدل بأخرى غيرها في ذاتها لانه قال غير الارض كما قال تعالى بدلناهم جلودا غيرها ومن المعلوم أن الجلود تبلى وتفنى بالاحراق والعذاب فلو قال تعالى تبدل الارض وسكت لجاز أن يكون المراد ان صفتها تبدل وقد علل الشيخ علاء الدين بن النفيس رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها برسالة ماذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل عارض بها رسالة حي بن يقظان التي للرئيس ابن سينا فذكر سبب خراب هذه الدار وفساد هذا العالم وظهور الآيات التي جاءت في السنة في آخر الرسالة فقال ما معناه ملخصا واذ قد ثبت ان ميل الشمس الى الشمال والجنوب يتناقص دائما فاذا بطل هذا الميل او قرب منه صارت

الشمس

كان المأمون رحمه الله تعالى يقول خذوا مني الخلافة وأعطوني هذا الصاحب وقوله

ان المطايا تشتكيك لانها
قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفة
واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

(وقوله)

كأنك عند الكر في الحرب انما
تفر من الصف الذي من ورائكا
فآفة الابطال غيرك في الوغى
وما آفة الاموال غير حبائكا

(وقوله)

بكيتك يا علي بدمع عيني
فلم يغن البكاء عليك شيا
وكانت في حياتك لي عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقوله)

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس
وان تسترت بالاقفال والحرس

الشمس دائمة المسامتة لخط الاستواء أو ما يقرب منه فلذلك تحدث حرارة شديدة جدا و يحدث
فى البقاع التى لها عرض بعيد برد مفرط فتفسد الامزجة و تضعف القلوب و يكثر موت
الفجأة و تسوء الاخلاق فتفسد المعاملات و تكثر الشرور و المخاصمات و تكثر الحروب و الفتن
و يتقدم الاشرار و تفسد الاذهان و بفسادها تبعد الناس عن قبول العلوم و الحكمة فلذلك
يقبض العلم ثم اذا بطل ميل الشمس جدا اشتد الحر فى البقاع القريبة من خط الاستواء و كثرة
النيران و اللهيب خاصة فى البلاد الغورية و الكبريتية فلذلك تحدث نار بارض العين و تمتد
حتى تعم الارض التى عند خط الاستواء فحينئذ تكثر الادخنة و تتولد الصواعق و البروق
الهائلة و الرياح الرديئة و يظلم الجو و يكدر و يلزم من ارتفاع ذلك عن ارض خط الاستواء و ما
يقرب منه ان يقل جرم الارض هنالك و يثقل ما يقابل القطبين من الارض فلا جرم يلزم
من ذلك سقوط الجبال و يقل الماء جدا لاجل سيلانه الى قرب خط الاستواء بسبب الخسف
ثم بخره بقوة الحرارة التى هناك فيجف كثير من البحار و لذلك تقل مياه الارض جدا لكثرة
ما يتصاعد منها متدخنا فلذلك تظهر الكنوز و ما يكون فى باطن الارض و اذا دام فقدان ميل
الشمس مدة افرط الخروج عن الاعتدال حتى افسد الامزجة الحيوانية و النباتية و كان من
ذلك القيامة انتهى و الايات فى خراب هذا العالم كثيرة منها قوله تعالى يوم نطوى السماء
كطى السجل للكتب الآية و قوله تعالى يوم تمور السماء مورا و تسير الجبال سيرا و قوله تعالى
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان و قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل الآية
و قوله تعالى اذا الشمس كورت الآيات و قوله تعالى اذا السماء انشقت الآيات و قوله
تعالى اذا السماء انفطرت الآيات و أما ذم هذا الدار الفانية فقال رضى الله عنه الدنيا دار ممر
و الآخرة دار مقر و الناس فيها رجلان رجل باع نفسه فأوبقها و رجل ابتاع نفسه فاعتقها
و قال الشعبى سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله تعالى
كتب على الدنيا الفناء و كتب على الآخرة البقاء فلا بقاء لما كتب عليه الفناء و لا فناء لما
كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة و اقهروا طول الامل بقصر الاجل
و قال الحسن البصرى رضى الله عنه ان امرأ ليس بينه و بين آدم أب حى لمعرق فى الموت
و من الكلم النوابغ كل حى يحتضر فطوبى لمن يختضر قلت الثانية بالخاء المعجمة أى يموت
شابا على خضرة و رقة و منها الليالى ما خادن لذاتك أفقتالهن مخادناتك و أخبرنى سماعا من
لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف القرنى الاندلسى بالقاهرة سنة
ثمان و عشرين و سبعمائة قراءة من كتابه أخبرنا الخطيب المقرى النحوى أبو الحجاج يوسف
ابن ابراهيم بن يوسف بن سعيد بن أبى ريحانة الاندلسى الانصارى فى كتابه الى من مالقة
سنة اثنتين و سبعين و ستمائة و فيها توفى رحمه الله عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن اليتيم أخبرنا
أبو الفضل معن بن عبد الرزاق السجزى السائح بمقبرة سر من رأى قراءة عليه أخبرنا عن أبى
الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبى الفتح هلال بن محمد البغدادى عن محمد بن أبى القاسم
عن اسمعيل بن اسحق عن نصر بن على عن الاصمعى عن أبى عمرو عن عيسى بن عمر عن معاوية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول الدنيا دار بلاء و منزل قلعة و عناء قد نزعت
عنها نفوس السعداء و انتزعت بالكره من أيدى الاشقياء و أسعد الناس ارغبهم عنها

ترجوا النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

(وقوله)

الا اننا كلنا بائد
وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الاله
أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية
تدل على انه واحد

(وقوله)

ما ان يطيب لذى الرعاية
للايام لا لعب ولا لهو
ان كان يطرق فى مسرته
فيموت من أجزائه جزو

كان ابن خالد يقول ان هذين البيتين لروحانيان يطيران بين السماء والارض وقوله أيضا

الناس فى غفلاتهم
ورحى المنية تطحن

وأشقاهم بها ارغبهم فيها فهي الغاشة لمن انتصحها والمغوية لمن أطاعها والخاترة لمن انقاد لها والفائز من أعرض عنها والهالك من هوى فيها طوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة فيصبح في بطن موحشة غبراء مدلهمة ظلماء لا يستطيع ان يزيد في حسنه ولا ينقص من سيئه ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها انتهى قلت فاذا كانت هذه الدار بهذه الصفات التي أخبر بها الصادق الامين ورأينا ذلك أكثره مشاهدا فأي رجاء يؤمله الانسان فيها وأي أمنية ينال منها وهذا ما لها وهذه غايتها وأما أيام مدتها فكما قال أبو العتاهية

تأتي المكاره حين تأتي جملة * وترى السرور يجيء في الفلتات

ويعجبني قول أبي الطيب المتنبي ونقله المعنى من عتاب محبوبه الى عتاب الدهر وهو

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

وهذا البيت ظاهره بين الانسجام لفظه وانصبابه في السمع وتعلقه بالقلب وباطنه مشكل لعدم تعلق الجملة الثانية بالاولى وقد تكلم عليه الشريف بن الشجري في أماليه في أول المجلس الثاني عشر وأجاد الكلام فيه فليؤخذ من هناك (رجع) ولله در التهامي حيث يقول

حكم المنية في البرية جاري * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال ساري

وذكرت بقوله بينا يرى الانسان فيها مخبرا البيت ما رثى به عبد الرحمن بن اسمعيل العروضي ابن يونس صاحب تاريخ مصر وهو

أبا سعيد وما يألوك ان نشرت * عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه * حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا
أرخت موتك في ذكري وفي صحفي * لمن يؤرخني ان كنت محسوبا

ومما نقلته من خط الوراق في رثاء الجزار

بلغت أبا الحسين مدى اليه * لمسبوق ومستبق رهان
وكنت وطالما قد كنت أيضا * تقول على الألى سبقوك كانوا

وأخذ بعض المغاربة فقال

يا ويح اجسام الأنا * م لما تطيق من الاذى
خلقت لتبقى للقذى * وقفا وهاذاك القذى

وقال آخر

كأن بني الايام وفدان كلما * ترحل وفد جاءنا بعده وفد
فكل يحث السير عنها ونحوها * يسير بذا نعش ويأتي بذا مهد

وقال محمد بن كناسة الاسدي

(وقوله)
اذا المرء لم يعتق من المال رقه * تملكه المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي * يحق ولا استهلكته هو والكه

(وقوله)
أكل يوم طول الزمان اذا * جئتك في حاجة تقول غدا
لا جعل الله لي اليك ولا * عندك ما عشت حاجة أبدا

وقوله في الشعر الذي ذكر بسببه يخاطب سلم الخاسر حيث يقول فيه
تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال

ومن عجب الدنيا تيقنك البلى * وانك فيها للبقاء مريد
اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى * فان فطام النفس عنه شديد

وقال أبو العرب الصقلى

أرى الدنيا الدنية لا تواتى * فعالج فى التصرف والطلاب
ولا يغررك منها حسن برد * له علمان من ذهب الذهاب
فأولها رجاء من سراب * وآخرها رداء من تراب

وقال أبو العلاء المعرى

وحب الفتى طول الحياة يذله * وان كان فيه نخوة وغرام
وكل يريد العيش والعيش حتفه * ويستعذب اللذات وهى سهام

وقال آخر

حتام اصرف نفسى عن مراشدها * واتعب القلب بين اليأس والامل
ما مدة العمر الامنتهى نفس * يا قرب ما بين عيش المرء والاجل

وقال ابن خفاجة

وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
تحث بها فى كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
الا ان جسما يستحيل لتربة * وان حياة تنتهى لخراب

وقال ابن نباتة السعدى

وغاية هذه الدنيا فساد * فكيف تكون منها فى صلاح
هى الخرقاء تنقض بعد نسج * فما فيها لحى من فلاح
يؤول به الشباب الى مشيب * ويسلمه الغدو الى الرواح
اما فى أهلها رجل لبيب * يحس فيشتكى ألم الجراح
ومن لبس التراب لكن علاه * فلا تغررك انفاس الرياح

وقال ابن مماتى

أيسكن الناس وقد حاطهم * سبعة أفلاك عليهم تدور
والدار فى الاخرى دهاليزها * فى هذه الدنيا لحود القبور

وقال أبو الطيب

نعد المشرفية والعوالى * وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالى
يدفن بعضنا بعضا ويمشى * أواخرنا على هام الاوالى
ومن لم يعشق الدنيا قديما * ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك فى حياتك من حبيب * نصيبك فى منامك من خيال

قلت يريد بالاوالى الاوائل وهو كثير فى كلامهم قال امرؤ القيس

وامنع عرسى ان يزن بها الخالى   أى الخائل

وقوله ولكن لا سبيل الى الوصال فيه محذوف فانه حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه

* (ما كان أخلقك بأن تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك) *
ما أخلقك أى ما أولاك يقال فلان خليق بكذا أى كأنه مخلوق فيه مجبول عليه وتقدر بذرعك أى تقيس الامر بجهدك قبل أن تفعله والذرع الجهد ومن ضاق فلان ذرعا واصل الزرع بسط اليد كأنه جهد فى بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه مالا يقدر عليه والظلع فى البعير الغمز فى مشيه ويستعار لغيره وربع اذا أقام فالمعنى اقم على ضعفك وارفق بنفسك وقال آخر قولهم اربع الى ظلعك أى على قدر قدرتك ويقولون أيضا ارق على

تقديره ولكن لاسبيل الى دوام الوصال والمعنى عليه لان الوصال حصل ولكن دوام الوصال لاسبيل اليه قوله ويمشى أواخرنا البيت أخذه مهيار الديلمى فقال

روید ابا خفاف المطی فانما * تداس جباه فی الثری وخدود

وأخذه أبو العلاء المعرى قبله فقال

خفف الوطء ما أظن اديم الا * رض الا من هذه الاجساد

وما أكثر حكمة قول المعرى من هذه القصيدة

تعب كلها الحياة فما أعجب * الا من راغب فى ازدياد

واللبيب الاريب من ليس يغتر * بكون مصيره للفساد

وقال فى خراب هذا العالم

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاء الردى على ميعاد

والثريا رهينة بافتراق الشمل * حتى تعد بالافراد

وهذا قول بفناء هذا العالم وخرابه ثم انه خالف هذا الرأى فقال

راح من راح والثريا الثريا * والسماك السماك والغفر غفر

ونجوم السماء تعجب منا * كيف تبقى من بعدنا وتمر

وأخبرنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال سمعت الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى يقول فى أبى العلاء المعرى انه كان فى حيرة انتهى قلت يعنى من العقيدة ولعمرى هذا الذى يظهر لذوى الالباب من كلامه بيناهو يرى رأى النبوات اذا هو يرى راى الحكما ومن تتبع كلامه وجد هذا التناقض فيه وأما هذان البيتان فيمكن أن يفهم منهما عدم المغايرة للاولين لان قوله راح من راح لايدل على ان هذه الكواكب باقية لاتفنى وانما يفهم منه انها أطول اعمارا منا فلها أمد أطول وغاية هى ابعد من غاية الانسان وقال بعض الاعراب

وكل مفارقه اخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وهذا أيضا يمكن له التأويل ويرد الى القول بخراب هذا العالم وقال بعض الناس الاهنا يعنى حتى وليس بشئ وسألت الشيخ الامام العلامة اثير الدين أبا حيان عن ذلك فقال هذا شئ لم أقف عليه فى كلام العرب وقال ابن سناء الملك

بقيت ويبلى الزمان الجديد * وتبا لمذهب أهل القدم

فلابد من أن تمور السماء * ويزوى بها كل نجم نجم

فليس السماء كما قد رأيت * بالشهب الا أديما حلم

قلت ذهب الحكماء الى القول بقدم أربعة أشياء وهى الزمان والمكان والهيولى والصورة وقال أفلاطون بقدم النفس حتى جاء ارسطاطاليس فبرهن على حدوثها وخالف أفلاطون وقال هو صديقى والحق أصدق لى منه وبنوا على هذه المقالة أن العالم باق ببقاء واجب الوجود لايتغير نظامه ولا يبلى ولا يحول ولا يزول وهى من المسائل التى كفروا بها والصحيح ما ذهب اليه المتكلمون فانهم استدلوا على حدوث العالم بمجموعه وبرهنوا دعواهم وقرروا الابحاث فى ذلك مع خصومهم وليس هذا مكان شئ من تلك البراهين لما فيها من تقدير

ظلامك لان الراقى فى جبل أو سلم اذا كان ظالعا يرقى بنفسه وقال آخر قولهم أربع على ظلامك أى احمل الجبر على قدر جهدك فان الجبر يسمى ربيعة وهو قول متعمق *(ولاتكن براقش الدالة على أهلها)* هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلفت الاقوال فيه فقال قوم وهم الاكثر براقش اسم كلبة نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم نخفى عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب أشأم من براقش وعلى أهلها تجنى براقش وقال أبو عمرو ابن العلاء براقش امرأة كانت لبعض الملوك فسافر الملك

المقدمات التى تنتج لنا المطلوب على ذلك فليؤخذ ذلك من كتب الكلام وقال الخباز البلدى أوغيره

قلت للفرقدين والليل ملق * فضل أذياله على الآفاق
أبقيا ما بقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بسهم الفراق

وقال ابن سناء الملك

آثرت دهرى ان تبقى به أبدا * فكان ايثار دهرى غير ايثارى
والمرء بالدهر لا ينفك منكسرا * قهرا وغير عجيب كسر فخار

وقال من أبيات

تزخرف منها وجهها وهى جنة * ويخضر منها نضرة فهو سندس
صلينى وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

ولما وقف القاضى الفاضل رحمه الله تعالى على هذه القصيدة التى منها هذه الابيات كتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قات هذه الغايه الاوتعلمنى انها البدايه ولا قلت هذا البيت انه القصيدة الا تلا ما بعده وما نريهم من آيه أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب فى هذه المحاسن الاقصور الافهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بما نحتها ودونوا ما دونها وشغلوا التصانيف والخواطر والاقلام بما لا يقاربها وسارت الاشعار وطالت بما لا يبلغ مدها ولا نصيفه والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها وقد ذلت السين فيها وانقادت فلو أنها الراء لما زادت و بيت يعزل ويكنس أردت ان أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها فأجاب ابن سناء الملك قائلا وعلم المملوك ما نبه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستخليا له متعجبا منه معتقدا انه قد ملح فيه وأن قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه فى الكنس الا ابن المعتز فى قوله

وقوامى مثل القناة من الخط * وجدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ولا آنس نار الا لما وجد عليها هدى ولا مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار قلبه الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة قد قال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتجنب
تحاول منى شيمة غير شيمتى * وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال

وما زارنى الا ولهت صبابة * اليه والا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد أبا تمام قد قال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

وقد قال

خشنت عليه أخت بنى خشين

فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكاد سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت فى الروض أبكى فقد مشبهه * حتى بكت بدموعى أعين الزهر
لو لم أعرها دموع العين تسفحها * لرحمتى لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لاشك فيه كما * وجهك شمس نهاره جسدك

واستخلفها وكان لهم موضع اذا افزعوا دخلوا فيه فاذا ابصره الجند اجتمعوا وان جواريها عبثن ليلة فدخن فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لهما نصاحها ان رددتيهم ولم تستعمليهم فى شئ ودخنت مرة أخرى لم يحضروا فامرت بهم فبنوا بناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فحدثوه بالقصة فقال على قومها تجنى براقش وحكى الشرقى عن لقمان حكاية أخرى فى هذا المعنى وهى تقارب هذه والاول أقرب الى المعنى
(وعنز السوء المستثيرة لحتفها) هذا أيضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه وأصله ان رجلا وجد عنزا فاراد ذبحها

فوجد المملوك طبعه الى هذا النمط مائلا وخاطره في بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب عليه خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمي ويصم فقد أعماه حبه له وأصمه الى ان نظم تلك اللفظة في تلك الابيات تقليدا لابن المعتز فانه قالها وحمل اثقالها وهي تغفر لذلك في جنب احسانه فاما المملوك فهي عورة ظهرت من لسانه فأجاب القاضي الفاضل رحمه الله ولا حجة فيما احتج به عن الكنس في بيت ابن المعتز فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا في الصواب فقط وقد علم ماذكره بن رشيق في العمدة من تهافت طبعه وتباين وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا يلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضي السعيد على أبي تمام فنقصه من حظه وللبحتري فأعطاه أكثر من حقه وما أنصفهما ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

انتهى قلت قد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة في غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهي الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه لانه غلب عليه الهوى فقال

توسوس شعري به مدة * ومابرح الحلي والوسوسه
وخلصني من يدي عشقه * ظلام على خده حندسه
كنست فؤادي من عشقه * ولحيته كانت المكنسه

وأما القاضي الفاضل فأظنه خلا هذا الايراد من ضعف انتقاد وأحاشي ذلك الذهن الوقاد من هذا الاعتقال في ورطة هذا الاعتقاد وما أراه الا انه تعمد أن يعكس مراده ويوهي ماشاده ويوهن ماشيده ويرميه ببلاء البلاده اما على سبيل النكال أو النكاده لان الفاضل رحمه الله تعالى ممن يتوخى هذه الالفاظ ويقصدها وينشيها وينشدها ويوري زنادها ويوردها فمن كلام القاضي الفاضل في بعض رسائله وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره ولا ألبابهم ان تسيغ خمره ولا سيوفهم ان تكنس قممه ولا أعراضهم ان تأخذ لطمه انتهى (رجع)

وأما قول الطغرائي فهل سمعت بظل غير منتقل فقد ذكرت به قول القائل

الكون عندي كالخيال حقيقة * في شكله وعمومه وخصوصه
يبدي خيالا للشخوص نواطقا * والناطق الفعال غير شخوصه

وأحسن منه

رأيت خيال الظل أعجب منظرا * لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوص وأشكال يزهره بعضا * لبعض بأصوات هناك دقاق
تمر وتقضي بابة بعد بابة * وتفني جميعا والمحرك باقي

وظرف القائل في قوله

ماترى في الوجود غير شخيص * بذقين يهذي الى أن يموتا

وعلى ذكر الخيال فما أحسن قول الوجيه المناوي

اذا ما تغنت قلت سكرى صبابة * وان رقصت قلنا احتكام مدام
أو تنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام

وقلت أنا في مليح مخايل

مخايل قد بدت عليه * مخايل البدر في الكمال

فلم يجد سكينا فبينما هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها بها (فأراك الاسقط بك العشاء على سرحان) مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على حتفه وأصله ان دابة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب فأكلها وقيل رجل أعني العين وقع على ذئب فأكله وعلى هذه الروايه يكون العشا مقصورا وقيل بل هو سرحان بن قعنب اليربوعي كان فاتكا يحمي واديا فورده عوف الاسدي فقال أشهد لا يمنعني سرحان رعي ابلي الليلة فرعى فربه سرحان بن قعنب فقتله فقال أخوه يخاطب زوجة الاسدي أبلغ صبيحة ان راعي أهلها

تريك بابانه فنونا * تروق فى الحسن والجمال
فقد غدا وصله يقينا * أحسن ما كان فى الخيال

وقلت فيه أيضا

هويت خيا الياحكى الغصن قده * اذا ما انثنى هاجت عليه البلابل
أراق دم العشاق سيف جفونه * ومن بعد ذا أضحى عليهم يخايل

*(ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * أصمت ففى الصمت منجاة من الزلل)*

(اللغة) السر الذى يكتم والجمع أسرار والسريرة مثل ذلك والجمع السرائر وقوله تعالى يوم تبلى السرائر معناه يوم تختبر سرائر القلب وهو ما أسره من العقيدة والنية وفى المثل ما يوم حليمة بسر لان حليمة بنت الحرث بن ابى شمر الغسانى لما وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء أخرجت لهم طيبا فطيبتهم فنسبوا اليها مطلعا فاعل من الاطلاع اصمت صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا وأصمت مثله والتصميت التسكيت والتصميت أيضا السكوت ورجل صميت أى سكيت والصمتة مثل السكتة منجاة نجوت من كذا نجاء ممدود ونجا مقصور والصدق منجاة وأنجيت غيرى ونجيته وقرئ بهما الزلل تقول زللت زللا وزليلا اذا زللت فى طين أو منطق قال الفراء زللت بالكسر نزل زللا والاسم الزلة والزليلى واستزله غيره وزال النية والتصغير يعنى انه نزل من موضع الى موضع لطلب الكلأ والنية الموضع الذى ينوون المسير اليه وزحلوقة زل قال الراجز

لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل

وكذلك زحلوقة زلال (الاعراب ويا خبيرا) الواو عاطفة على المنادى فى قوله يا وارداسؤر عيش البيت ويا حرف نداء وقد تقدم الكلام عليه هنا خبيرا اسم فاعل من خبرت الامر ونصب لانه نكرة غير مقصودة وتقدم الكلام على المنادى (على الاسرار) على حرف جر ومعناها هنا الاستعلاء معنى وهو متعلق بمطلع لان خبير الا يعدى بحرف جر بل يقال اطلعت على كذا والاسرار مجرور بعلى (مطلعا) صفة لخبيرا وقدم وأخر تقديره ويا خبيرا مطلعا على الاسرار (أصمت) فعل أمر من صمت وقد تقدمت القاعدة فى الهمزة المجتلبة فى أول فعل الامر وعلة بنائه على السكون (ففى) الفاء هنا واقعة فى جواب الامر وفى حرف جر (الصمت) مجرور بفى والجار والمجرور فى محل الرفع لانه خبر مقدم (منجاة) اسم مصدر مثل رضاة وهو مرفوع على انه مبتدا والخبر تقدم فى الجار والمجرور (من الزلل) من لبيان الجنس وهو متعلق بمنجاة والزلل مجرور بمن (المعنى) ويا من خبر الامور واطلع على الاسرار اصمت ولا تبد شيأ مما خبرته واطلعت عليه فان صمتك منجاة لك من الزلل وهذا أمر يجب اتباعه على كل من طلب السلامة فقد يترتب على افشاء السر مفاسد كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر الى أخيه سرا لم يحل له ان يفشيه عليه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كتم سره كان الخيار بيده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به وقال أكثم بن صيفى ان سرك من دمك فانظر أين تريقه وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لانى كنت به أضيق صدرا حيث استودعته اياه وأخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متقمر
لم يثنه خوف من الحدثان
(وبك لا بظبى أعفر)
هو مثل يضرب للشماتة بالرجل يقول نزل به المكروه ولا نزل بظبى تريد ان عنايتى به بالظبى أشد من عنايتى به والأعفر الذى لونه لون التراب وهو العفر وكذلك غزلان السهل وكأنه خص الظبى بالداء لان العشار والسرحان ... سريعان اليه وقيل لانه متى أصابه داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من أبيات يتعلق بها حكاية وذلك ان الفرزدق كان قد هجا بنى نهشل بأبيات منها
لعمرى لقد قل النوى فى عديدكم
بنى نهشل ما لومكم بقليل

وقال آخر اذا ما ضاق صدرك من حديث * فأفشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الظلوم

وقال بعضهم السر ما كتمته فى نفسك فاذا ما أسررته الى غيرك فليس بسر وما أحسن ما أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان لابى حفص عمر بن محمد النحاتى الحلبى اللغوى قوله

سرك ان أودعته ثانيا * فاعلم بان قد آن أن تفشيه
لان ما أضمر فى حالة الا فراد تستخرجه التثنيه

معناه اذا قلت قام الزيدان فان الفعل هنا لم يحتمل ضمير تثنية لما كان فى حالة الافراد فاذا قلت وقعدا احتجت الى أن تظهر ضميرا يعود على الاثنين لانك تذكر الفعل للاثنين ففى حالة الافراد لم يظهر وفى حالة التثنية ظهر وجاء رجل الى القاضى شريح فكلمه بشئ وأخفاه فلما خرج قال له رجل يا أبا أمية ما قال لك قال يا ابن أخى أو ما رأيته سترة عنك وقال عبد الله ابن أبى زكريا الخزاعى فقيه دمشق وأحد الاعلام وكان يعدل بعمر بن عبد العزيز ما عالجت شيأ من العبادة أشد من السكوت قيل انه كان لا يتكلم الا اذا سئل وكان من أكثر الناس تبسما وكان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير وأسر رجل الى آخر حديثا فلما فرغ قال له أحفظت قال بل نسيت ومن كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى افرح بما لم تنطق به من الخطا فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب ومنه أيضا كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا ومن كلام الحكماء اكتم مذهبك كما تكتم ذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه وقال ابن المحلى العنبرى الطبيب

من لزم الصمت اكتسى هيبة * تخفى عن الناس مساويه
لسان من يعقل فى قلبه * وقلب من يجهل فى فيه

ومن الكلم النوابغ رب كلام أوردك مورد القتال أوردك عن مورد القذال ومنها يا بنى ق فاك ما يقرع قفاك ق فعل أمر من الوفاية ماضيه وقى ومضارعه يقى ومنها ان لم تملك فضل لسانك ملكت الشيطان فضل عنانك ومنها ملاك حسن السمت ايثار الصمت وقال بعض النساك أسكتتنى كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهى من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه وسمع بقراط رجلا يكثر كلامه فقال له يا هذا ان البارى عز وجل جعل للانسان لسانا واحدا واذنين ليكون ما يسمع أكثر مما يقول ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله تعالى وأمت الاسرار فى قلبك وألحدموتاها فى جنبك فقبيح بك ان لا يرى لك سر الا عند ربك وقال أبو العلاء المعرى

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وقال آخر ابخل بسرك لا تبح يوما به * فصغيره يأتى بكل عظيم
أو ما ترى سر الزناد اذا فشا * يأتى وشيكا سقطه بجحيم

وقال مؤيد الدين الطغرائى

ولا تستودعن السر الا * فؤادك فهو موضعه الامين
اذا حفاظ سرك زيد فيهم * فذاكا السر أضيع ما يكون

وما أحسن قول ابن مماتى من قصيدة

ثم خرج سادات بنى تميم وفيهم الحتات بن مجاشع عم الفرزدق الى معاوية فوصلهم وترك حتا تاوعاتبه فقال معاوية انى اشتريت من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشترى منى دينى أيضا فالحقه بهم فى الصلة فأقام يتنجزها وطعن فمات فرجع معاوية فيما أعطاه فحينئذ قال الفرزدق وهو اذ ذاك بالبصرة

أبوك وعمى يا معاوى أورثا * تراثا فأولى بالتراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته * وميراث حرب جامد لك ذائبه
وكم من أب لى يا معاوى لم يكن * أبوك الذى من عبد شمس يقاربه
فوجدا النهشليون سبيلا

وضاق

وضاق على الصبر حتى كأنني * حللت به للضيق في صدر محنق

فياليتني كالدمع في جفن عاشق * فاخرج أو كالسر في صدر أحمق

وما أحسن ما اعتذر به التهامي عن اظهار سره بقوله

قد بحت وجدا فلامتني فقلت لها * لاتعذليه فلم يلؤم ولم يلم

لما صفا قلبه شفت سريرته * والشئ في كل صاف غير منكتم

وسمعت امرأة عاشقها وهو ينشد

سري وسرك لم يشعر به أحد * الا الاله والا أنت ثم أنا

فقالت له لاتنس القوادة فانه لابد أن تدري بسرنا وحكى الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعي سرا تضمنت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبي

وما السر في قلبي كميت بحفرة * لاني أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني اخفيه حتى كأنني * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وقال أبو الحسين جعفر بن عثمان المصحفي الاندلسي صاحب الحكم

ياذا الذي أودعني سره * لاترج أن تسمعه مني

لم اجره بعدك في خاطري * كأنه مامر في اذني

وكنت قد أهديت الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة من رحبة مالك بن طوق جمل سمك فراني وسألته كتمان ذلك لمصلحة آثرتها وكتبت مع ذلك

أهديته سمكا صطادوك لي * فليس ذا سمكا لكنه شبك

لاتنكر التمر اذ يهدى الى هجر * فأنت بحر وقد أهدى لك السمك

فكتب الجواب عن ذلك ومنه فأما هاله رفدا لم يكن فيه عيب غير السرف وجود الوكن المملوك منه لوصل فيه القول ووصف ولكن أشار مولانا الى مصلحة كتمه وجرى في امتثال الاشارة على رسمه وخشي أن يجري له في هذه المطالعة ذكر بحكمه ويأخذ من أقصته اللؤلؤية معنى ينثره أو ينظمه فيتوهم مولانا ان المملوك يشيع أمره طلبا للاشاعة كلامه واذاعة نثاره ونظامه فسكت والاقوال تعتلج وصمت والفاظ الآثار تكاد في مسامع الاعين تلج ومنه على ان المملوك ان سكت مقاله فقد تكلمت مقلاته وجاش غليانها بشكر ماهبت به من مولانا وهباته وليست والله كما قال بعض العرب مقلاة نزور ولكن ذات نتاج نعاود منها القرى ونزور

هبات عن البحر الفرات تحدثت * فقد عظمت عن قولي المتغالي

وقد أفصحت عندي المقالي بشكرها * فلم تخل عندي من ثناء مقالي

انتهى وأما الجاحظ فلم ير الصمت مذهبا لانه قال كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه ونفع الكلام يخص ويعم والرواة لم ترو سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وبطول الصمت يفسد البيان وقال أبو تمام الطائي تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلام وفضله

فدعوا به الى زياد وقالوا هذا أمير المؤمنين فقال زياد لعريف بني تميم أحضر قومك والفرزدق فيهم ليأخذوا عطاءهم فأحس الفرزدق بالشر فهرب ومازال يطوف حتى أتى المدينة عائذا بسعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة منشدا

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا

قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

فأمنه سعيد فبلغ زيادا فقال لا والله لا أرضى عنه حتى ينتسب في بني فقيم ثم قال مروان لم ترض أن نكون قعودا ننظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا أبا عبد الملك اصافن فخذها

والصمت ونبله فقال ليس النجم كالقمر انك انما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شئ فهو أكبر منه قلت ليس هذا بانصاف لا الصمت مطلقا ولا الكلام مطلقا وانما الصمت محمود اذا تكلم الانسان فيما لا يعنيه أو فيما اذا نقل عنه آلت عقباه الى مضرته أو مضرة غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وأفتى الفقهاء أنه ان علم أن قوله الحق يصادف موقعا وقبولا تعين أن يقوله والا فالسكوت أولى ورب كلمة أدنت أجلا وقطعت دولا ومنعت أملا ودعت الى مأدبة شرها الجفلى وأما الرسل فكلامهم متعين واجب عليهم لانهم ألزموا البلاغ وكلفوا هداية العباد ولا يكون ذلك الا بالكلام ولو لازموا الصمت لم يؤدوا الامانة ولم ينصحوا العباد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعثه الله في زمرة العلماء يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها فادها كما سمعها فالكلام في العلم ونشره هداية وهداية الناس تتعين على من اتصف به وقد قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ونصح المسلمين فريضة على كل مسلم وروى الشعبي عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفي بعض الروايات او ليسكت وقال الحسن بن عمرو الشعبي سمعت بشر بن الحرث يقول الصبر هو الصمت والصمت هو الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت الا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه انتهى والكلام مذموم اذا تكلم به في غيبة بل هو محرم أو اشتغل بما لا فائدة فيه أو بما اذا حفظ عليه أو نقل عنه حصلت به فتن أو نشأت به احن أو تولدت به أحقاد أما اذا كان الكلام بين أحباب وأصحاب وأهل وفاء وصفاء ومروءات وديانات فلا بأس بالكلام وما أحسن ما قال محمد بن كناسة الاسدي

في انقباض وحشمة فاذا ✻ جالست أهل العفاف والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها ✻ وقلت ما شئت غير محتشم

وقال القاضي الفاضل رحمه الله

الصمت أسلم لكن ان اردت دمي ✻ ان لا يفيض فسامحني افض كلمي
بيني وبين وجودي الله يحكم لي ✻ عليه ياليتني لا شئ في العدم
ولا حديثي ولا دهري وحادثه ✻ ولا همومي ولا وهمي ولا هممي
ولا حسامي الذي للعجز أغمده ✻ ولا اجد في الشكوى سوى قلمي
ولا الليالي التي نيرانها اتقدت ✻ بالفكر لم تعل في الدنيا سوى علمي

وقال سيف الدين الآمدي رحمه الله اجتمعت بالشيخ شهاب الدين ابي الفتوح يحيى السهروردي في حلب فقال لي لابد لي ان املك الارض فقلت من اين لك هذا قال رايت في المنام كأني شربت البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب ذلك فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل انتهى ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد

أرى قدمي اراق دمي ✻ وهان دمي فها ندمي

ونقلت من خط القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى ما صورته حكى لي

عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى المدينة مروان أحضر الفرزدق فقال أنت القائل

هما دلتاني من ثمانين قامة ✻ كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فقلت ارفعوا الاستار لا يشعروا بنا ✻ وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

فقال نعم قال أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عن المدينة فاستجار بعبد الله ابن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق أن مسكينا الدارمي رثاه فقال ولم يكن هجا زيادا حتى مات خوفا منه

أمسكين أبكى الله عينك انما ✻ جرى دمعها في باطل فتحدرا
بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا

الضياء محمد بن خميس الوكيل المعروف بابن المغربي قال لما اعتقل الشهاب السهروردي بالمقام بقلعة حلب دخلت عليه المقام قاصد الأقراه وجلست أتوضأ للصلاة فرأيته يمشي ويقول اللهم اقبض روحي على خط مستقيم ولما رجع من تمشيه قال اللهم خلص لطيفتي من هذا العالم ثم عاد وقال

لو علمنا اننا لا نلتقي * لقضينا من سليمى وطرا

قال فتركته وخرجت ولم أسمع منه شيأ غير هذا انتهى ما نقلته ووجدت شمس الدين محمد بن التلمساني قد خرج على الحاشية بخطه قوله اللهم اقبض روحي على خط مستقيم تبع فيه اقليدس حيث قال اللهم أمتنا على زاوية قائمة وابعثنا على خط مستقيم انتهى قلت قدم الكلام على هذا في قوله وضج من لغب نضوى البيت وقوله اللهم خلص لطيفتي تبع فيه قول ارسطو فيما أظن اللهم خلص لطيفتي من ظلمات الهيولى وذكرت هنا ما حكاه ابن المزرع قال سمعت الجاحظ يقول وقد أنشد أبيات أبي نواس السينية التي أولها ودار ندامى عطلوها وأدلجوا الابيات لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا هو الشعر ولو نقر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف انتهى قلت وكتاب الصنائع لابن مولاهم ولابن يعمر في هذا الباب غايه وفي العجب العجيب آيه وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

فان يكن أحمد الكندي متهما * بالفخر يوما فاني لست أتهم
فاللحم والعظم والسكين تعرفني * والخلع والقطع والساطور والوضم

يشير الى قول أبي الطيب

فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقال

ان شئت تعرف في الآداب منزلتي * واني قد عدانى العز والنعم
فالظرف والسيف والاوجاق تشهد لي * والعود والنرد والشطرنج والعلم

وقلت أنا في هذه المادة

ان كنت تنكر حالي في الغرام وما * ألقى واني في دعواى متهم
فالليل والويل والتسهيد تشهد لي * والحزن والدمع والاشواق والسقم

وقال أبو الحسين الجزار متهكما يفخر على أبي الطيب

تعاظم قدري على ابن الحسين * فذهني كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الخروف أبو الطيب

وقال أبو الحسين أيضا

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ كان في جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

قلت قد رأيت بعضهم قد قال ان الكتف تؤكل من أسفلها لان لحم الكتف اذا جذب من الجانب الاسفل انقلع بكليته ولان المرقة تجري بين اللحم والعظم فاذا أخذت من أعلاها ربما انصبت المرقة على الآكل وقال النصير الحمامي أنشدنيه القاضي جمال الدين ابراهيم بن

ككسرى على علاته أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه
به لا بظبي بالصريمة أعفرا
«(أعذرت ان أغنيت شيأ
واسمعت لو ناديت حيا)
يعني بلغت العذر في
نصيحتك ان قبلت مني
وتركت التعرض الى
واسمعتك ان كنت حيا تسمع
وهذا نصف بيت من بيتين
لعمرو بن معدي كرب ويروى
لدريد ابن الصمة وقد
تقدم ذكرهما وهما
لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نار انفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد
وبعض المتعصبين على أبي
العلاء المعري يزعم أنه خرج
ليلة الى بعض مراقب موسى

شيخنا الامام شهاب الدين محمود وقال أنشدني النصير لنفسه من لفظه

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * بها يداري من لا يداريه
أعرف حر الاشياء وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

وقد أتى بمثلين معروفين وقال تاج الدين مظفر الذهبي

كلفت بتصوير الدمى في شبيبتي * واتقنتها اتقان حرمهذب
وحاولت عنها رجعة ومدحتكم * فلم أخل من تزويق زور مكذب

وقال نجم الدين بن صابر المنجنيقي

تعلمت علم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم المديح لشقوتي * فلم اخل في الحالين من قصد حائط

وقال سيف الدين المشد

الحمد لله في حلي ومرتحلي * على الذي نلت من علمي ومن عملي
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم أصبحت والديوان ينسب لي

وقال السراج الوراق

رب ساع أبا الحسين وسامحني فخبي وحسبه الآثام
فذنوب الوراق كل جريح * وذنوب الجزار كل عظام

وقال أيضا

نصب الحشا غرضا وقرطس اذرمى * وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يحبني * ياليت شعري أينا الوراق

وقال أيضا

بني اقتدي بالكتاب العزيز * وراح لبري سعيا ولاجا
فما قال لي أف مذ كان لي * لكوني أبا ولكوني سراجا

وقال أيضا

قالوا وقد ملني فلان * ومالود الملول رجعه
قطك عنه فقلت دعه * كنت سراجا فصرت شمعه

وقال أيضا

اثني على الانام اني * لم أهج خلقا ولا هجاني
فقلت لاخير في سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

وقال أيضا

قلبي لديك وطرفي طال بعدهما * عني فلي أبدا سهد وتذكار
ولست متهما قول السراج اذا * ماقال من قلق في قلبي النار

وقال أيضا

الهي قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا النعمائك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني أن السراج منور

عليه السلام ورفع رأسه الى السماء وقال يارب كلني فانا أفصح من موسى قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد فانشد البيتين وذكر انهما من شعره والحكاية باطلة في حقه من وجوه متعددة

(ان العصا قرعت لذي الحلم والشئ تحقره وقد ينمي) قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ماهو أصلح وقوله ان العصا قرعت والشئ تحقره مثلان في التحذير منظومان في قول الحرث بن وعلة الشكري وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال من أبيات حسنة في معناها

أقتلت سادتنا بلا ترة الا لتوهن قوة العظم

وقال أيضا

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

وقال وقد وقع المطر

جاء لسان السراج مبلولا * لكم بشكر كالروض مطلولا
فقال قوم والقطر يأخذه * قد عاد هذا السراج قنديلا

وقال أيضا

شعريتى مذ رمدت قد حجبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
الحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وعلى الجملة فقد استعمل اسمه وصناعته كثيرا الى الغاية وأخبرنى المولى القاضى عماد الدين اسمعيل بن القيسرانى قال قال والدى للسراج الوراق لولا لقبك راح نصف شعرك وحكى أنه جهز يوما غلامه ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به الحمص فأحضره وقلبه وأخذ فى الاكل فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال أتفعل مثل هذا بنا فقال والله ياسيدى مالى ذنب لانه قال أعطنى زيتا للسراج وحضره وأبو الحسين الجزار ليلة من الليالى عند الصاحب بهاء الدين للمنادمة فقام أبو الحسين الى بيت الخلاء فقال الصاحب ياطواشى قم قدام جمال الدين بالشمعة فقال أبو الحسين يامولانا الصاحب المملوك تعوّد ان يخرا على السراج فقال السراج لاجرم أنى مابقيت أنيك علقا وما أحسن قول شرف الدين أبى الطيب أحمد بن الحلاوى

جاء غلامى فشكا * أمر كميتى وبكى
وقال لى لاشك بر * ذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما * مشى ولا تحركا
فقلت من غيظى له * مجاوبا لما حكى
تريد أن تخدعنى * وأنت أصل المشتكى
ابن الحلاوى أنا * فلا تكن معلكا
ولا تخادعنى ودع * حديثك المعلكا
لو أنه مسير * لما غدا مشبكا
فذرأى حلاوة الالفاظ منى ضحكا

(رجع) وهذا شهاب الدين السهروردى وهو المقتول حسبه الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين باشارة والده وكان شابا فاضلا أوحد أهل زمانه فى العلوم الحكمية بارعا فى اصول الفقه مفرط الذكاء فصيح العبارة له كتاب التنقيحات وكتاب التلويحات وهو أكثر مسائل من اشارات ابن سيناء وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق والرسالة المعروفة بالغربة الغريبة على مثال رسالة حى بن يقظان ويقال انه كان يعرف على السيمياء وانه اجتمع بالظاهر غازى وأراه منها عجائب فقيل لوالده السلطان صلاح الدين انه يفسد عقيدة ولدك فكتب اليه أن اقتله بلا معاودة فقتله وهو ابن ست وثلاثين سنة أو ثمان وثلاثين والناس فى

ووطئتنا وطأ على حنق
وطء المقيد نابت الهرم
وزعمت أن لا احلوم لنا
ان العصا قرعت لذى الحلم
لا تأمنن قوما ظلمتهم
وبدأتهم بالشر والغشم
أن يأبر وا نخلا لغيرهم
والشئ تحقره وقد ينمى
الآن لما أبيض مسربتى
وعضضت من نابى على جذم
ترجو الاعادى أن أصالحها
جهلا توهم صاحب الكلم
قومى هم قتلوا أميم أخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا
ولئن اصبت لاوهنن عظمى
واختلف فيمن قرعت له العصا وضرب به المثل فقيل هو عامر بن الظرب بن عباد اليشكرى أحد حكام العرب

أمره مختلفون فقائل انه من أهل الصلاح والكرامات ظهرت بعد موته وقال القاضي بهاء الدين ابن شداد رحمه الله تعالى في أول سيرة صلاح الدين انه كان حسن العقيدة كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذكره وأكثر الناس على انه ملحد لا يعتقد شيئا وانه انما قتله قلة عقله وكثرة كلامه ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله اجتمع هو وعبد الله ابن المقفع ليلة فتحادثا الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيته قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه وكذا كان ابن المقفع فانه قتله قلة عقله وكثرة كلامه شر قتلة ومات شر ميتة قلت وكذا أيضا كان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله علمه متسع جدا الى الغاية وعقله ناقص يورطه في المهالك ويوقعه في المضايق وما أحسن قول القائل

الصمت يرتع في الرياض وانما ❊ حبس الهزار لانه يترنم

وكم قد رأيت من ذي منظر ورواء حسن وسمت وبهاء كان له في النفوس أبهة وعظمة حتى اذا تكلم انسلخ مما كان فيه ورمي بالهوان وحكي ان بعضهم كان يجلس الى القاضي أبي يوسف فيطيل الصمت فقال له يوما القاضي أبو يوسف ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال أبو يوسف اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت أنت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثل بقول القائل

عجبت لازراء الغبي بنفسه ❊ وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما ❊ صحيفة لب المرء أن يتكلما

وبعض الناس يروي أن هذه الواقعة اتفقت للشافعي رضي الله عنه وان هذا السائل كان يحضر مجلس الشافعي وهو ذو أبهة وزي حسن وبخور يعبق فيحترمه الشافعي ويتجمع منه ويضم رجليه ويجله لذلك المأ فلما كان في بعض الايام أطال الجلوس والشافعي ضام رجله الى أن خدرت فلما سأل هذا السؤال وقال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل قال الشافعي يمد الشافعي رجله ومدها وبعضهم يرويها انها وقعت لابي حنيفة رضي الله عنه والظاهر انها وقعت لابي يوسف رحمه الله تعالى وقال الهيثم بن صالح لابنه اذا اقللت من الكلام أكثرت من الصواب واذا أكثرت من الكلام قللت من الصواب فقال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني من الكلام والصواب فقال أبوه ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك

❊(قد رشحوك لامر ان فطنت له ❊ فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل)❊

(اللغة) رشحوك فلان يرشح للوزارة أي يربى لها ويؤهل فان الترشيح هو أن ترشح الام ولدها باللبن القليل تجعله في فيه قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وترشح الفصيل اذا قوي على المشي قال الاصمعي اذا قوي ومشى مع أمه فهو راشح وأمه مرشح فطنت الفطنة الفهم تقول فطنت بالفتح ورجل فطن وقد فطن فطنة وفطانة وفطانية أربأ قال أبو زيد ربأت الشئ اذا حذرته واتقيته والمرباة المرقبة ومنه قيل لمكان البازي الذي يقف عليه مربأ الهمل بالتحريك الابل بلا راع مثل النفش الا ان النفش لا يكون الا ليلا والهمل يكون ليلا ونهارا يقال ابل همل وهاملة وهمال وهوامل وتركتها هملا أي سدى وفي المثل اختلط المرعي بالهمل قال الزمخشري في المستقصى أي تساوى النعم التي لا راعي لها والتي لها راع لسوء الرعية يضرب

المشهورين وفيه يقول ذو الاصبع
ومنا حاكم يقضي
فلا ينقض ما يقضي
وهو أول من قضى في الخنثى وذلك أنه اختصم اليه في رجل له ما للمرأة وما للرجل فقال أيجعل رجلا أم امرأة فقال لهم انصرفوا عني حتى أنظر في أمري فما نزل بي مثلها فانصرفوا وبات ليلته ساهرا وكانت له جارية ترعى غنمه يقال لها سخيلة وكان يقول لها اذا سرحت غنمه بكرة صبحت يا سخيل واذا راحت يقول مسيت يا سخيل لانها كانت تؤخر حتى تسبق فلم يقل لها شيئا ورأت سهره وفكره فقالت له ما عراك فقال دعيني من شأنك فأعادت

مثلا القوم يشكل عليهم أمرهم فلا يعزمون فيه على رأى (الاعراب قد) حرف يصحب الافعال ويقرب الماضى من الحال وهى هنا للتحقيق وقد تقدم الكلام عليه (رشحوك) رشح فعل ماض والواو ضمير الفاعلين والكاف للمخاطب وهى ضمير المفعول وأضمر الفاعلين هنا لانه آثر طى ذكرهم اما الخوف منهم اذا ذكروا واما للجهل واما العلم المخاطب بهم وهم معهودون فى ذهنه (لامر) اللام لام التعدية وأمر مجرور بها وهو فى موضع نصب (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها (فطنت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب فارق بين ضمير المتكلم والمخاطب انما ضموا تاء المتكلم وفتحوا تاء المخاطب لان الرفع هو العمدة فى الكلام وهو أول الحركات فاعطوا الاول للاولى لان المتكلم أولى من المخاطب كما ان المخاطب أولى من الغائب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم بالناس وفتحوا تاء الخطاب لانها استحقت ثانى الحركات وهى الفتحة لما أخذ الاولى الاول (له) جار ومجرور وهو متعلق بفطنت (فاربا) الفا جواب الشرط ار بأ فعل أمر مبنى على السكون وهو سكون الهمزة (بنفسك) الباء للتعدية وعلى ما حكاه أبو زيد أن ار بأ يتعدى بنفسه فالباء هنا للمصاحبة ونفس مجرور بالباء والكاف فى موضع جر بالاضافة (أن) حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على أن فى قوله وعادة النصل أن يزهى بجوهره وهى هنا مصدرية لانها ومادخلت عليه فى تاويل المصدر (ترعى) فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من رعيت (مع الهمل) مع قال الجوهرى فى صحاحه هى كلمة تدل على المصاحبة وقال محمد ابن السرى الذى يدل على ان مع اسم حركة آخره مع حركة أوله وقد يسكن وينون تقول جاآ معا انتهى (الهمل) مجرور باضافة الى مع كأنه قال ار بأ بنفسك أن ترعى مصاحب الهمل قلت اللغة الفصحى أن تكون العين من مع متحركة قال بعضهم ما عمر بيت فيه مع ولا نهضت قافية مقيدة وهذا كلام من ذاق البلاغة وارتضع اخلاقها ومعا اذا جاءت فى الكلام فانها تنصب على الحال اذا قلت جاآ معا كأنك قلت جاآ متصاحبين وذكرت هنا قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

لمنطقين أشتكى أبدا ✻ عين رقيبى فليته هجعا

حاذرها من احبه فانى ✻ ان نختلى ساعة ونجتمعا

كيف غدت دائما وما انفصلت ✻ مانعة الجمع والخلو معا

قلت فى هذا نظر لان التعجب لم يصادف موقعا لانك اذا قلت العدد اما زوج واما فرد كانت هذه القضية مانعة الجمع والخلو معا لان العدد لا يجتمع فيه الزوجية والفردية ولا يخلو من واحد منهما واذا كان كذلك فما بقى للتعجب ولا للانكار محل ولا مساغ وانما عادة الشعراء وغيرهم التعجب مما يخرج عن العوائد المألوفة والقواعد المعروفة كقول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا معنى الى لون شعره ✻ فطال ولولا ذاك ما خص بالجسر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت ✻ على شرطها فعل الجفون من الكسر

وما أحسن ما استعمل أبو الطيب معانى القافية حيث قال

عليه فقال وبلك انه اختصم الى فى خنثى له ما للذكور وما للانثى فى ميراثه أأجعله امرأة أم رجلا فقالت لا أبالك أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها ✻ مسى سخيل بعدها أو ضحى ✻ فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذى أشارت قال السهيلى وهو حكم معمول به فى الشرع من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل فى الشريعة قول الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب ووجه الدلالة على الكذب أن القميص لم يكن فيه خرق ولا اثر ثم ان عامرا كبر وضعف حتى قال فى شعره

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

ويعجبني قول أبي نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

الا حل بي عجب عاجب * تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجهه من * رأيت الهلال على وجهه

قلت وهذا في غاية الحسن يظن السامع له من أول وهلة أنه من باب التكرار وتحصيل الحاصل الى أن يشحذ ذهنه ويتأمل غرض الشاعر في ذلك فيرقص له طربا ومن هذه المادة قول القائل

قالت لترب معها منكرة * لوقفتي هذا الذي نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

معناه قالت بمن هو متيم تستفهم من تربها قالت لها بالتي قالت بمن وقالواها وما أخوذ من قول أبي الطيب

قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فاجبتها المتنهد

وفي البيتين عيب ولم أر أحدا انتبه له وهو الايطاء في القافية لان من في القافيتين للاستفهام ولو كانت احداهما للاستفهام والاخرى موصولة كالوسطى في قوله قالت بمن لكان أكمل وأخلص من الايطاء في بيتين ومنها قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الحموي

مابان لي فيك حين * لولم يبن لك حين
يا جنتي كل هون * لولا تجنيك هين
تدنينا بوعيد * وتنكر الوعد دين
ان كان جفنيك جفن * فان عيني عين

قلت يليق بهذا النوع ما سماه به الشيخ زين الدين عمر بن مظفر الوردي وهو ايهام التوكيد وأنشدني فيه لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

تعشقت أحوى لي اليه وسائل * واصلاح أحوالي لديه لديه
أمر به مستعطفا متلطفا * فيثقل تسليمي عليه عليه
فلا كان واش كدر الصفو بيننا * وبغض تحبيبي اليه اليه

ومثله قول ابن نقادة

يثبت تأليف الهوى حسنها * وقدها للصبر ان ماح ماح
وطرفها مسكرة خمره * اذا ادبرت وهو باصاح صاح
أمد قلبي نحو كاساتها * رشفا اذا أمدت الى الراح راح
واضحها موضع عذري فما * يلومني فيها اذا لاح لاح

وأما تحصيل الحاصل وتكرار اللفظ والمعنى بعينهما فهو كما قال الارجاني فيما أظن ولكنه قصد ذلك

سال الصدى عنه وأصغى للصدى * كيما يجيب فقال مثل مقاله

أرى شعرات على حاجبي
بيضا نبتن جميعا تواما
أظل أهاجي بهن الكلا
ب أحسبهن صوارا قياما

فقال له الثاني من ولده وقيل ابنه انك ربما أخطأت في حكم فيحمل عنك قال فاجعلوا لي امارة أنتبه بها حتى أعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويجعل ابنه في البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنة فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب به المثل وهو أول من فعل ذلك وقيل هو شخص في زمن النعمان بن المنذر حذر أخاه وذلك ان النعمان أرسل شخصا يرتاد الكلأ فأبطأ فغضب وعزم على أن يسأله اذا ورد

ناداه اين ترى محط رحاله * فاجاب اين ترى محط رحاله

وكان بهاء الدين أسعد السنجارى فى بعض أسفاره فنزل فى بعض الطريق وكان له غلام يدعى ابراهيم وكان يأنس به فابعد الغلام فقام يناديه يا ابراهيم يا ابراهيم مرارا ولم يجبه غير الصدى فقال

بنفسى حبيب جاره وهو مجاور * بعيد عن الابصار وهو قريب
يجيب صدى الوادى اذا ما دعوته * على انه صخر وليس يجيب

وما أحسن قول محاسن الشواء

لى صديق غدا وان كان لا ينطق الا بغيبة أو محال
اشبه الناس بالصدى ان تحدثه حديثا اعاده فى الحال

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

لما رفعت اضيف الطيف حين سرى * نار اشتياقى هدته فى دجا الظلم
وسار نحوى ليلقانى فلم يرنى * ولا استبنت له من شدة الالم
فكنت مثل الصدى فيما أجبت به * فاارى ويحس الصوت من كلمى

وقول السراج الوراق

وقفت باطلال الحبيب سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب انى أروى ديارهم * وحظى منها حين اسالها الصدى

وقال السراج الوراق ملغزا فى ماء

ما اسم شئ اذا سألتك ماهو * قلت لى كالصدى مجيبا ماهو
ولعمرى لقد أجبت وأثلجت فؤادى به فزال صداه

وقال ابن سناء الملك

يحكينى الربع اواحكيه بعدكم * سقما فياليت شعرى اينا الحاكى
فما مررت بربع كان ربعكم * الا ظننت صداه انه الشاكى

وانشدنى لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

امعهد سعدى بالعذيب سقاكا * ملث الحيا حتى يبل صداكا
صدى كلما أشكو أجاب كأنما * خلقنا على اطلالها نتشاكى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

خيال الفتى فى كل صاف اعينه * كصوت الصدى فى سمعه اذ يجاوب
فيسمع من ذا ناطق وهو صامت * ويبصر من ذا حاضر وهو غائب

وأما قول أبى الطيب والذى بعده فانهما فى غاية ما يكون من مبالغة وصف البشرة بالرقة والصفاء وما أحسن قول بعضهم

برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكى فانظر أدمعى فى خدها * تجرى فأحسب انها تبكى لى

وقال الآخر

ولما التقى الواشون والركب ظاعن * وقد رام للتوديع منى تدانيا

فان قال خصبا قتله وان قال جدبا قتله وعرف بذلك أخوه فقال للنعمان أتاذن لى ان انذره قال لا قال فاشير اليه قال لا قال فاقرع له عصا قال فاقرع فلما ورد اخذ اخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التى كانت معه قرعا مختلفا الى ان فهم اخوه القصة فقال لم اجد خصبا ولم اذم جدبا الارض مشكلة لا بقلها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان أولى لك بذلك نجوت فنجا وقال اخوه
قرعت العصا حتى تبين صاحبى
ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

بدت في محياه خيالات أدمعي * صفاء فظنوه بكى البكائيا

ومثله قول الارجاني

قابلني حتى بدت أدمعي * في خده المصقول مثل المراه
يوهم صحبي انه مسعدي * بادمع لم تذرها مقلتاه
وانما قابلني منه بدمع عين من جفون مراه
ولم تقع في خده قطرة * الاخيالات دموع البكاه

وقال الارجاني

واغيد راق ماء الوجه منه * فلو ارخى لثاما عنه سالا
تبين سواده الابصار فيه * فحيث لحظت فيه حسبت خالا

واخذه الآخر فقال

ولما استقلت أعين الناس حوله * تراقبه حيث استقل وسارا
تمثلت الاهداب في صفو خده * خيالا فخالوا الشعر فيه عذارا

وقال أبو الحسن علي بن أحمد الديباجي المصري

ياحبذا قر تزرفن صدغه * واخضر شاربه فزاد جمالا
وكأن اسود ناظري في خده * لما نظرت له تمثل خالا

وقال بن رشيق فيما أظن

أخاف تجنيه فاصفر ان بدا * و يصفر خوفا ان أنم عليه
وأكثر ظني أن مرآة خده * توصل الوان الوجوه اليه

وقال أحمد بن صالح بن شيرزاد الوزير

ظبي ترى وجهك في وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال بن قاضي ميلة

محيا ترى الاتراب اشخاصها به * جرى فيه رقراق النضارة مذهبا
اذا زاره ذو لوعة لاح شخصه * الى الحول في افرنده متنصبا
فاعجب بوجه حسنه من وشاته * ينم على من زاره متنقبا
بدت صور العشاق في ماء خده * فانثنت رقيب الحي أن يترقبا

وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت في مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغي أن ينادم هذا الا أعمى ولا ينشد الا بار بن وهم وقال آخر

ومهفهف قسم الاله مثاله * نصفين من غصن ومن رمل
فاذا تأمل في الزجاجة ظله * جرحته لحظة مقلة الظل

وقال آخر

اضمران اضمر هجري له * فيشتكي اضمار اضماري
رق فلو مرت به ذرة * لخضبته بدم جاري

وقال بن سناء الملك

نظراتي لوجهه * بدموع مؤثره   رق حتى كأنما * لثمه سوء مقدره

وقيل المراد بقرع العصا قصة قصير لما كان مع جذيمة واقبلت عساكر الزباء فقال له اني متى انكرت القوم قرعت لك العصا وهي فرس جذيمة التي لا تلحق فاركبها وانج فلما راى الشر قرعها بالسوط فانف جذيمة من الهرب فركبها قصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لوكان لجذيمة حلم لركبها لكن القول الاول أشهر وأحسن

(وان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك)

يعني ان ندمت على ما قدمت

وانشد في لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز الحلي

وظبيـة من ظباء الترك كالشـة * الكنها في رياض الحسن قد سرحت
ان جال ماء الحيا في خدها خجلت * وان تردد في أجفانها انفتحت
قست على صبها قلبا ووجنتها * لو مر تقبيلها بالوهـم لانجـرحت

وقال ابن القابلة

ووجه مليح رق حسـنا اديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لي عند اللقاء به رشا * تكاد الجيما من محياه تعصر
ولم يتعـرض كي أراه وانما * اراد يريني أن وجهي اصفر

وعلى ذكر رؤية الهلال فما أحسن قول ابن الرقاق

لله شـهر ما انتظرت هـلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبـدى لي أغن مهفهف * لضـيائه يحجاب كل ظـلام
فطفقت أهتف في الانام ضللتم * وغلطـتم في عـدة الايام
ماجاءنا شـهر لاول ليـلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

وقوله أيضا

وشهـر أدرنا لارتقاب هـلاله * عيونا الى جو السماء جوائـلا
الى ان بدا أحوى المراشف أحور * يجـر لا برادا الشـباب دلادلا
فقلت له أهـلا وسهلا ومرحبا * بيـدر حوى طيب الشمول شمائلا
اتطلبك الابصار في الجو ناقصا * وأنت كذا تمشي على الارض كاملا

قلت ومع حسن هذين المعنيين فقد طول في المقطوعين وزاد في التوطئة لما اراد وكان يكفيه في كل مقطوع بيتان وقد خطر لي نظم هذا المعنى في بيتين لا غير فقلت

ولما ترائينا الهـــلال بدا لنا * محيا حبيب لم يغب قط عن فكري
فقلت عجيب أن يرى البدر هكذا * تماما ونحن الآن في أول الشـهر

وقلت في ذلك أيضا

رايت الهـلال وحبي معا * وفي وجهه شغل عيني وفكري
فبشرت بالسعد عيني التي * أرتني الهلال على وجه بدري

وقال آخر في مليح لم ينظر الهلال

تراآت البـدر عيون ولم * ينظر اليه مع نظاره
وما الذي يصنع بالبدر من * أطلعه الله بأزراره

قيل ان في أيام اياس بن معاوية القاضي تعذر على الناس رؤية الهـلال فلم يره أحد فحضر اليه أنس بن مالك رضي الله عنه فيما أظن وقال رأيته فقال أرني مكان رايته فأراه فلم ير اياس شيئا ونظر شعرة بيضا خارجة عن حاجبه فنحاها وقال له انظر الى الهلال وحققه فنظر فلم يجد شيئا وهذا من تفرس اياس رحمه الله تعالى (فائدة) ذكرتها هنا وهي انه وجد بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أبو القاسم السهيلي قال اجمع المسلمون على ان حجة الوداع كان يوم عرفة فيها يوم الجمعة وكان أول شهر ذي الحجة في تلك السنة يوم

عليه وتركته ولمت نفسك أرحت نفسك بانقطاعك عنا وأرحتنا منك
(وان قلت جعجعة ولا طحن ورب صلف تحت الراعدة) مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل والجعجعة صوت الرحى والطحن الدقيق فعل بمعنى مفعول كذبح وفرق والصلف قلة البركة والخير ولذلك يقال اصلف من ملح في ماء أي لا يسقي وسحاب صلف اذا كان قليل الماء كثير الرعد والمعنى انك متى قلت اني أتوعد ولا تفعل فسترى ما يكون
(وانشدت لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا)

الخميس وهذا الاشك فيه ثم قال بعد ذلك وقال أكثر أهل التاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول بعد الحجة المذكورة بثلاثة أشهر وكيف حسب الانسان الشهور وهن ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وجعل أول ذي الحجة الخميس مايتصور أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سواء حسب الجميع نواقص أو كوامل أو بعضهن نواقص وبعضهن كوامل فاعتبره تجده كذلك وأجاب عن هذا السؤال قاضي القضاة شرف الدين البارزي الحموي بما صورته يحتمل انه لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى هلال ذي الحجة بين مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على أهل المدينة فلم يروا هلال ذي الحجة الا ليلة الجمعة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمدينة أرخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وأرخوا في أول ذي الحجة وهو يوم الجمعة فخلت الشهور الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل وجاء أول ربيع الاول الخميس وكان ثاني عشر ربيع الاول يوم الاثنين وكان بين رؤيته صلى الله عليه وسلم وبين رؤية اهل المدينة مسافة القصر والصحيح من مذهب الشافعي اعتبار اختلاف المطالع والله اعلم بالصواب وقد أجاب القاضي عز الدين بن جماعة عن هذا الاشكال ايضا بان تفرض الشهور الثلاثة كوامل ويكون قولهم لاثنتي عشرة ليلة خلت منه اي بايامها كاملة فتكون وفاته بعد استكمال ذلك والدخول في الثالث عشر والاشكال قوي وكلا الجوابين فيه نظر لما في كلام السير مما يدل على نقصان الثلاثة او اثنين منها والراجح من حيث الاتباع انه لليلتين خلتا من ربيع الاول والجمهور على انه لاثنتي عشرة ليلة خلت وصرح به جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين (المعنى) قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه في مرادهم منك فاهرب منهم ولا تتابعهم على ما يرمونه منك ان اردت ان لاترعى هاملا فتعود سدى يحذر نفسه من أعاديه الذين يسعون في قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به ويتربصون به الدوائر قال الارجاني:

عرفت دهري واهليه يبادرني * من قبل ان نجذتني فيهم الحنك
فلا احسائك في صدري على احد * منهم ولا لهم في مضجعي حسك
ولا اغر ببشر في وجوههم * وربما غر حب تحته شبك

وقال ابن الساعاتي

لا يغرنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لاينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال مهيار الديلمي

خلعت موفقا نظري وقلبي * هواه فمن يعادي او يوالي
اطالع صاحبا فاري بظني * خلال تجاربي فيه اختلالا
وأخبره فلا ارضاه قولا * لاخبره فارضاه فعالا

وأبو الطيب أوجز قولا من هذا لانه قال

اخالط نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها من فعله والتكلم

والسابق الى هذا المعنى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فيما ينسب اليه من الشعر حيث قال

هذا البيت لبشار بن برد
وقد ذكر أبو اسحق قال
دخلت عليه يوما وبين يديه
مائة دينار فقال خذ منها
أتدري ما قصتها قلت لا قال
أنا اليوم جالس واذا بفتى من
ذوي النعمة دخل علي فقال
يا أبا معاذ هذه مائة دينار
نذرت أن أدفعها لك فتسلمها
فقلت ما سببها فقال كنت
قد هويت امرأة وتعرضت
لها فتصعبت علي فأردت
السلو فذكرت قولك
لا يؤيسنك من مخدرة
قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة
والصعب يركب بعدما جمحا
فصبرت فادركت مقصودي
منها وآليت على نفسي أن

عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء قد كنت طول الدهر تخفيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها او من اعاديها

وقال أبو الطيب

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

وهو مأخوذ من قول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقال أبو الطيب

ويعرف الامر قبل موقعه * فماله بعد فكره ندم

ومن حكم أبي الطيب قوله

لو فكر العاشق في منتهى * صورة من يسبيه لم يسبه

ومثله قول القائل

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائبه قبل ان تنزلا
يرى الامر يفضي الى آخر * فيجعل آخره أولا

وما أحسن قول أبي نواس

أسأل القادمين من حكمان * كيف خلفتم أبا عثمان
وأبا مية المهذب والما * جد والمرتجى لصرف الزمان
فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم * كيف لم يغن عنهم كتماني

قلت أبو عثمان هو أخو مولى جنان وأبو مية هو مولاها وهذه جنان كان أبو نواس يهواها ولم يصدق في هوى امرأة غيرها وله فيها املح طريقة قال شرف الدين شيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي رحمه الله تعالى أنشدت والدي أبيات أبي نواس هذه فقال هذا شبيه بقصد ظريفة وهي ان بعض عوام بغداد عرض له نسيب فوصف له بطيخ رقي وكان عزيزا في ذلك الفصل فلم يجده فذكر له ان بطيخة منه عند بعض الفكاهيين بالكرخ فلما جاءه لم يرد البداءة بسوم البطيخة لئلا يفطن لقصده فقال كيف تبيع هذا الرمان فقال البطيخة بنصف دينار فقال بعها لمن يطلبها عاشئت فأنا أريد مشتري طبق فاكهة كيف تبيع التفاح قال البطيخة بدينار فلم يزل يساومه على نوع نوع وهو يزيد في البطيخة حتى ألجأته الضرورة الى ان صدقه واشتراها منه بما تراضيا عليه انتهى قلت ومن هذا الباب ما حكي ان انسانا مر بمكتب فيه صغير مليح الوجه فوقف وسأل الفقيه وقال يا مولانا هذا ابن من وأشار الى صغير غير ذلك فقال الفقيه يا مولانا لا تتعبني وتضيع الزمان في السؤال هذا المليح ابن فلان وما أحلى قول شرف الدين شيخ الشيوخ

سألته من ريقه شربة * اطفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

وأنشدني جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدني القاضي زين الدين عمر بن الوردي قال أنشدني الاديب يحيى بن محمد بن زكريا الحموي الخباز لنفسه

احمل اليك هذه المائة دينار (فوجدت لما نهيت عنه) وراجعت ما استعفيت منه) بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا) يعني انك ان لم تبال بتوعدي ولم تصدقه وعاودت المراسلة بعثت من يزعجك من مكانك والازعاج عدم الاستقرار ومنه المرأة المزعاج التي لا تستقر في مكان والخضراء ناحية المزدرع من البلد أو اسم ضيعة والوكز مثل الدفع وهو ضرب الطهر مع الدفع وقيل الضرب بجمع اليد على الذقن

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوس جاليش واخشى بأن * تستتبع الجاليش بالقلب

وقال أبو حاتم الحجارى بالراء

وزائر زارنى وقد هجعت * عيناى لما تبلج الفجر
بكيت للقرب ثم قلت له * من ثمر الوصل يجتنى الهجر

وقال سعيد بن حميد لفضل الشاعرة

ما كنت أيام كنت راضية * عنى بذاك الرضا بمغتبط
علما بأن الرضا سيعقبه * منك التجنى وكثرة السخط

وقال العباس بن الاحنف

قد كنت أبكى وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

وقال آخر

بكيت فقالت أراك بكيت * فقلت الوصال اخاف انتقاضه
فقالت فديتك من عاشق * يشمر للذيل قبل المخاضه

وقال ابن خفاجة

ما للعذار وكان وجهك قبلة * قد خط فيه من الدجى محرابا
ولقد علمت بكون ثغرك بارقا * ان سوف يرجى للعذار سحابا

وأنشدنى لنفسه اجازة القاضى شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى

أأحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد البعاد رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد الغروب طلوع
وهل لى ولا والله ما ذاك ممكن * فؤاد اذا حان الفراق مطيع
وقد كنت أدرى والحياة شهية * برؤيتكم أن النوى سيروع

ومن تلميح قول القائل

عاقنى عن حلاوة التشييع * ما أرى من مرارة التوديع
لا يفى انس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وما أحسن اعتذار القائل عن ترك الوداع

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله من ملل ولا لتجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * ويقال انت قتلته فتعذبى

وقال عبد الصمد بن بابك

ان لم أودعك فعن عذرة * فانى اليها اذ ناواعيه
قرت بك العين فنزهتها * عن نظرة ليست لها ثانيه

ويعجبنى قول القائل

انى لأكره ان انام فالتقى * بك فى الكرى خوف الفراق الثانى

وذكرت هنا قول ابن رشيق يرثى

المنايا حتم فطوبى لنفس * سلمت بالرضا لحتم القضاء

(فاذا ضربت الهاعبث أكار وهابك وتسلط نواطيرها عليك)
الاكارون الزراعون جمع اكار ويجمع على اكرة كأنه جمع آكر فى التقدير مأخوذ من الاكرة وهى الحفيرة فى الارض والعبث ان يخلط بعمله لعبا مأخوذ من العبيثة وهى طعام مخلوط والسلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان
(فى قرعة معوجة تقوم فى قفاك ومن نخلة منتنة يرمى بها تحت خصاك)
أى تضرب فى القفا بالقرع المعوج الى ان يستقيم وهو

لو بودى قتلت نفسى لالقا * ولكن خشيت فوق اللقاء

هو مأخوذ من قول القائل

ولقد هممت بقتل نفسى بعده * أسفا عليه فخفت ان لا نلتقى

ومعناه انى اذا قتلت نفسى كنت فى النار وهو من أهل الجنة وهذا من ألطف معنى يكون وقال آخر يتمنى الوداع وهو مشهور

أرأيت من يرضى بفرقة الفه * أنا قد رضيت لنا بان نتفرقا

حتى أفوز بقبلة فى خده * عند الوداع ومثلها عند اللقا

وقال آخر يهون أمر الوداع

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادو

وما أحسن قول الارجانى

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجميع ملتصقه

واليوم جاء الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وعلى ذكر القلب فما أحسن قول القائل

جاذبتها والريح تضرب عقربا * من فوق خد مثل قلب العقرب

فتمايلت عجبا وصدت وانثنت * وتسترت عنى بقلب العقرب

وقال الآخر

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على حسن خد ندى

تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجى المكمد

وقال الآخر

فقالت ترى ماذا الذى أنت قانع * به من هوانا قات معكوس قانع

وقال آخر فى ذم الدنيا

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تأملته مقلوب اقبال

وقال أبو الفضل الميكالى فى ذم الاقحوان

للاقحوان على ملاحته * وخز بقلب يشتكى العشقا

مقلوبه فى اللفظ يخبرنى * ان الاحبة قد نأوا حقا

وقال آخر فى ذم أترجة

اترجة قد أتتك برا * لا تقبلنها اذا بررتا

ولا تراها فدتك نفسى * لان مقلوبها هجرتا

وقال آخر فى البهار

حكانى بهار الروض حتى ألفته * وكل بهار للمحب مصاحب

فقلت له ما بال لونك شاحبا * فقال لانى حين أقلب راهب

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق فقال

ياحسن ما سمى البهار به * لو تركته عيافة العائف

عما لا يستقيم فيكون كناية عن ايصال الضرب والرمى بالفعل تحت الخصى كناية عن استدخاله فى استه وفى نتنه مناسبة واستقذار للمفعول به *(ذلك بما قدمت يداك الذوق وبال أمرك وترى ميزان قدرك)* يعنى بما فعلت أنت والعرب تقول هذا ما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدى على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم بالفم ونقل الى اختبار الشئ ويستعمل فى القليل والكثير ولذلك ذكره الله تعالى فى

قلبته راهبا فاشعرني * خوفا ويا ويل راهب خائف

وقال أيضا

لم كره النمام اهل الهوى * اساء اخواني وما احسنوا
ان كان نماما فمعكوسه * من غير تكذيب لهم مامن

وكتب بعض الافاضل مع كرسي أهداه

اهديت شيئا يقل لولا * احدوثة الفال والتبرك
كرسي تفاءلت فيه لما * رايت مقلوبه يسرك

وقال ابن قزل ملغزا في رمح

أي شئ يكون مالا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر
اسمر القد أزرق السن وصفا * انما قلبه بلاشك أحمر

وقال آخر ملغزا في دملج

الى النساء يلتجي * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جامد

وقال آخر في كون

يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل في سومك
تنظره بالعين في يقظة * كما يرى بالقلب في نومك

وقال الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل

راح بها الاعمى يرى مع العمى * وهاك برهانا على هذي المدح
الخمر للاقداح قلب دائما * والحدق انظرها تجد قلب القدح

وكتب النصير الحمامي الى السراج الوراق لغزا في سيل

اترشدني شيئا به يدرك المنى * له قلب صب كم فؤاد به صب
اذا ركب البيداء يخشى ويتقي * فلم يثنه طعن ولم يثنه ضرب
بقلب يهد الصخر يوم لقائه * ومن أعجب الاشياء ليس له قلب

فأجابه السراج الوراق

أراك نصير الدين عذبت خاطري * وقد راق لي من لغزك المنهل العذب
وأثبت قلبا منه ثم نفيته * واعرفه صبا وهام له قلب
واعرف منه أعينا لا تخفها * جفون كعادات الجفون ولا هدب
ومن وصفه صب كما أنت واصف * صدقت ولولاه لما عرف الحب

وكتب النصير اليه أيضا ملغزا في نور

تعرف اسما قلبه في دبره * ماحواه صدره في عمره
ملك ذي القرنين يغدو عنده * ان خلا في مربع مع خضره
يشكر الكافر يوما سعده * حين ترنو عينه في اثره

فأجاب السراج الوراق عنه ولكن ليس في الجواب مايدخل في هذا الباب فلهذا لم أثبته

وكتب اليه النصير أيضا ملغزا في آل

العذاب والوبال الامر الثقيل الذي يخاف ضرره ومنه طعام وبيل وكلاء وبيل والوبل هو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشئ وأصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسر ماقبلها

*(فن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى)*

هذا بيت من شعر المتنبي ختمت بذكره الرسالة لمناسبة ماقبله وكذلك مذاهب أكثر البلغاء في مقاطيع رسائلهم اما بآية أو مثل أو بيت من الشعر يتمثلون به في معنى ماهم فيه فيكون له مزية ظاهرة ويجب أن يكون من أحسن ماسمع وفي القصيدة

تعرف اسما ظاهرا * طورا وطورا يحتجب
مثل السحاب انما * بارق هذا خلب
وهو اذا قلبته * فانه لا يقلب

فاجابه السراج بقوله أرحتني منك بلغز * ليس فيه تعب
قلبته لا كالذى * قلت وقلبي قلب
وان يكن ذا كذب * فانت منه أكذب

وانشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد ابن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة لغزا فيه

ماسائح منفرد * عن الورى مغترب
لا أم كل يحبه * ولا لعمرى مشرب
وهو على ماقد ترى * يعزى اليه الكذب
وان أردت قلبه * فانه لا يقلب

ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله قوله ملغزا في باب

أي شئ تراه في الدور والكتب * مجازاه هذا وهذا محقق
يحفظ المال والحريم ولولا * ه حفيظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو في أكثر الاحايين يطرق
وطليق في نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه في الخط لكن * هو اثنان كله ان تفرق
وهو في القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق
وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يتزندق
فأجبني عنه بقيت مطاعا * لست في حلبة الفضائل تسبق

قلت في هذا اللغز ألفاظ لا يخفى على الفاضل ما فيها من الوهم والغلط فما رأيت ان أطيل الكلام فيها وعلى ذكر الباب فما أحسن ما كتب به شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه الى والده ملغزا في ذلك وهو

ماواقف في المخرج * يذهب طورا ويجي
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب أبوه ذهاب ومجيء وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام وذكرت هنا أيضا مانقلته من خط الفاضل علاء الدين الوداعي وصورته حدثني شيخنا الامام تاج عبد الرحمن الفزارى رحمه الله تعالى قال كان شيخنا شيخ الاسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رضي الله عنه اذا قرأ القارئ عليه من كتاب وانتهى الى آخر أي باب كان من أبوابه لا يقف عليه بل يأمره أن يقرأ من الباب الذى بعده ولو سطرا واحدا ويقول ما نشتهي ان نكون ممن يقف على الابواب انتهى (رجع) الى ذكر القلب وقد أتيت من هذا النوع بما يكفي ولابد من ايراد نوع آخر من القلب وهو أشرف من الاول وهو أن الكلمة وما فوقها لا يتغير معناها بالقلب وقد عبر عنه الحريرى في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ومثله بقوله ساكب كاس ومثله قوله تعالى كل في فلك وقوله تعالى ربك فكبر ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن

التي منها هذا البيت أبيات حسنة أذكرها جريا على العادة في الاستطراد بما ينطوى على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدى من مصر الى العراق يصف طريقه
فيا لك ليلا على أعكش
أحم البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمة في جوزه
وباقيه أكثر مما مضى
أعكش موضع والاحم الاسود

يوم القيامة اقرأ وارقا ومنه قول الحريري كبر رجاء أجر ربك وقول القاضي الفاضل رحمه الله تعالى ابدا لا تدوم الا مودة الادباء وقال العماد الكاتب للقاضي الفاضل رحمه الله تعالى سر فلا كبا بك الفرس فقال له دام علاء العماد وهذا مطلع قصيدة للارجاني ومنه مودتي لخلي تدوم ومنه أرض خضر أفيها أهيف ساكب كاس ومنه وهو موزون أرانا الاله هلالا أنارا ومنه مراكب كارم ومنه مطرق قرطم ومنه سر فسار برأس فرس ومنه حوت فمه مفتوح ومنه آدم حمد محمدا ومنه رمح أحمر ومنه هر بره وكذلك هره ومنه كبرت آيات ربك ومنه عقرب تحت برقع وقول الارجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال كمال الدين علي بن النبيه

ابق أقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غني هبه

وقال سيف الدين بن المشد

ليل أضاء هلاله * أني يضيء بكوكب

ومن كلام المولى صفي الدين الحلي كدضدك كن كما أمكنك كرم علمك يكمل عمرك ومن هذا ان يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافية كقول الشاعر

رقت شمائل قاتلي * فلذاك روحي لا تقر

رد الحبيب جوابه * فكأنه في اللفظ در

وقد سميت أنا هذا النوع مجنح القلب وفي هذه التسمية تورية مطبوعة وقد فكرت في هذين البيتين فوجدت الكلمة الاولى ثلاثية والثانية ثنائية فقلت لو اتفق الكلمتان في العدد لكان أكمل في الصناعة فامتحنت الخاطر بنظم شيء في هذا النوع كاملا ففتح الله علي بالمطلوب عاجلا فقلت في الوزن والروي

رضت فؤادي غادة * ما كنت أحسبها تضر

ردت رسولي خائبا * فدامعي أبدا تدر

وكذا فكرت يوما في قول شمس الدين محمد بن التلمساني

أسكرني باللفظ والمقلة الكحلاء والوجنة والكاس

ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

فكدت أرقص لا بل أطير عجبا وأميل لا بل أذوب طربا وقلت هل أستطيع له طلبا أو أحكي لنغره شنبا فلم أر بيني وبين هذا الانسجام نسبا ولم أجد لي الى غير القالب الذي أبرز فيه معناه منقلبا وضت جواد فكري في هذا الميدان فكبا وجردت حسام اقدامي على المعارضة فنبا وعلمت أنه غاية فات لحاقها ولم أر لي ما يقتضي أربا ولكن

قد يدرك المجد الفتى ولباسه * خلق وجيب قميصه مرقوع

فقلت ليست المعارضة مطلوبة في انسجام لفظه وعذوبة تركيبه ولكن في الصناعة فقط والاتيان بمثل هذه المادة لا غير تجربة للخاطر المستكن فحركت لها جوارحاتحن ففتح علي في ذلك الوقت بما أرجو أن يوجب المقة لا المقت فقلت

قلب الدن من أحب فأضحت * نفحة الند من جياه تهدى

والصوى العلامات في الطرق وهي أحجار يوضع بعضها فوق بعض ليعرف بها الطريق وفي الحديث ان للاسلام صوى ومنارا والزهمة موضع والضمير في جوزه عائد على الليل يعني اعترض قوم هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقي الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه فقيل في الجواب وجهان أحدهما انه انما أراد بالنصف مدة

قال لي اعجب فقلت غير عجيب * كل دن قلبته كان ندا

فقلت لو اتفق لي شيء في رويه لكان أقرب وأغرب في البديع وأعرب فرجعت رجوع المفلس الى بقايا الدفاتر الموروثه وبقيت أخبط في الظلام على خرط القتاد بعد الجلوس في النهار على الزرابي المبثوثه وقلت ألق دلوك في الدلاء ولا تجزع ان جاءت بقليل حماة أو كثير ماء فما كل قريحة تكدي ولا كل خطر يردي

وما عقمت أم الندى بعد حاتم * لها كل يوم في البرية مولود

فقلت

قلت وقد سرت في الظلام وقد * أهمني منه فقد ايناسي

كيف يطير الفؤاد من جزع * وكل سار فقلبه راس

ولما قرأت المقامات الحريرية على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله أنشدني من لفظه عند وصولي في القراءة الى بيتي ابن سكرة مواليا لبعضهم

لقيتها قلت وقيتي من الافات * بالله ارحمي صب لك المضني والامات

قالت تريد بحدوثة وخرافات * تنصب علينا وتأخذ سادس الكافات

ثم التفت الى الحاضرين وقال هل فيكم من يحفظ من نوع قول ابن سكرة شيئا فبعض القوم أنشد قول ابن التعاويذي

اذا اجتمعت في مجلس الشرب سبعة * فبادر فما التأخير عنه صواب

شواء وشمام وشهد وشادن * وشمع وشاد مطرب وشراب

وسكت الباقون فأنشدته لابن قزل

عجل الي فعندي سبعة كملت * وليس فيها من اللذات اعواز

طار وطبل وطنبور وطاس طلا * وطفلة وطباهيج وطناز

وأنشدته له أيضا

جاء الخريف وعندي من حوائجه * سبع بهن قوام السمع والبصر

موز ومز ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب ومري

وأنشدته لغيره أيضا

رمتني يد الايام عن قوس خطبها * بسبع وهل ناج من السبع سالم

غلاء وغارات وغزو وغربة * وغم وغدر ثم غبن ملازم

فأعجبه رحمه الله ذلك وأمر بتعليقها ثم انه قال الان من خاصية هذا النوع انه لابد وأن يكون بعض هذه السبعة موصوفا ليقوم الوزن بذلك فاستقريت ما احفظه فكان كذلك قلت والعلة في ذلك انها سبعة ألفاظ ويريد الناظم يأتي بها في بيت واحد فيضطره الوزن الى زيادة لفظة ليكون كل نصف فيه أربعة وبقي هذا الكلام في ذهني ولم أكن اذ ذاك مشتغلا بغير التحصيل والقراءة والمطالعة الى أن اشتغلت ببعض العمل فاردت امتحان الخاطر بنظم شيء من هذه المادة بحيث أن يكون سبعة ألفاظ بغير زيادة وصف فاتفق ذلك فقلت

اذا تيسر لي في مصر واجتمعت * سبع فاني في اللذات سلطان

خود وخمر وخاتون وخادمها * وخاسة وخلاعات وخلان

وقلت أيضا ان قدر الله لي في العمر واجتمعت * سبع فما أنا في اللذات مغبون

الثلث الاوسط والثاني أن الضمير في جوزه عائد على أعكش والرهمة ماء في وسطه وردوه وباقي الليل أكثر مما مضى

انتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى يعني بمن في مصر من فاتهم ومن بالعراق من هو قادم عليهم ومن بالعواصم سيف الدولة

قصر وقدر وقوادو قعبته * وقهوة وقناديل وقانون

وقلت في الجميع بين ثمانية

ثمانية أن يسمح الدهر لي بها * فمالي عليها بعد ذلك مطلوب
مقام ومشروب ومزح ومأكل * وملهو ومشموم ومال ومحبوب

وقلت ايضا

الى متى انا الانفك في بلد * رهين جميات جور كلها عطب
الجوع والجرى والجيران والجدرى * والجهل والجبن والجرذان والجرب

وأنشدني الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس لغيره

اذا كان في اسم المرء شين هوت به * الى الشر فليحذر أذاه المحاذر
شريف وشيعى وشيخ وشاهد * وشمر وشريب وشرح شاعر
سوى الشافعى أو شادن واق حسنه * كذا الشهداء المتقون وشاكر

وأنشدني أيضا لابى الحسين الجزار

وكافات الشتاء تعد سبعا * ومالى طاقة بلقاء سبع
اذا ظفرت بكاف الكيس كفي * ظفرت بمفرد يأتي بجمع

ووقفت أيضا على بيتين لابى الحسين الجزار وهما

يارب ان أعدمتني راحة الدنيا * فهب لي راحة الآخره
في بلدتي لم أخل من هاجر * ورحلتي لم أخل من هاجره

فاعجباني وأنشدتهما بعض أدباء العصر في زعمه وكررت العجب منهما فقال لقد نفخت في غير ضرم أى شئ فال اماذكر ان له في بلده هاجرا وفي غربته هاجرة فذكر وأنث فعلمت انه ذاهل عن نكتة البديع فيهما وأنشدتهما للمولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة فقال قد نظمت أنا أيضا في مثل هذا وأنشدني قوله

يارب ان ابنى وشعرى معا * قد أصبحا في حالة حائله
الشعر محتاج الى قابل * والابن محتاج الى قابله

وكنت أجتمع أنا وهو بالحائط الشمالى من الجامع الاموى بدمشق بكرة النهار وبعد العصر نتذاكر فاتفق ان غبت ليلة عن ميعادنا فكتب الى

أمولاى غبت وخلفتني * من الهم ذا فكرة خاضعه
فها أنا بعدك في جامع * ولكن قلبي في جامعه

فكتبت الجواب اليه

وقفت على نظمك المشتهى * وشاهدت روضته اليانعه
فكم ألف مثل غصن النقا * وهمزته فوقه ساجعه
أقام على الود لى حجة * ولكن عن الناس لى قاطعه
وقد سمع العبد ألفاظها * فيا حسنها في الحشا واقعه
وأصبح شكرى لها تاليا * وجملته للثنا جامعه
ورحت لباب الدعا قارعا * الى ان تصيب العدا قارعه

ومن يك قلب كقلبي له
يشق الى العز قلب النوى
ونام الخود يم عن ليلنا
وقد نام قبل عمي لا كرى
وقد كنت أحسب قبل الخصى
ى أن الرؤس محل النهى
فلما نظرت الى عقله
وجدت النهى كلها في الخصى
وقد ضل قوم باصنامهم
فاما بزق رياح فلا
يعنى ان من أطاع كاهورا
فقد ضل بطاعة شئ أسود مملوء

فلما

فلما وقف عليها قال والله هذا التالي والجامعة ما كان لي في حساب وقلت في هذه المادة

يا زمنا اوقعني شؤمه * في محنة ليس لها كاشفه
الفضل يحتاج الى عارف * والحال تضطر الى عارفه

وقلت ايضا مذ غاب محبوبي عن ناظري * بطلعة كالروضة الناضره
ابكي بطرف في الدجى ساهر * حتى يرى شخصي في الساهره

وكنت كثيرا ما اقول للشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري يعجبني قول القاضي الفاضل وعجبت لاطراد تلك القوافي ورأيت الشعراء أتت بها الفت في ضيق الاودية وخاطره وقلمه أتيا بها الفيافي الفيافي فلما كنت بصفد كتب الى كتابا جوابا عن كتاب صدر مني اليه يقول فيه فلله ذلك السحر الحلال الشافي بل تلك القوى في القوافي يشغل تلك المقاصد التي أقصدت المنى في المنافي فكتبت الجواب اليه ومنه وعكف منه على كعبة الفضل فلله ما نشر في استلامي وطوى في طوافي واراد طائر القلب ان ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم وظهر الخوى في الخوافي وحكى لي الشيخ فتح الدين قال كان شرف الدين محمد بن الوحيد الكاتب يقول قولهم النبيذ بغير الدسم سم وبغير النغم غم لم يقع لها بين السجعتين ثالثة وقد عملت أنا لهما ثالثة وهي وبغير المليح قبيح قلت ما كان ابن الوحيد لمع ما فيهما من الجناس المرقص ولو ان الامر يرجع الى السجع أو الوزن أو التضاد عمل الناس مجلدات كثيرة من هذا النوع وقد تكلفت أنا لهما سجعة ثالثة وهي وبغير النهم هم أعني أن الاكثار من الشراب سبب الانشراح والسرور على العادة من كلام الدين أولعوا بالشراب وبالغوا في الاكثار منه وحضوا عليه كقول الشاعر

اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى * فسيان ماء في الزجاجة أو خمر

ولما قرأت كتاب حسن التوصل الى صناعة الترسل على مصنفه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله تعالى وكان مما أورده في أنواع الجناس قول المطوعي وهو

أخو كرم يفضي الورى من بساطه * الى روض جود بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود في مجالس جود

قال لي عندما مررت بهما ما جاء لاحد مثل هذا الجناس فبقي هذا الكلام في ذهني فلما كان بعد مدة اتفق لي نظم سبعة وعشرين مقطوعا في هذا النوع وقد أودعت ذلك في كتاب لي سميته جنان الجناس فمن ذلك قولي

وساق غدا يسعى بكاس وطرفه * يجرد اسيافا لغير كفاح
اذا جرح العشاق قالوا أقت في * مدراج راح أم مدار جراح

وقولي أيضا بكيت على نفسي لنوح حمائم * وجدت لها عندي هديه هاد
تنوب اذا ناحت على الايك في الدجى * مناب رشاد في منابر شاد

وأنشدت يوما بعض فضلاء العصر ما أنشدنيه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قراءة مني عليه وهو

تثني وأغصان الاراك نواضر * فتحت وأسراب من الطير عكف
فعلم بانات النقا كيف تنثني * وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

هوا ولو لم يضل أحد عن ذلك ومن جهات نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى يعني من جهل قدر نفسه عرفه غيره بارتكاب القبائح التي لا ينتبه لها ومن نوادر المتعقبين على سرقات المتنبي قول أحدهم انه سرق هذا البيت من حكاية وهو ان قصارا كان يعمل على شاطئ نهر وكان كل يوم يرى كركيا يجيء فيلتقط من الحماة دودا

وقلت هذا هو الديباج الخسرواني والسحر الحلال لاهل المعاني لا ما يعالى به شعراء العظم نفوسهم ويظنون انهم جلوا في مجالس الطرب كؤسهم هيهات هيهات أي هذا النوع عن غاياتهم وفات فقال لي هل لك في أن تأتي له بمثابه أو تجد طاقة على الدخول في بابه قلت ليس لي بهذا يدان ولا أنا من فرسان هذا الميدان أما المعنى فيمكن الاتيان به في وزن أقصر وأما العذوبة والانسجام فالاعتراف بالعجز عنهما أعضد وانصر فنظمت في أصل المعنى لا في لطف المبنى بيتين وهما

لم أنسه في روضة * والطير تصدح فوق غصن
فأعلم الورق البكا * ويعلم البان التثني

واجريت يوما ذكر قصيدة له مدح بها الملك المؤيد صاحب حماة رحمهما الله تعالى اظهر غزلها في مظهر البديع كما ظهر أبو الطيب الحماسة في صورة الغزل وقد تقدم منه قطعة في اثناء هذا الكتاب وأنشدني لنفسه رحمه الله اجازة من قصيدة

وان تردعلم بديع الهوى * فات الى عندي فعندي المراد
جانس طرفي النجم مستيقظا * لي في الدجى بين السها والسهاد
وطابق الشوق لهيبي بما * دمعي ضلالا بين خاف وباد
وقسم الوجد غرامي كما * شاء واعضاءي على ما أراد
فقال لي للدمع والجسم الا سقام والقلب لحفظ الوداد
وفرع الحب الضنى في الحشا * عن مقل فيها منايا العباد
فما ظباء ارهفها قينها * ليوم حرب من سيوف حداد
يوما بأمضى من جفون بدت * من كحل خالطها في السواد
وقلت بالموجب في قولهم * بعد النوى يعرف صدق الوداد
فهو كما قالوا ولكنه * يعرف ممن وده في ازدياد

فطرب الحاضرون لذلك طرب المشوق الى وجه الحبيب والعاني لغيبة الرقيب وقالوا هل يمكنك أن تنخرط في سلكها أو تحتوي قريحتك على مثل ملكها فقلت ماكل غصن تناله يد الهصر ولا كل بديع في الوجود يدخل تحت الحصر ولا كل بطل يثق في المبارزة بالنصر ولكن لا يترك فرض الظهر لدخول وقت العصر ولا يهدم الحصن لاجل القصر فنظمت ولو وفقت هدمت وهو

أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة * لهم بديع الحب أصبح ينتمي
فلي الجناس لان دمي عن دمي * يجري ألست تراه مثل العندم
وله مطابقة التواصل بالقلى * ولعاذليه لزوم مالم يلزم

وقلت أيضا

لاتعجبوا منه فاحسنه * الابليغ حرت في وصفه
ان كان قد أوجز في خصره * فانه أطنب في ردفه
وما اتى بالواو في صدغه * الا وقد رتب في عطفه
ولف في البردة اعطافه * حتى يطيب النشر من لفه

وهذا آخر كتاب غيث الادب المسجم في شرح لامية العجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ويقتصر في القوت عليه فرأى الكركي صقرا قد ارتفع في الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها فقال الكركي مالي لا اصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وأنا أكبر منه جسما فارتفع في الجو وانقض على حمامة فأخطأ وسقط في الحماة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فاخذه الصياد ورجع الى منزله فاستقبله رجل فقال

هذا وقد تفضل بعض أهل المعارف والعلوم الحائزين قصب السبق في المنطوق والمفهوم بارسال تقريظين مشتملين على تاريخين فذكرناهما على حسب الورود وهاك عذب زلالهما المورود قال الهمام الاكمل والعلامة الافضل حضرة الشيخ ابراهيم أفندي الاحدب الطرابلسي

هل بارق من ثنايا ثغر مبتسم * أبان نظم اللآلي في دجى الظلم
أم وجنة وردها غض تفتح من * مر النسيم جلاها بارئ النسم
أم عارض قلم الباري حكاه لنا * في صفحة عوذت بالنون والقلم
وهي عقود زهت في جيد غانية * روت معاطفها عن بانة العلم
أم هذه الشهب في الظلماء مشرقة * تهدي الى منهج الآداب كل عمي
وهل زلال معين قد تسلسل في * ورد الثنايا جلا عن مورد شبم
أم ذي مناهل غيث قد أضيف بها * حلا الى أدب بالفضل منسجم
لامية العجم استعلت به وزهت * بمعرب للمعاني غير منعجم
شرح بديع به شرحي يطول اذا * أحكمت فيه بيان النعت بالحكم
أبان للقوم أفنان الفنون فما * روض جلا نور منثور ومنتظم
وكم به من عيون راق موردها * روّبها بالقوافي ري كل ظمي
اخلاف غيث سماها در صيبها * كم شب منها رضيع غير منفطم
لله در صلاح الدين منشئها * أبكار حسن فما سلمى بذي سلم
لم ينصف ابن الدماميني حيث أتى * منقصا لعلاه غير محتشم
أحرى به انه يثني عليه ولم * ينسب فسادا الى من للاصلاح نمي
ولم يعب فيه احماضا يطيب به * ذوق حلا بعد مر الجد للفهم
سفر يروق لذي الاسفار منهله * وفيه يغنى فقير السمع للنغم
جلت انا طبعه الاسكندرية في * أيام غيث البرايا منهل الكرم
وثغرها افتر مسرورا بطلعة من * علا على النجم كعبا ثابت القدم
سامي المآثر اسمعيل من طلعت * أقماره في سماء الفضل والنعم
عزيز مصر الذي عزت معالمها * به فأم حماها سادة الامم
وقد غدت كعبة المعروف كل فتى * يسعى لأبوابها سعاه للحرم
يمينه بيسار المرتجي ضمنت * كما بعلياه برت أحرف القسم
به العلوم ازدهت بالطبع وابتسمت * تهدى الثناء عما يحلو بكل فم
من ذاك شرح جلت أحكامه حكما * فرق حاشية للمنصف الحكم
فلو رآه صلاح الدين قال وقد * أبان وهو أشم القدر عن شمم
قد رق طبع كتاب ما يؤرخه * بدا لشرحي على لامية العجم

سنة ١٢٩٠   ٨   ٥٤٨   ١١٠   ٤٨١   ١٤٤

وقال حضرة الاديب الكامل والاريب الفاضل الشيخ رمضان حلاوه

روّ الفؤاد بمنهل ومنسجم * وداوكلم الحشا من هذه الكلم

ما هذا فقال كركي يتصعر فسمع المتنبي حكاية فاخذ منها معنى هذا البيت وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود * تمت الرسالة وشرحها * والدلالة ولمحها * ولا أدعي فيها غير انتخاب الاخبار * واختيار المتمكن من النظام والنثار * فاني أتيت بيوت الاشعار من أبوابها * وميزت أبكار الفقر من أترابها *

واشرح حديث الصبا يا صاحبي فبها * شرح الصدور اضب فيه منعجم
واستطرد القول في شأن الحبيب فقد * بان الحبيب ضحى عن بان ذي سلم
وأحل المعاني معاني الحسن تعرب عن * حال المعاني بنصب الشوق والسقم
واذكر لدنيا لغات في الهوى حسنت * مبلغات تحي الالمعي الفهم
حليل أيبك من راقت مشاربه * وبحر آدابه قد فاض كالديم
لله شرح له سامي العلوم على * لامية العجم المرفوعة العلم
مطول أدبا في ضمنه حكم * لا خير في قصر الآداب والحكم
من كل معنى يكاد السحر يعبده * وكل لفظ رقيق الحسن منتظم
يظل يورد احماضا ويعقبها * ورد الحديث فيروى منه كل ظمي
له رجوع الى اتحاف شاردة * على اصالة رأي فيه ملتئم
وقد بدا طبعه زاكي الطباع على * نسيم صفو بطيب الروض مختتم
لما انتهى قلت في التاريخ فاق علا * شرح الصلاح على لامية العجم

سنة ١٢٩٠   ١٠١١٨١   ٨٦١١٠١٦٠٥٠٨   ١٤٤

وعلى الجملة ففي عواطف من عرضت عليه هذه النبذة ما يسد خللي * ويشد أملي * ويكثر قللي * ويرخي كل وقت رحلي * الشمالية بقبولي عطر الله بذكره المشارق والمغارب * وزين سماء المدح في مناقبه برينة الكواكب ولا خلت أبواب نعمه وعلمه على كلا الحالين من طالب لله آمين * والحمد لله رب العالمين

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وعلى آله هداة الانام وأصحابه الائمة الاعلام فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل الراقي من درجات البلاغة أسنى رتبة يشهد سموها كل لوذعي نبيل المشتمل على بديع الرقائق ومحاسن [illegible] المسفر عن وجوه مخدرات القصيدة الموسومة بلامية العجم كل حجاب ونقاب المبين من خفي دقائقها ما لا يصل الى الوقوف عليه الا ثواقب الاذهان ولا يهتدي الى ابرازه على هذا الوجه البديع الامين لا يدرك شأوه في مضمار البيان الموسوم طبقا لمعناه بالغيث المسجم في شرح لامية العجم للعلامة الفاضل والهمام الكامل الاستاذ صلاح الدين بن أيبك الصفدي الاديب الشاعر المفلق الاديب رحمه الله وأكرم مثواه مطرزا بطراز الكتاب النفيس المغني الواقف عليه عن المسامر والانيس المسمى شرح العيون لرسالة ابن زيدون للعالم النحرير وعلم الفضل الشهير جمال الدين الاستاذ محمد ابن نباتة المصري تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وكان طبعهما البهي الفائق وتمثيل شكلهما الشهي الرائق بالمطبعة البهية الازهرية احدى جليل المطابع المصرية السنية المنسوبة للشهم الهمام الاوحد المقدام السيد محمد رمضان عاملني الله واياه بالاحسان احد ذوي اداراتها الامراء الاماثل اخدان الفضائل والفواضل ووافقت نهاية الطبع منتصف رمضان المعظم من عام ألف وثلاثمائة وخمسة من هجرة النبي الاعظم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وتابعيه وجميع حزبه
آمين

م